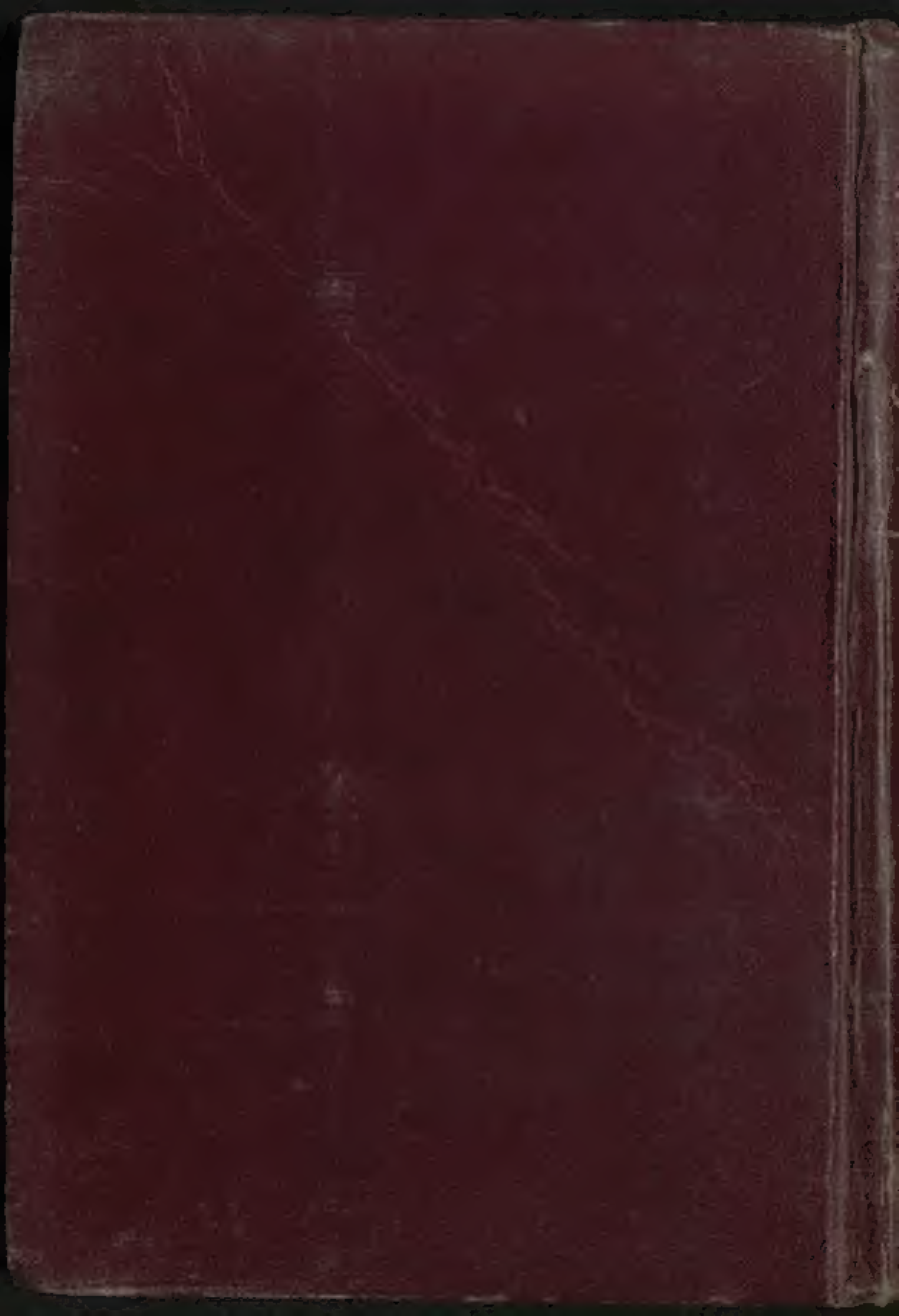
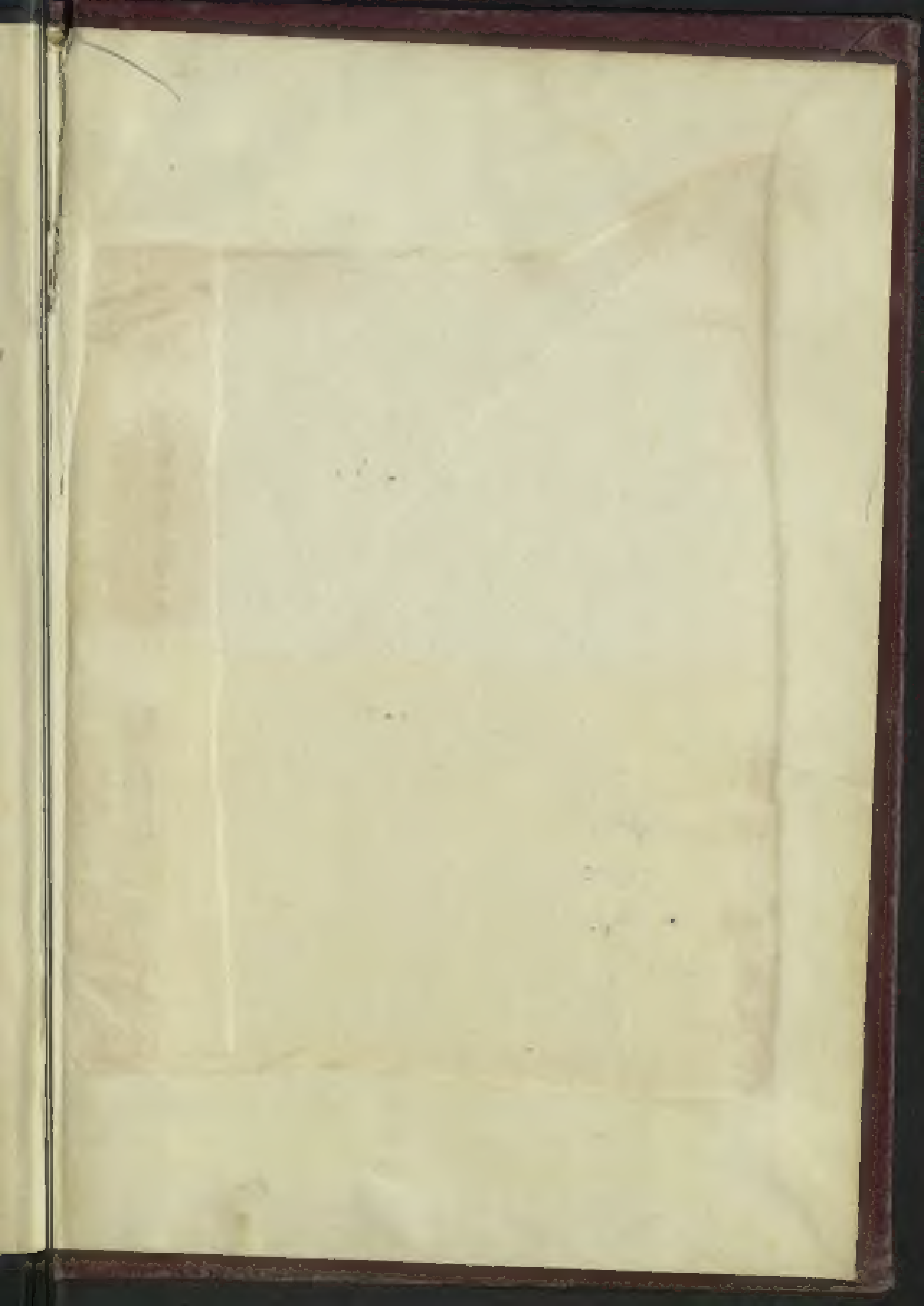


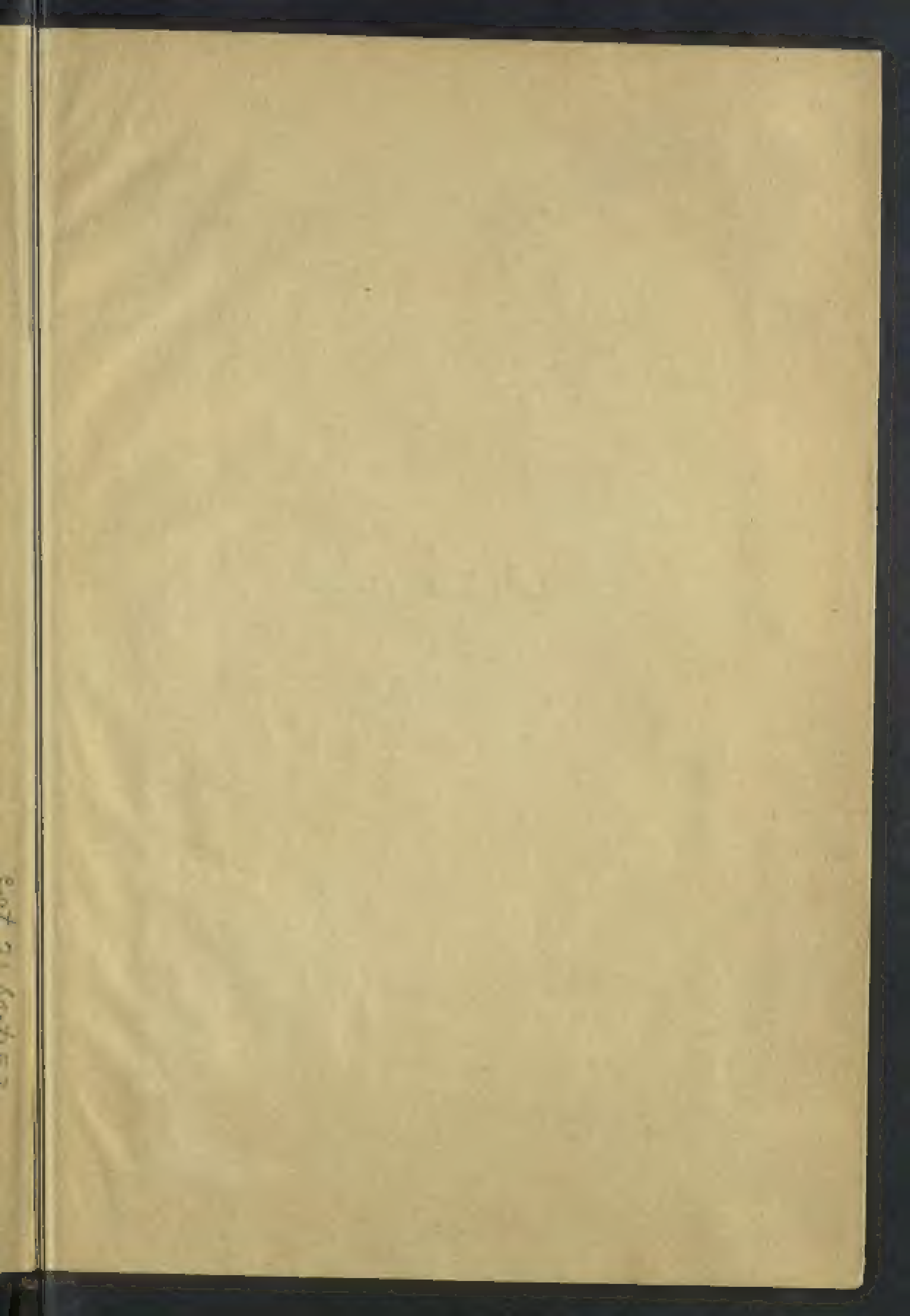




السياسة والاستراتيجية

في

الشرق الأوسط



السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط

الجزء الأول

تأليف

حسين فوزي النجار

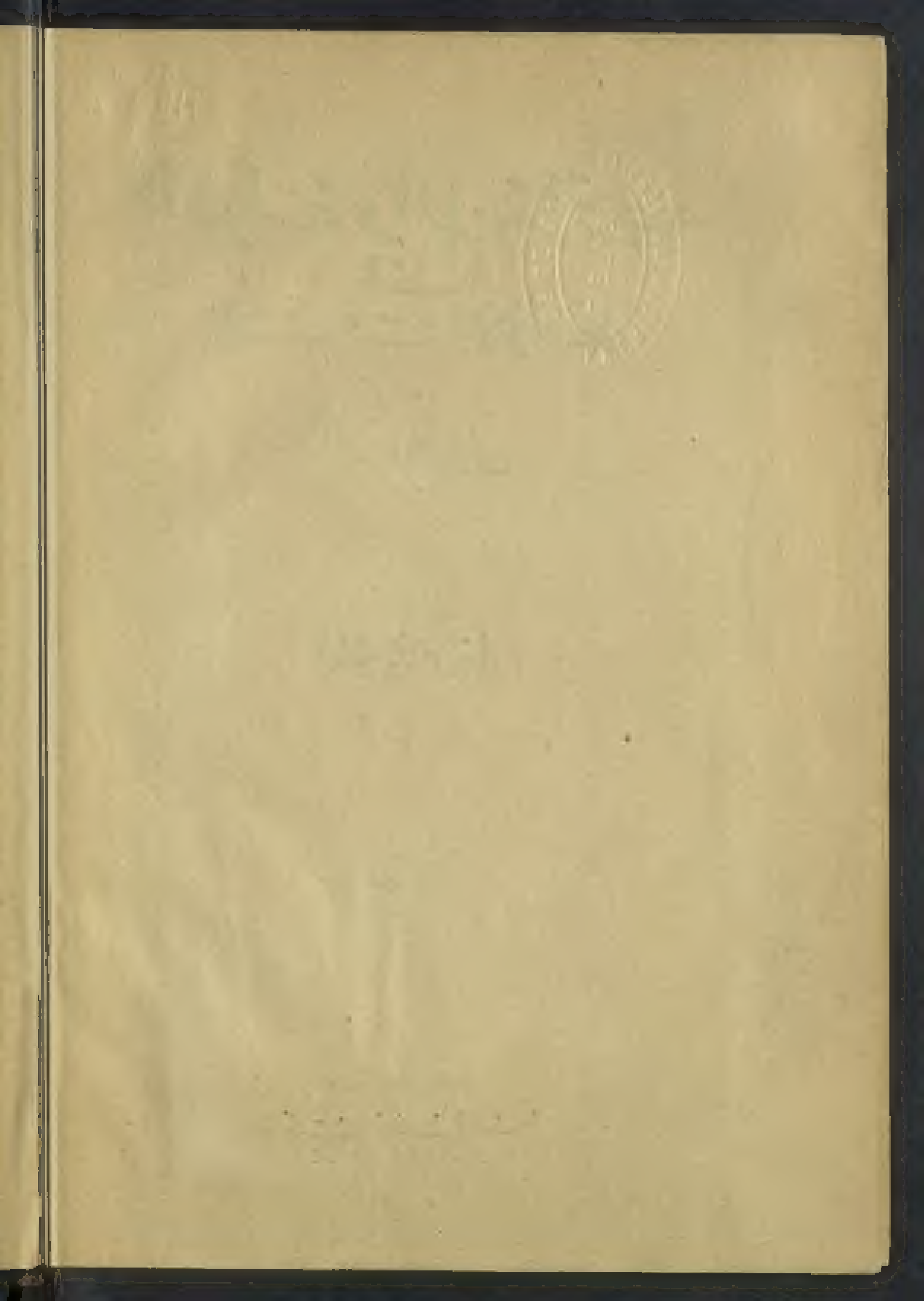
الطبعة الأولى

١٩٥٣

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا - القاهرة



الإهـــداء

إلى روح أمى فى السماء

بعض ما لها من فضل

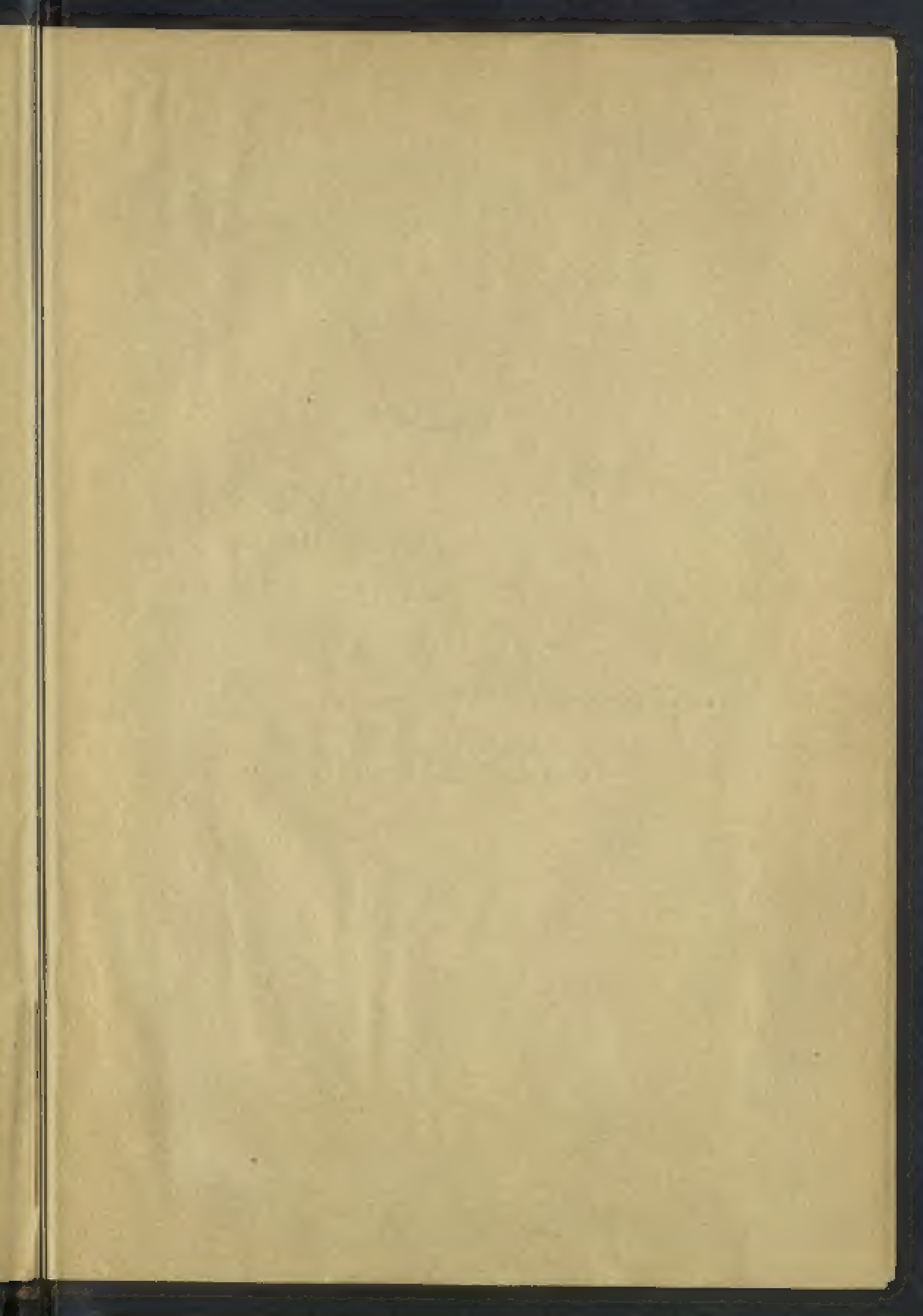
فى توجيهى ورعاية خطاى

وإقبالى على العلم والبحث والمعرفة

فى سبيل الحقيقة الخالدة المجردة عن الهوى .

انتقلت إلى رحمة الله فى منتصف الساعة الواحدة
من صباح يوم الأحد الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٩

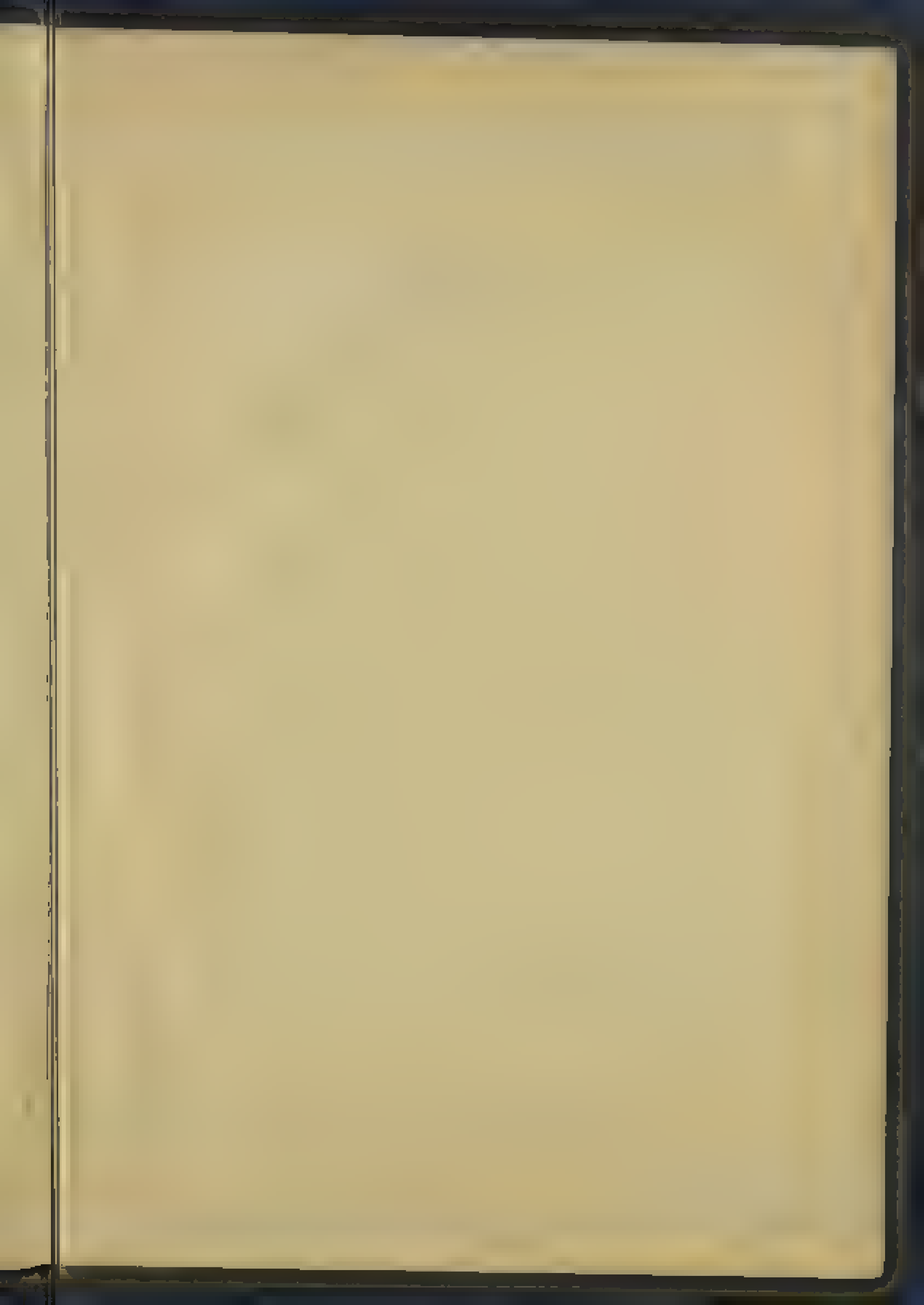
المؤلف



محتويات الكتاب

صفحة

صفحة



تقديم

بقلم

الدكتور محمد حسين هيكل

سرني أن أقدم لكتاب الأستاذ حسين فوزي النجار «السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط»، لأنه الكتاب الأول من نوعه في هذا الموضوع في المكتبة العربية على ما أعلم، ولأن للأستاذ حسين فوزي النجار من الصلة بي منذ نشأته المدرسية والجامعية ما يجعلني أغتبط بجهوده الموفقة في الحياة بوجه عام، وفي التأليف بوجه خاص.

ويزيدني سرورا بتقديم هذا الكتاب أنه ملأ فراغا في أدبنا السياسي والتاريخي كنا في مسيس الحاجة لأن يملأ. فالمطلع على هذا الكتاب يشعر بالحقيقة التي تغيب عن كثيرين، وهي أن العالم وحدة متصلة على الزمان، وأن الأمم والشعوب تتفاعل في حياتها على الأجيال تفاعلا هو الذي يمثل تاريخ العالم، وأنه ما من أمة استطاعت أن تعيش في عزلة تامة عن غيرها من الأمم، وأن تطور الحياة السياسية على مر القرون بصور مختلفة تأثر بأطوار العالم الاقتصادية أكثر مما تأثر بغيره من الأطوار، وأن هذا الأثر هو الذي صور سياسة الدول الخارجية، وهو الذي أدى إلى الحروب حينا، وإلى التدخل غير المسلح أو التدخل السلمي كما يسمونه حينا آخر، وإلى مناطق النفوذ حينا ثالثا، وإلى الاتفاقات الثنائية أو الجماعية حينا رابعا، وإلى غير ذلك من ألوان العلاقات الدولية، سلمية أو عدوانية، مما تعاقب على التاريخ منذ نشأة التاريخ إلى يومنا هذا.

وقد كان الشرق الأوسط منذ فجر التاريخ محط أنظار العالم، ولا يزال
محط أنظاره في وقتنا الحاضر. ففي هذا الشرق الأوسط نشأت الحضارات
الأولى، مثل الحضارة المصرية والحضارة الأشورية والحضارة الإغريقية.
كما تأثرت هذه الحضارات بحضارة فارس والهند. ثم انتقلت من بعد ذلك
إلى أوربا فصاغت حضارتها الغربية الحالية. وفي هذا الشرق الأوسط نشأت
الأديان التي [illegible] عقائد ومصادر [illegible] فالموسوية والمسيحية
والإسلام نشأت كلها حول حوض البحر الأبيض والأحمر وانتشرت
[illegible] وحول
هذا الشرق الأوسط قامت المنازعات [illegible] وتوجيه
[illegible]
[illegible] نحو [illegible].

[illegible] في هذه الناحية التي [illegible]
[illegible] القديمة
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاقتصادية
والاجتماعية [illegible] وموقع الشرق الأوسط في مركز [illegible]
الثلاث [illegible] من الناحية الاستراتيجية،
[illegible] من ناحية
[illegible] وبحرية وجوية.

والواقع أن ما حدث من مد وجزر في حقب التاريخ المختلفة قد طغى
على هذه المنطقة أو انحسر عنها إن لم يكن قد صدر بالفعل عن الدول القائمة
حول بحاره وشطآنه. أما ولهذه الأهمية في الماضي، فلن يستطيع أحد

فهم التاريخ على حقيقته عند معرفته من أمر هذا الشرق الأوسط ودقائق حياته ما يجعل أمامه صحف هذا التاريخ وضوح يستطيع معه أن يدرك مرمى السياسة الدولية حوله.

وأهمية الشرق الأوسط في العصور الأخيرة ليست دون أهميته في العصور المتقدمة التي مرت عليها. فقد كان الشرق الأوسط في الأيام حوالى [illegible] بين الشرق والغرب. وكان المتسلط على هذا الشرق الأوسط من أبنائه أو من الأجانب عنه هو المتحكم في حد كبير في هذه التجارة. وقد ازدادت أهمية الشرق الأوسط من هذه الناحية منذ القرن السابع عشر، ثم اضطربت هذه الأهمية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى بدأت أوروبا سياستها الاستعمارية [illegible] شقت قناة السويس، [illegible] بين الشرق والغرب على نحو [illegible] مما كان من قبل [illegible] عهد الفراعنة وفي عهد الفتح الإسلامي الأول لمصر [illegible] عهد [illegible] وبدأت [illegible] تصبح عالمية غير مقصورة على منطقة هذا الشرق الأوسط. إذا ما [illegible] البترول [illegible] إليه النظر أكثر من ذي قبل، وإذ بعض البلاد التي كانت تعد صحراء جرداء كبلاد العرب، أو تعتبر قليلة الأهمية كاليمن أو العراق أو فارس، تقفز إلى الصف الأول في نظر الاقتصاد العالمي، وإذ [illegible] القديم والحديث أوروبا وأمريكا تتسابق [illegible] كل منهما أن يكون له الكلمة الأولى والنفوذ الظاهر في هذه البلاد. لهذا بقي اسم الشرق الأوسط يتكرر على لسان الساسة في دول العالم الكبرى كما كان يتكرر من قبل، وأكثر مما كان يتكرر من قبل.

وقد لعب الشرق الأوسط أدوارا خطيرة في حياة العالم، سواء بنفسه أو بالدول التي غزته واستقرت فيه. وكان من حظه أن نشأت فيه الإمبراطورية الإسلامية وأن امتدت منه إلى بلاد المغرب حتى مراكش وإلى الشرق حتى

الهند والصين ، وأن أصبحت هذه الكتلة مختبئة في بعض أدوار التاريخ ،
وأن أصبحت فيها تركيا تصبح دولة الخلافة الإسلامية عدة قرون حوما ،
وإن أدى هذا الانضمام إلى تطور المسألة الشرقية في القرن التاسع عشر
فلما سقطت تركيا وأصبحت الرجل المريض ، لم تستطع أن تقاوم الغزو
الغربي في أوائل هذا القرن العشرين كما قاومه صلاح الدين الأيوبي في عهد
الحروب الصليبية . وبذلك انتهت حلقة من حلقات تاريخ العالم وبدأت
حلقة أخرى تطورت ولا تزال تتطور أثر الحربين العالميتين الأولى والثانية.
ومن العسير التكهن بما يتمخض عنه هذا التطور .

وهذا الجزء الأول من كتاب السياسة والاستراتيجية في الشرق
الأوسط، يقف من أحداث التاريخ عند نهاية الحرب العالمية الأولى في سنة
١٩١٨ وما تلا هذه الحرب إلى ما قارب الحرب العالمية الثانية . أما الجزء الثاني
الذي أعد المؤلف مواده تحت الطبع وسيظهر عن قريب . فيتابع أحداث
العالم في هذه المنطقة الخطيرة من مناطقه حتى وقت ظهوره . وحسبك أن تطلع
على هذا الجزء الأول لترى غزارة مادته ، وسعة الرقعة التي تتناولها من العالم ،
وتفاعل الأحداث في هذه الرقعة تفاعلا قويا ذا أثر عميق في توجيه حضارة
العالم وسياسته واقتصاده . ولترى العوامل الظاهرة والخفية التي لعبت
أدوارا أساسية أو أدوارا ثانوية في تطوره ، ولتدرك صدق قولهم أن
لا جديد تحت الشمس ، وأن الحوادث تتكرر مختلفة الصور والألوان متفقة
الدوافع في جوهرها ومعناها ، وأن المشتغل بشئون العامة لا غنى له عن تتبع
هذه الأحداث والحوادث إذا أراد أن يصور المستقبل تصويراً صحيحاً
على هدى الماضي وما كان فيه .

ولقد كان طبيعيا أن يعنى المؤلف عناية خاصة بالمسألة المصرية منذ الحملة
الفرنسية وولاية محمد على أمر مصر . فمصر وطنه ووطننا جميعا . ولمصر من

لمكانة فى الشرق الأوسط منذ أقدم عصور التاريخ ما يطبع تاريخ هذه المنطقة من العالم بطابع خاص . ففى مصر صدرت الحضارة العالمية الأولى . وفى مصر ظهر موسى وانتقل منها إلى فلسطين . وعلى ضفاف النيل بدأ نشاط المسيحية . فلما كان الاسلام كان لمصر أثرها فى تطور الامبراطورية الاسلامية . وعلى الرغم من دخول مصر فى الامبراطورية الاسلامية فقد بقيت ولها فى هذه الامبراطورية طابع خاص جعل لها من الاستقلال عن عاصمة الخلافة ما لم يتسن لغيرها من البلاد الاسلامية الاخرى . وجهاد مصر فى سبيل الحرية منذ الحملة الفرنسية ، وحماية مصر للأحرار من العرب طيلة القرن التاسع عشر وفى مستهل هذا القرن العشرين قد كان لهما الاثر الأول فى نهضة شعوب الشرق الاوسط فى هذه الحقبة الاخيرة من حقب التاريخ . لا غرو وذلك شأنها ، وهى وطن المؤلف ووطنا جميعاً ، أن تنال من عنايته القسط الوفير .

وقد يلفت النظر أن تكون مصر بين الشعوب الافريقية هى وحدها التى تدخل فى نطاق الشرق الاوسط من بين دول أفريقيا جميعا . فما سواها من دول هذا الشرق الاوسط قد كانت على حقب التاريخ أسيوية كلها . وذلك ما دعا بعضهم إلى القول بأن الثقافة المصرية منذ أقدم عهود التاريخ ثقافة أسيوية تمت لاشور وفارس والهند بصلات عدة . ولعله كذلك هو الذى دعا اليوم لتكون مصر بين دول الجامعة العربية هى وحدها الدولة الافريقية . وأنت تشعر من خلال هذا الكتاب أن مصير مصر ارتبط بمصائر الشام والعراق أكثر مما ارتبط بمصائر السودان وليبيا ، وأن السياسة المصرية تتطلع إلى تلك البلاد أكثر من تطلعها إلى الجنوب أو إلى الغرب ، ترى أيظل ذلك وضعها فى المستقبل ، أم ترى تمتد رقعة الشرق الاوسط جنوبا وغربا لتتخطى الصحارى الفاصلة بين مصر والسودان ، وبين مصر وليبيا كما تخطت الصحراء الفاصلة بين مصر وفلسطين ، وبين مصر وبلاد العرب ؟

وإذا كان المؤلف قد أشار إلى هذا الموضوع في الجزء الأول من كتابه ، فحسبه سيتناوله بالتفصيل في الجزء الثاني منه .

أما وصف شأن الكتاب السياسية والأسرار المحجبة في الشرق الأوسط ، فلا مبالغة في القول بأن المكتبة العربية كانت في أشد الحاجة إلى مثله . وإني لا أحسبني أغلو إذا قلت إن كل مشتغل بالشؤون العامة وبالأمور السياسية لا يستطيع أن يسير في طريقه على هدى إذا هو لم يتعمق في تاريخ العالم وتاريخ المنطقة التي يعمل من نشاطه فيها بنوع خاص . ومصر والبلاد العربية جميعا وبلاد الشرق الأوسط كلها كثيرة المطالب من ساستها لا تنال أكثر الصبر . فلعل هذا الكتاب وما يأتيه من مثله يحبب هؤلاء الساسة ذلك لا غير ، ويدعوهم للتمكن بالتعمق كيما يكفلوا لبلادهم ولأبنائها الحرية والرخاء والطمأنينة .

وإني إذ أختم هذه الكلمة في تقديم الكتاب ، أحيي فيه صديقي وأحيي جهوده الخصبة ، متمنيا أن يستفيد منه من يقرؤه والمنفعة ما يريده ويفيده

محمد حسين هيكل

المقدمة

كان من [illegible] الحرب [illegible] الثانية [illegible] الشرق الأوسط [illegible] مكان [illegible] من [illegible] [illegible] على [illegible] الحديث [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] الأوربى فى الشرق الأقصى ، والتى أخذ [illegible] الشرق الأوسط إلى نشاطها القديم الذى شهدته العصور [illegible] [illegible] [illegible] وسائل المواصلات [illegible] فى [illegible] عالم الصناعة وفى عالم الحرب . وإنما كان [illegible] [illegible] [illegible] هذا العامل الجديد هو طغيان [illegible] [illegible] . وكان من آثاره انقسام العالم إلى كتلتين [illegible] [illegible] روسيا ، والكتلة [illegible] [illegible] الولايات المتحدة الأمريكية .

[illegible] الشرق الأوسط [illegible] [illegible] ومن بحر الأدرياتيك فى الغرب إلى جبال الهملايا فى الشرق [illegible] [illegible]

[illegible]

محوطة من أجزائه ، وفوق ذلك ، تكون وحدة ثقافية منذ عصور [illegible]
[illegible] في القدم [illegible]
[illegible] وقوى شعوبها [illegible]
في وحدة [illegible] منذ أزمان طويلة ، فقد امتدت الإمبراطورية المصرية القديمة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الذي قامت فيه الإمبراطورية [illegible] على [illegible] الشام غربا
إلى حدود الهند [illegible]

[illegible] هذه المنطقة
[illegible] رسومها وتقاليدها [illegible] من الشعوب التي تحكمها ،
مما حمل الأصول القديمة لحضارة [illegible] لا خلاف

[illegible] في
[illegible] والجنس ، فضلا عن الوحدة السياسية
التي جمعت بين بلاده [illegible] . هذا العامل الجديد هو ظهور الإسلام وانتشاره
بين هذه الشعوب ، والفتوح الإسلامية [illegible] التي طوت في امتدادها ملك كسرى
وقيصر [illegible] حكومة إسلامية [illegible]
[illegible]
ونهج السنة .

وقد صحب انتشار الإسلام بين هذه الشعوب حركة [illegible] قوية ، كانت في
بعض الأحيان تسبق انتشار الدين [illegible] ، فقد صحب الفتح العربي وامتداده الحربي
[illegible]
[illegible]

الشعوب [illegible] أكثر من كان وضوحه في انتشار اللغة العربية وحلولها محل اللغات المحلية وقضائها عليها في أكثر البلاد المفتوحة.

وكانت وحدة الدين [illegible] الإسلام شعوب هذه [illegible] لا تقوم على الدين فحسب بل تقوم على انتشار اللغة العربية و[illegible] العرب [illegible] بين شعوب هذه البلاد، وظهور ما عرف [illegible] العروبة، [illegible] هذه [illegible] في كثير من الأحيان على [illegible] من القومية المحلية في الشعوب [illegible] العرب [illegible] هذه الشعوب [illegible] واضحة [illegible] بعض هؤلاء [illegible] على [illegible] في [illegible] لأن وحدة اللغة [illegible] إلى [illegible] هذه الشعوب [illegible] في [illegible] الشعوب العربية [illegible] وتشابه الدين واللغة والثقافة، [illegible] الأهداف و[illegible] [illegible] البلاد [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] تعبر الأخرى أن تنضم إلى الجامعة العربية [illegible] في [illegible] ولا [illegible] دون [illegible] من [illegible]

[illegible] العربية التي تتمثل في مجموعة الشعوب العربية التي تضمها هذه [illegible] من [illegible] في هذا [illegible] الجغرافي من الأرض، بل هناك الرابطة الإسلامية العامة [illegible] في هذه [illegible] لتماسكه شعوباً أخرى تجاوره [illegible] ما استعربت هذه البلاد، ولكن ربطت بينهم وحدة الدين ووحدة الأحداث [illegible] على بلاد [illegible] كالشعب التركي الذي [illegible] [illegible] في [illegible] القرن السادس عشر [illegible] [illegible] العربي [illegible]

وتمثل فى هذه الشعوب جميعاً الوحدة الإسلامية الكبرى ، هذه الوحدة [illegible] الإسلامى [illegible] أقصى فى الدعوة [illegible] الإسلامية فى [illegible] وكان [illegible] البلاد الإسلامية [illegible] أوربى فى بلاد الإسلامية ، [illegible] كان [illegible] إلى بلاد [illegible] وأخذ [illegible] الغيب فى فارس ، وفى بلاد الدولة العثمانية .

هذه الوحدة الإسلامية الكبرى عامها من شعوب [illegible] الأرض [illegible] البلقان ونهاية إمتداد أفريقيا الشمالية فى الغرب لا يفصل بين دولها [illegible] الشرقية التى أتسم بها الشرق منذ قديم الزمن

وقد أحدثت هذه الوحدة الإسلامية [illegible] الأولى [illegible] الغرب الأحمر [illegible] والإقليمية أو الجنسية سواء منها ما كان الإتجاه [illegible] الوحدة [illegible] الوحدة الإسلامية [illegible] الإسلامى [illegible] الأسلوب [illegible]

أما موقف هذه المجموعة أو الوحدة الإسلامية بين المعسكرين المتصارعين فهو [illegible] في الوقت الحاضر، فهذه المجموعة [illegible] [illegible] [illegible] أخرى في [illegible] [illegible] ولا تفسح [illegible] للفكرة الشيوعية بسهولة تمهد لها الانتشار والشيوع ..

[illegible] تلك الروابط القوية التي أشرنا إليها

[illegible] الحرب [illegible] هو [illegible] ميزان القوى [illegible] حتى نهاية الحرب العالمية الثانية [illegible] عسكرية [illegible] ميزان القوى في [illegible] الميثاق الثلاثي [illegible] وكان [illegible] الثلاثي [illegible] ألمانيا وإمبراطورية النمسا والمجر وإيطاليا وكان هذا التكتل [illegible] في أوربا [illegible] أوربا

وثمة مكان آخر في أوروبا كان خطراً على سلامة [illegible] وهو [illegible]
الذي سيطر على اتجاهات إنجلترا السياسية في القارة الأوروبية سواء في غرب القارة
أو في شرقها، في البلقان. فقد كان ميداناً للمناورات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقد جاء حل للمسألة الشرقية [illegible] بعد الحرب العالمية الأولى [illegible]
خلافات دولية وخاصة بعد أن [illegible]
[illegible]
العالم الخارجية.

وانتهت الحرب العالمية الأولى بتنظيم [illegible]
[illegible] الولايات
المتحدة الأمريكية بعزلتها التقليدية.

ولكن [illegible]
[illegible] للحرب [illegible]
[illegible] على سلامة [illegible]
القوى من جديد وكان الخطر أشد ما يكون [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] للشعوب [illegible]
[illegible]
[illegible]
على [illegible] الأمم [illegible].

[illegible] منطقة الشرق الأوسط [illegible]
[illegible] الشعوب الشرقية ولا سيما الشعوب الإسلامية منها هي الميدان الذي تحقق
سلامة [illegible]

ميزان القوى الدولية قد [illegible] على الشرق الأوسط ، فقد كان [illegible] بين غرب أوروبا [illegible] في الفترة التي سبقت الحربين الأخيرتين .

وقد استطاعت [illegible] أن [illegible] هذا [illegible] بحيث تتحكم في ميزان القوى الدولية على كثرة [illegible] رغم [illegible] الكتلة الغربية من [illegible] غرب أوروبا القوى [illegible] الشرق الأوسط ، فإن هذه الغاية من مهام الأصل إلى إيمان الكتلة الغربية بضرورة سلامة [illegible] العرب [illegible] الكبرى [illegible] في بلاد الشرق الأوسط ، فإن في سلامته سلامة [illegible] ثم إن تغلغل المبادئ الشيوعية وانتشارها بين دول غرب أوروبا ووجود [illegible] قوية داخلية لها بين شعوبها ، وانتشار هذه [illegible] في [illegible] [illegible] جهود [illegible] في [illegible] البلاد ، [illegible] في هذه [illegible] التي تقدم [illegible] [illegible] ولتقدم [illegible] التي جعلت الحرب بين شعوبها ، والتي جعلت منها بيئة صالحة لتقبل [illegible] بأصالة من أي منطقة أخرى في العالم .

[illegible] الشرق الأوسط هو أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أخذت على عاتقها عون دول غرب أوروبا [illegible] على [illegible] من [illegible] شعوبها [illegible] الشرق الأوسط [illegible] لسياستها التقليدية حيال شعوبه [illegible] دونه ، [illegible] عن [illegible] [illegible] الأحداث [illegible] لتحقيق [illegible] ومن هذه شعوب معلقة لا تحل كقضية مصر والعراق .

وقد [illegible] البريطانية [illegible] كل [illegible] الشرق الأوسط [illegible] [illegible] في هذه [illegible] ، ومن العجيب أن [illegible] السياسة [illegible] [illegible] ، وهي التي [illegible] في مواجهة [illegible] كلها [illegible]

الشعوب التي [illegible] ، وتقدر ما [illegible] هذه الشعوب من [illegible] متجددة
[illegible] ، على ضوء [illegible] من تطور السياسة العالمية ، واتجاهاتها البعيدة أو القريبة .

وقد كان [illegible] في [illegible] في الشرق الأوسط قد حقق نوعاً
من [illegible] وحقق [illegible] شعوبه [illegible] من شتى [illegible] وفي
[illegible] هذه الشعوب حتى [illegible] ١٩٤٥ ورفع مستواها العام

[illegible] من [illegible]
[illegible] أوروبا وأمريكا في
[illegible] الشرق الأوسط [illegible]
[illegible] في جميع الشعوب العربية [illegible] في [illegible]
[illegible]

ولكن [illegible] الشرق الأوسط
[illegible] في هذه
[illegible] الحاضر [illegible]
[illegible] الأمم [illegible]
من ميثاق الأمم المتحدة [illegible]

ولعل بريطانيا تحس بناعة هذه المنطقة [illegible]
[illegible] في الشرق الأوسط [illegible]
[illegible]
[illegible] في الأوسط [illegible] من [illegible]
[illegible]

ولعلها تحس أهمية [illegible] في الشرق الأوسط [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الشرق الأوسط [illegible] والاستعمار [illegible] [illegible] بالعطف في كل ما يمس سياستها فيه .

[illegible] [illegible] [illegible] وسائل [illegible] سوية للوصول إلى أهدافها . مما لا يتفق وروح الحرية و[illegible] وحقوق السيادة للشعوب . تلك العوامل التي بدأت تسود في القرن العشرين .

ولكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشعوب [illegible] [illegible] على الشعوب الصغيرة إلا أن [illegible] لا [illegible] [illegible] دون قيام تعاون وثيق هو خير ضابط لسلام الشعوب و[illegible]

ولا [illegible] [illegible] [illegible] في بلاد الشرق الأوسط من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] البلاد من [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] ولا [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في بلادها [illegible] [illegible] [illegible] الأمريكيين [illegible] [illegible] [illegible] المؤيد للاحتلال البريطاني لوادي النيل .

وقد [illegible] أمريكا [illegible] هذه العوامل [illegible] [illegible] في بلاد الإسلام [illegible] [illegible] إسرائيل وتبنت دعوة الصهيونية و[illegible] [illegible] في عقد الصلح [illegible] [illegible] العرب رغم أن هذه العوامل [illegible] هي أعمق وأقوى [illegible] [illegible] [illegible] سواء في بلاد الإسلام أو في خارج بلاد الإسلام .

و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية من [illegible] [illegible] إسرائيل كتركيا و[illegible] ولا [illegible] [illegible] عوامل أقوى من هذه [illegible] [illegible] [illegible] إلى هذا الموقف كحرصها على معونة أمريكا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاقتصادي والمعونة الحربية

وحدتها من بعض الشعوب وسيادتها ولا يمكن أن [illegible] روح [illegible] في [illegible]
[illegible] تشجيع [illegible] إيران [illegible] ثورة [illegible] على [illegible]
في الحرب العالمية الأولى من [illegible] في [illegible] من الحرب [illegible] تركيا ومن
[illegible] هذه [illegible] الأجنبية في [illegible]
[illegible] شعوبها وحريتها [illegible] من [illegible]

وإذا كانت إيران وموقفها كموقف تركيا من حيث تعرض للخطر [illegible]
وحاجتها إلى [illegible] الأمريكية [illegible] في [illegible]
[illegible] الإسلام تطالب في [illegible]
إيران [illegible]

و [illegible] في [illegible]
الشرق الأوسط [illegible] على مصالح [illegible] على [illegible]
التقليدي الذي يربطها بدولة مما يتعارض وحقوق السيادة التي تطالب بها هذه الدول
والخلاص من آخر ما يربطها بحقبة الاستعمار من [illegible] أنواعا من
الأ[illegible] و[illegible] المكبوت من آثار الماضي . هذا التعصب الذي [illegible]
[illegible] الحرب [illegible]
[illegible] الشرق الأوسط [illegible] على [illegible]
قبل أن تصل إلى استقرار [illegible] العلاقات بينها وبين هذه الدول على الأساس الذي [illegible]
[illegible] هذه الدول [illegible]
حربيا قبل أن [illegible] هذه [illegible] عسكرية [illegible] ولا [illegible] هذه
الدول [illegible] عاملا من عوامل إصرارها وقوة عارضتها حيالها ، ولا يدفعها
إلى التكتل العنيف ضدها وضد مصالحها .

وإذا كانت [illegible] على [illegible] على هذه الدول [illegible]
[illegible] الحرب من التكتلين [illegible] ضرورات الحرب [illegible]
[illegible] في هذه البلاد من روح جديدة بعد أن [illegible]
[illegible] وتتخلص من [illegible] أسباب وحدتها وتكتلها ،

هذا الشكل الذي [illegible] وحدة [illegible] قوى من الأخوة ولم [illegible] من خلال [illegible] الأخوة [illegible] فإن هذه الأخوة هي [illegible] في [illegible] وقد [illegible] أو [illegible] قبل أن تبين عن قوتها وأثرها في توجيه [illegible] والسلام العالمي ، وأن تحدث [illegible] في [illegible] سواء [illegible] أو حيال الأحداث الدولية العامة .

وحرصت هذه [illegible] الإسلامية في [illegible] شعوب [illegible] الأخرى في [illegible] الإسلام كالهند [illegible] الأخوة [illegible] الإسلام والحكام في [illegible] في [illegible] مجتمع [illegible] وإن كان لها من [illegible] في [illegible] شعوبها .

وإنه [illegible] من [illegible] في [illegible] في توجيه سياستها في البلاد التي يتمثل فيها [illegible] وإن كان [illegible] من [illegible] من [illegible] في [illegible] في مدى [illegible] في [illegible] فلا يستطيع أن [illegible] التي [illegible] من [illegible] هو [illegible] من [illegible] المستوى الاقتصادي للشعوب والحرص على دعم الاستقرار [illegible] في البلاد وإن كانت [illegible] من [illegible] من فقر [illegible] الشيوعية و[illegible] .

وهذا هو [illegible] أن [illegible] في مواجهة الشيوعية [illegible] ولن تحول [illegible] شعوبه [illegible] في [illegible]

يتطرق إليه [illegible] في مثل [illegible]
على الأخرى أو لمذهب على الآخر

وهذه [illegible] الشرق الأوسط [illegible] إلى [illegible] التاريخية كموطن [illegible] للهجرات [illegible] وطرق [illegible] أو [illegible] هائل [illegible] خصبة في [illegible] من شعوب [illegible] ومصر [illegible] الثقافة [illegible] في كثير من شعوبه [illegible] والأهداف [illegible] قوى [illegible] بشرية تحتل مكاناً هاماً في العالم .

وهذه الأهمية التي يراها الشرق الأوسط [illegible] ومجموعة [illegible] هي [illegible] في [illegible] تيارات السياسة الدولية وتتجاذب بين [illegible] في السيطرة على العالم [illegible] ولا [illegible] هذه [illegible] الأكبر [illegible] في [illegible] وكانت مصر للإسلام في [illegible] على [illegible] في [illegible] في [illegible] وكانت [illegible] على مصر [illegible] الخطوة الأولى [illegible] الأمبراطور [illegible] بالدولة [illegible] وكان مشروع [illegible] كانت [illegible] الأولى كانت [illegible] على [illegible] على [illegible] الذي [illegible] على [illegible] إلى أمبراطوريتها الواسعة وتسعى روسيا جاهدة في الوقت الحاضر [illegible] القنطرة لتبسط سيادتها على العالم .

[illegible] سياسة [illegible] الأوسط [illegible] لا [illegible] الدولي [illegible] حكوماته وشعوبه [illegible]

تدعيم [illegible] بالمعاهدات ولكنها لم تستطع تحقيق أهدافها وأطماعها فيه
وغالباً ما يكون مركز الدولة ونفوذها عاملاً هاماً في توجيه هذه المعاهدات وتوثيق
إلى الوجهة التي تضمن لها مصالحها وحقوقها كالمعاهدات التي ربطت بين بريطانيا
والعراق وبينها وبين مصر ثم بينها وبين شرق الأردن في فترة ما بين الحربين وما
محاولة بريطانيا من تجديد هذه [illegible] المعاهدات [illegible] بعد الحرب العالمية
الثانية . وإذا كانت هذه المعاهدات تهدف إلى تحقيق [illegible] حيوية للدولة [illegible]
إلا أنها لا تهمل [illegible] الشعوب ومصالحها [illegible] الحكومات [illegible]
والخارجية بين شعوبها ويمكن تعيد هذه المعاهدات [illegible]
ثم تغلب عليها روح المقاومة الشعبية .

[illegible] الدولة [illegible] ولا [illegible] أو [illegible] تحقيق أهدافها
ومطامعها لدى الشعوب [illegible] الشعوب [illegible]
يهدف إلى [illegible] مركزها بين هذه الشعوب في أوقات [illegible]
المقاومة [illegible] الدولة [illegible]

وقد [illegible] وإيطاليا [illegible] هذه السياسة [illegible] بين الحربين [illegible] كانت
[illegible] في [illegible]
هذه [illegible] في [illegible] وقد [illegible] هذه
السياسة إلى حد ما في الشرق الأوسط وخاصة فيما يتعلق بألمانيا فإن سياسة إيطاليا في
[illegible] من [illegible] الإسلامي [illegible] كما [illegible] في البحر الأبيض
المتوسط قد أثار حذر تركيا منها فضلاً عن أن إغتصابها [illegible] من مصر [illegible]
أفسد ما بينها وبين المصريين رغماً عن قوة دعايتها بينهم .

وقد كان للدعاية الألمانية في الشرق الأوسط [illegible] في [illegible] أوروبية
من الأثر بين شعوب الشرق الأوسط في فترة ما بين الحربين ما كان لها من الأثر في
[illegible] حتى قيام الحرب الأولى يوم وقف الامبراطور ولهلم الثاني ينادي بانتصاره
للمسلمين [illegible] وقد [illegible] هذه الدعاية في [illegible] الكيلاني في العراق

ومقاومته [illegible] خطابات [illegible] وقت الحرب و [illegible] صداقته الى [illegible] ألمانيا
في الحرب كما [illegible] في [illegible] عطف الشعب [illegible] من المصريين نحو ألمانيا في
أثناء الحرب .

[illegible] في الوقت الحاضر فإنها تبث الدعاية [illegible]
والعلنية بين شعوب الشرق الأوسط لتثير روح المقاومة الشعبية حتى تكون عونا
لجيوشها [illegible] هذه [illegible] القلاقل التي تسهل [illegible] الطابور الخامس الذي [illegible]
[illegible] روسيا في [illegible] مقاومة داخلية

[illegible] في وقت الحرب فإن للدولة [illegible] من القوة ما [illegible] أن تقضي به
على [illegible] الحال ويكون أول أعمالها هو القضاء على العناصر المقاومة لها واعتقال
[illegible] ولا يكون للدولة [illegible] الحرب إلا أن تشجع
[illegible] في [illegible] مقاومة شعبية مسلحة تكون [illegible]
كانت هذه [illegible] في حربين [illegible] فقد كان الألمان يطمعون في ثورة
[illegible] الإسلامي [illegible] كما [illegible]
[illegible] كما كان [illegible] مصر في الحرب الأولى يطمعون في ثورة
[illegible] الألمان
في [illegible] مصر [illegible] وقد تكون هذه الأمل [illegible] في
[illegible] مصر [illegible] وقواعد [illegible] التي كانت [illegible] الخلفاء [illegible]
الحرب [illegible] يمكن [illegible] مصر عن إعلان الحرب [illegible] ولا
تتفق هذا وقواعد القانون الدولي .

[illegible] يكمن في [illegible] لأحداث الجارية في الوقت الحاضر
التي [illegible] على [illegible] كما [illegible] أساليب [illegible] أوروبية في البلاد
التي [illegible] فإن هذه [illegible] لا تقوم على الدعاية فحسب كما حدث [illegible]
[illegible] الحرب الثانية و [illegible] تقوم أيضا على [illegible]
للخلايا الشيوعية التي [illegible] لتكون جيشا [illegible] مسلحا [illegible]
[illegible] في صفوف الجبهة الداخلية وقت الحرب وهي بهذا أشد خطرا مما حدث

مع دول الحلفاء [illegible] الثورة [illegible] مدها بالعتاد [illegible] في وقت الحرب [illegible] وقت السلم ، وإذا كانت دول الحلفاء قد استطاعت أن [illegible] على [illegible] العشائر وتحد من نشاطهم وأن [illegible] للحلفاء [illegible] لا [illegible] في وقت [illegible]

وإذا كانت هذه الأهمية التي نراها [illegible] لأوروبا [illegible] الجسيمة ومجموعة شعوبه هي [illegible] وقت الحرب إذ [illegible] شعوبه [illegible] موقف معين كما [illegible] الحرب [illegible] خلال الحرب العالمية الأولى فقد امتدت هذه [illegible] لأقصى البلاد العربية التي تمتد من سواحل المحيط الهندي جنوب شبه الجزيرة العربية إلى أقصى الشمال من البلاد السورية على حدود الوطن التركي وكانت لهذه الثورة من الأثر في ترجيح [illegible] في ميدان [illegible] والأعداء على [illegible] هذه الثورة [illegible] العرب والإسلام [illegible] شعوبا كانت تدعو [illegible] إلى القيام بها وهي الشعوب التي بقيت تحت الحكم التركي تعاني أوضاره ومساوئه مما دفعها إلى الثورة ضده لصالحها وخيرها ولصالح [illegible] الأخرى [illegible] في نطاق الاستعمار الأوروبي وكان هواها ما زال [illegible] في الوقت الذي كان [illegible] الاستعمار [illegible] على [illegible] كان [illegible] على [illegible] العرب في خروجهم على الخلافة وفيما ظنوه خطوة للأخوة الإسلامية .

وإذا اجتمعت هذه الشعوب على هدف واحد [illegible] كان موقف [illegible] الحرب [illegible] في [illegible] كفة النصر .

وهذا [illegible] سياسة الدول [illegible] بين تلك الشعوب [illegible] من الحرب [illegible] هذه [illegible] في [illegible] الحرب العالمية الأخيرة ، فأصبحت موطن الحدث في [illegible] كأثر لاعتراف

مركز الثقل الدولي [illegible] وأصبحت الدول [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ترى في عزلتها التقليدية ضماناً لسلامتها خرجت على مبدأ [illegible]
[illegible]
[illegible] ، وعلى رأس هذه الشعوب بريطانيا ودول الكتلة [illegible] .

وأصبح الشرق الأوسط ميدان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والإقليمي

[illegible]
[illegible] كما أن في مجال السياسة العالمية ، وقد أبانت
[illegible] من قيمة هذا التكتل الإقليمي أو الجنسي أو الديني ، فإن
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الذي تجمع فيه رابطة الثقافة أو الجنس أو كليهما معاً .

[illegible]
[illegible]
[illegible]
الأرض والمستعمرات .

وسكان الشرق الأوسط [illegible]

[illegible] الذى يضمن لها التفوق فى الإنتاج وجودة الصناعة

[illegible]

[illegible]

[illegible] الإنتاج اللازمة [illegible] الشرق الأوسط ، وهو أقرب مصادر [illegible] سياستها الاستراتيجية [illegible]

[illegible] الحرب العالمية الأولى ، [illegible]

من ضعف رأس المال لحساب البحرية الإنجليزية . وهذا ما [illegible] الإ[illegible]
[illegible]
[illegible] أمنها الا[illegible] وضعف [illegible] الاقتصادية وكيانها الصناعى .

كل هذه العوامل ، سواء منها ما حدث حديثاً أو [illegible] كان له اعتباره القديم ، قد [illegible] الأوسط [illegible] مناطق العالم أهمية فى الصدام القادم بين المعسكرين
[illegible]
[illegible]
[illegible] الشيوعية وأشدها تعرضاً لأهوال الحرب القادمة ، بل لعل
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فى وقف الحرب ، فإن الأمم المتحدة لم تجد
[illegible]
عامل هو الوحيد فى وقف القتال ، إلا أنه كان أحدها .

[illegible]
المادية التى طغت على حضارة الغرب [illegible] مارة بين المادية الج[illegible]
[illegible] بها أتباع ماركس ، والمادية الجامحة التى [illegible] بها عبدة المال من الرأسماليين
[illegible] الروحية التى صبغت حضارة الشرق منذ أقدم عصور
[illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] فيه حق للسائل والمحروم ، وفيه حق للعامل
[illegible] قد انحرفت فى بعض تطوراتها وانقلاباتها [illegible]
[illegible] الإسلام
[illegible]

وفي انطواء [illegible] حقوق [illegible] في الوطن [illegible] لا أحد في [illegible] الشرق [illegible] فقد كان [illegible] في [illegible] من الحقوق [illegible] يمكن للفرد في [illegible] الفرد في الغرب للظفر [illegible] الإنساني [illegible] من طرق [illegible] والجامعة. في الوطن الذي [illegible] الشرق [illegible] يمثل ما ضيع حقوق الفرد حيال حشم الحاكمين، وجهل رجال الدين

ولكن إذا كانت [illegible] في روح الشرق [illegible] له من أعرافه ومأثوراته وتاريخه ما يقود خطاه إلى الحقيقة والخير، وصوب الغرب في خطه نحو الكمال المطلق في جو [illegible] والمادة [illegible].

[illegible] في [illegible] في [illegible] إلا في [illegible] الروح [illegible] النفس في [illegible] الروح وفي نطاق الوجود الإنساني.

[illegible] الإنسانية [illegible] من [illegible] الروح [illegible] وجوده [illegible] الإنسان [illegible] في [illegible] نحو حقائق الوجود التي ينشدها لخيره وكماله.

[illegible] الإنسان خلال وجوده [illegible] على الأرض [illegible] في [illegible] ولا [illegible] في [illegible] لتفاعل بين [illegible] في أعماق الإنسان خلال وجوده [illegible] على الأرض وبين ما [illegible] إليه حياته وبيئته الحاضرة أو هي تفاعل بين الروح والعقل

وقد [illegible] الشرق [illegible] وجوده [illegible] الإنساني.

[illegible]

ومن هذا التباين بين الأمم الشرقية والأمم الغربية كان تطور [illegible] في [illegible] [illegible] الحقائق [illegible]

[illegible] إلى ذلك في [illegible] وانتهى بها إلى ما أصاب حكامها وشعوبها من إباحية وتحلل وخشوع [illegible] العرب [illegible] الحروب والدمار.

أما سقوط الشرق وانهيار حضارته فمرده إلى الجمود والركود الذي يصيب هذه [illegible] العقل أو قوى الروح وقوى العقل.

[illegible] الجمود الذي [illegible] وجود الإنسان في [illegible] فقد [illegible] ومقومات وجودها حتى

[illegible] وإن كانت غايته أن الأمة قد [illegible] من نخبة الحكم [illegible]
[illegible] وعلاقة الفرد بالمجتمع وعلاقته بحكومته وأولي الأمر بالتوجيه والإرشاد.

وكانت دعوة جمال الدين الأفغاني دينية وسياسية فكانت دعوة نهوض من شكل مظاهر الحياة وأوجه نشاطها الديني والسياسي والاجتماعي.

فالشرق في نهضته يعود إلى استجلاء نواحي عظمته الروحية وربط الحياة ماضيها وحاضرها ويتخذها أساسا لرقي الحياة ونموها وتقدمها

ثم إن الغرب قد قامت نهضته الحديثة على دعائم قوية تعمل على مظاهر الحضارة [illegible] في ثورة [illegible] وكانت نهضة أوربا الحديثة [illegible] العلوم والفنون والآداب [illegible] الإغريقية والرومانية، وكانت حركة الإصلاح الديني [illegible] لوثر [illegible] عصور [illegible] [illegible] من قيود الكاثوليكية التي سادت أوربا دينيا وسياسيا عدة قرون حتى تحررت الدولة من ربقة الكنيسة.

وقد سبقت حركة الإصلاح الديني في أوربا حركة [illegible] العلوم والآداب والفنون ومظاهر [illegible] الأخرى [illegible] وكانت [illegible] لأعمالها على [illegible] ولكن [illegible] في الشرق في نهضته الحديثة وفي الأمم الإسلامية [illegible] في عناصرها المتوثبة.

وكثيرا ما كانت الثورة على [illegible] مظهرا من مظاهر الثورة [illegible] في [illegible] الأولى [illegible] الثورة [illegible] تمرد على [illegible] وعلى كل ما [illegible] من [illegible] ومظاهر [illegible] الثورة [illegible] على [illegible] والدولة [illegible] وكان [illegible] الدولة [illegible] المجتمع للثورة [illegible] في روسيا وفي غيرها من بلاد العالم.

ولم يشهد تاريخ الأمم [illegible] على [illegible] الأمم [illegible] الأكبر والنظام [illegible] شعوب في بلاد الشرق على أخلاق [illegible] أو إسلام [illegible] وهي من تعاليم [illegible] والحكماء.

[illegible] في [illegible]

[illegible] الأسس [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] والقوى [illegible]

في [illegible]

التي تستلهم النظم الحرة المتحرر من رباط الماضي أو نطاق الدين.

وقد ظلت الحضارة الأوربية [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] التي حلت بالبشرية في

تاريخها الطويل.

[illegible]

[illegible] في ظلال هذا

[illegible]

الانسان من ماضيه في سبيل [illegible] الذى

يعيش فيه [illegible]

والأثرة [illegible]

[illegible] روائها.

[illegible] في [illegible] عن

[illegible] من [illegible] على

[illegible] في [illegible]

وإذا كان الغرب قد أخذ يتهاوى تحت ثقل مدنيته [illegible]

[illegible] في الحضارة [illegible]

[illegible] في [illegible]

العربية وفضائلها ويدعم قواها في هذا المجتمع الجديد.

[illegible]
في تجدده وبقائه والمحافظة على وجوده وكيانه .

[illegible]

ولقد ظلت أمم الشرق الأوسط تعاني ألواناً من النكبات [illegible]
[illegible]
[illegible] والتطرف [illegible]
[illegible]
الموعودة في تطور الزمن .

[illegible] موضوع هذا الكتاب ، وهو موضوع [illegible]
[illegible]
السياسة الخارجية بعيداً عن التعصب والهوى الشخصي .

وقد طرق الغربيون هذا الموضوع وتناولوه من نواح عديدة [illegible]
ولكنهم [illegible] الشرق فظلوا [illegible] من الوصول إلى حقيقة [illegible]
[illegible] للأمور والأحداث [illegible] إلى [illegible] الأسباب [illegible] كما لا [illegible]
[illegible]
[illegible] كتاباتهم بعيدة عن الحقيقة إذا ما تعارضت مع مصالحهم رغم ما يتسمون
به من الدقة العلمية والبحث العميق والوصول بالحقائق إلى أصولها المجردة ولكن
[illegible]
[illegible] للحقائق [illegible] أصولها.

وفي الوقت الذي يصدر فيه الغربيون عن عناية بهذا الموضوع [illegible]
[illegible]
وتنظيم الدراسات الأكاديمية في الجامعات وخارج الجامعات [illegible]
[illegible]
[illegible] لا نرى في [illegible]
وتختلف جوانبه وإن وردت في بعض الدراسات [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لأهمية السياسية والاستراتيجية للشرق الأوسط وتطوره القومي والسياسي وتأثرها به

[illegible]
[illegible]
وما أفدته من دراساتي العسكرية المختلفة :

[illegible]

[illegible] وتكون قد وفت المكتبة العربية ببحث جامع فيما يهم بلادنا الشرقية من أمور هي [illegible] كما هي [illegible] وموضع [illegible] ، وعسى أن تكون قد [illegible] [illegible]

[illegible] .

والسلام على من اتبع الهدى ومن أحق الحق [illegible]

بغداد : أول آذار ١٩٥٢

حسين فوزي النجار

الفصل الأول

الشرق الاوسط

[illegible]
[illegible]

ماذا نعني بمدلول هذه العبارة «الشرق الأوسط» [illegible]
الذي [illegible]
والدول التي تحويها هذه الأقاليم المعروفة بالشرق الأوسط

الشرق الأوسط عبارة حديثة لم تكد تظهر وتنتشر إلا في أثناء الحربين الماضيتين
وفي أعقابهما، وقد عرفت [illegible]
[illegible] الشرق الأوسط [illegible]
من البلدان [illegible]
[illegible] الشرق الأوسط ثم شاع استعمال هذه العبارة في
[illegible]
[illegible] التي أحدثتها الصحافة
[illegible]
[illegible] للشرق [illegible]
[illegible]
للشؤون الخارجية [illegible] الشرق الأوسط [illegible]
المؤلفون [illegible]

الشرق الأوسط»(1) وكذلك [illegible] كتابه [illegible] «مختصر
تاريخ الشرق الأوسط» وكذلك [illegible] مؤلف كتاب «الكمالية والشرق الأوسط»
و[illegible] مؤلف كتاب «النمو الاقتصادي للشرق الأوسط» و«الدولة والمصالح الاقتصادية
في الشرق الأوسط».

ولسنا [illegible] الأمريكيين [illegible] استعملوا هذه العبارة دائمًا في
[illegible] والتخصص ومعرفة بين مدلول الشرق الأوسط والشرق
الأدنى وهذا ما جرى [illegible] الولايات المتحدة والشرق
الأدنى» [illegible] ١٩٤٧ في واشنطن معهد للدراسات الشرق
الأوسط [illegible] الشرق الأوسط [illegible] عدة هذه الاتجاه
[illegible] في الأخذ [illegible] وجهة النظر [illegible]
[illegible] الأمريكية [illegible]
[illegible] الأمريكية [illegible] دورها [illegible] على
إلى الأخذ به أيضًا وإن كنا نميل عند الكتابة التاريخية [illegible] التفريق بين الشرق
الأدنى والأوسط وخاصة فيما سبق الحرب العالمية الأولى من عهود، فإن أحداث
هذه [illegible] وخاصة في [illegible] هذه الحرب أو
على وجه الدقة في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ولعلنا لا نغالي إذا اعتبرنا أن
[illegible] الجامعة الإسلامية [illegible] الأفغاني [illegible]
[illegible] في الشرقين
الأوسط والأدنى [illegible] في [illegible]
وارتباطها الدولي العام ما تركته [illegible] السياسة الأوروبية في أحداث [illegible] من كل
[illegible] وفقًا لأطماعها [illegible] ولئن كان من أهداف [illegible]
الإسلامية [illegible] ومكنت الأمم الإسلامية للوقوف [illegible] وكان هذا
[illegible] والاختلاط بين أحداث [illegible] الجامعة الإسلامية

---

(1) [illegible]

في الشرق الأوسط والأدنى [illegible] وحدة سياسية قائمة بذاتها هي الوحدة التي أصبحت تعنيها عبارة « الشرق الأوسط » ومدلولها الشامل

فالشرق الأوسط [illegible] العراق [illegible] شعوبه ومصالحها [illegible] ووحدة الأهداف الاستراتيجية [illegible] من ذلك [illegible] العراق الذي [illegible] الشرق الأوسط والأدنى [illegible] في الشرق الأوسط [illegible] الشرق الأدنى

ولا [illegible] أن هذا التقسيم [illegible] من وحدة [illegible] والاقتصادية فضلا عن وحدة [illegible] ومن هذا [illegible] مصر [illegible] الشرق الأدنى في [illegible] الشرق الأوسط في [illegible] من هذا الإقليم لا سيما مصر

ويشمل الشرق الأوسط أو تلك الوحدة السياسية والأقاليم [illegible] من الدول تركيا والعراق وسوريا ولبنان و[illegible] الأردنية [illegible] وفلسطين وشبه جزيرة العرب بدولها وإماراتها (المملكة العربية السعودية واليمن والبحرين والكويت ومسقط وعمان وقطر وعدن و[illegible] والإمارات [illegible]) وإيران ومصر والسودان وقبرص [illegible] ٢٧٣١ [illegible] ميلا مربعا

وقد أخذ المعهد الملكي [illegible] للشؤون الخارجية [illegible] الشرق الأوسط الحديث [illegible] في البلاد الأخرى غير أنه لا يميل إلى إدماج ليبيا في هذه الوحدة السياسية والاستراتيجية وكذلك إريتريا [illegible] ليبيا في منطقة الشرق الأوسط [illegible] الشرق الأوسط [illegible] هذه الوحدة [illegible] بالشرق الأوسط [illegible] الشرق الأوسط ولا [illegible] في ذلك .

ورغم أن هذا المعهد وهو أعظم مؤسسة لدراسة السياسة [illegible] والعلاقات الدولية
[illegible] قد أخذ بهذه [illegible] كما كانت [illegible] هذه [illegible] عندما أنشئت قيادة الشرق
الأوسط [illegible] الحرب وهو ما [illegible] ودراسات [illegible]
[illegible] إلا أننا لا [illegible] في ذلك إلا من حيث [illegible] التسمية وتطور مدلولها [illegible]
في هذه الوحدة [illegible] والاقتصادية و[illegible] والأصول التاريخية في
هذه الأقاليم التي [illegible] وحدة وهي روابط قديمة
[illegible] عصور التاريخ حتى وقتنا هذا لم يدركها الذين
أخذوا بهذه التفرقة وجروا على تقسيم بلاد آسيا الغربية والوسطى إلى شرق أدنى
وأوسط [illegible] هذه الوحدة من جانب واحد وهو الجانب الاستراتيجي
الذي [illegible] الشرق الأوسط هو الذي أوحى بهذه
التسمية [illegible] في تيارها التقسيم القديم.

وتقسيم الشرق [illegible] إلى شرق أدنى وأوسط وأقصى [illegible]
جرى على [illegible] للمغامرين والجوابين في آفاقه قبل أن يجري على لسان الجغرافيين
[illegible] وهو [illegible] على موقع آسيا من أوروبا فأقرب الأجزاء من آسيا إلى
أوروبا هي الشرق الأدنى وأبعدها هي الشرق الأقصى وما بينهما الشرق الأوسط
[illegible] جزءاً من الشرق الأدنى [illegible] في ذلك الحين
[illegible] الدولة العثمانية ولا [illegible] دون شبه جزيرة [illegible]
[illegible] القديمة بهذه الوحدة [illegible] بالدولة [illegible]
[illegible] تقع في النطاق الشرقي لأوروبا.

[illegible] الإسلامية [illegible] كانت أصدق دلالة من [illegible]
[illegible] التقسيم الإسلامي [illegible] روابط واتصالات في هذه المنطقة
من [illegible] الأوروبي الذي [illegible] وكاد يمحوه إلا من [illegible] المؤرخين
القدامى من المسلمين.

[illegible] التقسيم الإسلامي بلاد الإسلام حتى [illegible] أن البلاد الإسلامية التي تقع
إلى الشرق من مصر هي شرق الإسلامي وأن البلاد التي تقع إلى الغرب منها هي
المغرب الإسلامي، وقد جرى هذا التقسيم [illegible] من حيث النظر [illegible] الإسلامية

دون أي اعتبار جغرافي آخر، فهو تقسيم [illegible] لكنه يتفق إلى حد بعيد مع [illegible] المحيط الإسلامي و[illegible] شعوبه و[illegible] ولا يفوتنا أن نذكر في هذا الصدد أن ما كان يعرف بالشرق الإسلامي هو ما نسميه الآن بالشرق الأوسط

من كل هذا يمكن أن نعتبر [illegible] الشرق الأوسط [illegible] ذلك النطاق من الأرض [illegible] من أفغانستان في [illegible] حتى شبه جزيرة [illegible] في [illegible] في [illegible] ومن حدود [illegible] آسيوية في [illegible] سواحل المحيط الهندي و[illegible] في الجنوب [illegible] التي سبق ذكرها أو بعض آخر الدول التي تطل على البحرين الأحمر والأسود وخاصة شرقي البحر الأبيض المتوسط

وهذه المنطقة [illegible] جغرافية [illegible] [illegible] والصحاري ومجاري الأنهار و[illegible] و[illegible] وسعة مساحتها مما يؤثر تأثيراً قوياً على [illegible] [illegible]

ومن الظواهر [illegible] في الشرق الأوسط وجود [illegible] من الصحاري [illegible] في [illegible] [illegible] الصحراء الليبية على حدود مصر الغربية وهي [illegible] الأفريقية [illegible] وصحراء العرب بين وادي النيل والبحر الأحمر ثم صحاري شبه جزيرة العرب وصحراء سينا في المثلث الواقع بين خليجي العقبة والسويس [illegible] وإلى شمالها الشرقي تمتد [illegible] الشام حتى [illegible] ومن [illegible] هضبة نجد وهضبة الأناضول وهضبة [illegible] وهضبة [illegible] [illegible]

ونجد في هذا الإقليم عدداً من سلاسل الجبال أهمها جبال طوروس التي تمتد موازية لساحل البحر الأبيض المتوسط على [illegible] هضبة الأناضول في الجنوب وجبال [illegible] لساحل البحر الأسود في شمال شرقي الهضبة وجبال [illegible] [illegible] وجبال [illegible] في أرمينية التي ينتهي إليها امتداد الهضبة من الشرق وتتصل جبال طوروس بسلسلة مرتفعات [illegible] في الجنوب الشرقي لآسيا

صحراوي وهي [illegible] سورية [illegible] من [illegible] في [illegible] حرمون ولبنان [illegible]

ويجري في [illegible] الأوسط [illegible] من الأنهار أهمها وأعظمها نهر النيل ثاني أنهار الدنيا طولا وأعرقها تاريخاً ويليه في الأهمية الرافدان العظيمان لشط العرب دجلة والفرات [illegible] الخصيبة ، ثم نهرا الأردن والعاصي وشمالا [illegible] الجنوب من سلاسل جبال [illegible] وهذا خلاف [illegible] التي لا أهمية لها سوى أن وديانها يمكن أن تكون [illegible] كوادي أطنه ويشقه نهر سيحون وهو خط الاقتراب الرئيسي لهضبة الأناضول من الشرق .

[illegible] المزايا الاقتصادية والاستراتيجية وفي مصر [illegible] في الأوسط الأخرى كبحيرة قارون والبرلس والتمساح والبحيرات المرة و [illegible] ومريوط والبرلس وفي فلسطين البحر [illegible] الأناضول [illegible]

[illegible] والهلال الخصيب . وهي الصخر الرئيسي [illegible]

[illegible]

١ [illegible]

[illegible] والساحل الشمالي لمصر وليبيا

٢ — [illegible] يكون عديم المطر طوال [illegible] إيران .

٣ [illegible]

جهات قليلة تظهر في الواحات وبعض الأودية الضيقة، ويوجد في مصر العليا والسودان الشمالى وشبه جزيرة العرب.

٤ — مناخ ما دون الاستوائي وهو شديد الحرارة صيفاً حيث تسقط الأمطار في الربيع والخريف وهما فصلا تعامد الشمس في المناطق من خط الاستواء إلى مدار السرطان وتنعكس على هذه الجهة، ويتمثل في السودان الجنوبي والأجزاء الجنوبية من شبه جزيرة العرب ماعدا اليمن التي تتعرض لتأثير الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تهب في الصيف وتسقط أمطارها على المرتفعات الجنوبية الغربية للبلاد تاركة ساحل تهامة جافاً لا تسقط عليه من غيثها ماء.

ولا نستطيع أن نقول إن هذه التقسيمات تسرى في الشرق الأوسط وتنطبق على كل نواحيه وإنما سوف نجد أن هناك كثيراً من المناطق الأخرى كالمرتفعات العالية أو المنخفضة أو القريبة أو البعيدة من البحر أو المرتفعة مثل وادي الأردن الشديد الحرارة صيفاً على الرغم من موقعه في منطقة البحر الأبيض المتوسط، كما يمكن أن نشهد آثار مناخ آخر واضحاً في سواحل بحر قزوين الأوربية وسواحل البحر الأسود التركية، ولا ننسى أن نفرق بين الحرارة والرطوبة في سواحل الخليج الفارسي والبحر الأحمر صيفاً والحرارة والجفاف داخل شبه جزيرة العرب والعراق.

والأمر الهام في مناخ الشرق الأوسط عامة هو قلة الأمطار فيه حيث يكون لا يجد نفعه في الزراعة إلا في مناطق ضيقة محدودة وقد تنعدم الأمطار تماماً في كثير من نواحيه فلا يكون إلا الجفاف والمحل الذي نشهده بيناً واضحاً في امتداد صحاريه واتساعها وشدة قحطها وجفافها.

ولا يمكننا أن ندعي أن الشرق الأوسط ذو موارد ضئيلة وفقير من الثروة لا ينضب ورب كان باطن الأرض يكشف كل يوم عن ثروة كبيرة وإن كان تقدم العلم البشري باستغلال مواطن الجدب والقحط من أرضه قد يتيح فرصاً وغير قليل من المحاولات التي ترمي لاستغلال صحاريه وإصلاحها للزراعة إذ كانت روسيا كدولة أخرى قد أمكنها أن تحول صحاريها إلى أراض خصبة تجود فيها

[illegible] تستخدم القوى المحركة وبذا كان من الممكن [illegible] من الأنهار الجوفية فلا [illegible] أن مساحات واسعة من صحاري الشرق الأوسط يمكن أن تتحول إلى مراع أو أرض زراعية وفي مقدمة هذه الصحاري صحراء سيناء، كما أن بعض [illegible] قد [illegible] في [illegible] من [illegible] في [illegible] بعض مناطق الصحراء [illegible] في مصر واستغلالها .

[illegible] في [illegible] الأوسط [illegible] كان من [illegible] [illegible] القوى [illegible] [illegible] الصناعة وإنعاشها [illegible] على [illegible] [illegible] على [illegible] في الأيدي [illegible] في [illegible] من [illegible] [illegible]

[illegible] الشرق الأوسط في [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] من [illegible] في [illegible] كل الشرق الأوسط [illegible] كان [illegible] من [illegible] [illegible] حاجة الاستهلاك [illegible]

[illegible] الأوسط [illegible] أكثر من [illegible] [illegible] من الأرض [illegible] [illegible] ذلك أن [illegible] يمكن [illegible] الاستهلاك [illegible] [illegible] [illegible] وقد جرى [illegible] في [illegible] وفي [illegible] الأنهار [illegible] وكانت هذه [illegible]

الإصلاح الزراعي مع الزيادة المطردة في عدد السكان قد جعل مستوى المعيشة
يتخلف إلى حد كبير عن مستواه في بلاد غرب أوربا فإن متوسط دخل الفرد في
بلاد الشرق الأوسط لا يتعدى خمس متوسط دخل الفرد في بريطانيا وفي الولايات
المتحدة الأمريكية يبلغ هذا المتوسط مثليه في بريطانيا

وتعتمد بلاد الشرق الأوسط على بعض الصادرات التي تخرج من أرضه وتؤثر
تأثيراً كبيراً في اقتصادياته كالقطن المصري الذي يعتبر [illegible] وتحتاجه مصانع
لنكشير حاجة ماسة و[illegible] الذي تخرجه أرض فلسطين و[illegible] العراق و[illegible]
وهو أهم الصادرات [illegible] و[illegible] لدول [illegible] تكشف عن
[illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] السياسة والاستراتيجية
والاقتصاد وتصبح عاملاً قوياً من عوامل [illegible] الاقتصادي . [illegible]
[illegible] بسبب [illegible] على استغلال والامتيازات كالروسي
و[illegible] والفرنسي

والشرق الأوسط منطقة صالحة للاستثمار [illegible] في مضمار التنافس
الاقتصادي [illegible] . وتستطيع الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المنطقة في كثير من
الحرص و[illegible] الحرص الذي [illegible] مسالك [illegible] في السيطرة الاقتصادية
على هذه [illegible] حتى لا [illegible] التنافس الاقتصادي [illegible] بين [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] قد [illegible] [illegible] [illegible] حربي و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
في أن [illegible] أمريكي [illegible] على كل [illegible] في السيطرة الاقتصادية
عليها تغلباً [illegible] على مدى [illegible] حتى [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible]
والخوف من [illegible] [illegible] [illegible] وفي [illegible] السياسة الأمريكية [illegible]
[illegible] في [illegible] لا [illegible] [illegible] مدى [illegible] و[illegible] وقد [illegible] هذه السياسة
في أعقاب الحرب الأولى حين أحدث [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الاقتصادي
في الشرق الأوسط ولا سيما في [illegible] حول [illegible] البترول وكان [illegible] الشركات
الأمريكية [illegible] [illegible] كل من شركات [illegible] أخرى ، [illegible] الذي
[illegible] أن [illegible]

وهو سوق رائج للتجارة الأوربية ومصدر لبعض الخامات الضرورية للصناعة الأوربية كما أنه يساعد في تحقيق الصناعة في إنتاج مصانع أوربا. وقد أحدث قدرته الاستهلاكية في زيادة ونمو نتيجة إقباله على مستحدثات الحضارة الغربية ولوازمها كما أن هذه القدرة الاستهلاكية تسير نحو مطرد نتيجة نمو الثروة القومية وارتفاع مستوى معيشة الفرد بتعدي أكثر من مدار الإنفاق على الطعام وتزايد عدد السكان. وهذه القدرة الاستهلاكية الضخمة تدفع بلاده إلى سياسة التصنيع حتى تسد مطالب أهلها وحاجاتهم الصناعية ولا ريب أن سياسة التصنيع ستدفع رؤوس الأموال الأجنبية. وهذا الجانب يمكن بعد أن صارت بلاده ميدان استثمار جديد وقد يشجع رؤوس الأموال الأجنبية على التدفق في هذه المصانع. إن الوعي الاقتصادي مازال قاصراً في تلك البلاد التي تتركز رؤوس أموالها في الاستثمار الزراعي الذي يسيطر عليه طبقة محدودة من ملاك الأرض وسادتها لا يصرفون عن هذا السبيل بديلا

ويقول بونيه أن الشرق الأوسط يحتاج إلى [illegible] ألف مليون جنيه زيادة على موارده المالية خلال عشرين عاما حتى يحقق نموه الاقتصادي ولا سبيل للحصول على هذا المبلغ الضخم إلا من أسواق المال الأجنبية. وهذه الحقيقة تفسر لنا اهتمام الدول الرأسمالية ومتابعة الكبرى بهذا الميدان البكر للاستثمار والتسويق والتصنيع.

ولا ريب أن مستقبل هذه البلاد مع الأحداث وتشعب القوى الاقتصادية في ربوعه سيجعل دوراً لصالحه في مرحلته وسيكون العامل القوي في توجيه التيارات السياسية والاستراتيجية التي تجتمع حوله وتصطرع فيه وتتصادم في بقاعه

وقد كان الشرق الأوسط أخصب بيئة في التاريخ لتقدم واستثمار جهود الإنسان فقد كانت طبيعته في عهود سحيقة تجمع صفحته كل مقومات الحياة فكان مهد الحضارات القديمة والأمم العريقة التي عاشت في ربوعه حقباً طويلة وأمعنت في طور النشوء والارتقاء.

وقد شهدت بلاده حضارة مصر في وادي النيل الأدنى وسومر وآشور وبابل في العراق وفينيقيا وسبأ في [illegible] و[illegible] في شاطئ [illegible] ، وأصبحت بلاده [illegible]

[illegible] والرومانية وكان [illegible]
[illegible] وحدة [illegible] الشرق

[illegible] في مصر [illegible]
[illegible]
[illegible] رسالة التوحيد
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الإيمان الديني في [illegible]
[illegible]
[illegible]

وكان [illegible]
[illegible] وتقدمها فقد كان تأثير الحضارة المصرية والبابلية بالغاً في [illegible]
الحديثة حتى في مقوماتها العلمية والفنية [illegible] فالعلوم والرياضيات كما نعرفها في
الوقت الحاضر قد انتقلت إلينا خلال الإغريق والعرب [illegible]
المصريين والبابليين .

ويقول توينبي في كتابه «دراسة التاريخ» أن [illegible]

وعشرين من الحضارات السامية الكثيرة التي شهدتها بعد في ماضيه وحاضره قد قامت في الشرق الأوسط

ويعود مؤرخو الحضارة في الشرق الأوسط إلى بدء ظهور الإسلام وانطلاق العرب في الفتوحات [illegible] من قلب الصحراء يحملون رسالتهم وشريعتهم إلى البلاد وكانت [illegible] الفرس في الشرق والروم في الغرب وكانت الحروب لا تكاد تنتهي بينهما [illegible] حدثت في [illegible] الميلادي والإسلام في جزيرة العرب وأصبحت بلاد الشام ومصر و[illegible] مسرحاً [illegible] بين الدولتين وفي [illegible] الأول من هذه الحروب [illegible] هذه البلاد كلها في أيدي الفرس [illegible] بيت المقدس [illegible] وصوره [illegible] البلاد [illegible] على هذه [illegible] حتى [illegible] هرقل [illegible] جيوش الروم [illegible] على الفرس [illegible] هذه البلاد مرة أخرى [illegible] وخضعت البلاد [illegible] من بيت المقدس وفي هذه الحرب بين الدولتين [illegible] في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، وذلك [illegible] في الأفق بوادر النصر الروماني

وفي غمرة هذه [illegible] كل منهما [illegible] رسالة من [illegible] من جاهل [illegible] كسرى وهرقل وكانت [illegible] من محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام يدعوهما فيها إلى الإسلام .

ولم تمض عشر سنوات [illegible] حتى كانت جيوش الإسلام قد قضت على ملك فارس [illegible] واقتطعت أطراف الدولة البيزنطية وأخذت منها مصر والشام [illegible] في عهد الخلفاء الراشدين ، وامتدت موجة الفتوح الإسلامية في عهد الأمويين حتى وصلت في مدى نصف قرن إلى حدود الهند شرقاً واجتازت العدوة من شمال إفريقية إلى إسبانيا غرباً .

[illegible] كله للتوحيد في تلك البلاد واعتنق أهلها الإسلام وشملت حركة

استعراب دولة [illegible] تأثر عنها من عناصر [illegible] وكذلك تعريب [illegible] التي [illegible]
لغتها وصفاتها الجنسية إليها .

وكان لانتشار الإسلام في البلاد التي [illegible] موجة الفتوح الإسلامية أن قام
في حدود هذه [illegible] الأقصى [illegible] الأرجاء وحدة دينية دولية [illegible] على
[illegible] حتى وقت [illegible] . وكانت الخلافة الإسلامية عنوان هذه الوحدة
[illegible] حتى بعد أن ضعف سلطان الخليفة الزمني وقام [illegible] وولاة [illegible] من
حقوق هذه السيادة لأنفسهم ، [illegible] الخليفة [illegible] على [illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible] تجمع المسلمين في شتى [illegible] ووحدتها حتى [illegible] الخلافة على يدي
الكماليين في تركيا عام ١٩٢٤ [illegible] في [illegible]
[illegible] الخلافة [illegible]
إفريقيا وبلاد الأفغان ، بل أن سقوط الخلافة [illegible]
[illegible] العالم [illegible]
[illegible] الذين كانوا يرون أنهم [illegible] الخلافة
من كوارث .

وقامت في هذه البلاد [illegible] الإسلامية [illegible]
والروم ونقلت عن اليونان كما نقلت عن الهند [illegible]
عدد من تراثها [illegible] في البلاد الإسلامية [illegible]
تركية [illegible] في خلافة [illegible]
[illegible]
ومقاتلين ذوي بسالة ودربة .

وما أن قامت الدولة العثمانية وبسطت نفوذها على العالم الإسلامي حتى كانت
[illegible]
[illegible] على [illegible] الإسلامية [illegible] في الوقت الذي [illegible]
[illegible] الحضارات [illegible] الحديثة [illegible]
[illegible] للدولة العثمانية [illegible]

[illegible] الذي أخذ يهددها في [illegible] وكان [illegible] كما كانت لها آثارها [illegible] من الناحية الاقتصادية فإن خوف التاجر الأوربي من المغامرة في قلب العالم العثماني [illegible] العلاقات الاقتصادية [illegible] مسالك البحر [illegible] للبحث عن مسالك أخرى للتجارة [illegible] في بلاد الدولة العثمانية [illegible] في هبوط [illegible]

[illegible] في العهد الإسلامي [illegible] والفكر الرفيع.

[illegible] وكان هذا السلام [illegible]

[illegible] السلام في الشرق الإسلامي من

الغرب [illegible] أوربا المسيحية دعوة الجهاد [illegible] الكفار الذين يهددون مسالك الحج الى بيت القدس ويملكونها.

[illegible] للشرق الأسلامي عام ١٠٩٥ [illegible] لتخليص بيت القدس من أيدى المسلمين الكفار. وكان أربانوس [illegible] [illegible] سلامة الأمارات اللاتينية [illegible] الملمات بعد نجاح حملتهم الأولى [illegible] ١٢٩١. [illegible] الشرق والغرب. وقد وصف [illegible]

[illegible] عدوهم إلى الشرق أطماع ورغبات [illegible] وكان الجيش الصليبي [illegible] والواقع أن اندفاع الجماهير في فرنسا والالمانيين [illegible] لم يكن كله نتيجة بل عرضاً للأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعانيها تلك البلاد.

[illegible]

[illegible] عديدة [illegible] المغول تحت حكم جنكيز خان الذي قضى على الدولة الخوارزمية التي كانت تمتد من حدود فارس غرباً إلى حدود الهند شرقاً وكان ذلك في الربع الأول من القرن الثالث عشر .

ثم عاد [illegible] مرة أخرى في عهد هولاكو الذي اجتاح فارس والعراق [illegible] وقتل الخليفة المستعصم بالله وأخذت جيوشه تتقدم في بلاد الشام [illegible] مماليك مصر [illegible] عام ١٢٦[illegible] وأنقذوا مصر من [illegible] الإسلامية في ذلك الوقت .

وكانت [illegible] المغول [illegible] تيمورلنك [illegible] هزيمة منكرة في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢ [illegible] السلطان بايزيد العثماني أسيراً ولكنهم [illegible] عام ١٤٠٥ .

[illegible] الشرق الإسلامي [illegible] الإسلامية [illegible] الإسلامي [illegible] الإسلامية [illegible] في [illegible] أوربا [illegible] الشرق [illegible]

[illegible] الإسلامي [illegible] الإسلام [illegible] الإسلامية [illegible] في [illegible]

[illegible] وكان [illegible] في [illegible] وكان [illegible] على [illegible] من [illegible]

في منتصف القرن الخامس [illegible] شيئاً وكان [illegible] حينما عرف أنه [illegible] إلا [illegible] من الأ[illegible] اللاحقة .

و[illegible] أرطغرل عام ١٢٨٨ خلفه [illegible] عثمان [illegible] دولته [illegible] سياسة التوسع [illegible] سلاطين [illegible] من بعده حتى [illegible] و[illegible] في عهد [illegible] قام [illegible] في [illegible] القسطنطينية [illegible] وآخر ما بقي لها من أملاكها [illegible] وقد [illegible] ١٣٦٧ ثم انتصر العثمانيون في معركة [illegible] عام ١٣٨٩ على [illegible] وانفتح لهم بهذا النصر طريق [illegible] في [illegible] على [illegible] عام ١٤٤٤ [illegible] في معركة [illegible] الثانية عام ١٤٤٨ [illegible] على القسطنطينية عام ١٤٥٣ ودعي لذلك محمد الفاتح [illegible] اسم استانبول [illegible] ودمشق والقاهرة [illegible] الإسلامي [illegible] مركز [illegible] .

وقد [illegible] في أوربا [illegible] في دولهم [illegible] الجري [illegible] على [illegible] .

وفي عهد [illegible] على [illegible] وكردستان [illegible] ذلك [illegible] على الشام ومصر عام ١٥١٧ [illegible] على [illegible] له عن الخلافة [illegible] سلاطين آل عثمان من [illegible] الروحية بجانب سيادتهم الزمنية .

[illegible] في عهد [illegible] سليمان القانوني [illegible] جيوشه في الشرق والغرب [illegible]
[illegible] في الشرق [illegible] في الغرب استولى على بلغراد ورودس واجتاح
المجر [illegible] على [illegible] وفاة [illegible] من أهلها ثم تقدم إلى فينا
وحاصرها [illegible] وهذا الفارس عام ١٥٢٩ ، واستمرت
الحرب [illegible] ملك [illegible] حتى [illegible] صلح [illegible]
أن يدفع الجزية للعثمانيين ويعترف بسيادتهم على ترانسلفانيا والمجر .

وفي عهد [illegible] العثماني [illegible] البحرية [illegible] حتى [illegible]
[illegible] واستولوا [illegible] على شواطئ البحر الأبيض
المتوسط وجزره يدفعهم الجد إلى المغامرة والعاطفة الدينية في خدمة الدولة حتى عقدوا
[illegible] أنفسهم [illegible] وأعلام [illegible] بربروس [illegible] أعظم
[illegible] البحر في عصره [illegible] البحر في عصره [illegible]
[illegible] للسلطان العثماني [illegible] على الجزائر [illegible] الأول
حاكما عليها عام ١٥١٩ ثم أصبح [illegible] البحر في عهد سليمان القانوني وأوقع بأسطول
[illegible] الخامس [illegible] ، إيطاليا ينهب ويسلب
[illegible] والدولة [illegible]
[illegible] شارل الخامس [illegible]
[illegible] شارل الخامس [illegible] وفي عام ١٥٤٣ [illegible]
سليمان القانوني لعون حليفه ملك فرنسا

ومن هؤلاء [illegible] على [illegible] وكان [illegible]
في [illegible] على شواطئ بلاد العرب وفارس [illegible] من شدة [illegible]
[illegible] بربروس [illegible] بربروس [illegible]
الدولة [illegible] على [illegible] في [illegible] موقع كما قام بفتح
المهدية عاصمة تونس في ذلك الوقت .

ويجمع المؤرخون على أن عصر سليمان القانوني هو العصر الذهبي للدولة العثمانية

فقد بلغت فيه أوج عظمتها وأقصى اتساعها حتى أصبحت بلادها تمتد من الخليج الفارسي وفارس جنوباً وشرقاً إلى تخوم النمسا في أوربا وحدود مراكش في إفريقيا غرباً ومن شواطئ شبه الجزيرة العربية جنوباً إلى شبه جزيرة القرم وسواحل البحر الأسود شمالاً .

ثم أصابت الدولة ما أصاب الدول من قبل من رقي ثم وقوف فانحطاط في الإعصار وهي ظاهرة طبيعية تصيب الشعوب والأفراد على الدوام وإن كان علماء التاريخ والاجتماع لم يتمكنوا يعللون هذه الظاهرة ويضربون دونها ليعدوا الشعوب والأفراد من مصارعة الخصومة في سنة التطور حتى لا تقضي على شباب الأمم وظواهرها .

وقد أخذت الدولة العثمانية في الاضمحلال والضعف بعد عصر سليمان القانوني وكانت معركة « ليبانتو » البحرية التي انتصرت فيها فصائل الحلف المقدس الذي تمكنون من البندقية وإسبانيا والبابوية على الأسطول العثماني عام ١٥٧١ ، أول ضربة نزلت بالدولة العثمانية ، بعد أن وقر في الأذهان أن العثمانيين لا يغلبون .

ولكن عناصر القوة ظلت تسري في أعصاب الدولة وكان لنظام الحكم الذي وضعه سليمان القانوني وما ترك خلفه من بعض رجال الدولة والحكام ، من بعدهم بعد وفاة سليمان العظيم في العمل والسعي لإعلاء شأن الدولة ومنهم وزيره صقلي محمود الذي أمر سنان باشا بتوطيد سلطة الدولة في بلاد العرب وقد تم له إخضاعها عام ١٥٧٠ وكذلك لالا مصطفى أحد قواد صقلي الذي تم فتح قبرص ، وانتزاعها من أيدي البنادقة ورغم انتصار دول الحلف المقدس في معركة ليبانتو لم تستطع البندقية استعادة قبرص واضطرت إلى التنازل عنها لهم عام ١٥٧٣ بعد أن عقدوا صلحاً مع العثمانيين ، خرجوا به على وحدة الحلف المقدس كما استطاع العثمانيون بعد معركة ليبانتو هذه أن ينشئوا أسطولاً جديداً وأن يحفظوا تفوقهم في البحر الأبيض المتوسط .

وقد كانت هذه الظواهر لقوة الدولة تخفي علامات الضعف التي أخذت تدب في كيانها ، فلأول مرة عام ١٦٠٦ عقد العثمانيون معاهدة صلح تعترف بالنمسا ندًّا لها على قدم المساواة ويرفضون دفع الجزية . وقد ظهر الضعف يسري في الدولة ويسري في كيانها حتى تولى منصب الصدارة العظمى وزراء من أسرة كوبريلي الواحد بعد الآخر الذين استطاعوا خلاله أن يستعيدوا كثيراً من هيبة الدولة العثمانية وقوتها وسيادتها التي حققت في عهود السلاطين الأقوياء .

وقد قام أولهم محمد كوبريلي بإجلاء أسطول البندقية عن الدردنيل واستعاد جزر تنيدوس وليمنوس كما صمم على الانتصار على كانديا في كريت . وأخذ يشن حملات الفتوح ضد المجر في أوربا .

وبعد وفاته ولي ابنه أحمد كوبريلي منصب الصدر الأعظم خمسة عشر سنة ، وفي عهده سقطت كانديا في أيدي الأتراك بعد أن استمر حصارها قرابة ربع قرن ، وتم للأتراك الاستيلاء على كريت عام ١٦٦٩ . كما هاجمت القوات العثمانية بلاد النمسا والمجر وأحرزت عدة انتصارات ، ولكنها هزمت أخيراً هزيمة لم تكن حاسمة ولم تفقد الدولة العثمانية شيئاً من هيبتها وسيادتها . كما أحرزت عدة انتصارات أخرى ضد بولندا ، وكادت تقضي على استقلالها لولا قيام البولنديين بقيادة جون سوبيسكي الذي استطاع أن ينتصر على الأتراك في معركتين كبيرتين ولكنه مع ذلك اضطر إلى قبول الصلح واعترف للأتراك بسيادتهم على بادوليا وأوكرانيا في معاهدة زوراونا عام ١٦٧٦ .

وقد مات أحمد كوبريلي بعد صلح زوراونا بنحو عام ، وولي منصب الصدر الأعظم بعده صهره قره مصطفى وكان طموحاً إلا أن طموحه كان أقوى من قدرته ، فقد كان يأمل أن يهاجم النمسا في عقر دارها ويحقق ما عجز عنه السلاطين العظام من قبل ، ونجح الأتراك في الوصول إلى أسوار فيينا للمرة الثانية والأخيرة وقد صمم قره مصطفى على فتح مدينة فيينا حتى وصلت الإمدادات البولندية بقيادة جون سوبيسكي وأنزلت بالأتراك هزيمة ساحقة ، فدفع قره مصطفى بين الأتراك قد دفعوه ثمن ذلك النصر الضائع ضرب عنقه .

وتوقفت الهزائم على الجيوش العثمانية حتى أحلام سوبيسكي من بعد واصطدم بالدولة إذ هزمت جيوش سوبيسكي في فيينا. ثم اعتبرت التركية مهزومة وتكون حلف المقدس من البابا والامبراطور والبندقية وبولندا وأحدثت فتوحه عند على [illegible] الطوقة، وفي البحر الأبيض المتوسط غرب. واستطاع دوق لورين أن يوقع بالأتراك في معركة موهاكس.

ولم تستطع الدولة العثمانية بعد ذلك أن تسترجع هيبتها وسيادتها القديمة في تلك الحروب مرة ثانية وعقدت الصلح [illegible] الحرب بدور [illegible] للسياسة التي وضعها [illegible] لا [illegible] على [illegible] وصدر [illegible] أن [illegible] من نتيجة حرب أن عقد صلح كارلوفتز وأن يكون هذا الصلح بداية الانهيار الحقيقي للدولة و[illegible] باسم [illegible] الأوربي [illegible] المسألة الشرقية في طور جديد.

وقد كانت شروط معاهدة كارلوفتز تقضي بخروج العثمانيين من كل بلاد المجر ما عدا [illegible] وكرواتيا وترانسلفانيا وسلافونيا للنمسا وأن تكون [illegible] ومعظم دالماشيا للبندقية وبودوليا لبولندا وآزوف لروسيا.

وللمرة الأولى نرى روسيا تدخل في حرب ضد الدولة العثمانية وتشترك في تقسيم أملاكها [illegible] على حساب [illegible] في معاهدة كارلوفتز. ويكون ذلك بداية الدور الخطير الذي لعبته في المسألة الشرقية لمدة قرن من الزمان بعد ذلك والذي صبغ تاريخ الشرق الأدنى وسياسته بلون [illegible] في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

* * *

وقد رأينا في إطار الفتوحات العثمانية كيف دخلت بلاد الشرق الأوسط تحت سيادة الدولة العثمانية وأصبحت بلاد الإسلام ولايات عثمانية. وقد انتقلت إليهم الخلافة الإسلامية بعد أن [illegible] لهم عنها آخر الخلفاء العباسيين في مصر، فتح السلطان

سليم الأول عام ١٥١٧ وأصبح هو من الزعامة الروحية في العالم الإسلامي بدلاً من السيادة الزمنية فقط .

وبقيت خارجة عن سيطرة العثمانيين من العالم الإسلامي غير بلاد فارس وكانت قد تكونت فيها دولة شيعية بعد اجتياح المغول لها واستقر بها حكم الأسرة الصفوية ، واتصلت الحروب بين العثمانيين والصفويين زمناً طويلاً من الزمن بعد غزو سليم الأول لفارس عام ١٥١٤ حتى عطلت اندفاعهما مقاومة الخطر الخارجي الأوربي الذي وقع عليهما في وقت واحد تقريباً وكان مدعاة لأخذ نصيبهما من ضعف واستغلال .

الفصل الثاني

السياسة والاستراتيجية

والشرق الأوسط

يحتل الشرق الأوسط في هذه الأيام من الاهتمام العالمي مكانة لم يحظ بها في يوم من الأيام منذ الفتوح الإسلامية الباهرة ، يوم تركزت القوى العالمية جميعها في أرضه وفوق [illegible] وفي [illegible] قادته

وليس مصدر هذا الاهتمام الحديث ، [illegible] عوامل تقدمه في [illegible] تاريخه ، و[illegible] أحداثه ، وجعلت منه مركز القوى العالمية في عصور القديمة والوسطى ، وليس مصدره تلك السلطة التي أخذت تنمو في أرجائه تحت تأثير [illegible] وتحت تأثير أخرى [illegible] الحرب [illegible] و[illegible] [illegible] ، وإنما مصدره تلك التطورات السياسية والاستراتيجية التي تجتمع في أرضه وتجعل منه مركز تنافس القوى العالمية وتطاحنها على أرضه .

ولقد تغير أسلوب السياسة ، وتطور التفكير الاستراتيجي . وكان هذا التطور في أسلوب السياسة والتفكير الاستراتيجي ، ذا أثر بين في زيادة الاهتمام العالمي بالشرق الأوسط

وقد أصبحت السياسة كما أصبحت الاستراتيجية من السعة والشمول بحيث جعلتا من العالم وحدة كلية تتفاعل [illegible] وأهدافه . وأصبحت الأقاليم والوحدات السياسية التي حققت عزلتها في الماضي ، [illegible] ، وأصبحت سياسة الدولة [illegible] على هدى هذا الاتجاه وأهدافه . وهذا هو ما حمل الولايات المتحدة الأمريكية على [illegible] في الحرب [illegible] [illegible] سياسة

العزلة التي جرت عليها منذ إعلان مبدأ مونرو سنة ١٨٢٣ ، والاشتراك في السياسة
العالمية [illegible] في ربيع
سنة ١٩٤٧ ، وهو تاريخ إعلان السياسة الأمريكية الجديدة واتخاذها [illegible] صفة
رسمية ، وكان ذلك عندما أعلن الرئيس ترومان أن حماية تركيا واليونان من العدوان
الخارجي ([illegible]) [illegible]

[illegible]
[illegible] أو [illegible]
عن السياسة العامة التي توجهها وتؤثر فيها .

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] بأن تطور المواصلات وسرعتها ، ووسائل الاتصال السريع بين
[illegible]
[illegible] والصحافة [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] واحد في كل [illegible]
[illegible] الأفكار [illegible]
المناطق التي نبتت فيها .

[illegible] قابلية
[illegible] أو استغلال فرد لأفراد ، [illegible] كانت حقوق [illegible] قد
[illegible] ١٧٨٩ [illegible] الأمم
[illegible] في وثيقة دولية ، [illegible] والشرائع
[illegible]
[illegible] حقوق الإنسان [illegible] هذه

الحقوق التي تضمنها هذا [illegible] ما كان هذا الإعلان وليد الوعي الإنساني في مراحل تطوره
ولو كانت هيئة الأمم المتحدة قد أقدمت على إعلان إقرار حقوق الإنسان ، قبل الوعي
الإنساني لم يكن ليقوم على هذا الإعلان ، ولم يكن له وجود ، وإنما هو ثمرة هذا التطور
الحضاري الشامل للعالم [illegible] ، هذا التطور الذي يقوم على الفكر والثقافة [illegible]
[illegible]
[illegible] مشتركا في [illegible]

وكان لهذا الوعي الإنساني أثره في علاقة [illegible] في [illegible] الدولة نفسها
وفي علاقة الشعوب [illegible] على [illegible] كما كان له أثره
في العلاقات الدولية [illegible]
[illegible] هذا الوعي
[illegible] كانت [illegible] قد [illegible] إلا
[illegible] على [illegible]
[illegible] العلاقات الدولية [illegible] على [illegible] من الشعوب
[illegible] حق [illegible] في [illegible] العلاقات الدولية وتوجيهها والرضاء عنها .

[illegible] حقوق السيادة طويلا على شعوب استعمرتها بقوة
[illegible]
هذه الشعوب برضائها ، وتلح في ذلك إلحاحاً [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] كان [illegible] على [illegible]
الاقتصادي في [illegible] هذا الاستغلال الاقتصادي
الذي كان يتم قهراً وجبراً يمكن أن يتحقق في صورة [illegible] بالاستثمار
المالي واستغلال الموارد ، وهذا هو [illegible] الاستعمار الحديد .

[illegible]

وتكيف ، وتؤثر فيه ، وتشتد التطاحن بين الدول ، كما كان شأن الاستعمار القديم

هذه هي العوامل المختلفة التي تؤثر في السياسة العالمية وتوجهها ، فالعالم من حيث أنه وحدة متماسكة لم تعد السياسة العالمية [illegible] في أرجائه ولم تعد [illegible] السياسي مرتبطاً بوحدات صغيرة من الأرض والشعوب ، بل أصبح مرتبطاً بالوحدات الإقليمية الكبرى في العالم ووحدة الهدف والاتحاد [illegible] فدول حلف الأطلسي تجمع بين غاية واحدة وهدف مشترك ، ومجموعة الدول العربية تجمعها مصالح مشتركة ، وأمريكا الجنوبية [illegible] في [illegible] العامل [illegible] بالولايات المتحدة وهي تمثل القوى [illegible] في الوحدة الأمريكية [illegible] الأمم [illegible] القوى الروحية و[illegible] في محيطها السياسي

والسياسة العالمية في [illegible] هذه الوحدات الإقليمية الكبرى [illegible] تخضع بعض الشيء لسياسة التكتلات المذهبية التي تسود العالم في الوقت الحاضر ، فالعالم تسوده [illegible] مذهبان اقتصاديان [illegible] السياسة [illegible] المذهب الشيوعي ، وعلى رأسه روسيا ، وقد أصبح يضم ما يقرب من ثلث سكان العالم بين دول مختلفة تتحد في نطاق واحد ، والمذهب الرأسمالي وعلى رأسه الولايات المتحدة وتمتد على حدود الكتلة الروسية ، [illegible] من الأرض لا تخلو من [illegible] التي تقوم فيها دول لا تحب أن تسير في ركاب أي منهما ، وفي [illegible] التنافس بين الكتلتين [illegible] في [illegible] الدول والشعوب

وكان التنافس بين المذهبين الشيوعي والرأسمالي من العوامل في وضوح أهمية الوحدات الإقليمية [illegible] الكبرى ، فإن اتجاه إقليم ما إلى مذهب من المذهبين يضعف المذهب الآخر [illegible] وليس في هذا [illegible] لأن كل منهما [illegible] الآخر ، وحرب [illegible] المذاهب الشيوعية في الكتلة الرأسمالية ، كما [illegible] المذاهب الرأسمالية في [illegible] في كثير من العنف والقسوة وأصبح للمذاهب [illegible] أكثر من [illegible] في جمع الأعوان والأنصار حتى تقوى [illegible] لمواجهة الأخرى ، وقد كان للشيوعية [illegible] من موقف التنافس [illegible]

أهميته في مضمار السياسة العالمية ، ومن ثم أصبح الشرق الأوسط من الأهمية [illegible] في هذه الأيام مكانة لم يكن له مثلها من قبل ، ولا يمكن أن ننسى أن مركز الثقل الدولي قد تحرك إلى هذه المنطقة في أعقاب الحرب الثانية حيث تركز صراع الكتلتين وتنافسهما

ثم إن هذه الوحدات الإقليمية تكاد تكون وحدات اقتصادية قائمة بذاتها ولكل منها خواصه من حيث الموارد والخامات والإنتاج ومن حيث أنها تسوق [illegible] لتلك البلاد من الإنتاج الصناعي أو الزراعي [illegible] الأقاليم الأخرى و[illegible] هذه الأقسام [illegible] ومن مجموع هذه الوحدات الاقتصادية يتكون الاقتصاد العالمي ، وهو وحدة متماسكة رغم ما يقوم بين أقاليمه من حواجز ، وهذه الوحدة هي التي يمكن أن نسميها « بالوحدة الاقتصادية [illegible] »

ولم تكن هذه الوحدات الاقتصادية [illegible] في تكوين [illegible] الوحدة الاقتصادية العالمية [illegible] على درجة واحدة من النمو ولا [illegible] الوحدات المتفوقة ومنها وحدات متأخرة [illegible] على مستوى معروف باسم الاقتصادي ، وقد يكون هذا التأخر الاقتصادي [illegible] التأخر العلمي والاجتماعي أو [illegible] أو [illegible] قد يكون هذا التأخر الاقتصادي [illegible] التأخر الحضاري الذي يختلف عن [illegible] التأخر العلمي أو الاجتماعي [illegible] فهو [illegible] وسعة الأفق [illegible] كلها من أسباب الحضارة وتقدمها

ولكن هذه الوحدات الإقليمية الاقتصادية [illegible] كانت [illegible] جميعا [illegible] في [illegible] التي تتركز فيها وتدور حولها كل [illegible] الاقتصادي [illegible] العامل [illegible] السياسة [illegible] في أي شكل له ومن الطبيعي أن تكون [illegible] متأخرة أو [illegible] هي مواطن الاستغلال والاستعمار للبلاد المتقدمة

ولكن البلاد المتأخرة قد بدأت تستيقظ وتشعر بنموها القومي والاقتصادي وتطالب بحقها في حريتها واستقلالها وتتجه إلى الأخذ بأسباب التفوق في الحضارة الغربية. [illegible] على [illegible] الاستعمارية القديمة قضاء كان كافياً لخلق أساليب جديدة في معاملة هذه الشعوب و[illegible] تكشف عن تطلعها إلى المستقبل في ثقة واطمئنان [illegible] ولكن هذه الأساليب [illegible] إلا [illegible] الأخر [illegible] [illegible] هذه الشعوب [illegible] [illegible] [illegible] الاستعماري الذي [illegible] حتى [illegible] كل الأمة.

و[illegible] الاستعمارية [illegible] على [illegible] من [illegible] [illegible] القوى [illegible] ومستقبلها، فالدول الاستعمارية لا ترضى أن [illegible] على [illegible] القوى [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] في هذه [illegible] وتقوم كل [illegible] أخرى [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأخرى [illegible] [illegible] [illegible] الأخر [illegible] [illegible] الجانب الآخر إليه.

وقد [illegible] في [illegible] [illegible] الحيوي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأسواق [illegible] [illegible] وكانت هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأسواق [illegible] الاستقلال والاستثمار الاقتصادي [illegible] [illegible] الاجتماعية و[illegible]

ولكن كيف توفق الدول بين دعوتها في احترام سيادة الشعوب وحقها في الحرية وتقرير مصيرها وبين تلك الأطماع الاستعمارية الجديدة؟ وللاجابة على ذلك نقول أن التطور الجديد للسياسة الدولية هو الذي تغلب على هذه الصعوبة فتقسيم مناطق النفوذ يجب أن يتم باتفاق الدول الكبرى أو بعضها وليس هناك ضير في أن تشكل بعض هذه الدول التي تتفق مصالحها للعمل على منافسة البعض الآخر ثم تقسم فيما بينها مناطق النفوذ في العالم، على أن يتم هذا النفوذ في شكل معاهدات أو تحالفات تربط بين الدولة صاحبة النفوذ والدول التابعة لها [illegible] من ألوان الضغط السياسي والاقتصادي [illegible] الدول [illegible] على [illegible] هذا [illegible] العسكري الذي كان يستخدم في [illegible] وإن بقي رمزاً لسطوة الدولة وقوتها وهيبتها والمحافظة على نفوذها في مناطق [illegible] من الدول

وقد أصبح تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ موضوعاً لدراسات [illegible] [illegible] والجيوبوليتكس علم حديث يرجع وجوده إلى ما بعد الحرب الأولى [illegible] الجنرال هوسهوفر "Karl Haushofer" في مدرسته في [illegible] عام ١٩٢٣ وتقوم الجيوبوليتكس على [illegible] السياسة على ضوء [illegible] الجغرافية، وقد اشتق من دراسة [illegible] الأولى [illegible] سنة ١٨٩٧ [illegible] السويدي كيلين "Kjellen"، وفي الوقت الذي [illegible] في ألمانيا كان هناك علماء آخرون في [illegible] الموضوع [illegible] الجيوبوليتكس [illegible] بالبحث والتحليل في مدرسة [illegible] وقد أخرج [illegible] نظريته في تقسيم العالم [illegible] عام ١٩١٩ [illegible] على اعتبار أن القارات الثلاث القديمة أوربا وآسيا وأفريقيا تكون جزيرة هائلة هي [illegible] الأخرى [illegible] [illegible] الأرض [illegible]

الأرض الذي يلي قلب الأرض في شرق أوربا هو الحصن الذي يحميه ويعد في نطاق من الأرض بين البلطيق [illegible] وتضم [illegible] الشرقية والنمسا بما فيها المجر ورومانيا ، وبين قلب الأرض [illegible] في أفريقيا ودول [illegible] من يحكم أوربا الشرقية يسيطر على قلب الأرض ، ومن يسيطر على قلب الأرض يسيطر على جزيرة العالم [illegible] [illegible] المميز كما أن هناك وحدات إقليمية [illegible] به الأقاليم الكبرى وتحولها إلى ميدان صراع .

[illegible]

وحوض فرنسا ودول أوربا الغربية .

[illegible]

كيان الإقليم على ضوء الدراسات الجغرافية والتاريخية له على اعتبار أن الصراع بين الشعوب لاينتهي وأن السياسة الخارجية للدولة تطغى دائماً على سياستها الداخلية وأن الأفكار السياسية والنظم الدستورية تتولد مصاحبة للقوميات ونموها على ضوء الاعتبارات الجغرافية .

وعلى ضوء نظريات الجيوبوليتكس توشك أن تنشأ مدرسة جديدة للدراسة الاستراتيجية على أساس جغرافي ، ودون أن تحدث [illegible] (Geostrategy) في الظهور والتداول بين الباحثين في الاستراتيجية ولا ريب أن الجيوستراتجي ترمي إلى ترشيد الاستراتيجية وهي سياسة حربية للدولة [illegible] القواعد [illegible] الاستراتيجية على هدى التطور الجديد للحروب [illegible] الشاملة ، وتراعي العوامل الجغرافية [illegible] من الشعوب [illegible] من الأرض والإقليم

والعوامل [illegible] تؤثر في [illegible] تؤثر في [illegible] الاستراتيجية [illegible] والاقتصاد والخطط [illegible] الشعوب المتأخرة وتطور الوعي القومي فيها نظراً لأخذه يكشف عن اتجاهاتها في السياسة والاقتصاد [illegible] حقوق الإنسان كلها عوامل جديدة تؤثر في اتجاهات الاستراتيجية وخططها [illegible] كما تؤثر في اتجاهات [illegible] وأساليبها

ولم تعد الاستراتيجية قائمة على حسبان أهمية القواعد والمراكز الاستراتيجية كجبل طارق ومالطة وعدن وإنما [illegible] الإقليمي حيث [illegible] [illegible] [illegible] حتى في هذه [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible] الإقليم الذي تقوم فيه ، فقد [illegible] [illegible] لحرب [illegible] في حرب [illegible] كما [illegible] في وقت [illegible] الإسلامية [illegible] في الأقليم

الذي [illegible] عنه [illegible] سلامة قاعدة [illegible] طارق إذ [illegible] الصحراء في حرب الإفريقي كما [illegible] في مواجهتها على شاطئ الإفريقي [illegible] قاعدة [illegible] الأساسية [illegible] سلامة الملاحة في مضيق جبل طارق إذا هددتها قاعدة سبتة البحرية [illegible] على [illegible] تعرضت عدن للخطر في حرب [illegible] كانت [illegible] وكان من الممكن [illegible] عدن [illegible] التركية في شبه جزيرة [illegible] ومن سلامة [illegible] كان الهدف الأساسي هو [illegible] من [illegible] الخوف من [illegible] على شواطئ [illegible]

[illegible] لأسر [illegible] بطار [illegible] طبيعية معينة لها مميزاتها الجغرافية والاقتصادية والبشرية [illegible] في [illegible] الاقتصادية [illegible] في تطور [illegible] كما كانت [illegible] في تطور [illegible] الحرب [illegible] في [illegible] فهي حرب تتعاون فيها الأساسية [illegible] المراعي الغنية والسرعة الهائلة [illegible] وهي [illegible] الحرب [illegible] حد من امتدادها وانتشارها .

ولذلك كان تطور الاستراتيجية متأثراً تمام التأثر بعوامل الحرب [illegible] من حيث [illegible] والسرعة والوقت الذي تشمله .

[illegible] الاستراتيجية [illegible] وهي الأساس الذي قامت عليه دراسة الجيوستراتيجي .

وهكذا كان الجيوبولتكس والجيوستراتيجي [illegible] في دراسة [illegible] والاستراتيجية على ضوء العوامل الجغرافية [illegible] سواء كانت [illegible] أو اقتصادية أو بشرية .

وقد تأثرت الاستراتيجية الألمانية في الحرب الماضية بنظريات ماكيندر في الجيوبولتكس [illegible] كخطوة للسيطرة على [illegible] ثم السيطرة على قلب الأرض فالسيطرة على جزيرة العالم بعد ذلك . وكان [illegible] عن الحرب الجوى لأنه [illegible] ألمانيا في [illegible] يقول أن [illegible] موقعها الجغرافي [illegible] في [illegible] في [illegible] في ذلك [illegible] الجغرافي [illegible] الطبيعي للأمبراطوريتين البريطانية والفرنسية وتطلعت إلى تحقيق سيادتها على أوروبا [illegible] وبين السيادة العالمية ، وكان هتلر [illegible] مركز الثقل الدولي يتحول [illegible] الباسيفيكي وأن منطقة الأطلنطي [illegible] الخطوط النظرية للتحالف الألماني الياباني ضد الشيوعية وقد أبرم في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٦ [illegible] في ١٦ [illegible]

[illegible] على [illegible] تحقق لها سيادة جزيرة العالم »

ورد بعض [illegible] على [illegible] في الحرب [illegible] في نظرية ماكيندر خاصة وفي قواعد الجيوبولتكس عامة .

[illegible] أمريكا في [illegible] المحيط الأرضي للسيطرة على قلب الأرض فهو يقول « [illegible] على [illegible] الأرضي يسيطر على أوراسيا ويملك قلب الأرض ومن يسيطر على [illegible] العالم » وتقوم على تقوية دفاعات المحيط الأرضي [illegible]

على [illegible] كتلة [illegible] سطح الأرض و[illegible] على طرق وممرات [illegible] حتى [illegible] من استخدامها في الهجوم، و[illegible] اهتمام الولايات المتحدة [illegible] سطح الأرض [illegible] يمكن أن يمتد إلى العمق الاستراتيجي الذي تهيؤه طبيعة الجزر الأفريقي الذي يمتد إلى أقصى [illegible] نحو الجنوب ويتصل اتصالا جويا وبحريا مباشرا مع كل من أمريكا واستراليا وآسيا الجنوبية الشرقية وأوربا الغربية

[illegible] السياسة الخارجية لها .

[illegible] الجيوبولتكس فضلا عن تأثرها بطبيعة التسليح [illegible] الجيوبولتكس

[illegible] يشغل حيزا متجانسا من الأرض له مزاياه المحددة من وجهة نظر الجيوبولتكس والجيوستراتيجي [illegible] وحدة إقليمية ثابتة في ذاتها ولها [illegible] لاتصال هي الدوام بالوحدة العالمية ومركز [illegible] في العالم في عهد الامبراطورية المصرية القديمة على هذه [illegible] مركز [illegible] والاستراتيجي في العالم [illegible] القوة الذي [illegible] الذي تصارع فيه تقوى [illegible]

وفي عهد الدولة الإسلامية تحول [illegible] انتقل [illegible] وظل قائماً فيه حتى تحول إلى أوربا الغربية .

وعندما تحول مركز الثقل الدولي إلى أوربا الغربية أصبح الشرق الأوسط مجال صراع وتنافس للقوى الكبرى وأخذت أهميته تتزايد حتى لينتظر أن يصبح مركز الجاذبية الاستراتيجية في العالم بالنسبة لعدد [illegible] الحربية [illegible] على أرضه في الوقت الحاضر كما [illegible] في كوريا [illegible] الولايات المتحدة والشرق الأدنى .

وقد أدرك [illegible] في عصر هتلر [illegible] القوى [illegible] الكبرى [illegible] على هدى نظريات الجيوبوليتكس تقول أن الشرق الأوسط يقع في أقرب مكان إلى قلب الأرض وأنه يكون جزءاً من [illegible] الأرض [illegible] قلب الأرض [illegible] نفسها كما يرى ماكيندر [illegible] الأرض وهي الجزء الوحيد من قلب الأرض الذي [illegible] سيطرة روسيا [illegible] سيطرة روسيا على قلب الأرض حسب [illegible] الأرض [illegible] الذي [illegible] الأرض في أوربا الشرقية حتى حدود روسيا [illegible] كانت أوربا الشرقية كما يرى ماكيندر هي المكان الطبيعي الذي يمكن منه تهديد قلب الأرض [illegible] الشرق الأوسط كما يراه في الوقت الحاضر هو الحصن الطبيعي في الجنوب لقلب الأرض [illegible] هو [illegible] الأرض الذي [illegible] على قلب الأرض في جنوبه الأوسط وقد كان [illegible] قد قام [illegible] أوربا الغربية من خطر قلب الأرض [illegible] أوربا الغربية من سيطرة قلب الأرض [illegible] على العالم [illegible] أصبح من الضروري أن [illegible] في الشرق الأوسط [illegible] قلب الأرض [illegible] دون [illegible] استكمال حيزه الأرضي في إيران

وقد كان ماكيندر من [illegible] في [illegible] قلب الأرض [illegible] إيران في [illegible] سيطرة روسيا على إيران [illegible] القوى في الشرق الأوسط [illegible] ويجعل من العسير على أي قوة أخرى [illegible]

فالشرق الأوسط وحدة إقليمية ظلت طوال تاريخها شديدة الاتصال [illegible]
[illegible] وهذه مظاهرها [illegible] في ذاتها فهو كوحدة إقليمية يكاد يكون
وحدة سياسية تتفق حدودها مع حدوده الإقليمية ولا نعني بوحدة [illegible] هنا
وحدة الأنظمة الحكومية [illegible] في [illegible] ولكن [illegible]
هو [illegible] هذه [illegible] السياسة [illegible] فقد جرت سياسة [illegible]
في [illegible] على أن تنظر إلى هذا الإقليم ككل ولم تحاول أن تفصل بين أجزائه إلا
حين [illegible] الدول في [illegible] وحتى هذه [illegible] لم تتم إلا بالاتفاق
دون [illegible] واحدة [illegible] فيما بينها إلا أن وحدة [illegible]
جمعتها [illegible].

وتقوم [illegible] الدفاع [illegible] عن الشرق الأوسط على [illegible] هذه الوحدة
[illegible] الشرق الأوسط
[illegible] الاستراتيجي لوحدته السياسية والاستراتيجية [illegible]
[illegible] والصومال [illegible] في حدوده [illegible]
[illegible] للشئون [illegible] أن [illegible] الأوسط [illegible]
[illegible] العراق [illegible] الأوسط [illegible]
[illegible] وحدة [illegible]
[illegible] الأحداث [illegible]
[illegible] في أرضه.

[illegible] الأحداث [illegible] فهو موطن [illegible]
[illegible] الإسلام
في [illegible] وحدة الشعوب الإسلامية أقوى
[illegible] أن تقوم في العالم [illegible]
السياسة [illegible] أقوى [illegible]
ربط الشعوب بعضها ببعض وهي في الإسلام أقوى منها في أي دين آخر وقد بقي الإسلام
[illegible] شعوب الشرق الأوسط في وحدة [illegible] من العواطف والاعتقادات
والاتجاهات الحضارية إلى وقتنا هذا.

ولدراسة السياسة والا[illegible] في الشرق الأوسط [illegible] أن تقوم هذه الدراسة على فهم دقيق للاعتبارات المتقدمة على أن تتناول :

١ — دراسة هذا الإقليم كوحدة [illegible] من حيث الموقع وأهمية هذا الموقع وسط المجموعة [illegible] والعوامل الجغرافية والتاريخية [illegible]

٢ — دراسته كوحدة [illegible] في الاتصال [illegible] [illegible]

٣ — دراسته كوحدة إقتصادية تتميز بمواردها الكامنة ، وحاجة العالم [illegible] [illegible] الحاجة في الأهمية [illegible] يمكن أن تكون [illegible] [illegible] من [illegible] في [illegible] الاجتماعي والاقتصادي

٤ — دراسته كوحدة [illegible] من الثقافة والأفكار [illegible] في وحدة [illegible] وتحاول مع [illegible] المجتمع [illegible] في [illegible] [illegible] والاس[illegible]

في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في مصر و[illegible] الإسلامية في [illegible] وفي [illegible] من دعوة الجامعة [illegible] جهود الذي [illegible] من مكة وتسليل بيت النبوة أثناء الحرب العالمية الأولى .

و[illegible] في ذلك على الدراسة [illegible] من حيث موقعها [illegible] الذي تشغله وأهمية موقع [illegible] للكتلة [illegible] ثم [illegible] في [illegible] تلائم طبيعة الأرض و[illegible] وأخيراً مواردها البشرية والمعدنية والزراعية وقدرتها الصناعية و[illegible] الإستهلاكية ، و[illegible] في [illegible] على

مؤثرة في توجيه السياسة والاستراتيجية . كما تقوم هذه الدراسة على استقراء التاريخ وكيف تطورت الأحداث في سياقه حتى نتبين حقيقة العوامل التي توجه سياسته وأهدافه ومدى استجابة هذه السياسة للتيارات الخارجية للسياسة وما لأهدافه ومراميه من أثر في علاقاته الخارجية كما نعرف قدرته الحقيقية في دورة النشاط الدولي العام ومسار التطور والحضارة الإنسانية . ومنهم نعرف نوع السياسة التي توجه مواطنيه وعن آرائه فالشعوب كالأفراد لها عوامل السياسة التي تسيطر عليها وتوجه دروبها وأهدافها أو أهدافها أو تفرضها على نفسها

ومن ثم فهذه الدراسة شأنها أن تمكن الشخص الناشئ ومن تحضره من نواحي القوة أو الضعف والنشاط أو الجمود والتفوق أو التأخر فيخرج بصورة صحيحة لأحكامها وتقديرها حتى تبنى على هدى النور مستمدة من دعائم قوية من الفهم والمعرفة

الفصل الثالث

الأهمية السياسية والاستراتيجية

للشرق الأوسط

[illegible] موقع الدولة الجغرافي [illegible]

[illegible]

[illegible] موقع الجغرافي للدولة هو الذي [illegible]

[illegible] في [illegible].

وموقع الشرق الأوسط الجغرافي هو الذي [illegible] أهمية [illegible] في المعترك الدولي .

ويحتل الشرق الأوسط موقعاً جغرافياً [illegible] فهو [illegible]

كانت وما زالت منبع التيارات السياسية [illegible] في أرضه ، وموطن الحضارات القديمة والإمبراطوريات العظيمة التي قامت في [illegible]

و[illegible] الشرق [illegible] الشرق الأوسط [illegible] هذا [illegible]

[illegible]

واتجاهاته في [illegible] الدولي [illegible]

و[illegible] الشرق الأوسط [illegible] العصور [illegible]

القديمة والوسطى من تاريخ [illegible] الثقل [illegible] وكان

لتطور الاتجاهات الدولية في السياسة والاقتصاد [illegible] في الوقت [illegible] هذه

الأهمية تتسع وتتضح وأخذ مركز الثقل الدولي [illegible] حتى [illegible] هذه

[illegible] في [illegible] والخر [illegible] كشف عن [illegible]
[illegible] كل [illegible]

[illegible] الجيوبولتكس [illegible] موقع الشرق الأوسط العراق
[illegible]
[illegible] الذي يصل تلك الأرض الأصلي في أوراسيا ، وقلب
[illegible] الأرض الذي يحيط تلك
[illegible] على [illegible]

[illegible] الأرض هو الذي يقع في شرق
[illegible] والحرق في أي [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] في [illegible] الذي شغله
[illegible]

[illegible] روسيا في الوقت [illegible] على شرق أوربا ، وأصبحت تهدد غرب
[illegible] على [illegible]
[illegible] للكدة [illegible] عندما تبدأ الحرب إلا
[illegible] دون قتال كبير » .
[illegible]
[illegible]

[illegible] على
[illegible] العالم ما يصل إلى جنوب أفريقيا [illegible] وهي الحر الذي يشغله « قلب
الأرض الثانوي » . ومن هذا يتضح اهتمام أمريكا بالدفاع عن الممر الذي يؤدي إلى إفريقيا
[illegible] الجيوبولتكس [illegible]
[illegible] الذي [illegible] الأرض
[illegible] ، وكان اهتمامهم بتأمين المعابر البرية والمائية

[illegible] لا [illegible] عن اهتمام الأمريكيين [illegible] وسلامتها .

وقد كان [illegible] الشرق الأوسط في هذه [illegible] من [illegible] على [illegible] الشرق والغرب سواء [illegible] الطرق البرية ، أو من [illegible] حيث [illegible] [illegible] العربية والشام إلى [illegible] الخليج الفارسي إلى أرض الجزيرة [illegible] إلى أوربا

[illegible]

[illegible] ومصر

[illegible] البرتغال عام ١٥٨٤ وأصبحت [illegible] على

[illegible]

[illegible] فرنسا وقد وجدت أن كلا من انجلترا وهولندا [illegible] أرادت أن تنتهز هذه الساعة لإحياء الطريق [illegible] بينها وبين عرمائها ، ثم قوى هذا الاهتمام [illegible] عربية في عهد [illegible] مصر [illegible] ولم تكن

الرغبة من احتلال مصر ، أحياء الطريق البرى و [illegible] فرنسا [illegible]
وإن كانت رغبة الفرنسيين فى إنشاء مستعمرة شرقية تعوض عليهم ما خسروه من
مستعمرات فى صلح أوترخت عام ١٧١٣ وفى صلح باريس عام ١٧٦٣ هى [illegible] كانت
تحدوهم [illegible] لاحتلال مصر [illegible] على الطريق البرى واحيائه

ولم [illegible] هذا الاهتمام الفرنسى [illegible] الطريق البرى تقدم دون أن [illegible]
[illegible] الانجليز [illegible] نشاط [illegible] عن كثب [illegible] فى عقد
معاهدة [illegible] عام ١٧٧٥ ، وإن كانت هذه [illegible]
[illegible]
[illegible] على شركة الهند الشرقية التجارية ولكن ظهور
[illegible]
تحت إشرافها (وكان يحمل [illegible] « كارلو روسيتى » قنصل النمسا فى مصر)
قد أثار خوف الانجليز على مصالح شركة الهند الشرقية التجارية كما دفع الفرنسيين
إلى متابعة جهودهم لدى الباب العالى [illegible] لفتح الطريق البرى للتجارة الفرنسية
وقد نجحوا فى عقد ثلاثة [illegible] ١٧٨٥ [illegible]
[illegible] على [illegible] فى طريق صحراوى
بين السويس والاسكندرية [illegible] فى مصر
بعد أن ظلت معلقة منذ عام ١٧٥٦ على أثر ظهور كتاب « لجورج بلدوين » عرض
به لأهمية موقع البلاد الجغرافى وتجارتها وحاصلاتها و[illegible] وطرق مواصلاتها
ووسائل [illegible] بالنسبة [illegible] البحرية [illegible] بالهند
والخطر الذى تتعرض له المصالح البريطانية باحتلال الفرنسيين لها وكان [illegible] مصر
[illegible]

ويفسر لنا هذا الاهتمام الأوروبى المبكر بإحياء الطريق البرى [illegible] علاقات
[illegible] مع البلاد [illegible] موقع مصر [illegible]
الشرق والغرب .

ولكن [illegible] الاهتمام الأوروبى [illegible]

والحرب، إلا بعد أن فقدت فرنسا عظمتها العسكرية في مصر تلك العظمة التي أخرجها من حيز [illegible] عبقرية نابليون وطموحه وثاب في مستهل القرن الثامن عشر وأحدث [illegible] تستطيع [illegible] أوربة [illegible] بعد ذلك تاريخ حق وقتنا هذا

[illegible] مصر أهمية [illegible] الإمبراطورية [illegible] في [illegible] هذا

ولم تكن أهمية مصر [illegible] في ذلك [illegible] حتى عام ١٨٦٩ عندما [illegible] قناة السويس وفتحها للملاحة لتتمثل إلا في أنه طريق [illegible] إلى الهند والبحار الموصلة [illegible] مصدر الخامات [illegible] التجاري [illegible] أوربة [illegible] مصر [illegible] من هذا الطريق [illegible] مشروع [illegible] على [illegible] الطريق [illegible] الهند وكان [illegible] في هذا المشروع [illegible] الفرنسيين من مصر وأصبحت سلامة هذا الطريق في موضع اعتبارهم منذ ذلك الوقت وكان هنالك [illegible] محمد علي [illegible] في ذلك [illegible] من الأرض تستطيع أن تتحكم في طريق [illegible] في تلك البلاد ولا سيما بعد أن وصل نفوذ محمد علي إلى شواطئ شبه جزيرة العرب [illegible] من جهة أخرى [illegible] شاه فارس عواطف الود. ولم يكن هذا التوسع الجديد موضع رضاء انجلترا فقد أخذ محمد علي [illegible] طموح [illegible] تحولات [illegible] سياسة [illegible] في مقاومة طموح محمد علي لم تكن [illegible] في المحافظة على كيان

[illegible] تلك [illegible] عام ١٧٩١ [illegible] محمد
علي كان يهدد سلامة الدولة [illegible] خطرا ولايتفق بلمرستون أن تهديد
محمد علي [illegible]
في [illegible] في معاهدة هنكيار سكلسي عام ١٨٣٣

وقد كانت انجلترا في حاجة لمصالح الاستراتيجية في [illegible]
[illegible] مصر [illegible]
[illegible] إلى امتلاكها أو احتلالها أو بسط نفوذها عليها في
ذلك [illegible] على امتداد هذا الطريق
[illegible]
[illegible] ١٨٠ [illegible] ١٨٣٦ [illegible]
[illegible] ١٨٧٨ [illegible] وسياق عن قبرص وكانت قد وضعت يدها
على [illegible] عام ١٧٠٤ [illegible] ١٧ [illegible]
تبسط نفوذها على [illegible]
[illegible] سلامة الدولة [illegible]
في [illegible] حدود [illegible] على
[illegible] عليها في شرقي آسيا وجنوبها الشرقي

[illegible] على مصر [illegible]
[illegible] في [illegible] في ذلك [illegible]
في [illegible] أخرى أو احتكار [illegible] مصر [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] في [illegible]
[illegible] على مصر [illegible]
للطريق [illegible]

[illegible] مصر [illegible]
موقع مصر [illegible] من ناحية أخرى

إنشاء [illegible] في [illegible] كما وضعها [illegible] في [illegible] حكومة [illegible] عام ١٧٧٦ [illegible] في [illegible] لدى [illegible] غير مباشر إلى إمكان إنشاء قناة تربط [illegible] دمياط بالبحر الأحمر .

وقد درس علماء الحملة الفرنسية فكرة [illegible] بينهما ، تلك الفكرة [illegible]

[illegible] لا صورة من صور الإلهام الفرنسي [illegible] وذلك أن الفرنسيين لم ينسوا أبداً أحلامهم [illegible] في مصر [illegible] الهند بتحويلها إلى طرق تصلح لهم

[illegible] ١٩٠٤ ، وكان [illegible]

وكان [illegible] عام ١٨٩٩ [illegible] كما صارت المعبر الأول لتجارة الشرق [illegible] طرق الاقتراب البرية إلى شرق [illegible] يصل بين الشرق والغرب ، وقد قاومت انجلترا مشروع [illegible] مشروع الخط الحديدي بين السويس والإسكندرية [illegible] الخط الحديدي [illegible] وكان [illegible] مشروع في عهد محمد علي [illegible] الخوف من أن يكون [illegible] ، وكان تشجيعها [illegible] الخط الحديدي في عهد عباس [illegible]

من شق قناة ، تكون للفرنسيين دخل في شقها ، أو الإشراف عليها . ولكنها [illegible] أن [illegible] شق القناة ، فاحتلت [illegible] في مدخل البحر الأحمر الجنوبي عام ١٨٥٧ وكان من نتائج شق القناة أن أخذت ترنو بأبصارها إلى قبرص حتى تشرف منها على هذا الشريان [illegible] ، وسمحت لها تركيا باحتلالها عام ١٨٧٨ ، ثم ظفرت بشراء نصيب مصر من أسهم القناة ، وكانت صفقة اقتنصها دزرائيلي الداهية دون أن [illegible] مصر [illegible] ، وكسبت [illegible] ومركزاً ممتازاً في شركة القناة [illegible] الأعضاء في مجلس الإدارة حتى بيع [illegible] ، وعلى الضد من ذلك ضعف نفوذ فرنسا [illegible] في مصر ، وكان قد [illegible] تدهور بعد هزيمتها أمام بروسيا عام ١٨٧٠ .

وكانت [illegible] من أهم العوامل التي حملت انجلترا على احتلال مصر عام ١٨٨٢ ، وصارت القناة منذ ذلك الوقت [illegible] من [illegible] مصر [illegible] أهم [illegible] في [illegible] أهم من مصر نفسها

وباحتلال [illegible] مصر أصبحت [illegible] على [illegible] سواحل [illegible] ، [illegible] حلفاء مصر ، ولكن [illegible] من [illegible] على امتداده من جبل طارق إلى عدن وبريم وسقوطرة التي احتلتها عام ١٨٧٦ .

ومن [illegible] في [illegible] [illegible] ، [illegible] موقع [illegible] [illegible] والدردنيل ، [illegible] البحر الأسود [illegible] [illegible] على [illegible] ، [illegible] ضمن حدود [illegible] ، وقد [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible]

و[illegible] البحر الأسود [illegible] المتوسط ، [illegible] الذي [illegible] ، وقد أصبحت الرغبة في السيطرة على [illegible] قاعدة من قواعد

سياسة روسية [illegible] لم تذكر حتى الوقت الحاضر [illegible] إلا ثغرة
وحيدة [illegible] خرسن [illegible] دفعتها ظروف [illegible] الداخلية إلى [illegible] والابتعاد
عن مشاكل [illegible] الخارجية ومهادنة [illegible] دفعتها الظروف إلى مهادنة
[illegible]

وقد حرصت [illegible] على [illegible] سلامة [illegible] حتى تكون حجراً تحول
دون [illegible]
الإمبراطورية بالسيطرة على [illegible] الأبيض [illegible]

وكان [illegible] المواصلات [illegible] الخطوط [illegible]
[illegible]
جديداً في زيادة أهمية الشرق الأوسط السياسية والاستراتيجية. فما لا ريب فيه أن
[illegible]
[illegible] الخطوط [illegible]
وانتشارها.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الدولة
العربية أو تحت نفوذها.

وقد [illegible] ثم أخذت
[illegible] في الخليج العربي.
[illegible] للمشروع [illegible] أن تقدم
[illegible] الإنجليزي في [illegible] عام ١٨٩٢ يقترح على حكومته [illegible] التجارة الألمانية
في الخليج العربي حتى تكون ذلك [illegible] روسية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الشرق والغرب ، وكان لصلاحية جوه [illegible] في قيام شركات [illegible]
به ، وحسن الإقبال على [illegible] في [illegible] بلاده ، وأنشئت [illegible] جوية [illegible]
في مختلف بلاده تهبط فيها الطائرات [illegible]
وتحمل البضائع والرسائل .

ويبدو هذا الجانب من أهمية الإسراع [illegible] الشرق الأوسط [illegible] في [illegible]
السلسلة من القواعد الجوية الأمريكية التي تنتشر في بلاده ، والتي تتأهب منها
الولايات المتحدة لإرسال [illegible] وناقلاتها للهجوم ، وتدمير حشود العدو وقواته
وقواعده ومصانعه ، وبذر الخراب في أرضه عندما يدق ناقوس [illegible] .

ومن [illegible] أمريكية في الشرق الأوسط [illegible]
في إمارة الحسا بالمملكة العربية [illegible]
البترول الغنية في [illegible]
يمكن أن تكون [illegible]
ومراكز [illegible] في مرحلة [illegible]
أيضاً قاعدة هامة جوية في [illegible]
تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وتسيطر على خط [illegible] بين مجرى
[illegible] سواحل ليبيا ، ولا [illegible]
[illegible] أفريقية [illegible] ، كما لا [illegible]
[illegible] للوصول في [illegible]
الأمريكية [illegible]

ولست أهمية الشرق الأوسط في موقعه المتوسط من مواصلات [illegible]
أنه [illegible] خطوط [illegible]
[illegible] دواعي أهميته [illegible]
مناطق [illegible] في الجنوب والشرق ، [illegible]
وقد [illegible] طويلاً [illegible]

[illegible] مواصلة [illegible] و [illegible] ولعود ، وقد عملت انجلترا على [illegible] أصبح [illegible] على [illegible] في تملكها [illegible] وقت [illegible] [illegible] كل [illegible] من هذه [illegible]

وقد [illegible] على [illegible] [illegible] على [illegible] وأفغانستان ، [illegible] إلى [illegible] المدى . وقد استعان الروس على تحقيق أهدافهم هذه بكل الوسائل فشجعوا [illegible] على الهجرة ، واتخذوا من [illegible] حيناً منقطع النظير ، تغلبوا [illegible] على [illegible] في [illegible] ذلك كل [illegible] [illegible] من النوع الذى يطلق عليه « الإستعمار تحت حماية [illegible] »

و [illegible] الروسى الذى أصبح [illegible] في الهند [illegible] على [illegible] في [illegible] [illegible] مع [illegible] في الإستيلاء [illegible] حكومة [illegible]

و [illegible] أعدى [illegible] وكان [illegible] [illegible] من كل [illegible] والأ [illegible] الأستثمار المالى لمرافقها وثروتها .

وكان كل [illegible] من [illegible] في [illegible] هو [illegible] الخطر الروسى عن مناطق نفوذها وتأمين [illegible] الخليج الفارسى [illegible] طريق الهند البحرى [illegible] للهند [illegible] [illegible] وأحد [illegible] [illegible]

وقد جرت [illegible] أطماع [illegible] في فارس على غرار [illegible] حول الدولة العثمانية ولم يكن [illegible] تقسيم فارس [illegible] وبين روسيا [illegible] بعد الحرب الفارسية الأفغانية عام ١٨٣٦ وتوتر العلاقات [illegible] فارس بسبب هذه الحرب التي أوقد نارها [illegible] إلى عداله للانجليز ، ولم تتمكن [illegible] مصالحهم وعمل روسيا على [illegible] الأسس التي [illegible] التدخل في شئون [illegible] ما يجعل [illegible] .

ولم يكن [illegible] فارس [illegible] حول تقسيم الدولة العثمانية فلم تكن فارس تهم غير انجلترا وروسيا فحسب .

وقد [illegible] لتقسيم فارس إلى منطقتي نفوذ ، الشمالية منها لروسيا والجنوبية لإنجلترا [illegible] المتوسط ، وذلك عندما خرجت روسيا من حربها مع اليابان عام ١٩٠٥ مغلوبة على أمرها مدحورة وحطمت سياستها الأسيوية ، وقد تم هذا الاتفاق الودي بين انجلترا وروسيا سرا عام ١٩٠٧ وكسبت إنجلترا اعتراف روسيا بمصالحها في جنوبي فارس [illegible] أسواق للبترول [illegible] عام ١٩١[illegible]

[illegible] موقع [illegible] الأوسط [illegible] آخر [illegible] ذلك هو [illegible] أرض الجزيرة شرقا وشبه جزيرة البلقان غربا [illegible] الأسود والبحر الأبيض المتوسط [illegible]

وقد ظل هذا [illegible]

[illegible] عبورها إلى العالم الخارجى
موقعها الذى كان ومازال يحتل أسمى مكان فى هذا الحاجز .

[illegible] على السياسة التى وضع قواعدها وليم بت [illegible] تحول دون
[illegible] سلامتها محافظة على سلامة هذا الحاجز [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الشرق من الشمال واليونان وكريت وجزر بحر إيجه على رأسه من [illegible] [illegible] أهم مكانين منها وهما مصر وليبيا [illegible] ليبيا بعد الحرب الثانية حينما كانت تعرض [illegible] هيئة الأمم المتحدة .

ويمكن لقوات [illegible] الشرق للسيطرة على الدانوب الأدنى والوصول إلى [illegible] [illegible] وحماية الجناح الأيسر [illegible]

٢ — [illegible]

٣ — [illegible]

[illegible]

إلى قناة السويس والاستيلاء عليها عسكرياً [illegible]
في حسم المشكلة العربية

أما من الجانب الآخر [illegible] البترول في القوقاز والى الوادى الفولجى وجبال أورال الى [illegible] روسيا [illegible] على هذه المناطق [illegible] القبض على عنق روسيا [illegible]

[illegible] من المحيط الأطلسى [illegible] روسيا [illegible] الذى لا [illegible] روسيا [illegible] والذى يكون العمق الإستراتيجي للدفاع الغربى .

[illegible] كاملا [illegible] المحيط الأطلسى [illegible] الشرق الأوسط [illegible] المتحدة إلى تكوينه في شرق آسيا .

وتهتم انجلترا اهتماما خاصا بتكوين حلف للدفاع عن الشرق الأوسط بعيدا عن [illegible] المتحدة [illegible] الأطلسى [illegible] الشرق الأوسط [illegible]

وقد يتبادر الى الذهن أن ارتباط الدفاع عن الشرق الأوسط [illegible] وحقيقة أن هذه الاعتبارات [illegible] والإستراتيجية تقوم على تقدير [illegible]

الذاتية فحسب فإن رغبة دول الشرق الأوسط بعدم الاندفاع في معركة معناه أنها لا تحب
أن تنحاز إلى أحد المعسكرين ضد المعسكر الآخر وتكون في صف أعدائه مما يدعوه
إلى سرعة اكتساحها في بداية الحرب حتى تأمن ثأره وتحقق سلامته لأنها وأنها تقع
طرق الإمدادات الرئيسية إليه، والأفضل أن تكون الشرق الأوسط منطقة محايدة تحترم
الدول حيادها وتحول دون عدوان أي كتلة منهما على الأخرى فيه هذا إذا نشبت الحرب
الدولية ثانية ورغبتها في سلام حقيقي لا تعكره أطماع خبيثة أو رغبة في
العدوان .

ولو أجمعت دول الشرق الأوسط على حقيقة التوحيد والاستقلال ودول
العرب لاستطاعت أن تؤمن نفسها وتفرض حيادها وتكون كتلة ثالثة تحفظ التوازن
بين الكتلتين المتنازعتين وتؤمن سلام العالم .

ولكن يبدو أن محنة السلام العالمي هي في أخطار المنافسة بين القوى الكبرى في
العالم هذا إذا افترضنا أن ليس لكل منهما أطماع خاصة تثير كوامن الشر وتؤججها
حيناً وهي أول ما يثير الحرب ويذكي لهيبها .

فالحرب إذن ضرورة تثيرها الأطماع الخاصة بالقوى التي تتنافس وتعمد صراعها
فيندفع الشعوب الضعيفة والأمم التي لا مصلحة لها أن تقع في مخالب التنافس بين
القوى الكبرى وتطاحنها .

ويقع الشرق الأوسط في قلب هذا الصراع من معركة التنافس والقوى المتنافسة
على أرضه وهذا ما عبر عنه الأمريكيون في كتاب « أمن الشرق الأوسط » بقولهم
« لقد وقف كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وجهاً لوجه في الشرق الأوسط
وهذا الالتقاء مجرد حادثة في صراع أعم بين الدولتين والذي تعد مراحله
متقاربة ، وخلال الفترة ونتيجة هذا لا يمكن فصل أمن الشرق الأوسط عن
مشكلة الأمن العالمية في مواجهة الولايات المتحدة وشركائها معها هم في تلك
المشكلة » .

وتوضح هذه [illegible] سياسة الولايات المتحدة [illegible] في الشرق الأوسط [illegible] الذي يرى أن الدفاع عن الشرق الأوسط [illegible] ولا بد من الدفاع عن [illegible] وصيانة أمنه

[illegible] في [illegible] أن [illegible] الشرق الأوسط [illegible] الأحلاف ولا [illegible] الدفاع عن [illegible] الأقدم وسلامة [illegible] أمريكا [illegible] أن الدفاع عن الشرق الأوسط [illegible] بالمحافظة البريطانية ذات النفوذ التقليدي [illegible] عليها أن تبقى على مظاهر هذا النفوذ وتحميه من [illegible] الولايات المتحدة [illegible] الأحلاف [illegible] الولايات المتحدة [illegible] على كل من [illegible] من أجل [illegible] في الولايات المتحدة [illegible] الخلاف بين الحليفين [illegible] في الأزمة الحاضرة [illegible] للإمبراطورية البريطانية أن تعيش [illegible] الولايات المتحدة [illegible]

[illegible] الولايات المتحدة [illegible] سلامة [illegible] على [illegible] نفوذها ولا [illegible] على [illegible] حرصها على [illegible]

وقد [illegible] في [illegible] الحربين [illegible] مع كل من الدول [illegible] لنفوذها كالعراق وشرق الأردن ومصر فضلا عن الحقوق التي

[illegible] فقدتها في [illegible] الخليج الفارسي و[illegible] عودتها لتقدم في إيران التي تقوم على [illegible] شركة البترول الإنجليزية الإيرانية وحقوقها في تلك البلاد .

ويبدو أن عقد معاهدات الثنائية فضلا عن حقوق الامتيازات التي كسبتها إنجلترا [illegible] أن كل [illegible] هذه البلاد معها في حالف دائم وتنسق سياستها الخارجية بما يتفق ووجهة نظر بريطانيا وحق إنجلترا في استخدام مرافق كل منها ومواردها إذا ما اشتركت في حرب وأن هذه المعاهدات تمنحها حق احتلال قواعد استراتيجية [illegible] ترى أنها ضرورية للدفاع عن مصالحها ونفوذها فيها .

ومن أهم هذه القواعد الاستراتيجية التي حددتها هذه المعاهدات الثنائية قاعدة قناة السويس في مصر وقاعدة البصرة والحبانية في العراق ثم شرق الأردن فقد أصبحت [illegible] القاعدة الكبرى [illegible] في رأيها ضرورية للدفاع عن البلاد [illegible] أشبه ما تكون بمحمية بريطانية .

وقد كانت بريطانيا [illegible] الأدنى الشرق الأوسط [illegible] وبين [illegible] وبين دولتي المحور من ناحية أخرى [illegible] التي لا تخضع لنفوذها المباشر وتشجعها على التكتل والتعاون وتبادل المشورة في [illegible] الخارجية وفي ظل هذا الاتجاه تم إبرام ميثاق سعد آباد عام ١٩٣٧ بين [illegible] بريطانيا باستقرار السياسة في البلاد التي تناهض [illegible] من ناحية روسيا ومن [illegible] من ناحية إيطاليا أو ألمانيا التي أخذت تقوى وتتوسع و[illegible] قيود معاهدة فرساي [illegible] وهي أمر [illegible] ١٩٣٩ [illegible] لا تخرج عن أهداف ميثاق سعد آباد بل أن معاهدة أنقرة كانت أكثر صراحة في ذكر التعاون [illegible] في حالة نشوب حرب [illegible] منطقة البحر الأبيض المتوسط من ميثاق سعد آباد .

وبتزايد الخطر الروسي ووضحا للعيان بعد الحرب العالمية الثانية والحرب دائرة رحى وبوادر الخطر الروسي على الأبواب تلوح في الأفق أدركت بريطانيا أن غنى لمصر هو خروج روسيا من عزلتها ومحاولتها تطوير مواطن استنادها ولنفوذ في العالم كما كانت تفعل طوال [illegible] و[illegible] في [illegible] خلال الحرب وأحدث [illegible] ادراكا وضحا أن [illegible] الشعوب [illegible] رهن [illegible] الشعوب نفسها فأخرجت إلى الوجود فكرة الجامعة العربية متضمنة من [illegible] في الاستعمار سياسة [illegible] الخلافات العنصرية والمذهبية بين الشعوب وكانت ترمي من وراء [illegible] فكرة الجامعة العربية [illegible] المجموعة الكبرى من الشعوب الإسلامية العربية والتي تشغل قلب العالم الإسلامي ومركز [illegible] في [illegible] أمام الخطر الروسي [illegible] في مطلع الأفق

وقامت الجامعة العربية [illegible] على [illegible] في أن [illegible] سياستها مرسومة [illegible] مصر [illegible] [illegible] في دولها وحركت أصحاب [illegible] من [illegible] [illegible] في هذه [illegible] الأمر [illegible] [illegible] الاستعمار [illegible] [illegible] في [illegible] في أعقاب الحرب الأولى [illegible] الحرب [illegible] وخطورها فقد لاحت في الأفق فقد كانت [illegible] [illegible] في [illegible] الإسلام [illegible] الذي [illegible] ووضع قواعده وأسسه في [illegible] [illegible] [illegible] نظن أنهم قادرون على [illegible] من [illegible] و[illegible] من قوته

ثم [illegible] من ناحية أخرى [illegible] علاقاتها [illegible] هذه المجموعة على صورة لتطور [illegible] و[illegible] في [illegible] بعد الحرب [illegible] وذلك في شكل [illegible] جديدة أو تعديل معاهدات قديمة وكان هدفها من كل هذا [illegible] بالدفاع المشترك وهو [illegible] هذه الدول [illegible] وعسكريا [illegible] بريطانيا في السلم والحرب

وقد [illegible] علاقة بريطانيا مع مملكة الأردنية الهاشمية من هذه الناحية وهي [illegible] إلى [illegible] مع مصر والعراق [illegible] لاستمرار [illegible] في الشرق

العربي ، كما يرجى من تحقيق أحد مشروعي الهلال الخصيب أو سوريا الكبرى أن تمد حدودها إلى دولتي الشرق أيضا

وقد توقف [illegible] في [illegible] الحديدة ويشتق هذه [illegible] مصدر [illegible] والزاج [illegible] على [illegible] الذي [illegible] في الشرق أمام الخطر [illegible] في [illegible]

[illegible] الشرق الأوسط والعوامل السياسية التي [illegible] هذه الأهمية ولكن أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية لا تنحصر في موقعه [illegible] في عامل [illegible] من [illegible] هذه الأهمية [illegible] ويتمثل هذا العامل في موارده الإنتاجية [illegible] كل [illegible] من صناعات أو [illegible] حربية أو مواد [illegible] وقد [illegible] في وقت [illegible] من أي وقت مضى [illegible] الحرب الحديثة [illegible] كل [illegible] الدولة [illegible] وكلما [illegible] مواردها كلما زاد جهدها في الحرب

أما [illegible] الحربية [illegible] معدومة تماما [illegible] ومع ذلك [illegible] لا [illegible] الحرب [illegible] العديدة

وقد [illegible] الحرب [illegible] صناعات [illegible] ضروراتها ولوازمها [illegible] من الخارج ولكنها [illegible] مثلاتها في [illegible] الأوربية وكان [illegible] في [illegible] الحرب

وأهم [illegible] في الشرق الأوسط هي [illegible] الزراعية والحيوانية وقد [illegible] في تموين الجيوش [illegible] كالملابس والأغذية المحفوظة

[illegible] ، ولكن حتى هذه [illegible] لا [illegible] حاجة الجيوش [illegible] التي يمكن أن تحشد في هذه المنطقة خلال الحرب .

[illegible] في هذه المنطقة سيما لجودة أراضيها وخصوبتها وصلاحية [illegible] في بعضها ولكنها ما زالت تعتمد على وسائل الزراعة [illegible] كثيراً من [illegible] ولا [illegible] في [illegible] موضع [illegible] في [illegible] الأمر [illegible] المنطقة على تموين الجيوش [illegible] وقت الحرب كما تهدف المعونة الفنية [illegible] أوفر إنتاجاً وأوفى غلة كلما كانت [illegible] على [illegible] الاعن رواج سوقها [illegible] الاقتصاد [illegible]

[illegible] في هذه المنطقة [illegible] وهي قابلة للنمو إذا استخدمت الطرق الفنية في تربية ماشية [illegible]

وقد [illegible] في حرب [illegible] الإمداد والتموين في الشرق الأوسط [illegible] الأسلحة [illegible] على [illegible] في وقت عرفت فيه وسائل الإمداد [illegible] وقد حاجة الجيوش التي تعسكر فيها

ولا [illegible] من [illegible] الأوسط [illegible] مظاهر [illegible] من مظاهر [illegible] في [illegible] الحرب [illegible] على [illegible] تتمثل [illegible] في ذلك [illegible] الذي [illegible] أرضه منذ بداية القرن العشرين ، و [illegible] على [illegible] رؤوس الأموال الأجنبية

التي حصلت [illegible] على حق [illegible] وعدم [illegible] في [illegible]

و[illegible] الشرق الأوسط [illegible] حروب [illegible] منطقة [illegible] أو حاجزاً [illegible] فحسب ، بل أصبح [illegible] مورداً هاما لأهم مادة استراتيجية تتحكم في آلة الحرب [illegible] ، كما أصبح موطناً [illegible] للاستعمار [illegible] الأجنبية

و[illegible] أهمية [illegible] الشرق الأوسط من [illegible] ولا [illegible] أن نفرد له فصلا خاصا نتناول فيه موضوعه بإسهاب .

و[illegible] الشرق الأوسط [illegible] من [illegible] القطن [illegible] مصر [illegible] في [illegible] زراعة [illegible] المصرية والدعامة [illegible] في [illegible] القطن المصري [illegible] في [illegible] مصر [illegible] في [illegible] القطن . وقد بلغت كمية الصادر من القطن المصري عام ١٩٥٠ ، كتقرير مصلحة الجمارك المصرية ٣٨٦ر٤٠٨ طناً ، كان نصيب انجلترا منها ٩٣ر١٩١ طناً ، وفرنسا ٣٤ر١٠٧ طناً ، وإيطاليا ٣٧ر٥٤٦ طناً والولايات المتحدة [illegible]

ويدخل القطن في كثير من الصناعات الحربية [illegible] في غاية الأهمية للبلدان التي لا تجود فيها زراعته ، كما [illegible]

كما [illegible] في كثير من [illegible] كالكروم [illegible] والتحجير والحديد في مصر .

و[illegible] من [illegible] أهمية [illegible] الشرق الأوسط [illegible]

كثير وإن كان لا يقل خطراً عما ذكرناه من العوامل السابقة ، بل أن خطره سيكون في هذا الوقت أكثر منه في وقت مضى ، وهو القوى البشرية في الإقليم وحيث أن الشرق ... قلة السكان في الشرق الأوسط بالنسبة لسعة مساحته وامتداده إلى ضعف مساحة الهند تقريبا ، ولكنها لا تضم من السكان إلا سدس سكان الهند وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الصحراء التي تستوعب معظم مساحته قد طغت على مساحته الصالحة للحياة والأرض المزروعة في مصر مثلا تبلغ ١٣٫٠٠٠ ميلا مربعا بينما تبلغ مساحتها العامة ٣٦٣٫٠٠٠ ميلا مربعا ، وهذه المساحة المزروعة من أرض مصر هي أكثر جهات الشرق الأوسط ازدحاما بالسكان ويقدر عددهم بما يقرب من عشرين مليون (١٩٫٠٩٢٫٣٨٩ في تعداد سنة ١٩٤٧) ، وهم متكاثرون تكاثرا لا يعادله تكاثر من نوعه في أي بلد من بلدان العالم ففي تعداد سنة ١٩١٧ قدر عددهم بحوالي اثنى عشر مليون (١٢٫٧٥٠٫٩١٨) أي أن زيادتهم في مدى ثلاثين عاما تقدر بما يقرب من ستة ملايين نسمة ، بينما تخلو صحاريها من الحياة والسكان شأنها في ذلك شأن كثير من جهات هذا الإقليم فليبيا التي تبلغ مساحتها ٦٧٩٫٠٠٠ ميلا مربعا لا يزيد عدد سكانها عن ٨٢٥٫٠٠٠ من الوطنيين ونحو ١٠٣٫٠٠٠ من الأجانب ، أكثرهم من الإيطاليين الذين نزحوا للاستعمار ... لهم موسوليني زعيم إيطاليا الفاشستية ، والسعودية التي تقرب مساحتها من مساحة الهند لا يقدر عدد سكانها بأكثر من ستة ملايين نسمة

ويبلغ عدد السكان في الشرق الأوسط حوالي سبعين مليونا منهم في إيران ما يقرب من ١٧ مليونا وفي تركيا حوالي ١٩ مليونا وفي العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ما يبلغ ١٠ مليون نسمة ولا يمكن أن تعتبر هذه النسبة لذلك مصدرا صحيا للقوى البشرية

ولكن هذه القوى البشرية في الشرق الأوسط على ضآلتها ستلعب دورا كبيرا في خطة الدفاع الاستراتيجية وخاصة في الوقت الحاضر الذي اتسعت فيه رقعة الميادين تتنافس تجاه بعضها في العالم القديم من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلنطي بحيث من المحتمل أن تقف شعوبها الحرب في كل بقاع العالم القديم في وقت واحد تقريبا

أنه لو قامت الحرب [illegible] سيدور في ميدان أوربا في الوقت الذي يدور فيه في الشرقين الأقصى والأوسط وخاصة إذا ارتبطت بلاده بالمواثيق والتعهدات العسكرية [illegible] السلسلة الغربية [illegible] وعلى هذا يصبح على كل قطر من هذه الأقطار [illegible] في مجهود الحرب حسب قدرته وطاقته ومعنى ذلك أن يعد كل إقليم موارده البشرية لمجهود الحرب . ولهذا يبدو لهذا العامل من الأهمية في الوقت الحاضر ما لم يكن له من أهمية في أي وقت مضى . فقد [illegible] في الشرق الأوسط وكانت [illegible] من الهند واستراليا ونيوزيلاندا وأفريقيا أما في الحرب [illegible] هذه البلاد [illegible] ستكون [illegible] تستطيع [illegible] الدفاع عن [illegible] الأخرى [illegible] كانت [illegible] من جنود [illegible]

١

وقد ساهم الشرق الأوسط في الحرب [illegible] بمجهوده البشري [illegible] في القتال إلا في حالات قليلة [illegible] والأعمال الحربية [illegible] طرق [illegible] جهود فرق العمال المصرية في الحرب الأولى موضع [illegible] تلك الجهود الجبارة التي قام بها [illegible] مصريون في معسكرات بريطانية وفي خدمة القوات الحربية كما [illegible] المصرية في [illegible] خطوط المواصلات وفي [illegible] مساهمة [illegible] مارشال ويلسون [illegible] في كتابه [illegible] البريطانية ومشاهداته خلال الحرب العظمى الثانية

ولكن هذه الجهود التي ساهمت بها القوى البشرية في الشرق الأوسط في حربين عظيمتين [illegible] هذه الأهمية [illegible] في الوقت الحاضر والتي تتلخص في إمكان تجنيد قوة [illegible] لا تقل عن سبعة ملايين محارب بالقياس إلى قوة [illegible] العربي في شرق الأردن التي تتكون من [illegible] محارب بينما أن سكانه لا يزيدون على ٤٠٠٠٠٠ نسمة .

[illegible] على فرص [illegible] [illegible] وكان في [illegible] ومعاهدة جماعية لا [illegible] المعاهدات الثنائية التي إبرمت في فترة ما بين الحربين [illegible] إعلان الحرب [illegible] وإنما تنص على ضرورة [illegible]

[illegible]

[illegible] الأساسي للقادة المتحالفة [illegible]

[illegible] لاشتراك الدول الكبرى في حلف [illegible] مؤسسة في [illegible] الشرق الأوسط

[illegible] الميدان السياسي [illegible] التصريح الثلاثي المشترك [illegible] [illegible] ردا على مشروع الضمان الجماعي العربي

ترى أن الدول الثلاث لا تقبل [illegible] في الشرق الأوسط كما لا تقبل أن تتسلح هذه الدول أو تحتفظ بقوى مسلحة [illegible] على مقتضيات الأمن الداخلي والدفاع عن هذه المنطقة [illegible] مع غيرها من الدول [illegible]

ثم [illegible] الأسلحة [illegible] الشرق الأوسط [illegible] في الدفاع عن المنطقة [illegible] الغرب

[illegible] قبل أن ترتبط بسياسة الغرب الإستراتيجية

[illegible] السوفيتي وهي لا تضمن ذلك [illegible] موقفها السلبي الذي تتبعه دول الكتلة الشرقية من قضايا البلاد العربية ودول الشرق الأوسط .

وقد [illegible] الأوسط في [illegible] الذي [illegible]

ولا ترجع [illegible] الشرق الأوسط [illegible] إلى قوة هذه البلاد الصناعية وقدرتها على [illegible] الإستراتيجي التي [illegible] وإنما ترجع هذه الأهمية التي [illegible] في ضرورة [illegible] ومقتضيات الحرب الحديثة [illegible] مع دولة تنص على [illegible] التعاون الذي [illegible]

للعرب ويتعلق وستصبح الإستراتيجية ، يرجع إلى عاملين تتصف بهما الدول العربية في أعقاب الأولى بحيث تصبح مرتكزاتها للدفاع في هذه المنطقة وهما

أولاً — رغبة الدول العربية في أن تصبح بين استقرار داخلي لتحقيق والأمن الداخلي فيها في حالة قيام الحرب استقرارا يكفل سلامة قواعدها وخطوط مواصلاتها ومواردها وإمدادها بميدان القتال ، فلا تتعرض لثورات شعبية يمكن أن تهدد سلامتها تهديداً خطيراً يؤثر تأثيراً سيئاً على الجبهة الخارجية

ثانياً — حاجة هذه الدول الشديدة إلى استخدام الموارد البشرية في هذه المنطقة لا كما كانت تستخدم في الحربين الماضيتين ولكن في القتال الفعلي الذي يمكن أن ينشب في هذه المنطقة أو خارجها كما تلوح من أطماع [illegible] لتحقيق [illegible] من حيث الشرق الأوسط المقترح وحلف الأطلنطي ، وتعود هذه الرغبة الشديدة كما تقدم إلى ما تحتمه هذه الدول من امتداد الحروب القادمة إلى مناطق [illegible] كثيرة وعجز الإمدادات البشرية التي كانت تأتيها من وراء البحار عن أن تمدها [illegible] كما كانت تمدها في الحربين الماضيتين ولذلك تطمع أن تسد هذا النقص بأن تستعين بالموارد البشرية في الشرق الأوسط لتكون وقودا للمدافع بدل ذلك الوقود الذي كان يرد من الهند وأستراليا ونيوزيلندا وسيلان وغيرها من البلدان التي كانت تخضع لسيادة بريطانيا ونفوذها والتي ستشغلها مطالب الدفاع في ميدانها الخاص عن الاشتراك في عمليات حربية خارج هذا الميدان وذلك فضلا عما حدث في آلة الحرب وعملياتها من تطور يحتم جهد القوى البشرية على حشدها وسد مطالبها والعمل على وقف الموارد البشرية لحساب الحرب

ومعنى ذلك أن تجند الموارد البشرية في الشرق الأوسط لتعمل كقوات محاربة

في صفوف جيوش الغربية كأن عيش موارد منطقة الأخرى على سد حاجات حرب وحاجاتها .

هذه هي الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط تتمثل في موقعه المتوسط في رقعة العالم وموارده البترولية والبشرية وهذه الأهمية الاستراتيجية هي التي تكشف لنا أسرار السياسة التي سوقته وتغلغل في شؤونه وحدث إليه أنظار الدول الكبرى في العالم .

وقد بدأت مناورات السياسة الدولية تنصب في هذا الإقليم وترسم خطوطها التقليدية وحلقاتها كما اعتادت في زمنها منذ أن بدأت سياسة الاستعمار الأوربي للشرق تأخذ أوضاعها المرسومة في التوسع والاستعمار وجعل البلاد في ميدان قتال من المآسي والأزمات والجشع الذي يتبع سنن الحروب الدامية التي حاقت بالبشرية وأصابها من جرى لفتك عدم تقبله من ويلات الأوبئة والمجاعات والحروب التي شهدها العالم القديم .

الفصل الرابع

البترول
كعامل فى أهمية الشرق الأوسط

كانت [illegible] فى [illegible] فى [illegible] الإ[illegible]
[illegible] على دوام عمليات الهجوم وكانت تتكون
[illegible] وسرعة [illegible] على
[illegible] وكان تموين القوات عاجتها من الجنود والا[illegible]
[illegible] حربية يعتمد على حملات الدواب من [illegible]
[illegible] أن تمد القوات بما تحتاجه لأكثر من مدى معين [illegible]
[illegible] وكانت [illegible] الدال [illegible]
[illegible]

[illegible] فى [illegible]
[illegible] أن تؤثر فى مرونة الحركة
وخفة [illegible] مرونة [illegible]
[illegible] وسرعة [illegible]
[illegible] إلى خط الضرب وكان هذا الذى محدودا بالجهد
البدنى للإنسان والحيوان

ولكن القوات البحرية كانت أ[illegible] من القوات البرية
[illegible] إلى [illegible] وأصبحت بذلك
[illegible] وزادت سرعتها وعظمت
مرونتها وخفة حركتها عما قبل .

وكان [illegible] فى [illegible]
لنباتات على استغلال مناجمه واستخراجه وأصبحت ثروته فى [illegible]
فى [illegible]

وأحدث [illegible] فى [illegible]
وجبل طارق .

[illegible]

[illegible] وحشدها
[illegible] كبيرة عبر البحار مع
توفر عامل الراحة والأمن أكثر من ذى قبل

[illegible]
[illegible] القذائف فظهرت أنواع جديدة من المواد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] الحيوانية هى الأساس الأول فى تنظيم الجيوش [illegible] هذا التنظيم
[illegible] ميكانيكية وظهور
السيارة والطائرة بعد أن اخترعت آلة الاحتراق الداخلى .

ويعود الفضل في هذا التطور الخطير في عالمي الصناعة والحرب إلى توفيق المهندس الألماني جوتليب في اختراع محرك يسير بقوة البترول ، وترتب على هذا الاختراع واستخدام آلة الاحتراق الداخلي أن عظمت قيمة البترول الصناعية ولا سيما حين أخذ يحل رويداً محل الفحم في إدارة المصانع والآلات ووسائل النقل المختلفة وتسيير السفن .

وكانت القوات البحرية أسبق في الإفادة من هذا التطور الجديد من القوات البرية فقد أخذت الأساطيل باستخدام آلة الاحتراق الداخلي قبل أن تأخذ الجيوش بوسائل النقل الميكانيكية وأفادت السفن الحربية من هذا العامل الجديد في زيادة قوتها وسرعتها .

ولكن الحرب العالمية الأولى ما كادت تنشب حتى ظهرت قيمته في الميدان وكان أول [illegible] لها في معركة السوم وكان للدبابة مفاجأة [illegible] في معركة [illegible] الانكليز في استخدامها على العدو [illegible] أكبر عدد [illegible] بالخسائر للعدو [illegible] في معركة السوم

كما صاحب هذه الحرب أيضاً بدء استخدام الطائرة في العمليات الحربية كسلاح معاون وكان قد سبق للإيطاليين استخدامها في حملتهم على طرابلس ، كما ظهرت من قبل في مناورات الجيش الفرنسي [illegible] عام ١٩١١

وكانت هذه النوادر كلها توحي بما سيكون عليه عنصر القوات الحربية في المستقبل فما انتهت الحرب حتى أخذت الدول الكبرى في تطبيق وسائل النقل الميكانيكية وشمل ذلك القوات العسكرية فقد وضح لهم مدى ما يحققه ذلك من فائدة بالنسبة للسرعة في العمليات الحربية إلى درجة لا تمكن مقارنتها بالاعتماد على حملات الدواب

ومن وقت الحرب العالمية الثانية حتى أصبح تنظيم القوات المحاربة [illegible] ميكانيكياً تاماً وحلت الآلة تماماً محل حملات الحيوانات ونتيجة لتطور الأسلحة [illegible] دورها [illegible] القوات المدرعة محل فرق الفرسان القديمة ولم تعد [illegible] سلاحاً معاوناً [illegible]

أصبحت قوة [illegible] في كسب [illegible] وصار [illegible] حوى [illegible] عالم
الدول حديثة

ومن هنا [illegible] أهمية الحروب الاستراتيجية فهو الوقود الذي [illegible] الحرب [illegible] والحركة [illegible] من الحركة [illegible] قدرتها [illegible] من
قوتها وصولتها .

[illegible] الحرب [illegible] على [illegible] الذي [illegible] وقت الحرب [illegible] الحرب [illegible] من [illegible] القديمة

[illegible] في حرب [illegible] موارد الدولة من البترول للدمار أو التخريب
وقت الحرب كان هذا إيذانا بهزيمتها في ميادين [illegible]

[illegible] في [illegible]
جورج [illegible] من [illegible]
تساوي [illegible] من [illegible] في [illegible] آلة الحرب قد تحولت
بعد إلى آلة ميكانيكية تماما كما كانت في الحرب الثانية .

وأصبح البترول بعد التطور الأخير في نظم القوات الضاربة عصب الحروب
الحديثة [illegible]
في منابع البترول [illegible] في الأرض [illegible] في كل
مكان [illegible] من [illegible]

وقد دخل البترول كعامل جديد خطير في تاريخ الشرق الأوسط [illegible]
[illegible] النفط ودلت الأبحاث على عظم ما تحويه الأرض من
[illegible] المحقق والمضمون .

[illegible] ... وفق الفرع الأسـ[illegible] ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ... وكان أهمام الحكومة البريطانية [illegible]

[illegible]

واستطاعت أن تظفر بامتيازات جديدة في البلاد الأمريكية نفسها وأن تحدث رجال المال في أمريكا إلى المساهمة فيها وهذه تستطيع شركة [illegible] أن ترغم [illegible] في شتى [illegible] في مدة [illegible] أن تقضي عليها أو تلحق [illegible] أو توقف [illegible] وفي عام ١٩٠٢ تكونت شركة [illegible] للاستغلال [illegible] ونماها [illegible] كانت دون شركتين [illegible] قوة [illegible]

وكانت هذه الشركات أقوى من [illegible] ميدان الاستثمار الدولي في [illegible] وعلى [illegible] قامت شركات أخرى [illegible] في [illegible] من الذهب الأسود [illegible] من [illegible] حكوماتها [illegible] سبيل [illegible] واستغلاله [illegible]

وقد تأخر الكشف عن زيوت الشرق الأوسط حتى الوقت الذي كانت [illegible] شركة [illegible] في أمريكا وكانت شركة شل الهولندية الملكية [illegible] البترول [illegible] تستغل البترول [illegible] ولم يكن الكشف عن زيوت الشرق الأوسط قد تم بعد.

وكانت محاولة [illegible] أول محاولة من نوعها في بلاد الشرق الأوسط للتنقيب عن البترول وكانت بلاد فارس ميدان هذه المحاولة الأولى

وقد استطاع [illegible] على امتياز من شاه فارس عام ١٩٠١ باستثمار واكتشاف البترول واستغلاله في بلاد فارس كلها ما عدا الأقاليم الشمالية [illegible] من حدود روسيا وهي [illegible] وخراسان، فكان له [illegible] من الرقعة [illegible] بلاد فارس

وقد أنفق [illegible] ولكن [illegible] تدفق [illegible] في مسجد سليمان في [illegible] عام ١٩٠٨ ، حتى

أخذ يدب الأمل في نفسه وكان هذا بدء ميلاد شركة البترول الإنجليزية الفارسية [illegible] من قدره [illegible] من [illegible]

وهكذا قذفت الأقدار بمصير جديد أخذ يسطر خطوطه قوية عميقة في بلاد الشرق الأوسط الحديث وكان [illegible] دول من نوع آخر [illegible] من غاية الدول [illegible] دول ما كان لها من [illegible] وأصبح [illegible] مسرحاً عنيفاً لتنازع القوى [illegible] وهو البترول

وقد وافق ظهور البترول في الشرق الأوسط بداية طور جديد لا في تاريخ البترول وتطوره فحسب وإنما في تاريخ الحرب وتطور الآلة نفسها فقد ظل استخدام البترول قاصراً على أغراض [illegible] حتى تم اختراع محرك [illegible] كان [illegible] يستخدم [illegible] الأغراض [illegible] في الصناعة وفي وسائل النقل الميكانيكية

وقد ظهر اختراع المحرك [illegible] في دوائر الاستثمار [illegible] على أثر ظهور المصباح الكهربائي الذي اخترعه إديسون عام ١٨٨١ وانتشار استعماله انتشاراً أصبح يهدد المصباح البترولي بالزوال والفناء .

وكان اختراع المحرك الآلي الذي يدار بالبنزين بارقة أمل باسم في دوائر الاستثمار البترولي سرعان ما تحول الى أمل براق حافل بالمستقبل الرائع الذي ينتظر البترول في العالم الجديد عالم الصناعة والاقتصاد والتطور الآلي الرائع الذي شمل كل وسائل النقل

وظهرت أهمية البترول الإستراتيجية عندما أحدثت [illegible] الحرب [illegible] استخدام [illegible] الدبابة [illegible] لأول مرة في ميدان عام ١٩١٧ [illegible] كعنصر ثالث من عناصر الحرب وقد كان [illegible] كشفت عنه أحداث الحرب العالمية الثانية [illegible]

وأصبح البترول بعد هذا التطور [illegible] الذي حل [illegible] حرب عصب الحروب الحديثة وأضحى النصر لمن يسيطر على منابعه ويملك أضخم كمياته

وكان تشرشل [illegible] البحرية [illegible] أول من [illegible] أهمية البترول [illegible] عام ١٨٨٢ [illegible] سنة ١٩٠٤ كان [illegible] بحث أهمية هذا العامل الجديد البحرية [illegible] فتألفت لجنة في ذلك العام للتطرق [illegible] البحرية [illegible] البترول وتوفيره لها وتيسير حصولها عليه من مصادره عديدة

[illegible]
مواردها في بورما وأسام أن [illegible]
[illegible]
[illegible] تحت رحمة الامدادات الخارجية ولو كانت [illegible] الأسطول وقوته [illegible]

[illegible] ١٩ ٨٠٨ [illegible]
[illegible] بدلا من الفحم فإن ذلك يزيد من قوة [illegible]

وقد كانت بريطانيا تقيم محطات الفحم على طول الطرق [illegible] لتزويده بحاجته منه كجبل طارق وعدن، [illegible]
مصدر ثابت من البترول وأن يكون هذا المصدر [illegible]

[illegible] وفي خطوط مواصلات [illegible] الأسطول [illegible] بالوقود وكان
للوارد البترولية الجديدة في فارس [illegible] لمستعمرات البريطانية
وخطوط مواصلات [illegible] الأسطول [illegible] من [illegible]

ووجدت الحكومة البريطانية في هذه [illegible] عام ١٩١٤ على [illegible]
[illegible] ٥٦ [illegible]
[illegible] ثالثا [illegible] البحرية [illegible] حاجتها من البترول لا يخضع لسيطرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] لدى [illegible]
[illegible]
معاقل استراتيجية حماية هذا الطريق فحسب وإنما أصبح الخليج الخط الرئيسي الذى
لجأ إليه الأسطول [illegible]
[illegible] عام ١٩١١ [illegible]
[illegible]
وأغدقت الهبات على زعماء البختيارى في [illegible] فارس حتى تضمن معونة الأهالى
في منطقة [illegible] الأسطول في [illegible] وكان
ذلك في عام ١٩١٣ [illegible] الشركة [illegible] تأييد الحكومة لها وحماية مصالحها .

[illegible]
[illegible]
[illegible] الأسطول [illegible]
الحديد وأصبح [illegible] .

وقد كان [illegible]

الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد [illegible] استغلال البترول في العراق فمنح شركة خط حديد بغداد امتياز استغلال البترول [illegible] في سنة ١٩٠٣ وشرع في تكوين شركة [illegible] لاستغلال البترول في [illegible].

وكانت نتيجة الجهود التي [illegible] بها حكومة السلطان أن تكونت شركة البترول التركية لاستغلال البترول في العراق في أكتوبر سنة ١٩١٣ وساهم فيها [illegible] الألماني نيابة عن شركة خط حديد بغداد بنسبة ٢٥ ٪ من رأس المال وشركة البترول [illegible] بنسبة ٢٢٫٥ [illegible] وكان [illegible] ٤٧٫٥ [illegible] بنسبة ٥ ٪ من رأس المال.

وقد [illegible] ٪ ١٧٫٥ [illegible] من رأس مال الشركة [illegible].

وأصبح الشرق الأوسط بعد ذلك [illegible] على وفرة بتروله ميدانا [illegible] الاستغلال في أرضه.

وقد بدأت أعمال البحث عن البترول في مصر [illegible] قبل الحرب العالمية الأولى وتكونت شركة البترول [illegible] البحث عن البترول في منطقة [illegible] الحكومة المصرية [illegible] إلى مناطق أخرى في ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٣.

وقد أخذت الشركة في استغلال منابع البترول في جمسة [illegible] ثم [illegible] في [illegible] عن منابع [illegible] بالغردقة ثم منابع [illegible] وهي من أوفر منابع البترول في مصر انتاجا.

وقد [illegible] أعمال البحث عن البترول في البحر الأحمر وفي [illegible]
ولكنه [illegible] وبعد [illegible] مصر كمصدر [illegible]

وقد [illegible] أعمال البحث عن البترول في [illegible] الأوسط [illegible] الحرب [illegible]
الأولى وكان [illegible] من [illegible] الأمريكية [illegible]
[illegible] البحث عن البترول في [illegible] البحرين سنة ١٩٣١ [illegible]
[illegible] ١٩٣٥ [illegible] البحث عن
البترول في [illegible] على الخليج الفارسي، والعسير والحجاز على البحر الأحمر من المملكة
العربية السعودية [illegible] في [illegible]
وقد [illegible] من حكومة مصر [illegible] ١٩٣٧ [illegible] وذلك
في [illegible] من [illegible]

وقد [illegible]
١٩٢٥ [illegible] أعمال البحث عن البترول في
الجزء الجنوبي الشرقي من الأناضول

ولا [illegible] أخرى من الشرق الأوسط
[illegible]
[illegible]

وقد [illegible] الحرب [illegible] الأولى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقد [illegible] الأخرى
في هذه المنطقة عندما ظفرت بامتياز استغلال البترول في بلاد فارس ثم [illegible]
[illegible] في العراق ولم تمكن ألمانيا وهي صاحبة النفوذ
الأكبر [illegible] في ذلك [illegible] في ذلك [illegible]

[illegible] حتى [illegible] على ذلك [illegible] كما [illegible] في حرب [illegible]
[illegible] بريطانيا [illegible] على [illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible]

[illegible] أمريكا [illegible]
على ما [illegible] إليه الدولة [illegible] على [illegible]
النفوذ والسيادة في بلاد [illegible]
وبطالب [illegible] في [illegible] وكالة في
الشرق الأوسط وأ[illegible] في [illegible]
[illegible] بريطانيا [illegible] مداراة [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] والتنافس يقوى ، بسند بريطانيا فيه ما لها من نفوذ سياسي في
تلك البلاد ، كما يسند أمريكا نشاط شركاتها [illegible] العالمية [illegible] عصى
في [illegible] إلى [illegible] وتكاد تسبق [illegible] من [illegible]
في [illegible] في
[illegible]

[illegible] الشركات الأمريكية هي أول من [illegible] في
[illegible] في [illegible] وذلك [illegible]
أمريكا [illegible] شركات [illegible] في [illegible]
أموالها تساهم في ميدان الاستثمار [illegible] وبعدم المنافسة [illegible]
أمريكا في [illegible] أن تلق [illegible] إلى مناطق الإنتاج البعيدة
[illegible] بالبيع الأسود في الشرق الأوسط والشرق الأقصى وأوروبا الشرقية ، ولعل
[illegible] أمريكا [illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]

فتنبت هذه [illegible] [illegible] في بلاد بعيدة عن [illegible] أمريكا ،
وأوشك معين الآبار الأمريكية على النضوب فعمدت الشركات الأمريكية [illegible]
[illegible] وعودها الذى كسبته فى عقب الحرب الأولى حتى إلى
البحث عن مصادر الانتاج والاستغلال [illegible] فى بلاد خارجية بعيدة عن الوطن
الأمريكى

وقد كانت الشركات الإنجليزية [illegible] أكبر ميادين الاستثمار
والاستغلال البترولى فى [illegible] حتى [illegible] رأس المال الإنجليزى كان يساهم
[illegible] فى استغلال [illegible] ١٩١٧
وبعقبها ذلك الانقلاب الهائل الذى شمل كافة مظاهر [illegible] فى روسيا [illegible]
[illegible] وأحدث [illegible]
بإنتاجه واستغلاله على أحدث الأساليب العلمية

ومازال استغلال مواطن الانتاج البترولى فى العالم وقفاً على الشركات الأمريكية
والإنجليزية ولكن للنافسة [illegible] وطيدة
نحو أهدافها الرئيسية وهى [illegible] على مناطق الإنتاج البترولى فى العالم ، [illegible]
[illegible]
على [illegible] الخوف [illegible] نضوب [illegible] الآبار الأمريكية هو الذى [illegible]
إلى البحث عن موارده فى خارج [illegible] أمريكا [illegible]
[illegible] أن تنكر [illegible]
[illegible] وبذلك [illegible]
[illegible]
الصناعى نموا لا يجاريه إنتاج صناعى آخر .

وقد ظلت الصناعة الإنجليزية تحتفظ بمركزها الهائل طالما كانت تسيطر على [illegible]
صناعة فى [illegible] الفحم وصناعة [illegible] فقد كانت موارده من الفحم أعظم موارد
الصناعة [illegible] وكانت صناعته [illegible] البلاد الأخرى حتى إذا أحدث

صناعة النفط و [illegible] الاحتراق [illegible] حتى تقدمت في بلاد أخرى أخذت سيادة الصناعة الإنجليزية [illegible] من عشر والتاسع عشر تتأثر [illegible] أمام تقدم الصناعة في البلاد الأخرى ولا سيما في [illegible] والولايات المتحدة التي أخذت تحرز تفوقا كبيرا في صناعة [illegible] الحركة في منتصف الثاني من القرن التاسع عشر [illegible] كانت الصناعة الإنجليزية [illegible] في منافستها [illegible] على [illegible] ومركزها [illegible] في [illegible] وأسواقها التجارية الواسعة .

وتأثر الفحم وهو العامل الأول في إدارة [illegible] بعاملين آخرين ، وهما استخدام مساقط المياه في إدارة الآلات ، و [illegible] الاحتراق الداخلي [illegible] وأصبحت [illegible] في [illegible] معسكر [illegible] الإنتاج [illegible] الاضطرابات البترولية و [illegible] وهذا هو [illegible] الولايات [illegible] في [illegible] الأسواق في بلاده [illegible]

فالولايات المتحدة الأمريكية [illegible] ودعمه [illegible] أسواق الأسهم [illegible] كما [illegible] كانت [illegible] على غيرها

وقد [illegible] الولايات المتحدة البترول [illegible] في [illegible] عام ١٩٤٣ هيئة [illegible] (Corporation Petroleum Reserves) لها [illegible] كشركة مساهمة [illegible] مليون دولار [illegible] الولايات المتحدة على البترول من الخارج وتيسير [illegible] شركات أمريكية [illegible] والدفاع عن مصالح البترولية للولايات المتحدة [illegible]

وفي [illegible] لتكوين [illegible] هارولد إيكس [illegible] الحكومة الأمريكية [illegible] في الخارج [illegible] والسياسة الخارجية للولايات المتحدة [illegible] ورؤساء أركان الحرب للقوات الأمريكية [illegible] الشركات الأمريكية [illegible] البترول من [illegible] بمتوسط [illegible] للتكرير وأن تحتفظ هذه [illegible] للحكومة [illegible] شرائها [illegible] هذا في شراء كل إنتاج الشركات عند ما تدعو [illegible]

[illegible] وجوهها ما تردد صداه في أروقة مجلس [illegible] في نفس العام إلى الاتصال بالملك [illegible] آل سعود الذي يملك حق [illegible] خط الأنابيب، وترضيته للعاهل العربي بالموافقة على تعيين مستشار [illegible] لشئون البترول كما أذن [illegible] بافتتاح فرع له في المملكة العربية السعودية وفي الوقت نفسه صدر تصريح متبادل في كل من واشنطون ولندن [illegible] الحكومتين الأمريكية [illegible] في ٨ أغسطس عام ١٩٤٤ م [illegible] وإقرار مبدأ تكافؤ الفرص بينهما في الحصول على [illegible] وأن يتألف مجلس دولي لشئون البترول [illegible] وقع الاتفاق ولا يخفى هذا المجلس عن تكوين لجنة [illegible] الإنجليز والأمريكيين لبحث وتقدير السياسة [illegible]

هذه صورة لصراع الحليفين الكبير[illegible] في هذه [illegible] سترها وتخفيها اتفاقهما
في سياسة [illegible] كل [illegible] ووحده [illegible] ولا [illegible] ولا تجد [illegible]
[illegible] كانت ولا [illegible]
ولا [illegible] الأمريكيون [illegible] إلى [illegible]
بريطانيا في البلاد [illegible]
و[illegible] الأمريكي [illegible] لأمريكا [illegible]
[illegible] لأمريكي [illegible] كل [illegible]
[illegible] في [illegible] ولا [illegible] على حكم [illegible]
الذي تتركه لها أمريكا في [illegible] من [illegible] حتى لا [illegible]
و[illegible] المتقدمة

و[illegible] في اليوم الذي تزول فيه المصالح [illegible] ولا [illegible]
بينهما ، تتأخر آسيتين ولا ريب بطبة للناحية الا[illegible] في [illegible]
من [illegible] كل [illegible] مصادر الاستثمار المالي في الشرق الأوسط الوقت
[illegible] في [illegible] الأخرى [illegible]
[illegible] الاقتصادي [illegible]
[illegible] على [illegible] والذي [illegible]
بداية [illegible] في [illegible] و[illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible] الأخرى
[illegible] عليها الفوز ويشد عليها الطلب ، وهي أقدر من غيرها
على [illegible] من الشرق الأوسط الذي يقدر [illegible]
[illegible] في [illegible] على [illegible]
تقدمه الاقتصادي [illegible] في [illegible] الشرق الأوسط [illegible]
سيكون [illegible] في [illegible] ومستقبله السياسي ويتطلب من بنيه حذرا مشوبا
[illegible] السياسي [illegible]
ومستقبله المرموق .

وقد لعب بترول الشرق الأوسط دوراً رائعاً في إحراز النصر للحلفاء في [illegible] من دون الشرق الأقصى [illegible] [illegible] حاجة الحرب [illegible] استطاعت القوات [illegible] في معركة [illegible] الهجوم الذي قادها إلى النصر في النهاية

وقد أصبحت منابع البترول بعد تطور أهمية الاستراتيجية هدفاً استراتيجياً [illegible] أغراض الاستراتيجية الأخرى في انخفضت قوتها كعامل مؤثر في إحراز النصر [illegible] [illegible] الأرض ، [illegible] وتعطيل [illegible]

ومن المعروف [illegible] يجب أن يكون هدف [illegible] .

وقد اتجهت خطوط زحف الألمان في الحرب الثانية سواء في روسيا أو الشرق الأوسط نحو منابع البترول ، ولو لم تقف ستالنجراد دون وصولها إلى بترول القوقاز والعلمين دون وصولها إلى بترول الشرق الأوسط لكان أملها في النصر عظيماً ، فإن [illegible] في ذلك [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لبترول في الشرق الأوسط [illegible] عن نطاق الحرب لحيادها أو لبعدها عن نشاط

[illegible] الأمر [illegible] للحلفاء [illegible] في الوقت الذي [illegible] كان [illegible] الشرق الأوسط هو الذي [illegible] للحلفاء ، وهو الذي [illegible] مصر [illegible] في معركة [illegible] المعركة التي [illegible] للحلفاء .

وقد [illegible] الشرق الأوسط [illegible] الشرق الأوسط [illegible]

[illegible] الشرق الأوسط [illegible] في [illegible] الشرق الأوسط [illegible] من الدول [illegible] الشرق الأوسط [illegible]

تتوافر لديها الترول الكافي في ذلك الوقت » .

[illegible] الأمريكية في الخليج [illegible] الأوسط [illegible] مشروع الأمريكي الذي [illegible] في [illegible] عام ١٩٤٤

[illegible]

الشيوعية [illegible] في مستقبل الحرب التي
[illegible] الأمريكية المتحدة التي تبرر احتفاظها بقوات كبيرة
للمحافظة على السلام العالمي ، [illegible]
[illegible] السلام بشمل الحرب [illegible]

[illegible] الشرق الأوسط هو المورد الوحيد الذي تتطلع إليه الولايات المتحدة
[illegible]
[illegible] نحو الشرق الأوسط ، وجعل الولايات المتحدة [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] الشرق الأقصى [illegible]
[illegible]
إلى احتياطيه عن المنتج من بترولها [illegible]
من المخزون ، وفي الثانية [illegible]
[illegible] ١٩٤٧ [illegible] في الشرق الأوسط [illegible]
٨٦٠ [illegible] الشرق الأقصى ٦٥ [illegible]
عظم التفاوت في الإنتاج بين الإقليمين [illegible] كل منهما [illegible] الحرب

[illegible] الشرق الأوسط [illegible] ١٢٫٥
من [illegible] عام ١٩٤٩ [illegible] لا يقل [illegible]
عن أعظم مناطق احتياطي البترول في [illegible] كما يبدو في البيان التالي مقدرا
بملايين الأطنان :

الولايات المتحدة	٣٫٧٠٠	مليون طن
سواحل البحر الكاريبي	٦٫٠٣٦	مليون طن
الشرق الأوسط	٢٫٢٠٠	مليون طن
الاتحاد السوفيتي	١٫١٦٥	مليون طن

وقد كشف الشرق الأوسط عن [illegible] من هذا المقدار [illegible] البحث والتنقيب تكشف كل يوم عن جديد.

وهذا هو السر في اهتمام الشركات الغربية بأمر موارد البترول في الشرق الأوسط تلك الموارد التي أصبحت عنده من الأهمية [illegible] لا تقل عن [illegible] موقعه [illegible] في [illegible] سلامة خطوط الأنابيب ومعامل التكرير.

وقد تم مد خطين من أنابيب البترول في الشرق الأوسط عام ١٩٢٥ لنقل بترول العراق إلى البحر الأبيض المتوسط من كركوك إلى حيفا وإلى طرابلس كما تم [illegible] أنبوبة أخرى إلى طرابلس [illegible] أنبوبة ثانية [illegible] إلى أن هناك مشروعاً [illegible] وكان [illegible] في [illegible] هذه الأنابيب لإضافة [illegible] شركة [illegible] في [illegible] والتي لا تقل [illegible] عن [illegible] خطوط الأنابيب في [illegible] المتوسط حتى تكون [illegible] من خطوط المواصلات في [illegible] السوق الأوربي.

[illegible] أمريكية في [illegible] من [illegible] في البحر الأبيض المتوسط وقد تم هذا [illegible] وهو الذي يعرف باسم [illegible] وشركة [illegible] خطوط الأنابيب العربية [illegible] في صيدا على ساحل لبنان.

[illegible] في [illegible] من الخليج العربي [illegible] البحر الأبيض المتوسط [illegible] استخدام [illegible] لنقل البترول [illegible] في أقرب أسواقه في أوربا التي تستهلك ٧٥ ٪ من إنتاجه.

[illegible] معامل التكرير فقد كان هناك قبل الحرب الأخيرة معملان مهمان، أحدهما في عبادان، والآخر في حيفا، وفي خلال الحرب [illegible] معمل للتكرير في [illegible] كما [illegible] معمل للتكرير في البحرين، [illegible] هذه المعامل لا تكفي أن تسد حاجة الأسواق الاستهلاكية التي تعتمد على بترول الشرق الأوسط في أوربا

وشيا ، وعلى أن يتوقف نوع هذه المعامل واتساعها وعددها على حاجة هذه الأسواق الاستهلاكية .

وستقع موارد البترول وأنابيبه ومعامل تكريره ضمن أهداف الغزو المحتمل هذه ستقع في الحرب القادمة إذا اختارت بلادها أن تنحاز إلى المعسكر الغربي أو تكون ميدانا لعملياته الحربية ، وستتعرض هذه الموارد للضرب الجوي بقصد تعطيلها من جانب العدو أو للتدمير من جانب المنتفعين بها إذا أجبروا على التقهقر عنها حتى لا ينتفع بها العدو .

وسيكون لبترول الشرق الأوسط دور حاسم في الحرب القادمة كما كان في الحرب الثانية ولكنه لن يكون بنحو من الخطر كما كان في الحرب الماضية ، وستكون معركة البترول أشد عنفا مما كانت عليه في الحربين الماضيتين ، ولو تعالى بأذهاننا أن مصير الحرب القادمة سيتوقف على مصير المعركة التي ستدور حول آباره عند نشوب الحرب برمتها

الفصل الخامس

نحو الشرق

قصة الاستعمار الأوربي

لا نستطيع أن نفهم الأهمية [illegible] والإستراتيجية للشرق الأوسط أو [illegible] السياسية التي تحدث في أرضه [illegible] في منطقته أو أن نعرف دوافعها وأسرارها دون أن ندرس الاستعمار الأوربي الحديث [illegible] على أثر الكشوف [illegible] بين الشرق والغرب [illegible] حضارات قديمة وموطن الجنس البشري الذي [illegible] في [illegible] من الهجرات [illegible] على مراحل [illegible] وعصوره القديمة [illegible] والطرق التي [illegible] منذ قدم [illegible] والتي لا تزال [illegible] الخطوط [illegible] وطرق [illegible] كما كانت من قبل [illegible] ومعبر الهجرات والانتقالات البشرية في القدم ، وفي بقاع الأمريكتين التي ظلت أبد الدهر مجهولة من العالم القديم حتى اصطدم بها كولمبس في سعيه نحو الغرب بحثا عن طريق بحري إلى الهند ثم مات دون أن يعرف أنه اكتشف عالما جديدا [illegible] الثروة والخير أكثر مما [illegible] آسيا ومراتعها [illegible] الهجرات الأوربية التي حركها الجوع [illegible] والخوف [illegible] على [illegible] الأوربية [illegible] بحثا عن الأمن والطمأنينة [illegible] من [illegible] وقامت [illegible] الحروب حفاظا على الموارد التي تؤمنها من جوع وتحميها من خوف فلا [illegible] من [illegible] ودعة وخوفا وجوعا [illegible] على خير [illegible]

وقصة الاستعمار الأوربي للشرق [illegible] الأوربي

وتدفعه للاستعمار، عامل الولع والشوق والمغامرة التي دفعت المغامرين والجوابين منهم الى ارتياد مجاهله واستكشاف أسراره. والعامل الديني الذي دفع المبشرين الى محاولة نشر المسيحية. ثم عامل الطمع الذي حرك التجار الذين ارتادوا هذه البلاد حتى استكشفوا ورغبوا في احتكار مواردها. وأخيراً ذلك العامل الذي يعود للاستعمار الحديث والذي نشأ بعد الثورة الصناعية في أوربا، تدفعه الرغبة في امتلاك مواطن الخامات وأسواق التجارة الواسعة ومواطن ملائمة للاستثمارات المالية وتشغيل رءوس الأموال ثم العمل على حماية هذه المواطن والممتلكات والمراكز التي تؤدي اليها والبلاد التي تقع في طريقها وحشد الجيوش لحراستها ودفع خطر أي عدوان من الدول التي تطمع فيها.

وقد بدأ الاهتمام الأوربي بالشرق مرتبطاً بنوع من الخيال الساحر الذي أضفاه الأوربي على البلاد الشرقية فقد كان سحر الشرق ولا يزال يعد عاملاً يشوق المغامر الأوربي وكان بريقه وسحره يملأ ملوكه وأمراءه حتى مرتين في أوربا وكانت ثروته وخيراته وغناه من الحرير والتوابل والأفاويه والحلي وكانت شعوبه الضعيفة تقع تحت النطاق الإسلامي من صينيين ومغول و... وكان هوى ساسة أوربا ومبشريها ولعهم الى تحقيق الدعاية حتى يكونوا لهم عونا على مصارعة المسلمين والقضاء على الدين الإسلامي. وفي عام ١٥٦٠ قام البرتغاليون بحكم التفتيش في «جوا» التي أصبحت عاصمة الهند البرتغالية عام ١٥٣٠.

ولكن الشرق ظل منطوياً على نفسه محتفظاً على أسراره بعض الوقت إلا في الأزمنة الحديثة فإن المغامرين أمثال ماركو بولو وغيره من الرحالة الذين جاءوا إليه إلى بلاد الصين والهند ... من ... شئونه ... قصصهم ومغامراتهم جذبت الأوربيين وأذهلتهم. وكانت تجارة الشرق وقفاً على طائفة معينة من العرب والهنود ... احتفظوا بأسرار معاملاتهم ومسالكهم التجارية خوف أن يزاحمهم في أرباحهم مغامر أوربي مما ضاعف من جهل الناس بهذا هذا العالم البعيد.

وكانت مسالك التجارة بين أوربا والشرق تمتد عبر بلاد العالم الإسلامي

بحرية كانت أوربية . وقد كانت هذه البلاد قبل قيام الإسلام تقع في نطاق دولتي الفرس والروم وكانت بينهما [illegible] [illegible] في بسط سلطانها على هذه البلاد من القرن الثاني عشر إلى مطلع القرن الثالث قبل الميلاد يوم أن دان [illegible] إلى سلطان روما القوى

وكانت أهم المسالك التجارية في تلك الأزمنة القديمة هي المسالك البحرية فقد سار المصريون منذ [illegible] إلى بلاد بنط عبر البحر الأحمر فحملوا إليهم المر واللبان والبخور المقدس ويقال إن بلاد بنط هذه هي الصومال الحالية وإن عبارة بنط كانت تطلق على كل ما يأتي من [illegible] البلاد [illegible] التجارة القادمة من الهند وسواحل بلاد العرب الجنوبي حيث قامت ممالك قوية كمعين وسبأ وحمير حملت أعلام هذه التجارة في البر والبحر وكانت [illegible] [illegible] كما كانت [illegible] والبندقية وثرائهما في العصور الوسطى .

وكان [illegible] الفينيقيين [illegible] عباب البحر الأبيض المتوسط وتتخذ مراكز تجارية لها على ساحل المشرق وشمال إفريقيا .

وقد [illegible] الملاحة على [illegible] كشف أحد ملاحيهم عن [illegible] الرياح الموسمية الجنوبية الغربية [illegible] في تسيير سفائنهم

وكانت موانئ [illegible] وتحصينات [illegible] التجارة [illegible] تجارة الشرق البعيد ما أتى منها بحراً أو ما مر منها براً إلى أوربا .

وكانت طرق التجارة البحرية تسلك أحد طريقين :

١ — الطريق البحري من سواحل الصين جنوباً إلى جزائر الهند الشرقية فجزيرة سيلان فساحل الهند [illegible] الخليج الفارسي فأرض الجزيرة عبر دجلة والفرات ومن [illegible] إلى البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط إلى أوربا

٢ — ويتحد الطريق الآخر مع الطريق الأول في مسافة من سواحل الصين الجنوبية حتى سيلان حيث [illegible] الخط [illegible] في موانئ البحر الأحمر ثم يعبر الصحراء الشرقية [illegible] [illegible] إلى حوض البحر الأبيض المتوسط

وقد كانت هذه الطرق البحرية أكثر أمناً من الطرق البرية عبر آسيا الوسطى والغربية فقد كانت تحت رقابة قوية تقوم على حراسة أفراد أقوياء ودول كانت تدين بالتقدم والرخاء لاستمرار هذه التجارة ونموها . أما الطرق البرية فقد كانت تخترق مفاوز خطرة وصحارى مجدبة قاحلة وطرق حول الشاهقة وتتعرض لقطاع الطرق وعبث الجماعات المعادية وتتأثر بعوامل القلق والاضطراب في البلاد ... وكثيراً ما توقفت رحلتها دون ... ولا انتظام لهذا السبب

وكانت تجارة الحرير أكبر ما تسببت هذه الطرق البرية ، أما تجارة التوابل الشهيرة فكانت تعبر عن طريق البحر ... لتعرض للكسر أو التلف ... وما كانت تتعرض له من ارتجاج واهتزاز ... وكذلك سواحل الهند أقرب مصادر إنتاجها من الموانئ .

وكانت مدينة بخارى ملتقى الطرق البرية القادمة من شرق آسيا ومنها تتفرع إلى ثلاثة طرق تؤدي إلى ... أوربا وهي

١ — الطريق من بخارى إلى جنوب خراسان وبحر قزوين ثم عبر آسيا الصغرى إلى البحر الأسود والبسفور

٢ — الطريق من بخارى عبر فارس وأرض الجزيرة (وادي نهري دجلة والفرات) إلى سواحل البحر المتوسط فأوربا

٣ — الطريق من بخارى إلى شمال بحر قزوين عبر وادي نهر الفولجا فسواحل البحر الأسود الشمالية

وقد كانت هذه الطرق البرية فضلا عن أهميتها التجارية ، المعابر التي سلكتها الجماعات البشرية في هجرتها وتقدمها نحو الغرب كجماعات الهون والسلاجقة والتتار والترك الذين اكتسحوا أوربا على فترات معروفة في التاريخ كما كانت هذه الطرق الممر الرئيسي للحضارات والثقافات في شتى عصور التاريخ كما سلكها المبشرون بالمسيحية ورسل البابا إلى بلاد الصين والمغول .

وقد تطلبت هذه الطرق البرية والبحرية مسافات طويلة بين الشرق والغرب ومرت بعدة من بلدان
وتعرضت لخطر والجرف [illegible] أوربة ومعبر الحصار [illegible] والأوكا

وقد احتفظ الشرق في ذهن الأوربي بأنه [illegible] وكانت الهند في مقدمة بلاد الشرق
وكانت في مخيلته معيناً لا ينضب من كنوز الذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة و[illegible]
لا يعرف حدوده من علاء [illegible] وثار [illegible] دفع الملاحين إلى ركوب البحر بحثاً عن طريق
بحري إليها رأساً ولا يخطر [illegible] تلك الشكوى التي تضرب عليها [illegible] المدن التي تمر
بها في عرب آسيا ومصر وجنوى والبندقية ولا تعرضها لمخاطر الطرق البرية ومتاعبها
في سبيله وكان البحث عن طريق الهند هو السبب في حركة الكشوف الجغرافية الكبيرة
التي حفل بها القرن الخامس عشر .

وكان البرتغاليون أول من وصل إلى الهند حيث وصل إليها الملاح البرتغالي فاسكو دي
جاما وأرسى مراكبه في مياه قاليقوت عام ١٤٩٨

وتوالت رحلات البرتغاليين إلى الهند ونجح كبرال في مفاوضة [illegible] في إقامة
عدد من القواعد على ساحل الهند. وكان قد عصف به [illegible] في رحلته هذه إلى [illegible] عام
١٥٠٠ أن تعرض [illegible] على هذه البلاد [illegible]
[illegible] وأن يعمل على [illegible] وفي عام ١٥٠٢ منح البابا [illegible]
السادس ملك البرتغال لقب سيد البحار [illegible] الأعظم والتاجر في الحبشة وبلاد
العرب وفارس والهند . ومن هنا نتج أن حركة الكشوف الجغرافية قد صحبتها
رغبة دينية في الأصل. وسقط نفوذ [illegible] وفرض [illegible] على [illegible]
فأقام البرتغاليون [illegible] في [illegible] التي أصبحت عام ١٥٣٠ عاصمة الهند
البرتغالية ومن [illegible] في [illegible] على أعرض مثلاً [illegible]

وكان كولمبس قد نجح قبل ذلك عام ١٤٩٢ في كشف جزر الهند الغربية
[illegible] وواصل كشوفه بعد هذا حتى وصل [illegible] أمريكا الوسطى
وسار بعد ذلك حتى وصل إلى مصب نهر الأورينوكو في رحلته الثالثة وكان قد كشف
جزيرة ترينداد في رحلته الثانية .

وكان البرتغال وإسبانيا [illegible] الكشف الجغرافي في وقت واحد وخاض رحالتهما في [illegible] فلم يلبث أن قام بينهما التنافس واحتكما إلى البابا الذي أصدر قراره المشهور عام ١٤٩٤ الذي يقضي بمد خط تقسيم من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي [illegible] الأطلسي إلى الغرب من جزر الأزور [illegible] ٣٧٠ فرسخا كل ما يكتشف شرق هذا الخط يكون من نصيب البرتغال وكل ما يكتشف غربه يكون لإسبانيا

وكان من نتائج [illegible] أن اتجهت شدة الاستعمار الإسباني إلى الأمريكتين وأصبح طريق [illegible] محظورة عليهم

وقد وصل البرتغاليون إلى الشرق من [illegible] وأنشأوا [illegible] البرتغال التي ظلت تحكمها ثلاثة قرون .

[illegible] في عصر خطة الاستعمار الشرقي ويمكن أن نلخص أهداف [illegible] في ثلاثة [illegible] والاحتكار [illegible] [illegible] على [illegible] كل أمكن ذلك

وكان الاستعمار [illegible] بكشف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الهند [illegible] وكانت النتيجة [illegible] هي تحول هذه الطرق التجارية عن بلاد الشرق الأوسط فقد بذلك مصدرا من [illegible] كان له أثره في تأخر هذه المنطقة وركودها [illegible] السياسة الأوربية [illegible] عدة ثلاثة قرون طويلة

وقد حكم [illegible] نحو قرن من الزمان فيما بين سنة ١٥٠٠ و ١٦٠٠ حتى [illegible] الهولنديون [illegible] وكانوا قد [illegible] الاستعماري [illegible] في كل مكان فهاجموا [illegible] في الهند وهي [illegible] عام ١٩٠٣ وفي عام ١٩٣٩ أيضا . وما [illegible] الثاني من القرن السابع عشر حتى [illegible] مركز التجارة البرتغالية

ولم يبق في أيديهم غير [illegible] على ما وصفت [illegible]
في الأقاليم الموسمية [illegible] من تفوق

وقد دخل الهولنديون كأترابهم الأخيرة ميدان الكشوف [illegible]
و [illegible] في البحار [illegible] في طلب [illegible] الشمالية
[illegible] عن الهند وقد قادهم [illegible] حملات [illegible] لأعظم [illegible] بلاد
وأسس الهولنديون قاعدة [illegible] نيو أمستردام وهي التي أصبحت
نيويورك فيما بعد .

وقد [illegible] الهولنديون [illegible] في [illegible] وأقوى
[illegible] في [illegible] الأحمر في
[illegible] الشركات [illegible]
في شركة واحدة [illegible] للهند الشرقية في
سنة ١٦٠٢

وفي [illegible] كان الهولنديون قد [illegible] الهند [illegible]
والخليج [illegible] الأحمر [illegible] في [illegible]
وكانوا قد [illegible] شرقية [illegible]
[illegible] في [illegible] في [illegible]
من [illegible] في الشرق

وفي أوائل القرن السابع عشر [illegible] حرب هولندة [illegible] أقصى [illegible]
لإمبراطوريتهم [illegible]
على [illegible] سواء في البحار [illegible] من [illegible]
[illegible] الإنجليزي والهولندي سنة ١٦٨٩ [illegible]
لنزاع بين [illegible]

وكان البريطانيون قد شهدوا من قبل مصرع [illegible] في البحار [illegible]
[illegible] في [illegible] في معركة [illegible] على [illegible]

جزر الهند سنة ١٦١٢ ولكن هذا الاستعمار كالقطر الذي يسبق الغيث فقد وصلوا بذلك إلى تأسيس سيادتهم مسيطرة في البلاد موسعة أملاكهم وقد جاء انتصارهم على البرتغاليين في سورات بعد تأسيس شركة الهند الشرقية التجارية بإثني عشر عاما فقد كان مولدها في ٣٠ ديسمبر عام ١٦٠٠ وهي التي يرجع إليها الفضل فيما بعد في ابتلاع الهند كلها وإخضاعها لبريطانيا حيث صارت درة تتلألأ بين درر التاج البريطاني ممسكين بها جميعا حتى سقطت منه بعد الحرب العالمية الأخيرة .

وكان أول صدام جدي بين البريطانيين والهولنديين في شعورهما بالهند حيث عرض عليهم كيف يمكن أن يسلموا دون قيد أو شرط وجعلت مراكز الهولنديين في الهند تسقط في أيدي البريطانيين واحدة بعد أخرى حتى لم يعد لهم في الهند عين أو أثر ثم تتبعوهم والتفتوا إلى جزر ملقا وجاوه وسومطرة ولكنهم عادوا فرجعوا جاوه وسومطرة إلى حكم هولندا مقابل تنازلها عن حقوقها في الهند .

ولم يكن التسابق الأوربي نحو الهند قاصرا على هذه الدول الثلاث من الصدام إلى فرنسا التي أقامت مراكز لتجارتها على ساحل كروماندل ووقفت أمام البريطانيين للمرور بالهند إلا اعتداء على مراكز وثغور في جنوبها الفرنسيون وكان القتال بين الدولتين على أرض الهند هو صورة للقتال في أوربا وقد دارت الدائرة على الفرنسيين سواء في الهند أو في أوربا نفسها ولم تأت سنة ١٧٥١ حتى فقد الفرنسيون أكثر ما كانوا يملكونه في الهند .

ولم تكن الهند وحدها هي المستعمرة لأن الصين واليابان كانت هي الأخرى قد جمعت فيها كل أمواج الاستعمار الأوربي فقد كانت هناك الصين واليابان والجزر الهندية في شرقي آسيا . وقد وقع تنافس بين الإنجليز والهولنديين في اليابان انتهى إلى طرد جميع الأجانب من بلادهم سنة ١٦٢٤ .

ولم يكن حظ الأوربيين في نصيبهم في ذلك الوقت أعظم من حظهم في اليابان وقد كان البرتغاليون قد نجحوا في إنشاء قاعدة لهم في مكاو على الساحل الجنوبي للصين سنة ١٥٥٠ إلا أن أساليبهم في التجارة قد أثارت سخط الصينيين عليهم وقد صدر

أمر إمبراطوري صيني سنة ١٧٩٧ بقصر التجارة الأوربية على ميناء كانتون فحسب وكان من جراء سائر الأساليب الهمجية الأوربية في الصين أن صدر أمر بطردهم جميعا من تلك البلاد

هذه هي بوادر الاستعمار الأوربي للشرق سارت في ركب الكشوف الجغرافية والحاجة إلى الثراء والاستغلال وقد أعطت شهية الكشف بعضهم حق التملك ولكنه حق لا قيمة له أمام رغبات الأقوياء . ويعتبر أن ارتياد الاستعمار بالكشوف الجغرافية سبق الدول البحرية في ميدان الاستعمار فكانت البرتغال وإسبانيا وهولندة وانجلترا طلائع الاستعمار الأوربي الحديث وهي التي بعثت نهضة البحر في أوربا ، وقد زادت قدرة الدولة على عبور البحار والسيطرة عليها كلما كان نصيبها من الاستعمار أعم وأشمل .

وقد عقد لواء التفوق البحري لانجلترا بعد هزيمة الأرمادا سنة ١٥٨٨ وقد دفعهم هذا الدور الناهض إلى مضاعفة جهودهم البحرية والرغبة في الاحتفاظ باستغلال البحار

وقد كانت تجارة الشرق طوال عهدها حتى هذه الانقلابات الصناعية تقوم على الكماليات كالبهار والتوابل والحرير والخزف وكان الحصول على هذه الأشياء من مظاهر الترف والثراء بالنسبة للرجل الأوربي وقد أدت هذه الأشياء إلى غنى الأمم وجمع تجارها وشعوبها ثروة طائلة وقد كان من دوافع الاستعمار رغبته في احتكار هذه التجارة

ثم دفع الانقلاب الصناعي وتحول الآلة في الإنتاج عن العمل اليدوي بدفعة جديدة في الاستعمار . فلم يعد الاستعمار رغبة دينية تعيش في صدور المتحمسين ولا فرض عقيدة من معتقد ولم يعد استغلالا كماليا للأغنياء وفرص استعمال فحسب وإن ظل مشدودا إلى التفوق التجاري ولكن على أسس وقواعد جديدة فقد اتسع نطاق التجارة ولم تعد التوابل والبهارات والخزف والحرير هي مطلب التجارة الأوربية بل أصبحت عليها مطالب جديدة دفعت إليها حاجة الانقلاب الصناعي وتقدم الصناعة ووفرة الإنتاج

وصناعته تحتاج إلى خامات وكلما كان الأقدم غنيا فى خاماته كلما كان الأقبال على علمائه أقوى وأشد ثم كان من نتائج الانقلاب الصناعى وفرة الإنتاج مما يحتاج بدوره إلى أسواق للتصريف وأحسن الأسواق لتصريف الإنتاج الصناعى هى ما كانت الصناعة فيها قاصرة . وأصبحت المستعمرات نتيجة لهذا التطور أسواقا هامة لتصريف المنتجات الصناعية للدول التى تحكمها .

وقد اتسع نطاق الاستعمار نتيجة لتحسين وسائل المواصلات وتقدمها وشق القنوات الصناعية لتقصير المسافات البحرية كقناة السويس وقناة بنما وقناة كيل .

وتطور مفهوم الاستعمار فى هذه الفترة فقد كان حتى هذه الاستغلال والكسب واستنزاف الثروة . ولم يكن هناك من تعاون بين المستعمر والمستعمرة بهدف تنمية المستعمرة ، ولكن تطورت [illegible] الاستعمار الحديثة وأصبحت العلاقة بين المستعمر والمستعمرة أشد ارتباطا وأصبحت المستعمرة وحدة قائمة بذاتها لها كيانها السياسى والاقتصادى فى نطاق الدولة الحاكمة وتخطط وسائل الاستغلال بأساليب العلم وقواعد الاقتصاد الحديثة فإذا كانت المستعمرة موطنا للخامات الصناعية أو موردا للمواد الغذائية فإن من الحكمة ترقية وسائل إنتاج الخامات ومضاعفتها وتحسين أساليب الزراعة لتوفير مواد غذائية حتى يكون الربح أوفر والكسب أوفى .

وأصبحت المستعمرات فى هذا الطور الجديد أسواقا لتصريف الإنتاج الصناعى للدول المستعمرة ، وقد بلغ هذا الإنتاج من الوفرة نتيجة لتقدم أساليب الصناعة ما يحتاج معه إلى أسواق خارجية متسعة ، ومن دعائم القوة الشرائية أن يكون المستوى الاقتصادى العام مرتفعا ، فعنيت المستعمرات ببعض الإصلاحات فى هذه الناحية وإن لم يكن هدفها صالح المستعمرة بقدر ما كان هدفه مصلحة المستعمر .

وازدادت الروابط الشعبية والجنسية بين المستعمرين والمستعمرات وأصبحت فى هذه المستعمرات أبلغ خطرا وأبعد نتيجة ، فقد ورثت الدول المستعمرة ثقافتها ونظمها وفى كثير من الأحيان لغتها وتقاليدها على البلاد المستعمرة وانثالت الهجرات نحو المستعمرات تعمر موطنها وتجد حياتها فى رحابها حتى أصبحت عندهم بلادهم ومن حيز ،

ونقل إلى هذه البلاد أفكاره وعاداته وطباعه فكان هذا أول بذرة من بذور نقل الحضارة الغربية والثقافة الأوربية في المستعمرات ثم دعا في نهاية إلى نمو الروح القومية واطرادها في مستعمرات جنوبها كلها وشمال أفريقيا.

وقد شجعت الدول هجرة شعوبها إلى هذه المستعمرات وقدمت إليهم كثيراً من ألوان المساعدة ومنحتهم سبل الحياة في ربوعها. وقد كانت الرغبة في التوسع تدفع الحكام إلى الهجرة والتعرف ولم يكن للهجرة وقتئذ عند الدولة صاحبة السيادة أو للدول المستعمرة إلا مفهوم نوع معين من الاستعداد الذي يدل على الحاجة في الدول الأوربية الخاضعة إلى الخروج من الوطن واستيطان بلاد أخرى ثم جعلت هذه الدول التي ليست لها مستعمرات تشعر بهذه الخسارة التي تلحقها من رحيل فريق من خيرة أبنائها عنها إلى بلاد ليست لها فبدأت الدول تبحث عن مستعمرات تكون مهجراً لأبنائها ترحب بهم وتحقق لها من الفوائد ما حققته المستعمرات للدول التي سبقتها في هذا المضمار. وقد كانت ألمانيا وإيطاليا من بين هذه الدول التي دخلت ميدان الاستعمار متأخرة فضلاً عن أن التنافس الحربي كان قد بلغ أشده في أوربا ودفعت الدول إلى حشد القوات الضخمة فحرصت الدول على ربط أبنائها المهاجرين عنها بروابط قومية حتى تفيد من هذه القوى البشرية اللازمة لتكوين جيوشها. ولم يكن ليغيب عن بال هذه الدول قيمة القوى البشرية في المستعمرات وجيوشها في نطاق القوة العسكرية العامة للدولة. ولقد أفادت انجلترا وفرنسا من تجنيد الأهالي الوطنيين ضمن قواتهم العسكرية في الحروب التي نشبت أخريات القرن الماضي وفي هاتين الحربين أيضاً.

ولقد كان التنافس الاستعماري بين الدول الأوربية على أشده في القرن التاسع عشر وكان مثار احتكاكات وحروب ظلت دائرة ومترتبة آثارها حتى يومنا هذا، فقد دفعت هذه الدول وخاصة ما دخل منها ميدان السبق أولاً في الاستعمار إلى البلاد الجديدة إلى الاستعمار الجديد.

وكان من جراء هذا التنافس الاستعماري حرص الدول المستعمرة على حماية مستعمراتها وتأمين طرق الاتصال بهذه المستعمرات.

ونحن نعلم حرص بريطانيا على الهند والخوف من ضياعها على علاقة بتلك السلسلة الهامة من القواعد الإستراتيجية في الطريق إليها فكان استيلاؤها على جبل طارق ومالطة وقبرص وقناة السويس وعدن وبريم وكوريا موريا وسقوطرة تأمينا للطريق البحري الأبيض المتوسط إلى الهند . كما كان استيلاؤها على جزائر ... وسانت هيلانة وسنغافورة ... وموريشس وسيشل وسيلان تأمينا للطريق البحري الآخر حول أفريقيا إلى الهند

ونحن نعلم أن شعور بريطانيا بأن البحر الأبيض المتوسط قد بدأ يستعيد أهميته القديمة في الهند بسبب ... عن طريق رأس الرجاء الصالح بعد سنة ١٥١٢ م حين ... في ... الهند وذلك بعد حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨ وما بدا من نواياه في اقتحام طريق الشرق الأوسط البري للوصول إلى درة التاج البريطاني

وقد استعاد البحر الأبيض المتوسط أهميته القديمة تماما وأصبح الطريق حول أفريقيا ... بالنسبة له بعد شق قناة السويس ووصله بالبحر الأحمر سنة ١٨٦٩

وما كاد ينتهي القرن التاسع عشر حتى كانت الهند قد ... ثمرة الاستعمار الأوروبي ، وكانت بريطانيا أوفق نصيبا في هذا الاستعمار فقد أضافت إلى كتلة الهند الهائلة أقاليم بلوخستان وبورما وسيلان وشبه جزيرة الملايو ثم أخذت تدعم نفوذها وتمد سلطانها وتبسط سيطرتها على كثير من المراكز البحرية أو الجزرية فاستولت على هونج كونج ووي هاي وي ... في شمال الصين وأندمان ونيكوبار وسيشل وموريشس في المحيط الهندي وجزائر البحرين في الخليج الفارسي وسقوطرة وكوريا موريا في ... العربي وبريم وعدن في مدخل البحر الأحمر عدا سلطانها على ساحل شبه جزيرة العرب الجنوبي .

ولم تبق لفرنسا في الهند من تلك ... الصغيرة التي شهدت صراع الاستعمار في أول عهده سوى ... وكانت ... وشندرناجور وماهي ... ولكنها نجحت في الاستيلاء على الهند الصينية الفرنسية واحتفظت بعدد من الجزائر في المحيط الهندي كمدغشقر وريونيون والقمر وغيرها .

أما روسيا فقد أصبحت لها أملاك واسعة في شرق آسيا وتعتبر
جزءاً من الوطن الروسي وكان توسعها هذا نتيجة للسياسة التي تعتبر في مد رقعة
الوطن الروسي في جهته الشرقية نحو الشرق وجنوب سيبيريا والتركستان الروسية
ومدت خط حديد سيبيريا إلى فلاديفستك في المحيط الهادي لربط أجزاء هذا
الوطن المترامي وسلك هذا الخط الحديدي نفس طريق الإنتقال البري عبر آسيا في
العصور الوسطى وقد تفرع منه عدة طرق منها ما يتجه نحو التركستان الروسية ومنها
ما يقرب النفوذ الروسي من فارس وأفغانستان خاصة والهند عامة وقد حاولت أن
تمد النطاق الخاص في التركستان لتثبت نفوذها في بعض مناطق الصين ولكنها
لم توفق

وكان من نتائج هذا التقدم الروسي نحو مناطق النفوذ الأخرى أن حاولت
بريطانيا الاستيلاء على أفغانستان حتى تأمن مداخل الشمال الغربي للهند وجردت
عليها أكثر من حملة واشتبكت معها [illegible] وانتهت في نهاية الأمر بعقد معاهدات تضمن
لها الأمن [illegible] في هذه المنطقة، واشتركت في تقسيم فارس إلى مناطق نفوذ بينها
وبين الروس على أن تكون المنطقة الوسطى بينهما منطقة حياد

وتتجه فرع من سكة حديد سيبيريا نحو منشوريا الشمالية والجنوبية إلى بورت
آرثر على البحر الأصفر وواجهت ذلك اليابان التي تخوفت عاقبته من التوسع
الروسي في هذا الإتجاه وما فيه من خطر على كيانها القومي والسياسي ومنها لصناعته
والتجارة [illegible] وهي في طور نموها [illegible] الروس والانتصار عليهم وبسط
نفوذها على منشوريا الجنوبية، لتستغل [illegible] ثروتها
المعدنية ومياهها الوفيرة الأسماك.

ولا شك أن [illegible] الولايات المتحدة الأمريكية [illegible] سياسة العزلة التي
كانت تسير عليها إلى تأمين مصالحها الاقتصادية والتجارية في تلك الجهات فاستولت
على الفلبين وهاواي وبعض المراكز البحرية الأخرى وبذلك أصبحت وثيقة الصلة
بمشاكل الشرق الأقصى وما يدور فيه من أحداث.

أما الصين فقد ظلت تعيش فى القرون الوسطى [illegible] حدث فى [illegible]
وظلت نهب الدول الكبرى [illegible] هونج كونج سنة ١٨٤٠
وشنت [illegible] إنجلترا مع فرنسا حربا [illegible] ١٨٥٧ [illegible] ١٨٥٨ وهى الحرب
التى انتهت بمعاهدة فرضت على الصين فتح [illegible] للتجار والمبشرين [illegible]
سياسيا للدول [illegible] وأصبحت للدول الأجنبية [illegible] الوضع
الجديد رغم مقاومة الصين لها [illegible] من التجار والمبشرين [illegible]
شنغهاى التى تضمهم مدينة لها طابعها الأوربى.

واشتد التنافس بين الدول المتكالبة على الصين أوربية كانت أو أمريكية [illegible]
ولكن [illegible] الصين من [illegible]
مع تدفق رؤوس الأموال الأجنبية [illegible] وأصبح لكل دولة [illegible] منطقة نفوذ
[illegible] فى منشوريا [illegible]
[illegible] فى [illegible] فى جنوب
الصين حيث [illegible] من الدول الأوربية
[illegible] مزايا التجارة الحرة والموانئ المفتوحة

[illegible]
[illegible] الصين [illegible]
فى [illegible]

وقد كانت الصين [illegible] الثورات [illegible]
[illegible] من الأشجار الأخرى
[illegible] الأصلى [illegible]
[illegible] أصبح [illegible] فقد كان [illegible]
[illegible] فى الشرق الأقصى [illegible] فى تلك البلاد [illegible]
سلامتها ذاتها لحرية قد تكون قاسية.

[illegible] الأوربى والأمريكى فى [illegible]

وراءه نفوذاً غير مشروع في البلاد وأقاموا نوعاً في محمية حيوية لهذا عندما تسبب للآسيويين . وقام محمد صدقي بدأت محاولات لتحقيق هذه السياسة . فانضمت إلى محور برلين - روما ، وقامت بتعاون عسكري ... الكبرى في بعض الأقاليم ، تلك المحاولات التي انتهت بالفشل عقب استسلامها للحلفاء سنة ١٩٤٥

استعمار افريقيا :

لم يكن بإفريقيا مثار اهتمام الأوربيين حتى عام ١٨٧٨ ، حين بدأت الدول الأوربية تتسابق نحوها وتتكالب عليها وتقتسم أجزاءها وتكشف أسرار غاباتها وتستغل ثرواتها الكامنة في زراعتها ومعادنها وثروتها الخام وغاباتها الوفيرة . وبذلك جاءت حركة الاستعمار الأوربي لإفريقيا متأخرة عنها في آسيا .

ويرجع تأخر استعمار إفريقيا إلى صعوبة مواصلاتها وجهل الناس بداخلها وانعدام ... ووجود الجنادل والشلالات التي تعوق سير الملاحة في أنهارها فضلا عن انتشار الأمراض المتوطنة في أرجائها الاستوائية وعداء سكانها من الرجل الأبيض وشدة مراس محاربيها في مقاومة المستعمرين .

ثم إن الاتجاه نحو الهند قد شغل المستعمرين الأوربيين عن استعمار إفريقيا ، وظلت أقاليمها الداخلية مجهولة من القرن الخامس عشر حتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر ، ثم كان استكشافها في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فوقعت غنيمة للمستعمرين وما لبثت طويلا حتى كانت القارة نهباً مقسماً بين المستعمرين .

ولم يكن هناك قدم لأوربي مستعمر في إفريقيا حتى سنة ١٨٧٨ إلا في بعض القواعد والمحطات التجارية حول سواحل إفريقيا الغربية ، وفي مستعمرة الرأس وفي أنجولا وموزمبيق وكان الفرنسيون قد احتلوا الجزائر عام ١٨٣٠

ويجب أن نشير إلى أن السباق الاستعماري في افريقيا كان على أشده بين الدول

[illegible] كانت [illegible] [illegible]
أو الدول [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] سنة ١٨٨١ وقد [illegible]
[illegible] هو هذا الإقليم الذي [illegible]
[illegible]

وقد كان نفوذ فرنسا في مصر ، وهو النفوذ الذي كسبته منذ حملة نابليون ، [illegible]
[illegible] مصر سنة ١٨٨٢ [illegible]
الاحتلال [illegible]
[illegible]

وكانت فرنسا أولى الدول [illegible]
من السنغال صوب أعالي [illegible] ، مما يهدد المصالح [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ١٨٨٤
[illegible] ١٨٨٣ [illegible]

وأسرعت إيطاليا لتظفر بنصيبها في تلك المأدبة الأفريقية ، [illegible] على سواحل [illegible]
[illegible] عام ١٨٨٣ وبسطت نفوذها على تلك الناحية [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] والكمرون ، كما [illegible] من الأقاليم [illegible]
[illegible] ٦٠ [illegible]
[illegible] في شرق أفريقيا

وعقد مؤتمر برلين في ديسمبر عام ١٨٨٤ بحث مناطق النفوذ بين الدول المتكالبة على القارة الإفريقية ، فقرر أن لا تمد دولة حمايتها على منطقة دون إعلان هذه الحماية إلى الدول الأخرى . وألا يعتبر ضم منطقة من الأراضي إلا إذا كان هذا الضم مؤيداً باحتلال فعلي ، كما قرر حرية الملاحة في الكنغو والنيجر وحرية التجارة في وادي الكنغو وما يجاوره من أقاليم ، وتعهدت الدول [illegible] وتعمل على محاربة [illegible] حقوق الوطنيين وطريقة معاملتهم والاهتمام [illegible]

وهكذا [illegible] الدول على هذه المناطق [illegible] من مناطق نفوذها ، خططت غايتها أن تخرج من [illegible] الإفريقية [illegible] من [illegible] الأسود [illegible] من قبل

[illegible]

وتصف [illegible] في الحبشة [illegible] في [illegible] عام ١٨٨٧ [illegible] في [illegible] عام ١٨٩٦ [illegible] الصومال [illegible] عام ١٨٨٩ [illegible] على [illegible]

[illegible] في [illegible] وكان [illegible] من [illegible] الشرق حتى [illegible] بين الأمم في فشودة [illegible] عليها الفرنسي ، ولكن كتشنر تصدى له ، وكان [illegible] مصر ، وكادت [illegible] من [illegible] فرنسا [illegible] ولكنهما [illegible] مشكلة الحدود بينهما عام ١٨٩٨ .

ولم ينته القرن التاسع عشر حتى كانت افريقيا كلها تقريباً مقسمة بين الدول فيما عدا طرابلس ومراكش والحبشة التي نجحت في الاحتفاظ باستقلالها ، وبذلك انتهى مصير القارة الى مناطق نفوذ تقتسمها الدول الاستعمارية ، وبسطت سيطرتها على كل وفق جهده في سبيل تطويرها . وشهد العالم امبراطوريات لم تتسع من الامتداد وسعة النفوذ في التاريخ ما بلغته هذه الإمبراطوريات في مطلع القرن العشرين .

وكانت الإمبراطورية البريطانية أولى هذه الامبراطوريات سعة وامتداد نفوذ وبسطة سلطان ، ولم يشهد التاريخ امبراطورية بهذا الشأن من القوة وسعة الموارد وثروة الحكم مثل الامبراطورية البريطانية . ويطلق عن حق على العالم أن العالم لن يشهد قيام امبراطوريات بهذا الحجم والسلطان بعد ، وقد انقضى زمن القوة والجبروت وأصبحت الشعوب من الشعور بالكرامة والاعتزاز القومي ما لا يستقيم معه شعور الذلة وهوان الخضوع والتسليم للغاصب ، ولن يستقر السلام العالمي حتى تقوم العلاقات بين الشعوب على احترام الحقوق والتعاون لخير الانسانية وسعادة الأفراد .

وقد وصلت الامبراطورية البريطانية عندما لا تغيب الشمس عنها تبلغ مساحتها ١٢ مليون ميلاً مربعاً ، منها شعوب الدومنيون ، وهي المستعمرات التي تطورت أنظمة الحكم فيها وعلاقاتها بالتاج البريطاني حتى أصبحت علاقة تضامن في سبيل الصالح العام ، لا علاقة تبعية وخضوع . وهذه المستعمرات ترتبط ببريطانيا رابطة الجنس والثقافة واللغة وتنظر الى نفسها كأنها في الأمم التي تجمع حولها الأسرة ، وهي كندا واستراليا ونيوزيلندا وجنوب افريقيا . ومنها الشعوب التي تتمتع بلون من الحكم الذاتي أو الشعوب التي تعتبر من أملاك التاج وتخضع خضوعاً مباشراً للحكم البريطاني ويرجع تعدد هذه الأنظمة من الحكم في المستعمرات البريطانية وتباين علاقاتها ببريطانيا الى درجة تطورها ونموها العقلي والحضاري .

وتلي فرنسا في مساحة رقعة الامبراطورية البريطانية ، إذ تبلغ مساحتها حوالى تسعة ملايين ونصف مليون ميل مربع . ولكنها تقصر عن الامبراطورية البريطانية

وحدة أراضيها وتجانس سكانها . فمجموع هذه المساحة يكون في الحقيقة الوطن الروسي . وقد استمدت الروسيا قوتها من وحدة أراضيها وتجانس شعوبها واتساع مساحتها ووفرة مواردها . ولكن سوء الإدارة ومساوىء الحكم القيصري قد جعل الروسيا تتأخر كثيراً عن مثيلاتها في أوربا . وصار الأوربيون ينظرون إليها كدولة شبه شرقية متأخرة وكان حرمانها من النوافذ المفتوحة وسوء مواصلاتها قد أخرها عن مجاراة الأمم الأوربية في [illegible] والإنتاج . وزاد الطين بلة أنها ظلت تحكم حكماً استبدادياً [illegible] والروسي في [illegible] الحكم القيصري حتى قضى عليه البلاشفة عام ١٩١٧

أما الامبراطورية التي تلي هاتين الامبراطوريتين في الأهمية وسعة المساحة فهي الامبراطورية الفرنسية التي تبلغ مساحتها خمسة ملايين ميل مربع . وتمتد هذه الامبراطورية في افريقية وآسيا كما أنها تمتد [illegible] في [illegible] وتبسط فرنسا نفوذها على شمال افريقية من المحيط الأطلنطي إلى وادي النيل ومن الجزائر إلى الكونغو [illegible] جزيرة مدغشقر [illegible] في المحيط الهندي و[illegible] فرنسا في آسيا وبعض جزر الهند الغربية في المحيط الهادي .

ويختلف الحكم الفرنسي في المستعمرات عن غيره [illegible] فهم يعتبرون المستعمرات جزءاً من الوطن الأصلي [illegible] نظمه وقوانينه و[illegible] عليها طاعته واتباع ثقافته وتقاليده .

وقد [illegible] الإيطاليون [illegible] الاستعمار متأخرين [illegible] ولكن [illegible] في الحكم الاستعماري [illegible] من [illegible] في [illegible] وتملك الأرض [illegible] الأملاك [illegible] ميل مربع على ساحل البحر الأحمر في بلاد [illegible] وكانت [illegible] في افريقيا الشرقية [illegible] حتى [illegible] بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى وبذلك [illegible] طويلاً ولم يكن لها [illegible] أو [illegible] في [illegible] .

ويعد [illegible] القرن التاسع عشر [illegible] توسع النفوذ الاستعماري [illegible] أقصى مدى يمكن أن يصل إليه . و[illegible] القرن العشرين ليشهد صراع الدول [illegible] الشعوب المستعمرة وصحو الروح القومي فيها

العالم الإسلامي في نطاق الاستعمار .

[illegible] الشرق الأوسط من حيث الاصطلاح [illegible] والإستراتيجي الحديث
يشمل نطاقا من الأرض ممتدا من أفغانستان إلى شبه جزيرة البلقان

وقد عرفت البلاد الإسلامية [illegible] الإسلامي و[illegible] بلاد الشرق الأدنى في [illegible]
[illegible] الإسلامي في الشرق الأوسط [illegible] مصر [illegible] والعراق [illegible] الخمسة التي [illegible]
[illegible] العرب في هذه البلاد [illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] الشرق الإسلامي من حيث [illegible]
[illegible] هذه البلاد [illegible] وكانت مدينة القيروان [illegible] العرب في تلك
البلاد وعرفت هذه البلاد [illegible] المغرب الإسلامي [illegible] من الشرق الإسلامي

وقد [illegible] هذه البلاد [illegible] في الوقت الحاضر [illegible] مراكش والجزائر وتونس
و[illegible] طرابلس وبرقة [illegible] في [illegible] الحكم العثماني [illegible]
مراكش [illegible] سلاطين [illegible] في البحر الأبيض المتوسط [illegible]
من [illegible] البحر [illegible] أعلام [illegible] لحساب [illegible]
القرصنة [illegible] في [illegible] من [illegible]
البحر الأعلام الذين [illegible] أعلام [illegible] ومن أشهر هؤلاء القواد [illegible]
[illegible] الذي [illegible] الجزائر وبلاد تونس للدولة [illegible] الذي
[illegible] من [illegible] ولم تعد سيادة الدولة العثمانية على هذه البلاد
لسيادة الإسمية .

وقد أصبحت هذه البلاد [illegible] الدولة [illegible] من [illegible] في نهاية [illegible]
الثامن عشر

وفي الوقت [illegible] الفرنسيين للجزائر عام ١٨٣
[illegible] عبد القادر الذي [illegible] حركة مقاومة الفرنسيين في

الجزائر تلك المقاومة التي استمرت قرابة عشرين عاماً. [illegible] حملة حربية عام ١٨٣٥ إلى طرابلس لتدعيم نفوذها فيها والقضاء على أسرة القرمنلي التي كانت تحكم البلاد منذ عام ١٧١٤. وقد نجحت الحملة في مهمتها [illegible] من قبل تركيا وأصبحت البلاد تابعة لها تماماً

وكانت الجزائر أول بلاد الإسلام التي دخلت في حوزة الاستعمار الأوروبي إذ [illegible] لأعداد [illegible] في [illegible] والهند وجزر الهند الشرقية و[illegible] في [illegible] الواسعة لحكم الاستعمار من قبل

[illegible] في كل مجال [illegible] كانت البلاد الإسلامية [illegible] الأنهار [illegible] مدى قرنين من [illegible] الإحتلال الأوروبي لها وأن لم تمنع تغلغل نفوذه.

[illegible] الاستعمار في [illegible] على البلاد الإسلامية [illegible] [illegible] على أملاكها. [illegible] بريطانيا [illegible] مرة في سنة ١٨٣٩ وأخرى في سنة ١٨٧٩ [illegible] [illegible] بالاستيلاء على [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] على الحدود [illegible] [illegible] الخارجية [illegible] حكومة الهند [illegible] لا يكون لهم علاقات سياسية مع أي دولة أخرى ولكن [illegible] الخارجية بعد الحرب [illegible] [illegible] المعاهدات وقد عقدت معاهدات مع تركيا و[illegible] وروسيا كما شتركت في ميثاق سعد أباد عام ١٩٣٧

[illegible] كانت [illegible] روسيا وبريطانيا [illegible]

بين دولتين [illegible] قد [illegible] من وراء الاستعمار، ولكن الدولتين [illegible] من [illegible] عام ١٩٠٧ على تقسيم [illegible] نفوذ فيها وأصبح [illegible] الروسي [illegible] [illegible] البريطاني [illegible] في [illegible] وظلت فارس [illegible] بعده عن نفوذ الدولتين [illegible]

وقد تعرضت بلاد فارس [illegible] الحرب العالمية الأولى [illegible] بين الدولتين كل منها في منطقة نفوذه [illegible] [illegible] [illegible] وبذلك [illegible] المجال لبريطانيا لتبسط نفوذها على كل إيران، ولكن [illegible] النفوذ الأجنبي [illegible] في منطقة [illegible] في فارس [illegible] بين الدولتين لا [illegible] [illegible] كل [illegible] تستقل [illegible] تحت حكم رضا شاه [illegible] على عرش [illegible] شاه [illegible]

وقد حقق [illegible] الأجانب [illegible] ١٩٢٧ وقام بإصلاحات [illegible] [illegible] ونفوذ الأجنبي الذي تعرضت له [illegible] الشرق الإسلامي [illegible] الحرب العالمية الأولى

أما بلاد الإسلام في شمال [illegible] في [illegible] الاستعمار [illegible] إلا أنها [illegible] بلاد الإسلام في شرق [illegible] وهي البلاد التي كانت [illegible] الدولة [illegible] [illegible] وقد كانت [illegible] على الجزائر وتونس [illegible] أهمية [illegible] [illegible] الأمر [illegible] في فرنسا إلا [illegible] عام ١٨٣٥ [illegible] الحكم [illegible] على بلاد [illegible] العثماني

وقد كانت الجزائر أول هذه البلاد في الخضوع لدولة أوربية هي فرنسا فقد [illegible] الفرنسية [illegible] على [illegible] عام ١٨٣٠ [illegible] عام ١٨٤٧ حتى [illegible] الأمر [illegible] على مقاومة الزعيم عبد القادر [illegible] [illegible] الجزائر لوهن ما كان بينها وبين الجزائر من صلات

و[illegible] تونس [illegible] على [illegible] هذه المحاولة قبل أن تحدث محاولة [illegible]

أخرى في شمالي أفريقيا حتى كان عام ١٨٨١ فاحتلت فرنسا تونس فكانت [illegible] في تاريخ [illegible] الاستعماري . وقد [illegible] فرنسا تونس [illegible] [illegible] والأوراق [illegible] في الحرب [illegible] [illegible] تونس [illegible] الثاني الذي أبرم عام ١٨٧٩ بين ألمانيا والنمسا وأصبح [illegible] حلفا ثلاثيا سنة ١٨٨٢ بعد انضمام أيطاليا إليه .

[illegible] مراكش [illegible] في أدخال الأنظمة الحديثة في [illegible]

ولما عقد الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا اعترفت [illegible] في مراكش [illegible] فرنسا في مراكش [illegible] سنة ١٩١٢ [illegible] بين ألمانيا وفرنسا [illegible]

ولكن [illegible] كانت حريصة على أن تترك الجزء الشمالي الغربي من مراكش وهو مواجه [illegible] في [illegible] كل من [illegible] وفرنسا ذلك [illegible]

وقد [illegible] أن [illegible] في [illegible] فاتفقت معها [illegible] على أن [illegible] في مراكش [illegible] [illegible] سنة ١٩١١ وأعلنت الحرب على تركيا واحتلت [illegible] سواحل طرابلس ولم تستطع [illegible] من مقاومة . ولكن [illegible] تركيا في مواجهة [illegible] طرابلس لأيطاليا [illegible] [illegible] في أكتوبر سنة ١٩١٢ [illegible] أوشي لوزان

وكانت بريطانيا قد احتلت مصر عام ١٨٨٢ وفرضت نفوذها السياسي والعسكري عليها وإن ظلت البلاد تابعة لتركيا من الناحية القانونية . وقد ألغت بريطانيا سيادة تركيا على مصر وفرضت الحماية البريطانية عليها في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ في مستهل الحرب العالمية الأولى

وبهذا خضع النفوذ الأوربي شمال إفريقيا من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلنطي ولم تبق في إفريقيا كلها دولة مستقلة كاملة السيادة غير الحبشة التي أوقعت بإيطاليا الهزيمة عدوة وأنقذت استقلالها وسيادتها بذلك .

ثم البلاد الإسلامية في غربي آسيا وهي البلاد العربية ودول الشرق وفلسطين والعراق فقد ظلت ولايات تابعة للدولة العثمانية تعاني من الاضطرابات وتعاني كثيراً من ألوان الظلم والضياع العسكري والتعسف حتى قامت الحرب العالمية الأولى وخضعت للسلطات السياسية في أعقاب هذه الحرب وتقاسمت مناطق النفوذ فيها كل من بريطانيا وفرنسا .

ولم ينج من هذا المصير حتى أن قضت على النفوذ الأجنبي وممتلكاته الجزيرة السعودية وقام ذلك بعد أن تمكن عبد العزيز آل سعود على أنقاض النفوذ الهاشمي وضم الحجاز ونجد والأحساء . ثم الكويت والبحرين على الخليج الفارسي للاستقلال ونهج آل سعود في تحقيق ذلك منهج الدولة التي قامت على الأساس الديني الذي قامت عليه حركة الوهابية من قبل

الفصل السادس

بداية الضغط الاوربي

والمسألة الشرقية

قلنا أن بلاد الشرق الأوسط قد وقعت في حوزة الدولة العثمانية التي بسطت نفوذها السياسي والروحي على العالم الإسلامي نتيجة [illegible] العثمانية في الشرق ، وجهود رجال [illegible] على [illegible] ونقل الخلافة الإسلامية [illegible] السلطان العثماني [illegible] العثمانيين في بلاد الشرق الأدنى [illegible] روحية على [illegible] الأوربي [illegible] حكم الأسرة [illegible] في مستهل القرن [illegible] عشر [illegible] عثمانية في [illegible] الخلفاء الراشدين

وقد [illegible] عام ١٥١٤ ، عندما [illegible] الصفوي [illegible] العثمانية [illegible] السلطان سليم الأول في معركة جالديران ، [illegible] العثمانيون [illegible] فارس العربية التي [illegible] من [illegible] بمقاومة الضغط الأوربي الذي وقع عليهما في وقت واحد تقريباً ، ولعبت روسيا فيه الدور الأول.

وقد [illegible] موجة [illegible] العثمانية في الشرق كما [illegible] في الغرب ، [illegible] من بلاد الشرق الأدنى مصر والعراق والشام كما [illegible] من بلاد [illegible] المسيحي

فى شرق أوربا وتوسعت عبر [illegible] ووصلت حتى البحر الأسود شماله وشرقه [illegible] وفرضت نفوذها [illegible] أكثر من مرة [illegible] وحفظت الدولة العثمانية هيبتها فى تلك البلاد، طالما كانت تحتفظ بقوتها الحربية والإدارية سليمة من عوامل الضعف التى دبت فيها فيما بعد، و[illegible] القوى الأوربية فى صفها فأخذت تنحو عليها وتقتطع من أطرافها.

وقد [illegible] الأوربيون على مواجهة المد العثمانى فى الشرق والغرب ثم انحساره تحت الضغط الأوربى [illegible] كل فى محاولة التمكن فى قسمة أملاك الدولة العثمانية بعد انهيارها اسم « المسألة الشرقية ».

وقد بدأت المسألة الشرقية فى دورها الأول وأوربا لا تفكر فى غير مقاومة الزحف العثمانى وصده فى شرق أوربا، فكانت محاولات [illegible] التى اشتركت فيها [illegible] والنمسا وإسبانيا وأخيرا روسيا بزعامة البابا لا ترمى إلا إلى إيقاف التوغل العثمانى فى أوربا وصده عن اجتياحها.

حتى إذا بدأت الدولة العثمانية [illegible] وتظهر عليها علائم الركود [illegible] فى حروبها [illegible] بدأ الدور الثانى من المسألة الشرقية الذى يتسم بالضغط الأوربى [illegible] والتفكير فى مصير الدولة العثمانية واختلاف دول أوربا حول هذا المصير.

ولم يكن الضغط الأوربى العامل الوحيد الذى لعب دوره فى المسألة الشرقية بل عرضت لها عوامل أخرى كان لها أكبر الأثر فى [illegible] والاتجاهات التى عرضت لها. وأول هذه العوامل هو الشعور بالقومية الذى أخذ يدب فى مختلف الشعوب المسيحية فى حوزة الدولة العثمانية [illegible] فى أوربا، وكانت هذه الشعوب أسبق فى الشعور بالقومية من الشعوب العربية والإسلامية التى [illegible] فى منتصف القرن السادس عشر فقد كانت رابطة الخلافة [illegible] تجمع بين هاته الشعوب الإسلامية والدولة العثمانية وكانت القومية الدينية التى عاشت الشعوب الإسلامية فى ظلها قرابة أربعة قرون تطغى على القومية العنصرية [illegible] العامل الثانى [illegible] عن

جموح بعض الولاة القادرين وزعمائهم وسعيهم للاستقلال عن زمام السيادة العثمانية ولو لم تقض عليهم قوة الرابطة الدينية وسيادة الخليفة الروحية فى بلاد الإسلام ، فقد كان هذا العامل الذى أكثر وضوحه فى بعض البلاد الإسلامية هى مصر وألبانيا

وقد بدأ اتصال الأوربى بالبلاد الإسلامية ثم تبعت بالبلاد الإسلامية وكانت الحملة الفرنسية على مصر أول هجوم أوربى للبلاد الإسلامية التابعة للدولة العثمانية ، وكانت محاولة حربية لاقتحام الطريق البرى فى الجهة الشرقية نظرا لاهتمام أوربا بمصر وأن حتى صار الطريق لدى جميع الأمم بعد تحول تجارة الشرق إلى الطريق البحرى حول الرجاء وأخذت أوربا ولا سيما إنجلترا تعد من أولها همها وهذا ما عرف « بالمسألة المصرية » وهو تعبير أوربى أيضا كتعبير المسألة الشرقية ويدور حول مصير مصر مثلما يدور تعبير المسألة الشرقية حول مصير الدولة العثمانية . كما حدث العدوان على بلاد فارس ... وكان هذا مظهرا آخر للعدوان الأوربى على البلاد الشرقية

وقد واجه الأتراك أشد مواجهة وأشد ما واجههم الأوربيون المتعصبون فى أوربا فى ذلك الوقت قوة البندقية فى البحر الأبيض المتوسط وكانت قد اتخذت فيه مراكز عديدة للتجارة وسودها فى البحر الأسود ... وقوة الإمبراطورية التى ... فى وسط أوربا ... لكشف الأكبر للعثمانيين فى القرن السادس عشر ورغم كل ما كسبه العثمانيون من بلاد وأقاليم على حساب هاتين القوتين فى أوربا إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء عليهما ، ... بعد وقت هاتين القوتين ثيران النزاع والحروب بين العثمانيين وبينهما ... من الدولة العثمانية ... الذى أخذت ملامحه فى الظهور فى أواخر القرن السادس عشر ، وقد ... كان هذا الدور من الضعف والقرن السابع عشر قد آذن بالأفول ، ولم يلبث حتى دخلت قوة جديدة إلى ميدان المسألة الشرقية ما لبثت أن لعبت الدور الأكبر فيها فيما بعد وهى الروسيا .

وقد [illegible] روسيا [illegible] دولة [illegible] [illegible] [illegible] أوربه [illegible] للفتوح حتى [illegible] [illegible] الأصقاع [illegible] [illegible] ومن الخروج من نطاقها الضيق ، وما [illegible] [illegible] ذلك

[illegible] روسيا [illegible] حتى [illegible] [illegible] [illegible] البحر الأسود [illegible]

[illegible] وكان هو العامل [illegible] المسألة الشرقية وقيامها بأكبر دور فيها في القرنين الثامن [illegible]

[illegible] القرن السابع عشر فلما احتل آزوف [illegible] على البحر الأسود الذي [illegible] الشمالية حتى انحصرت [illegible]

[illegible] المسألة الشرقية في ختام القرن السابع عشر [illegible] [illegible]

وفي القرن الثامن عشر [illegible] على [illegible] في [illegible] الدول الأوربية [illegible] إلا أن روسيا [illegible] في [illegible] دائبة عليها ولا تعدم أن تحرز ضدها بعض الانتصارات .

[illegible] عام ١٩٢٣ التي ختمت هذا الصراع [illegible]

[illegible] على الجزر الأيونية كما سلمت لها الدولة العثمانية باحتلال المورة ، واستمرت تحكم [illegible] الأعظم قومرجي على في زحف سريع عام ١٧١٥.

[illegible] عام ١٧٩٧ [illegible]

وقد لحق بولندا ما لحق [illegible] هذا المصير ، وكان انهيار بولندا متأثراً إلى حد ما بظروف [illegible] الشرقية في ذلك الوقت الذي شغلت فيه أوربا بوراثة العرش البولندي ، [illegible] الدستوري وتحويل الملكية

السويد [illegible] ملكية وراثية حتى [illegible] على [illegible] الأخرى [illegible] كلها حتى عرش
بولندا [illegible] مرشح على [illegible] وقد كان [illegible] في بولندا و[illegible] فرنسا وبولندا
ضد الأطماع الروسية [illegible] على [illegible] حتى [illegible] وبين [illegible] نفوذها في
بولندا ووجدت روسيا أن بولندا تحول بينها وبين التوسع غربا فحسبت [illegible]
التهامها ودعت فردريك الأكبر [illegible] واشتركت [illegible] في [illegible]
[illegible] بولندا بين الدول الثلاث لأول مرة عام ١٧٧٢ [illegible] في [illegible]
الشرقية إلى الأبد

وأما القوى [illegible] ميدان المسألة الشرقية [illegible] فرنسا ثم
روسيا [illegible] أن فرنسا كانت أقدم في [illegible] العثمانيين من أي دولة أوربية
أخرى وكانت [illegible] علاقات [illegible] عهد [illegible] فرنسوا الأول
و[illegible] معاهدات الامتيازات المعروفة وقد استطاعت فرنسا عام ١٧٤٠ أن تجددها
[illegible] معاهدات دائمة بعد أن كانت [illegible] السلاطين [illegible]
وارتفعت مكانة فرنسا في الشرق الأدنى حتى أن كثيرا من التجار الأوربيين كانوا
يفضلون رفع العلم الفرنسي على أعلام دولهم [illegible] من حماية ورعاية في [illegible]
العثمانية . كما [illegible] في هذه المعاهدات باعتراف الدولة العثمانية بحقها في حماية الرهبان
الكاثوليك في الأراضي المقدسة [illegible] الثالث على
التدخل في جانب [illegible] الكاثوليك ضد الرهبان الأرثوذكس في الخلاف بينهما
حول مفاتيح كنيسة القيامة وحق حفظها .

ووقفت فرنسا [illegible] في حروبها ضد روسيا
والنمسا في القرن الثامن عشر فكانت أسبق الدول الأوربية في انتهاج سياسة المحافظة
على الدولة العثمانية وحمايتها من عدوان [illegible]

أما روسيا فقد دخلت ميدان المسألة الشرقية لأول مرة بعد أن [illegible] وجودها
في المجتمع الأوربي [illegible] لأول مرة دولة قوية على يد بطرس الأكبر
[illegible] الدور [illegible] كان [illegible] السياسة الأوربية [illegible]
[illegible] مسألة شرقية [illegible] فقد كانت ترى أن [illegible]

في شرق أوربا يتأثر بين حين وحين بتقدم الدولة العثمانية أو روسيا وهي حريصة على استقرار التوازن الدولي ولا سيما بعد أن أخذت تتكشف عن سياسة الدولتين الروسية والنمساوية ثم أنها لا تنظر بعين الارتياح إلى وضع انكلترا في سياستها كما لم ترتبط بمحالفة مع انكلترا التي كانت تشترك في حرب مع الدولة العثمانية هددت سلامتها تهديداً خطيراً . ورأى فردريك الأكبر أن عقد تحالف بينه وبين هاتين الدولتين قد يكون عاملاً كافياً للسلام وحال بين روسيا وبين استمرار الحرب ضد تركيا ورضي في وقت نفسه [illegible] روسيا [illegible] وقد وقف موقف الحكم بين الدولتين بما رفع من مكانة بروسيا السياسية وكسب عطف كل من روسيا والنمسا التي ستقومان به من تقسيم بولندا

وقد وقعت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية عام ١٧٨٧ وكانت روسيا حليفة النمسا التي أعلنت الحرب في عام تالي ضد العثمانيين ووقع الخطر على الدولة العثمانية من جانب روسيا والنمسا في الضغط على الدولتين [illegible] للمواضيع التي [illegible] الدولتان حرصاً على مصالحهما [illegible] سياسة الأوربية في ذلك الوقت فقد كانت الثورة الفرنسية [illegible] [illegible] روسيا [illegible] ووجدت روسيا في عقد الصلح [illegible] بين حربين [illegible] كانت [illegible] في حرب مع [illegible] كما وجدت أن انشغال الدولتين [illegible] الأوربية [illegible] في [illegible]

وهكذا استطاعت بروسيا أن تلعب دورها في المسألة الشرقية في القرن الثامن عشر دون أن تكون لها أهداف واضحة فيها وإنما كان دورها مرتبطاً بسياسات [illegible] أوربية ولم تكن [illegible] الاستعمارية قد [illegible] بعد

وفي هذا الدور الأخير الذي لعبته بروسيا في الضغط على روسيا والنمسا لمهادنة العثمانيين نرى أنها بدأت تظهر على مسرح المسألة الشرقية لأول مرة وكانت [illegible] بروسيا بعد الانقلاب [illegible] حروب [illegible]

ولم يكن لألمانيا مصالح مباشرة في بلاد الدولة العثمانية حتى ذلك الوقت ولم تكن

حاربة الفرنسيين وجهها إلى الحد الذي دعاهم إلى محاربة ملك البلاد أو شغل [illegible]
بمشاكلها ولم تلمح الخطر الذي يهدد مصالحها باقتراب الروس من البحر الأبيض
المتوسط أو سيطرتهم على مفاتيح الطريق البري إلى الهند وكان [illegible] ولم [illegible] أول
من نبه هذا الخطر وأدرك ما يحمله اقتراب الروس من الطريق البري الذي يمتد
دون الدولة العثمانية وحول بين القوى الأوربية واستعد به فأعلن سياسته التي ترمي
إلى المحافظة على سلامة الدولة العثمانية تحول بينها على طريق الهند وهي السياسة التي
أخذت بها إنجلترا في القرن التاسع عشر وإن كانت لم تجد لها صدى في ذلك الوقت
لدى الرأي العام الإنجليزي الذي مضى ينظر إلى الدولة العثمانية نظرة عدائية وقام
كثير من النواب [illegible] وينددون بسياسته الرامية التي ترمي
إلى المحافظة على الدولة العثمانية ويرون في القضاء عليها صلاحاً للمدنية الأوربية .

ولم يشهد القرن الثامن عشر في تاريخ المسألة الشرقية إلا بالكاد الدور البارز
الذي لعبته روسيا في ميدانها وخاصة بعد أن شهد هذا القرن ضعف السيطرة العثمانية وأصبح
روسيا والنمسا [illegible] في تولد تلك الأطماع التي تنصب على كيان الدولة العثمانية
والأقليمي فلم تبرز في ميدان المسألة الشرقية ما برزت في القرن السابع عشر وإن
كانت قد عادت في ميدان وهي التي حملت عبء الكفاح وكانت على رأس
المحالفات المقدسة [illegible] حتى ذلك الوقت إلا أن دورها في القرن الثامن عشر
كان دون الدور الذي قامت به روسيا وإن كان يتلوه في الأهمية

وقد تم صلح كارلوفتز حول الصراع الأوربي حول المسألة الشرقية في القرن
الثامن عشر وقد برزت روسيا إلى ميدانها تدفعها عقلية بطرس الأكبر وتطلع
سياستها تلك المطامع الأثيلة التي أصبحت شعار قياصرة آل رومانوف من بعد

وقد تنازلت روسيا في صلح كارلوفتز على آزوف على أن العثمانيين ما لبثوا أن
استردوها في صلح بروث عام ١٧١١ بعد أن أوقعوا بالروس هزيمة عند نهر بروث
كادت تقضي على دولتهم وهي في بادئ نهضتها وحملوهم على هدم ما أقاموه من
حصون ومواقع دفاعية على ساحل البحر وتسليم ما فيها من مدفعية وذخيرة وإطلاق

سراح الأسرى المسلمين والتعهد بعدم إنزال قوة بحرية فى البحر الأسود أو التدخل فى شئون أوكرانيا وبولندا .

ولم يحرز العثمانيون من النصر حيال النمساويين ما أحرزوه من نصر حيال الروس واضطروا إلى عقد صلح بساروفتش عام ١٧١٨ م لم تخسر الدولة العثمانية فيه شيئاً ولم تكسب النمسا منه شيئاً كثيراً .

وجاءت فترة من السلام أشبه ما تكون بهدنة مسلحة بين الدولتين ثم سعت أحدهما فى تقسيم الدولة العثمانية وعقدتا فى عام ١٧٢٦ محالفة دفاعية هجومية ضدها ثم وقعت الحرب بين روسيا وتركيا عام ١٧٣٦ عندما اقتحم الروس بلاد القرم وحاصروا آزوف وفى العام التالى دخلت الدولتان المتحالفتان الميدان وشاركت النمسا بدورها فى الحرب مشاركة فعلية وأحدث العثمانيون انتصارات اضطرت النمسا إلى عقد صلح وخرجت روسيا بالصلح بعد ما لاقته من مقاومة العثمانيين وما واجهته من مشاكل داخلية وخارجية حدثت وقد كان أهم هذه المشاكل الداخلية فى بلادها وعزم السويد على حربها وأخيراً خروج النمسا من الميدان ولم تلبث أن تصالحت مع الباب العالى وعقد صلح بلغراد عام ١٧٣٩ م لم تكسب فيه روسيا غير آزوف على أن تهدم قلاعها كما قبلت أن تنقل تجارتها على سفن تركية وقبلت بأن لا تدخل سفنها البحر الأسود .

وقد صاحب هذا الدور من الحرب ظهور ما عرف بالمشروع الشرقى ومحتواه هدم الدولة العثمانية وقيام دولة مسيحية فى الدولة العثمانية وكانت قد أحدثت فى فترة الأعداد للحرب وتنبؤ لها بعث دعايتها بين المسيحيين وتثيرهم ضد الدولة حتى أحدث روح التذمر والثورة بينهم وأصبح مشروع الشرق عنصراً جديداً فى السياسة الأوروبية حيال الدولة العثمانية .

ويعتبر صلح بلغراد آخر صلح رابح أبرمه العثمانيون مع الدول الأوروبية ثم جاء سلام طال نوعاً ما فى تاريخ المسألة الشرقية حتى اعتلت كاترين الثانية عرش روسيا عام ١٧٦٢ وتبنت عقيدة طرد الأتراك وأحلام تخلق بيزنطة جديدة فى موطن بيزنطة القديمة يعتلى عرشها أمير من آل رومانوف وأعدت جيشها

لتكون امبراطورة تستقل في مرحلة جديدة ، وكان نفوذ فرنسا قد أخذوا على روسيا اتساع نفوذها في بولندة وأخذوا يحضون الدولة على حرب ذلك وخصومهم بالحرب لها فقد كانت تتوقع لا تسترجع للنفوذ الروسي في بولندة وتخشى من بعد هذا النفوذ إلى البحر الأبيض المتوسط فيهدد طموحها الامبراطوري فيه . وأخيراً وقعت الحرب ، أعلنها السلطان مصطفى الثالث في أكتوبر عام ١٧٦٨ عقب اندلاع حرب بولندية ولكن الحرب لم تسر على الدولة عثمانية ولا في مصلحتها وسرعان ما احتل الروس الأفلاق والبغدان وبسارابيا والقرم وأخذ الخطر يقترب من الآستانة ويهدد البواغيز وكان الأسطول الروسي الذي خرج من بحر البلطيق إلى البحر الأبيض المتوسط قد هاجم سواحل الدولة وبعض قواعدها الحربية وفي ذلك العصر ثار على السلطان كعلي بك الكبير في مصر وظاهر العمر في عكا ، ولم تعد الدولة من الإجهاد ، ولا تنسى مسألة الوهابية وثورة المورة في حوض نهر الدانوب وسطو روسيا . انتهت الحرب فلم تر أوروبا بداً من دون تدخل وانتهت مع ذلك بمعاهدة كجوك كينارجي عام ١٧٧٤ التي أصبحت حدثاً هاماً في تاريخ مسألة الشرقية وتطورها .

ولم تكن أهمية معاهدة كجوك كينارجي فيما كسبته روسيا من بلاد ومساحات فحسب ، ولا بما انفصل عن القرم وزمن سيادة الخليفة الروحية على شعبها وحدث عن كل ما احتلته من بلاد أخرى . ولكن كانت أهميتها في تلك الحقوق التي كسبتها روسيا وعرفت لها بمقتضاها وأهمها حرية الملاحة للسفن الروسية في البحر الأسود وفتح البحار لروسيا فضلاً عن معاملة بمقتضى الامتيازات في المعاهدات وأن تمثل أوروبا سفيراً لها في الآستانة ويكون لها كنيسة فيها ، ثم نصت المعاهدة على رعاية حقوق المسيحيين وحريتهم الدينية وإنشاء كنائس جديدة وإصلاح ما كان قديماً منها وكان هذا النص وصفه بعد ذلك للروس حق التدخل لحماية الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية كما نص المعاهدة عموماً على رعاياهم وشئون استقلالهم الشئون الداخلية الأخرى ، وكان هذا النص أثره في تطور المسألة الشرقية فقد جعلت روسيا تتدخل في شئون الدولة الداخلية بحجة حماية المسيحيين كلما عن لها الأمر للتدخل

وساد الهدوء بعض الشيء ميدان المسألة الشرقية بعد معاهدة كوجوك كينارجي ولكن كاترين الثانية لم تنس المشروع الشرقي وأخذت [illegible] في أملاكها [illegible] حتى [illegible] عام ١٧٨٧ و[illegible] الحرب [illegible] روسيا في [illegible] وكانت [illegible] قد توطدت بين الدولتين [illegible] الدولة العثمانية [illegible] في أعقاب الحرب وأبرمتا فيما بينهما تحالفا ضد الدولة العثمانية [illegible] في هذه الحرب [illegible] ١٧٩١ [illegible] الثورة الفرنسية التي أخذت تهدد بمبادئها حقوق الملكيات المستبدة [illegible] مع روسيا [illegible] روسيا [illegible] في [illegible] حتى [illegible] وكانت [illegible] معاهدة كوجوك كينارجي [illegible] روسيا [illegible] حتى [illegible] البحر الأسود [illegible]

[illegible] المسألة الشرقية في [illegible] روسيا [illegible] البحر الأسود [illegible] كل [illegible] القلاع و[illegible] الروسية على [illegible] المسألة الشرقية ومطالع أهم أدوار تطورها.

المسألة الشرقية في القرن التاسع عشر

وفي القرن التاسع عشر [illegible] المسألة الشرقية [illegible] دور [illegible] أخطر أدوارها [illegible] في الأوسط في الوقت

الخاصر فقد بدأ الضغط الأوروبي بعد أن كان واقعاً على البلاد المسيحية في الدولة العثمانية
ويتجه نحو البواغيز فحسب، يتسع ليشمل بلاداً إسلامية عربية ويمتد إلى حوض
الشرق من البحر الأبيض المتوسط بغية أحياء الطريق البري واحتكار تجارة اللفانت
والوصول إلى تجارة الهند وكان صاحب هذه الفكرة نابليون بونابرت بحملته على مصر
عام ١٧٩٨ ومشروعه الكبير في غزو الشرق وفتح طريق مصر البري إلى الهند

وقد فتح [illegible] بحملتهم هذه بابا [illegible] في تاريخ [illegible] الشرقية
[illegible] المصرية [illegible] دول أخرى [illegible] فقد كان الضغط [illegible] على
الدولة العثمانية في [illegible] من جانب روسيا واتضح [illegible] الفرنسية على مصر
[illegible] في هذه [illegible] الشرق من الدولة العثمانية فكانت
[illegible] وإن كانت [illegible]
[illegible] في [illegible] استمرارها [illegible]
في الضغط على النطاق الغربي

وقد أصبحت مصر محور [illegible] الدول في هذه [illegible] الشرقي كما كانت [illegible]
واستانبول محور [illegible] في النطاق الغربي، وجرت الأحداث في كل منهما
[illegible] الأوروبية و[illegible]

وكانت الحملة الفرنسية على مصر انقلابا خطيرا في تاريخ العلاقات الفرنسية
[illegible] أركان قوة الوشائج منذ أيام فرنسوا الأول ومعاهدات
الامتيازات الأولى [illegible] للفرنسيين وذلك في النصف
الأول من القرن السادس عشر

[illegible] إمبراطورية لها
في الشرق [illegible] روسيا عندما
[illegible] سياسة [illegible] مصر كانت في الواقع
[illegible] على [illegible] وكان له أثره في تطور

الاهتمام الدولي بهذه المنطقة . فلم يكن خافيا عليها ما ينطوي عليه مشروع
نابليون من أهداف لو تحققت لتحققت إمبراطوريته في الشرق وقضت على قوتها في
القارة الأوربية ولم يكن ليفوتها أن هذه الحملة من قبل حتى [illegible] ذلك بسنوات
قليلة أطلقت [illegible] في مصر [illegible] من [illegible] وكان هو صاحب
رأي القائل بأهمية مصر لسلامة الإمبراطورية البريطانية [illegible] من سلطانه
[illegible] في بريطانيا العظمى [illegible] هذه المغامرة العسكرية التي
قام بها نابليون واحتلال مصر [illegible] في عصر الذي تحقق [illegible] من ورا
ذلك وكان أول مقاومة [illegible] خطوات نابليون في [illegible]
فرنسا بحصار الشواطئ المصرية بحرا

وقد دعم [illegible] من [illegible] على مصر [illegible] يكون هذه [illegible]
مشروع أوربي عام لفرض [illegible] ولكنه [illegible]
[illegible] في مصر [illegible]
[illegible] حرب من [illegible]

وكان للحملة [illegible] على العلاقات [illegible] تدهورها [illegible]
[illegible] الشرقية [illegible] على [illegible] وهي ترمي
إلى [illegible] مشروعات توسيع [illegible] تكتلها [illegible]
على الباب العالي تحت ستار الصداقة الجديدة . [illegible]
ولكنه [illegible] كان [illegible] من [illegible] تستقر على
[illegible] الأوربية [illegible]

[illegible] في مصر [illegible]
من [illegible] ١٨٠١ وفي [illegible] في [illegible]
على أن [illegible] مصر [illegible] الدولة [illegible]
على [illegible] وكان [illegible] مع [illegible] في حرب [illegible]
ولكنها لم تحل عنها إلا بعد ذلك بعامين .

ومن [illegible] الأخطر [illegible] هذا الموقع الذي [illegible] مصر [illegible] أحداث
[illegible] من عودة الفرنسيين [illegible] للعلاقات
الفرنسية التركية من كثب واحتلوا جزيرة مالطة حتى يرقبوا منها حركات الأسطول
الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط

ومن [illegible] في مصر [illegible] وأن شغل عنها عاهلها بنشاطه
العظيم في [illegible] أوربا [illegible] كما كان يرمي
إلى [illegible] من الدولة العثمانية حتى [illegible] فرنسا [illegible] في العالم العثماني ،
و [illegible] صداقة
فرنسا للباب العالي [illegible] في الصلح الذي عقده مع النمسا بعد انتصاره عليها
في أوسترلتز قد انتزع منها مقاطعة [illegible] على ساحل الأدرياتيك وأصبحت فرنسا تتاخم
حدود الدولة العثمانية في البلقان

و [illegible] للدولة [illegible] هذه
الإمبراطورية [illegible] كلا من روسيا وانجلترا [illegible] وكانت روسيا ترمي
إلى الاستيلاء على ولايتي ملدافيا وولاشيا وكانتا تعرفان باسم الأفلاق والبغدان حتى
تقرب من البلقان لتنشر [illegible] شعوبه وتؤلبها على الحكم العثماني وكان هذا جزءاً
من سياسة روسيا السلافية

و [illegible]
[illegible]
وكانت [illegible] في [illegible] أوربا [illegible]
[illegible] أوربا

و [illegible] على مصر [illegible]
في الإسكندرية [illegible] ١٨٠٧ [illegible]
[illegible]

ولكن الانقلاب السياسي الذي تم في [illegible] واسمى تحالف روسيا وفرنسا في اتفاقية « تلسيت » سنة ١٨٠٧ [illegible] العثمانية [illegible] تؤمن [illegible] وسلامتها [illegible] حيث مشروعات [illegible] ما تناولته نصوصها وكانت الحرب [illegible] قائمة بين [illegible] وروسيا

[illegible]

[illegible]

وفي مقابله [illegible] ١٨٠٨ [illegible] باستيلائها على فنلندا وولايتي الأفلاق والبغدان .

[illegible] على عقد صلح تقتطع به جزءاً من أملاكهم .

[illegible]

الصلح مع تركيا ، وحصلت [illegible] ولكن تركيا لم تقبل وقد أدركت [illegible] [illegible] من أن [illegible] [illegible] سياسة [illegible] على مصالحها الحقيقية فعقدت صلح بوخارست عام ١٨١٢ استرجعت به الولايات الشمالية ما عدا بسارابيا التي ظلت وحدها في يد الروس

وفي مؤتمر فينا الذي عقد عام ١٨١٥ [illegible] خريطة أوربا بعد الحروب [illegible] [illegible] سلام أوربي جديد [illegible] [illegible] على [illegible] في القارة الأوربية لم يشأ المؤتمر أن يبحث موضوع المسألة الشرقية ، فقد كان الاسكندر الأول قيصر روسيا يفضل أن تكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولم تكن تركيا ترضى أن تشترك في مؤتمر [illegible] [illegible] الأحلاف النصرانية [illegible] الحالفة المقدسة ، لتتقيد من قراراته وضماناته

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصدر القلق والنزاع في القرن التاسع عشر [illegible] [illegible] [illegible] مرحلة في تاريخها ، وكان أهمها عاملان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] للاستقلال [illegible] والخلاص من [illegible] [illegible] وكانت [illegible] [illegible] [illegible] الأول ، كما كانت محاولة محمد علي في مصر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية أثارت اهتمام أوربا ، وقد بدأ العاملان في وقت واحد تقريباً ، وكان كل منهما مجالا خصباً للمناورات السياسية للدول التي تتنافس حول المسألة الشرقية [illegible]

ثورة اليونان

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تحت حكم القياصرة والأباطرة والملوك في أوربا [illegible] وكانت حقوقهم [illegible] [illegible] رعاية بطاركتهم في الآستانة الذين منحوا من الحقوق [illegible] على [illegible] [illegible] ما

كان لهم من حقوق دينية وكانوا بهذا سنداً للشعوب المسيحية التي تعتنق المذهب الأرثوذكسي في البلقان .

ولم تكن الثورة اليونانية حركة [illegible] وقعت بين [illegible] وحدهم ، فقد كانت نتيجة للحركة والرغبة اللتين [illegible] ، ونتيجة لانتشار الوعي القومي في أوربا ، وانتشار حقوق الإنسان التي جاءت بها الثورة الفرنسية .

وقامت الثورة اليونانية [illegible] الإغريق [illegible] حركة [illegible] بين [illegible] على [illegible] الإغريق [illegible] الفريقين ، ووقع الثوار [illegible] وحرب [illegible] بين الفريقين [illegible] متعصبة . واستنجد السلطان بمحمد علي والي مصر على أن تضم إليه ولاية بلاد مورة وجزيرة كريت .

ووقفت الدول الأوربية ترقب تطور الثورة [illegible] روسيا [illegible] لتحقيق [illegible] وعطفت على الثورة [illegible] الأمر [illegible] قرار مؤتمر [illegible] عام ١٨٣٠ م [illegible] وكان [illegible] مقاومة الثوار [illegible] تؤدي إلى [illegible] الشرعية في البلاد [illegible] الحكومات الشرعية ، ولم تشترك انجلترا في إصدار قرار وإن اشتركت في المناقشات التي دارت حوله [illegible] ، وكانت قد [illegible] في مؤتمر إكس لاشابل عام ١٨١٨ م [illegible] قرار [illegible] وروسيا [illegible] الثورة [illegible] عليها حتى لا يجر تدخلها إلى أزمة أوربية كبرى قد لا تقف عند حد .

ولم [illegible] الدول الأوربية [illegible] وحرصت على [illegible] حكومة الثوار في مارس عام ١٨٢٣ وكانت [illegible] من [illegible] لدى [illegible] الإنجليزي [illegible] لا [illegible] الحكومة [illegible] وكانت من قبل قد أحدثت

بوجه عام في هذه المنطقة ، فحلت [illegible] بعد حملة نابليون على مصر واستولت
على [illegible] الأيونية [illegible] وثبتت في مؤتمر فينا عام ١٨١٥ .

ورأت روسيا في موقف انجلترا [illegible] الحكومة للثوار [illegible] في التدخل
وسياسة الجبهة . وكان التدخل المصري في الثورة قد أثار كل عوامل السخط
في روسيا فدعت [illegible] إلى مؤتمر يعقد في بطرسبرج [illegible] على أساس تقسيم
اليونان إلى ثلاث ولايات تتمتع بحكم ذاتي تحت سيادة السلطان ، ولكن الدعوة
لم تلق قبولا من جانب الدول [illegible] روسيا على
الإمبراطورية [illegible] أن تكون مؤتمر [illegible] وسيلة لإجبار
قرار تروباو وتطبيقه على اليونان ، ورفضت تركيا [illegible] قرارات المؤتمر ،
[illegible] الأوربية

[illegible] مصر [illegible] عام ١٨٢٥ ، [illegible]
[illegible] روسيا [illegible] من الثورة [illegible]
[illegible] على [illegible] استقلال
[illegible] الدول [illegible] انجلترا [illegible] ،
[illegible] حتى [illegible] وفي
[illegible] إلا من فرنسا . واتفقت الدول الثلاث في معاهدة لندن عام ١٨٢٧ ،
على استقلال [illegible] على [illegible]
[illegible] ولكن [illegible] هذا [illegible] أدى إلى
التدخل [illegible] الأسطول [illegible] المصري [illegible] في سنة ١٨٢٧
[illegible] على [illegible] ولاسيما
روسيا [illegible] من [illegible] لإعلان الحرب على تركيا [illegible] كل
من [illegible] محمد علي على سحب قواته من [illegible] وأحدثنا
[illegible] تركيا وروسيا ، [illegible] سياسة الإبقاء
[illegible] تركيا حتى لا يؤدي ذلك إلى إضعافها .

وقد استمرت الحرب بين تركيا وروسيا واستطاع الترك أن يصدوا الروس أمام فارنا وشملا، ولكن الجيوش الروسية تمكنت من اختراق جبال البلقان والاستيلاء على أدرنة، وكان الجهد قد بلغ بالمتحاربين مداه فقبلا الصلح وعقدت معاهدة أدرنة في سبتمبر عام ١٨٢٩ على أن:

١ — تمنح ولايات الأفلاق والبغدان استقلالاً في إدارتها تحت حماية روسيا.

٢ — تمنح الدول كلها حرية الملاحة في البحر الأسود، وحرية المرور في البواغيز.

٣ — يعترف الباب العالي باستقلال اليونان استقلالاً داخلياً حسب [illegible] معاهدة لندن أو تقضي الدول الثلاث على أن تعين حدودها من جميع [illegible] جميع الدول.

غير أن الدول رأت في استقلال اليونان على هذه الصورة وسيلة لتدخل روسيا في شئونها فقررت في عام ١٨٣١ أن يكون استقلال اليونان تاماً، وأن تضمن هذا الاستقلال من شاءت من الدول، وبذلك [illegible] مرحلة من مراحل الضغط الأوربي على الدولة العثمانية، كانت فيها النصرانية والأطماع [illegible] من العواطف والاعتبارات الصادرة من وحي [illegible] تسيطر على اتجاهات السياسة الدولية حتى الوقت الحاضر.

محمد علي والمسألة الشرقية

وقد نشب الخلاف بين محمد علي والسلطان [illegible] في فتح الشام ودخول الجيوش المصرية من الأناضول [illegible] في المسألة الشرقية، ولكن [illegible] الأوربي [illegible] مصر وتأييده لمحمد علي، حتى فرنسا التي كانت تعطف عليه ما استطاعت أن تكون ذات نفع له بقدر ما عرف به وطمعه في عونها ومساعدتها.

ويختلف موقف الدول من محمد علي عن موقفها من الثورة اليونانية فقد كانت انجلترا أكثر الدول تشيعاً بنصرة الثوار وعونهم بقدر ما كانت أكثرها عداء وتحاملا على محمد علي. فقد كانت ترى في استقلال اليونان ما يعوق روسيا عن الوصول إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وما يحد من نشاطها في الجزء الجنوبي من البلقان وكانت فرنسا تسير على الدرب لأنها تشترك معها في هذه السياسة [illegible] كما كانت تطمع من ناحية أخرى في صداقة اليونان ودول البلقان بعد أن تقوى وتنصر هذه العقيدة ولا سيما بعد أن أصبح عرش اليونان ملك تمت بصلة للمصاهرة إلى البيت المالك الانجليزي

أما محمد علي فلم تكن تطمئن اليه أو تستريح إلى دعوته وسياسته وترى في مشروعاته هدماً لكيان الدولة العثمانية كما ترى فيه تهديداً لنفوذها في الخليج الفارسي وسواحل شبه الجزيرة العربية وكانت تخشى أن يؤدي نجاحه إلى أن يحوي أهم القواعد في خطوط مواصلاتها إلى الهند [illegible] من ناحية أخرى [illegible] فرنسا ومحمد علي من صلات تمهد للنفوذ الفرنسي وتقويه في الشرق.

ولا ريب أن روسيا ما كانت تود أن يصل نفوذ محمد علي إلى الآستانة ويحل محل السلطان الضعيف ويحدد سياسة الدولة ويحول بينها وبين تحقيق سياستها التقليدية في الآستانة والبواغيز فكانت أول من مد يد المساعدة إلى السلطان عندما حطمت الجيوش المصرية قوات العثمانيين في عدة معارك وأخذت تدق أبواب الآستانة وتهددها من الجنوب

ولم يجد السلطان بداً من قبول المساعدة الروسية بعد أن تقاعست انجلترا عنه في بداية الأمر وكان قد طلب اليها أن تعاونه على إخضاع محمد علي والحد من قوته فرفضت وأرسلت ترد في سرعة أنها ستتدخل مهددة محمد علي وأنها لن تسكت عن أي عبث يهدد كيان الدولة العثمانية.

وأرسلت روسيا تنذر محمد علي إذا لم يقبل شروط السلطان بينما كانت قواتها تصل

ساعد إلى الضفة الأسيوية للبسفور . وأبعد عن التدخل . روسيا تعتبر وفرنسا وكانت فرنسا رغم عطفها على محمد علي لا تحب أن تكون للروس نفوذ في تركيا وتتفق مع انجلترا في ضرورة المحافظة على سلامة الدولة العثمانية

وتدخلت الدولتان وأجبرتا السلطان على قبول صلح كوتاهية عام ١٨٣٣ حتى لا يبقى هناك مبرر للقوات الروسية في البقاء على ضفاف البسفور وفي قلب الآستانة

ولكن قبل أن تنسحب القوات الروسية من أراضي العثمانية كانت روسيا وتركيا قد وقعتا معاهدة هنكيار سكلسي وكان أهم نصوصها السرية تعهد تركيا أغلاق الدردنيل في وجه السفن الحربية لجميع الدول الأخرى في مقابل المساعدة التي تقدمها القيصر للسلطان إذا ما اعتدى عليه معتد أو سطا عليه مهاجم .

ولم يكن في هذا ما يخالف السياسة التي جرى عليها السلطان بشأن البواغيز وإغلاقها أمام السفن الحربية لكافة الدول على السواء . ولكن النص على الدردنيل دون البسفور معناه أن تغلق البواغيز أمام سفن الحربية الأخرى بينما يبقى البسفور مفتوحاً أمام السفن الروسية .

وقد فسرت الدول معاهدة هنكيار سكلسي بأنها حماية روسية فرضتها على تركيا مجاورة ومحاولة روسية لإبعاد الدول الأخرى عن الإشراف في المسألة الشرقية ولم يكن قيصر روسيا يعني غير ذلك .

وإذ كانت تركيا قد قبلت هذا الوضع فإن الدول لم تسلم به وأخذت تعمل على إلغاء المعاهدة والوقوف دون روسيا والانفراد بحل المسألة الشرقية فعقدت النمسا معاهدة مع الروس ترمي إلى اشتراك الدولتين في العمل على المحافظة على كيان تركيا ومنع محمد علي من مد نفوذه إلى الولايات الأوربية وأن يعملا معاً على وضع نظام جديد في تركيا إذا ما وقع انقلاب أودى بنظامها القديم . أما انجلترا وفرنسا فقد عنيتا بضمان عدم حدوث أي تغيير في علاقات الدولة العثمانية بدولة أخرى تغيير يمس سلامتها واستقلالها .

ولكن عودة [illegible] محمد على و [illegible] و [illegible] القوات التركية أمام القوات المصرية فى نصيبين ، ثم وفاة السلطان بعد ذلك وتسليم الأسطول العثمانى إلى محمد على فى مياه الأسكندرية وكان قائده قد عزم على رحيل [illegible] و [illegible] زمامه إلى محمد على ووضع الأسطول فى خدمته ، وأصبح الخطر المصرى يهدد حقوق السلطان ويعرض النظام القائم فى تركيا للانهيار ، وأخيراً خشيت الدول من انفراد روسيا بنجدة السلطان وكان كل ذلك [illegible] تدخل الدول ، و [illegible] روسيا [illegible] فى التعاون الدولى لإنقاذ تركيا ، ووضعت المذكرة المشتركة التى أعلنت فيها الدول رغبتها فى التدخل بين السلطان وتابعه فى يوليه عام ١٨٣٩ .

و [illegible] روسيا و [illegible] الخلاف [illegible] الشروط التى تفرض [illegible] فقد كانت [illegible] فى أن يرجع محمد على إلى حدود مصر ، و [illegible] لا [illegible] من [illegible] جهوده وكانت ترى فى صداقة [illegible] المصرى [illegible] فى الشرق [illegible] ، و [illegible] فى الخلاف بين الدول [illegible] فرنسا [illegible] الأخير [illegible] مشروعها بالقوة [illegible] وسكن [illegible] على الدول ، [illegible] الأخير [illegible] كانت [illegible] أن [illegible] روسيا [illegible] وتركها الأربع الدول وما كانت [illegible] فى أن [illegible] فرنسا من [illegible] مشروعها [illegible] ولاية عكا [illegible] حكم محمد على [illegible] وهددت بالتدخل [illegible] محمد على [illegible] روسيا على أن لا [illegible] وكانت تؤمن أن [illegible] إلى [illegible] على [illegible] بالقوة وعقدت مع روسيا [illegible] معاهدة لندن عام ١٨٤٠ لإرغام محمد على [illegible] حكم مصر [illegible] فى [illegible] تركيا [illegible] من [illegible]

[illegible] محمد على شروط الدول كما [illegible] فرنسا و [illegible] الدول [illegible] وسائلها [illegible] مصر و [illegible] القوات المصرية فى سوريا أمام القوات [illegible] ولثورة التى [illegible] فى بلاد [illegible] الحكم المصرى و [illegible] فرنسا عن

[illegible] من بلاد
الشام [illegible] محمد علي [illegible] شروط الدول
[illegible] من خلاف .
[illegible] عام ١٨٤١ [illegible] مصر [illegible]
أفراد أسرة محمد علي [illegible] محمد علي
والسلطان .

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
على الدول المشكالة على الرجل المريض .

المسألة الشرقية في دورها الأخير

[illegible]
[illegible]
مع الدول في [illegible] عام ١٨٤١ باحترام سلامة الدولة العثمانية ، [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عام ١٨٥٣ [illegible]
بين الدول ، على أن [illegible] مصر [illegible]

عمل على أن تخرج روسيا من حظوظ مؤتمر الصلح أو معاهدة تعقد أو يكون لها شأن في مسألة الشرق الأدنى، أو تحد من الدولة العثمانية سداً منيعاً يحول بين روسيا وغيرها من الدول الخاضعة والمناطق من المناطق الحساسة التي تؤثر على سلامة طرق مواصلاتها وأمنها البحري.

وبعد انتهاء الأزمة الأوروبية رجعت روسيا إلى سياستها القديمة، سياسة التحرش بالدولة العثمانية ومحاولة الاعتداء عليها بسبب الشؤون الشرقية لحسابها، والبحث عن ذرائع في هذه الظروف بسبب الأرثوذكسية في الدولة وسيلة للتحرش بتركيا وإثارة المسألة الشرقية من جديد.

١ — حرب القرم:

وقد ثار في ذلك الوقت خلاف بين رهبان الكاثوليك والأرثوذكس في بيت المقدس حول حمل مفاتيح الأماكن المقدسة، ونصر الرهبان الكاثوليك إلى فرنسا لحمايتهم كما لجأ الرهبان الأرثوذكس إلى روسيا التي ادعت حق حماية الأرثوذكس في الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة كوتشك كينارجي ووقفت تركيا تحكم بين الطرفين وتسوى ما ثار بينهما من خلاف، وأسرعت الروسيا تهدد تركيا وتتوعد وتعترض على ما قررته من حق الرهبان الكاثوليك في حمل مفاتيح الأماكن المقدسة وأرادت روسيا أن تحسم النزاع فطلبت أن تنزل لروسيا عن بعض حقوقها ولكنها رفضت إلا بأن تعترف الدولة العثمانية بحقها في حماية رعاياها الأرثوذكس في الإمبراطورية جميعها ومعنى هذا أن تتنازل لها تركيا عن رعاية الشطر الأعظم من سكان الإمبراطورية العثمانية ولم تقبل تركيا هذا الوضع الذي يزري بكرامتها ويهدد سيادتها على رعاياها وأجابت روسيا على هذا الرفض باحتلال الأفلاق والبغدان في يوليه عام ١٨٥٣.

وبينما كانت الدول تسعى جاهدة للخروج من المأزق وحسم النزاع الذي يوشك أن يشعل حرباً عامة إذا بالأسطول الروسي في البحر الأسود يوقع بأسطول عثماني في مياه سينوب ويقضي عليه وخشيت انجلترا وفرنسا أن تكون هذه العملية مقدمة لاحتلال الآستانة فأسرعت بإرسال أسطوليهما إلى البحر الأسود لمراقبة الأسطول الروسي ومنعه من مغادرة موانيه ووجهت الدولتان بلاغاً إلى الروسيا باحترام سلامة

الدولة العثمانية وسحب قواتها من أراضيها و بإعتراف بسيادة السلطان الكاملة على رعاياه المسيحيين وأبى القيصر أن يجيب على هذا البلاغ فسارعت إلى التحالف مع تركيا في مارس عام ١٨٥٤ . وما لبثت الحرب أن نشبت بين الفريقين . ووقفت النمسا وبروسيا على الحياد ثم احتلت النمسا الأفلاق والبغدان بالاتفاق مع تركيا بعد جلاء الروس عنها وتعهدت بالدفاع عنهما إذا عاد الروس إلى احتلالها وكان الروس قد بدءوا بالجلاء عنهما حتى لا يثيروا غضب النمسا . فتحولت الحرب إلى جانب الحلفاء كما كانوا يرمون إلى تقصير خطوط مواصلاتهم واستدراج الحلفاء إلى داخل بلادهم حيث يخشى عليهم من حلول الشتاء في أصقاع بلادهم الواسعة . ولم تجد انجلترا ما يدعوها إلى دخول الحرب لأسباب دينية أو سياسية والامارات الألمانية كانت شديدة الرغبة في خذلان فرنسا فتخلت داخلها عن مساعدة الحلفاء . ولم تجد الحلفاء مساعدة إلا من مملكة سردينيا الإيطالية رغبة منها في كسب ميلهم في حل مسألة الوحدة لصالحها

واستمرت الحرب حتى أوائل عام ١٨٥٦ وكان حصن سباستبول قد سقط في أيدي الحلفاء ، كما احتل الروس قارص في نفس عام ١٨٥٥ ، ودبت الرغبة في الصلح وعقد مؤتمر باريس في فبراير عام ١٨٥٦ ووافق على القواعد الآتية التي رضيت بها الروسيا إذ لم تجد فائدة في استمرار الحرب :

١ — احترام أملاك تركيا واستقلالها

٢ — قبول مبدأ التحكيم الدولي إذا ما وقع خلاف بين تركيا وإحدى الدول .

٣ — تتعهد تركيا رعاية المسيحيين في بلادها دون أن تتدخل دولة في شئونها الداخلية

٤ — إعلان حياد البحر الأسود وأن يكون لتركيا الحق في إغلاق البواغيز في وجه السفن الحربية كافة

٥ — إقرار حرية الملاحة في الدانوب وتعديل حدود الروسية العثمانية على أن تبقى مصبات الدانوب في حيازة تركيا .

٦ — رفع الحماية الروسية عن ولايتي الدانوب (الأفلاق والبغدان) وضمان

لدول للامبراطورية [illegible] من تركيا .

على أن الحيدة التي فرضها الحلفاء على البحر الأسود لم تكن [illegible] إذ كادت الحرب السبعينية تقع بين فرنسا وبروسيا حتى [illegible] من هذا القيد الذي فرضته معاهدة باريس عنتاً لبقائها على الحياد وأقرتها الدول على ذلك في مؤتمر عقد بلندن سنة ١٨٧١ وكان [illegible] الأعلى [illegible] إذ ذاك في السياسة الأوروبية .

ولكن [illegible] معاهدة باريس [illegible] الشعوب [illegible] الأخرى [illegible] وأهل جبل الأسود و[illegible] فأخذت تسعى [illegible] وتثير القلاقل [illegible] الحكم التركي حتى ظفرت باستقلالها في النهاية .

[illegible] معاهدة باريس للشعوب [illegible] كانت [illegible] نشأتها [illegible] الشعوب [illegible]

٢ — مسألة دول البلقان :

كانت الشعوب [illegible] آخر الشعوب الأوروبية في [illegible] القومية الحديثة [illegible] في آخر [illegible] ضعف سلطان الأتراك أخذت هذه الشعوب تشعر بذاتها [illegible]

وكانت هذه الشعوب [illegible] في [illegible] وكان [illegible] في حوزة [illegible]

القرن التاسع عشر وأصبح خروجها من السيادة العثمانية واستقلالها وتحقيق القومي [illegible] لدولة الحديثة وترتب على حكم عثماني [illegible] المسألة الشرقية في القرن التاسع عشر كما كانت هذه الشعوب [illegible] وتحت [illegible] يريد أن [illegible] عثمانية [illegible] ثم [illegible] من مشاكل السياسة الأوربية وعاملا من عوامل النزاع الدولي الذي يهدد السلام العام ويكدر صفو الأمن الأوربي .

وكانت [illegible] العثمانيين [illegible] الشعوب [illegible] [illegible] عام ١٨ [illegible] أن تكون حركة [illegible] في [illegible] وكانت [illegible] والحدث [illegible] في ولاية [illegible] عملا [illegible] [illegible] عام ١٨٢٢

[illegible] عام ١٨٧٨ في معاهدة برلين

أما رومانيا الحديثة فتتكون من ولايتي الأفلاق و [illegible] العثمانيين [illegible] إلى سلطان العثمانيين في نهاية القرن الخامس عشر [illegible] باستقلال [illegible] حكم أمرائها في [illegible] عام ١٧١٦ [illegible] جميع [illegible]

وقد [illegible] روسيا [illegible] عام ١٧٧٥ [illegible] عام ١٨١٢ [illegible] في شئون الولايتين [illegible] الولايات [illegible] كثيرا من الاضطرابات ولكن الدول الأوربية الأخرى وخاصة

[illegible] هذا التدخل [illegible] في معاهدة باريس [illegible] روسيه [illegible] الأمصار [illegible] ثم قررت الدول عام ١٨٥٨ [illegible] لا [illegible] في اختيار واسكندر كوزا [illegible] فكان هذا [illegible] الخطوة الأولى [illegible] عام ١٨٦١ [illegible] عام ١٨٦٦ [illegible]

[illegible] عام ١٨٧٥ [illegible] في [illegible] مشكلة البلقانية وكانت السياسة الأوروبية قد أصبحت تخضع [illegible] حديثة جعلت توجهها [illegible] أصبحت تنفض يدها من سياسة المحافظة على سلامة الدولة [illegible] بعد أن أظهرت [illegible]

[illegible] عام ١٨٦٦ [illegible]

وكانت روسيا [illegible] في معاهدة باريس [illegible] عام ١٧٧٥ [illegible] حتى [illegible] عام ١٨٧٨

قابل [illegible] من الآستانة [illegible] ظهر الأسطول الانجليزي في البواغيز منذرا الروس بإيقاف [illegible] في مارس سنة ١٨٧٨ [illegible] استقلال رومانيا والصرب والجبل الأسود [illegible] البوسنة والهرسك [illegible] استقلالا [illegible] ومقدونيا وأن تأخذ الروسيا [illegible]

ولكن [illegible]

وقد اجتمع مؤتمر برلين [illegible] سنة ١٨٧٨ [illegible]

١ — [illegible]

٢ — [illegible] على استقلال رومانيا والصرب والجبل الأسود .

٣ — [illegible]

٤ — أن [illegible] استقلالا [illegible]

٥ — [illegible] البوسنة والهرسك [illegible]

[illegible]

وقد تم ضمها إليها عام ١٨٨١ .

على أن مؤتمر برلين [illegible] حقق [illegible] من [illegible] شعوب [illegible] إلا أنه [illegible] [illegible] أوربا [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] أوربا

ختام المسألة الشرقية

[illegible] من [illegible] في [illegible] وقرارات مؤتمر [illegible] في [illegible] [illegible] في البلاد [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] كل حركة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible] عام ١٨٨٢ [illegible] عام ١٨٨٥

[illegible] عام ١٨٩٠ [illegible] [illegible] عام ١٩٠٣ [illegible] عام ١٩٠٨ [illegible] [illegible] مؤتمر برلين من [illegible] دولة

[illegible] إلى [illegible] سنة ١٩١١ [illegible] أعمالها الحربية للاستيلاء على هذه الولاية وتاركة الأتراك والعرب [illegible] الأمثال في [illegible] كانت تلوح في مطلع الأفق [illegible] من هذه الولاية في معاهدة [illegible] عام ١٩١٢

وما وافى خريف عام ١٩١٢ حتى كانت [illegible] البلقان تجتمع في حلف مقدس

وبعد كل [illegible] حرب [illegible]
الحديث فبيت بجرائم مروعة فى كل ميادين القتال .

[illegible] الأرض [illegible] بحر الأسود [illegible] وكان لانوقع هزيمة
الأتراك — من أنها لن تسمح بتغيير خريطة البلقان

[illegible] الأسود [illegible]
[illegible] فى الشرق
ووسط تراقيا بما فيها أدرنة ، ثم نزل [illegible]
[illegible] سنة ١٩١٣ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لرومانيا فكانت [illegible]
حدودها شمالا إلى نهاية ابيروس وشرقا الى تراقيا بما فيها سلانيك وغولة .

ثم كان لتطور السياسة الدولية أثره فى [illegible]
[illegible] عام ١٨٨٨ [illegible] ١٨٩٩ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] خط حديد [illegible] فأثارت [illegible]
[illegible] مؤتمر [illegible]
[illegible] مصالحهما .
[illegible] مصر [illegible]

دفاعاً عن [illegible] مصر وتركيا [illegible] مصالحها وان [illegible] النفوذ الألماني في تركيا.

[illegible] تركيا قد [illegible] في [illegible] مصر [illegible] في [illegible] الآستانة [illegible] على أن دخول تركيا الحرب [illegible] وكان [illegible] مصر مسألة [illegible] الحرب [illegible] على [illegible] الدولة العثمانية بعد الحرب وكانت [illegible] الحرب [illegible] مسألة شرقية في [illegible] في [illegible] وهو في دور [illegible] على [illegible] ويبدو [illegible] تركيا [illegible] من [illegible] في الشرق [illegible] الحرب [illegible].

فارس والضغط الأوربي

[illegible] بلاد [illegible] الإسلامية [illegible] الشرق [illegible] على [illegible] العثمانيين [illegible] من [illegible] الضغط الأوربي الذي أخذ دوره في هذه منطقة كما أخذ دوره في الدولة العثمانية وفي كل بلاد الشرق عامة، وقد دخل [illegible] والإنجليز [illegible] في [illegible] الأوربي في صورة [illegible] على حساب [illegible] وكانت [illegible] في منطقة [illegible] النفوذ [illegible] استطاع الأخير [illegible] شيئاً [illegible] فارس [illegible] وخاصة [illegible] وروسيا [illegible] في تلك المنطقة [illegible] كل [illegible] الوقوف دون مطامع الأخرى.

وقد اصطدمت الدولة العثمانية بدولة فارس [illegible] في فتوحاتها نحو الشرق

منذ عهد السلطان سليم الأول عام ١٥١٤ وفقدت فارس بعض ولاياتها الغربية حتى
إذا اعتلى عرش البلاد الشاه عباس الأول [illegible] الأسرة الصفوية بعث في البلاد قسما
من قوته فاستردت ولاياتها الغربية التي كانت في قبضة العثمانيين وبوفاته أخذ نجم
الأسرة الصفوية في الأفول [illegible] من غزو الأفغانيين [illegible] عرش الأكاسرة
[illegible]. ومما [illegible] البلاد من ضعف [illegible] الولاة [illegible]
[illegible]
بعد ذلك [illegible] على [illegible] عام ١٨٣٢ [illegible] فارس
[illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] عام ١٧٤٩ [illegible]
التي كانت في أيديهم.

وعرف نادر شاه [illegible] البلاد [illegible] على
[illegible] على [illegible] الذي [illegible] البلاد [illegible] في عهد الأسرة [illegible]

وفي عهد [illegible] البلاد [illegible] وكانت
روسيا أول دولة [illegible] من الأ[illegible] في
الوصول [illegible]
[illegible] فرنسا [illegible] في [illegible] في البلاد
فارس وانجلترا التي كانت [illegible] على [illegible] على سلامة
الهند [illegible] من [illegible]
مواصلاتها [illegible] نحو الشرق [illegible]
كما أن [illegible] الأكبر [illegible] في الاستيلاء على ولايات [illegible] البلاد
فارس [illegible] في عهد نادر شاه

وكان للإنجليز علاقات تجارية بالفرس منذ استيلائهم على هرمز [illegible]
[illegible] مصر [illegible] للإنجليز [illegible] علاقاتهم السياسية والتجارية بفارس [illegible]

[illegible] في طهران [illegible]
[illegible] الشاه بتعهد للمساعدة للدفاع عن الحدود الشمالية الغربية للهند في مقابل أن تعهد
[illegible] على بلاد فارس

وما وقع [illegible] روسيا وفارس [illegible] الشاه عن [illegible] الانجليز [illegible]
[illegible] الذين كانوا
[illegible] عام ١٨٠٧
[illegible]
[illegible] ولكن [illegible]
[illegible] عام ١٨١٣ [illegible]
[illegible] وفارس [illegible] عام ١٨١٤ [illegible]
[illegible]
[illegible] أخرى يمكن أن يسيء إلى المصالح البريطانية أو يتعارض معها
[illegible] مركز [illegible]
[illegible] كما [illegible]
[illegible] أو تقوم بأي
[illegible]

وقد [illegible] الحكومة الانجليزية هذه المعونة المالية لفارس عندما أعلن الشاه
الحرب على روسيا بغية استعادة إقليم جورجيا ووقفت انجلترا من هذه الحرب موقفا
[illegible]
جيش الشاه [illegible] في الحرب ولعب دورا [illegible] في الصلح بعد هزيمة الفرس
وانكسارهم أمام الروس . واضطر الشاه إلى إبرام معاهدة تركمانجاي عام ١٨٢٨
[illegible] كان لهم حق [illegible]
[illegible] رعايا فارس في روسيا [illegible] كما
[illegible] جورجيا وأرمينيا لروسيا [illegible] على
التجارة الروسية إلى ٥ ٪ من قيمتها الحقيقية .

وأصبحت الامتيازات التي منحت روسيا في معاهدة تركمانجاي حقاً تطالب به الدول الأوربية الأخرى [illegible] على مادة [illegible] في معاهدة عام ١٨١٤ ، وبذلك توطد كيان الامتيازات الأجنبية في فارس .

ودخلت العلاقات الروسية الفارسية بعد معاهدة تركمانجاي في طور من الهدوء والاستقرار ، وتقارب [illegible] في حين [illegible] . العلاقات الفارسية [illegible] خرج محمد شاه في أفغانستان [illegible] موضع [illegible] محمد شاه على أفغانستان [illegible] في [illegible] وتحقيق مطامعه [illegible]

ولكن [illegible] العلاقات [illegible] فارس [illegible] على [illegible] وتحت [illegible] في [illegible] ونشأ [illegible] عوامل القلق والخوف على سلامة حدود الهند [illegible] وقواعد [illegible] من أن يهدد [illegible] أرض فارس [illegible] الأمن وكان [illegible] الذي [illegible] هو روسيا [illegible] ومن مصالحها وعمل [illegible] على الإشراف [illegible] وعقدت معاهدة في [illegible] في فارس ولكن [illegible] علاقة فارس و[illegible] من [illegible] ١٨٤١ [illegible] الإ[illegible] حتى تحقق عام ١٩٠٧

و[illegible] نفوذ أوروبي في فارس [illegible] على [illegible] في النهاية بالقضاء على النظام الذي تم [illegible] ولكن فارس [illegible] مصالحها في [illegible] فأصبحت روسيا [illegible] عليها و[illegible] للتدخل في [illegible] وكان [illegible] في حرب [illegible] في [illegible] الذي [illegible] أفغانستان للإغارة على الهند .

و[illegible] بين [illegible] في [illegible]

ثم وعقد صلح فارس عام ١٨٩٧ ـ ولكن ثورة هندية لم تخمد إلا بعد ذلك بعامين ـ وشرعت المملكتان في تخطيط الحدود بين افغانستان وفارس ونشأت بينهما بضعة حوادث بسببها ولم يتم تخطيط الحدود إلا على أيدي لجنة من الانكليز فيما بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٠٦ .

وكان ناصر الدين شاه الذي استمر يحكم حتى عام ١٨٩٦ قد أهمل شئون بلاده الخارجية لانشغاله بمقاومة حركة البابية التي أحدثت ستثير في فارس في ذلك الوقت فاستطاعت روسيا أن تقضي على كل نفوذ لفارس في ولايات آسيا الوسطى وطردها منها نهائيا كما عدلت الأخيرة بعض الحدود بين التركستان الفارسية والتركستان لإحديهما .

وقد فتح ناصر الدين شاه أبواب بلاده للحضارة الغربية وللنفوذ الأجنبي وكان معجبا بأوربا وحضارتها فكثرت رحلاته إلى الشرق التي سببت نفوذه ومظاهرها دون أن يعود إلى الشعب وأسرافه فاستولى على ضمانة وريس أنظام جيشه وشجع رؤوس الأموال الأجنبية على التدفق إلى بلاده فتأسس البنك الإنجليزي الامبراطوري لبلاد فارس عام ١٨٨٩ ثم البنك الروسي عام ١٨٩٠ وحصل الإنجليز على امتياز مد خطوط برقية في فارس كما نال الروس امتياز صيد الأسماك في بحر قزوين .

وزادت البلاد تحت نفوذ الدول الأجنبية نتيجة لإسراف الشاه وساءت حالة البلاد المالية .

وقامت في البلاد حركة للمطالبة بالدستور ولكنها لم تنجح في البلاد شبيهة في ذلك مثل تلك الحركات المماثلة التي قامت في مصر وتركيا في ذلك الوقت .

واستمر التنافس بين انجلترا وروسيا قائما في فارس حتى عقد الاتفاق الودي بينهما لتقسيم مناطق النفوذ فيها عام ١٩٠٧ ويقضي بأن تكون المناطق الجنوبية للانجليز والمناطق الشمالية للروس وأن تكون المنطقة الوسطى منطقة حياد لا تنال فيها أيهما امتيازا ما .

وقد اعترفت الحكومة الألمانية بصحة هذا الاتفاق عام ١٩١١ كما حملت حكومتان الإنجليزية والروسية حكومة الشاة على الاعتراف به .

وانتهى هذا الشوط من التنافس بين الإنجليز والروس فى فارس لعهد لم يطل فقد ظل الميدان مفتوحاً للتنافس وميداناً له من جديد ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية

الفصل السابع

المسألة المصرية

[illegible] بينها وبين الدولة كما كان [illegible] الدولة العثمانية وقد أدركت روسيا أهمية هذا العامل [illegible] مثلها ، حولها وتحت زعامتها

ولم كانت هذه الولايات العثمانية الأوربية [illegible]

عن موقفهم من حركة محمد على . فلا بد فى حركة محمد على عن محاولة لوال من ولاة الدولة العثمانية بدافعه طموحه للاستقلال بها ثم ثورة لبنان فهى ثورة قومية للاستقلال والتحرر من سيادة العثمانيين

حقيقة هذا التطور القومى فى الولايات الإسلامية تأخر عنه فى الولايات المسيحية ولكن الرابطة الإسلامية عامة والالتفاف حول الخلافة وروح الأخوة التى تجمع الإسلام المسلمين كانت قد غلبت على شعور القومية والعنصرية بين الشعوب الإسلامية فطغت القومية الإسلامية عامة على القوميات الخاصة وبين الولاء للسلطان الخليفة الروحى فى الشرق الإسلامى جميع خلافة الولاة والحكام مهما كانت قوتهم عن كرسى الخلافة [illegible] حتى أن محمد على فى حربه للسلطان كان يؤكد دوام ولائه له ، ويبقى [illegible] فى الانفصال عن الدولة ، ويعلن أنه ما قام بهذه الحرب إلا لتخليص الخلافة من عوامل الضعف والانحلال وعودتها إلى [illegible]

وعندما [illegible] روح القومية تنتعش فى الولايات الإسلامية ، [illegible] [illegible] فى أمر الانفصال [illegible] الإصلاح فى [illegible] [illegible] من العرب فى الحكم [illegible] . ومع ذلك [illegible] [illegible] عربى لا [illegible] على سلطان الخليفة ووحدة بلاده ، [illegible] [illegible] حقوق العرب فى الحكم [illegible] وإصلاح [illegible] الحكم فى الدولة [illegible] على أساس [illegible] فى ظل رابطة [illegible] تجمع المسلمين فى [illegible] الإسلامى ، [illegible] الخلافة والولاء للخليفة ، وقد [illegible] على المصرى وهو من أقطاب الحركة القومية العربية ومؤسس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فى [illegible] أتباعه كما يؤكده زعماء العرب الآخرون .

هذا [illegible] سواء فى [illegible] [illegible] وفى تطور القومى بين [illegible] الدولة الإسلامية وولاياتها [illegible] هو الذى [illegible] [illegible] [illegible] فى [illegible] كل منها [illegible] خاص . ولم كان موقف الدول [illegible] من [illegible] المصرية يخالف إلى حد كبير موقفهم من الولايات المسيحية [illegible] فى [illegible]

وقد اتسمت المسألة المصرية فضلا عن ذلك بسمة [illegible] عن كل ما يهم الدول الأوربية من [illegible] كل أمة العظمى الأخرى ، فإن المسألة المصرية تدور في مواقع [illegible] موقع مصر الخطير في ملتقى المواصلات العامة ويسيطر على [illegible] الطريق البري [illegible] وطالما [illegible] المسألة المصرية [illegible] حتى [illegible] الخطير [illegible] مصر [illegible] مركز لتجمع المواصلات العامة من [illegible] وبرية وجوية .

وكانت [illegible] مصرية [illegible] من [illegible] الأوربي على الدولة العثمانية ، فقد كان [illegible] أوربي حتى ذلك [illegible] على ولايات العثمانية في أوربا ثم [illegible] نحو الشرق [illegible] الإسلامية ، وكانت الحملة الفرنسية على مصر بداية هذا الطور في المسألة الشرقية ، كما كانت [illegible] عناصر جديدة [illegible] الدولة العثمانية [illegible] أجزاء من أملاكها [illegible] كانت تأخذ [illegible] محافظة على سلامتها [illegible] من عوامل التفكك و[illegible] وهي الدولة التي [illegible] حرصها على [illegible] ، ولئن كان [illegible] من الأسباب في [illegible] من الدول الأخرى ، ثم [illegible] ، و[illegible] وكل منها [illegible] إلى [illegible] وسائل [illegible] ، وإن [illegible] الهدف أو [illegible]

ويعد [illegible] مصر [illegible] الشرق الأدنى [illegible] الفرنسية [illegible] عن الاهتمام الأوربي [illegible] الدول الأوربية [illegible] الطريق البري [illegible] الشرق الأدنى [illegible] إلى الطريق البحري [illegible] الأوربية الخاصرة [illegible] في تلك البلاد [illegible] وكانت [illegible] تعيش رغم ضآلة شأنها وقلة عددها [illegible] ، حتى [illegible] من [illegible] الأوربيون [illegible] إلى [illegible] عوامل متعددة [illegible]

أولا – خرجت فرنسا من حروبها الاستعمارية والبحرية الطويلة الأمد في عهد ملوكها العظام لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر، وقد فقدت الشطر الأكبر من مستعمراتها في أمريكا والهند في صلحي أوترخت عام ١٧١٣ وباريس سنة ١٧٦٣، فأصبحت تبحث جادة عن مواطن جديدة للاستعمار تعوضها عما فقدته من مستعمرات، وكان ساستها وكبار مفكريها و أحد فلاسفة الاستعمار الفرنسي في القرن الثامن عشر يدعو إلى الاتجاه نحو الشرق فهو الميدان الجديد للاستعمار الفرنسي، ومن ثم أخذ نظر الفرنسيين أن يتجه نحو الشرق وخاصة عندما سعى إلى طرق أبواب الهند، فلم تلبث أن سعت برسائلها إلى مصر، لأن مستعمراتها في جزر الهند الغربية تسير حثيثة نحو الانهيار.

كما كان الفرنسيون يحسدون الانجليز على احتكارهم تجارة الهند وسيطرتهم على الطريق البحري حول افريقيا، فعمدوا إلى امتلاك الطريق الآخر الذي كانت تمر به تجارة الشرق قبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وبعده منافسة للتجارة الانجليزية، وهو طريق مصر والبحر الأحمر أو طريق الخليج الفارسي والعراق وسوريا، وكانت مصر بموقعها الجغرافي الفريد تسيطر على طريق البحر الأحمر كما تقع من قريب على طريق العراق وسوريا.

فإذا استطاعت فرنسا أن تمتلك مصر وأن تحتل البرزخ أو الطريق البري القديم شق مصر ما بين شاطئي البحرين الأبيض والأحمر، لأمكنها أن تقضي على التفوق التجاري لإنجلترا وتهدد استعمارها الهند.

ثانيا – كانت الدول الأوروبية ترقب انهيار الدولة العثمانية، فقد ظهر بوضوح عقب معاهدة كجوك كينارجي شدة الضعف الذي ألم بالعثمانيين فأصبحت ترقب اليوم الذي تقتسم فيه أملاكهم، وخشيت فرنسا أن تنفرد روسيا والنمسا باقتسام أملاك الدولة العثمانية وتكون مصر من نصيب إحداهما، وكان مفهوما أن كلا منهما تتطلع إلى مصر على اعتبار أنها الطريق الموصل إلى

الهند ومصالح السيطرة على تجارة الشرق . ووقفت فرنسا تحت عاملين : عامل الصداقة التقليدية التي ربطتها بالدولة العثمانية منذ عهد ملكها فرنسوا الأول ، والمحافظة على أملاك السلطان وسلامة الدولة من الانهيار ، وعامل الطمع في أن تنال نصيبها من التركة ، والخوف من انفراد الدولتين ـ الروسيا والنمسا ـ باقتسام أملاكها فيكون في ذلك القضاء على المشروعات الفرنسية في الشرق .

وقد اتجهت آراء الكونت دى شوازيل جوفييه السفير الفرنسي في الآستانة إلى تحول فرنسا عن سياستها التقليدية في المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، فإذا لم يكن هناك بد من انهيارها وقسمة أملاكها ، فيكون على فرنسا في هذه الحالة أن تضم نصيبها من التركة ، وهو مصر بعينها « أخصب بقاع الأرض قاطبة » . وكانت آراء « مجالون » القنصل الفرنسي في مصر تتفق مع آراء شوازيل جوفييه في امتلاك مصر وإحياء الملاحة التجارية في البحر الأحمر حتى تتحول تجارة الهند إليه ، ولا ريب أن الفرنسيين سيعملون وهم على تذليل العقبات التي تحول دون عودة النشاط إليه واستعادة مصالحهم

والواقع أن آراء شوازيل ومجالون لم تكن إلا صدى لتلك المشروعات الفرنسية العديدة التي ترمي إلى البحث عن موطن جديد للاستعمار الفرنسي في الشرق ، وكان مشروع استعمار مصر في مقدمة هذه المشروعات جميعاً ، وقد أشار إليه تاليران في البحث الذي ألقاه أمام هيئة المجمع العلمي الفرنسي في ٣ يوليو ١٧٩٨ قبل أن تصل الحملة الفرنسية إلى مصر بعد ذلك بعام واحد وهو الذي تقدم إلى حكومة الإدارة بمشروع تجهيزها عام ١٧٩٨ .

ثالثاً : وقد حفلت هذه الفترة في تاريخ الشرق الأدنى بظهور بعض الحكام الأقوياء الذين استطاعوا أن يستأثروا بالسلطة في بلادهم ، وتحدوا الدولة العثمانية في كثير من أجزائها ، كعلى بك الكبير وأبى الذهب في مصر والشيخ ظاهر العمر في عكا وأحمد باشا الجزار في سوريا . وقد حرص

هؤلاء الحكام على تشجيع تجار الأجانب وعقد صلات تجارية مع دول
أوربا وعمل علي بك الكبير على تأمين البحر الأحمر للملاحة وتيسير إبحار
السفن التجارية فيه إلى شمال جدة، وكان الإنجليز قد حصلوا على بعض
الميزات، كما فاوض بعضهم مثل بروس حول فتح الطريق عند
المماليك.

وقد اهتمت بعض الدول الأوربية بهؤلاء الحكام لأهميتهم وحاولت عقد
صلات المودة والصداقة، فعقدت انجلترا اتفاقا تجاريا مع أبي الذهب عام ١٨٧٥،
وعقده من قبله حاكم اسماعيل و وارن هيستنجز وكان قد اتصل بعلي بك الكبير
من قبل، وقد اهتمت فرنسا كما اهتمت انجلترا بهذه الطرق، ووقفت، كما
تعارض في سياستها خطة الإنجليز لأن البواخر الحربية الفرنسية لا تسمح للسفن
الإنجليزية الملاحة في البحر الأحمر شمال جدة.

وقد وضعت الحكومة الفرنسية خطة في أثناء سعيها لفتح باب على
مصراعيه للطريق البري عن طريق السويس للتجارة الفرنسية، ثم وفد سفير من قبلها
فعقد اتفاق تجاري مع المماليك في مصر وجمع في يده ثلاث اتفاقات عام ١٧٨٥ مع
المماليك ومع الباب العالي ومع أحد شيوخ العربان لضمان سلامة التجارة الفرنسية وحمايتها
عند مرورها في مصر وتحديد الرسوم والضرائب التي تجبى عليها بحيث لا ترهقها

وهكذا سعت الحكومتان الإنجليزية والفرنسية بجهودهما في سبيل إحياء الطريق البري
سواء لدى المماليك أو الباب العالي حتى كادت هذه الجهود أن تكلل بالنجاح وذلك
بعد أن السلطان أولا من استعادة النفوذ الأصلي إلى بلاده ومساندة المماليك مع التجار
الأجانب والفوضى التي تسببها حكمهم وعجز السلطان عن ردعهم تماماً، وأخيراً
مقاومة شديدة لفكرة الطريق البري فقد كانت ترى أن فتح طريق السويس
سيعود بالخسارة على شركة الهند التجارية الشرقية، ولم تنظر إلى الجهود الفردية
التي بذلها بعض الإنجليز أمثال بروس وبلدوين من الأرباح وإن شجعتها في بادئ
الأمر إلا أنها كانت تعود وتقاومها وتحد منها. فلم تمض على الاتفاق التجاري الذي

نجح روس في [illegible] كما سمحت من قبل الحكومة [illegible] في الذهب في مصر [illegible] حتى [illegible] الحكومة الإنجليزية وشركة الهند الشرقية التجارية عام ١٧٧٧ [illegible] في الهند [illegible] مجموعة [illegible] من [illegible] البحر الأحمر [illegible] على [illegible] استخدام هذا الطريق في نقل البريد فقط

وعندما [illegible] عام ١٧٩٤ في [illegible] لتجارة الإنجليزية في خط الاتفاق الذي أبرم بين [illegible] والمماليك عام ١٧٨٥ لم يلق هذا الاتفاق تشجيعاً من الحكومة الإنجليزية التي شغلت بالمسائل الأوربية في [illegible] عام ١٧٩٣ [illegible] من جهود [illegible] وعلى [illegible] البحرى حول [illegible] عام ١٧٩٥ ، وفي الهند ذاتها .

ومع كل هذه الجهود [illegible] في [illegible] من [illegible] الذي [illegible] الأوربية و[illegible] العارم حتى قدوم الحملة الفرنسية على مصر [illegible] الأوربي [illegible] في السياسة والاستراتيجية [illegible] المسألة المصرية

الحملة الفرنسية وظهور المسألة المصرية

[illegible] الحملة الفرنسية على مصر [illegible] من [illegible] في الشرق [illegible] في [illegible] مصر و الشرق [illegible] على التجارة الإنجليزية [illegible] طريق البحرى حول أفريقيا و[illegible] النفوذ الإنجليزي في الهند وبسط نفوذها عليها .

وقد [illegible] هذه الحملة و[illegible]

ذلك [illegible] أهمية موقع مصر [illegible] من [illegible] [illegible]
إلى أهمية [illegible] من قبل . [illegible] كانت فرنسا [illegible] في [illegible] مصر كانت
انجلترا قد [illegible] من [illegible] [illegible] سنة ١٧٩٣

ووقفت انجلترا من حملة فرنسا على مصر [illegible] موقفاً [illegible] على [illegible]
استكمال للعصر الجديد الذي [illegible] من [illegible] فرنسا [illegible] الاستعمار
الواسعة على تلك البلاد [illegible] أهمية [illegible] من [illegible] فأخذ
[illegible] من [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] الفرنسية
[illegible] وكان [illegible] في [illegible] ذلك [illegible] الأسطول الانجليزي [illegible]
من [illegible] الأسطول [illegible] في [illegible] المصرية [illegible] الفرنسيين [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] معركة [illegible]
يسميها الإنجليز واكتفت بحصار [illegible] [illegible] الفرنسيين
في [illegible] [illegible] [illegible] الفرنسيين

وكان من نتائج الحملة الفرنسية على مصر أن [illegible] العلاقات [illegible] الفرنسية
التي [illegible] [illegible] [illegible] الانجليز [illegible]
تكون [illegible] مشروع [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] انجلترا [illegible] للحملة و[illegible] الأسطول الفرنسي في [illegible]
[illegible] إلى وجود [illegible] [illegible] على فرنسا

وكانت [illegible] في [illegible] الروس من ترك [illegible]
الذي [illegible] في [illegible] فرنسا [illegible]
[illegible] على [illegible] [illegible] في [illegible]
لا [illegible] عن [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] أن [illegible]
على [illegible] مشروعات [illegible] الفرنسي [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] مشروعات [illegible]
[illegible] وكان [illegible] روسيا [illegible]
[illegible] روسيا [illegible] واشتركت [illegible] مع الأسطول الإنجليزي
في نشاطه البحري ضد الفرنسيين .

وقد [illegible] على [illegible] جيش الفرنسيين في مصر واكتفت بحصار الشواطئ المصرية [illegible] وقد أدرك نابليون لدى [illegible] على [illegible] وزحف [illegible] العثمانيين إلى مصر [illegible] من طريق الشام [illegible] ومصر من ناحية الشرق [illegible] قوة من رودس [illegible] أساطيل البحر [illegible] [illegible] فرأى [illegible] غزو الشام لتحطيم القوة العثمانية [illegible] عن مصر [illegible] في بلاد الشام [illegible] على ساحل الشام [illegible] الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط [illegible] عن مصر .

وقد [illegible] وقف [illegible] في [illegible] الحروب [illegible] في وقتها ولكن [illegible] أن [illegible] [illegible] الأول من [illegible] الشام [illegible] إلى مصر ، وعاد في [illegible] الجيوش العثمانية التي وصلت من رودس في معركة أبي قير [illegible]

و [illegible] نابليون في مذكراته وهو في منفاه [illegible] [illegible] على [illegible] مقدمة لمشروع [illegible] هو فتح الهند [illegible] [illegible] في [illegible] عام ١٨٠٠ ، وقد [illegible] نابليون كان [illegible] الأناضول إلى الآستانة ثم [illegible] شرق [illegible] حتى [illegible] إلى فرنسا ويكون قد [illegible] [illegible] في [illegible] ولكن [illegible] أن حملة نابليون على الشام كانت تهدف قبل كل شيء إلى تأمين سلامة مصر وتوطيد الحكم الفرنسي بها

وقد رأى كليبر الذي تولى القيادة العامة بعد عودة نابليون إلى فرنسا أن يفاوض العثمانيين للجلاء عن مصر وقد [illegible] نابليون [illegible] في التعليمات التي تركها له كما أن كليبر كان يعتقد أن فرنسا في حروبها القارية في حاجة إلى سيوف أبنائها ، وقد استطاع أن [illegible] معهم معاهدة العريش وفيها جلاء الفرنسيين عن مصر [illegible] وعتادهم على نفقة الدولة العثمانية دون أن يتعرض لهم أحد في البحر

وشرع الفرنسيون في الجلاء ولكن الحكومة الإنجليزية رفضت تنفيذ شروط [illegible] وسلم الفرنسيون أنفسهم كأسرى حرب ، ولكن تغير في ذلك الوقت من عام ١٨٠ [illegible] شجع جلاء القوات الفرنسية من البلاد [illegible] ووصولها إلى فرنسا [illegible] دون شك قواتها التي تحارب في القارة .

ولكن موقف [illegible] عام ١٨٠١ [illegible] عام ١٨٠٠ [illegible] وقت معاهدة العريش ، فقد [illegible] على [illegible] روسيا من الحرب وسقط [illegible] وجود القوات الفرنسية في مصر [illegible] في عقد الصلح [illegible] . وكان [illegible] خروج القوات الفرنسية [illegible] في البحر المتوسط [illegible] لدى [illegible] الحملة [illegible] في مصر

و [illegible] الإنجليز وقد رفض الفرنسيون الجلاء [illegible] في [illegible] وشهر [illegible] من [illegible] ولكن [illegible] في [illegible] الجلاء واتجهت هذه الحملة المشتركة إلى [illegible] الهجوم على مصر من [illegible] معاهدة [illegible] الفرنسيين الذين [illegible] الجلاء [illegible] شروط [illegible] في [illegible] عام ١٨٠١ .

و [illegible] الفرنسيون من مصر [illegible] وكانت مصر [illegible] الدول [illegible] على أن [illegible] في [illegible] دولة [illegible] وكان هذا [illegible] مصرية

و [illegible] الدول الأوربية في معاهدة [illegible] عام ١٨٠١ على أن تعود مصر إلى الدولة العثمانية وكان [illegible] على ذلك في [illegible] تركيا مع كل من روسيا وإنجلترا من [illegible] على [illegible] القوات الفرنسية في مصر [illegible] فرنسا في معاهدة أميان على جلاء القوات الإنجليزية التي [illegible] المراكز في مصر [illegible] إنجلترا في [illegible] ذلك [illegible] كانت ترى أن الموقف الدولي [illegible] كانت تخشى عودة الفرنسيين إلى احتلال مصر ولهذا

ثم من وسائل الدفاع [illegible] لا تستطيع الصمود حتى إلى أن [illegible] لها من
قواعد الإنجليز [illegible] في قوة تركيا وقدرتها على الدفاع عنها أو حتى
حكمها حكماً مستقراً [illegible] كانت ترى في ذلك قوة [illegible] حسن تنظيمهم
وتدريبها ورفضت الجلاء عن مالطة حذراً من ذلك وخالفت بذلك شرطاً آخر من
شروط معاهدة [illegible] كان سبباً في تجدد الحرب [illegible] فيما بعد

وقد غادر الإنجليز مصر سنة ١٨٠٣ بعد خروج [illegible] الفرنسيين
ولما يطمئنوا إلى استقرار أداة الحكم فيها والقوة التي تحميها من الغزو الأجنبي
[illegible] من عودة الفرنسيين كانت [illegible] من
وقت لآخر

أما الفرنسيون فلم يحققوا مشروعاتهم الاستعمارية في مصر والشرق ولم يدخلوا
مصر في تحدٍ عسكري جدي في ذلك الوقت فقد [illegible] أعظم [illegible]
شهدت أروع انتصاراته [illegible] كما كان يهدف إلى [illegible] من تركيا
[illegible] في احتلال مصر حتى لا يغضب السلطان
بل إنه على العكس كان يؤازر السلطان [illegible] كما كان [illegible] على [illegible]

محمد على والمسألة المصرية

وفي غمار الأحداث التي توالت على مصر عقب جلاء الفرنسيين استطاع محمد على
أن [illegible] مصرية [illegible] الشعب [illegible] أن يوليه السلطان [illegible]
[illegible] على الدولة [illegible] أن يقوم [illegible] بالسلطة وفرض سلطانه القوي
على الأحداث [illegible] في ولاية [illegible] من توجيه السلطان [illegible]
الحكم الذي يسوس الدولة ويسيرها فقد شهدت مصر كما شهدت بعض الولايات
الأخرى [illegible] من هؤلاء الولاة الأقوياء الذين فرضوا سلطانهم على ولاياتهم بل
وطمحوا إلى الانفصال عن الدولة والخروج على السلطان [illegible] الحديث أن محمد على
كان يختلف عن هؤلاء الولاة [illegible] منذ اللحظة الأولى [illegible] الولاية التي

ساقه القدر إلى حكمها وأدرك منذ اللحظة الأولى مبلغ القوى الكامنة في أرضها وشعبها أكثر مما أدركها غيره من الولاة فعمل على بعثها والإفادة منها لدعم سلطته وتحقيق آماله فيها . وقد امتدت آماله منذ البداية إلى حكم وراثي خاص له ولأسرته في مصر فأخذ يعمل في سبيل ذلك متوسلا في بذل جهوده لتحقيقه في إصلاح البلاد ورفع مستواها وتنظيم ودعم القوة العسكرية في سبيله وتدعيم مركزه ، وفي الخارج جهوده السلمية والسياسية لدى الدول الأوربية والسلطان معه وجهوده الحربية التي قام بها لتحقيق أهدافه قبل أن يقوم بمهمة لأمر السلطان وهو يدل على الاستقلال ... بعد وجد أنه لا يتحقق إلا بعد حمل السلطان على الاعتراف به .

وكان هذا المكسب الخاص لدى نشأة محمد علي وأسرته في مصر أن ينفصل عن الدولة العثمانية وتشايع جهوده الاقتصادية والإدارية والحربية في مصر ... سعيه للسلطان أو أداء حربية له في ... حروب ... تحقيق هذا الاستقلال فلا مندى من الاعتراف ... بما أبداه ... على أملاكه على أن ... كافة بقاء حكمه وحكم أسرته من بعده والاستقلال الداخلي .

وكان محمد علي بعد معروف بطموحه وحرصه على تحقيق رغبته ونيل أهدافه كما كان يقدر ما لديه من وسائل مادية وسياسية أو لا يعتمد على قدرته ... وهو لم يكن يجهل قوة الدول الأوربية ومطامعها السياسية في الشرق العربي أو ... وقد وجهت الحملة الفرنسية أنظار الساسة الأوربية إلى مصر وبعثت ... المصالح الأوربية التي سيكون لها أقوى الأثر في توجيه المسألة المصرية .

وقد استطاع محمد علي أن يحقق سياسة داخلية حقيقية ترضي طموحه وأهدافه البعيدة فأصلح الإدارة ونهض بالتعليم والزراعة ووسع فيها وأنشأ المصانع الكبيرة وقام على تزويدها بالآلات والعمال والخبرات وخلق قوة عسكرية على أحدث الأنظمة الأوربية وأغراه ضعف الدولة العثمانية بالتوسع خارج حدود مصر وفقا لسياسة رسمها تحقيقا لأهدافه فقام بفتح السودان وضم إلى حكمه بلاد العرب وكريت وأخيراً بلاد الشام بعد حربه الأولى مع السلطان وإبرام صلح كوتاهية عام ١٨٣٣ وكان

ترى من وراء ذلك إلى تكوين وحدة اقتصادية من هذه البلاد تستطيع أن تقف [illegible] وتعتمد في [illegible] على موارد مصر وحدها اقتصادية كانت أو بشرية

ولكنه لم يصل بعد إلى قرار في علاقته بالسلطان قراراً نهائياً ولم يستطع أن يحقق [illegible] التي تعقد مع الدول الأوربية على أساس الاعتراف بالأمر الواقع ومعنى ذلك أن تعترف بقيام دولة جديدة في ذلك الركن من الشرق الأوسط تتمتع بقوة حربية [illegible] وتتسلط على منافذ الطرق التجارية القديمة .

ولكن الدول الأوربية لا ترضى بقيام هذه الدولة سواء منها ما يرى في سلامة الدولة العثمانية وتعمل على قيامها وكل منها تحدوه اعتباراتها الخاصة ومصالحها الذاتية وإن كانت تتفق جميعاً في مقاومة محمد علي والحد من أطماعه

وكانت تخشى أول الدول اتجاهات علاقة محمد علي بالسلطان والدولة العثمانية وامتداد النفوذ المصري إلى [illegible]

أما من حيث علاقة محمد علي بالسلطان والدولة العثمانية فإن [illegible] من موقف محمد علي رغم ما بذله من جهد في تعزيز [illegible] والدعاية لأعماله الإصلاحية في مصر ونهوضه بها [illegible] الأمر [illegible] على الخصوص [illegible] محمد علي ودولته الناشئة [illegible] الدولة العثمانية ولها ماضيها الطويل الحافل بالقوة والسلطان .

ثم إن محمد علي بدلاً من أن يكون أداة قوة للدولة العثمانية قد أصبح أداة ضعفها وأخذ ينتقص من أملاكها ويهددها بالانهيار مما دفع بالسلطان إلى أحضان الروس وقبول مساعدتهم كما اعترف بها في معاهدة هنكيار إسكلسي ، ومعنى هذا أن السلطان قد وضع الدولة العثمانية تحت حماية روسيا ومهد للنفوذ الروسي أن يتغلغل فيها . كل ذلك بسبب محمد علي . كما كانت تخشى من علاقاته الودية بفرنسا . واعتقد كثير من الإنجليز أن محمد علي ليس إلا أداة طيعة في يد النفوذ الفرنسي ، وأن على إنجلترا أن تواجه ظروف موقفها في الشرق الأدنى بمفردها هي نفسها ، وأن تعتمد على قوتها وحدها للمحافظة على مصالحها في تلك المنطقة .

وأما من حيث امتداد التوسع المصري الى مناطق [illegible] ، فإن ذلك قد أثار مخاوفها وأيقظ مكامن الحذر منها حتى لا تطمئن الى [illegible] هذا العاهل [illegible] الذي أصبح يسيطر على أهم الطرق البرية والبحرية بين الشرق والغرب . فقد صار الى يده طريق الفرات — سوريا بعد أن امتلك البلاد الشامية كما أصبح البحر الأحمر بحيرة مصرية ، وإن كانت انجلترا ما زالت تعتمد في مواصلاتها على الطريق البحري حول افريقيا الا أنها ما كانت تهمل أبداً سلامة الطرق البرية [illegible] الاستراتيجية كطريق الفرات الى الهند ، [illegible] تجارب الفرنسيين في مصر [illegible] الهند [illegible] ، ثم [illegible] حتى اندفع محمد على بطموحه للاستيلاء على العراق الذي يطل على الخليج الفارسي ، ويقع على رأس أقرب الطرق [illegible] والبحر الى الهند .

ومن ناحية أخرى وصل التوسع المصري الى شواطئ شبه جزيرة العرب في الشرق في الوقت الذي أخذت تتعدد فيه صلات [illegible] [illegible] والأمراء العرب على الخليج الفارسي والساحل الجنوبي [illegible] [illegible] [illegible] فضلاً عن أن [illegible] محمد علي بضرورة الإعتماد على هذه [illegible] الدائرة بين خورشيد باشا الحاكم المصري في بلاد العرب و[illegible] [illegible] [illegible] السيادة المصرية [illegible] [illegible] الحكم المصري في بلاد العرب عام ١٨٤٠ .

وفي الجنوب وصل التوسع المصري الى حدود اليمن ومدخل البحر الأحمر وعقد محمد علي معاهدة مع إمام اليمن استولى بمقتضاها على ساحل اليمن وموانئ [illegible] مخا و[illegible] [illegible] هذا التوسع و[illegible] [illegible] في مواصلات الإمبراطورية فعملت على أن تستقر في هذه [illegible] سنة ١٨٣٩ وكانت قد [illegible] الفرنسية في مصر و[illegible] سلطان حضرموت [illegible] خروج الفرنسيين من مصر ولكن [illegible] محمد علي من هذه [illegible] [illegible] للحكم المصري [illegible] احتلت عدن [illegible]

المصرى من بلاد العرب ، ووجدت فرنسا فيها مدخلا إلى البحر الأحمر ونطلا على البحار الجنوبية ، وتركت الأحداث فى تلك المنطقة لكى تسمح لها بمتابعة الحوادث وترى الأحوال [illegible] ثم تحث الدولة [illegible] سلطتها [illegible] كذلك تفكر فى [illegible] أن تحدث مصالحها [illegible] فى [illegible]

ومن ناحية [illegible] محمد على [illegible] على أساس المحافظة على سلامة الدولة [illegible] فى الشرق [illegible] أو فى الغرب أمام مطامع الروس ، وأخذت [illegible] على [illegible] مصر [illegible] حتى لا تكون [illegible] من الدولة ما يهدد مصالحها أو تحد [illegible] فى تلك المنطقة من مناطق الشرق وترى فى [illegible] من سلطانها حدا لامتداد النفوذ الفرنسى إلى هذه المناطق الحساسة

[illegible] فى الشرق [illegible] فى عهد محمد على فى مصر [illegible] أن تربط هذا العامل برباط الصداقة الفرنسية ولديهم محمد على ودا [illegible] فى حكومته واستعان باللوائح والنظم الفرنسية فى التعليم والجيش وأوفد أكبر بعوثه العلمية إلى فرنسا وقدم الفرنسيون [illegible] من علماء ومهندسين وضباط ومعلمين للنهوض بحركته الإصلاحية فى دولته الناشئة [illegible]

[illegible] حرصها على سلامة الدولة العثمانية رغم علاقات [illegible] بين الدولتين منذ عهد [illegible] من وراء ذلك ما يهدد مصالحها [illegible] فى الشرق ويهدد الدولة [illegible] فى هذا الميدان فقد [illegible] حملتها على مصر عام ١٧٩٨ وعندما احتلت الجزائر عام ١٨٣٠ ولكن ما أن بدأ الخطر الروسى يدق أبواب الآستانة [illegible] من البواعث حتى تهب دفاعا عن سلامة الدولة العثمانية وإبعادها من الخطر وتحول بين الروسيا والإقتراب من مناطق نفوذها المرتقب .

وقد تأثرت سياستها حيال المسألة المصرية فى عهد محمد على بهذين العاملين عامل

الصداقة التي تربطها بعاهل مصر وأمانيها في الشرق التي تأمل أن تحققها على يديه .
ويساورها الخوف من أن يهدد توسع محمد على النفوذ الأوربي ويتيح للروس فرصة
السيطرة على الدولة العثمانية وكانت ترى للتوفيق بين هذين العاملين المتعارضين أن
تترك السلطان ومحمد على أن يصفيا مشاكلهما سوية دون الالتجاء إلى الدول أو تدخل
أحداها بينهما .

وقد رأت روسيا في الخلاف الذي نشب بين السلطان وتابعه فرصة لتقترب من
السلطان وتحميه من عدوان تابعه [illegible] عجزت عنه الحرب وتستطيع
أن تبسط حمايتها [illegible] على الدولة [illegible] علاقات [illegible] أن
تبسط نفوذها في تركيا . وعقدت معاهدة هنكار اسكله سي وهي تنطوي على معاهدة
[illegible]

[illegible] التي تهدد الدولة
العثمانية من [illegible] موقف الدولتين من سياستها
[illegible] وكانت [illegible] تسوى مشكلة مصرية تسوية
محلية بين السلطان وتابعه دون تدخل الدول وهي لا ترضى ذلك [illegible] اعترافاً
[illegible] وهي تحب أن تقوم على [illegible] في الاشتراك مع الدول في
تسوية النزاع بين محمد على والسلطان [illegible] معاهدة هنكار اسكله سي
وارتاحت إنجلترا [illegible] علاقات [illegible] وروسيا ولم تعد
[illegible] كانت [illegible] بينهما ومن
مساعدة محمد على مساعدة فعالة قد [illegible] في نزاع تتحاشاه مع الدول الأوربية

[illegible] مؤتمر يجمع الدول الأوربية [illegible]
التدخل بين السلطان وتابعه حتى [illegible] القوة المصرية التي [illegible]
مناطق تهدد مصالحها [illegible] الحدود المصرية

[illegible] الدول المذكورة مذكرة عام ١٨٣٩ [illegible] مع الاتفاق بين
محمد على والسلطان [illegible] معاهدة لندن عام ١٨٤٠ وهي تقوم على [illegible] المحافظة

على سلامة الدولة العثمانية والاعتراف بمصر كمركز خاص داخل كيان الدولة العثمانية .

وقد رأت الدول أن تكون مصر لمحمد على يحكمها وأسرته من بعده وأن يكون له حكم جنوب الشام مدى حياته فإذا لم يقبل ذلك خلال عشرة أيام نزعت منه الأقاليم الشامية فإذا استمر فى الرفض لمدة عشرة أيام أخرى نزعت منه مصر وعملت الدول على إخضاعه لمشيئة السلطان .

ورفض محمد على هذه العروض أملا فى مساعدة فرنسا وفشل التحالف الأوربى ولكن تخلت فرنسا عن نصرته وعملت الدول بنصوص معاهدة لندن فحملته على الرضى والقبول بعد ما ضربت الدول بالقوة فى تنفيذ مطالبها وهاجمت شواطىء الشام وأرغمت قواته على الجلاء عن سوريا .

وصدر فرمان فبراير عام ١٨٤١ بعد أن أكد محمد على خضوعه للسلطان وأعاد إليه الأسطول ولكن محمد على لم يرض عن بعض نصوصه وتوسط لدى الباب العالى حتى تدخلت الدول الأوربية فى تعديل الفرمان ، ورضى محمد على وفى ٢٢ مايو وافقت الدول على نص الفرمان المعدل وفى ١٠ يونيه أعلن الفرمان فى مصر ، وحقق محمد على ما كان ينشده لمصر ولأسرته من كيان خاص وإن كان دون ما أمل بكثير .

واستقرت مصر بعد ذلك على الأساس الذى قامت عليه التسوية التى تمت بين محمد على والسلطان والتى فرضتها الدول فى معاهدة لندن عام ١٨٤٠ ، وصدر بها فرمان العدل عام ١٨٤١ وظلت هذه التسوية أساس مكانة مصر الدولى حتى انتهت فعلا بإعلان الحماية البريطانية على مصر عام ١٩١٤ وقانونا بتنازل تركيا عن سيادتها على مصر فى معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ .

ولا يفوتنا أن نعرض لبعض هذه التسوية ومظاهرها لما لها من أثر فى تاريخ مصر خاصة وفى تاريخ الشرق الحديث عامة .

ونرى أن هذه التسوية قد أكدت السيادة العثمانية على مصر فالسلطان هو الذى يصدر فرمان الولاية على مصر وإن قيد هذا الحق بما نص عليه فرمان ١٨٤١ من أن تكون الولاية لأكبر الأسرة سنا كما حدد الفرمان مقدار

الحربية التي تدفعها مصر للباب العالي ولم يكن لها حدود من قبل وكفت ما اتسع
المماليك عن أذاهم متعددي الأغراض والجهات وأصبحت قوة مصر العسكرية حرماً من
القوات العثمانية تحتمي بها دولة السلطان كلما وقعت في حرب أو ثورة وقد اشتركت
القوات المصرية فيما بعد في الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد [illegible] . وكما اشتركت
في إخماد الثورة التي قامت في كريت ضد الحكم العثماني

ومن آثار هذه التسوية أن أصبحت مصر مستقلة لأول مرة في حكم مستقل تحت
قيادة أسرة مالكة تتابع في تسيير جمهورها بالإصلاح والعمرانية دون تدخل من
الباب العالي

وقد ظلت هذه التسوية قائمة أساس العلاقات بين محمد علي والسلطان ،
وإن صدرت بعد فرمانات سلطانية بالامتيازات [illegible] وما يتبعها من معاهدة
لندن في [illegible] ولكنها [illegible] السلطان [illegible]
الكتاب الذي [illegible] مصر داخل الدولة العثمانية [illegible]
الدولة العثمانية التي [illegible] مصر [illegible]
تحاولها [illegible]

وظلت الدول الأوروبية [illegible] تحدث في تلك [illegible]
ومشروعاتها [illegible] في شؤون البلاد [illegible]
ما لها في عهد [illegible] تلك الحوادث التي حدثت [illegible] المسألة المصرية
[illegible] حتى انتهت بالاحتلال [illegible] للبلاد عام ١٨٨٢

منذ محمد علي إلى الاحتلال :

يتضح [illegible] من تاريخ [illegible] فترة من السكون [illegible] من
ثورات تهب لتعكر صفو هذا السكون [illegible] عوامل القلق والخوف على [illegible]
التي انتهت إليها المسألة المصرية بعد الأزمة [illegible]
الدول الأوروبية للتدخل .

[illegible] في عهدى اسماعيل [illegible] ما دفع الدول إلى النشاط والتدخل في شئون مصر الداخلية ذلك التدخل الذى انتهى بالاحتلال [illegible] في عام ١٨٨٢ .

وقد [illegible] في تلك [illegible] إلى [illegible] صدور [illegible] ومواففة الدول [illegible] ورضاء محمد على [illegible] في صيف عام ١٨٤١ ، جملة عوامل [illegible] وخطوطها [illegible] في دراسة المسألة المصرية .

[illegible] من هذه [illegible] الذى [illegible] مصر في [illegible] عام ١٨٤١ [illegible] الحكومة [illegible] لا [illegible] هذه الدول [illegible] هذه الدول [illegible] الخاص [illegible] مصر [illegible] العثمانية الأخرى

[illegible] ولاة مصر على [illegible] ١٨٤ [illegible] ١٨٤١ [illegible] حقوق [illegible] كل منهم [illegible] في الإصلاح [illegible] بالدول الأوربية .

[illegible] الدول الأوربية من مصر [illegible] مصر [illegible] المسألة المصرية في النهاية وما أفادته مصر من اتصالها [illegible] الأوربية [illegible]

[illegible] في كل ذلك [illegible] على [illegible] محمد على وأخيراً في عهد اسماعيل

حينما أخذ [illegible] كشف [illegible] مرتبط [illegible] التي [illegible]
في الثورة العرابية .

وترتبط هذه العوامل بعضها ببعض ولا يمكن دراستها منفصلة فقد جمعت كلها
في رباط واحد من الأرض والزمن وتطور الحوادث .

وقد ظل السكون [illegible] على حوادث مصر في [illegible] التسويات الدولية التي
أعقبت تسوية ١٨٤٠ – ١٨٤١ وإلى سنوات أخر من حكم محمد علي [illegible] القوى
[illegible] حتى ولاية عباس الذي أخذ [illegible] مع السلطان بالنزاع الذي
أصبح [illegible] والصداقة مع الباب
العالي والحد من النفوذ الأوروبي .

ولكن الحوادث [illegible] المركز الممتاز
الذي كسبته مصر في تسوية ١٨٤٠ – ١٨٤١ [illegible] الامتيازات
التي [illegible] مصر [illegible] الأخرى وقد كان
[illegible] وكان [illegible] في
[illegible] السلطان [illegible] .

وقد [illegible] بين عباس والسلطان [illegible] السلطان تطبيق التنظيمات العثمانية
على مصر وهي اللوائح [illegible] السلطان عام ١٨٣٩ لإصلاح الإدارة
و[illegible] العدل في الدولة [illegible] عباس [illegible] المركز
الممتاز لمصر على الولايات [illegible] الأخرى [illegible] الأوروبية [illegible]
على السلطان [illegible] ١٨٤٠ – ١٨٤١ [illegible]
[illegible] وثق علاقته بالإنكليز
[illegible]
امتياز إنشاء أول خط حديدي بين الإسكندرية والقاهرة .

ولم تكن علاقة عباس بالسياسة [illegible]
[illegible] الحكومة المصرية

وأخذ يقرب إليه الإنجليز ويوثق صلته بهم ويقرب قنصلهم مستر (مري) منه وإن
كانت [illegible] لا تكسب [illegible] أن [illegible] لأحدهم مكانة لديه وإن كانت
[illegible] قد حملته على التقرب من الإنجليز دون الفرنسيين عندما ثارت أزمة [illegible]
بينه وبين الباب العالي ولأنه كان يعتقد أن الفرنسيين [illegible] على [illegible]
غير الخسران

كان الفرنسيون كانوا [illegible] في مشروع الخط الحديدي بين الإسكندرية
والقاهرة وإصلاح طريق السويس تعطيلا لمشروعهم الذي [illegible] ويفكرون فيه
وهو شق قناة تصل ما بين البحرين الأحمر والمتوسط تحت إشرافهم [illegible]
[illegible] طريق [illegible] عبر الشرق الأوسط لصالح [illegible]
والنفوذ الفرنسي

ورأت فرنسا أن [illegible] حتى [illegible] مشروعات
إنجلترا [illegible] على مصر ، وشهدت [illegible]
[illegible] وروسيا و [illegible] في تضييق [illegible] على
مصر [illegible]

وما كان لفرنسا أن [illegible] بها القلق على هذا النحو ويثور بها الخوف على سياستها
[illegible]
[illegible] الدولة [illegible] سلامة
الدولة العثمانية [illegible] في ذلك [illegible]
حرب [illegible] وتقسيم أملاك
الدولة العثمانية على أن [illegible] مصر [illegible] وكريت ، [illegible] الحرب إلى جانب
تركيا عندما ثارت الحرب بينها وبين روسيا .

وأخذت [illegible] علاقاتها
مع عباس [illegible] على الدولة العثمانية
وتوكيدها لفرنسا سلامة مراميها من تأييد عباس [illegible] أخيراً بعد مفاوضات

حرب بين القاهرة والآستانة [illegible] على رأى عباس وتحقق [illegible] السلطان معدلة عن
رغبة عباس وسياسة [illegible] الذى ناله مصر فى فرمان ١٨٤١ ، وتلا ذلك أن [illegible] عباس
السلطان بخمسة عشر ألفاً من الجند وعدد من السفن وأثاب السلطان والى
مصر عن ذلك فأصدر [illegible] فى عام ١٨٥٦ [illegible] عدد الجيش إلى
ثلاثين ألفاً

ولم يكن للشعب فى كل هذه الأحداث أثر يذكر [illegible] شخصية عباس [illegible]
[illegible] واضحة فى سياسة [illegible] على
[illegible]
من [illegible] مصر [illegible] دولة محمد على
[illegible] مصر [illegible]
[illegible]

وسقط [illegible] مصرية فى عهد سعيد [illegible]
الخلاف بين محمد على [illegible]
[illegible] ولا يتعرض [illegible] السلطان
ولا [illegible] ١٨٤٠ [illegible] ١٨٤١ [illegible] الدولة [illegible]
[illegible]
[illegible] لتوطيد نفوذه فى مصر بمعارضة سعيد فى مشروعاته .

[illegible] وكان له أعظم الأثر فى تطور [illegible]
مصر [illegible] سعيد [illegible] أو سياسة [illegible]
أو [illegible] فى [illegible]
[illegible] حتى [illegible] عباس [illegible]

وأحدث [illegible] من [illegible] عن [illegible]
فى مصر [illegible] فى ذلك [illegible]
[illegible]

لاحتيال عليه ومطالبته [illegible] ماله من الحكومة المصرية [illegible]
استكبرها بحقيقتها

ولم يكن [illegible] في عهد الأجانب كعصر [illegible] محمد على في الاسكندرية [illegible]
وسلفه كان [illegible] عرفاً [illegible] وطنه [illegible] الناس والحكم عليهم
واستبدادهم [illegible] في الاقدام [illegible] وكان [illegible] الذين [illegible]
ويسألون العيش في رحابه .

[illegible] الفرص من [illegible] الأجنبية [illegible]
[illegible] على مصر [illegible] النفوذ الأجنبي

وكان [illegible] وصحبة له لم [illegible]
سعيد ورحلة [illegible] الأجانب . وكان [illegible] كان يعمل [illegible]
[illegible] قنصلا من قبل [illegible]
فرديناند أولى الأجانب برعاية سعيد وبره وكرمه .

[illegible] في حفر القناة [illegible] الاسكندر
[illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible]
[illegible] المشروع وتصميم سعيد له
[illegible] قدماً في سبيل التنفيذ . وشهد [illegible] أن توافه [illegible] البحر الأبيض
[illegible] تتدفق إلى بحيرة التمساح في نوفمبر عام ١٨٦٢ .

وتم [illegible] المشروع في عهد اسمعيل وافتتحت القناة للملاحة في السابع عشر من
نوفمبر عام ١٨٦٩ في حفلة شهدها أقيال أوروبا وملوكها وعظى في بذخها على كل ما شهده
العالم من ألوان البذخ والإسراف .

وبينما كان العمل يجرى في حفر القناة كان اسمعيل [illegible] جهوده [illegible] في
[illegible] علاقاته [illegible] وفي ميدان الاصلاح الداخلي والتوسع المصرى في أفريقيا

ما رمى إليه أحلامه وطموحه كرجل شرقي صوره جدته بتفكير غربي ودولة التنظيم الأوربي كما يصوره حب جديد للتغيير وعهد مرتبة ودقة ورقابة [illegible] على الحكم والإدارة [illegible] كل كثرة وضعف في مملكة [illegible].

وكان إسماعيل [illegible] [illegible] [illegible] بالقوة [illegible] [illegible] يستطيع أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وطنه في [illegible] [illegible] [illegible] كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ووطمع [illegible] في الاستقلال [illegible] [illegible] [illegible] وجهوده [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والإسبانية سواء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شرق و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible].

[illegible] إسماعيل كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] الامتيازات التي [illegible] له [illegible] أوفر من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الهدايا والرشاوى التي غمر بها السلطان وحاشيته ، وكان آخرها فرمان ٩ يونيو عام ١٨٧٣ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عدى بعض الحقوق الجديدة كحق الخديو في وضع القوانين [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] مع الدول الأخرى [illegible] [illegible] [illegible] في مصر بالسلطات العلية [illegible] في زيادة الجيش إلى العدد الذي يشاؤه ، وحقق إسماعيل لمصر استقلالا [illegible] تاما [illegible] [illegible] من سيادة الدولة [illegible] على مصر [illegible] [illegible] في أقرتها ونظمتها تسوية ١٨٤٠ — ١٨٤١ .

وكان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في بلاد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من جديد وكان [illegible] [illegible] الذي [illegible] محمد علي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حكم مصر [illegible] [illegible]

مدرسة الطب ومدرسة الحربية [illegible] جديدة ، كما نشرت الصحف وتعددت أغراضها وتنوعت [illegible] وكانت أول محاولة لإصلاح الأزهر ، ثم نهضة مصر مصبح الإسلام الأكبر السيد جمال الدين الأفغاني فكان مدرسة جديدة في الإصلاح الديني والاجتماعي ورائد عصره في الوعي القومي والسياسي .

وظهر عدد من الأنشاد كانوا [illegible] في [illegible] وعلى الفوري الذي أحد [illegible] في الحربية [illegible] حكم [illegible] وكان له أثره في [illegible] في الأحداث التي أعقبت عصر في ذلك [illegible] وفي تطور [illegible] مصرية جديدة .

وجرى امتداد مصر في السودان وهو ما بدأه محمد علي من قبل وكان قد نهض في عهدي عباس وسعيد ، فعمل على توطيد الحكم المصري في ربوعه [illegible] الفتوح [illegible] وكشف منابع النيل ومحاربة الرقيق ولكنه استعان في ذلك ببعض الأجانب وعين [illegible] من الأجانب [illegible] في خدمة الحكومة المصرية بوظائف [illegible] ، وأولهم صمويل بيكر الذي كشف [illegible] وبسط حدود مصر على جزء كبير من [illegible] وخلفه غوردون [illegible] وقد عينه الخديوي عام ١٨٧٤ [illegible] ثم عين بعد ذلك حاكماً عاماً على السودان وظل به حتى عام ١٨٧٩ [illegible] لجيش المصري [illegible] ولكنه لاقى حتفه على أيدي [illegible] في الخرطوم في ٢٦ [illegible] عام ١٨٨٥ .

وتعاظمت الأزمة المالية في عهد إسماعيل حتى [illegible] لم تجد له [illegible] ولا من الدول الأوربية [illegible] في [illegible] ، ثم [illegible] الفوضى فيه [illegible] ووقعت [illegible] وأصبح [illegible] للتدخل الأوربي [illegible] في [illegible] البلاد [illegible] الدول الأوربية [illegible] محمد علي والسلطان [illegible] ١٨٤٠ و ١٨٤١ [illegible] في كل [illegible] وحكام مصر من [illegible] ولكن [illegible] الذي تم في عهد إسماعيل

ثم بدأ ينكشف عن اتجاهات جديدة في السياسة الأوربية ، وإن كان هذا التدخل قد وصل إلى غايته بعزل إسماعيل عام ١٨٧٩ ، إلا أن مدى عمقه من هذه الاتجاهات لم يبد واضحاً إلا بعد ما احتلت جيوش بريطانيا مصر بعد ذلك بثلاث سنوات وتلا ذلك إصرار الحكومة [illegible] على إخلاء السودان وسحب القوات المصرية منه .

وقد حدثت أزمة مالية [illegible] على بيع أسهم مصر في شركة القناة ، وكانت انجلترا صاحبة هذه الصفقة الرابحة .

وما انقضى [illegible] حتى [illegible] لإصلاح مالية مصر [illegible] الحكومة [illegible] كيف لإجراء تحقيق دقيق [illegible] في [illegible] الأحداث [illegible] وأخذ التدخل الأجنبي [illegible] ومنهم [illegible] على الحكومة [illegible] صندوق الدين [illegible] موظفون من الأجانب للإشراف على شئون [illegible] جوشن [illegible] للتحقيق وقدمت تقريرها وقضى بفصل ديون الدائرة السنية [illegible] الأولى عن الدين الموحد وتقدير الدين الممتاز ، كما قضى [illegible] أحدهما [illegible] موظفون من الأجانب [illegible] صندوق الدين ولكن [illegible] للتحقيق في جميع شئون الحكومة المالية والإدارية [illegible] اللجنة في [illegible] وزارة [illegible] بسبب ذلك [illegible] وزارة نوبار [illegible] ثم كانت ثورة الضباط المسرحين من الخدمة واستقالت وزارة نوبار وتألفت وزارة الأمير توفيق واحتفظ [illegible] عن التكيد للخديو وإثارة متاعب أمام [illegible] الوزارة وأخذ هذا مشروعاً بإعلان إفلاس الحكومة المصرية .

وعلم [illegible] مشروع [illegible]

العام وطالب بوزارة مسئولة وبعقد مجلس شورى النواب ، ووعد إسماعيل فأجل الديون وأنهى إليهم ما شيع من سخط في البلاد بسبب تدخل الأجانب وقدرة الحكومة على القيام بواجباتها المالية .

واستقالت وزارة نوبار وألفت وزارة شريف من أعضاء وطنيين كما جاء في خطاب الخديو إلى شريف بتكليفه تشكيل الوزارة ، وأن تكون مسئولة أمام مجلس شورى النواب .

وعملت وزارة شريف [illegible] مع المحافظة على حقوق الحكومة المصرية ولكن فرنسا و[illegible] في ذلك وأخذتا [illegible] الخديو وأنذرتاه بالتدخل [illegible] كان [illegible] إلا [illegible] الخديو [illegible] في ذلك [illegible] على مصر فأصدر أمره بعزل إسماعيل وتولية ابنه توفيق.

وبرح إسماعيل [illegible] فقد كان الأمر الصادر بنفيه إلا [illegible] في أي أرض عثمانية أو يقيم بها وكان يزمع الذهاب إلى الأستانة ، وبقي في ضيافة البيت المالك في إيطاليا حتى سمح له السلطان بالإقامة في الأستانة فسافر إليها حيث وافته منيته في ٢ مارس سنة ١٨٩٥ ، ولكن جثمانه لم يحرم من ثرى مصر الحبيب فقد نقلت رفاته إليها ودفن بمسجد الرفاعي في [illegible] عشر من نفس الشهر .

وولي توفيق حكم مصر في جو عاصف ، وقد شهد سياسة التدخل الأوروبي [illegible] وكان [illegible] أسرته في حكم البلاد قد ارتبط دائماً بجهود العاملين ، عامل العلاقة بين مصر والدولة [illegible] أو بين التابع والمتبوع ، ونوع هذه العلاقة وشكلها وما [illegible] من حقوق وما تفرضه من واجبات والتزامات ، ثم [illegible] الدول الأوروبية هذه العلاقة و[illegible] . واتصل ذلك [illegible] اهتمام الدول الأوروبية وخاصة فرنسا وانجلترا بالمسألة المصرية وعلاقة كل منهما بحاكم مصر وتباين هذه العلاقة بتباين المصالح والظروف .

ثم جد عامل ثالث أخذ يكشف عن نفسه في أخريات عهد إسماعيل ويبين عن

قوته في عهد توفيق وتدخل في سير الحوادث وتطبع بطابعه الخاص . فهذا
العامل هو ظهور الوعي القومي وتطوره ، ويمتد في عهد توفيق [illegible] مسألة
المصرية بقوة هذا العامل أو ضعفه ، ولا سيما في عهد الاحتلال [illegible] حتى
الوقت الحاضر

وقد عرفت كيف كان عهد الخديو توفيق ، وأن المسألة المصرية تأثرت [illegible] شخصيته
إلى حد كبير ، وتقابلها هذه الشخصية [illegible] ، فهذا محمد علي الطموح
البعيد النظر [illegible] على [illegible] الثقة
بالأحداث والرجال [illegible] والعوامل [illegible]
الطموح [illegible] الأحداث والرجال وإن كان [illegible] الإدارة
[illegible] الظروف والأحوال . وكانت هذه
الأمور [illegible] من [illegible] وشخصيتهم [illegible] الظروف [illegible]
وتأثرها بالمطامع الأوروبية [illegible] من ناحية وعدم الاهتمام
الأوروبي بمصر من ناحية أخرى

وكان من [illegible] هذه الظروف مجتمعة ، كان [illegible] واحد موقف
[illegible] وينقص من حقوق التي كسبتها مصر
في الفرمان الشامل سنة ١٨٧٣ ، وكان [illegible] من [illegible]
الأجانب في شؤون مصر الداخلية ، وكان [illegible]
[illegible] الحكم [illegible] ، كان [illegible]
يواجه كل ذلك ، [illegible] في حكمه [illegible]
النفس لم يكن [illegible] ، [illegible] من أن [illegible] الأحداث [illegible] على [illegible]
جرفته في تيارها وسارت على هواها .

[illegible] من هذه المشاكل ، مسألة [illegible] في الحكم [illegible]
منذ صدور الفرمان الخاص بولايته ، وكان [illegible] من
الحقوق التي كسبتها مصر في الفرمان الشامل خاصة بنظام وراثة العرش [illegible]

الأكبر. وحق مصر في عقد الاتفاقات التجارية مع الدول وعقد القروض المالية وزيادة
عدد الجيش

وقد اتفقت انجلترا وفرنسا على الاحتفاظ بنظام وراثة الحكم للابن الأكبر ، وذلك لما وقفا على الأمير عبد الحليم أكبر أفراد الأسرة الخديوية والذي كان يسعى لتولي الحكم بعد إسماعيل ، وكان من مصلحتهما الإبقاء على حق الخديو في عقد الاتفاقات التجارية مع الدول [illegible] الحرية التجارية في مصر ، [illegible] فرنسا [illegible] على أن تعرض مصر مقدماً على الباب العالي الاتفاقات التي تعقدها مع الدول [illegible] للعلم ، وأن لا تتضمن هذه الاتفاقات [illegible] مع [illegible] الأخرى ، وقد رؤي الإبقاء على حق مصر في عقد القروض [illegible] على أن تكون لتسوية الديون لا للاستهلاك ولا [illegible] وكذلك [illegible] على ذلك [illegible] .

[illegible] حق الخديو في زيادة عدد الجيش [illegible] في [illegible] مصر ، وعاد هذا الحق [illegible] فرمان ١٨٤١ خاصاً بتحديد عدد الجيش المصري كما نص الفرمان الجديد على عدم حق [illegible] عن حقوق [illegible] أو عن جزء من الأراضي المصرية أو تركها [illegible] و [illegible] هذا التحديد [illegible] من حق خصوص الأراضي التي يحكمها الخديو في مصر والسودان .

وصدر فرمان الخديو [illegible] على نصوصه وكانت تلاوته الرسمية في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٩

ثم مشكلة الديون فكانت [illegible] في عهد إسماعيل فقد [illegible] توفيق [illegible] ، و [illegible] المشكلة ولا شك [illegible] في عهد إسماعيل . وتكونت لجنة التصفية بقرار من الخديو [illegible] وعضوية مندوبي الدول الأربع في صندوق الدين وضم [illegible] آخر حتى يكون [illegible] ، و [illegible]

وبقي أن [illegible] من اللجنة [illegible] وتعاون الحكومة المصرية [illegible] ما حاولت اللجنة أن تنشده.

وبعد أن استعرضت اللجنة حقيقة الحال في البلاد ووضعت تقريرها وأخذت [illegible] من دولها [illegible] حتى أن تصدر هذه القرارات [illegible] ففي ١٧ يوليو سنة ١٨٨٠ صدرت قرارات اللجنة وأصبحت [illegible] مصر [illegible] مصرية، وقدرت مجموع الديون [illegible] بمبلغ ٩٨٬٧٤٨٬٩٣٠ جنيه مصري

الدين الموحد ٥٨٬٠٤٠٬٣٢٦ جنيه وخصصت [illegible] مصلحة الجمارك وضريبة الدخان وضرائب مديريات [illegible] و[illegible] ٧ ٪ [illegible] والفائدة ٤ ٪

الدين الممتاز ٢٢٬٦٧٩٬٨٠٠ جنيه وخصصت [illegible] السكة الحديد والتلغراف وميناء الإسكندرية وفائدته ٥ ٪

دين الدائرة السنية وقدره ٩٬٥١٨٬٨٠٤ جنيه وفائدته ٤ [illegible] و ٥ [illegible] أملاك [illegible]

قرض روتشيلد ٨٬٥٠٠٬٠٠٠ جنيه

وقررت اللجنة أن يقوم صندوق الدين [illegible] الدين الأول والثاني وجمع [illegible] اللازم لها. ولا يجوز عقد أي قرض دون موافقة صندوق الدين كما قررت إلغاء [illegible] وتعويض أصحابها بدفع ١٥٠٬٠٠٠ جنيه تدفع سنويا لمدة خمسين عاما.

وكان لصدور هذه القرارات في صورة قانون [illegible] أثر [illegible] النفوس كما كان له وقعه [illegible] لدى المصريين [illegible] وحصيلة [illegible] من [illegible] يشرف على شئون البلاد العامة. ولم تجد اللجنة أصحاب [illegible] من [illegible] البلاد وكان [illegible] من [illegible] ما دفعهم إلى اتهام الخديو بالعجز إزاء تفوق النفوذ الأجنبي.

وهكذا توطد مركز الخديو حيال [illegible] الدائنين من الأجانب ، ولكن بقى الوعى القومى الذى تفاعل واشتد وكشف عن [illegible] [illegible] من [illegible] تدخل الأجانب [illegible] فى شئون البلاد بعد [illegible] [illegible] كشف عن نزعته الفردية فى الحكم ورفض مشروع الدستور الذى تقدمت به [illegible] على الاستقالة [illegible] [illegible] شعور القومى ، فبدت روح الثورة فى الجند [illegible] على أيدى العسكريين [illegible] [illegible] الثورة العربية وفشلها [illegible] واحتلال الانجليز للبلاد سنة ١٨٨٢ [illegible] ثلاث سنوات من حكم توفيق

[illegible] فى مطالبها ومظاهرها يتورعون الاحتجاج على [illegible] ١٨٨١ [illegible] [illegible] حركة [illegible] [illegible] عسكرى [illegible]

[illegible] حركة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] خلاف [illegible]

[illegible] [illegible] الأمة فى الحكم [illegible] البلاد [illegible] [illegible] عسكرية [illegible] [illegible] هؤلاء العسكريين [illegible] سنة ١٨٨١ [illegible] الأمة [illegible] الخديو [illegible] فى عزل جميع الوزراء [illegible] الجيش إلى ١٨ ألفاً

وألف شريف الوزارة الجديدة وكان شخصية مهيبة محببة من المصريين والأجانب على السواء، وكانت نوازعه [illegible] للإصلاح تدفعه للعمل [illegible] فاهتم بالتعليم والقضاء ووضع [illegible] الحكم المصري في الخارج ... وأخذ يعد البلاد للحكم النيابي وللتخلص من سيطرة العسكريين واستقبال عهد من الاستقرار والهدوء .

[illegible] شريف [illegible] في [illegible] الأمر [illegible] الجيش بالابتعاد عن القاهرة و[illegible] بالوزارة ... ولف حوله الموصوفون من رجال الأمة [illegible] و[illegible] لانتخاب أعضاء المجلس النيابي ودعوته للانعقاد .

وتم الانتخاب وافتتح مجلس النواب [illegible] في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ بخطاب ألقاه الخديو على النواب و[illegible] الخديو من روح الحكمة والاعتدال التي بدت في كلمات النواب ، وعرض عليه مشروع الدستور لمناقشته وأخذ [illegible] وأعماله ، [illegible] البلاد [illegible] ويتسم بالهدوء والاستقرار .

ولكن [illegible] الخلاف الذي نشب بين الوزارة والنواب حول حق المجلس في مناقشة [illegible] وكان شريف [illegible] للمجلس هذا الحق لولا خوفه من تدخل الدول الأجنبية [illegible] وفعلا كان [illegible] من أشد [illegible] لمنح المجلس هذا الحق حتى لا [illegible] في شئون البلاد المالية والإدارية .

[illegible] كانت [illegible] بين الوزارة والمجلس [illegible] وجهة نظر ، [illegible] حكومتي إنجلترا وفرنسا في يناير عام ١٨٨٢ [illegible] للخديو [illegible] وإصرارهما على [illegible] .

و[illegible] مصر [illegible] الوطنية [illegible] الخلاف بين المجلس والوزارة [illegible] العسكريين والوطنيين ، واستقالت وزارة شريف [illegible] للحرية [illegible] .

[illegible] الأحداث [illegible] من موقف الدول الأوربية [illegible] من مسألة [illegible]

[illegible]

[illegible] موقف الدول الأوربية من [illegible] في [illegible] عصر في ذلك [illegible] ولقد [illegible] المسألة [illegible] ذلك العصر

[illegible] إلى [illegible] السياسة الألمانية [illegible] [illegible]

[illegible] في مصر [illegible]

وكانت مصالحها السياسية والإستراتيجية والاقتصادية في مصر قد أحدثت [illegible] في [illegible] محمد علي [illegible] الخط الحديدي الأول بين الإسكندرية [illegible] ١٧٧٥ [illegible] في مصر [illegible] ولا في تلك السنوات القلائل التي [illegible] رغبة في صداقة المصريين وتوطيد علاقتهم بهم .

وكان احتلالهم قبرص عام ١٨٧٨ بعد مؤتمر برلين أول درجة توحي بجنوحهم عن هذه السياسة ورغبتهم في احتلال مصر وزادت هذه الرغبة اشتعالا عندما احتل الفرنسيون تونس عام ١٨٨١ فأخذوا يفكرون مليا في احتلالها .

وكانت انجلترا في ذلك الوقت قد خففت سياستها التقليدية القديمة في المحافظة على سلامة الدولة العثمانية ، وإن ظلت حريصة على إبعاد النفوذ الروسي عنها ومنع أي خطر يهدد المواصلات ، ولم تعد تؤمن بقدرة الباب العالي على النهوض بقوة الدولة العثمانية على البقاء ، وكانت وزارة جلادستون أشد ما تكون تحاملا على الأتراك وسياستهم في الحكم والإدارة ، وكان جلادستون نفسه يتهمهم بالنقمة على الحضارة والإنسانية .

وقد تأثرت سياستها الخاصة نحو مصر بسياستها العامة نحو الدولة العثمانية وكانت سياستها منذ تسوية ١٨٤٠ – ١٨٤١ ترمي إلى إبعاد فرنسا عن التدخل في شئون الدولة العثمانية حتى تلاشى إيمانها بقدرة الدولة العثمانية على البقاء فبدأت ترى ضرورة الإشراف على مصر ذاتها لاسيما بعد فتح قناة السويس للملاحة عام ١٨٦٩ وأخذت تترقب الفرصة وتتأهب لتنفيذ هذه الرغبة .

ولم تكن فرنسا حريصة على بقاء مصر تابعة للدولة العثمانية وإن دفعتها الضرورات الدولية إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية في تنظيم علاقة مصر بالباب العالي ، ولما كانت ترغب أن تستقل مصر وهي تحمي نفوذها وتوسعه فيها وقد نجحت في التقرب من محمد علي ثم نجحت في الفوز بامتياز القناة في عهد سعيد وظلت تعمل على تقوية نفوذها في مصر وألا يكون لدولة غيرها مركز خاص أو ممتاز في وادي النيل وحاولت انجلترا في عام ١٨٧٥ أن تنفرد بالتدخل في شئون مصر وتعمل على تقوية نفوذها فيها ورفضت أن تكون فرنسا ولها من مركز في مصر على قدم المساواة .

وأما الدولة العثمانية فقد ظلت منذ تسوية ١٨٤٠ – ١٨٤١ تحاول نقض الحقوق التي كسبتها مصر في هذه التسوية وسلكت سياسة متكاملة عامة وظلت حريصة على

تقصد هذه السياسة في شئ من التحفظ ، وأحدثت هذه البعثة ضجة عندها وبدءوا للعمل
ضد ما تدعو إليه السلطان عبد الحميد من فكرة الجامعة الإسلامية ودعوته لها ونشرها
بين المسلمين ، فإن مصر بموقعها وبمالها من مركز ممتاز وسط الشعوب الإسلامية أصلح
مكان لبث هذه الدعوة ونشرها ، ووجد السلطان في مظاهرة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١
فرصة للعمل فأرسل وفداً عثمانياً على رأسه علي نظامي باشا ياوره الخاص للنظر في
الحوادث الأخيرة . وأثار هذا العمل من جانب تركيا غضب فرنسا وإنجلترا فاحتجتا
عليه وطلبتا ألا يمكث الوفد العثماني في مصر ، ثم عمدتا إلى التهديد وقررتا
أن ترسل كل منهما بارجة حربية إلى مياه الإسكندرية ، ولكنهما [illegible] قبل أن يبرح الوفد
العثماني مصر وقد غادرتاها غداة رحيل الوفد العثماني منها .

ولم تكن السياسة [illegible] معوقة الدول الأوربية ولكنها كانت تعمد إلى الاحتفاظ
بسلامة مصر من تنازع مصالح الأجنبية وتزاحمها فيها وتضارب الأطماع الفرنسية
والإنجليزية حولها ، ولكن السياسة الدولية في شئ من الارتباك كانت تسير على غير ما يهوى
السلطان ، فسياسة بسمارك تشجع التعاون الإنجليزي الفرنسي حتى تبعد فرنسا عن محالفة
روسيا ، كان يغري فرنسا بالتوسع خارج أوربا حتى يلهيها عن الثأر من هزيمة
سدان . وقد شجعها في احتلال تونس ، كما أن فرنسا من جهتها كانت حريصة على الائتلاف
مع إنجلترا ، [illegible] شخصية خارجية [illegible] في البحر الأبيض المتوسط ، وكانت
روسيا [illegible] الدولة العثمانية حتى تحقق أطماعها التقليدية في البواغيز ،
ولم يكن التقارب [illegible] بعد مؤتمر برلين بين إنجلترا وتركيا من القوة في
ذلك الوقت [illegible] بسمارك على تشجيع الباب العالي وكان بسمارك [illegible] إلى
مصر [illegible] وعدم الزج بها في مشاكل خارجية

ورأت [illegible] ألا تقدم على عمل في مصر يسيء إلى علاقتها بفرنسا ، وأحدثت
[illegible] مسألة مصرية ، واحتجتا حماية
لسيادة الباب العالي على مصر وحقوقه الشرعية التي أقرتاها من قبل ، واحتجتا على
الوفد العثماني وقرنتا الاحتجاج بالتهديد .

وقد [illegible] مصر من سياستها [illegible] وكانت

فرنسا تعد الدولتين أخص بالتدخل في مسألة مصر ، وأرادت حكومة رئيس وزرائها ووزير خارجيتها أن تتبع إرسال المذكرة المشتركة بالتدخل الحربي لولا أن تثبط من عزمه جرانفيل وزير الخارجية البريطانية ، ولم تكن المذكرة المشتركة من نتائج إلا إثارة الهياج في البلاد وإضعاف مركز الخديو أمام الوطنيين ورجال الجيش .
وعلم قواد هؤلاء وازدادوا تطرفاً وتمادياً في خطتهم أنهم يستطيعون أن يفيدوا من اختلاف الدولتين على طريقة مواجهة الموقف في مصر فاشتطوا في سياستهم ولم يعيروا حساباً للعدو الذي يتربص بهم الدوائر واتسعت هوة الخلاف بينهم وبين الخديو واقترح فرسينيه الذي خلف جمبتا أن ترسل الدولتان أسطوليهما إلى الإسكندرية لإرهاب المتطرفين ثم وقعت حوادث [illegible] الوزارة وبعض العسكريين وقتل الخديو فطلب الدولتان استقالة وزارة البارودي ، فنجحت في ذلك واضطرت [illegible] دون تدخل الدول الأخرى في هذه القضية مثل تدخل الحضرة السلطانية ، ولكن الجيش تمسك [illegible] وتوتر [illegible] الإسكندرية وسائر [illegible] التي لم [illegible] التدخل في الوقت الذي [illegible] الدول على مواجهة حوادث المسألة المصرية ومشاكلها [illegible]

وسارت الأمور [illegible] في سرعة ولعل [illegible] كانت تنتظر الوقت المناسب لاحتلالها رغم تظاهرها بأنها لا تثير تدخلها معارضة قوية من جانب الدول فقد تثير حرباً أوروبية [illegible] هذا الموقف [illegible] عن تشجيع التعاون الإنجليزي الفرنسي بعد عودة اتحاد الأباطرة الثلاثة وكان يخشى أن يتصل روسيا [illegible] ، وأصبح [illegible] تدخل خطر [illegible] من أسباب التي فقد كان يرى أن تدخل الدولتين قد يكون خطراً على سلم أوروبا ولكن جرانفيل لم يوافق على هذا الرأي [illegible] فرسينيه في ذلك وبعث الدولتان أسطوليهما إلى الإسكندرية وناقض فريسينيه فكرة تدخل تركيا لإقرار الحالة في مصر واقترح عقد مؤتمر دولي في الآستانة للنظر في المسألة المصرية [illegible] للسلطان ورفض الاشتراك في المؤتمر وأرسل [illegible] درويش باشا على [illegible] وفد عثماني إلى مصر لحل مشكلتها ولا ريب أن السلطان كان يرمي إلى إظهار سيادته على مصر [illegible] هو

صاحب الحق الأول في التدخل وليس هناك داع لعقد مؤتمر يضطلع بحل المسألة المصرية وقام وزير خارجية تركيا بإبلاغ قرار رفض المؤتمر إلى سفراء الدول الأوربية بالآستانة .

ولم تأبه الدول برفض تركيا أو احتجاجها وعقد المؤتمر من سفراء إنجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وروسيا وإيطاليا وأبدى المؤتمر أسفه لرفض تركيا الاشتراك ، وقرر أن يبدأ في مداولاته بمشروع النزاهة وقد صاغه فريسينه ووافق عليه جرانفل ثم وقعه أعضاء المؤتمر جميعاً وهذا نصه

« تتعهد الحكومات التي توقع مندوبوها على هذا القرار بأنها في كل اتفاق يتم بشأن تسوية المسألة المصرية ، لا ترمي إلى احتلال أي جزء من أراضي مصر أو الحصول على امتياز خاص بها أو نيل امتياز تجاري لرعاياها لا يكون لرعايا الحكومات الأخرى » .

ثم اقترح سفير إيطاليا عدم التدخل أثناء انعقاد المؤتمر ووافقه المؤتمرون على ذلك ولكن لورد دوفرين سفير إنجلترا في الآستانة أضاف إلى هذا التعهد عبارة « إلا في حالة الضرورة القصوى » .

وقد قرر المؤتمر ضرورة التدخل لإقرار الحالة في مصر وإخماد الثورة بها واقترح بسمارك أن يناط بتركيا القيام بذلك وكانت فرنسا تعتقد أن المؤتمر سيكل إليها هذا الأمر بالاشتراك مع إنجلترا ولكن بسمارك تمسك بوجهة نظره ورفض إعطاء الدولتين هذا الحق معاً وقبلت تركيا أخيراً الاشتراك في المؤتمر كما قبلت تنفيذ قراراته ولكنها تلكأت كعادتها في التنفيذ .

وبينما كان المؤتمر يبحث في شروط التدخل قام الأسطول البريطاني منفرداً بضرب طوابي الإسكندرية ورفض الأسطول الفرنسي أن يشترك في هذا العمل بعد أن صدرت إليه الأوامر من حكومته بالانسحاب ، ولم تكن فرنسا في سياستها هذه تتمتع بتأييد الرأي العام في فرنسا فقد كان الاتجاه العام فيها يرمي إلى ادخار قوتها لحماية مصالحها

الحيوية في أوربا والتأهب لما يمكن أن تتمخض عنه أحداث القارة السياسية من احتمالات وكان الشعب الفرنسي قد أخذ [illegible] للثأر من ألمانيا واسترجاع الألزاس واللورين وراح دعاة الانتقام وعلى رأسهم كلمنصو يرددون أن اشتراك فرنسا في حرب خارجية قبل استعادة الولايتين المفقودتين جريمة في حق الوطن. ثم رفض البرلمان الاعتماد الذي طلبه فرسينيه لإعداد حملة على مصر واستقال فرسينيه وضيعت فرنسا جهود قرن كامل من السعي لبسط نفوذها على مصر

وكان مؤتمر الآستانة قد أثار مسألة حماية قناة السويس فعارضت فرنسا الاشتراك في الحملة على مصر ووجدت إنجلترا نفسها في حل من مساعدة فرنسية فعرضت أن تشترك معها إيطاليا في حماية القناة من خطر العرابيين ولكن إيطاليا رفضت ورأى جلادستون وكان يستطيع تأييد الرأي العام الإنجليزي أن الوقت مناسب لكي تتصرف إنجلترا بالأمر مستقلة ومواجهة الدول بالأمر الواقع قد حان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القوات الإنجليزية لاحتلال مصر وحماية القناة ووصلت الحملة الإنجليزية إلى الإسكندرية في ١٣ أغسطس سنة ١٨٨٢ بقيادة الجنرال ولسلي وقد جاء في كتاب تعيينه لقيادة الحملة أنه عين ليوطد نفوذ الخديو كما هو مقرر بالفرمانات التي منحها السلطان، وبالاتفاقات الدولية، وليقمع فتنة عسكرية في تلك البلاد».

[illegible] القوات الإنجليزية على مقاومة العرابيين في التل الكبير وحطمتهم وفر عرابي إلى القاهرة التي دخلها الإنجليز في ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢، وعاد الخديو إلى القاهرة ودخلها بين صفين من الجند الإنجليز وفي مركبته دوق كونوت والجنرال ولسلي والسير إدوارد مالت قنصل إنجلترا العام وعزفت الموسيقى بالنشيد الإنجليزي والمصري فكان هذا إعلانا للناس ببدء عهد الاحتلال البريطاني لمصر.

من الاحتلال إلى الحماية:

دخلت مسألة مصر بعد احتلال انجلترا للبلاد في دور جديد يمكن وصفه بالصراع بين مصر وفرنسا حول شرعية الاحتلال وحق انجلترا في البقاء في وادي النيل ومعارضة فرنسا بقاء انجلترا في البلاد ومحاولتها القضاء على نفوذها الثقافي وتفوقها الحضاري في الشرق كما يمكن [illegible] إحدى [illegible] ويسيطر على علاقات مصر بالدولة [illegible]، وأخيراً هنالك مشكلة [illegible] بين الوطنيين والدولة المحتلة

وكان لإنجلترا [illegible] يشعرون [illegible] مراكزهم في البلاد، ثم دخلوها وعملوا [illegible] ولم [illegible] لم يعلنوا عن الاحتلال أو مدته، وقد أعلنوا عندما جردوا جيوشهم على مصر أنهم ما دخلوها إلا لإقرار السلطة وحماية سلطة الخديو كما أنهم [illegible] بأن مصر تابعة للدولة، وقد استقرت الأمور وانتهت الثورة إلى مصيرها المعروف، ولم تعد أمام انجلترا إلا أن تجلو عن البلاد وتتركها لأصحابها وللدولة صاحبة السيادة عليها. ولكنها تسير في الأمور على نحو يدل على رغبتها في البقاء [illegible] وهي مسيطرة على ذلك الموقع الاستراتيجي الممتاز الذي يقع على طريق الهند ويتحكم في مواصلاتها البرية والبحرية ويشرف على أهم المواصلات [illegible] لأحد [illegible] الاحتلالات [illegible] أقصر الطرق البرية والبحرية إلى الهند [illegible] في ذلك [illegible]، ولا تستطيع انجلترا أن تستمر [illegible] احتلالها من غير [illegible] الدولة، وتسرع بالعمل وتنفرد به وتهمل شأن فرنسا [illegible] وأن حكومة جلالة الملكة [illegible]، كما [illegible] لا تستطيع أن تشرك معها فرنسا في [illegible] أن تشترك في أخطارها أو مغانمها [illegible] للأمر من ناحية الدولة فأرسل إلى الدول مذكرة ٣ يناير سنة ١٨٨٣ [illegible] سياسية [illegible] الاحتلال [illegible] احتلالا مؤقتاً [illegible] وأن حكومة جلالة الملكة [illegible] من وجود قوات بريطانية في مصر مؤقتاً ترغب في سحب هذه القوات [illegible] تسمح بذلك حالة البلاد وما [illegible] من الوسائل التي تكفل توطيد سلطة الخديو. وترى الحكومة أن واجبها لأن [illegible]

الخديو ويقضي بتنفيذها، ووجوب إسداء النصيحة حتى تضمن بقاء الإصلاحات التي يراد وضعها وتطبيقها. وكانت هذه النصيحة كما تفهم بالنسبة لمصر لا تخرج عن معنى الذي أرادته في مذكرتها إلى معتمديها لدى الدول ... بتاريخ ... مارس سنة ١٨٨٤ وهو أنها ... عند البحث في ... المهمة الخاصة بسلامة مصر وإدارتها أن تقدم نصائح لحكومة جلالة ... ما دام الاحتلال لم يتوقف ... مصر، وعلى الوزراء والمديرين تنفيذ هذه النصائح وإلا أقصوا من وظائفهم ... فكان ... بالنسبة للمصريين أمر ... شرعه ... بدون كتاب ... وإرشاد.

وقد اختلفت آراء الأحزاب ... إزاء مسألة الاحتلال وكانت الحكومة البريطانية دائما في حيرة من أمرها ولا تعرف إلى أي رأي تنحاز ... وجهة ... وإن كانت مصالحها الحقيقية ... مسألتها ... في ...

ورأى فريق منهم ... الاحتلال ... خطر المهدية في إخماد الثورة وتدعيم مركز الخديو، وكان جلادستون ... هذا الرأي، وفريق كان لا يؤمن بالجلاء قبل أن ... مصالح ... في وادي النيل، بينما ذهب فريق ثالث يطالب بفرض الحماية على مصر، ولكن فرض الحماية يتطلب موافقة الدولة العثمانية كما يتطلب موافقة الدول التي وقعت معاهدتي باريس وبرلين، وفريق رابع ... ضم مصر إلى ممتلكات التاج ولا ... دون التعرض للمعاهدات الدولية الخاصة بسلامة الدولة العثمانية. وفريق خامس يعتقد أن خير حل للمسألة المصرية هو ... مصر دولة محايدة كبلجيكا وسويسرا ... موافقة الدول على هذا الوضع الجديد.

ومهما كان ... من هذه الآراء ... جلادستون ... من خلفه في الحكم ... كلها ... ضرورة ... حل لمسألة المصرية يضمن مصالح بريطانيا ولا يعارضه الدول الأوربية الكبرى، وكانت سياسة الأخيرة بين هذين العاملين تجري على توطيد المصالح البريطانية في وادي النيل وفي الوقت نفسه تبحث عن مخرج لها من هذا الوضع الشاذ للقوات البريطانية في البلاد، فتعلن أن

احتلالها مؤقت بينما تحرص على تركيز السلطة في أيدي معتمديها ومعاونيها من موظفي الأكفاء

ولا ترفض الحكومة الإنجليزية أن تدخل في مفاوضات حول المسألة المصرية وكانت أول مفاوضات من هذا النوع مع حكومة مصر وكان رئيسها شريف باشا ودارت في أغسطس سنة ١٨٨٣ حول تخفيض قوات الاحتلال والجلاء عن القاهرة إلى الإسكندرية ، واستراحت الحكومة الإنجليزية لهذا الرأي ولكن حال دون تنفيذه فشل حملة هكس في السودان وخوف الإنجليز من زحف المهدي على مصر من الجنوب .

أما المفاوضات الثانية التي جرت حول الجلاء فقد قامت بها فرنسا وكانت تدعو دائماً إلى الجلاء لقوة مركزها المالي في مصر ، وتعدد مصالحها تجارياً وسياستها في البلاد ، واحتجت على إلغاء المراقبة الثنائية ، وواصلت فرنسا تحقيق دعواها عندما دعت انجلترا عام ١٨٨٤ الدول التي وقعت على قانون التصفية عام ١٨٨١ إلى مؤتمر يعقد في لندن للنظر في أمور المالية المصرية فاشترطت لقبول الدعوة بحث مسألة الجلاء ، وتمت مكاتبات دارت بين الحكومتين في هذا الشأن وعدت الحكومة الإنجليزية بسحب قواتها من مصر في أوائل عام ١٨٨٨ وقد تم الجلاء فيها نصرح على الدول وعلى [illegible] حدود مصر ، ومن ثم أعلن جول فري رئيس الحكومة الفرنسية في مجلس النواب أن مصر قد أصبحت دولة أوربية وصحة ، فأوروبا هي التي اختصت بالمسألة المصرية وستبقى دائماً كما كانت مسألة أوربية أولاً وأخيراً .

ولكن فرنسا وقفت موقف المعارضة من الحكومة الإنجليزية عندما اقترحت هذه تخفيض فائدة الدين العام [illegible] قيمته [illegible] في البلاد ، وانفض المؤتمر دون نتيجة وما عاد للانعقاد في لندن في العام التالي [illegible] الدول عقد قرض جديد وتخفيض فائدة الدين العام تفريجاً لأزمة مصر المالية ، وحصرت فرنسا المركز [illegible] تشبثها بالدين الذي كان من نتيجته أن [illegible] الحكومة الإنجليزية وعدها السابق للحكومة الفرنسية بتحديد موعد الجلاء عن مصر .

وأما المرة الثالثة التي جرت فيها مفاوضات بشأن الجلاء فكانت من جانب الحكومة

الإنجليزية عندما عرضت على الباب العالي عام ١٨٨٧ بعد جهود في مفاوضات لتحديد تاريخ الجلاء عن مصر وشروطه وكانت حكومة المحافظين برئاسة سالسبري لم تخلف حكومة الأحرار في الحكم رغبة في إزالة ما تركه الاحتلال البريطاني من توتر في علاقات انجلترا بالدولة العثمانية وفرنسا ، ولعلها كانت ترجو أن تصحح مركزها في مصر وتضفي عليه صفة شرعية ولو صحبت بجلاء البلاد فأرسلت بعثة درمند ولف لمفاوضة الباب العالي في هذا الشأن ، وانتهى الطرفان بعد مفاوضات جرت في القاهرة والآستانة إلى معاهدة سنة ١٨٨٧ على جلاء القوات البريطانية عن مصر بعد ثلاث سنوات من تاريخ التصديق على الاتفاق ، على أن يؤجل هذا الجلاء إذا ما ظهر خطر داخلي أو خارجي يهدد أمن البلاد وسلامتها ، ونص الاتفاق على حق كل من الدولتين في احتلال البلاد إذا ما داهمها أي خطر على أن تخلو بعد زواله ، ونص على أن تدعى الدول بعد تصديق الحكومتين للاتفاق ، أن تصدق به مع ضمان حدود الأراضي المصرية وسلامتها .

ومع أن نصوص الاتفاق لم تكن تنطوي على ما يعارضه كل من فرنسا وروسيا ، وسعتا لدى الباب العالي وأكد سفيراهما أن الاتفاق يحفظ حقوق السلطان والخديو دون مقابل لانجلترا وأن الاتفاق يكسب انجلترا من الحقوق السياسية في البلاد ما يصبح معه شريكة في مصر ، وجعلت الدولتان تشددان الضغط على السلطان حتى رفض الإبرام بعد أن وقعه مندوبه .

ووجدت انجلترا أن عليها أن تصحح مركزها في وادي النيل ، والسلطان قد رفض الإبرام بعد أن وقعه مندوبه بتأثير فرنسا وروسيا ولا تستطيع إلا أن تحتفظ بنفوذها وتدبر الأمور لمصلحتها وقد تعود مصر بدون عسكري وسطوتها على أملاكه . ولم يكن لدول الأوربية إذا استثنت فرنسا وروسيا مصالح حقيقية في وادي النيل فقد كان بسمارك مشغولاً بدعم قوة الاتحاد الألماني الذي أقامه على أسنة الرماح وصرح قبل ذلك للاحتلال بأنه لا يعنيه من أمر مصر شيء ، وليست له مطامع في ممتلكاتها أو مصالح يرتبط بها ولا يهمه أمر مستقبلها أو مصيرها على السواء ، وإن كان قد أيد الاحتلال البريطاني لمصر تأييداً لا تشوبه شائبة وأبدى ارتياحاً

للتحولات الواضحة التي قامت بها بريطانيا والروسيا لمناوأة السياسة الانجليزية في مصر فلأنه كان حريصاً على السلم الأوربي وخشي أن تتورط كل من دول أوربا فتجر إلى حرب أوربية قد تهدد وحدة ألمانيا بالانهيار وجعل كل همه أن يوجه نشاط السياسة الأوربية وأطماعها إلى خارج أوربا .

وحين حدث أن اتجه اهتمامه إلى الشرق كان اهتمامه مركزاً في آسيا الصغرى والعراق ، وظلت انجلترا تؤيدها حتى رأت ما في هذا الاتجاه من تهديد لمصالحها ومناطق نفوذها أخيراً . ولكن أدركت سياسة الأمبراطورية عندما رأت أن معارضتها ستدفع ألمانيا إلى إقامة العراقيل أمامها في مصر وبعد جهة سياستها في الوادي منذ عام ١٨٨٤ ولهذا تنتهي معارضة ألمانيا عندما عرفت لها انجلترا حقها في التوسع خارج أوربا وسكوتها عن مراكزها ونفوذها في أفريقيا

أما روسيا فكانت تتجه أنظارها إلى مناطق الشرق الأوسط والشرق الأقصى وأفغانستان وكانت هذه المناطق هي مواطن النزاع الذي يدور بينها وبين انجلترا على حدود الهند وفي شرقها ولم تكن هذه النزاع قط من مصر كما كانت النمسا مشغولة بمصالحها السياسية والاقتصادية في البلقان .

وكانت إيطاليا رغم ما تمكنه من اهتمام بأفريقيا وبحر الأبيض المتوسط ، وعدم ارتياحها للعلاقة القوية البريطانية في مصر ، إلا أنها وجدت من عطف انجلترا على سياستها الأفريقية عندما تركت لها حرية التوسع ومكنت لها في إريتريا ما جعلها تطوي معارضتها للاحتلال وترضى بالأمر الواقع كما كان موقفها من فرنسا وما ساءت علاقتهما من تكدر بسبب احتلال الفرنسيين تونس يدفعها إلى جانب المسألة المصرية .

ووقفت فرنسا وحدها تناوئ الاحتلال البريطاني مناوأة حادة وتثير العراقيل في وجه الإدارة البريطانية وتبث الدعاية في الأوساط الدولية وتشنع بها وبأساليبها السياسية الماكرة الخداعة وعلى سياسة بريطانيا الاستعمارية في الشرق الأوسط . ولا تمتنع حتى عن تأييد التوسع الألماني في أفريقيا كيداً لانجلترا وإثارة للمتاعب في وجهها ، ولكنها ما كانت تستطيع أن تعمل أكثر من هذا . فقد كانت تخشى أن تزج بنفسها

في حرب خارجية تشغلها عن متاعبها القومية في استعداد الأحزاب والثورة والثأر لمطامعها الخاصة وقد رأت حتى التسليم بعدم قدرتها استعداداً لمعركة القادمة ، وكانت إنجلترا تدرك حقيقة موقف فرنسا وتعرف أنها لن تستطيع أن تدخل الحرب في سبيل المسألة المصرية . ثم تكشف الأيام هذه الحقيقة عندما كان يتوقع قيام الحرب بين الدولتين بسبب حادث فاشودة عام ١٨٩٨ ، فإن فرنسا تراجعت وأصدرت أمرها إلى مارشان بالانسحاب وقبلت الصفعة التي حصلت عليها

ووجدت فرنسا في تشجيع الحركة الوطنية في مصر وتأييدها ما يقوي معارضتها للسياسة البريطانية في وادي النيل ، فمدت يدها للأحرار والوطنيين المصريين وشجعت مؤتمر الدعوة الوطنية المصرية حتى بعض الوقت بعد التقارب الذي تم بينها وبين إنجلترا عام ١٩٠٤ وانتهى بعقد الاتفاقية ... وهو ما عرف بالاتفاق الودي وكان خاتمة النزاع الذي ثار بين الدولتين حول المسألة المصرية

وقد حاولت إنجلترا وقد رأت رفض السلطان لاتفاق ١٨٨٧ بتأثير فرنسا وروسيا وغير أسباب أخرى عن إثارة المسألة المصرية وبسبب موقف السلطان من احتلال مصر وسياستها في وادي النيل ، إلا أنه تجاهل موضوع الجلاء ونشط في سياستها التي تقوم على مصالحها الأمنية ... وكان من عهد الاستعمار في إنجلترا ، وزارة الخارجية البريطانية وهو الذي ... عن فكرة الجلاء عن مصر .

وقد واجهت إنجلترا في أوائل عهد الاحتلال مسألتين أولاهما وضع قناة السويس وحرية المرور في القناة ، وثانيهما مسألة السودان . وقد انتهت من المسألة الأولى بإبرام معاهدة الآستانة عام ١٨٨٨ ، وانتهت من المسألة الثانية بإبرام اتفاقية ١٨٩٩ وقيام الحكم الثنائي في السودان . ثم فرغت سياستها للبلاد الداخلية حسب رأيها ووفق مصالحها ، ولم يكن يقض مضجعها إلا معارضة فرنسا التي ضعفت بعد حادث فاشودة وانتهت بإبرام الاتفاق الودي عام ١٩٠٤ ، ثم اشتدت الحركة الوطنية في

ورعاها الخديو عباس الثاني مدة ولاية حكمه حتى قيام سياسة الوفاق بينه وبين المعتمد البريطاني الدون جورست الذي عين بعد عزل كرومر ثم تخلى عنها لتشتد وتقوى وتعرف وسائلها ومراميها وأهدافها الجمعية بعيداً عن القصر فيما بعد

ولم يثر الباب العالي أية مشكلة مصرية إلا عندما تولى الخديو عباس الثاني عام ١٨٩٢ وأراد الباب العالي أن ينزع من حكم الخديو شبه جزيرة سيناء ، وأصدر فرمان التولية وقد نص على أن تكون نهاية حدود مصر الشرقية خطاً يمتد بين السويس ورفح وثارت إنجلترا وتراجع الباب العالي وصدر الفرمان بأن تكون سيناء داخل الحدود المصرية وتضم العقبة إلى ولاية الحجاز ، ثم احتلت قوات تركية طابا عام ١٩٠٥ وسارعت إنجلترا بالاحتجاج لتسحب قواتها ثم تكونت لجنة مشتركة لتسوية مسألة الحدود الشرقية نهائياً وتم الاتفاق على الحدود الحالية في أكتوبر عام ١٩٠٦

واستمرت مصر في ذلك الوضع الشاذ تسودها قوى الاحتلال بينما هي تابعة لتركيا وتعترف الدول بسيادتها عليها حتى قيام الحرب العالمية الأولى وإعلان الحماية البريطانية على البلاد في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، ولم تعترف أكثر الدول بهذا الوضع الجديد حتى أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعترف بالحماية البريطانية على مصر إلا بعد انتهاء الحرب ، ولم تكن للحماية البريطانية على مصر سند من القانون الدولي فالدولة صاحبة السيادة لا تعترف بها بل تنكرها وأصحاب البلاد أنفسهم لا يرضونها والدول الأخرى لا تعرفها

واستمرت الحماية البريطانية على مصر قائمة طوال سني الحرب وما بعدها حتى اضطرت إنجلترا إلى سحبها في فبراير سنة ١٩٢١ بعد تقرير ملنر ، ثم أعلنت بعد ما صدر تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ استقلال مصر مقيداً بتحفظات معينة ، ومن ثم تدخل البلاد في مرحلة طويلة من المفاوضات مع الدولة المحتلة لاستكمال سيادتها واستقلالها ولما تنته بعد .

الفصل الثامن

أصول المسألة المصرية

لم تعد المسألة المصرية بعد الاحتلال البريطاني للبلاد مسألة وقتية تدخل في حدود الاهتمام الأوربي بمصر وازدياد مصالح الأجانب فيها بل أخذت تتشعب وترتبط ارتباطا وثيقا بمسائل لم تكن موضع اهتمام أوربا أو اعتبارها قبل عهد الاحتلال البريطاني لمصر وإن كانت نتيجة لازدياد المصالح الأوربية في البلاد وتدخلها في مناطق النفوذ منها، ولكنها ترتبط بها وحرص إنجلترا على الاستئثار بالقدر الأكبر دون غيرها

وكانت حرية الملاحة في قناة السويس وحيدتها من المسائل التي أثيرت بعد احتلال مصر فإن عهد الاحتلال قد أثار مخاوف الدول أن يشل حرية الملاحة في القناة لأنه وإن اهتمام إنجلترا بالقناة لم يكن وليد الاعتبارات التجارية فحسب كما في الدول التي لم يكن لها من القناة إلا أنها طريق عالمي للتجارة يجب أن تكفل فيه حرية الملاحة للدول على السواء، ولم يكن وليد حاجتها، بل كان وليد اعتبارات حربية أعمق وأبعد مدى من اهتمامها بالقناة كممر للتجارة، فالقناة هي طريق الاقتراب الرئيسي إلى أملاكها في آسيا وأستراليا وجزر المحيط الهادي وأصبح أمن القناة وحمايتها قاعدة من قواعد السياسة البريطانية

وقد خشيت الدول أن تتأثر حرية الملاحة في القناة بالاحتلال البريطاني ولكن إنجلترا أسرعت فطمأنتها ووعدت في مذكرة لها إلى الدول، ولما يمض بضعة أشهر على الاحتلال، بضرورة ضمان حرية الملاحة في القناة وحيدتها، وبقيت مسألة القناة معلقة من ناحية الدولية حتى تم توقيع معاهدة الآستانة عام ١٨٨٨، ولكنها بقيت

المعلقة بينهما وبين مصر وأصبح جزءاً لا يتجزأ من المسألة المصرية عند مناقشة الخلاف فيما بينهما

ثم المسألة الثانية التي عنيت بها انجلترا بعد الاحتلال ولم تكن موضع مناقشة الدول أو اهتمام سياسييها قبل ذلك فهي مسألة السودان فإن قيام الحكم الثنائي في السودان قد جعل منه مسألة تتعلق بطبيعة العلاقة بين مصر وانجلترا وتأزم عندها الخلاف بين المسألة المصرية عندما أصبحت المسألة المصرية موضوع مفاوضات بين انجلترا ومصر ولم يكن للسودان من الاعتبار الدولي ما كان لقناة السويس فانحصرت مشكلته فيما بين الدولتين اللتين تحكمانه حكماً ثنائياً وارتبطت هذه المشكلة بالمسألة المصرية في جذورها ومناقشاتها منذ ذلك التاريخ .

ويرجع اهتمام انجلترا بالسودان إلى بداية النشاط الاستعماري في أفريقيا وكانت تعتبر كبيرة المساحة بعيدة عن النفوذ في شرقية أفريقية وأرادت أن تستولي عليها من أجل ذلك اهتمت بالسودان حتى بسطت عليه نفوذها وسيطرتها فيما بين الشمال والجنوب على طول مجرى نهر النيل . فالسودان في الواقع وحقيقة الأمر هو رأس الأمور بالنسبة لأفريقية وهو الحاجز الذي يحول بين فرنسا والوصول إلى شواطئ المحيط الهندي والبحر الأحمر وهو المكان الذي تستطيع أن تراقب منه تطور الأحداث في مصر إذ تقدر فيه أن تتحكم في وقت الحرب كما تستطيع منه أن تضغط على مصر إذا ما حاولت أن تتخلص من نفوذها في دائرة النفوذ البريطاني

وكانت انجلترا حريصة على إقرار حقوق لها في السودان بوصفه مصر وهي صاحبة الحق الشرعي فيه فأبرمت معها اتفاقية ١٨٩٩ واكتسبت من الحقوق ما يفوق حقوق الدولة التي منحتها هذه الحقوق وكانت حريصة على ذلك فوق حرصها على إقرار علاقتها بمصر ذاتها وسبب ذلك أنه ليس لخديو مصر حق التنازل عن أملاكه أو جزء منها للغير كما جرى بذلك فرمان تولية الخديو توفيق عام ١٨٧٩

ولكن حق المصريين في الاستقلال والجلاء قد شمل السودان أيضاً على اعتبار أنه جزء من الأراضي المصرية وأصبحت مسألة السودان جزءاً من المسألة المصرية

وصخرة تتحطم عندها المفاوضات المصرية البريطانية لحل المسألة المصرية حلا يرضى الطرفين .

وارتبطت بالمسألة المصرية مسألتان أخريان لا يمكن فصلهما عنها ، هما مسألة السودان ومسألة قناة السويس وقامت كل منهما في وقتها ودامت طويلا فيما كانت تذب عنه الدول على أنه حقوقا ومصالح ، ووقفت مصر في أحدهما تدافع عن حق مصر وفي الأخرى عن حقها وتعمل على أن لا تعطى أملاكها لدولة أخرى بغير حق . وفي كلا الحالتين تعمل مصر على مصالحها الخاصة ... في المسألة الأولى وتشد نفسها في المسألة الثانية .

ويتبين من هذا مدى أهمية الإستراتيجية لمصر وارتباطهما بالمسألة المصرية في الوقت الذي ثارت فيه . وفوق هاتين المسألتين ما دار من خلاف حول الحدود الشرقية لمصر في ... ثانيهما مسألة جغبوب وتعديل الحدود الغربية لصالح إيطاليا في ليبيا عام ١٩٢٤ وإن لم يقر البرلمان هذا التعديل حتى ... على حد تعبير الدكتور محمد حسين هيكل باشا في كتابه « مذكرات في السياسة المصرية » .

ونعرض لكل من هذه المسائل فيما يلي

١ — مسألة السودان

ارتبط موضوع السودان ووحدة وادي النيل بالمسألة المصرية أشد الارتباط وإن ظل معتمدا على الحقائق الدولية والأهواء الأوربية وعناية المستعمرين ... لأنه ارتبط بمصر ارتباطا وثيقا منذ فتح محمد على السودان وقيام الحكم المصري فيه . ولم يكن محمد على أول من وجه نظره إلى السودان في التاريخ من حكام مصر وملوكها من عهود الفراعنة ، فقد امتد إليه سلطان الفراعنة والتاريخ يحفظ سطوره الأولى على أرض مصر .

ووصلت حدود مصر الجنوبية في عهد الأسرة الثامنة عشرة إلى الشلال الخامس وكان الحاكم للسودان مكانة مرموقة في بلاط فرعون ، وهو كان المعبر عنه من وسائل

تلو صلات ويسرها ما أصبح محمد علي وإسماعيل يتصوري التوسع الفرعوني في السودان كل تقدمه ، فإن الامتداد الطبيعي للتوسع الفرعوني كان يتجه نحو الجنوب صعداً مع مجرى النهر وقد كان في وقت مبكر ممكن الفراعنة قد رموا أنظارهم إلى خارج حدود بلادهم ، فالتوسع الفرعوني في الجنوب كان أعمق أبعادها وأبعد مرمى من مجرد الفتح والاستعمار أو التوسع الذي يدفع إليه القوة والتفوق الحربي وما إلى السيادة والنفوذ والاستغلال ، ولم يكن توسعاً في هذه الجهة مشكلة من أول من كان امتداداً طبيعياً للوصول إلى الحدود الطبيعية للوطن في نطاق الحيز الأرضي الذي يشغله ، فان صحراء النوبة لم تكن في يوم من الأيام حاجزاً طبيعياً يقف دون تسرب الثقافة والعادات والطباع أو يحول دون اختلاط الأجناس وتزاوجها أو انتقال الهجرات البشرية ، أو تدفق الحضارة شمالا وجنوباً حتى تشابهت الأصول الجنسية والثقافية في مصر والسودان الشمالي سواء في العهد الفرعوني أو الإسلامي ، وقد كانت صحراء النوبة كما كانت سواحل البحر الأحمر معبراً لنفوذ الدعوة الإسلامية والهجرات العربية وانتقال الحضارة إلى ربوع السودان

وقد ضعف ارتباط مصر بالسودان في العصر الإسلامي كما ضعفت صلات السودان بعضه ببعض ، حتى دخلته قوات محمد علي وحكمه متنازع بين ملوك وسلاطين وقبائل يتزعمها شيوخ محاربون أقوياء وكل منهم مستقل داخل حدوده ، ولم يكن للسودان كيان سياسي أو قومي معروف وكانت أجزاؤه الجنوبية تعيش في بداوة كباقي جهات أفريقيا فقضى محمد علي على هذه العصبيات القبلية وعصبته ووحد السودان وربطه بمصر وأصبح كيانه السياسي والقومي مرتبطاً بالكيان السياسي والقومي لمصر منذ ذلك التاريخ .

وما كانت الدوافع التي دفعت محمد علي للامتداد جنوباً تختلف عما دفع الفراعنة جنوباً مع مجرى النهر ، فقد كان الإيمان العميق بوحدة الوطن هو الذي يدفع كلا من الفراعنة ومحمد علي للاتجاه للسودان ولم تكن الحدود الوهمية التي تفصل بين مصر والسودان لتحول دون هذا الامتداد والتوسع جنوباً بل كان هذا الامتداد طبيعياً يسير مع سهولة المواصلات وقدرة السلطة المركزية على النفوذ إلى أقصى ما تستطيع

نحو الجنوب وقد ظل الوجود المصري في السودان مرتبطاً بقوة السلطة المركزية على الامتداد والسيطرة جنوباً ، حتى إذا ضعفت السلطة المركزية وهن الوجود المصري وعجزت هذه السلطة عن السيطرة والاستمرار ، كما حدث في عهود الاقطاع الفرعوني قديماً وفي حكم توفيق حديثاً .

وقد أدرك محمد علي قبل غيره مقومات الوطن المصري وحاجاته ، فلم يشهد من وراء فتح السودان غرضاً لا يتعدى البحث عن الذهب وتأمين التجارة وتجنيد السودانيين في جيشه والتخلص من بقية جنده المتمردين من الأرنؤود والاستيلاء على الممالك التي تقوم في دنقلة ، أو مجرد التوسع والاستعمار كما عرف ذلك أكثر مدونات المؤرخين ، وإنما كان يهدف إلى ما هو أبعد من هذا ، إلى تحقيق وحدة الوطن بجمعه تلك الوحدة التي تستمد أصولها من وحدة النهر وارتباط المصالح والمشاكل بين شعوب الشمال والجنوب وقد دفعت وحدة النهر محمد علي إلى كشف منابعه والوصول إليها وتوطيد دعائم حكم مركزي فيها .

كان المراد بتوسيع حدود الوطن المصري جنوباً مع مجرى النهر إلى أقصى ما تستطيع جهود أصحابه وكان محمد علي رائد هذه الفكرة في مصر الحديث فمضى إلى تنفيذها ووصل بالمصريين إلى منابع النيل فحقق وحدة الوطن المصري في أتم معانيها وأكمل صورها .

ويعزز ما نذهب إليه من رأي في اهتمام محمد علي بالسودان ، معالجته شئون الأمور في المرحلة التي كان يرمي إليها من وراء فتحه وتفقده لأقاليمه وصحبته في زيارته للسودان وتفقده [illegible] عام ١٨٣٩ . كما كان حكمه للسودان حكماً من شأنه الاستقرار والاستمرار فأصبحت إدارته كالإدارة المصرية في القاهرة وإن كان حاكم السودان من السلطات الإدارية ما يعزز سلطته وتقوية الأعمال بحكومة مركزية فيه كان لا يصدر إلا عن رأيه في كل مراقبة واختصاصاته ، وطبق هناك حكم نظام الأقاليم الذي سبق به حكمه في مصر ، وهيأ مصر للسودان بتمدينه وتوطيد الأمن في ربوعه وكانت إصلاحاته فيه تتسم بالعمق والاتساع التي تميزت بها إصلاحاته في مصر ، [illegible]

المدن كالخرطوم التي أقيمت في ملتقى النيلين الأزرق والأبيض لتكون حاضرة البلاد
وكسلا حاضرة السودان الشرقي [illegible] على [illegible] في [illegible] لتكون
حاضرة [illegible] وضم [illegible] سواكن ومصوع وكانتا من أملاك
[illegible] لكي تدفع [illegible] وهما منفذا السودان على البحر الأحمر ،
و[illegible] الطرق و[illegible] القوافل [illegible] وعمل على كشف منابع
النيل [illegible] سليم قبطان في النيل الأبيض لهذا الغرض حتى وصل إلى
جزيرة جوندوكرو التي تبعد عن الخرطوم [illegible] وثلاثين ميلا ، وقد
مهدت جهود سليم قبطان في ريادة مجرى النيل الأبيض لتلك الجهود العظيمة التي [illegible]
اسماعيل وانتهت بكشف منابع النيل في عهده كما [illegible] تجارة الرقيق
[illegible] للسودان [illegible] هذه الأعمال [illegible] الجهود العظام
التي بذلها حفيده اسماعيل للقضاء على هذه التجارة [illegible]

[illegible] هذا الاهتمام الذي أولاه محمد علي للسودان [illegible] عصر والعمل على
الوصول [illegible] النيل [illegible] على [illegible] الأهداف التي دفعته لفتح السودان [illegible]
[illegible] السياسية [illegible] من وحدة مصر والسودان و[illegible] والتي
والروابط الاقتصادية هي التي كانت تسيطر عليه [illegible]
العوامل الأخرى التي [illegible] كأسباب [illegible] على [illegible]
[illegible] كانت [illegible] في [illegible] حكمه ولكنها لا تطغى على هدفه الأصلي
الذي [illegible] وهو [illegible] حكم [illegible] وهو ما كانت [illegible]
[illegible] وجهوده في السودان وما لا يمكن أن [illegible] على طموح محمد علي [illegible]
[illegible]

وقد [illegible] سنة ١٨٤٠ — ١٨٤١ [illegible] السودان [illegible] مصر تحت حكم أسرة
محمد علي [illegible] الآن [illegible] محمد علي [illegible] كما [illegible]
في [illegible] السلطاني [illegible] على ولاية مصر [illegible] السودان [illegible] الشروط
[illegible] وقد [illegible] على ولاية مصر [illegible] و[illegible] وكردفان
[illegible] على حدود مصر [illegible] والحكمة التي

أمورهم ما تقومون بإدارة هذه المقاطعات وترتيب شئونها كما يوافق مصالحك وتوفير الأسباب اللازمة لسعادة الأهلين وترسلون في كل سنة قائمة بما يرد لتحتوي حاوية بيان الإيرادات السنوية جميعها ... الخ .

وهكذا حقق محمد علي وحدة مصر والسودان وربط شعبي الوادي في رباط واحد من المصالح والأهداف المشتركة، واعترفت الدول العظمى بهذه الوحدة اعترافاً ضمنياً في فرمان توليته حكم السودان، واتخذت الدول هذا الاعتراف بموافقتها على التسوية النهائية للمسألة المصرية وأصبح السودان من الناحية الدولية جزءاً من الوطن المصري يجري عليه قوانينه وشرائعه تحت حكم الأسرة العلوية وفي ظل السيادة التي قررتها معاهدة لندن عام ١٨٤٠ .

وقد اتسع السودان جنوباً وشرقاً في عهد إسماعيل فأنشئت مديرية فشودة وممالك أونيورو وأوغندة وسميت بحر الغزال وخط الاستواء وسلطنة دارفور وكانت محتفظة باستقلالها الفعلي رغم أن السلطنة قد دخلت ضمن حدود السودان في فرمان تولية محمد علي كما وصف [illegible] وهرر وسواحل الصومال وبوغوص وكسلا وتوفق سلطان على مسوكن ومصوع [illegible] وحدة النيل وجرى مثل ذلك في أرض مصرية وأصبحت مملكة الخديو تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى منطقة البحيرات الاستوائية جنوباً ومن سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى رأس حافون شرقاً إلى حدود واداي غرباً .

وينظم السودان في أيام الخديو مديريات الخرطوم، وسنار، وفازوغلي، ومجموعة مديرية واحدة، وبربر، ودنقلة، وكسلا، وفاشودة، وكردفان، ودارفور، وبحر الغزال، وخط الاستواء، ومحافظات سواكن، ومصوع، وزيلع، وبربرة ثم حكمدارية هرر .

وقام [illegible] محمد علي بدور كبير في تدعيم السياسة والقوة من حيث الحد من تجارة الرقيق والقضاء على وصمة مخجلة في أرجاء السودان وإن أعظم تجار الرقيق وكانوا فيه سادته وأقوى ... مما كان له أكبر الأثر

في عطف الكثيرين منهم وبرمهم بالحكم المصري إلا أنه أرعى الإنسانية وصان كرامة الإنسان وأقدس حقوقه . وإن لم يكن لإصلاحاته إلا هذا العمل لكفاه في الخالدين مجداً وذكراً .

ولقي السودان من رعاية سعيد نظير ما لقيته مصر وإن ضعفت هذه الرعاية بطابع الشخصية الفردية لكل حاكم . ولا يجوز أن ينظر إلى الحكم المصري في السودان حيث نظرة عامة لبعض المؤرخين الأجانب حين راحوا يكتبون عن مساوئ الحكم المصري للسودان ويصمونه بكل سوء وجور قصداً لطعنهم في استكانته حتى يكشفوا عن الشرق ومدنيته وحكامه ، فضلاً عن أن هذه الاستكانة قد تقرب مدنية لا تختلف عن مساوئ الحكم المصري في السودان حتى يبرروا للعالم الأوربي اشتراكهم في حكمه ، كما كانوا يدعون أنهم خلصوا المصريين من الفساد والرشوة والسخرة التي عانوها كاهلهم من ظلم حكامهم وتعسفهم وسوء إدارتهم . وإن كان لا يسلم الشرق وحكامه من سوء الإدارة ومن الشعوب في نهضتها كثيراً ما تتعرض لموجات عنيفة من التخبط والجور ، وقد يعيش الشرق على صحيح الحضارة وكذلك الأوربي واستغلال الموجود الغربي في ربوعه فكان بعضه عقبة في نهضة شعوبه وحكامه وحاربهم عن سوء القصد . ولم يكن في قدرته وقد صنعهم للاحتفاظ بأوصاره وحبائله أن يدعوا شعوبهم حتى في عصره ، ولم يكن في استطاعة حكامه وقد مارسوا ضروب الفردية المطلقة أن يتنازلوا عن بعض حقوقهم للشعب ولم تكن الثقافة منتشرة في البلاد لتستطيع أن تعود السلطة إلى الأمة . ومن كان هذا الجور والتخبط وسوء الإدارة لا تصح هذه الأمور مثل مجتمعة . وإن كان الغرب قد أصدر حكمه على الشرق في هذه الأونة ، ونسيه إدراك ما كانت عليه طبائع الحياة والحكم في مجتمعاته الغربية في بدء نهوضها وتيقظها .

ولم يكن الحكم المصري في وادي النيل سواء في شماله أو في جنوبه بسلم من هذا التخبط ومن منهج الحياة وأوضاعه لم تكن قد عرفت سبيلها إلى الصيغة المرسومة ونهج الغرب سهيت بين الحاكمين والمحكومين فحسبوا الناس ... هم في سعيهم ولم يجعل هؤلاء رسالة التحدي والحضارة كرامة خالصة إلا على هدى

مصالحهم وأهوائهم فكانوا سبب ما أحاط بالبلاد من سوء الإدارة وجور عن القصد بعد بها عن الغاية .

ولا يمكن أن نقول إن روح الإصلاح والنهوض قد فقدت عناصرها في حكام مصر بعد محمد علي ، إذ لا يمكن أن نجاري بعض مؤرخين في دعواهم حين راحوا يصورون إصلاحات محمد علي بمظهر الوقتية والطموحات العارضة التي كانت تدفعه إلى العمل والنشاط وإن كان لهذه الطموحات العارضة بعض التقدير العميق لظروف الوطن والعوامل التي أحاطت به وأحاطت بمحمد علي والجهد السريع الذي كان يدفعه إليه طموحه في تحقيق الكيان الذي يرجوه لوطنه الجديد . فإذا كانت جهوده قد هدأت بعد تسوية ١٨٤٠–١٨٤١ فإن هذه الطموحات العارضة قد ذهبت وبعد ما دفعته كما كانت دفعته من قبل وأخذت جهوده تهدأ ولكنه لم يفتر عن العمل للسير غير العمل للحرب وإن كانت شيخوخة الرجل والجهد الذي بذله في شبابه وعصر القوة التي عاشها بعد ذلك ، لا تدع سبيلا إلى حكم واضح على حقيقة نواياه واتجاهاته في تلك الفترة الأخيرة من حكمه ولكن [illegible] بعض الشيء ، ولا أدل على ذلك من تلك العبارة التي أوردها محمد رفعت بك أحد مؤرخي مصر الحديثة في كتابه تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة عن لسان محمد علي يخاطب بها أحد المندوبين الإنجليز عام ١٨٣٨ وهي

« إن بلادكم لم تصل إلى ما وصلت إليه من الرقي والتقدم إلا بجهود أجيال كثيرة [illegible] وإني لمصر [illegible] في رقي الأمم وتقدمها [illegible] ويمكنني أن أقول إني قد قمت ببعض الشيء لمصر وأصبحت الآن [illegible] على ممالك كثيرة لا في الشرق فحسب ، بل في الغرب أيضا ، ثم يجوز في شيء كثير لا ريب أجهله كذلك [illegible] ولذلك ترى مرسلا إلى بلادكم أدهم بك ومعه خمسة عشر شابا ليتعلموا صناعة بلادكم . فعليهم أن ينظروا إلى الأشياء بأعينهم وعليهم أن يعيروا [illegible] وأن يحضروا مصنوعاتكم جيدا [illegible] واكتشفوا أسباب تقدمكم ورقيكم وإذا ما [illegible] كانوا بين أهل بلادكم عادوا إلى بلادهم وعلموا الشعب » .

وهذا دليل على أن محمد علي كان يعمل للمستقبل الذي يرجوه لوطنه الجديد

وأسرته المالكة ولم يكن كل ما يجب أن يحقق لوطنه ولأسرته هذا الكيان الذي حققه في أخريات أيامه بل كان يعمل للمستقبل وللإبقاء على هذا الكيان سليما بعده ، ولم يقم هذا العاهل البعيد النظر بناءه على الرمال كما قال بلمرستون عندما أبدى شكه في بقاء هذا البناء سليما بعد موت محمد على .

ولقد بقى هذا البناء بعد موت محمد على وبرغم أن [illegible] من ورثته [illegible] أبناء محمد على كانوا جديرين بشرف الانتساب إليه [illegible] استمر البناء قائماً وأخذت مصر على أيديهم [illegible] الحديث وإن تأثرت جهودهم بدوافعهم الشخصية واتجاهاتهم الفردية وأخذ اتجاه الأوروبيين إلى هذه البلاد وهجرتهم [illegible] في مصر [illegible] هذا عملا [illegible] من [illegible] التي تأثرت بها مصر الحديثة

وإذا كان [illegible] والتطور قد [illegible] وحتى هذه البلاد سواء في عهد محمد على أو في عهود خلفائه ولم يكن للشعب نصيب كبير من فوائد هذه البلاد كما يدعى كثير من المؤرخين الأجانب فلا يجب أن يغيب عن الذهن ما كان عليه حال الشعب قبل عهد محمد على وخلفائه كما يجب أن لا [illegible] والعصر الذي جرت فيهما حوادث التاريخ

ولم يكن مستوى الحكم المصرى [illegible] المؤرخين في السودان يختلف عما كانت عليه هذه المستوى في مصر وترجع في أغلبها إلى جهل الحكام المحليين واستبدادهم بعيداً عن رقابة السلطة المركزية وإن كانت محاربة النخاسة في ربوع السودان قد جرت على المصريين غضب [illegible] على هذه التجارة لأن [illegible] ولا ننسى أن [illegible] شئون السودان [illegible] من الأجانب ومن لا [illegible] الذين [illegible] الخديو إسماعيل في إدارة شئونه ومحاربة تجارة الرقيق فيه ومد الحدود المصرية إلى أقصى الجنوب عند منابع النيل الذي [illegible] الكشف عن [illegible] الكشوف الجغرافية [illegible] ما كان في قدرة غيره أن يقوم به [illegible] في سبيله من الجهد [illegible] الذي [illegible] حضارة [illegible] إلى [illegible] قريب

ونكتفي رداً على علماء مؤرخين بما شهد به هؤلاء العلماء من المصريين والأجانب
ممن شهدوا جهود مصر في السودان وبعضهم نأخذه عن قرب مما بين مدونات
عبد الرحمن الرافعي بك في تاريخ الحركة القومية وفي كتابه «عصر محمد علي»
نقلاً عن المسيو دهيران يقول «إن ما قام به محمد علي من بسط رواق الأمن في مصر
هو من أجل أعماله كما يرى المستر بورنج في تقريره عن مصر، وهذا الرأي يجب
تعميمه فيشمل كل بلد حكمها محمد علي. فحيثما بسط نفوذه وحكمه نهض بالأمن
ووطد دعائمه وبث الطمأنينة في رعاياه، ومتى انعكس بسط نفوذه عادت البلاد إلى
الفوضى وحل محل الأمن فيها، خذ لذلك مثلاً بلاد سنار التي فتحها محمد علي سنة
١٨٢١ واستردها سلطانها من أيدي التجار ثم فتحها ثانية وتمكن من ساحرها هذه،
وكذلك الحال في سائر البلاد المجاورة فقد حل الأمن وعادت الطمأنينة بين
السكان والسياح، أما البلاد التي يسودها حكم محمد علي فإن الأجنبي آمن على
نفسه أن يذهب إلى أي ناحية شاء. ويقول الكونت بنديتي قنصل فرنسا في مصر «إن
الأهلين والأجانب على السواء يستطيعون أن ينتقلوا كما شاءوا في البلاد التي
يحكمها محمد علي سواء في وادي النيل إلى أقصى حدود السودان أو في سوريا
وجزيرة العرب ... فإن من المستطاع أن يقيم المرء في كل ناحية لا يخشى شيئاً
ولا ضيماً ... الخ».

ويقول الكولونيل ستورت شاهداً على أعمال المصريين في قيام المصريين
في السودان، «إن المصري قد زرع البلاد في كل مكان حلت فيه الجنود المصرية،
لا يمضي على إقامتها بضعة أشهر حتى تكون من الممكن أن تنبت فيه الزرع والخضر».

وفي الحكم المصري للسودان على عهد إسماعيل يقول صمويل بيكر «لا تستطيع إلا
مصر وحدها هي التي تستطيع أن تمنع النخاسة وتبدل بها المحاصيل الزراعية وهي
القادرة دون غيرها على نشر الأمن والنظام في ربوع السودان». ويقول سير
سويرز «الفضل الأعظم في مصر لا يعادله ما كانت عليه الشعوب في بث الأقطار
المفتوحة وجب علينا أن نعدد خضوعها لسلطة الخديو وطريق نحو التقدم في هذه
الشعوب أخذت بالطاعة إلى السلطة القائمة على قواعد الاستقرار والنظام» ومن

جهة أخرى فإن الأقطار السودانية التي كانت مقفلة قد فتحت للتجارة وللرحالة مما مهد السبيل لدخول الحضارة إليها ».

ويقول سلاطين باشا : « إن ضمّ السودان لمصر ووحدة بلاد النيل أمر ضروري وحتمي لا شك فيه ووجهة نظري في ضمّ السودان وتبعيته لمصر ، وأنا أؤيد الرأي الذي [illegible] في [illegible] من أن أسباب [illegible] محمد علي [illegible] وسعيه [illegible] السودان [illegible] النيل [illegible] ، فالسودان هو [illegible] الحياة لمصر ، وكل جهة [illegible] تجعله [illegible] من [illegible] ، وإن كل خطوة تخطوها دولة أخرى [illegible] حتى [illegible] من كل من يقدر خطر السيطرة الأجنبية على ذلك [illegible] وما يجره من تضحية سعادة مصر وتقدمها [illegible] الأعظم [illegible] ».

وقد جرى [illegible] في هذه الناحية [illegible] موضعه ما رأيته من أن بعض مؤرخي مصر من كتاب ومؤرخي الغرب [illegible] إلى الشطط في أحكامهم [illegible] ولكن [illegible] في [illegible] الصحيح ، وفي أحد الكتب التي تدرس في الجامعة والذي [illegible] على إعداده [illegible] بعض أساتذتها ، ورد هذا القول [illegible] في شأن الحكم المصري في السودان بهذا النص :

« حكمت مصر [illegible] في وسط أفريقية [illegible] من وادي حلفا إلى خط الاستواء ، وتم بناء هذه الإمبراطورية [illegible] في عهدي محمد علي وإسماعيل ، ولكن لم يكن الحكم المصري في هذه الأقطار [illegible] ولا مستمراً ، [illegible] الإدارة ووجود [illegible] الاستبداد [illegible] الرقيق [illegible] في جمع [illegible] كل هذه [illegible] الحكم المصري [illegible] في قلوب السودانيين [illegible] السبل [illegible] الجامعة الإسلامية ولم يكن الحكم المصري حكماً مستنداً [illegible] ، بل كان حكماً ضعيفاً ، فإذا كان للجنود المصرية في السودان [illegible] على [illegible] ، ولما كان [illegible] معرفة بأمور الحرب ، ولما كانت الحكومة المصرية لتستطيع [illegible] أو [illegible] أو [illegible] [illegible] وكانت السودان [illegible] من سوء الإدارة المدنية ومن فوضى نظام الحكم ».

ولا أحدنا في حاجة إلى الرد على هذه المقالات، إلا ما ذكرناه عن الحكم المصري في السودان وتقدمه في ظل الإدارة المصرية واستتباب الأمن في ربوعه «والقوة والمهابة» التي كانا لهذا الحكم كما يقول محمد رفعت بك في تاريخه مصر الحديثة، وكان للروح المصرية للإدارة المصرية في جميع أرجاء الوادي ومصدره روح إصلاح وتعمير وهي أبعد ما تكون عن روح الاستعمار ومثالبه، كما يقول الدكتور محمد صبري في كتابه «الامبراطورية السودانية».

وظل الحكم المصري في السودان ثابت الدعائم، وطيد الأركان حتى قامت الثورة العرابية وشغلت مصر بها وبما تلاها من الأحداث كالاحتلال البريطاني في كل مرافق البلاد وضعفت الحكومة المصرية عن الحرص على السودان من ثورة نشبت في ظروف كالتي عصفت بالثورة العرابية في مصر، فقد أخذ السودانيون ينشقون عن دعوة دينية لا تختلف عن أمثالها من الدعوات في تاريخ الإسلام الذين ينشدون الإصلاح دفاعًا عن دعواهم وعقائدهم، وكان داعية السودان الأكبر هو محمد أحمد المهدي الذي أعلن ثورته في السودان وقاد أتباعه إلى الغاية التي سنذكرها من ثورته.

ولم تكن ثورة المهدي ثورة سياسية أو استقلالية، بل كانت [illegible] مهدي من دلائل، كانت مظهرًا من مظاهر اليقظة الإسلامية العامة التي حدثت في أرجاء العالم الإسلامي وتدعو إلى التطهير والتجديد في الجهاد والنهضة على هدى من تعاليم الدين ومن سلف الصالح. وكانت دعوة المهدي في السودان، ودعوة السنوسي في برقة كما كانت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية مظهرًا من مظاهر هذه اليقظة الإسلامية التي وجد منبعها جميعًا في ظهور دعوة الوهابية في نجد، وإن اختلفت هذه الدعوات في أساليبها فقد تتفق في الأهداف، وكانت كلها ترمي إلى إحياء عزيمة الإسلام الأولى في الدين والدنيا عندما تفتحت أنظار المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر على تقهقرهم وضعفهم وتغلغل النفوذ الغربي في بلادهم

وسارت دعوة الإخاء الديني جنبًا إلى جنب مع الدعوة إلى وحدة العالم الإسلامي على هدى من عقائد الدين وتعاليمه، ولم تكن تستهدف الحكم دفاعًا عن

العقيدة وتوحيد أركانها حريصاً على المسلمين ولم يكن ارتباط الدين بالدولة غريباً على
الفكر الإسلامي. وكانت هذه الدعوات الدينية وهي تهدف في أغلبها إلى إقامة
دولة تسير على هدى من عقائدها وتنشر مبادئها للجماعة، ولم تخل واحدة من هذه الدعوات
[illegible] في [illegible]، فقامت دولة الوهابيين في شبه الجزيرة العربية في أعقاب الحرب
العظمى [illegible] الأولى التي قضى عليها محمد علي قبل ذلك بقرن من
الزمان، وأصبح للشيخ السنوسي [illegible] من [illegible] الذي استغرق
جهوده في نشر عقائدهم والدفاع عنها، وانتهت حركة الادريسي بإقامة ملك في
عسير في [illegible] الأولى من الحرب [illegible] الادريسي
وضم عسير إلى الحجاز عام ١٩٣٠.

ولم يكن هدف السنوسية الأولى من نشر دعوتهم إقامة دولة [illegible] ملك محدود
الحدود [illegible] دعوتهم في طائفة ممن كانوا يدعون إلى [illegible] والتوسع [illegible]
العالم الإسلامي بدعوتهم وقوتهم لينهضوا به ويعودوا إلى الإسلام [illegible] ويعيدوه إلى عهده
الأولى، حتى يستطيع أن يقف أمام الخطر الأجنبي الذي يحدق ببلاده من
كل جانب.

وقد كانت حركة المهدي في السودان لا دعوة دينية ودولة استمدت قوتها من
شخصية محمد أحمد نفسه [illegible] في دعوته [illegible] المهدي
[illegible] على منواله، وإن كانت ثورته إصابة رجل
الدولة وقدره، والإقدام [illegible] مصر [illegible]، وقد [illegible] في نشر دعوته من
[illegible] في نشر [illegible] الإسلامي. وقد يكون [illegible] محمد
أحمد كان يؤمن إيماناً صادقاً بأنه المهدي المنتظر ليخلص الإسلام وبنيه مما ألم بهم من
ضعف ويوحد صفوفهم ويملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً [illegible] الإيمان
الذي في عسكره كثيراً ما حمل على [illegible] والإيمان به.

فحركة المهدي إذن حركة إسلامية عامة وليست حركة قومية محضة، ولم يفكر
المهدي في الإنفصال بالسودان عن مصر، ولكنه فكر في ضم مصر إليه، فأرسل

إلى حدود مصر ، بعد أن دان له السودان بدعوته في عاصمته ومدنه إلى ... بالحجاز
بالحجاز أرسله واستهل كتابه إليه كما كان يستهل النبي صلى الله عليه وسلم كتبه إلى الملوك
والأقيال بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن
عبد الله إلى والي مصر ... » كما فكر في حملة على أقطار عديدة ، ونشر دعوته
في أوربا واجتماع العالم الإسلامي لزعامته .

ولا يمكن أن نتخذ من حركة المهدي دليلا على نية السودانيين في الانفصال عن
مصر وخروجهم على الحكم المصري وتمردهم عليه وإن كانت الحركة قد نشأت من السخط على
الحكم المصري والخارجين عليه من تجار الرقيق والمتبرمين بنظام الضرائب والموتورين
من قسوة الحكام ومظالمهم ، ولم يكن هؤلاء جميعا سببا في قيام حركة المهدي وإن
كانوا عاملا في اشتدادها وشد أزرها بعد ما وصلت إليه السلطة المركزية من ضعف
في السودان بسبب الارتباك المالي في مصر وقيام الثورة العرابية بها .

كما لا يمكن أن نربط بين حركة المهدي وحركة الجامعة الإسلامية فقد كانت
الحركتان نتيجة لعامل واحد هو النهضة الإسلامية التي ظهرت في مختلف البلاد الإسلامية
نتيجة لغزو الغرب للشرق وإن كانتا تهدفان في أول أمرهما إلى تحقيق الجامعة الإسلامية
وتوحيد العالم الإسلامي لمقاومة النفوذ الأوربي الذي يجتاح بلاده إلا أنهما تختلفان في
أسلوبهما وطريقتهما ، وقامت كل منهما بعيدة عن الأخرى غير متأثرتين كلتيهما
مستقلتين .

وقد نجح المهدي في نشر دعوته الدينية وأصبح بمجهوده سيدا ونصب في
السودان حكومة منبثقة من قوى طوائفه الدينية حتى توفي ... وتمكنه ... نجح
في إقامة دولة في ... إلا أنها كانت محدودة لا ترجع في حقيقتها إلى قوة النظام
الحربي والإداري لمجهوده بقدر ما ترجع إلى الظروف الخارجية التي كانت تحكم
عامل في نجاحها وسيادتها على السودان ، ولو قدمت حركة المهدي في غير وقتها
أو سبقت وقتها لما أمكن لها من النصر نجاحها ، ولكنها قامت في وقت وصلت فيه
قوة الحكومة المركزية في السودان إلى أقصى حالات الضعف بسبب الارتباك المالي

وقدمت الثورة العرابية في مصر ثم إصرار الحكومة الإنجليزية أخيراً على إخلاء السودان وسحب القوات المصرية منه بعد أن أحرز المهدي حملة انتصرت على قوات الحكومة المصرية وفتك بحملة هكس فتكاً مروعاً .

وعارضت الحكومة المصرية وكان على رأسها شريف باشا في إخلاء السودان ويؤيده في ذلك الرأي العام في مصر ، وهدد شريف بطلب النجدة من السلطان إذا لم تمده الحكومة الإنجليزية في القضاء على حركة المهدي والعمل على استتباب الحكم المصري في السودان . فقد كان شريف يؤمن بوحدة النيل وأهمية السودان لمصر وكان يرى من العار أن تتخلى مصر عن بلاد طالما ضحت في سبيلها بالأموال والأرواح وأن تتقهقر قواتها أمام قوات من الدراويش .

ولكن الحكومة الإنجليزية كانت قد بيتت النية على إخلاء السودان وسحب القوات المصرية منه بعد هزيمة هكس فأوعزت إلى معتمدها في مصر بنصح شريف بإخلاء السودان إلى أسوان أو وادي حلفا فإن معونة إنجلترا غير ممكنة كما أن الاحتفاظ به ليس من مصلحة مصر .

وقد بعثت الحكومة الإنجليزية إلى المهدي وأرسل جرانفل خطابه المشهور في يناير سنة ١٨٨٤ إلى المعتمد البريطاني في مصر يقول فيه « ما دام الاحتلال مؤقتاً فإن عليكم أن تتأكدوا من تنفيذ النصائح التي تقدمونها قياماً بواجبكم إلى جناب الخديو ، ويكون على النظار والمديرين أن يتبعوا نصائح حكومة جلالة الملكة وإلا فيلزم استبدالهم فإن حكومة جلالة الملكة ملزمة ، ما دامت المسئولية تقع على عاتق إنجلترا ، أن تكون على يقين من تنفيذ السياسة المرسومة » .

ولم يسع شريف سوى الاستقالة احتجاجاً على التدخل البريطاني ، وخلفه نوبار الذي قبل سحب القوات المصرية من السودان وإخلاءه .

وهكذا لعبت مصر أخيراً أول دور لها في السودان وكان دوراً مجيداً تم عنه الأحداث ناقصة وقد كانت بدايته من أهم مهمة مناطق الأفريقية منذ أوائل عهد إسماعيل

عندما مهدت رجليها بنكر وعود ذات سبيل لأن تحقق عودة حكومة الخديو في السودان

وما أن تم إخلاء السودان حتى أخذت الدول المتكالبة على المائدة الأفريقية تستولى على ما كانت عليه الخديوية لعجزها عن سياسة الإسترداد ، ووقعت الحبشة الخطر أطماع لائحة لنفسها وتساوم على الذهب للتقسيم فيما بعد بعقد مؤتمر سياسي تتشدد وسعيه فلقد بقيت إيطاليا مصوع سنة ١٨٨٥ حتى طلبتها عن معارضة احتلال مصر وأخذت إيطاليا تتوسع على الساحل حتى كونت مستعمرة أرتريا وضمت إليها بوغوص بالإتفاق مع الحبشة عام ١٨٨٩ وما أحس الانجليز ساحل الصومال المواجه لعدن ، ورغبت إيطاليا عبرها إلى احتلال هذه الساحل وتكوين مستعمرة الصومال الإيطالي وعرفت الحبشة حدودها في معاهدتي ١٨٩١ و ١٨٩٤ وكانت ضمن أملاك مصر قبل إخلاء السودان ورضيت للحبشة أن تستولى على أقليم بوغوص عام سنة ١٨٨٤ نظير تسهيل مرور الحاميات المصرية المحصورة في السودان داخل أراضيها كما تركت لها هرر عام ١٨٨٧

أما زيلع وبربرة فقد احتفظت انجلترا بهما لنفسها لموقعهما الممتاز على خليج عدن واحتلتهما عام ١٨٨٤ وكانت فرنسا قد اشترت من شيوخ الدناقل ميناء أوبوك سنة ١٨٦٢ واكتسبت بعض الحقوق على هذا الساحل من رأس دميرة في الشمال إلى رأس علي في الجنوب ولم تعترف بها مصر التي أكدت حقوقها في سنة ١٨٧٥ ورفعت رايتها عليه عام ١٨٨١ . فلما أن أخذت مصر في إخلاء السودان حتى احتلت فرنسا تاجورة عليه عام ١٨٨٥ ثم استولت على جيبوتي عام ١٨٨٨ واستطاعت أن تستقل إلى الساحل فيما بين رأس دميرة وخليج تاجورة وقد دفع هذا الأمر إلى الاعتراف بعاصمة الصومال الفرنسي الجديدة مكان إخلاء عن دوحات وتركها .
وفي مايو سنة ١٨٩٦ صدر مرسوم فرنسي بتنظيم المستعمرة الجديدة التي أصبحت تعرف باسم الصومال الفرنسي واختارت أن تكون جيبوتي عاصمتها بدلا من أوبوك وذلك لصلاحية مينائها وموقعها الممتاز على رأس طرق الاتصال بين الحبشة والبحر

ولما تم إخلاء مديريات خط الاستواء عام ١٨٨٩ بسطت انجلترا حمايتها على أوغندة وأونيورو عام ١٨٩٣ وسمحت لبلجيكا بضم لادو وجزء من أقليم بحر الغزال و اتفقت مع ألمانيا على تقسيم مناطق النفوذ في إفريقيا الشرقية ، واستطاعت فرنسا أن تمد حدودها من جهة السودان الغربي دون أن تخشى أحد

وبعد هذه الأعمال التي انتقصت من مساحة السودان في الفترة التي استعادته مصر في عهد إسماعيل عندما وصلت إلى أقصى اتساعها في الجنوب فإن مساحته الحالية بعد إعادة فتحه عام ١٨٩٩ تزيد على ثلث مساحة أوربا وتعادل ضعف مساحة أوربا ... ويبلغ ٢٫٤٣٧٫٠٠٠ كم٢

ولم يمكن انجلترا السكوت عن استعادة السودان فقد حققت سياستها في حوض النيل الأعلى وانتقصت من أقاليم السودان حتى لا تدع مصر حقاً تعيد به استعادته وحققت سياستها في أواسط وشرق إفريقيا ، ونضجت الفكرة عندما أخذت قوات مصر تحقق الانتصارات على قوات الدراويش التي كانت تهدد حدود مصر الجنوبية في موقعة «جنيس» عام ١٨٨٥ وعندما أوقعت بهم في معركة «توشكي» عام ١٨٨٩ وكانوا يقصدون غزو مصر بقيادة عبد الرحمن ولد النجومي أبرز قوادهم وحدث في سنة ١٨٩٦ ما وجب الإسراع في استعادة السودان بعد تحالف الأحباش مع الدراويش وأوقعوا بالإيطاليين في عدوة وخشيت انجلترا أن يسفر هذا التحالف عن أخطار جديدة كما تواترت الأنباء عن عزم فرنسا على إرسال حملة لاحتلال حوض النيل الأعلى بقيادة مارشان ، فصحت بإعداد حملة ، التي أخذت سيرها جنوباً بقيادة كتشنر في مارس ١٨٩٦ وصوبت في سيرها كل مقاومة للدراويش حتى دخلت الخرطوم ورفرف عليها العلمان المصري والانجليزي في ٤ سبتمبر سنة ١٨٩٨ ونبش الإنجليز قبر المهدي وقطعوا رأسه من جثته فارتكبوا بذلك أشد ما يونوا نقاء الإنسانية التي يدعونها في أربعة أركان الأرض

وكانت فرنسا قد سبقت إلى حوض النيل الأعلى ووصلت الحملة الفرنسية بقيادة مارشان إلى فاشوده ورفرف العلم الفرنسي عليها في ١١ يولية سنة ١٨٩٨ ، وصدرت

لأوامر من حكومة لندن إلى كتشنر بالتقدم في النيل الأبيض ومنع فرنسا من كسب أي حق لها في أعالي النيل ، ولم تقصد فرنسا من وراء دخول احتلال أعالي النيل فحسب بل كانت تقصد إثارة مسألة مصرية وحمل انجلترا على الجلاء عن مصر .

ولكن المناورة التي قامت بها فرنسا انتهت بالفشل ، إذ اضطرت فرنسا إلى الانسحاب بعد أن احتج عليها كتشنر باسم الخديو ، وقد بلغت العلاقات بين الدولتين وكادت تنشب الحرب ثم نكصت فرنسا من فشودة لما شعرت به من ضعف مركزها حتى من جانب روسيا حليفتها في مصلحتها بسبب الحادث السلام ، وكانت هذه آخر محاولة جدية قامت بها فرنسا في إثارة المسألة المصرية وتحديد وجه اهتمامها إلى مناطق استعمارها في أفريقيا الشمالية الغربية وتخلت عن اهتمامها بوادي النيل حتى عقد الاتفاق الودي بينها وبين انجلترا عام ١٩٠٤ واعترفت كل منهما بنفوذ الأخرى في مناطق الاحتلال .

وهكذا عاد السودان في ركاب مصر ولكنها كانت عودة اشتركت فيها انجلترا وانتهزت استعادة السودان فتحة جديدة لها فيه ما يشبه من حق فرضت اتفاقية الحكم الثنائي على مصر في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ، وكان أهم أسباب المسألة المصرية فقد فرضت ولم يكن لمركز مصر حتى أن تفصل عملا حقيقيا بعودة الاحتلال البريطاني واتخذت معارضة فرنسا بعد حادثة فشودة ... فجعلت السودان وفق سياستها المرسومة ، فهي لا تحب أن تعود مصر لحكم السودان حتى لا تكون هذه المساحة من وادي النيل ... من مواصلات الاستعمار البريطاني في جنوب وشرق أفريقيا وبين مراكز نفوذها ومواصلاتها في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ... في وقت تزايد فيه نفوذها في مصر ... الظروف الدولية وتطور الوعي القومي في مصر وما يتوقع من الجلاء عنها ، وإنها تستطيع أن تضمن نفوذها في وادي النيل كله في مصر حيث نصت عليها من السودان ما دامت حقوقها في السودان مكفولة وضمنتها اتفاقية الحكم الثنائي بينها وبين مصر فقد نصت في هذه الاتفاقية من الإشارة إلى حقوق السيادة المصرية على وادي النيل على اعتبار أن استعادة السودان فتح جديد تحت حقوق السيادة المشتركة

والحكم المصري القديمة ، وحرصت على إلغاء الامتيازات التي كانت للدول في أملاك
الباب العالي في السودان وعدم تمثيل قنصلي والسعي فيه ما لم توافق حكومة
لندن على ذلك ، ولم ترض أن تنفرد بحكم السودان لا حرصاً على حق مصر الشرعي
في حكمه ولكن حرصاً على مصالحها الخاصة فإن مقتضى سياسة الاحتلال يجب أن
تقوم بها الحكومة المصرية ما دامت استعادة السودان قد تمت باسم الخديو كما يجب
أن تقوم مصر أيضاً بسد العجز الناشئ من زيادة المصروف على المتحصل في ميزانية
السودان وكان من الواضح احتمال هذا العجز في بلاد قضت ثورة المهدي على مشروعات
الإصلاح والعمران وعليها أن تسد من خزائنها على حساب مصر

وما أرادت انجلترا من عقد اتفاقية الحكم الثنائي أن تضفي على سياستها في
السودان مظهراً قانونياً ولو من الناحية الشكلية ، فما كانت بحاجة إلى كسب حق
عسكري فيه ، ولا يمكنها أن تتجاهل مدى حقوق الخديو في عقد الاتفاقات السياسية
فما كانت معاهدة لندن أو الفرمانات السلطانية التي وقعت عليها الدول ومن هذا
العصر المقيد هذا الحق فضلا عن التصرف في أملاكه أو التنازل عن الامتيازات التي
منحت له من السلطان أو بعض الغير فقد منعه السلطان هذا الحق في فرمان تولية
الخديو توفيق عام ١٨٧٩ كما لا يمكنها أن تنسى أن من حق الدول التي أبرمت معاهدات
سلامة الدولة العثمانية أو ميثاق ترابيا المعروف بميثاق النزاهة الذي أبرمه أعضاء
مؤتمر الآستانة وتعهدوا فيه بأن لا تكون لأي دولة امتياز إقليمي أو تجاري لا يكون
للدول الأخرى في أملاك الخديو ، ووقعت عليه انجلترا كما وقعت الدول الأخرى
ثم إن انجلترا تعرف تماماً أن أركان سيادة الدولة العثمانية في نهاية الحكم
المصري غير قائمة فعلا ، فإن كان الجيش المصري قد انسحب تماماً وهو ما ذكر أن ينفع
الإرغام في ... عام ١٨٨٤ ... من ... في مصر ...
التعهد ... من ... أو ... هذا فضلا عن سلطة الاحتلال القائمة فعلا .

ولكن انجلترا تخطت كل هذا أو تجاهلته أو تعدت عنه ، ولكنها كانت تهدف
من وراء هذا كله إلى غاية أبعد من أن تضفي على سياستها في السودان مظهراً
قانونياً ، وهي أن تخلص من ... السودان ... بينها وبين مصر ...

حقوق السيادة المتنازعة في وادي النيل وتحصر حق تمثيل السياسي والعسكري في السودان إلا بإذن من الحكومة الانجليزية كما تمنع الامتيازات الأجنبية فيه. أما حق مصر في عقد الاتفاق أو حقوق السيادة المعترف بها أو الوثائق الدولية التي أبرمت قبل ذلك فلا يصح أن تكون موضوعا يطول حوله الجدل الفقهي والمناقشة القانونية إذ انتهت هذه الاعتراضات بعد ذلك.

وقد أعدت صيغة الاتفاقية بشكل نهائي ووضعها الجانب المصري دون أن يناقش أو يبدي فيها رأيا أو يعرف الرأي العام في وادي النيل منها شيئا فقد وقعها ونشرها اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر نيابة عن حكومته كما وقعها بطرس غالي وزير الخارجية المصرية نيابة عن الحكومة المصرية وذلك في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

ونورد فيما يلي نص الاتفاقية لأهميتها في دراسة قضية السودان.

وفاق بين

حكومة جلالة ملكة الإنجليز وحكومة الجناب العالي خديو مصر
بشأن إدارة السودان في المستقبل

« حيث أن بعض أقاليم السودان التي خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار فتحها بالوسائل الحربية والمالية التي بذلتها بالاتحاد حكومة جلالة ملكة الإنجليز والجناب العالي الخديو.

« وحيث قد أصبح من الضروري وضع نظام مخصوص لأجل إدارة الأقاليم المفتوحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها مع مراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الأقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال إلى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياجات المتنوعة.

« وحيث أنه من مقتضى تصريح بمطالب حكومة جلالة ملكة الإنكليز على مالها من حق الفتح وذلك بأن تشترك في وضع نظام الإدارى والقانونى الآنف ذكره وفي إجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه في المستقبل

« وحيث أنه رأى من جملة وجوه التسوية إلحاق وادى حلفا وسواكن إداريا بالأقاليم المفتتحة المجاورة لهما

« فلذلك قد صار الاتفاق والإقرار فيما بين الموقعين على هذا بمالهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتى وهو :

المادة الأولى : تطلق لفظة السودان فى هذا الوفاق على جميع الأراضى الكائنة إلى جنوبى الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهى :

أولا : الأراضى التى لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ ، أو

ثانيا : الأراضى التى كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الأخيرة وفقدت منها وقتيا ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد ، أو

ثالثا : الأراضى التى قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً .

المادة الثانية : يستعمل العلم البريطانى والعلم المصرى معا فى البر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها إلا العلم المصرى فقط

المادة الثالثة : تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان إلى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوى يصدر برضا الحكومة البريطانية .

المادة الرابعة : القوانين وكافة الأوامر واللوائح التى يكون لها قوة القانون المعمول به والتى من شأنها تحسين إدارة حكومة السودان أو تقرير حقوق

الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز نسخها
أو تحويرها من وقت إلى آخر بمنشور من الحاكم العام . وهذه القوانين
والأوامر واللوائح يجوز أن يسرى مفعولها على جميع أنحاء
السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمناً
تحوير أو نسخ أى قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة .
وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التي يصدرها من
هذا القبيل إلى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة وإلى
رئيس مجلس نظار الجناب العالى الخديوى .

المادة الخامسة — لا يسرى على السودان أو على جزء منه شىء ما من القوانين أو الأوامر
العالية أو القرارات الوزارية المصرية التي تصدر من الآن فصاعداً إلا
ما يصدر بإجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها .

المادة السادسة — المنشور الذي يصدر من الحاكم العام ببيان الشروط التي
بموجبها يصرح للأوروبيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكنى
بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات مخصوصة
لرعايا أية دولة أو دول .

المادة السابعة — لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضى المصرية حين
دخولها إلى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة
على البضائع القادمة من غير الأراضى المصرية ، إلا أنه فى حالة ما إذا
كانت تلك البضائع آتية إلى السودان عن طريق سواكن أو أية مينا
أخرى من موانى ساحل البحر الأحمر لا يجوز أن تزاد الرسوم التي
تحصل عليها عن قيمة الجارى تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع
الواردة إلى البلاد المصرية من الخارج ويجوز أن تقرر عوائد على
البضائع التي تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت
إلى آخر بالمنشورات التي يصدرها بهذا الشأن .

المادة الثامنة: فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها بوجه من الوجوه.

المادة التاسعة: يعتبر السودان بأجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الأحكام العرفية ويبقى كذلك إلى أن يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام.

المادة العاشرة: لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأموري قنصلاتات بالسودان ولا يصرح لهم بالإقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية.

المادة الحادية عشرة: ممنوع منعاً مطلقاً إدخال الرقيق إلى السودان أو تصديره منه وسيصدر منشور بالإجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن.

المادة الثانية عشرة: قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يولية سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بإدخال الأسلحة النارية والذخائر الحربية والأشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها.

تحريراً بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩.

الإمضاءات

كرومر　　　　بطرس غالي

ثم صدر ملحق بالاتفاقية في ١٠ يولية سنة ١٨٩٩ وذلك في مادة واحدة بهذا النص «تلغى من الآن نصوص الواردة في وفاق ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ التي كانت توجب جعل مدينة سواكن مستثناة من أحكام النظام الذي تقرر في ذلك الوفاق لإدارة السودان في المستقبل».

وكسبت انجلترا بهذه الاتفاقية كل ما يمكن أن تطمع إليه في السودان وخسرت مصر [illegible] فقد [illegible] إليه مصر [illegible] نفقات الحملة ولم تدفع إنجلترا نفقاتها إلا مضطرة [illegible] دون مصر [illegible] لدى سحبه لحساب الحملة من صندوق الدين بعد أن قضت المحكمة المختلطة بعدم جواز ذلك، فتقدمت الحكومة الإنجليزية بالمبلغ ثم نزلت عنه لمصر بعد النصر. والتزمت مصر بسد العجز في ميزانية السودان [illegible] في [illegible] عشر [illegible] الإصلاح فيه

واستأثرت الحكومة الإنجليزية بالوظائف الكبرى في السودان الإنجليزي المصري ولم تترك للمصريين غير الوظائف الصغرى وأخذت في سياسة تفصل السودان عن مصر والاستئثار به لنفسها وجرت إصلاحاتها وفق هذه الخطة .

على أن مثل كل ما يمكن أن يعترض سبيل مصر في السودان لم تنشأ إلا في أعقاب الحرب العالمية الأولى بعد أن تضاعفت أهمية السودان بالنسبة لها ، فأصبحت مسألة السودان أهمية عظمى تعوق سعي مصري في حل المسألة المصرية عندما أصبحت هذه المسألة شائكة بين مصر وإنجلترا بعد انتهاء الهدنة القومية وسعيها ركنا عن سيادتها على البلاد التي كانت لها قبل الحرب ونمو المصالح البريطانية في السودان

٢ — قناة السويس والمسألة المصرية

سبق قناة السويس على المسألة المصرية أهمية ، تكمن في شق قناة ولم تفقد مصر طول تاريخها عناصر أهميتها كأهمية لتوسط موقعها الجغرافي بين قارات العالم القديم وحلقة في سلسلة المواصلات الهامة موقعا فريدا جعل منها المعبر الطبيعي للتجارة بين الشرق والغرب ، ولم تفقد مصر هذه الأهمية إلا لفترة محدودة إذا استثنينا ما كان لها من أهمية طول تاريخها عندما تحولت تجارة الشرق عن الطريق البحري الطويل حول أفريقيا بعد اكتشاف رأس الرجاء التي دفعت إليها حاجة الغرب إلى تجارة الهند والتخلص من سيطرة مصر على هذه التجارة بالبحث عن طريق بحري آخر لا تقف عقبة تعترض في سبيلها في البحر الأحمر والأبيض المتوسط ولا تعترض عنصر الخطر في البري وحكومة المماليك وتعسف الحكام والأمراء في فرض الضرائب وهي مما فضلا عن خطر اللصوص وقطاع الطرق وانصرف في هذا الدور لا تعرف عن مجدها وثرائها من أهم البلاد بعد ذلك الشرق ودلائل الموانئ

وكان للاهتمام الغربي بإحياء الطريق البري القديم عبر مصر عودة للنشاط في هذه المنطقة من جديد ، ولكن النشاط الحقيقي لم يبدأ إلا بعد شق قناة السويس وإن كان هذا الاهتمام قد سبق بالطريق البري ، ذلك الاهتمام الذي ظهرته حملتهم على مصر وحدث له في طور التمهيد الفعلي للمشروعات الفرنسية في الشرق ، ...

كوامن الحذر والخوف من الدول التي يهمها مناهضة هذه المشروعات الفرنسية وخطرها
على مستعمراتها وتجارتها وهي انجلترا ، فأحدث تنبيهاً لأهمية مصر التي تسيطر على
الطريق البري وتشرف على مسالكه وكان هذا الاهتمام بداية المسألة المصرية . ثم كان
شق قناة السويس وتحول تجارة الشرق والغرب إليها ما ضاعف من أهمية مصر
واهتمام الدول بها حتى أصبحت المسألة المصرية ترتبط أشد الارتباط بهذا الشريان
المائي وحمايته وحرية الملاحة فيه .

ولم يكن فكرة شق قناة تصل البحرين وليدة عهدها ولا وليدة للفكر الفرنسي ،
فقد سبقهم إليها الفراعنة والعرب وكانت لهم في هذا السبيل مشروعات أخذت طور
التنفيذ العملي ، أوصلوا النيل بالبحر الأحمر وسرت السفن بين البحرين على
خليج من مياه النيل العذبة حتى إذا قتلت الفكرة بالقناة القديمة ، كانت الصحراء من
حولها تسفي عليها رمالها كما كانت الرواسب تتجمع في قاعها وعجلت بردمها
وزوالها .

وشغل علماء الحملة الفرنسية بالفكرة ، وكانت موضع اهتمامهم فقدموا تصميمًا
عن الأمر به في مصر ، ولكن ضلل حسابهم بقدر مستوى المياه في البحرين
حتى صحح الخطأ في تحريات عهد محمد علي على يد جماعة مهندسين دولية وقد بقيت في
مصر واستمرت في دراسة الفكرة حتى عهد عباس وثبت أن فرق مستوى البحرين
ليس ذا بال . ولكن محمد علي لم يعتقد بفكرة المطامع السياسية الأوربية
ومشروعاتها الاستعمارية ، فحاد عن المشروع ولم يشجعه واكتفى بتمهيد طريق السويس
الاسكندرية وتوحيده وتأمينه للتجارة ، فلم يكن يحب أن تقوم في مصر مشكلة كمشكلة
البوسفور عرضها لها أيامًا من تعاقب حملات على عهده . ولم يكن عباس أقل من جده خوفًا
وخشية وتحفظًا كان حذره الأصيل من الأجانب وحبه للانطواء ، ولم تعد يتعقدان به عن
كل سبيل للإصلاح أو ثقة في أصحاب المشروعات الأوربية ، وعندما تولى سعيد
سعيد فكان كريمًا مصانعًا ، ووقع تحت تأثير صديقه فردينان دلسبس وإغرائه عن
سلطة من حقوق الذكر وثناء العالم وعجبه بأن لهذا المشروع العظيم أن يظهر على
يديه ، فاستجاب له ومنحه في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ امتياز تأسيس شركة عامة لحفر

قناة السويس واستثمارها مدة ٩٩ عاماً تبدأ من تاريخ افتتاح القناة للملاحة . وعرف العقد الذي وقعه سعيد ودلسبس في ذلك التاريخ بعقد الامتياز الأول تمييزاً له عن عقد الامتياز الثاني المؤرخ في ٥ [illegible] سنة ١٨٥٦

وتكونت شركة قناة السويس باسم « الشركة العالمية لقناة السويس البحرية » عام ١٨٥٨ بعد أن أثبتت لجنة من كبار مهندسي العالم [illegible] المشروع على الطبيعة وكان دلسبس قد استعان بها لطمأنة الناس على نجاح المشروع فيقبلوا على المساهمة في الشركة . ووقع بعد ذلك عقد الامتياز الثاني مع سعيد ثم طرحت أسهم الشركة للاكتتاب العام في أسواق العالم المالية وكان [illegible] إقبالاً على الاكتتاب . ويأتي اكتتاب والي مصر في المرتبة الثانية بعد اكتتاب الفرنسيين ثم يأتي بعد ذلك اكتتاب الأجانب الآخرين فالمصريين . ووقفت دول كثيرة تحجم عن الاكتتاب في رأس المال رغم الجهود التي قام بها دلسبس في الدعاية للمشروع ومن بينها إنجلترا أولى الدول التي وقفت من القناة موقف المعارض للمشروع وعملت على [illegible] حتى أن بالمرستون راح يصف المشروع بالخيال [illegible] بأصحاب رءوس الأموال . ولكنه لم يلبث أن [illegible] في بداية هذا المشروع الذي أدى به [illegible] في [illegible] سنة ١٨٥٧ [illegible] في [illegible] حكومة جلالة الملكة لدى الباب العالي طوال خمسة عشر عاماً لتمنع تنفيذ هذا المشروع

وسار سعيد قدماً في تنفيذ المشروع لا يثنيه موقف الباب العالي من قرار عقد الإمتياز أو معارضة خصوم المشروع وما كان في عقدي الامتياز من إجحاف بحقوق مصر وتعد على أراضيها . ودق دلسبس أول معول في حفر القناة في ٢٥ ابريل سنة ١٨٥٩ معتمداً على تأييد سعيد ومعونته .

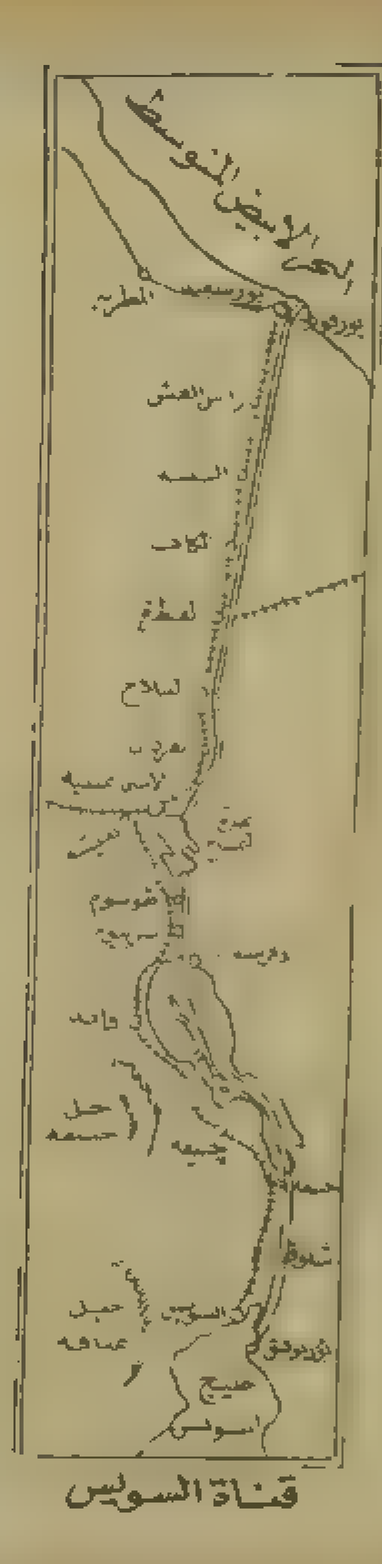
ولقد تبين [illegible] أول الأمر خطر هذا المشروع [illegible] وخطره [illegible] على [illegible] ومصالح الإمبراطورية ومستعمراتها [illegible] في الشرق ، فأخذت تعارض في تنفيذ المشروع وحاولت أن [illegible] في حفر [illegible] لوقف العمل لدى الباب العالي وكادت تنجح في [illegible] فرنسا وانجلترا في حرب عام ١٨٥٩ ، [illegible] في تأييد المشروع حتى لا [illegible] هوة الخلاف بينها وبين

بمصر في الموقف الذي تشبثت به في حرب خارجية . ووقفت بالاتفاق مع [illegible]
[illegible] وقام أسطولها بمظاهرة حربية في مياه [illegible] ولكن [illegible] ثم
[illegible] أن تبعث إلى
ديلسبس بوقف العمل في حفر [illegible] على أن الصلح ما لبث أن عقد بين فرنسا
[illegible] بتأييد مشروع [illegible] غير أن [illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وهكذا شهدت الآستانة معركة دبلوماسية عنيفة بين فرنسا وانجلترا حول
مشروع حفر القناة ، وذلك [illegible] على ما يمكن أن يكون لهذا المشروع من
أثر في مستقبل المسألة المصرية . ولا نغالي إذا قلنا أن المسألة المصرية قد ارتبطت منذ
ذلك الحين بقناة السويس فأصبحت أهم عنصر فيها .

[illegible] الجديد بعد
[illegible] في ١٧ [illegible] سنة ١٨٦٩ بعد خمسة عشر عاماً من
توقيع عقد الامتياز الأول [illegible] الأراضي
المصرية في عهد خديو مصر إسماعيل .

وكان [illegible] مصر من أسهم [illegible] عام ١٨٧٥ [illegible]
[illegible] إنجلترا من أهم
[illegible]
[illegible]
[illegible] وتتفوق على فرنسا [illegible] آثار الريب والظنون
حول [illegible] الدول الأخرى على مصالحها من
[illegible] ثم احتلت قبرص عام ١٨٧٨ فأصبح [illegible]
[illegible] أحد [illegible]
[illegible] سنوات على احتلال قبرص حتى احتلت مصر عام ١٨٨٢



قناة السويس

وظهرت نواياها على حقيقتها سافرة دون تمويه ، عندما انفردت دون فرنسا بالعمل في وادي النيل وألغت المراقبة الثنائية وأصدر جرانفل تصريحه المعروف تعليقاً على ذلك « بأن حكومة جلالة الملكة لا تستطيع أن تشرك معها فرنسا في عمل حملة لم ترض أن تشترك في مشاقها وأخطارها ».

واعتدت إنجلترا لأول مرة في تاريخ القناة على حيادها الذي كفلته المادتان (١٤ ، ١٥) من عقد [illegible] حين جعلت من منطقة القناة ميدانا لعملياتها الحربية ضد العرابيين في الوقت الذي وثق فيه عرابي بحيدة القناة فلم يلجأ إلى عمل يعطل تقدم القوات الإنجليزية خلالها .

وتبرر إنجلترا عدوانها بأن المادتين (١٤ ، ١٥) من عقد الامتياز الثاني لا تضمنان حياد القناة [illegible] بأن هذا الحياد لا بد أن تقره الدول ولا يصدر من طرف واحد ، وقد أدرك ديلسبس هذه الحقيقة عندما سعى إلى مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ يطالب أعضاء المؤتمر بالموافقة على حياد القناة ، وحال دون نجاحه معارضة المندوب الإنجليزي لورد كلارندن في عرض هذا الطلب ، ولعله كان لا يرمي إلى أكثر من معارضة مشروع القناة الذي تشاء فرنسا وتعارض إنجلترا تنفيذه ، ونجح

مشروع أن تدعو والي مصر الدول إلى مؤتمر يعقد في الآستانة لتقرير حياد القناة، ومن الطبيعي أن رفض سعيد هذا الاقتراح لما فيه من افتئات على حقوقه، ولم يكن الباب العالي نفسه راضياً عن تنفيذ المشروع.

ولم تنقطع المساعي في إثارة هذا الموضوع، فقد عاد بعد عشر سنوات يدعو الدول إلى اتفاق دولي لإقرار حياد القناة وحرية الملاحة فيها دون جدوى، ثم أثارت فرنسا موضوع حياد القناة عام ١٨٦٩، كما أثاره مؤتمر التجارة الدولي الذي عقد في القاهرة في ذلك الوقت، وتنبهت الأميرالية البريطانية عندما وقعت الحرب بين فرنسا وألمانيا عام ١٨٧٠ لضرورة عقد اتفاق دولي يضمن حياد القناة، فقد خشيت أن يلجأ الأسطول الفرنسي إلى موانئ القناة.

وفي مؤتمر تحديد حمولة السفن الذي عقد في الآستانة عام ١٨٧٣ اعترف المؤتمر بحق السفن الحربية في استخدام القناة، ولم يكن هذا الاعتراف منبعثاً عن معنى الحقوق للحياد وحرية الملاحة في القناة، ولم تبحث الدول ما يمكن أن يحدث للسفن الحربية في حالة ما إذا اشتبكت تركيا في حرب مع دولة أخرى.

وعندما نشبت الحرب بين تركيا وروسيا عام ١٨٧٧ وخشيت انجلترا عدوان روسيا على القناة باعتبارها أرضاً عثمانية، أعلنت أن عملاً من هذا القبيل لا يتفق وتأييد مبدأ الحياد للقناة، واعترفت روسيا بوجهة النظر البريطانية. ووقف موضوع عقد هذه المعاهدة حتى عقد مؤتمر القانون الدولي في العام التالي فحكم أن تكون حرية الملاحة في القناة عملاً دولياً بعيداً عن الاعتداءات المحاربة للدول أثناء الحرب، ولم يتم شيء من هذا القبيل.

ثم إن عدوان عرابي على القناة كما يذكر ويلسون في كتابه عن قناة السويس — برره اعتراف الخديو ووقع في ١٥ أغسطس سنة ١٨٨٢ باحتلال القوات البريطانية للبلاد لتوطيد النظام وإقرار الأمن في ربوعها.

ولكن، لا يمكننا أن نقول إن اعتراف الخديو وغيره من الدول لمساهمة بحقوق الشركة العالمية على الحقوق التي نص عليها عقد الامتياز، هو اعتراف

صدى عن نص عبارة عقد الامتياز من حيدة القناة ، وحرية الملاحة فيها .

وكأنما أحست بعض عناصر هذا العدوان وأثره ، فشعرت الدول الكبرى التي يهمها الأمر في ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٣ أنها ترى ضرورة حياد القناة وحرية المرور فيها لكل الدول على السواء . واقترحت عليها إنجلترا في المسودة الآتية التي تمكن أن يقوم عليها الاتفاق

١ - يجب أن تكون القناة حرة للملاحة بشكل مطلق وفي كل الظروف

٢ - يجب أن يحدد - في حالة الحرب - المدة التي تمكثها سفن الحرب المحاربة في مياه القناة ، وألا تنزل منها جنود أو مهمات حربية في القناة .

٣ - يجب ألا تقوم الدول بأعمال عدائية في القناة أو قريبا منها أو في أي منطقة من مناطق المياه الإقليمية المصرية ، حتى ولو كانت إحدى هذه الدول هي تركيا .

٤ - لا تسري الشروط السابقة (٢ ، ٣) في حالة الوسائل الضرورية للدفاع عن مصر

٥ - على أي دولة تلحق بالقناة ضرراً أن تتحمل النفقات التي يتطلبها إصلاحها العاجل .

٦ - لمصر الحق في حدود قوتها أن تتخذ كافة الوسائل لتنفيذ الشروط المفروضة على السفن المحاربة في القناة أثناء الحرب

٧ - لا تقام أية تحصينات على شاطئ القناة أو في المناطق المجاورة لها

٨ - ليس في هذا الاتفاق ما يعرض للتعرض لحقوق مصر على أراضيها ، أو يؤثر عليها أكثر مما نص عليه الاتفاق .

ويلاحظ في هذه المقترحات أن إنجلترا قد أغفلت الإشارة إلى حقوق السيادة العثمانية على مصر وقصرت حق الدفاع عن القناة على مصر وحدها .

ولم تحظ أى من هذه المقترحات بإجماع وجهة نظر هذه الدول ولم تتم أى مجهود لإقرارها ، ودعوة الدول لمناقشتها حتى أثارت فرنسا الموضوع من جديد عام ١٨٨٥ واقترحت عقد مؤتمر من الدول الكبرى ومعها أسبانيا وهولندا لمناقشة حرية الملاحة فى القناة . وعقد المؤتمر واستمر منعقداً فى باريس شهرين ونصف وظهرت فكرة الدول الأخرى ، فلأول مرة منذ عهد طويل صاحبت فرنسا وشجعها كل من روسيا وألمانيا أن تعهد بحماية القناة إلى هيئة دولية ، بينما تمسكت انجلترا بوجهة نظرها التى تمسكت بها فى بلاغها إلى الدول سنة ١٨٨٣ وأن لا تنفذ نصوص الاتفاق من حرية الملاحة ، ولا تعرقل حكومة جلالة الملكة فى مصر ما دام الاحتلال البريطانى المؤقت قائماً ، وأخيراً انفض المؤتمر دون أن يصل إلى اتفاق رضى به الجميع حتى عادت الفكرة تشغل الأذهان من جديد أثناء المفاوضات التى جرت بين انجلترا والباب العالى عام ١٨٨٧ بخصوص تاريخ الجلاء البريطانى عن مصر وشروطه ، فقد أثار دروموند وولف رئيس الوفد البريطانى موضوع حرية الملاحة فى القناة ، ووضع مشروع اتفاق يتضمن وجهة نظر انجلترا ولكنه لم يبرم من قبل الدول ورفض السلطان بإيعاز من فرنسا وروسيا ،

وبعد مفاوضات طويلة بين الحكومة البريطانية برئاسة سالسبورى وحكومات الدول التى يهمها الأمر أبرمت معاهدة الآستانة ، ووقعها كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإيطاليا وأسبانيا والنمسا وروسيا وتركيا ، ووقعت فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ ، ووضعت انجلترا موافقتها على المعاهدة بتحفظ ينص على أن تنفيذها معلق فى مصر ولا تخرج عما تنص عليه من قبل فى تصريح يناير سنة ١٨٨٣ وفى مؤتمر باريس سنة ١٨٨٥ ، هذا نصه :

« يرى مندوبو بريطانيا ، وهم يقدمون نصوص هذه المعاهدة كاتفاق نهائى لضمان حرية استخدام قناة السويس ، أن من واجبهم تقديم تحفظ عام حول تطبيقها إذا تعارضت مع الحالة المؤقتة والاستثنائية القائمة فى مصر ، أو احتملت أن تعرقل حرية العمل لحكومة جلالة الملكة أثناء احتلال مصر بقوات جلالتها البريطانية » .

وتنص معاهدة الآستانة صراحة على حيدة القناة أو دوليتها وإن تضمنت بنودها حرية الملاحة للدول على السواء في الحرب والسلم، وحرمت القيام بعمليات حربية في مياهها أو قريباً منها أو بمحطتيها على حد سواء، وخولت الحكومة المصرية أمر المحافظة على تنفيذها والاستعانة بالحكومة العثمانية إذا أعوزتها الوسائل إلى ذلك كما صانت حقوق السلطان وحقوق الخديو التي خولتها له الفرمانات المختلفة، وقد ردت فيها شرط بأن لا حق لبريطانيا في مصر أو في القناة يميزها على غيرها من الدول وكانت بريطانيا حريصة بسبب ذلك على عدم تنفيذها إلى أن عادت فسحبت هذا التحفظ بعد أن أبرمت الاتفاق الودي مع فرنسا عام ١٩٠٤

وقد ورد في المادة الثامنة شرط في احتواء إشراف دولي على تنفيذها، ولكن التحفظ البريطاني قد ألغى مفعول هذه المادة وبقي هذا التحفظ سارياً حتى سحب بعد سحبه عقب إبرام الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا، وحال دون تحقيق هذا الإشراف الدولي.

ولم تعمل القناة أو تعد بعد هذه المعاهدة بكل شروطها وبقيت حيدتها مرعية في الحرب والسلم على السواء إلا عندما هاجمتها القوات التركية سنة ١٩١٥ وعندما فرضت عليها الحصار البحري في حرب السنين لفلسطين.

وحدث بعض الحرب تمسكت بعد ذلك بوقت دون أن تعرض سلامة القناة أو تخل بشروط معاهدة فقد احتاجت بعض الحرية الأسبانية عام ١٨٩٨ للدفاع عن الفلبين كما حدث مع بعض الأسطول، وفي عام ١٩٠٥ حرب اليابان وفي الحرب التركية الإيطالية سنة ١٩١١ اجتازت القناة جنودها وظلت مفتوحة لمرور سفن المتحاربين على السواء وقد تركت من حيادها الشرعية على مصر وكانت قد المادة الرابعة من معاهدة الآستانة التي تحظر على الدول القيام بعمليات حربية في القناة أو على شطئها أو قريباً منها من شأنه أن يعرقل حرية الملاحة حتى ولو كانت السلطنة العثمانية هي إحدى الدول المتحاربة

معاهدة الآستانة ، ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨

المادة ١ — تكون الملاحة حرة في قناة السويس البحرية وتباح الملاحة فيها وقت
الحرب ووقت السلم على السواء لجميع السفن التجارية أو الحربية دون
تمييز بين الدول ولهذا فإن الدول المتعاقدة تتعهد بأن لا تعرقل بأية
طريقة حرية استعمال القناة في وقت الحرب أو في وقت السلم
ولا تخضع القناة مطلقاً للحصر البحري .

المادة ٢ — تعترف الدول المتعاقدة بأهمية ترعة المياه العذبة للقناة البحرية . ومن ثم
تقر تعهدات الحكومة الخديوية مع شركة قناة السويس العمومية فيما يختص
بترعة المياه العذبة ، تلك التعهدات المنصوص عنها في الاتفاق المؤرخ
في ١٨ مارس سنة ١٨٦٣ والتي تتكون من مقدمة وأربع مواد .

وتتعهد الدول بأن لا تمس سلامة هذه الترعة وأحد فروعها بحيث
تبقى في مأمن من أي شروع في ردمها .

المادة ٣ — تتعهد الدول المتعاقدة أيضاً بأن لا تتعرض بسوء للمهمات أو المباني
أو المنشآت أو سائر مستلزمات القناة البحرية أو ترعة المياه العذبة .

المادة ٤ — بما أن القناة تبقى مفتوحة وقت الحرب ، وتباح حرية الملاحة فيها حتى
للبوارج الحربية التابعة للدول المحاربة ، حسب نص المادة الأولى من
هذه المعاهدة فإن الدول المتعاقدة تتعهد بعدم استعمال أي حق للحرب
وعدم القيام بأي عمل عدائي أو أي عمل من شأنه أن يعوق حرية
الملاحة في القناة أو في أحد موانيها وفي منطقة ثلاثة أميال بحرية من
هذه الموانى ، حتى ولو كانت السلطنة العثمانية هي إحدى الدول المحاربة .

وليس للبوارج الحربية التابعة للدول المحاربة أن تمكث في القناة
أو في أحد موانيها إلا في حدود ما تقتضيه الضرورة . وعليها أن تعبر

القناة بأسرع ما يمكن بحسب اللوائح المعمول بها دون أن تقف بها
إلا إذا اقتضت ضرورات الخدمة ذلك بعينه . ويجب أن لا تتعدى مدة
إقامتها ببور سعيد أو في مياه السويس مدة أربع وعشرين ساعة إلا
في الأحوال الضرورية وفي مثل هذه الحالة يجب أن تقلع هذه السفينة
في أول وقت ممكن . ويجب في حالة مرور عدة سفن حربية معادية
في القناة أن تمر أربع وعشرون ساعة بين خروج إحدى هذه السفن
من الميناء وبين إقلاع سفينة معادية لها من نفس الميناء .

المادة ٥ — لا يجوز في وقت الحرب للدول المحاربة أن تنزل في القناة وموانيها أو تشحن
منها جنوداً أو ذخائر أو مهمات حربية ولكن عند حدوث عوارض أو
عوائق مفاجئة في القناة تعوق سيرها فإنه يمكن إنزال أو نقل جماعات
مجزأة من الجند في القناة وموانيها بشرط أن لا يزيد كل جماعة منها
على ١٠٠٠ رجل مع ما يناسب هذا العدد من مهمات الحرب .

المادة ٦ — تخضع غنائم الحرب للنظام المتبع في هذا الصدد بالنسبة للسفن الحربية
للدول المحاربة .

المادة ٧ — لا يجوز للدول أن تبقي أية بارجة حربية في مياه القناة ويدخل فيها
بحيرة التمساح والبحيرات المرة

ومع ذلك فإن الدول تستطيع أن تبقي في ميناءي بورسعيد والسويس
بوارج بشرط أن لا يزيد عددها على اثنتين لكل دولة ولا تخول هذا
الحق للدول المحاربة

المادة ٨ — يعهد ممثلو الدول الموقعة على هذه المعاهدة في مصر بملاحظة تنفيذ
أحكامها وفي كل الأحوال التي تصبح فيها سلامة القناة أو حرية الملاحة
فيها مهددة يجتمع هؤلاء الممثلون بناء على دعوة ثلاثة منهم وتحت رئاسة
عميدهم لاتخاذ الملاحظات والمعاينات اللازمة وعليهم أن يخطروا الحكومة

المصرية عند الخطر الذي لا تحصل به التحققات من الوسائل الكافية لحماية القناة وضمان حرية الملاحة فيها

وعلى كل حال يجتمعون مرة في كل سنة ليتأكدوا من حسن تنفيذ هذه المعاهدة وتعقد هذه الاجتماعات الدورية برئاسة مندوب خاص تعينه لهذا الغرض الحكومة السلطانية العثمانية ويمكن أن يحضر هذه الاجتماعات مندوب من قبل الخديو وله أن يرأسها في حالة غياب المندوب العثماني

ويحق لهؤلاء المثلين أن يطلبوا إزالة أي بناء أو تفريق أي حشد على إحدى ضفتي القناة يكون الغرض منه أو يكون من نتيجته عرقلة حرية الملاحة وسلامتها في القناة .

المادة ٩ — تتخذ الحكومة المصرية الوسائل الكفيلة باحترام تنفيذ هذه المعاهدة وذلك في حدود سلطتها المخولة لها بموجب الفرمانات وعلى النحو المقرر في هذه المعاهدة

وفي حالة ما إذا لم يكن لدى الحكومة المصرية الوسائل الكافية لذلك فعليها أن تطلب معونة الحكومة العثمانية التي عليها أن تتخذ الوسائل اللازمة لهذا الطلب وتخطر بذلك الدول الموقعة على تصريح لندن المعقود في ١٧ مارس سنة ١٨٨٥ وتتبادل الرأي معها عند اللزوم في هذا الموضوع

ولا تمنع نصوص المواد ٤ و٥ و٧ و٨ من اتخاذ التدابير التي تتخذ تنفيذا لهذه المادة

المادة ١٠ — وكذلك فإن نصوص المواد ٤ و٥ و٧ و٨ لا تمنع من اتخاذ الوسائل التي يرى جلالة السلطان وسمو الخديو في حدود الفرمانات المخولة له ضرورة اتخاذها لضمان الدفاع بقواتهما الذاتية عن مصر وحفظ النظام العام فيها

وفي هذه الحالة تحيط الحكومة العثمانية الدول الموقعة على تصريح لندن علماً بذلك . ومن المتفق عليه أيضاً أن نصوص المواد الأربع السالفة الذكر لا تمنع بحال ما الوسائل التي ترى الحكومة العثمانية ضرورة لتأمين الدفاع بقواتها الخاصة عن ممتلكاتها الواقعة على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر

المادة ١١ — إن الوسائل التي تتخذ بمقتضى نصوص المادتين ٩ و ١٠ من هذه المعاهدة يجب أن لا تعرقل حرية الملاحة في هذه القناة .

وفي هذه الأحوال فإنه يبقى محظوراً إقامة حصون دائمة في ... تماماً على خلاف نص المادة الثامنة من هذه المعاهدة .

المادة ١٢ — تتعهد الدول المتعاقدة تطبيقاً لقاعدة المساواة في حرية الملاحة في القناة الذي هو ركن هام من أركان هذه المعاهدة بأن لا تسعى جهدها للحصول على مزايا إقليمية أو تجارية أو امتيازات في الاتفاقات الدولية التي قد تعقد في المستقبل خاصة بالقناة مع الاحتفاظ للدولة العثمانية بحقوقها الإقليمية .

المادة ١٣ — فيما عدا الالتزامات الموضحة صراحة في نصوص هذه المعاهدة فلا تمس حقوق جلالة السلطان ولا الحقوق والحصانات والامتيازات التي يتمتع بها الخديو بمقتضى الفرمانات

المادة ١٤ — تتفق الدول المتعاقدة على أن التعهدات المنصوص عنها في هذه المعاهدة لا تكون موقوتة بالمدة المقررة لامتياز شركة قناة السويس

المادة ١٥ — شروط هذه المعاهدة لا تمنع من اتخاذ الوسائل الصحية المعمول بها في القطر المصري

المادة ١٦ — تتعهد الدول المتعاقدة بأن تحيط الدول التي لم توقع على هذه المعاهدة علماً بأحكامها وأن تدعوها للموافقة عليها .

المادة ١٧ — يحصل التصديق على هذه المعاهدة وتتبادل التصديقات فى الآستانة فى مدة شهر أو أقل من ذلك إن أمكن .

مصر والقناة

لم تجلب قناة السويس كسباً لمصر ، بل كانت غرماً عليها من أول الأمر ، فقد تضمن عقد الامتياز الذى وقعه سعيد أفدح الشروط على مصر ، ثم حمل إسماعيل على السعى للتخلص من بعض هذه الشروط عبئاً ثقيلاً وتضحية باهظة . وقال كلمته المشهورة « أريد القناة لمصر لا مصر للقناة » واتفق مع الشركة فى مارس سنة ١٨٦٣ على أن تعيد إليه ترعة المياه العذبة من ... وإلغاء السخرة حيث يشغل ... الأجر الذى جرت به الشركة ، ويتخلص من ترعة الوادى ... كى يحول دون تملكها أراضى الأفراد .

وقد ثار الخلاف بين إسماعيل والشركة حول مطالب جديدة تقدم بها إليها ، ولا تخرج عما كان يرمى إليه من التخفيف من الالتزامات التى كان على مصر أن تتحملها بمقتضى عقد الامتياز الثانى ، واحتكم الطرفان إلى الإمبراطور نابليون الثالث ، فأصدر حكمه فى تاريخ ٦ يوليه سنة ١٨٦٤ ، وقد حقق لإسماعيل حكمه ما كان يرمى إليه ، ولكن الثمن كان فادحا ، فقد ألزم الحكم مصر بدفع تعويضات باهظة للشركة بلغت فى مجموعها ٣,٣٦٠,٠٠٠ جنيه ، وذلك مقابل تنازل الشركة عن حقها فى مطالبة الحكومة بتقديم العمال المصريين ، وحقها فى ترعة المياه العذبة ، وفى بعض الأراضى التى كانت مملوكة لها بمقتضى عقد الامتياز .

ثم عقد إسماعيل اتفاقاً آخر مع الشركة بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٨٦٦ ، يقضى بما يأتى :

١ — تحديد مواعيد لأقساط المقدرة لأداء قيمة التعويضات المحكوم بها للشركة

٢ ستعاد الأراضي المخصصة للشركة بمقتضى العقد الثاني

٣ تنازل الحكومة عن ترعة الماء العذب مع الأراضي والمباني والأعمال المقامة التابعة لها، على أن تدفع لها الحكومة ثمن هذه المباني

٤ — بيع أراضي تفتيش الوادي للحكومة بثمن قدره عشرة ملايين فرنك (لم تدخل هذه الأراضي في التحكيم لأنها كانت ملكاً خاصاً للشركة اشترتها من شركة أجنبية بثمن قدره ٥٨،٠٠٠ جنيه وتبلغ مساحتها ٢٣،٧٨٠ فداناً).

٥ حق الحكومة في احتلال أي جزء في الأراضي المجاورة للقناة وفي أي موقع حربي لازم للدفاع عن البلاد على شرط أن لا يكون في ذلك الاحتلال عرقلة للملاحة

٦ تملك الحكومة ما تراه من تلك الأراضي عدا ما تشغله المصالح كالورش والمكاتب والمخازن وغيرها، على شرط أن تراعي كل ما تقتضيه ضرورة الاستغلال وأن تدفع للشركة المبالغ التي تكون قد صرفتها على تلك الأمكنة.

وأخيراً أبرم مع الشركة اتفاقاً شاملاً في ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ تضمن شروط التحكيم الأصلي وبعض الاتفاقات التي أدخلت عليها وهو الاتفاق الذي أقره السلطان، ووافق عليه في ١٩ مارس سنة ١٨٦٦.

وكان آخر اتفاق أبرمه إسماعيل مع الشركة ما أبرمه معها في ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩ ونص فيه على إلغاء الشرط الذي ورد في عقد الامتياز خاصاً بإعفاء واردات الشركة من الرسوم الجمركية، مقابل تعويض قدره عشرون مليون فرنك وفيه تنازلت الشركة أيضاً للحكومة عن المباني والمستشفيات التي كانت لها مقابل عشرة ملايين فرنك.

وهكذا دفع إسماعيل عن عجز، وكانت الخسارة التي لا تقدر يوم باع أسهم مصر في شركة القناة وحصتها في أرباح الشركة.

وتوضح الإحصائية الآتية ما تكبدته مصر من خسائر مالية بسبب القناة

جنيه

٣،٤٣٦،٠٠٠	قيمة أسهم مصر في القناة
٣،٣٦٠،٠٠٠	قيمة التعويضات المحكوم بها للشركة
٤٠٠،٠٠٠	ثمن أرض تفتيش الوادي
١،٢٠٠،٠٠٠	تعويض مدفوع للشركة بمقتضى اتفاق ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩
١،٢٠٠،٠٠٠	نفقات الترعة العذبة
١،٤٠٠،٠٠٠	نفقات حفلات القناة
٥،٨١٤،٠٠٠	فوائد وعمولة ونفقات التحكيم وما إلى ذلك
١٦،٨٩٠،٠٠٠	المجموع بالجنيهات

وإذا علمنا أن نفقات إنشاء القناة بلغت في جملتها ١٨،٠٠٠،٠٠٠ جنيهاً ، حسب إحصاء الشركة نفسها ، لأدركنا أن مصر وحدها هي التي تحملت العبء الأكبر في نفقاتها وقد يهون ذلك بجانب الخسارة التي لحقتها ببيع أسهمها بثمن بخس في أزمة مالية من الأزمات الإسماعيلية فقد بيع عنها ٣٢ مليونا من الجنيهات عام ١٩١٠ ، وتضاعف الثمن عام ١٩٢٩ حتى بلغ ٧٢ مليونا من الجنيهات بينما بلغت جملة أرباحها حتى ذلك العام على ٣٨،٦٠٠،٠٠٠ جنيه كسبتها الخزانة البريطانية ، واستطاعت الشركة التي بقيت لها حصة مصر في أرباح الشركة وقدرها ١٥ ٪ ثمن بلغ ٨٨٠،٠٠٠ جنيها ، أي أقل من إيرادها ٨٦٩،٠٠٠ جنيهاً في سنة بينما بلغت قيمة هذه الحصة حوالي عشرين مليوناً من الجنيهات عام ١٩٢٩ .

وكان حتما للأمور أن فقدت مصر استقلالها بسببها ، فقد كان شق القناة عاملا هاماً في تطور السياسة البريطانية حيال مصر ، وفي تلك المنطقة الهامة من مناطق الشرق الأوسط واتسعت المسألة المصرية منذ ذلك الوقت بالطريقة التي تكفل لبريطانيا مصالحها في قناة السويس كأخطر شريان في مواصلاتها الإمبراطورية .

٣ — العقبة والحدود الشرقية :

وشغلت مسألة العقبة في مطلع القرن قبيل قيام الحرب العظمى الأولى مشكلة حادة [illegible] في تاريخ [illegible] ولم يكن لها من [illegible] في تطور [illegible] بين أصولها [illegible] ولكنها كانت تتصل بسلامة [illegible] البريطانية في تلك المنطقة وتأمين حدود مصر الشرقية ، [illegible] تأمين قناة السويس ، كما كانت [illegible] باقتطاع جزء من أراضي مصر [illegible] موضع [illegible] مصر ، كما كان موضع اهتمام بريطانيا ، فإن الأيام لم تكن قد كشفت [illegible] في نظر المصريين فضلا عن اتجاه عواطفهم نحو تركيا تعصباً من الاحتلال [illegible] للاحتلال ، [illegible] كانت [illegible] الذي [illegible] لا لاقتطاعه من مصر [illegible] ، ولكن حرصاً على [illegible] في مصر [illegible] قناة السويس .

وقد حدثت هذه المشكلة [illegible] خديو [illegible] ، [illegible] أرادت [illegible] في فرمان [illegible] على [illegible] خارج الحدود [illegible] لمصر على [illegible] ولاية الحجاز ، [illegible] قناة السويس لخطر قريب [illegible] التركي ، [illegible] صحراء سيناء [illegible] على [illegible] كانت [illegible] خارج حدود مصر .

وقد [illegible] سيناء [illegible] في [illegible] من [illegible] مصر [illegible] وتطلعها في [illegible] من ناحية ، [illegible] ، و [illegible] في [illegible] عدم [illegible] في شرق الأوسط [illegible] من ناحية أخرى ، وقد [illegible] سيناء وموقع العقبة [illegible] بينهما [illegible] من [illegible] كل [illegible] مصرية .

ولم تكن [illegible] في [illegible] التي سبقت [illegible] تقدم [illegible] الذين كانوا [illegible] الطرق [illegible] سيناء للتقدم [illegible] حيث [illegible] مقاومة من [illegible] التي [illegible] عن مصر ، ولكن سلامة [illegible] كانت تستلزم أن تبعد خطوط الدفاع عن مصر شرقاً إلى [illegible] سيناء ، حتى

[illegible] على جبهة [illegible] حتى لا [illegible] ما دامت رحى الحرب على [illegible] [illegible] من بعض العسكريين الأعلام في بداية الحرب الأولى الذين كانوا يستبعدون [illegible] مصر عبر صحراء سيناء حتى وقع [illegible] فعلا واستمر [illegible] الأحرار الذين [illegible] خطوط الدفاع عن [illegible] [illegible] في [illegible] الحدود الشرقية [illegible] حيث تقع [illegible] على رأس الخليج المسمى باسمها والذي كان [illegible] منذ أن احتلت مصر عام ١٨٨٢ وإن لم تضمها إلى [illegible] إلا في أعقاب الحرب الأولى فقد كانت [illegible] على أن [illegible] الشرق [illegible] الأمير عبد الله الذي صيرته أميرا على تلك الإمارة [illegible] من سورية [illegible] والتي تقع شرق نهر الأردن إلى مطالبة آية [illegible] في [illegible] لتكون في منطقة [illegible] [illegible] ثم [illegible] السعودي [illegible] في معاهدة [illegible] [illegible] عام ١٩٢٧ [illegible] تنازل عنها [illegible]

[illegible] الأمير [illegible] تأثير مباشر على سلامة [illegible] إنها [illegible] الطرق [illegible] [illegible] وفلسطين وسورية [illegible] على مصر [illegible] الدفاع الأول عن قناة السويس [illegible] وهو [illegible] الذي أشار إليه [illegible] ١٥ [illegible] ١٩١٩ في [illegible] [illegible] سلامة مصر [illegible] [illegible] من الشرق لا تكون [illegible] [illegible] الأفضل [illegible] لتحقيق هذا الغرض أن تكون [illegible] سيناء في [illegible] الحدود المصرية » وقد سبق اللورد كتشنر أن أشار إلى مثل هذا الرأى أيام كان معتمدا [illegible] في مصر [illegible] بالاستيلاء على [illegible] لتأمين سلامة القناة والدفاع عن مصر .

[illegible] حقيقة « [illegible] » [illegible] سيناء [illegible] في مقدمة

كتابه عن سيناء قوله « إن سيناء بحكم موقعها الجغرافي كوسطة الاتصال بين آسيا وأفريقيا كانت وستكون دائماً محطة كبرى وليس [illegible] في ذلك مطلقاً حيث كانت منذ [illegible] القرون وممراً للجيوش الغازية أو المتقهقرة [illegible] ما كانت سيناء ».

ومن الواضح أن سلامة مصر في عهود الحرب يجب أن تكون مرهونة [illegible] بعيداً عنها ويبدو هذا الأمر في غاية الأهمية بالنسبة إلى ما يكفل لها مواردها العظيمة في الشرق الأقصى [illegible] أن ترجح كفة [illegible] في أي حرب تنشب [illegible] ملائمة [illegible]

ولم يكن هذا الذي وضحناه [illegible] في [illegible] الحرب الأولى [illegible] الدفاع عن مصر على [illegible] في هذه الحرب [illegible] كان [illegible] العثمانية [illegible] في عبور [illegible] السويس كان هذا [illegible] في [illegible] بريطانيا للدفاع عن هذه [illegible] وقد [illegible] الأول من [illegible] التاريخ الحربي [illegible] ذلك بما [illegible] في ديسمبر سنة ١٩١٥ [illegible] للدفاع عن قناة السويس [illegible] قاعدة لذلك [illegible] الدفاع عنها إلى الشرق بعداً كافياً حتى لا تتعرض لنيران العدو ».

ولم يكن [illegible] الدفاع [illegible] عن هذه المنطقة من [illegible] هذه [illegible] إلى [illegible] كثيراً [illegible] أرشيبالد موري [illegible] القيادة البريطانية [illegible] بعد أن فشلت القوات التركية في عبور سيناء والهجوم الفاشل على القناة ، فقد استقرت القيادة البريطانية على المواقع الاستراتيجية [illegible] كانت [illegible] من [illegible] السويس [illegible] الأول عن مصر [illegible] الجيوش [illegible] ذلك التاريخ [illegible] في مدينة [illegible] التي عرفت باسم الفرما في العصر الإسلامي والتي تقع إلى شرق [illegible] قريباً من بورسعيد

[illegible] وكان يمكن [illegible] الجيوش [illegible] تتقدم [illegible] مديرية شرقية في سهولة [illegible]
[illegible] على [illegible] وكان [illegible] معدومة [illegible] في [illegible]

وقد [illegible] في [illegible] في هذا [illegible]
[illegible] قبل [illegible] تقدم
[illegible] لا [illegible] وهذا
[illegible] مصر [illegible]

وكان [illegible] المواد الحربية ما [illegible]
[illegible] في [illegible] من مصر [illegible]
[illegible]

[illegible] على [illegible]
[illegible] في [illegible] سيناء إلى القناة كما يمكن أن تكون نقطة
[illegible] على [illegible] الذي [illegible]
[illegible] الأعلى [illegible] من [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible] ١٩١٧ [illegible] على [illegible]
[illegible] في [illegible]

[illegible] كاملة على [illegible] في [illegible]
[illegible] على [illegible] طرق [illegible]
[illegible] من [illegible] إلى [illegible] من المسافة [illegible]
إلى [illegible] على [illegible] قاعدته من
[illegible] سيطرتها المباشرة على طرق الاقتراب الرئيسية
في شبه الجزيرة [illegible] كما [illegible] على طرق [illegible] إلى الشام [illegible]
[illegible] على [illegible] في [illegible]
إلى بلاد [illegible]

وقد كان للعقبة من الأهمية [illegible] خلال عصور التاريخ المختلفة فضلا عن أهميتها [illegible] في الوقت الحاضر وخاصة في عصور التاريخ التي سبقت [illegible] على [illegible] ثم في عصور التاريخ الإسلامي [illegible] [illegible] من جبال [illegible] سيناء من السويس إليها ثم إلى بلاد العرب وهو الطريق الذي أخذ الحجاج من مصر وشمال أفريقيا يسلكونه منذ فتحت به المملكة المصرية شجرة الدر في منتصف القرن [illegible]

وقد [illegible] في البلاد [illegible] حدود [illegible] [illegible] ومن وادي [illegible] إلى [illegible] [illegible] البلاد باسمهم عرفت « بلاد أدوم » اشتغلوا بالتجارة وإرشاد القوافل التجارية [illegible]

وقد [illegible] في بلاد [illegible] في عهد [illegible] [illegible] بلاد أدوم فأنشأ ملكهم سليمان ثغر « عصيون [illegible] على [illegible] في مكان [illegible] أو قريباً منها هو الذي عرف [illegible] العقبة فعرف [illegible] [illegible] يعرف باسم خليج العقبة .

وقد [illegible] ثغر عصيون [illegible] الذهب من بلاد [illegible] أو ظفار العمانية .

وما زال من مقتضيات [illegible] وضعف شأن مصر [illegible] من بعده أتيح للأدوميين أن يستعيدوا استقلالهم على بلادهم واستقلالهم وكانوا هم [illegible] الذين [illegible] إسرائيل [illegible] مملكتهم [illegible] الذي عرف باسم بختنصر [illegible] على هدم أورشليم وخراب [illegible] وسعوا ملكهم [illegible] الإسرائيليين

وظل الأدوميون [illegible] الأنباط [illegible] بلادهم وأصبح [illegible] من استبداد [illegible] الأدوميين من قبل واتسع الأنباط [illegible] [illegible] أصبحت [illegible] للقوافل [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible]

وظل الأنباط [illegible] في بلادهم [illegible] على [illegible] شرق والغرب في [illegible] [illegible] [illegible] على قبطها وتعميرها .

[illegible] ملك الأنباط حتى [illegible] من دمشق [illegible] على [illegible] من [illegible] بصرى [illegible] وشوبك [illegible] وهي معروفة [illegible] [illegible] الأنباط قد سادت تجارة [illegible] [illegible] كل ما جاوره من [illegible] أخرى

[illegible] الأنباط [illegible] الرومان [illegible] [illegible] تجارة طرأ وزاد من [illegible] إعادة حفر خليج

« [illegible] » بين اليمن والبحر الأحمر في عهد الإمبراطور [illegible] الذي [illegible] عليهم [illegible] الأنباط [illegible] ولاية [illegible] تعرف بإسم Provincia Arabia أى الولاية العربية .

ثم تحولت تجارة العراق إلى مصر [illegible] الطريق الذى أصبح ممراً للحجاج في العصر الإسلامى . [illegible] على [illegible] حديد الحجاز في أوائل هذا القرن .

[illegible] التجارة [illegible] طرق [illegible] الأحمر ومصر والبحر الأبيض المتوسط [illegible] في [illegible]

[illegible] هذه [illegible] أهمية [illegible] طريق الحج في العصر الإسلامى [illegible] في عهد محمد على [illegible] السويس [illegible] وحمل [illegible] وهى [illegible] الذى [illegible] بإسم [illegible] من الحجاج [illegible] من سوريا ومصر [illegible] حتى إذا [illegible] السويس [illegible] وسائل الملاحة [illegible] الحج [illegible] الطريق البحرى الجديد ففقدت ما استعادت من أهمية .

ثم [illegible] عندما شرعت الحكومة [illegible] في مد خط حديد الحجاز سنة ١٩٠٠ من دمشق إلى [illegible] وقد وصلت [illegible] سنة ١٩٠٨ [illegible] في مد خط حديد [illegible] الأدنى في الدولة [illegible] وكان ربط بلاد [illegible] الخطوط الحديدية جزءاً من سياسة عبد الحميد [illegible] وكانت ألمانيا قد ظفرت قبل ذلك بقليل بعد زيارة الأمبراطور [illegible] سنة ١٨٩٨ بامتياز مد خط حديد بغداد

[illegible] الأوربيون [illegible] البلاد [illegible] العربية [illegible] خطوط [illegible] خط [illegible] بخط حديد بغداد

وحدث [illegible] عرع من خط حديد الحجاز .
وهذا [illegible] الذي [illegible] وكان [illegible] الحكومة [illegible] في مد هذا
الخط [illegible] الأحمر من [illegible] في أزمة التي [illegible] بين الحكومة
[illegible] مصر والباب العالي سنة ١٩٠٦ .

وكان [illegible] الحكومة [illegible] في مد خط حديد الحجاز قد [illegible] التفكير
في [illegible] على [illegible] مراكز الاستراتيجية في [illegible]
[illegible] المراكز الاستراتيجية
[illegible]
[illegible] البحر الأحمر والاتصال [illegible]
[illegible]

وقد [illegible] سنة ١٨٩٢
[illegible] من مصر [illegible] إلى مناطق [illegible]
في سوريا والحجاز وكانت ميول الخديو [illegible] إلى تركيا وكان هذا تشجيعاً كافيا
[illegible] معارضة من [illegible] وكانت [illegible]
[illegible]
[illegible] في الوجه [illegible]
[illegible] لتأمين قوافل الحج التي تسلك الطريق [illegible] إلى الحجاز ثم [illegible]
[illegible]

وقد [illegible] في هذا الشأن [illegible]
[illegible] الاستعمار البريطاني
في [illegible] إلى اللورد سالسبري رئيس
الوزارة البريطانية وأرسل هذا [illegible] إلى [illegible] في مصر [illegible]
[illegible] ثلاثة [illegible] شبه جزيرة
[illegible]

وقد أرسل السير إفلن بارنج (لورد كرومر فيما بعد) المعتمد البريطاني في مصر إلى تيجران باشا وزير الخارجية المصرية يبلغه صورة الفرمان وينبئه أنه يختلف عن فرمان تولية الخديو توفيق في أنه يخرج شبه جزيرة سيناء من إدارة الخديوية المصرية ويطلب تفسيراً لذلك من الباب العالي حسب الأوامر الصادرة إليه من وزارة الخارجية البريطانية

وقد تراجعت تركيا عن موقفها لما رأت من تشدد الحكومة البريطانية في المحافظة على الوضع القائم بالنسبة لسيناء وأرسل الصدر الأعظم برقية إلى وزارة الخارجية المصرية يبلغها فيها صدور الإرادة السلطانية بترك شبه جزيرة سيناء في الإدارة الخديوية لمصر كما كانت من قبل [illegible] شبه جزيرة سيناء كما يحددها الخط المستقيم الذي يمتد شرقي العريش إلى رأس خليج العقبة تحت إدارة مصر على أن تكون قلعة العقبة الواقعة شرقي الخط المذكور من ملحقات ولاية الحجاز .

وقد اعتبرت الحكومة البريطانية البرقية الأخيرة ملحقاً للفرمان وجزءاً منه وأعلنت موافقتها على ذلك وبقي الفرمان على هذا الأساس الذي انتهى إليه الفرمان في ١٤ أبريل سنة ١٨٩٢ وانتهت الأزمة التي ثارت حول تبعية تلك المنطقة في ذلك الوقت

غير أن تركيا لم تمتنع عن مسلكها في تحقيق أهدافها للتمدد في سيناء ، وقد رأت من تطور الأحوال الدولية في ذلك الوقت ما يغري عسكرها بالتقدم ، فإن أوروبا كانت قد بدأت تنقسم إلى معسكرين كبيرين يستعد كل منهما لامتشاق الحسام في وجه الآخر ، وكانت صداقة تركيا لألمانيا تربطها بمعسكرها الذي يضم دول الوسط أو دول التحالف الثلاثي التي ضمت [illegible] دون الوفاق الثلاثي الذي تتزعمه بريطانيا على طرفي نقيض .

ثم أن تركيا بدأت تتوجه إلى تأمين سلامة خط حديد الحجاز والاستيلاء على على بعض القواعد الاستراتيجية في شرقي سيناء تشرف منها على شبه الجزيرة وتتحكم في طرق الاقتراب الرئيسية إلى ذلك التل حيث تستطيع أن تهدد القوات البريطانية فيها وتؤثر تأثيراً قوياً على سلامة القناة .

وكانت سكة حديد معان ـ العقبة التي تربط العقبة بسكة حديد الحجاز جزءاً
من هذه السياسة الاستراتيجية الجديدة . وكانت قد شرعت في مدها سنة ١٩٠٦ كما
عمدت تركيا إلى الاهتمام بحدود مصر الشرقية ، ودراسة مشروع استراتيجي
للدفاع ضد هجوم على وضع قوات عسكرية على طول الخط من العريش إلى نهاية
الحدود المصرية على خليج العقبة . ولكن القوات التركية سارعت باحتلال طابا
إلى الغرب من العقبة بقرب على امتداد الخليج ، وقد أثار هذا العمل ثائرة
بريطانيا ، ودفعها إلى الاحتجاج على تركيا . ولكن تركيا كانت تهدف من وراء
هذا العمل إلى فتح باب المسألة المصرية وإحراج بريطانيا أمام الرأي العام الدولي
وإحراجها من خلال وجودها في قطعها في هذا السبيل مراراً كما كانت ترمي إلى
الاستيلاء على بعض المراكز التي تشرف على خطوط المواصلات الرئيسية في سيناء
وشبه الجزيرة ، ولكن تطور الأحوال الدولية لم يكن في صالح تركيا ، فقد كانت
روسيا قد ارتبطت بالاتفاق الودي مع بريطانيا وراح سفيرها في الآستانة يضغط
على الباب العالي بالإذعان لمطالب بريطانيا ووقفت روسيا موقفاً مشابهاً [illegible]
موقف الحياد في هذا الخلاف ثم حمل تركيا على التراجع فسحبت قواتها من طابا
في ١٠ يونيه ١٩٠٦ .

وقد تكونت لجنة مصرية تركية بعد حادثة طابا لتسوية مسألة الحدود حسب
معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وملحق فرمان تولية الخديو عباس الثاني
خاصاً بإدارة شبه جزيرة سيناء سنة ١٨٩٢ ، وانتهت اللجنة من عملها في أول
أكتوبر سنة ١٩٠٦ وتم الاتفاق على أن تمتد حدود مصر الشرقية من رفح على
البحر الأبيض المتوسط إلى نقطة تقع غرب العقبة بثلاثة أميال وبذلك أصبحت طابا ضمن
أملاك مصر والعقبة من أملاك تركيا.

ولعبت العقبة دوراً هاماً في العمليات الحربية في المنطقة خلال الحرب
الأولى فاحتلتها القوات العربية في صيف عام ١٩١٧ وجعلتها قاعدة لعملياتها في شرق
الأردن وسوريا الجنوبية وأمنت بهذا الاحتلال ميمنة قوات اللنبي الزاحفة على فلسطين
كما قضت على إمكان وجود أوكار للغواصات في مياه الخليج أو على سواحل الحجاز
وأصبحت العقبة بعد ذلك جزءاً من أملاك حكومة الحجاز التي احتفظت

[illegible] لقدمه [illegible] من ولاء الحجاز [illegible] وكان [illegible] يوجد أن [illegible]
أصبحت [illegible] في الدول [illegible] مستقلا على الحجاز [illegible] في [illegible] ملك
مستقل [illegible] يكون [illegible] من ممالكه [illegible] في الوضع القديم [illegible] ولاء الحجاز
[illegible] الهاشميين

ولكن هذا الوضع الذي [illegible] موضع [illegible]
[illegible] واتصالها بخطوط مواصلات [illegible] وما
يستفاد من مستقبل [illegible] في [illegible] الذي
[illegible]
حولها خلال أربعة قرون طوال .

وكانت [illegible] العقبة [illegible] بجعلها [illegible] البريطاني
فأرادت أن تظفر بها عن طريق آخر ولجأت في ذلك إلى الأمير عبدالله الذي [illegible]
[illegible] على [illegible] في شرق الأردن [illegible]
[illegible]
عبدالله في [illegible] أن يكون [illegible] شخصياً
[illegible] على عرش الحجاز [illegible] الأمير عبدالله [illegible]
ليكون [illegible] معان [illegible]
من [illegible] في ٥ [illegible] سنة ١٩٢٥ وفي ٤ يوليو من
السنة نفسها أصدر الملك [illegible] حكومته البلاغ [illegible]

« [illegible] جلالة [illegible] على [illegible] بلاد [illegible]
الحجازية ، أيده الله وأدام نصره ، ضم [illegible] معان [illegible]
[illegible] وفي ١٦ يوليو [illegible]
في [illegible] شرق الأردن

ولما استولى [illegible] على الحجاز [illegible]
لم يقر تنازل الملك علي عن معان والعقبة لأخيه [illegible] من أملاك الحجاز الأصلية وفي
هذه الحالة كان على بريطانيا أن تتناول الموضوع [illegible] علاقات [illegible]

أمير شرق الأردن يستجمع عنده معلومات بينهم . وخصت الحكومة البريطانية في معاهدة جدة التي أبرمت بينهم وبين السعوديين في أن تحملهم على إقرار الوضع القائم في معان والعقبة من حيث تبعيتهما لشرق الأردن شكلا دون أن تتنازل عنهما فعلا وذلك في ملحق خاص ألحق بالمعاهدة المذكورة . وكان عبد العزيز آل سعود رجلا بعيد الأفق فلم يحاول أن يثير مشكلة أخطر وقد تبين قطع حقيقة بريطانيا ثم وضع ضم معان والعقبة إلى شرق الأردن أمرا مسلما به من جهة الحكومة السعودية بعد أن أبرمت معاهدة صداقة مع شرق الأردن عام ١٩٣٣

وبعد ربع قرن لبست مطامع إسرائيل على العقبة وسيناء ثوبا جديدا من الأطماع سنعرض له في حينه .

* * *

هذه هي الأصول الحقيقية لمشكلة حدود مصر مع بريطانيا وهي التي نعتبر أكبر دوافعها وهي عمليات في الوقت الحاضر تساوم عليها في سبيل فرض الدفاع المشترك على البلاد .

أما ما ادعته من حماية الأقليات وامتيازات الأجانب فلم يكن إلا ستارا تخفي وراءه مصالحها الحقيقية وتبرر به احتلالها للبلاد وتدخلها في أمور النظام وحماية المصالح الأوروبية في ظاهر الأمر وتحقيق مصالحها الحقيقية في باطنه

وقد تنازلت بريطانيا عما ادعته من حماية الأقليات في معاهدة ١٩٣٦ كما ألغيت الامتيازات الأجنبية في عهدها ولم يبق إلا مشكلة السودان وحماية قناة السويس عندما تزعم أنها تشاركها مصر في حلها بما يرضي آمال مصر وحقوقها الشرعية

ويبدو أنها تطمع في سيناء لتستعيض بها عن قواعدها التي فقدتها في فلسطين وعما يمكن أن تفقده من قواعد في مصر إذا انتهى أمرها بالجلاء عنها وإن لم تكشف عن حقيقة هذه النوايا بعد

وسنتناول هذه المسألة في حينه .

الفصل التاسع

اليقظة الإسلامية

والبعث القومي الحديث

[illegible] في الشرق الأوسط [illegible]
[illegible] القرن التاسع عشر [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible] من القوى [illegible]
[illegible]
[illegible]
الوعي القومي أو ركوده، أو تلم بها من الخارج متأثرة [illegible]
الشرق والمشاكل التي تثيرها أوروبا [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
الشرق [illegible]
[illegible]
[illegible]
اتخذوا سبيل الارتقاء وسطاً بين السبيلين.

وكانت اليقظة الإسلامية [illegible]
(١٨ [illegible])

القومية [illegible] حدثت مع [illegible] أوربا [illegible] البلاد [illegible] وقد
[illegible] أخرى [illegible] آثاره واضحة إلا في النصف الثاني من القرن
التاسع [illegible] للحضارة الغربية [illegible] هذه
الحضارة على الشرق [illegible] وتسندها [illegible]
في شكل الدولة [illegible] شعوب [illegible] القومية
[illegible] على كل [illegible] كانت أو اجتماعية أو [illegible]
فكانت ثورة [illegible] كما كانت [illegible] القديم [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] في ذلك [illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible] الأذكياء [illegible]
[illegible] على [illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] وكانت [illegible]
[illegible] على الشرق [illegible] هؤلاء الأذكياء [illegible]
[illegible] الإسلام القديم

[illegible] كل من [illegible] مستقلة عن الأخرى [illegible]
في [illegible] على [illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] الإسلامي [illegible]
الواسع [illegible] الإسلامي في
شكل الدولة الإسلامية [illegible] والأهداف
[illegible] كان [illegible] في الحكم والإدارة
[illegible] وظهور شخصية الفرد [illegible] مظهر
الدولة القومية [illegible] شعور [illegible] بالقومية [illegible] شعور
مصري [illegible] شعوب [illegible] ومصالحها [illegible] في
[illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible] شعور مصري [illegible] في [illegible] كل [illegible] الأثر

في [illegible] مستقبل الإمبراطورية العثمانية ، وأدى [illegible] حركة القومية العربية وبدت في صورة [illegible] بين شعوب العربية التي أخذت تتطلع إلى [illegible] العرب و[illegible] [illegible] [illegible] الدولة ، وقد وجدت هذه الحركة في أهداف محمد علي في تكوين [illegible] عربية [illegible] بعض عناصرها الخاصة [illegible] ولا سيما بين [illegible] [illegible] كما يقول [illegible] في كتابه [illegible] عربية ، وإن كانت فكرة محمد علي في [illegible] تجمع شعوب عربية لا تقوم في [illegible] قومي [illegible] تقوم على أهداف [illegible] الشعوب [illegible] لا [illegible] في [illegible] فكرة [illegible] عربية تلك الفكرة [illegible] في [illegible] عن [illegible] قام [illegible] الثورة [illegible] في [illegible] مكة و[illegible] [illegible] الثورة [illegible] دعاة [illegible] عربية [illegible] [illegible] في [illegible] وفي البلاد [illegible] قبل الحرب العالمية الأولى ، وكانت [illegible] العرب من [illegible] الحركة التي [illegible] في [illegible] و[illegible] وحدة شعوب [illegible] كان للحركة [illegible] القومية العربية إلا [illegible] عن [illegible] [illegible] عن [illegible] العرب والاتجاه نحو الوطن القومي [illegible] داخل حدود الوطن [illegible]

وتأثر [illegible] بالعقيدة الإسلامية وبوعي القومي في [illegible] [illegible] السياسة الأوربية نحو هذه [illegible] الاتجاهات التي كانت تأخذ شكلا [illegible] من [illegible] العسكري والسياسي والاقتصادي و[illegible] التجاري و[illegible] ، وإن كان هذا الامتداد السياسي في البلاد الشرقية قد [illegible] امتداد ثقافي قام به [illegible] المبشرين والإرساليات الدينية وأحدث آثاره في [illegible] و[illegible] عندما أخذ الضغط الأوربي يشتد في هذه البلاد ولا سيما في [illegible] وسوريا ومصر

كما أثرت [illegible] الحرب [illegible] في الشرق الأوسط [illegible] [illegible] الوعي القومي في البلاد من [illegible] و[illegible] من ناحية أخرى ، فكانت الأحداث التي

[illegible] الميدان الأخرى في [illegible]
[illegible] على هذه [illegible] عاملا من عوامل
[illegible] كانت وقودا لاشتعال الثورات القومية [illegible]

وقد [illegible] الإسلامية [illegible] في [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] بلاد الشرق الأوسط [illegible] كان في نطاق
الدولة العثمانية أو خارجها [illegible] الإسلامي [illegible]
لما كان [illegible] في [illegible] من [illegible] الذي [illegible]
[illegible] كانت [illegible] من [illegible] والانحلال [illegible] في كيان الشرق
الإسلامي [illegible] الأوسط في الوقت الحاضر وتقضي على دعائم حضارته
العربية

[illegible] عوامل الضعف في الشرق الأوسط إلى مدة سيادة الترك فقد دخل هؤلاء
[illegible] في الإسلام حديث [illegible] مدى [illegible] من [illegible]
[illegible] تعصبهم للدين [illegible] شراً مستطيراً [illegible] للدين [illegible] رسالته
[illegible] الخلافة العباسية [illegible] حمل هذه الرسالة [illegible] ولكن غلب عليهم
[illegible] الحربي [illegible] مواهبهم العقلية فقد كانوا [illegible] من [illegible]
وكانوا [illegible] على الحرب [illegible] وصبر ولهم في إدارتها حنكة ودربة وقد فاقت
مواهبهم الحربية مواهبهم العقلية فلم يبلغوا حد الابتكار أو التجديد فكان هذا الجمود
الذي ران على [illegible] الإسلامية في [illegible] ، والظاهر أن محمد [illegible] قد قضى على محمد
[illegible] للعلماء [illegible] محمد [illegible] جهد
[illegible] وقفاً على الخاصين
[illegible] أكثر من حيوية [illegible]
[illegible]

وكان [illegible] هؤلاء [illegible] لأهمية علوم الدين
[illegible] من اهتمامهم بعلوم الدنيا وكان باب الاجتهاد الديني قد [illegible] من [illegible] وأصبح

[illegible] من [illegible] و[illegible] إحيوه [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible] والتقنع
و[illegible] والسلاطين [illegible]
من [illegible] والإكبار [illegible] لسلطان والحرص في دنياهم على ما نالوه
من حظوه [illegible]

وكان من [illegible] علوم الدين
[illegible]
[illegible] الدين
[illegible]
النهضة الجديدة .

[illegible]

[illegible]

وقد [illegible] من [illegible]
ولكن تقرير حقوق الانسان وانتشار مبادئ الثورة الفرنسية قضى عليها إلى حد ما
[illegible] حتى [illegible] القرن العشرين يوم [illegible]

السلطان [illegible] على منح الدستور سنة ١٩٠٨ [illegible] في
سبيله طويلا .

وثمة موضوع [illegible] من أسباب ضعف [illegible] العثمانية [illegible]
[illegible] في بلاد الشرق الأوسط فقد كان [illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] سنة ١٥١٧ [illegible]
[illegible]
[illegible] ها وقضى على معالم انتاجها .

وكان لتحول التجارة من [illegible] الشرق الأوسط [illegible]
[illegible] بين هذه [illegible]
الضعف والانحلال وبين أوربا المتوثبة للنهوض والإ [illegible] الأوربية
[illegible] في [illegible]
من [illegible] الشرق الأوسط [illegible] هذه البلاد [illegible]
[illegible] من كل [illegible]

ولكن هؤلاء الأتراك رغم هذا كله قد بسطوا حورة الإسلام على [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] من [illegible] على [illegible]
عام ١٦٨٣

[illegible] الدولة العثمانية [illegible] موجة الاستعمار
الأوربي [illegible] الشرق الأوسط مدى قرون من الزمان حتى في أيام ضعفها
وانحلالها [illegible] الدول الأوربية [illegible] مناطق نفوذ فيها فقد كان [illegible]
[illegible] الدولة العثمانية وسلامة [illegible]

[illegible] في الحرب العالمية الأولى
وتقسمت بريطانيا وفرنسا مواطن العروبة أملاكاً.

[illegible]

[illegible]
آثار الماضي العريق فيما خلف الأعرق من فلسفات [illegible] في
عالم الفكر لا يحده قيد ولا يقف أمامه إيمان جاهل.

[illegible]
ما يحفز دعاة الإصلاح للدعوة والنهوض.

[illegible]

[illegible]

في مجتمع الاسلام في [illegible] الدعوة الجديدة في [illegible] التي [illegible]
وتعرض [illegible] على النفوس وتمهد [illegible] الدعوة [illegible] واستكمال
عناصر وجودها

ونشأ محمد بن عبد الوهاب في [illegible] نجد [illegible] على [illegible]
حنبلي ووجد في [illegible] مثلا [illegible] ومنحاه [illegible]
العقلي، وكان ابن تيمية عالما كبيرا [illegible] في القرن السابع الهجري
في زمن [illegible] الناصر [illegible] ابن حنبل في دراسته وتفكيره وتأثر
به [illegible] الاجتهاد ونادى [illegible] الاجتهاد ولو خالف
قول الأئمة [illegible] واسعة [illegible]
من [illegible] ابن حنبل [illegible] الى ذلك وكان [illegible] في [illegible]
[illegible] البدع والضلالات
والتوسل بالأولياء [illegible] الأضرحة وقد ترك تعاليم ابن تيمية في نفس محمد بن
عبد الوهاب صدى زاد من [illegible] في طوافه في بعض بلاد العالم الاسلامي
من [illegible] الضلالة [illegible] البدع [illegible] الوحدانية [illegible] الناس من الأوثان
والأضرحة [illegible] حتى أصبحت [illegible]
والمشايخ والأولياء من دون الله .

[illegible] الدعوة الوهابية على [illegible] من [illegible]
[illegible] من [illegible] وكان [illegible] الرجوع [illegible]
[illegible] فلا مصدر الا الكتاب
ولا حكم الا [illegible]

[illegible] محمد بن عبد الوهاب دعوته [illegible] العالم الاسلامي في
النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر [illegible]
دعوته [illegible] سعود ووجد من أمراء محمد
بن سعود [illegible] رجال الدولة ورجال الدين وأصبحت

الدعوة دعوة [illegible] على [illegible]
[illegible] نجدى

و[illegible] الوهابية في شبه الجزيرة [illegible] وحسن [illegible]
[illegible] حتى دانت لهم مكة والمدينة [illegible] الحرمين [illegible]
وشعرت الخلافة [illegible] الإسلامى وقد
كان من ألقاب الخليفة لقب « حامى الحرمين » .

وقامت الخلافة [illegible] في شعب [illegible]
[illegible] الحرمين
[illegible] والكفر [illegible]
[illegible] الخلافة [illegible] على
الذى [illegible]
و[illegible]
حاضرتهم وانكمشت الوهابية في قلب نجد وتأخر قيام [illegible]
[illegible]
[illegible] في نجد و[illegible]

و[illegible] الإسلامى [illegible]
و[illegible] الخاصة في الإصلاح الدينى والسياسى وكان موسم الحج
[illegible] من أقطار العالم الإسلامى تحملها طوائف الحجيج والدعاة
الذين عادوا إلى بلادهم بعد أداء الفريضة والزيارة .

[illegible] في نجد دعوة [illegible]
في [illegible] وكان [illegible] ١٨٢٢ [illegible] الدعوة [illegible]
وقام [illegible] على [illegible]
[illegible] الحكومة الانجليزية [illegible] فأعلنت عليهم
حربا لا هوادة فيها حتى استطاعت اخضاع دعاتها .

وفي زمن قصير [illegible] عدة كبيرة من [illegible] الوهابية فحاربت البدع والتضرع إلى الأولياء وزيارة القبور والتمسح بالأضرحة والمشاهد

وفي [illegible] شوكة هذه الأمة [illegible] على [illegible] في دعوته وحميته وتشيع له في شتى الأمصار [illegible]

وقد تأثرت السنوسية بروح الوهابية وإن غيرت بطريقتها الخفية في الدعوة والانتشار [illegible] في [illegible] وكان [illegible] السنوسية في شمال إفريقيا [illegible] الوهابية في [illegible] الروح الإسلامي الصحيح والتجديد للعقيدة الإسلامية [illegible] في بلاد الإسلام

وقد ولد السيد محمد بن علي السنوسي [illegible] السنوسية ومؤسسها [illegible] وقام بمكة [illegible] سنة ١٨٤١ [illegible] السودان ومصر [illegible] ٣ [illegible] السكون [illegible] السنوسية [illegible] الصحراوية [illegible] والسودان [illegible] الإسلام [illegible] في تلك البلاد بين الوثنيين من الزنوج وغيرهم .

وقد [illegible] السنوسية [illegible] وكانت [illegible] في [illegible] وكانت [illegible] مدارس [illegible] ومجالس [illegible] وكانت [illegible] في [illegible] من الزوايا وكانت الزاوية [illegible] السنوسية في شمال إفريقيا [illegible] وقد أقيمت الزوايا الأخرى على البحر كل منها على مسيرة [illegible] من الأخرى وعلى [illegible] في الصحراء [illegible] الأعمدة [illegible] السيد السنوسي [illegible] الأوربية في بلاد [illegible] النهاية وما ينتظر هذه الزوايا من جهاد الغير وقتال العاصي .

هذه هي حركة الأحياء الديني في المشرق الإسلامي في القرن الثامن عشر، وهي حركة قامت بمعنى مذهب ديني و رجوع بالإسلام إلى روحه الأصلية وبساطته الأولى وتجديد للعصر وكانت تقوم على نشر رايات الدين وفتح باب الاجتهاد وكانت تعمل في أسواقها كما وصل إليه الإسلام من ركود وتأخر وانحطاط، وكانت حركة عميقة كانت بواعثها ومعالمها في المشرق الإسلامي وكانت [illegible] ومصلحيها في المغرب الإسلامي.

وكانت حركة الأحياء الديني في القرن الثامن عشر هي تمهيد للنهضة الإسلامية الرائعة في القرن التاسع عشر. وتمثلت النهضة الإسلامية في ناحيتين: نهضة دينية ونهضة دنيوية. وقد مثل النهضة الدينية خير تمثيل [illegible] الإسلام وفيلسوفه [illegible] السيد جمال الدين الأفغاني. ولد في الأفغان من أسرة شريفة ينتسب إلى الحسين بن علي وسافر وساح في أقطار العالم الإسلامي من الهند إلى الأستانة وحج إلى الحرمين [illegible] مدارس [illegible] في الدين والفلسفة والتصوف [illegible] في أحداث [illegible] وعمل على [illegible] في الهند وفي مصر فكان [illegible] في كل بلاد الإسلام وكان من مريديه وتلاميذه محمد عبده [illegible] [illegible] هؤلاء [illegible] في النهضة المصرية الحديثة دينية ودنيوية.

وقد [illegible] القرن التاسع عشر [illegible] وكان [illegible] من آثار [illegible] في المشرق وما [illegible] الغرب على المشرق من تفوق [illegible] الشرق [illegible] لا يستطيع [illegible] الإسلامية في التفوق والقوة والحروب. فإذا كانت حركة [illegible] الديني قد [illegible] روح الإسلام [illegible] وشيوع البدع [illegible] وإذا كانت [illegible] والإصلاح الديني لا يكون غايته [illegible] فإن الأخذ من العلم الأوربي والحضارة الغربية [illegible] أن يكون [illegible] كل مصلح في الشرق [illegible] حركة الإصلاح الديني مشوبة بدعوة الإصلاح المدني والدنيوي [illegible]

الدعائم قامت اليقظة الإسلامية وكان دعاتها دعاة دين ودعاة دنيا وكان تطور حركة الإحياء الديني إلى حركة إصلاح ديني ودنيوي ، وكان دعاة اليقظة الإسلامية في القرن التاسع عشر رجال دين ودنيا .

الجامعة الإسلامية

وكانت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية أول نتيجة طبيعية لليقظة الإسلامية تلك اليقظة التي كانت رجع الصدى لحركة الإحياء الديني التي قام بها محمد بن عبد الوهاب وحمله مريدوه وأتباعه إلى كل صقع من أصقاع العالم الإسلامي كما كانت أثرا من [illegible] الغرب وتفوق حضارته .

وجدت حركة الإحياء [illegible] في العالم الإسلامي من شرق وشمال وجنوب [illegible] فهي تدعو في [illegible] الإصلاح [illegible] فهي تدعو في [illegible] .

وقد عرف مدى استجابة العالم الإسلامي لتعاليم الوهابية وانتشار [illegible] السنوسية في كل صقع من أصقاع [illegible] في تلك [illegible] كل من [illegible] على [illegible] إلى جوهر كل [illegible] إلى جوهر الإسلام [illegible] الإسلام [illegible] الدين والدولة [illegible] في [illegible] أو [illegible] أو خلافة أو [illegible] على نظام معين من الحكم في الإسلام [illegible] الخلافة [illegible] ([illegible]) [illegible] طبيعية [illegible] الدولة الإسلامية [illegible] إلى [illegible] والارتباط [illegible] الدعوة ودفع حركة [illegible] الإسلامي [illegible] ثم [illegible] للدولة الإسلامية الكبرى تطلعها [illegible] وترتبطها في نطاقها العام .

ولكن الإسلام [illegible] معنى في الحكم أوسع على دعامة [illegible] والأخلاق
الأساسية من [illegible] حكومة [illegible] تكون [illegible] حكومة إسلامية
[illegible] صاحب الحكم في الدولة ومقومها العامة [illegible] هو [illegible]
وأسس الوحدانية والعبادة [illegible] في [illegible]
[illegible] وحقوق الفرد [illegible] الفرد [illegible]
[illegible] التطور والأقسام
اللذين [illegible] صاحب الدولة [illegible] ([illegible]) في [illegible]
[illegible] الشورى و شريعة [illegible]
[illegible] العرف [illegible]
على أسس [illegible]
التطور وحاجات الدولة وبين مناهج الشريعة [illegible]

فالإسلام [illegible]
[illegible] صاحب الحكم [illegible] المحكوم [illegible]
[illegible] الدولة [illegible]
[illegible]
في حكمهم [illegible] في حدود [illegible]
[illegible] الإسلامي [illegible] الخلافة الإسلامية [illegible]
الدين والدولة رباط و بقي فصلا عما يشعر به المسلم حيال المسلم أيا كان وطنهما من
أخوة وتعاون [illegible] المجتمع الإسلامي [illegible]
[illegible] الدولة [illegible]
[illegible] ١٩٥٢
وكانت دعوة [illegible] في [illegible] الدولة في [illegible]
[illegible] الإسلامي [illegible] محمد [illegible] دعوة [illegible]
[illegible] الإسلامي

ولقد [illegible] حركة [illegible]

وظهور [illegible] في [illegible] من الأقطار [illegible] في البلاد الإسلامية [illegible] أعقاب
الانحلال [illegible] [illegible] ومن هذا النوع كان جهود [illegible] أحمد خان في
الهند الإسلامية ومحمد عبده في مصر وجهود مدحت باشا الدستورية في تركيا وخير
الدين [illegible] في تونس. وكانت كلها اتجاهات تقوم على تفكير واضح
[illegible] [illegible] في الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] إلى الأخذ بأسباب
الحضارة والنهوض الغربي في الحكم والتعليم والعمران.

وقد كانت هذه الاتجاهات الإصلاحية القومية تنبع من روح الشرق العامة بقدر
ما كانت تنبع من روح الوطن، وكانت [illegible] [illegible] وضوح [illegible] القومية في الشرق
الأوسط [illegible] جهود السيد أحمد خان جهوداً قومية [illegible] [illegible] النهوض
[illegible] الوطني [illegible] وكان محمد عبده [illegible] [illegible] [illegible] في الإصلاح
والتجديد. وكان مدحت باشا يحس إحساساً عميقاً بحاجة الدولة [illegible] إلى [illegible]
[illegible] الحكم، [illegible] الدستوري [illegible] يعبر تعبيراً صادقاً عن نواحي
الإصلاح في الدولة [illegible] [illegible] وهو منصب الصدر الأعظم. وعلى غرار
[illegible] مدحت الدستوري كان جهود [illegible] [illegible] وهو من [illegible]
في [illegible] إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي وعلى هدى هذه [illegible]
[illegible] [illegible] في تونس، فهو [illegible] إصلاحاً [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] للنهوض والارتقاء، وإصلاحات سياسة تونس الخارجية [illegible] الأطماع الأوربية
[illegible] الاقتصادية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] من [illegible] في
[illegible] الدول الأوربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وكانت هذه الاتجاهات القومية [illegible] في الإصلاح [illegible] [illegible] عن التطور
القومي في البلاد الإسلامية [illegible] في [illegible] الشرق الأوسط [illegible] ، وظل هذا
التطور حتى [illegible] [illegible] محافظاً على روح الإسلامي [illegible] من حيث [illegible]
[illegible] [illegible] في مجموعة الإسلامية الكبرى ، وهو [illegible] ملامح الدعوة
[illegible] الإسلامية ، و [illegible] [illegible] ، في [illegible] دعوة الجامعة الإسلامية على تلك
النزعات القومية التي بدأت تجور في أعماق العالم الإسلامي وشعوبه [illegible] [illegible] من

حدتهم ، وإن كانت تسير معها وتؤلفها حتى إذا قويت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية حتى الميدان لظهور النزعات القومية وخاصتها عروبة ، فقد سارتا تشدان عزيمة وحدة وتعملان على التحرر من قبضة الغرب وسيطرة الاستعمار والقضاء على الاستبداد الحكومي وقيام أنظمة رشيدة عادلة للحكم والإدارة وبسط معالم الإصلاح في كافة دروبه سواء كان إصلاحا دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا أو خلقيا أو فكريا .

كانت الجامعة الإسلامية عند الأفغاني ومن بعده وإن كثر تسميته بالدعوة إليها عن تعاليمه في الإصلاح والتقدم فكانت عقائده ومعونته عالمية على ومعونات بحث وما من حركة حتى إنها لا تزال تترك من آثار عن رسالة ما أسسه جمال الدين في دعوته الوطنية والقومية والإصلاح السياسي والاجتماعي ، وقد عاصر الأفغاني دعوة الجامعة الإسلامية ونمو الوعي القومي في الشعوب فكان أكبر مسعد في رجع نداء النهضة الإسلامية الحديثة وما تستمد من مؤلفات الدعوة إلى الجامعة الإسلامية إلى أن تقوم في الشرق أمم ناهضة قوية تستمد قوتها من مقوماتها القومية ، ويحتفظ في ظل الوحدة الإسلامية بصفاتها ، وتقوم بتعميم ثقافة العرب وحفظ هويته ولغته ومقوماته وتعوق في هذا الشأن « ولا أتمنى أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصا واحدا فإن هذا ربما يكون صعبا ، ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فإن حياته بحياتهم وبقاءه ببقائهم » .

وكان هدف الأفغاني في مصر هو هدفه في فارس كما هو هدفه في الهند وفي تركيا لا يرهب في سبيله قوة غاصب وسلطان مستعمر أو عسف مستبد ، ففي مصر كما يقول أحمد أمين بك في كتابه « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » — لا يريد في درسه الخاص إلا وسع عقول الطلبة ، ونسج آفاق جديدة في فهم العلم وتعميم الحرية في البحث ، وتعويد شخصيتهم على أن تكون لهم ثقة بحث ونقد وحكم خالفت الناس أو وافقته ، خالفت المعروف المألوف أو وافقته .

ويريد في درسه العام أن يتحرر الشعب من العبودية للحكام ، ويفهموا موقفهم

من [illegible] ، وموقف [illegible] كل حرف حدوده و [illegible] و [illegible] يقول :
[illegible] في [illegible] أن يقسم شعب [illegible] في [illegible] فهم ذلك — وهذا [illegible]
[illegible]
[illegible] ، [illegible] ، وأحرص [illegible]
حرصه على [illegible] ، فاستقر وثبت ، و [illegible] سلطة ما أن تلغيه أو تهمله » .

وقد [illegible] الأفغاني [illegible] في [illegible] الأولى
في الثورة العرابية . وفي فارس التف حوله دعاة الإصلاح [illegible] هو ومن التف حوله
[illegible] الحكم
[illegible] من
[illegible] من المطالبين بالدستور على اغتيال
الشاه عام ١٨٩٦ قبل وفاة الأفغاني بعام واحد ، واضطر خليفته أن ينزل على إرادة
[illegible] ١٩٠٦

[illegible] وتلاميذهم ، حتى
[illegible] ١٩٠٨ في
[illegible] ثم خلعوا السلطان عبد الحميد [illegible]

[illegible] الأفغاني [illegible] في [illegible] الشرق الأوسط
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible]
[illegible]
الإصلاح [illegible] أن تتناول هذه النواحي جميعا [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] الأوربي واحتياجه للادها

وقد [illegible] الإسلامية [illegible] من حركة [illegible]
الإسلامية في [illegible] حركة [illegible] حركة إصلاح [illegible]

كان للسيد جمال الدين الأفغاني [illegible] فهو الذي [illegible] [illegible] و[illegible] على [illegible] [illegible] في [illegible] من روح [illegible] [illegible] الشرق الإسلامي [illegible] من [illegible] البلاد الإسلامية وإصلاح حالها .

وقد لخص [illegible] [illegible] الإسلامي [illegible] الأفغاني [illegible] « [illegible] الذي [illegible] في [illegible] الشرق [illegible] في الصدور كما كانت في [illegible] [illegible] كانت في [illegible] على [illegible] للإصلاح والنهضة »

« [illegible] على [illegible] الإسلامي [illegible] ويستطيع الذود عن كيانه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالكشف [illegible] على عوامل [illegible] »

ونرى في هذا أن هناك عاملا جديدا [illegible] الأفغاني [illegible] الإصلاحي [illegible] وإن كان كل منهما دعوة [illegible] [illegible] في [illegible] على [illegible] الإسلامي [illegible] أطلت [illegible] اتجهت إليه [illegible] .

وكان هذا [illegible] في الشرق الإسلامي [illegible] الذي [illegible] روح [illegible] في [illegible] الشرق [illegible] عاجز عن رد العدوان الأوربي

وكانت حركة الأفغاني حركة [illegible] [illegible] بالشرق [illegible] [illegible] معنى الإصلاح الاجتماعي و[illegible] [illegible] والشورى [illegible] والوحدة [illegible] في [illegible] الإسلامي

وكان هدف الإصلاح في حركة الأفغاني رغم نقصه وعدم تكوينه وما أخذ عليه من شجاعته لعب دوراً هاماً في تكوين عهد نشطت فيه حركة المصلحين المسلمين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أمثال محمد عبده في مصر والسيد أحمد خان في الهند .

وإذا كانت دعوة ابن عبد الوهاب هي الشرارة الأولى التي أذكت لهيب النهضة الإسلامية فإن دعوة الأفغاني للوحدة الإسلامية كانت بداية الدعوة للجامعة الإسلامية التي رعاها السلطان عبد الحميد ، وكان الأفغاني [illegible] قائدها وداعيها .

وكانت الجامعة الإسلامية عقيدة ومثلا لدى الأفغاني وكانت وسيلة لتوطيد زعامة سياسية لدى السلطان عبد الحميد ، ولا شك أن هدف الرجلين حول الفكرة كان وما عقدوه من أمل أو رجاء

وليست الجامعة الإسلامية فكرة خاصة أو دعوة فردية وإن اختلف في أهدافها أصحاب الرأي فقد كان السلطان عبد الحميد يحب أن يجمع العالم الإسلامي حول زعامته حتى يجابه الغرب الأوروبي الطامع في أملاكه بقوة تسنده وتدعم نفوذه ، وكان جمال الدين الأفغاني يؤمن [illegible] بضرورة [illegible] الوحدة الإسلامية الكبرى إذا [illegible] لها [illegible] [illegible] سياسة رشيدة قوية ، وإذا كانت فكرة الجامعة الإسلامية صدى قوياً للنهضة الإسلامية في القرن التاسع عشر كما كانت ثمرة الأحداث السياسية في الشرق الإسلامي والأطماع الأوروبية التي كانت تنهشه من كل جانب وخضوع بعض بلاد الإسلام لنفوذ أوروبا المسيحية واشتداد الضغط الأوروبي على الدولة العثمانية .

وكان لها جانبان جانب سياسي وآخر اجتماعي أما الجانب السياسي فكان هدفه مقاومة الأطماع الأوروبية في الشرق الإسلامي والقضاء عليها والتخلص منها ، ولا سبيل إلى ذلك غير تكتل البلاد الإسلامية في سبيل هذا الهدف المشترك وإحياء الوحدة الإسلامية الكبرى التي تتمثل فيها الروح الإسلامي العام والمبادئ الإسلامية الخالدة ، فالمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، والمسلمون إخوة أينما كانوا ومازال الحج مؤتمراً سنوياً يجتمع فيه المسلمون حول مشارق النبوة في مكة والمدينة وفي

ساحة المحكمة الشرعية يتعارفون ويبث بعضهم بعضاً آمالهم وآلامهم ويجددون العهد لله ويتوثق لخير الإسلام والمسلمين وكانت الخلافة حكماً خاصاً له مظهره الديني وسلطانه الروحي حتى عد الأوربيون الخليفة كالبابا في روما ، كما كان له سلطانه الرسمي على الأمم الإسلامية التي تخضع للخلافة .

وكان هدف دعاة الجامعة الإسلامية وعلى رأسهم رائدها الأكبر السيد جمال الدين الأفغاني هو جمع المسلمين في كافة بقاع العالم الإسلامي حول سلطان الخلافة الروحي حتى الذين لم يكونوا من الشيعة الذين لا يعترفون بالخلافة في غير السلالة الطاهرة من أولاد علي فهم الأئمة وخلفاء الله في الأرض . وقد عمل دعاة الجامعة الإسلامية على جعل شيعة فارس والعراق وأتباعهم لا يستغلونه في الخلاف على الأعراق والمذاهب الخاصة ، والحجة عندهم لتبدو وحدة العالم الإسلامي قوية غير متفككة .

وقد تحمس السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الإسلامية ، واجتهد في سبيل تعميمها حتى تبدو أمام الدول الأوربية بمظهر الجبهة القوية التي تجمع حول زعامته طوائف المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي حتى في البلاد التي لا تخضع لسيادته كالهند والصين .

أما الجانب الاجتماعي في فكرة الجامعة الإسلامية فيبدو واضحاً في إحياء تعاليم الإسلام الحقة والإقبال على العلم الأوربي والإفادة من الحضارة الغربية مع الاحتفاظ بروح الشرق الخالدة . وفي هذا الجانب تلتقي دعوة المصلحين الأحرار ودعاة الجامعة الإسلامية كما تلاقت من قبل في مقاومة النفوذ الغربي وسيطرته في بلاد العالم الإسلامي .

ولم تنجح فكرة الجامعة الإسلامية النجاح الذي كان يرجوه دعاتها وأنصارها وإن بعثت في إثارة القلق الأوربي من دعوتها وإمكان تحقيقها ، وإن ظلت روح الإسلامية الجامعة قوية بين المسلمين في وقت ما كما كانت في أزهى عصورها وقوة دعاة الإسلام الحديثة ، فلم تكن شخصية السلطان عبد الحميد الداهية المستبد بالشخصية التي يمكن أن يلتف حولها الأحرار من المسلمين ، وكانت مقاومته

للأحرار وبطشه بهم وتعطيل الدستور قد عرقل مساعي دعاة الإصلاح في العالم العثماني .

ولم تشتبك تركيا منذ سنة ١٨٧٨ حتى سنة ١٩١١ في حرب مع أي دولة من دول أوربا فنتيجة ذلك أن خفت معها دعوة الجامعة الإسلامية في أواخر عهد عبد الحميد . كما أن خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ قد أوقف دعوة الجامعة الإسلامية [illegible] حادثة في [illegible] مع الحرب الأوربية [illegible] على فكرة الجامعة الإسلامية [illegible] روحها جميع المسلمين في [illegible] الإسلامي [illegible] واحدة وهدف مشترك وهي [illegible] من عناصر القوة والانتشار الإسلامي في العالم [illegible] كجهاد المسلمين في طرابلس الغرب لإنقاذها واستيلائها على البلاد [illegible] شبان الأتراك في الشجاعة والقوة والبأس والثبات من جانب العرب والترك في مقاومة الغزو الإيطالي كان له في مقاومة العالم الإسلامي للأوربيين في الحرب [illegible] سنة ١٩١٢ تلك الحرب التي واجهت فيها [illegible] من الدول [illegible] الحرب [illegible] في [illegible] صلبة [illegible]

[illegible] الجامعة الإسلامية والنفاق [illegible] حول الخليفة ذات مظاهر مختلفة في بلاد الإسلام بعد [illegible] المسلمين في البلاد التي تخضع للنفوذ الأجنبي كالهند ومصر [illegible] في [illegible] العثماني [illegible] الأخرى كبلاد العرب والشام [illegible] من [illegible] واستبداد [illegible] وجور السلطان [illegible] ، وكان سقوط الخلافة في [illegible] الحرب [illegible] أقوى [illegible] عميقاً بين المسلمين في الهند وأفغانستان ومصر [illegible] المسلمون في تلك البلاد [illegible] بل دفع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] المسلمين في الهند ومصر [illegible] على ما قام به الكماليون في تركيا من إلغاء الخلافة [illegible] على الخلافة [illegible] حسين وأولاده في مكة [illegible] حركة الوهابيين والأحرار في [illegible] ووجد الملك حسين في [illegible] الخلافة [illegible] الخلافة [illegible]

فلم يعن ذلك أن الوطنيين في سوريا والعراق قد وجدوا في [illegible] الفرصة [illegible]
للتحرر وتحقيق آمالهم القومية .

ولم يكن عدد الناس في الخارج على الخلافة [illegible] أوسع [illegible] كان عطف
الأمم الإسلامية [illegible] . فإن الأمم التي خضعت للاستعمار كالهند ومصر قد آلمها سقوط
الخلافة [illegible] التي [illegible] على [illegible] من ربقة
الاستعمار من ناحية ، ومن ناحية [illegible] التي تستعمر بلادهم [illegible]
[illegible] في استمرار الدولة العثمانية [illegible] في الحرب [illegible] الأمم التي [illegible]
[illegible] كالعراق والشام والحجاز . فقد [illegible]
[illegible] سقوط الخلافة [illegible] الوطنيين في
[illegible] الشريف حسين في ثورة [illegible]
[illegible] بلاد العرب [illegible] .

وقضى سقوط الخلافة على فكرة الجامعة الإسلامية العامة فقد كانت الخلافة آخر
مظهر [illegible] الأمم الإسلامية ، وإن كانت [illegible] الجامعة الإسلامية [illegible]
[illegible] الجامعة
الاتحاد والترقي [illegible] الجامعة الطورانية [illegible]
[illegible] الثورة [illegible] على [illegible]
[illegible] فكرة الجامعة [illegible]
[illegible] العرب من [illegible]
في [illegible] جمعية الاتحاد والترقي [illegible] القومي [illegible]
واشتداده قد [illegible] في [illegible] فكرة الجامعة الإسلامية [illegible]
إليها ولا سيما بعد أن لمس العرب بأنفسهم نمو النعرة التركية واشتدادها كما بدت
في [illegible] جمعية الاتحاد والترقي أو كما بدت في الدعوة إلى الجامعة الطورانية
التي [illegible] إلى وحدة [illegible] من الأصل [illegible]
[illegible] الخلاف بين الترك والعرب واشتدت [illegible] القومية
العربية [illegible] العرب [illegible] للدولة [illegible] كما شملت الشعوب الإسلامية التي [illegible]

للاستعمار بمقاومته [illegible] وكانت الشعوب قد [illegible] وأخذت فى الخلاص من [illegible] تفكر فى الوحدة الإسلامية أو الدعوة إلى الجامعة الإسلامية .

محمد على والبعث القومى :

وقد كان لنا أن نذكر فى هذا الصدد دعوة [illegible] التى نادى بها محمد بن عبد الوهاب فى نجد [illegible] [illegible] وكانت [illegible] أوروبى [illegible] الجامعة الإسلامية ، فلا بد من جهود عاهل جاء بعده فقتل وعاصر [illegible] حركة [illegible] محمد بن عبد الوهاب [illegible] هذا العاهل الذى [illegible] . وكان هذا العاهل هو محمد على الذى قضى على حركة الوهابيين ولكنه لم يقض على دعوتهم فقد [illegible] مرة أخرى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وبسطت سلطانها عليها

وقد ارتبط ظهور محمد على بأحداث كان لها أكبر الأثر فى مستقبل الدولة العثمانية عامة ومصر والبلاد العربية خاصة [illegible] على مصر [illegible] الدولة العثمانية [illegible] شرقية وظهرت لأول مرة تفوق الحضارة الأوربية تفوقا بدا الشرق أمامه عاجزا مذهولا ، وأدت فى النهاية إلى ظهور تلك الشخصية الباهرة التى كان لها أكبر الأثر فى [illegible] التاريخ المصرى ، [illegible] الأولى فى [illegible] الحديث فى مصر وفى البلاد العربية التى حكمها [illegible] فى مصر قد [illegible] فى البلاد الأخرى التى حكمها [illegible] محمد على [illegible] المصرى من قوى كامنة وما فى مصر ذاتها من مقومات [illegible] [illegible] القوى فى النهوض والارتقاء [illegible] فى مصر [illegible]

وشيد دولة ثبتت بحكمه وحكم أسرته من بعده ما كشف عن هذه القوى الكبيرة في الشخصية المصرية وعمل على دفعها خطوة إلى الأمام وهو الهدف الذي ينشده [illegible] بالإصلاح الحديث قوة على التوجيه الخاص وعلى كاهل أسرته بعد مصر [illegible] من توجيه خليفة وسلطان الدولة العثمانية وسار بالدولة التي أقامها في مصر في اتجاه قومي عمل أكثر من [illegible] التي تتصف بالدولة القومية الحديثة في أوربا ثم [illegible] الظروف إلى الامتداد والتوسع خارج حدودها وفي نفس [illegible] وقد استطاعت [illegible] على مساحات واسعة من الأراضي [illegible] على [illegible] الأخرى فشعوبها [illegible] واحدة في الأمة العربية [illegible] وحدة [illegible] كانت [illegible] من [illegible] لولا [illegible] ثم [illegible] في مصر [illegible] في [illegible] هذه [illegible] من [illegible] السودان [illegible]

[illegible] في هذه [illegible] الأقصى [illegible] الإمبراطورية [illegible] مستقلة [illegible] من [illegible] الباب العالي وإن اعترفت بسيادة الخليفة الدينية [illegible] ما كان [illegible] على [illegible] أو [illegible] على وحدة الجنس واللغة والدين [illegible] من الأهداف [illegible] أن يكون عملاً في [illegible] من عوامل [illegible] الاقتصادية [illegible] كل منها [illegible] الأخرى [illegible] في حدود [illegible] أكثر [illegible] وكانت [illegible]

وكان محمد علي يدرك إدراكاً صحيحاً عجز الخلافة العثمانية عن المحافظة على التراث العثماني [illegible] دولة الإسلام [illegible] وسلطان [illegible] في [illegible] الإسلام [illegible] فكان [illegible] عجز الدولة [illegible] عن [illegible] أطماع الأوربيين [illegible] من كل [illegible] أن [illegible] في [illegible] لو [illegible] الدول الأوربية [illegible] على [illegible] له أن [illegible] الإمبراطورية [illegible] في مصر [illegible] أن [illegible] الدول الأوروبية [illegible] الإسلام في تلك البقعة من الأرض

ولم يكن محمد على يصدر فى تلك الاتجاهات عن وعى بالقومية العربية بل كان يصدر عن طموح شخصى فى أن يكون له ما أسسه [illegible] من بعده كما كان يصدر عن هذا الطموح الشخصى عندما دفع بالقوى الكامنة فى أرض مصر وفى شعبها إلى تحقيق أهداف هذا الطموح ولكن لا ريب فى أن الطريق الذى خطه محمد على كان عودا حميدا إلى خلق نوع الوعى القومى فى تلك البلاد فقد كان من اعتماده على سواعد أتباعه من الأمراء والأسس من الاعتماد على نوايا العرب ومصر [illegible] وكان [illegible] إيجاد قوى من أبيه فقد عمر العرب عن قرب فى تلك السنوات التى احتك بهم خلالها وهو يقود جيوش [illegible] المظفرة فى وهاد جزيرة العربية وفى مجاهل السودان وبطاح الشام وربوعه ، وعرف مداهم من [illegible] وفى هذا يقول جورج أنطونيوس فى كتابه يقظة العرب « لقد حرك العرب خياله وأيقظوا اهتمامه بهم حتى بات يعتقد أن الأسس التى ترتكز عليها المملكة التى يحلم بها [illegible] تقوم فى الأصل على بعث العرب بعثا قوميا » .

ويفسر جورج أنطونيوس هذا الاختلاف بين [illegible] ووالده إلى الفرق بينهما « فى الفكر والمزاج فإن عبقرية محمد على على حد قول أحد معاصريه ، كانت من النوع الذى يخلق الممالك بينما كان ابراهيم يتحلى بالحكمة التى تحفظ تلك الممالك »

وكانت جهود ابراهيم فى تلك السنوات [illegible] فى حكمه فى الشام كما كانت جهود أبيه فى مصر رغم صدورها عن طموح شخصى لأنها وضعت البذور الأولى للوعى القومى فى تلك البلاد [illegible] ذلك الوعى القومى الذى ظهر فى مصر واضحا [illegible] فى حركة التوسع فى أفريقيا عهد اسماعيل وفى ثورة عرابى فى عهد توفيق كما ظهر فى البلاد العربية فى [illegible] الشريف حسين فى الحجاز وحض شعوبها فى البلاد العربية الأخرى لتتصل بدعاة القومية والحرية فى الشام والعراق

ولا نستطيع أن نقول أن فكرة الدولة القومية كما نعرفها [illegible] لم تكن أن تقوم [illegible] أو الدولة العربية الموحدة [illegible] على عناصر كثيرة من

من مقومات الدولة القومية إلا أن فروق [illegible] و[illegible] و[illegible] فضلا عن الفروق الجغرافية الواضحة لا تمكن هذه الدولة من [illegible] و[illegible] في [illegible] من [illegible] أولئك [illegible] عناصر القومية [illegible] في [illegible] من وحدة الوطن ووحدة الأهداف والمصالح و[illegible] مجموع أفرادها في نظام من العدل والتساوي [illegible] الحكام والمحكومين و[illegible] الحقوق و[illegible] كل منهما .

ولكن هذه [illegible] في [illegible] محمد علي [illegible] سيرا صالحا نحو آمال العرب وشعورهم [illegible] على العناصر التركية الدخيلة وإن بقي الشعور بالرابطة الإسلامية العامة وبالولاء الإسلامي للخلافة [illegible] على كل شعور [illegible] في ثورة [illegible] الذي [illegible] يكشف من [illegible] في أخريات القرن [illegible] إلا في [illegible] من [illegible] ونوع من المساواة في الحكم ووظائف الدولة [illegible] كما كانوا [illegible] إلى إصلاح أداة الحكم العثماني على أساس دستوري يرعى حقوق الشعوب [illegible] في [illegible] الإصلاح [illegible] في [illegible]

ولم يكن شعور العرب [illegible] على [illegible] من الدولة [illegible] والخروج على [illegible] كل [illegible] على [illegible] في [illegible] في [illegible] في [illegible] الاستقلال وجعلها أقل شعورا بوطأة الحكم [illegible] على [illegible] في [illegible] سلطان [illegible] نطاق الخلافة [illegible] في [illegible] ولاسيما في [illegible] النظم الحديثة [illegible] في [illegible] نصري لم تستمر [illegible] في [illegible]

لقد فتح محمد علي بولايته على وادي النيل وحكمه لقسم في بلاد العرب والشام فصلا جديدا في تاريخ الشرق العربي ومن الإنصاف أن نشيد بجهود هذا الرجل وما ترتب عليها من آثار حتى يلعب دوره على مسرح الحوادث في تلك الفترة وما حدث في تلك البلاد وإن كانت أهدافه [illegible] الواضحة وطموحه الشخصي [illegible] الخطوط [illegible] لجهوده [illegible] وإن كانت هذه الجهود [illegible] في تجربات حكمه وفي حكم [illegible] وأصبحت [illegible] الإصلاح المادي في مصر وفي البلاد [illegible] وكانت أوضح [illegible] في [illegible] ولاتجاه نحو [illegible] وحضارته .

وكان [illegible] في حكمه [illegible] أبو [illegible] شديدة [illegible] كان [illegible] في السير بجهوده لتحقيق تلك الأهداف الرائعة التي رسم [illegible] الوثاب فلم يكن في سلطانه التركية أو في أهل البلاد نفسها من يستطيع أن يصطلح بالصبر [illegible] على [illegible] ما كفاء الرجال عنصرا تهذيبه ودراسته إليهم ، كما أن هذه الفترة التي عاصرها محمد علي من [illegible] كانت [illegible] ومن [illegible] عظمة الشعوب [illegible] هؤلاء [illegible] هذا [illegible] حتى [illegible] لم يكن [illegible] إلا رجالا من [illegible] الممالك [illegible] ، وليس من الإنصاف أن نحمل على محمد علي دون رجال عصره [illegible] الأوتوقراطية [illegible] وتبني مناهج الإصلاح والتقدم .

ولما كان حكم محمد علي في مصر أول [illegible] في البلاد [illegible] وقضى على [illegible] الأمن والاستقرار في البلاد وأقام [illegible] من [illegible] أنه قام [illegible] الحاجة والضرورة لتحقيق [illegible] أو [illegible] وإن [illegible] في [illegible]

وفي هذا تطوير من الحكم الذي عرف في كثير من نواحيه بما سار عليه الولاة العثمانيون في الحكم من قبل وبما كان عليه الحكم في [illegible] السلطنة العثمانية ذاتها ، بعدم شعور أهل البلاد بذاتيتهم وبعث [illegible] وما [illegible] بالقومية [illegible] إلى [illegible] كانت عندها أكثر [illegible] الذي وضع محمد علي بذوره الأولى .

وجاء بعث قومي [illegible] للنظام التعليمي الذي أوجده محمد علي في مصر وأقام إبراهيم [illegible] في بلاد الشام ، فقد كان التعليم [illegible] محمد علي يقوم على دراسة علوم الدين [illegible] في [illegible] من [illegible] و [illegible] حتى جاء محمد علي فأخرج التعليم من [illegible] الديني ونظمه التي سار عليها والناس الذين يهتمون به أو يعكفون عليه ووجه جهوده إلى ميدان آخر لا يعنى هذا المحيط الحافظ أو [illegible] . وأقام مدارس التعليم الحديث [illegible] من [illegible] الأجنبية [illegible] لبناء الدولة ، وأرسل البعوث إلى أوروبا [illegible] وكان هؤلاء [illegible] الحركة [illegible] .

واهتم محمد علي بالطباعة ونشر الكتب فأنشأ مطبعة بولاق عام ١٨٢٢ وهي نواة المطبعة الأميرية الحالية كما أنشأ جريدة الوقائع ، وقد ساعدت الطباعة على تداول الكتب ونشرها [illegible] لعام [illegible] في [illegible] قومي [illegible] حركة فكرية في مصر

ولم يكن للنظام التعليمي الذي أقامه إبراهيم في [illegible] على غرار ما أقامه أبوه في مصر من الأثر ما كان لنظيره في مصر فإن قصر [illegible] المصري قائمًا في بلاد الشام قد حال دون ذلك . ولكن هذا النظام التعليمي [illegible] البلاد كما يقول مؤلف [illegible] العرب [illegible] أهل البلاد [illegible] [illegible] على [illegible] وحركت [illegible] صحب [illegible]

مدارس [illegible] ولكي يجنبوا أولادهم [illegible] للمدارس من الانخراط
في السلك العسكري الذي كانوا ينظرون إليه بنفور شديد. وقد ولد هذا العامل
[illegible] وفي الاهتمام [illegible] ولم تزده
الأيام بعد ذلك إلا قوة.

وكان لتقدم [illegible] المصري في الشام من الأثر في بعث الاهتمام الأهلي بالتعليم
وبقاء هذا الاهتمام قويا حتى بعد زوال الحكم المصري. فقد كان للحكم المصري السمح
في تلك البلاد من الأثر في نشاط الجمعيات التبشيرية الأوربية والأمريكية ما كان له
[illegible] في بعث [illegible] الجمعيات في ميدان التعليم [illegible]
[illegible] على أن [illegible] وكان [illegible] هذه الجمعيات ذات المذاهب
المتعددة كبير الأثر [illegible] وإن كان مطبوعا بالطابع الديني بين أهل
البلاد وخاصة المسيحيين كما أدى إلى بعث اللغة العربية ونوع من الوعي الفكري
[illegible] هؤلاء المبشرين جهود [illegible] في إدخال
[illegible] البلاد الشامية كان لها أثر في تقدم الأفكار [illegible]
[illegible] الأحقاد [illegible] التي انتشرت في تلك البلاد نتيجة لانعدام الصلات
الفكرية بين أهلها [illegible] الأدب في تقدم [illegible] العربية
[illegible] جهود [illegible] لذلك [illegible] جهود [illegible]
[illegible] البلاد من المسلمين [illegible] الاهتمام [illegible] التعليم [illegible] جهود
المبشرين جهودهم في هذه الناحية.

وقد ظهر [illegible] وبطرس البستاني [illegible] من تاريخ البلاد الشامية
وكان لجهودهم الأدبية والثقافية أعظم الأثر في [illegible] في
الأدب والثقافة [illegible] التعصب الديني [illegible] العرب
[illegible] في بعث [illegible] قومي [illegible] التي أسست
عام ١٨٥٧ من مسلمين ومسيحيين [illegible] وكانت أول جمعية من هذا
الطراز تجمع [illegible] الطوائف [illegible] فكانت أول ظاهرة للوعي القومي
المشترك [illegible] في شكل قصيدة [illegible] إبراهيم اليازجي

الى [illegible] على أبناء [illegible] و[illegible] من [illegible] من معاني التمرد والحرية والخروج على [illegible] ، وكانت [illegible] بين [illegible] ، و[illegible] الوعي القومي [illegible] الأولى في [illegible] و[illegible] كما [illegible] الوحدة العربية .

وهكذا وضع محمد علي [illegible] بعث قومي حدث في مصر والشام [illegible] العربية [illegible] حركة [illegible] من القومية [illegible] شعور [illegible] وقد كانت [illegible] بالصحراء و[illegible] وطأة الحكم [illegible] كما كان [illegible] على معظم [illegible] الذي [illegible] عشائرها و[illegible] المصري [illegible] الأولى [illegible] سلطانهم و[illegible] [illegible] الدولة [illegible] المنشئ أن يقود ثورة العرب [illegible] وصحاريها [illegible]

الحركات القومية الحديثة :

[illegible] الوعي و[illegible] على [illegible] حركة [illegible] العربية وشعور الأهالي بمظالم الحكم الذي [illegible] في [illegible] من [illegible] الأوربي الذي [illegible] كثير من [illegible] من ناحية أخرى

وقد [illegible] الأوربي [illegible] في [illegible] من [illegible] و[illegible] من [illegible] الفرنسيون تونس و[illegible] ومصر [illegible] الأوربي [illegible] الإسلامي [illegible] في عهد [illegible]

ويطارد الأحرار في كل مكان ويلقي بهم في غيابات السجون فتحول دعواتهم إلى دعوات سرية مهدت لمطلع الحركات القومية وطلائع الثورى [illegible]

أما فارس فلم يكن أحسن حالا من الدولة العثمانية فحكم الشاه لا يقل سوءا عن حكم السلطان ، وتصارع الدول الأوربية فيها لا يقل عن تصارعها في أملاكه وتعاني من وطأة الامتيازات الأجنبية ما تعانيه الدولة العثمانية . وبعدى هذه تسري حركات الأحرار والمصلحين ودعوتهم إلى الإصلاح ومطالبتهم بالدستور ما تعدى حركات الأحرار والمصلحين في أنحاء الدولة العثمانية . وتأثرت بدعوة الأفغاني وثورته الفكرية والسياسية كما تأثرت بلاد العالم الإسلامي التي امتدت إليها دعوة هذا المصلح الكبير

وسارت الحركات القومية في تلك البلاد متأثرة بهذه العوامل [illegible] ، باستبداد [illegible] ، والضغط الأوربي الذي [illegible] من ناحية ، وسوء الحكم وفساده واستبداده من ناحية أخرى

وتعرضت هذه الحركات القومية في بعض البلاد عنها في بعضها الآخر باختلاف قوة هذه العوامل [illegible] في بعض تلك البلاد التي خضعت للنفوذ الأجنبي قد تأثرت بشدة ضغطه وعنفه أكثر مما تأثرت بالحكم العثماني ، أما البلاد التي بقيت خاضعة للباب العالي فكان تأثرها بمساوىء حكمه أقوى من تأثرها بأي عامل آخر ، وبين هذين العاملين [illegible] آثار الوجهة الغربية تتراوح بين القوة والضعف في بعض البلاد عنها في البلاد الأخرى وتؤثر فيها بنسبة امتدادها إليها وقوتها فيها ، وكانت مصر وشعوب الشام أسبق البلاد تأثرا بامتداد هذه الوجهة الغربية التي وصلت إليها مبكرة قبل غيرها ، بينما لم تصل إلى العراق وفارس إلا بعد أن مرت في مصافي موسكو والآستانة وبومباي فعطفت على حيويتها وقللت من قوتها وأثرها ، ولم تكن الجماعات المتشبهة ذات أثر واضح إلا بين الأقليات المسيحية . وكان نشاط التجار والرحالة والمبشرين الأوربيين أقوى من غيره وأشد تأثيرا في تلك البلاد وكان هذا هو

المظهر الواضح لاستعداد الوحدة العربية لبلوغ ... ولكن لا يعوق في آثاره ما تركته هذه الموجة من آثار في مصر والشام .

ويبدو الاختلاف واضحاً بين قوة هذه العوامل بعضها إلى بعض وتأثر الحركات القومية بها من دراسة تطور الحركات القومية في كل بلد على حدة

١ - تركيا

تأثرت الحركة القومية في تركيا بعاملين قويين أولهما ذلك التركز الذي ألم بالدولة العثمانية وأخذ يتفشى في كل أجزائها ويضعفها فأخذ الجمود والتأخر ، وثانيهما ما وقع عليها من ضغط خارجي بدأ يسلبها وينتقص من أطرافها الممتدة ويتسرب إلى أجزائها الحربية ويقتطع منها ، وقد استطاعت تركيا أن تقاوم هذا الضغط الأوروبي عليها فترة قريبة من الزمان بسبب اختلاف الدول الأوروبية على اقتسامها وبعث دول الغرب بعضها ضد بعض حفاظاً على سلامتها غير أنها كانت تمكنه من بعض الانتصارات في ميادين القتال لحملها قادتها العسكرية الفذة ... وضعف نظمها وفقدت ... الأصيلة التي عرف بها الجندي التركي .

وقامت دعوة الإصلاح في الدولة وهي تتبع هذين العاملين وتتأثر بهما وكان هدفها إصلاح الإدارة العثمانية على أساس روح العصر وتطوره وربط أجزاء الدولة في رباط من الوحدة والمساواة حتى تقوى وتستطيع أن تصمد للضغط الخارجي الواقع عليها وتنظم كيانها الدولي العام في مجتمع الدول الكبرى واتخذت من المطالبة بالدستور وتحقيق الحكم النيابي مظهراً لدعوتها العامة .

ومن الصعب أن نفصل بين الحركة التي قامت في تركيا في عداد الحركات القومية فهي أقرب إلى الحركات الدستورية منها إلى الحركات القومية وإن كانت تعمل لبعض مراميها العامة من تحقيق الأساس الإداري والتشريعي ما تقوم عليه الدولة القومية الحديثة كما استمدت دعاة الإصلاح في تركيا ، فقد ظلت فكرة الإمبراطورية تسيطر على أذهان

[illegible] الإصلاح في تركيا [illegible] عومة الإسلامية [illegible] كثير من
شعوب [illegible] غدة واحدة [illegible]

وقد [illegible] دون [illegible] الإصلاح [illegible] حتى تقوى فتحد من أطماع
روسيا فيها وتستطيع أن تقف أمامها دون معونة بعضة منها وكانت انجلترا أكثر
الدول اهتماما بذلك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] سنة ١٨٣٩ و [illegible]
[illegible] عام ١٨٥٦ [illegible]
طوائف الدولة [illegible]
[illegible]
وتطبع [illegible] بطابع الركود والخمول [illegible]
[illegible]
ورجال الدين [illegible] الدينية نوعا من [illegible] الديني [illegible] الدول
الأجنبية [illegible]

[illegible]
[illegible] الأوربي [illegible]
[illegible]
في [illegible] عام ١٨٧٦ [illegible]
[illegible]
عبد الحميد الثاني في أغسطس من نفس العام

[illegible] ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] الأمر [illegible]
[illegible] الدول الأوربية [illegible]

قيامه بالإصلاحات الضرورية في بلاده ما دفعه إلى سرعة إعلان الدستور حتى يحبط بإعلانه مقترحات الدول الأوربية بإصلاح الإدارة العثمانية . وأعلن الدستور في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦ ، في ذلك اليوم الذي كانت فيه الدول الكبرى تجتمع في مؤتمر لبحث المقترحات التي ترمي للإصلاح الإدارة والحكم في الإمبراطورية العثمانية ، ورأى الأتراك كأن الدول الأوربية في حملة ضد تركيا تصديا للإصلاح ورغبتها تعمل على وقفه لطلبه للنهوض والتقدم .

ولم يعش الدستور طويلا فقد أتيح الأمر للسلطان عبد الحميد حتى أخذ يعمل ضد أنصاره وقد أتيحت له فرصة تعطيله عام ١٨٧٨ بحجة انشغال تركيا في حرب مع روسيا بعد أن عزل مدحت ونفاه إلى أوربا وظل الدستور معطلا إحدى وثلاثين سنة . استطاع في أثنائها أن يقضي على مدحت ورجاله وكان قد أذن له بالعودة إلى بلاده ، فألقى القبض عليه بتهمة الاشتراك في اغتيال السلطان عبد العزيز . وأشاع أنه لم ينتحر وإنما مات مقتولا بأمر من مدحت ورجاله ، وقضى عليهم بالحكم الذي صدر بإدانتهم بالإعدام ثم استبدل بالنفي بعد توسط الدول لدى عبد الحميد ، ونفوا إلى الطائف بالحجاز حيث قاسوا في سجنهم شر ما قاساه مسجون من عذاب واضطهاد ثم أوعز بخنق مدحت خنقا ، ومضى عبد الحميد مستبدا ، وربض على البلاد كابوس استبداده نفسه .

ولكن الحركة الدستورية لم تمت بالقضاء على مدحت ، فقد اعتنق مبادئه رجال من أنصاره هربوا في أنحاء أوربا فرارا من الاضطهاد الحميدي ، ثم أخذوا يهربون منشوراتهم من منفى حتى بلادهم في منتصف عام ١٨٩١ ووضعوا النواة الأولى لجمعية الاتحاد والترقي التي حملت لواء الثورة فيما بعد ضد السلطان عبد الحميد . ولم تتكون جمعية الاتحاد والترقي إلا من جمع رجال تركيا الفتاة ، وهي الجمعية التي أنشأها فؤاد باشا ، وعالي باشا ، ومدحت باشا ، عام ١٨٦٢ في عهد السلطان عبد العزيز وضمت كثيرا من أحرار تركيا ومفكريها وهي التي نظمت انقلاب ٢٦ مايو سنة ١٨٧٦ الذي انتهى بخلع السلطان عبد العزيز وإعلان الدستور في أوائل حكم عبد الحميد ،

ثم هرب رجعت في نحو ، ورد فراراً من بطشه بعد ما ألغى الدستور ، وامتدت يده للمساكين [illegible]

وتألفت جمعية الاتحاد والترقي تبث دعوتها وتنشرها بين الأحرار والعسكريين في بلاد الدولة العثمانية ، وتضم إليها كثيرين من العرب والأرمن واليهود والأتراك ، وجعلت من سلانيك مقراً لها حيث كان نادي الأمراء مركز الدعوة ، ولكن وتحدث [illegible] بعيدة عن سلطة الحكومة من رقابة الأستانة وجواسيس عبد الحميد ، واعتنق كثير من الضباط ولاسيما في مقدونيا دعوة الجمعية ، وراحوا يؤلبون الجيوب [illegible] على عبد الحميد وحكمه حتى إذا كان عام ١٩٠٧ اجتمع رجال جمعية الاتحاد والترقي في باريس على هيئة مؤتمر وقرروا خلع عبد الحميد وإقامة حكومة دستورية تساوي بين شعوب الدولة العثمانية وتضمن العدالة لأفرادها على [illegible] مهما اختلفت أديانهم وأجناسهم وتحفظ وحدة الدولة وسلامتها على أساس ديموقراطي سليم .

وفي عام ١٩٠٨ أعلن الضباط الأحرار ثورة في مقدونيا ، وكان من أهداف حركة الأحرار ، والمطالبة بعودة البرلمان إلى الدولة العثمانية ، وقد اضطر عبد الحميد إلى إعلان الدستور في ٢٤ يوليه سنة ١٩٠٨ بعد أن ظل معطلاً قرابة ثلاثين عاماً ، ولكن رجال العهد الجديد [illegible] ثورة ، وخاصة رجال الدين الذين ثاروا ضد التشريعات الجديدة ، ثم قاموا بخلع عبد الحميد في ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٩ وتولية محمد الخامس سلطاناً على الدولة العثمانية وخليفة للمسلمين واستتب لهم الحكم والسلطان في الأستانة .

وقد استقبل العرب في أنحاء [illegible] عودة الدستور بفرح شديد وعمت مظاهر الابتهاج كل البلاد العربية الإسلامية ، ورأى فيها المسلمون والنصارى أن [illegible] عهد جديد من الحرية والمساواة بين [illegible] في كنف العرش مع الترك وتزول الفوارق في ظلاله بين الأجناس والنحل والمذاهب المختلفة في الدولة . ولكن هذه الفرحة ما لبثت أن انقلبت [illegible] حقيقة [illegible] بالخلاف من أهداف [illegible] وبين العرب

القومية كان بعيداً. لكن الدستور الجديد قد سار على غرار دستور مدحت القديم في إدماج العناصر والأجناس المختلفة في الدولة في قومية واحدة يسودها الجنس التركي وإبراز تطور الوعي القومي ونموه بين هذه العناصر والأجناس المختلفة كما [illegible] رجال الثورة الذين استولوا على الحكم في الدولة العثمانية بعد التطور الجديد وغلبت عليهم نزعة التعصب للجنس التركي [illegible] واضحة في الطريقة التي ساسوا بها [illegible] رجال العهد [illegible] فقد عملوا على ترجيح الأغلبية للعنصر التركي سواء في مجلس [illegible] أو مجلس [illegible] كما عملوا على تقوية الحكم المركزي ودعمه.

وقد كشفت [illegible] حال جمعية الاتحاد والترقي [illegible] عن [illegible] العناصر من غير الترك وكان من أثر سياسة الاتحاد والترقي [illegible] موقفها من [illegible].

وبالرغم من هذه النصوص [illegible] الدولة [illegible] وهي [illegible] التي [illegible] من [illegible] تؤلف هذه [illegible] للدولة ، لأن التطبيق العملي للنصوص جاء مخالفاً لروحها ، وتغلبت روح العنصرية على حكام تركيا الجدد فعملوا لمصلحة العنصر التركي [illegible] لمصلحة [illegible] ، وحكموا الإمبراطورية بروح عنصرية [illegible] بينهم وبين العناصر الأخرى ، ولا سيما العرب الذين [illegible] في الانفصال عن الدولة كما [illegible] ولاياتها الأوربية وقد [illegible] عن تحقيق نوع من الحكم الذاتي في ولاياتهم لا يتحقق إلا إذا قام الحكم في الدولة على أساس لا مركزي.

ومن الواضح أن رجال جمعية الاتحاد والترقي [illegible] بالأفكار [illegible] الطورانية التي [illegible] تظهر وتشتد في ذلك الوقت والتي كانت ترمي إلى جمع الشعوب التي تنحدر من الأصل الطوراني الذي ينحدر منه الأتراك في وحدة سياسية ، فقد كانت أكثرية هذه الشعوب في أواسط آسيا تحت الحكم الروسي ولم يكن من الممكن تنفيذ هذه [illegible] من الناحية العملية ، لأنهم كانوا يعملون بروح طورانية [illegible] الوحدة العثمانية ، [illegible] تقوم على [illegible] العنصر التركي [illegible]

الثانية تهدف إلى إدماج العناصر العثمانية في نسق من الوحدة والمساواة بين الجميع .

ولم يكن هذا الاتجاه تطوراً في نفس الأتراك ، لا اتجاهاً يكشف في حركته من جوانبه عن وعي قومي قد عززته دعوة عبد الحميد إلى الجامعة الإسلامية وتصدع الدولة الإمبراطورية التي يصر الأتراك على الاحتفاظ بوحدة عناصرها وتماسكها ، ولم ينم عنه إلا الاتجاه نحو توحيد الإمبراطورية التي ما كانت تنم في الحقيقة إلا عن وعي قومي لم تتبين معالمه بعد ، فبقي حائراً بين فكرة الإمبراطورية وفكرة الدولة الحديثة وظهرت آثاره في اتجاه جمعية الاتحاد والترقي إلى دعم سيادة العنصر التركي والمحافظة في الوقت نفسه على وحدة الدولة وسلامتها وتقوية الحكم المركزي فيها

وظل هذا الوعي القومي حائراً بين هذه الاتجاهات المتباينة حتى سلك منهجه إلى قيام تركيا الحديثة بعد الحرب العالمية الأولى على أساس قومي واضح تتمثل أسسه التي اختطها كمال أتاتورك ، وسارت عليها تركيا المعاصرة

٢ ـ البلاد العربية :

تمتد البلاد العربية حيث البلاد التي تنطق باللسان العربي ، وتمتد من حدود فارس الشرقية إلى سواحل الأطلنطي في شمال إفريقيا وقد ظلت سيطرة الدولة العثمانية على هذا النطاق العربي من أملاكها في إفريقيا الغربية حيث كانت تحتفظ بنفوذها وهيبتها وسيادتها البحرية في البحر الأبيض المتوسط تلك السيادة التي حمل لواءها مردة البحر العظام مثل بربروس وطورغود ، ثم أخذت سيطرتها على تلك الأجزاء الممتدة تضعف وتنهار ، وعلاقاتها بها تقل ولم يعد يربطها بها غير التبعية الاسمية حتى إنها لم تحمِ الجزائر عندما نزلت إليها القوات الفرنسية عام ١٨٣٠ ، وخضعت لفرنسا ثم احتلت تونس عام ١٨٨١ وسعت إلى مراكش والقرن التاسع عشر على وشك أفوله ، إلى أن أطلقت يدها فيها بعد الاتفاق الودي الذي أبرمته مع انجلترا عام ١٩٠٤ ، ثم أعلنت حمايتها عليها عام ١٩١٢ ، وكانت انجلترا قد احتلت مصر عام ١٨٨٢ في العام التالي لاحتلال فرنسا تونس

وفى الوقت الذى [illegible] فيه [illegible] إلى هذه البلاد [illegible] فرنسا [illegible] الجزائر عام ١٨٣٥ قضى على سلطان أسرة القرمنلى التى كانت تحكمها [illegible] الأمر والسلطان، وتعود طرابلس إلى التبعية [illegible] العثمانية تحكمها [illegible] الولاة الذين يحكمون حتى احتلت [illegible] عام ١٩١١ و[illegible] عن [illegible] فى معاهدة أوشى [illegible] عام ١٩١٢

و[illegible] هذه البلاد [illegible] الإسلامى [illegible] عن الاتصال بالبلاد العربية فى الشرق الإسلامى لا تحس بما يدور فيه من أحداث [illegible] فى [illegible] من [illegible] هذه البلاد [illegible] اللغوى و[illegible] العامة [illegible] وتقاليدها و[illegible] من البلاد العربية فى الشرق [illegible] أوربية و[illegible] الفكرى و[illegible] من جهود فى هضم شعوبها وصبغها بالصبغة الفرنسية الخالصة

ولكن [illegible] الدولة العثمانية فى [illegible] فى [illegible] العربية فى [illegible] وهى الشام والعراق وشبه [illegible] العربية [illegible] محتفظة [illegible] حتى [illegible] الإمبراطورية العثمانية وانتهى [illegible] فى [illegible] الحرب العالمية الأولى

و[illegible] سلطان الدولة [illegible] فى تلك [illegible] محمد على [illegible] مصر [illegible] وبعد حكمه [illegible] بلادها [illegible] و[illegible] العراق [illegible] الدولة [illegible] فى [illegible] العرب [illegible] الوهابيون [illegible] حتى قضى [illegible] مصر محمد على

وكانت مصر أقوى اتصالا بهذه البلاد العربية منها بالبلاد العربية فى شمال أفريقيا برغم ما قد يبدو [illegible] من أنه [illegible] أن تكون أقوى اتصالا بالبلاد [illegible] فى [illegible] البلاد العربية فى [illegible] ولكن مصر فى حقيقة [illegible] البلاد العربية فى [illegible] البلاد العربية فى أفريقيا وكانت [illegible] حتى قبل [illegible] الفتح الإسلامى و[illegible] العربية [illegible] تلك البلاد

بعموم ذلك مع بلاد العرب آسيا ، ولم يحدث أن كانت مصر على اتصال ببلاد أفريقيا الشمالية العربية إلا عندما أصبحت قاعدة للزحف الإسلامي على أفريقيا وعندما قام الفاطميون من بلاد العرب بغزوها . وحتى بعد غزو الفاطميين لها واستقرارهم فيها لم تحد اهتماماتهم عن بلاد المشرق الأدنى بل هو يزداد ويقوى ببلاد آسيا الغربية .

وظلت الصلات العسكرية والثقافية والاجتماعية قوية متصلة بين مصر والبلاد العربية في آسيا طوال عهود التاريخ الإسلامي كما كانت من قبل طوال عصور التاريخ القديم حتى أتيح لهذه البلاد في العصر الحديث أن تجمعها يد سياسية واحدة هي يد الحكم المصري في عهد محمد علي وكان الجيش المصري قد وصل مصر بتلك البلاد التي تتكون من بلاد الشام والحجاز ونجد والعراق والأجزاء الشرقية والجنوبية من شبه جزيرة العرب . وكانت مصر وبلاد الشام أول ما استقل من تلك البلاد عن الدولة ... وإن لم ... متعرضة لضغط الأوربي ، وساعد ... على تقوية قوى ... تجمع الولايات واحدة وزاد من ... و ... في عهد محمد علي ... من ... في ... كانت من ... الثقافة العربية في ... ولا سيما ... على يد المصريين والإرساليات ... في بلاد الشام ... الحكم المصري واستمرت في نشاطها بعد ... مصر ... الثقافة العربية لا عن طريق الإرساليات والمصريين كما كان ... في الشام ... عن طريق ... والمعاهد الأوربية ... محمد علي ... في مدارسه ومصانعه في ... الأمر ثم ... عادوا إلى بلادهم ... والعادات والعلوم و... في ... في عهد إسماعيل

ولئن قامت الإرساليات ... ومشروعات نشر الثقافة العربية في بلاد الشام واستهدفت جهودها في بعض الأحيان العمل على إحياء اللغة العربية وتراثها الأدبي

الصحف وأدخلوا الطباعة العربية إلى البلاد واستخدموا بعضاً من أعلام النهضة العربية مثل ناصيف اليازجي وبطرس البستاني في وضع مناهج المدرسة [illegible] على بناء رسالتهم باللغة العربية وقاموا بطبعها في مطبعتهم ونشروها في طول البلاد وعرضها وكان في [illegible] علاوة [illegible] هذا النوع من التعليم أنشئوا داراً للمعلمين في قرية عبيه اللبنانية لإعداد معلمين [illegible] وكانت [illegible] كرنيليوس [illegible] السورية [illegible] في بيروت عام ١٨٦٦ ، والتي قدر لها أن تلعب دوراً [illegible] في حياة البلاد العلمية والثقافية المستقبلة وما زالت [illegible] الصحيح هي التي تعرف اليوم بالجامعة [illegible] الأمريكية .

[illegible] الأمريكيين [illegible] الأمريكيين ، [illegible] في [illegible] في [illegible] للغة العربية [illegible] القديمة ، [illegible] مطبعة لهم احتلت مكان الصدارة بما أصدرته من النصوص القديمة وغيرها من الكتب العلمية وما اتسمت به من عناية بمطبوعاتها كما قاموا بنقل مدرسة عبيه إلى بيروت عام ١٨٧٥ وحولوها إلى كلية [illegible] وكان [illegible] الأمريكية [illegible] في [illegible]

ولكن هذا النشاط الذي [illegible] على خلاف [illegible] [illegible] في [illegible] من [illegible] سورية [illegible] للأسرار [illegible] لا [illegible] علاقة [illegible] وكانت دعوة [illegible] العرب بالإخاء [illegible] كما كانت دعوة [illegible] إليهم [illegible] جميع [illegible] التي تفصل بين [illegible] [illegible] البلاد [illegible] [illegible] على خلاف [illegible] [illegible] كانت [illegible] الإسلامية

وبينما كانت هذه الجهود العلمية سائرة في طريقها الطبيعي كان الخلاف الطائفي يعمل على هدم أسس الإخاء وإحداث الاضطرابات وعلى الأخص في لبنان التي كانت تعاني من هذه الخلافات الطائفية ووقعت بها حوادث عامي ١٨٤١ و ١٨٤٥ ووجدت الدول الأوربية فيها وسيلة للتدخل [illegible] وهم أكثرية سكان النصارى في لبنان واحتضنت [illegible] الدروز لحفظ التوازن في تلك المنطقة حتى لا تطغى [illegible] إلى البلاد ثم وقعت [illegible] عام ١٨٦٠ [illegible] فامتدت إلى [illegible] في [illegible] واتخذت الدول [illegible] عسكري [illegible] التدخل [illegible] أساطيلها إلى شواطئ الشام وأرسل الفرنسيون قوة عسكرية احتلت بيروت.

وقد كشفت حوادث عام ١٨٦٠ عن [illegible] للدول الأوربية ولاسيما فرنسا [illegible] في تلك البلاد [illegible] على العرب [illegible] خلافاتهم [illegible] جهودهم [illegible] على تحرير وطنهم من الحكم التركي.

ثم ظهرت أوصار التعليم العربي [illegible] عندما اتجهت الدول إلى تسخير [illegible] لتحقيق [illegible] من الإرساليات والمبشرين [illegible] على البلاد من روسيا [illegible] وكل منهم يهدف إلى تحقيق أغراض خاصة، فالفرنسيون [illegible] الأفكار والأذهان [illegible] ويتعاونون مع الموارنة والنصارى الكاثوليك [illegible] بالأرثوذكس [illegible] ووقف الإنكليز وراء الدروز يؤيدونهم للمحافظة على توازن القوى بين الموارنة والكاثوليك من ناحية والأرثوذكس من جهة أخرى، ووقفت الإرساليات الأمريكية وإن لم تسع إلى تحقيق أهداف سياسية إلا أنها كانت سببًا في توسيع هوة الخلافات الطائفية فقد

كانت [illegible] في ميدان [illegible] عاما [illegible]
[illegible] المدارس الأجنبية والإرسالية [illegible]
ضئيلة بالنسبة إلى غيرها .

[illegible] حركة [illegible] ذلك الميدان
[illegible] وهو الذى [illegible] الأمر
[illegible]
أعطت المقام الأول للغتها الأصلية ، وثانيهما أن حركة [illegible]
[illegible] ولا [illegible] إلى
[illegible] الأمر [illegible] وهم الذين ظلوا إلى هذا العهد يقودون
[illegible]
عام ١٨٨٠ تفادوا لهذه الصحوة ، وتم كل ذلك على [illegible] في
النهاية إلى انتقال قيادة الحركة القومية من [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] حركة العرب القومية [illegible]
في أحضان المدارس الأجنبية التى أهملت [illegible] في [illegible] الحديد
عن الاحتفاظ بها [illegible] حركة القومية العربية حتى زوال العهد الحميدى
وهى زعامة إسلامية [illegible]

وفي ذلك الوقت [illegible]
[illegible]
[illegible] وكانت [illegible]
[illegible] الذى [illegible] الثورة العربية [illegible] في
[illegible] ثورة [illegible]

في [illegible]

منذ [illegible] السلطان مراد الخامس [illegible] العرش [illegible] حتى [illegible]
[illegible]
[illegible] وكان السلطان
عبد الحميد الثاني [illegible] الدستور ثم [illegible]
[illegible] واستبداده على [illegible] البلاد [illegible] الأحرار [illegible] عسكري
في كل مكان [illegible]
[illegible]
كل الشعور [illegible] في البلاد [illegible]
[illegible]
[illegible] ثورة في [illegible]
[illegible] على حقوق [illegible]
[illegible] في إحدى [illegible]
أعوانه القوة لتنفيذه ويستهدف الأغراض الآتية كما ذكره مؤلف كتاب قضية العرب :

١ — [illegible]
٢ — الاعتراف بالعربية كلغة رسمية
٣ — إلغاء الرقابة والقيود الأخرى التي تحول دون حرية الرأي وانتشار العلم
٤ — [illegible] من أهل البلاد [illegible]
[illegible]

حتى [illegible] الاستبداد [illegible]
دواعي السلامة تقضي عليهم [illegible] وتفرقوا في البلاد حتى لا ينالهم [illegible]
عبد الحميد وكانت مصر مهجرهم الأول .

ولم يكن [illegible] في تطور الوعي القومي [illegible]

ولكنها كانت تعبيرا صورة ما عما يعتلج في صدور العرب من أمل وآمال حول مستقبل بلادهم وقد ظلت هذه الآمال مبهمة غير واضحة في أذهان العرب حتى كشفت منشورات جمعية حزب اللامركزية عن [illegible] برنامج [illegible] يمكن أن تتجمع فيه مطالب العرب القومية ، غير أننا [illegible] كانت أهم مبادئ الوعي العربي القومي [illegible] جمعية حزب [illegible] كان أبرز تعبير عما يهدف إليه حركة العرب القومية ودل على فهم عميق [illegible] الوطن وأهداف الحركة القومية

وقد [illegible] حركة القومية بنوع من الركود بعد أن [illegible] [illegible] شخصهم وعرفوا في البلاد العربية التي [illegible] وكانت [illegible] على نشاطهم في نفس العوامل التي أنشأت الحركة القومية [illegible] الركود الذي استمر طوال عهد عبد الحميد وإن كان [illegible] تركيا الفتاة لا في آثاره عما تركه استبداد عبد الحميد من آثار ظهرت واضحة في تلك الوسائل [illegible] التي [illegible] الحركة العربية في العهدين على السواء ، ولكنها في عهد عبد الحميد قد تأثرت [illegible] أخرى غير استبداده [illegible] وكانت [illegible] من أسباب ركودها وكانت هذه العوامل جزءا من سياسة عبد الحميد [illegible] كما كانت [illegible] عن [illegible] في الحكم والإدارة [illegible] تأثر بها رجال تركيا الفتاة ولم يولوها اهتمامهم بل ساروا على [illegible] في غير روية أو حذر فقد كان ينقصهم دهاء عبد الحميد ومكره .

وقد رأى عبد الحميد [illegible] على [illegible] على الدولة من [illegible] أوربي [illegible] شرقية في [illegible] ذلك [illegible] الذي عرفت به [illegible] عجز الدولة عن مقاومة هذا [illegible] الأوربي وخروج ولاياتها الأوربية عن سيادتها [illegible] وجهة شرقية إسلامية [illegible] من التفاف العالم الإسلامي حول زعامته [illegible] في [illegible] واحتضن فكرة الجامعة الإسلامية [illegible] هذا الهدف [illegible] وظهر بمظهر الخليفة الورع الذي يحرص على [illegible] الدينية ، وما كان هذا المظهر ليكسبه ولاء

[illegible] وتمسكه [illegible] في جماع العالم الإسلامي كي لا [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible] الإرشاد [illegible]
والدعوة إلى الجامعة الإسلامية بين الحجيج .

وقد نشطت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية [illegible] في عهد [illegible]
[illegible] الأفغاني [illegible] الدعوة [illegible]
[illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible]
[illegible] الجامعة الإسلامية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فإذا كانت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية كما [illegible] عبد الحميد [illegible]
إلى دعم سلطته الرهيبة والحد [illegible] نمو الوعي القومي ، فإن أسلوب
الأفغاني في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وأفكاره التي نشرها قد ظلت تمدي لهيب
الأفكار [illegible]
[illegible]

وجاء الكواكبي ليعبر عما [illegible] الأفغاني من أفكار واتصالات في البلاد
[illegible] فهو لا ينكر الوحدة الإسلامية العامة التي نشرها الأفغاني ولكنه يفرق
[illegible] الإسلامية الأخرى [illegible] وكان عبد الرحمن الكواكبي وهو
[illegible] أفكار الأفغاني وآراؤه [illegible]
[illegible] العنصر العربي وبوحدة الإسلام الكبرى ، وأول من
[illegible] بين العرب غيرته لاستبداد عبد الحميد ليطلق أفكاره وآراءه الجريئة وليعلم
[illegible]

وكان الاتجاه الثاني لسياسة عبد الحميد نحو البلاد العربية وهي جزء في
تحت سيادته وسلطانه من ممتلكاته الواسعة فزادت قوى من عوده فيها ومدى أن
تفتح الوعي القومي في تلك البلاد وخطره على سيادته فأخذ يعمل من وده للعرب
ويعمر مؤسساتهم العلمية والدينية بالكتب والعطايا ويغدق على أمرائهم وزعمائهم الرتب
والألقاب ويجود بالأموال بطلبه لإصلاح المساجد في مكة والمدينة وبيت المقدس وغيرها
من رجالهم في حاشيته في القصر ويغدق عليهم على مبلغ الاتجاهات الوطنية وأبعد
عنها ، كما شكل من أحداث العرب فرقة ممتازة ضمهم إلى حرسه الخاص ، وقد ... من
بث روح التفرقة والانقسام بينهم حتى له مجدداً لتقوية سلطانه وعودة عظمته كما
يتورع عن الاغتيال بإحاطته بالوسائل في حدث من بيته منهم في جمعه ويبدع وسيلة
مثلى للتخلص ممن لا يستطيع التخلص منهم علناً أو ممن لا يستهويهم بما يبذله من
مال وجاه ، على أن يدعوهم إلى الإقامة بالآستانة ثم يحول دون خروجهم منها ويكونوا
تحت رقابته ورقابة جواسيسه ومن هؤلاء كان داعية الإسلام الأكبر جمال الدين
الأفغاني والحسين بن علي شريف مكة الهاشمي أعرق بيت في العرب وكان منه شرفاء
مكة لأجيال خلت .

وعمل من ناحية ثانية على ربط أجزاء البلاد العربية بعضها ببعض بوسائل المواصلات
السريعة حتى يحكم إشرافه عليها ويسهل سيطرته على جهاتها البعيدة فوضع مشروع خط
حديد الحجاز وقام لتنفيذه بدعوة العالم الإسلامي إلى المساهمة في نفقاته كما شجع مد
خط حديد بغداد . ولكن هاته الخطوط الحديدية التي شرع فيها عبد الحميد
ليزيد من سيطرته وسلطانه على البلاد العربية كانت من عوامل زلزلته ، فخطر على أن عبد الحميد
في يقظة الوعي القومي وانتشاره فقد سرعت سرعة المواصلات سريان الأفكار وانتقالها
إلى البلاد العربية البعيدة عن مركز الحركة مما كان له أعظم التأثير في تطور الحركة
القومية ووحدة أهدافها في البلاد العربية عندما أخذت تتكشف عن نفسها في ثورة
علنية أحدث رصاصها الحجازي خوفاً فيستقبله روادها الأوائل في بلاد الشام

وكان أكثر ما اهتم عبد الحميد موجهاً إلى بلاد الشام فهي أكثر البلاد تقدماً
وأشدها اتصالاً بالثقافة الغربية وأخصبها بذور الوعي القومي وهي مفتاح الإمبراطورية

إلى الشرق بعد قوله [illegible] العراق وشبه جزيرة العرب حيث مدارس [illegible] في مكة والمدينة وكان نصيبها من سياسته الماكرة واتجاهاته المرسومة ووفر استعداده أكثر من نصيب أي بلد آخر

وقد أثرت هذه العوامل مجتمعة في قوة الحركة القومية وشدة نشاطها طوال حكم عبد الحميد حتى إذا ما [illegible] الترك [illegible] سياسته [illegible] ودواعيها الماكرة [illegible] سافرة وجاهروا بالشكوى من مظالمه واستبداده كان [illegible] قد أخذ [illegible] الجديد [illegible] تطورت فيها أفكار الجامعة الإسلامية وأفكار العرب القومية [illegible] خطوطها العامة العربية الإسلامية البينة الحدود والأهداف والمقاصد [illegible] جديدة في كيان الحركة ودفعها نحو هدفها المقصود ، ووحدة العرب في [illegible] الأمة الإسلامية [illegible] عن [illegible] الشعور فتحدوا [illegible] من مظاهر السرور والفرح بانتصار الحرية في كل مكان وكانت مظاهر الفرح التي حدثت في البلاد العربية [illegible] عن [illegible] العرب في معنى الحرية والمساواة [illegible] حكم

ولم تكن هذه الروابط تعني [illegible] جمعية الاتحاد والترقي وجهود القوميين العرب فيها كانت جهود رجال [illegible] جمعية الاتحاد والترقي ذات الخطط الواضحة والأهداف المرسومة كانت تمثل [illegible] حركة العرب القومية [illegible] في حدود الأفكار والنظريات [illegible] وكثير من الأحزاب [illegible] واضحة لا تتفق على هدف واحد ولا تسلك طريقا معينا غير الشكوى والتذمر من الحكم العثماني وإن عرف بعصر الإبداع الفكري في نقد الأوضاع الفاسدة واقتراح مناهج محددة للإصلاح كانت [illegible] عاملا من عوامل ضعفها وتشتتها فمن هي حركة فردية [illegible] ومن هي حركة جماعية إسلامية تدعو إلى فكرة معينة ومن هي تدعو إلى الانفصال والاستقلال عن الدولة العثمانية كما ظهر في [illegible] بدأ بها في بعض عناصرها واتجاهاتها تدعو إلى تحقيق استقلال ذاتي للبلاد العربية في نطاق الوحدة العثمانية العامة

ولم يشترك رجال العرب ممن كانوا يعملون في الخارج فرارا من استبداد عبد الحميد في تنظيم جمعية الاتحاد والترقي إلا بعد أن رحلوا عنها، وقد جمعت الجمعية [illegible] من عناصر مختلفة كان أبرزها العنصر العسكري وإن كان معظم [illegible] الضباط من العرب لأنهم كانوا رجالا عملوا في جيش السلطان، وقد التقوا جميعا على كراهية استبداد عبد الحميد وسياسته

ولكن كان لنجاح رجال الاتحاد والترقي في ثورتهم وعودة الدستور صدى رائع في أوساط العرب لا لما يربطهم من فرح وسرور وإنما في ناحية أخرى فقد صار لهم مثلا يحتذونه ودروسا في تنظيم حركاتهم وفي الاعتماد على تنظيم سري للتخطيط والأساليب وتحديد الأهداف والمناهج والدعوة لها والعمل على تنفيذها فأخذت حركة العرب القومية [illegible] عدة حركات [illegible] و[illegible] الأساليب العملية الموصلة إلى أهدافهم بعد أن [illegible] لثورة [illegible] القومية العربية [illegible] طوال حكم عبد الحميد

ولم يمض إلا عام [illegible] في حكم السلطان عبد الحميد على إعلان الدستور في ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨، حتى حدث حادث كاد يقضي عليها وكانت محاولة من عبد الحميد نفسه للتخلص من جمعية الاتحاد والترقي، ففي شهر أبريل أعلنت حامية الآستانة العصيان وهجمت على دار البرلمان وقتلت بعض حراسه ونائبا عربيا وأخذت الثورة [illegible] ولما وصلت أخبار هذه الفتنة إلى حامية سالونيك تقدمت إلى العاصمة بقيادة محمود شوكت باشا وهو ضابط عربي الأصل في الجيش العثماني حتى وصل إلى [illegible] وأعاد النظام واستطاع أن يعيد الأمور إلى نصابها وتوطدت سلطة جمعية الاتحاد والترقي وكان هذا الحادث الذي دبره عبد الحميد سببا في خلعه وتولية أخيه الأمير رشاد سلطانا باسم محمد الخامس وكان من ضعف الجانب ولين العريكة بحيث ترك لرجال الثورة أن يسوسوا الدولة على هواهم .

ولقيت الثورة في بدايتها من عطف العرب ما حملهم على تكوين جمعية الإخاء العربي العثماني لتشيد الصداقة الجديدة بين العرب والترك ونشأت فروع لها في

مختلف بلاد العرب، وقد بثت صحفه دعوته ونشر أفكاره، وكانت تتلخص
في حماية الدستور وتوحيد جميع العناصر العثمانية في ولائها للسلطان والعمل على
مساواة العرب والترك في الحقوق والواجبات وجعل اللغة العربية لغة رسمية وحماية
تراث العرب والمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم

وخيل للناس أن عهداً جديداً من المساواة والحرية يوشك أن ينشر ظلاله على
كافة العناصر، وأحس في البلاد العربية، ولكن ما أن استتب الأمر لرجال الثورة
من الترك حتى كشفوا عن حقيقة أغراضهم ونواياهم، فجمعية الاتحاد والترقي التي
[illegible] على [illegible] بين العرب والترك هذا التقارب
الجديد بين العنصرين، وقاموا بمحاربة كل نزعة ترمي إلى ظهور عناصر غير تركية
في ميدان العمل العام وسيطروا على الانتخابات العامة وسيروها وفق أهوائهم [illegible]
كانت ترمي إلى إقصاء العرب عن الوظائف العامة حتى عمدوا إلى منع مرشحين من
التدخل في ولايات عربية خالصة

وصدمت هذه الأعمال الجديدة آمال العرب وأخذوا يشعرون بوطأة هذه
السياسة الهادمة وكان رجال جمعية الاتحاد والترقي قد أخذوا يسطون من سياستهم
الاستبدادية ما يفوق سيطرة عبد الحميد واستبداده، وإن لم يكن لهم مكره ودهاؤه
فقد حرص عبد الحميد على استمالة كثير من أمراء العرب وأعيانهم إلى صفه وغمرهم
بنعمه وألقابه، كما نشر عيونه وجواسيسه يرقبون حركاتهم ويحصون عليهم أنفاسهم فأثار
بين صفوفهم غريزتي الخوف والطمع، وكان هذا عاملاً قوياً في ركود حركتهم
القومية، أما رجال الاتحاد والترقي فقد سطوا على استبدادهم دون أن
يكلفوا إلى صفهم من العرب ما حرص على كسبهم عبد الحميد إلى صفه، وأثاروا
فيهم روح التحدي والتعصب، وبدا حكمهم في أعين العرب مقيتاً مكروهاً، فنشطت
جهودهم القومية لتحقيق آمالهم وأهدافهم، وغدوا من جهود رجال تركيا الفتاة
وسطواتهم مثلاً لجهودهم وسطواتهم الجديدة، فتكونت الجمعيات السرية في داخل
الوطن، بينما راح بعضهم في الخارج يكونون الجمعيات العلنية، وكانت كلها ذات أهداف

[illegible] في [illegible] مع [illegible] من قبل .

وكان « المنتدى الأدبي » أول هيئة تشكلت عام ١٩٠٩ بعد إلغاء جمعية الإخاء العربي العثماني [illegible] بل كان أشبه [illegible] من موظفين والطلاب [illegible] العرب الذين يقيمون في الآستانة حيث [illegible] في [illegible] لا [illegible] [illegible] في الشام والعراق .

وقد خلق للمنتدى الأدبي جو من [illegible] والتفاهم في أوساط العرب المثقفة [illegible] وكان [illegible] [illegible] وقد عرفت اتجاهاتها [illegible] .

وفي أواخر [illegible] ١٩٠٩ بعد قيام المنتدى الأدبي [illegible] وهي أول جمعية سرية [illegible] في الجيش العثماني [illegible] مؤلف [illegible] الأصفر [illegible] الذي كان وزيراً للأوقاف وأسسها بالاتفاق مع السيد عبد الحميد الزهراوي ثم سليم الجزائري وكان ضابطاً عربياً في الجيش العثماني [illegible] مع سليم الجزائري [illegible] وهو يعيش في عزلة الآن بضاحية القبة من ضواحي القاهرة بعد أن خرج من خدمة الجيش

مصري الذي وصل به إلى رتبة الفريق فقال إن جمعية القحطانية كانت فكرة ومشروعاً أكثر منها جمعية [illegible] وصاحبها هو صديقه الشهيد سليم الجزائري والقصد منها إطلاع العنصر العربي وإبراز [illegible] يكن للجمعية وجود حقيقي كما لم يكن لها برنامج موضوع أو هدف معين على عكس ما ذكر جورج أنطونيوس وغيره ممن أرخوا للحركة القومية العربية حيث يقولون أن هدف الجمعية القحطانية كانت تتسم بالجرأة والجدة والإبداع فقد وضعت مشروعاً يرمي إلى تحويل الامبراطورية العثمانية إلى إمبراطورية ذات تاج مزدوج كالإمبراطورية النمسوية المجرية والأخرى تكون البلاد العربية فيها وحدة [illegible] الجمعية القحطانية [illegible] تكون [illegible] وعمل [illegible] في [illegible] بالإضافة إلى [illegible] هذا [illegible] سياسة الإمبراطورية العثمانية في ملاكها [illegible] وحده جمعية [illegible] من جانب العنصر [illegible] في الدولة العرب [illegible] كانوا [illegible] الجمعية [illegible] هذا المشروع إلا [illegible] لا [illegible] أعضائها في [illegible] إلى صفوفهم [illegible] لا [illegible] عن [illegible] وطول [illegible] الحركة القومية وتوجيهها .

أما الجمعية العربية [illegible] في تاريخ الحركة القومية فهي جمعية العربية الفتاة وقد تكونت في باريس عام ١٩١١ ، كونها سبعة من الطلاب العرب [illegible] دراستهم العالية في العاصمة الفرنسية واتسم أسلوبها بالدقة والحذر والسرية [illegible] في [illegible] أعضائها [illegible] إلى صفوفها [illegible] حتى [illegible] البلاد العربية من الحكم التركي [illegible] وظلت باريس مقر الجمعية الرئيسي حتى [illegible] إلى بيروت عام ١٩١٣ [illegible] ثم [illegible] في فرنسا وعادوا إلى أوطانهم ثم [illegible] إلى دمشق في خلال الحرب .

وفي عام ١٩١٢ وهو العام التالي لقيام العربية الفتاة تكون حزب اللامركزية

العثماني في القاهرة من بعض السوريين المهاجرين في مصر وجعل هدفه الدعوة إلى حكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الإدارية في جميع ولايات الدولة العثمانية كما نصت على ذلك المادة الأولى من لائحته التأسيسية .

وكان حزب اللامركزية العثماني يبيح أن يسجل فيه كل من بلغ العشرين من عمره وتمتع بجميع الحقوق المدنية أن يسجل به . وقد اتخذ الحزب من مدينة القاهرة مقراً على اعتبار أن الاتحاديين في حربهم الدعوة مناوئة لكي تستطيع أن يقيم صلات وثيقة بينه وبين الجمعيات السياسية العربية في الشام والعراق وأن يصبح حزب الدعوة أن ينطق بلسان العرب ويعبر عن أمانيهم ويدافع عنهم على قدمه

وعلى غرار حزب اللامركزية العثماني قامت جمعية الإصلاح في بيروت متأثرة ببعض الدوافع التي أثارت قيام حزب اللامركزية العثماني وهدفت إلى بعض الأغراض التي يهدف إليها وهي المطالبة بالحكم اللامركزي في الدولة العثمانية . وقد عقدت الجمعية اجتماعها في شهر فبراير سنة ١٩١٣ ووضعت برنامجها ولاقت استحساناً في أوساط العرب الحقيقية في الشام والعراق وانهالت البرقيات على رئاسة الجمعية مؤيدة لها وكان الاتحاديون لا يؤيدون فكرة اللامركزية لهذا قاوموا هذه الجمعية وحاربوها منذ استلامهم بالحكم في الدولة العثمانية فلم تمض شهور حتى صدر أمر بحل الجمعية وإغلاق دارها .

ووجدت الحركة صداها في العراق فتكونت في البصرة جمعية تحمل اسم جمعية بيروت وكان مؤسسها السيد طالب النقيب نائب البصرة في مجلس النواب العثماني رجلاً ذا صولة وجاه لا يستطيع الاتحاديون أن يقاوموه لما له من نفوذ وسطوة على [illegible] بعد أن عين حاكم البصرة [illegible] كان [illegible] بذلك من قبل الاتحاديين . وأنشأ السيد [illegible] في بغداد على أثر إنشاء حزب اللامركزية العثماني في القاهرة [illegible] رئيسه مزاحم الباجه جي الذي فر إلى البصرة بعد أن أصدر الاتحاديون أمراً بالقبض عليه ودخل في حمى السيد طالب .

وبعث الدعوة القومية [illegible] عندما عقد مؤتمر باريس بدعوة من شباب العرب منهم من ينتظم في سلك [illegible] وثيقة [illegible] جمعية العربية الفتاة [illegible] في جميع العرب في بلاد الدولة العثمانية وخارجها ووجهت الدعوة إلى حزب اللامركزية العثماني في القاهرة لتبني الدعوة [illegible] أن [illegible] في [illegible] العرب [illegible] حقهم في [illegible] الولايات العربية في الدولة العثمانية كما وجهت الدعوة إلى الهيئات والجمعيات العربية الأخرى لحضور المؤتمر كالمنتدى الأدبي وجمعية الإصلاح [illegible] في ذكر الأسباب التي [illegible] في عقد مؤتمر [illegible] مطالب الإصلاح في البلاد العربية من [illegible] ومرحب للمدخل الأجنبي

ولبت هذه الهيئات دعوة المؤتمر كما لباها عثمانيون [illegible] البلاد العربية [illegible] والعرب المهاجرين في الأمريكتين وعقد مؤتمر في ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ ودارت مناقشاته حول [illegible] حقوق العرب السياسية والقومية في نطاق الحكم اللامركزي .

ولم [illegible] الاتحاديين [illegible] مؤتمر [illegible] خلاف بين [illegible] عليه [illegible] مهددة [illegible] المؤتمر [illegible] في [illegible] الاتحاديون دون أن يكون لديهم [illegible] على بعض مطالبهم [illegible] الخدمة العسكرية [illegible] حدود الإقليم [illegible] اللامركزية في البلاد العربية [illegible] في [illegible] الدولة [illegible] من العرب .

[illegible] العرب [illegible] مطالبهم وعادت علاقات [illegible] بينهم [illegible] كما كانت بعد إعلان الدستور عام ١٩٠٨ . [illegible] الاتحاديين [illegible] في [illegible] مع العرب وعندما ظهرت الإرادة السنية في ١٨ أغسطس لإعطاء [illegible] التي [illegible] وصدرت مشوهة وجد العرب أن [illegible] التي ترمي إلى قتل الحماس الذي خلفه المؤتمر قد [illegible] من جديد [illegible] في [illegible] على الحركة العربية [illegible] في [illegible] المناصب ونشر [illegible] بين صفوفهم

ثم ارتكب الاتحاديون عملا يدل على الحماقة والطيش ويتسم بالعسف لبعض
عنصر القوة [illegible] على الضابط عزيز علي المصري وكان قد وصل إلى رتبة البكباشي
في الجيش العثماني واتهموه بتهمة الخيانة العظمى وأصدروا حكمهم عليه بالإعدام
وذلك [illegible] على المصري [illegible] كان قد تخرج عام ١٩٠٤ من مدرسة
أركان الحرب [illegible] وشجاعته واشترك عام ١٩٠٨ في الانقلاب
الدستوري الذي قامت به جمعية الاتحاد والترقي وكان من أعضائها وقد [illegible] وأنا
نرجع إليه في تاريخ [illegible] السلطان عبد [illegible]
[illegible] تركيا [illegible] الدولة [illegible]
[illegible] في [illegible]
لها عن الأتراك [illegible] ولكن [illegible]
قد أصبحت [illegible] الأولى في [illegible] أوروبا [illegible]
[illegible] في [illegible] وكان [illegible] في
[illegible] الدستور [illegible] على الآستانة وكان
[illegible] بالقوة [illegible]

كما شهدت في [illegible] الآستانة [illegible] السلطان [illegible]
[illegible] على [illegible] شوكت باشا قائد
[illegible] وكان [illegible] في إصلاح [illegible] مصر
حركة الاتحاديين حتى إذا نفسوا [illegible] عزيز المصري إليه حكم
عبد الحميد من [illegible] واستعداد [illegible] في ميدان الحرب [illegible] وقام
[illegible] في أوائل سنة ١٩١٤ وقبض [illegible] على عسكريين لحرب
وكانت عليهم من [illegible] من الذين أحد كما أعرف [illegible]
[illegible] أحدهم الأمم
من إصلاح وكان [illegible] كما يقول من [illegible] العهد هو العمل على إحياء
مجد الدولة العثمانية وقوتها بإصلاح نظام الحكم فيها سواء في ولاياتها المسيحية أو
الإسلامية بقيام حكومة [illegible] للولايات العثمانية [illegible] الشرقي
وكان يسمي مشروعه هذا مشروع الإمبراطورية الشرقية ولا ريب أن ذلك [illegible]

مدى ما كان من أهداف الدعوة [illegible] أو الدعوات العربية الأخرى [illegible] جهودها في الحقل المصري .

وقد ثار العالم العربي للقبض على عرابي [illegible] المصري وتوالت الاحتجاجات من كل البلاد العربية ومن مصر [illegible] على الأستانة ، ولعل الإنجليز كانوا [illegible] في وجود [illegible] بالقبض عليه [illegible] يستطيعون أن [illegible] الأمور [illegible] إليه [illegible] العالم العربي [illegible] من [illegible] العسكريين يقسمون [illegible]

[illegible] الرأي العام العربي حتى أصبحت مصر مسقط رأسه على [illegible] حيث [illegible] العربي [illegible] المصري في [illegible] في سبيل [illegible] القومية [illegible] على [illegible] صفوف [illegible] الإعجاب المصري [illegible] احتجاجاتهم كانت صفوف الجماهير تذرع الشوارع في شكل مظاهرات [illegible] عن [illegible]

ولا [illegible] أن [illegible] إلى أمر [illegible] كل هذه [illegible] الحركة القومية في البلاد العربية [illegible] الرأي [illegible] من أفكار وهو حرصهم على [illegible] على [illegible] العربية [illegible] العرب [illegible] العرب من [illegible] العسكري [illegible] حولها مناقشات [illegible] فيها الآراء حتى [illegible] الأمور على مصير الدولة العثمانية [illegible] من الإنجليز [illegible] الأولى [illegible] البلاد العربية والإسلامية

[illegible] أمور الخلافة [illegible] السلطة [illegible] ذلك على [illegible]
بلاد الدولة العثمانية [illegible] كل [illegible] ظروف مرسومة وظروفه [illegible]
العمومية الحاضرة

٣ — مصر :

[illegible] مصر منذ أقدم عصور التاريخ بمزاياها أصولها [illegible] الوطن
والأمة [illegible] والحكم [illegible]
[illegible] في طور [illegible]
[illegible]
[illegible] مصر [illegible] الدولة [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] الإسلامي [illegible] الإسلامية [illegible] الإسلام [illegible]
كما جمعتها الخلافة في رباطها

[illegible] مصر [illegible] في [illegible]
[illegible]
والأوربية [illegible] حكمها [illegible]
على رأس الأسرة [illegible] مصر [illegible]
[illegible] الخلافة [illegible]
[illegible] مصري
[illegible] مصر [illegible]
في هذا [illegible] في [illegible]
وإن طبعها بطابعه الخاص وشخصيته العلمية .

[illegible] مصر في [illegible] في الدولة العثمانية [illegible]

الدول الأوروبية [illegible] في سنة ١٨٤٠ — ١٨٤١ وإن كان دون ما أمل
محمد علي [illegible] مصر [illegible] ولايات [illegible] أخرى كما [illegible] محمد علي
على [illegible] الأخرى وكانت هذه الخطوة [illegible] محمد علي أول بادرة في [illegible]
مصر [illegible] إلى حد
بعيد شخصية حكامها واتجاهاتهم قبل أن [illegible] واتجاهاته على أن
[illegible] في [illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] وكان لها
قوة عندما أخذ محمد علي [illegible] في [illegible] شعب في
[illegible] محمد علي [illegible] من [illegible]
[illegible] واتجاهه.

[illegible] في مصر [illegible]
محمد علي [illegible] وعندما تضاعف الاحتكاك الأوروبي بمصر وعظمت
مصالح الأجانب بها وكان لهذا من الأثر في تطور الوعي القومي عند الشعب ما كان
[illegible]
[illegible] هذا الميدان تكوين [illegible] فإن اتجاه محمد علي
[illegible] في [illegible]
[illegible] استخدمهم لهذا الغرض قد عمل
في [illegible] في [illegible] كما كان [illegible]
[illegible] أفرادها بالحضارة الغربية في وقت
[illegible] والأدب [illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
[illegible] في مصر [illegible] أصولها في
الحياة المصرية.

وفي ذلك الوقت كانت [illegible] الأجانب [illegible] على مصر ومصالحهم فيها تعظم وتزداد
[illegible] من [illegible] الأوروبي [illegible] على [illegible] الأموال الأجنبية

في شكل [illegible] أو امتيازات تجارية أو مشروعات إنشائية مستقلة [illegible]
طلائع الحياة الأوربية [illegible] في [illegible] ممن عادوا منهم أحدث
[illegible]
تقاليدها ثم أحسوا وطأة التدخل الأجنبي عندما أخذ [illegible] في [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
تكشف عن قوتها جودة المبعوثين وظهور [illegible] الأول من خريجي المدارس
الحديثة ونشاط الصحافة وبداية [illegible]
[illegible]
العسكرية مع إصلاحات إسماعيل وكانت الحركة [illegible] نتاج هذا التفاعل وكان
[illegible] لمبدأ المسئولية الوزارية أول بادرة في هذا الاتجاه.

[illegible]
[illegible] ١٨٦٠ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والطبقة الحاكمة [illegible] ظهر أثر هذا الحلف إلا في أخريات حكم إسماعيل عندما اشتدت
[illegible]
[illegible]
التي بدأت عام ١٨٧٦ وأخذوا يناقشون سياسة الحكومة.

[illegible]
[illegible]
الوزيرين الأجنبيين فيها بالسلطة، وحدثت في أثناء قيامها بالحكم [illegible]

وإن قامت احتجاجا على إحالة عدد كبير منهم إلى الاستيداع بسبب الأزمة المالية إلا أنها كشفت عن استياء الرأى العام من التدخل الأجنبي ووجود الأجانب في الوزارة وكان لهذا الاستياء الذى ظهر أول مظهر في مظاهرة الضباط صداه المنعكس في مجلس [illegible] النواب فتعالت [illegible] تخلص من النفوذ الأجنبي في الوزارة كما طالب [illegible] مسئولية الوزارة أمام [illegible] مجلس شورى النواب وبدأ الاحتكاك بين الوزارة والمجلس.

وأخذ [illegible] بعد فض الدورة [illegible] وانضم إليهم كثير من العلماء والأعيان والتجار على هيئة جمعية وطنية كانت [illegible] ذلك العهد [illegible] نواة الحزب الوطنى وهو الاسم الذى أطلقته [illegible] على أولئك الوطنيين [illegible] وضع نظام دستورى [illegible] حكم البلاد وقد قدموا مطالبهم إلى الخديو في ٢ [illegible] سنة ١٨٧٩ في صورة لائحة وطنية تتضمن مشروع تسوية [illegible] البلاد [illegible] مشروع [illegible] الوزارة كما تتضمن تعديل نظام مجلس شورى النواب وتخويله كافة الحقوق التي لأمثاله في أوربا.

واستجاب الخديو إلى مطالب الوطنيين وكلف شريف باشا تأليف الوزارة [illegible] شريف [illegible] الدستور [illegible] إلى مجلس شورى النواب وفي هذه الأثناء عزل اسماعيل واعتلى توفيق أريكة الخديوية المصرية وما لبث أن ظهرت [illegible] مشروع [illegible] شريف [illegible] [illegible] يشايع توفيق في ميوله الاستبدادية [illegible] مشروع الدستور [illegible] مجلس شورى النواب [illegible] وفي عهده صدر قانون [illegible] سنة ١٨٨٠ [illegible] في الجيش على هذا القانون كما [illegible] حربية [illegible] وظهرت حركة [illegible] حركة [illegible] لأنه [illegible] الحركة [illegible] على رأس [illegible] في ميدان عابدين في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ تطلب عزل رياض ودعوة مجلس [illegible] للانعقاد [illegible] رياض [illegible]

مجلس شورى النواب الجديد ودعي للاجتماع في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨١ وافتتح في ٢٦ ديسمبر وفي [illegible] سنة ١٨٨٢ تقدم إليه مشروع [illegible] الأساسي أو الدستور واعترض [illegible] الأجنبيان على مادة في المشروع من حق المجلس في مناقشة الميزانية وأراد المجلس أن تكون هذه [illegible] ولكن [illegible] [illegible] [illegible] وتدخلت [illegible] بمذكرة مشتركة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فاستقالت وزارته وألف [illegible] البارودي الوزارة الجديدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] البارودي وألف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ضرب الأسطول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالاحتلال [illegible] [illegible] عهد جديد.

وقضى [illegible] الثورة [illegible] على كل جهد قام به الوطنيون في سبيل الدستور وكانت [illegible] [illegible] [illegible] وعرفت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحديثة [illegible] [illegible] [illegible] الاحتلال [illegible] [illegible] [illegible] والاستقلال [illegible] في الشرق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاحتلال [illegible] [illegible] في نفوس المصريين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] مصر [illegible] [illegible] [illegible]

وتمضت سنوات [illegible] للاحتلال [illegible] [illegible] [illegible] والاستسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الثورة [illegible] [illegible] في نفوس المصريين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للاحتلال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المصريين [illegible] الاحتلال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

استحالة التعاون مع القوى الجديدة التي تسيطر على سياسة البلاد ويذكر فيها ما يأتي :

«ولاحظ أن هذه الإجراءات مخالفة لمحتوى [illegible] للنشرة الصادرة في يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ التي نص فيها على أن [illegible] يجرى أحكام البلاد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذلك [illegible] [illegible] من [illegible] أن يعملوا [illegible] لأنه لا يمكن لنا والحالة هذه أن ندير البلاد على أصول [illegible]»

وكانت [illegible] آخر [illegible] [illegible] من الاحتلال [illegible] سنوات [illegible] [illegible] كل [illegible] [illegible] البلاد [illegible] [illegible] دون معارضة [illegible] [illegible] ولا من [illegible] حكومة مصرية ولا من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قادتها والفتك [illegible] [illegible] [illegible] في مصر على سياسة التقرب من الفلاحين والتحبب إليهم [illegible] [illegible] سنداً له في دعم سياسة الاحتلال ولكن أبناء الأرض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصطفى كامل [illegible] [illegible] [illegible] ١٩١٩ [illegible] [illegible] الوطني [illegible] [illegible] قبل ذلك سنوات حتى [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] من [illegible] أخرى على [illegible] [illegible] [illegible] الأمة وقد [illegible] في هذه [illegible] [illegible] في [illegible] من الفلاحين [illegible] [illegible] [illegible] البلاد [illegible] [illegible] حتى [illegible] الأمة [illegible] واحدة [illegible] ضد المستعمر وتكافح في سبيل حريتها واستقلالها .

[illegible] الاحتلال [illegible] [illegible] [illegible] الإنجليزية [illegible] الدروس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والأدبية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] حافظت على لغة البلاد [illegible] [illegible] [illegible] المطابع دورها [illegible] في نشر [illegible] مؤلفين والكتاب [illegible] حركة الترجمة والنقل والاقتباس من الآداب الأوربية تمهيداً لازدهار

البعثات العسكرية من مصر وأوربا في سنوات أخيرة من القرن التاسع عشر و[illegible] ليس هذا في الحقيقة إلا استمراراً لذلك النشاط الأدبي الذي [illegible] في عهد إسماعيل.

وقد قصر حرص الاحتلال على [illegible] اللغة العربية في مدارس [illegible] التعليم [illegible] فأصبح عشر حصصاً لا عناية [illegible] بالثقافة أو التقدم العسكري أو العلمي أو [illegible] الصحيحة [illegible] تهدف إلى [illegible] تكوين [illegible] إخراج طائفة [illegible] الموظفين [illegible] الإدارات الحكومية و[illegible]. وأوقف الاحتلال إرسال البعوث إلى أوربا وهبط مستوى التعليم في مدارس [illegible] وحدت [illegible] ومآلها [illegible] كانت [illegible] وظائف الدولة [illegible] على الأخذ [illegible] التعليم [illegible] الأول [illegible] هذا [illegible] من [illegible] المصريين [illegible] في [illegible] هذا [illegible] وكان هذا [illegible] في الثقافة والأدب و[illegible] الوطنية و[illegible].

أما الحركة الدستورية [illegible] في [illegible] حكم [illegible] وكان من [illegible] الثورة العرابية أن [illegible] حاول شريف [illegible] في [illegible] سنة ١٨٨٢ [illegible] ١٨٨٣ [illegible] في ذلك في [illegible] الاحتلال [illegible] الحكومة [illegible] اللورد دوفرين [illegible] سفيرها في الآستانة وكانت قد كلفته بوضع نظام للبلاد في عهدها الجديد، وقد أشار [illegible] مجلس [illegible] على [illegible] مجلس [illegible] الأول [illegible] مجلس شورى القوانين ويتكون من ثلاثين عضواً [illegible] الحكومة [illegible] و[illegible] منهم رئيس [illegible] عن [illegible] الحكومة ويتكون من أعضاء مجلس شورى القوانين وأعضاء الوزارة [illegible] من [illegible] المديريات والمحافظات ويجتمع مرة كل عامين، وكان رأي [illegible] المجلسين

استشارية لا تلزم الحكومة ولا ترتبط بقراراته ، كما أشار بإنشاء مجالس للمديريات على أن لا تكون قراراتها نافذة إلا بموافقة وزير الداخلية ، وصدرت المراسيم بهذه المؤسسات الجديدة في مايو سنة ١٨٨٣ وإن كان تنفيذ قانون مجالس المديريات قد تأخر إلى عام ١٩٠٨ .

وليس هناك وجه للمقارنة بين دستور سنة ١٨٨١ وهذه الأشكال الدستورية الزائفة ويظهر أن رغبة دفرين كانت مقصورة على ما وصلت إليه البلاد في جهودها الدستورية حتى لا تهتم بمقاومة حركات الحرية والمطالبة بإرادة الأمة فأرادت أن تأخذ بالشكل دون الجوهر معتمدة أن البلاد لم تبلغ بعد من التقدم الاجتماعي والسياسي والفكري ما يؤهلها لممارسة حقوقها الدستورية كاملة وهي في الحقيقة لا تخشى إلا ظهور هيئات نيابية حرة تبسط نفوذها في البلاد كما أشارت مقترحات اللورد دوفرين إلى ذلك في أن هيئات نيابية تتمثل فيها رغبة الأمة ولكنها لا تعرقل سير الإدارة الحكومية .

وكان الإنجليز قد اهتموا في الجيش الجديد وأشرفوا على تكوينه بعد أن سرحوا جيش الثورة وشكلوا هيئة ضباطه بعد فشل الحركة العرابية ولم يهتموا بثقافته العسكرية أو تربيته الفنية واحتفظوا بالروح المعنوية فأصبح شكلاً مجرداً لا يعني إلا بالمظهر والعرض دون الحقيقة والجوهر وحدوا من قوته وتسليحه وعدده فلم يعد رمزاً لقوة الدولة ولم يتح لها فرص التدريب العسكري للإعداد من الحرب العسكرية فأصبحوا شرف الجندية وسمعة الضباط ونقص عدد المتوسط بالقدرة على أداء العمل العسكري وظل مرتبطاً في أذهان المصريين بهذا المعنى الذي طبعت آثاره الباقية إلى عهد قريب وبقي كامناً إلى الآن في نفوس كثير من المصريين كما نظموا الشرطة على نمط جديد واستخدموا فيها رجال الضباط الإنجليز وجهدوا في أن يصبغوها بالصبغة التي يريدونها فأصبحت رمزاً للعسف والإرهاب في أذهان المصريين بعيدة عن فهمهم هذا المعنى الكريم الذي تقوم عليه الشرطة في الأصل .

وقد بنى الإنجليز سياستهم حقيقة بمشروعات الإنتاجية في مصر واختصوا سياستهم

مشروعات الري والزراعة ومد الطرق الحديدية وتمديدها ولكنهم قصدوا غير منفعتهم الذاتية ومصلحتهم الخاصة ، فازدهار المدنية في البلاد يكفل رواج تجارتهم ومشروعاتهم المتنوعة ، كما أن وفرة الإنتاج الزراعي للحاصلات التي تحتاجها مصانعهم يكفل لهذه المصانع حاجتها من هذه الخامات . وكان اهتمامهم هذا لسبب زراعة القطن فوق اهتمامهم بأي نوع آخر من الزراعة وهو الخامة التي تحتاجها مصانع الغزل والنسيج في انكلترا فكان القطن المصري هو عماد تفوق هذه الصناعة في بريطانيا ومن ثم انصرافها الى هذه الوجهة أن تكون مصر مورداً للقطن المصري . وقد أرادت أخيراً أن تجد منه بديلا بقطن الجزيرة في السودان ، ولكن التجربة كانت على غير ما تحب لأن القطن المصري ظل محتفظاً بسمعته وتفوقه ولم يكن قطن الجزيرة يشابهه في جودته وميزاته .

وكانت سياسة الاحتلال ترمي إلى قصره على إخراج الموظفين أو الخدم ، ولم سلكت في سبيل ذلك ما سلكته من قصره على تخريج موظفين في الشعب يقومون لخدمتهم وقصره على اللغة العربية في المدارس ونشر روح العسكرية في الشعب وزعزعة الثقة من نفوسهم ، وأخذت في التشكيك في قدرة المصري على القيام بالإدارة والوظائف العامة .

ومع ما استطاعت الإدارة المصرية من ذكاء وتعلم في تقدمهم إلا أنها كانت تقوم على التشكك في أمانة وكفاءة المصري وقدرته ، فأدى ذلك إلى نوع من مركزية الإدارية طبع إدارات الحكومة بطابع خاص من التعقيد ، وقضي على ثقة الموظف المصري بنفسه وقدرته على الاضطلاع بمسئوليته بجدارة ، وبان أثر ذلك عندما استقل بالإدارة الحكومية في الأزمة التي خلفها الموظفون الإنجليز وراءهم طلبت باقية بعد رواحهم .

ولكن الاحتلال البريطاني وقع في وقت كان جهاد المصريين فيه رغبة لاستكمال حقوقهم الدستورية ، وكان إسماعيل قد خطا خطوات واسعة في الاستقلال عن الباب العالي ، وعلى نوعي القوى عوامل انها كانت مصر فيه أسبق من غيرها من بلاد

الدولة العثمانية [illegible] وعدم [illegible] الحركة الفكرية [illegible] ظهرت آثاره في الصحافة والتعليم والكتب [illegible] والترجمة فلم يكن في قدرة الاحتلال أن يقضي على قوة هذه العوامل وآثارها في [illegible] ومن [illegible] إلى [illegible] البلاد بعد فشل الثورة العرابية حتى [illegible] كل [illegible] استقلالها ووحدة أراضيها في وادي النيل

و[illegible] وقد ارتقى أريكة الخديوية بمصر [illegible] في ٨ يناير سنة ١٨٩٢ ، و[illegible] عشرة من عمره تدفعه فورة الشباب إلى التمسك بحقوقه الشرعية في الحكم تلك الحقوق التي [illegible] من دونه المعتمد البريطاني لورد كرومر .

وقوبل هذا [illegible] من جانب الخديو بكل [illegible] ولا سيما [illegible] والشباب أملا راود أحلامه وأمانيه . وقد [illegible] مشاعر [illegible] الخديو [illegible] مصطفى فهمي [illegible] من ورائه دولته وتنبه الشعب لهذا الموقف الأبي [illegible] وقوده على [illegible] البلاد [illegible]

و[illegible] الشعب حول الخديو ورأى فيه رمز الأماني الوطنية [illegible] و[illegible] في كل [illegible] رغبة الخديو في ممارسة سلطاته الشرعية ومعارضة [illegible] جهوده و[illegible] لخدمة بلاده وكان له أكبر الأثر في [illegible] شعور [illegible] الحركة القومية تلك الوجهة الوطنية التي [illegible] في [illegible] وظل [illegible] في جهاد الشعب المصري لتحقيق [illegible] الوطنية و[illegible] القومية [illegible] ، وكان هذا الزعيم [illegible] مصطفى كامل [illegible] في تاريخ مصر المعاصر .

ولقي مصطفى كامل من تأييد الخديو وتشجيعه ما كان له أكبر الأثر في نمو الحركة الوطنية في بدايتها ، ولئن كان الخديو قد تخلى عن تأييد الوطنيين عندما ساد الوفاق بينه وبين المعتمد البريطاني الجديد وهو السير الدون جورست ، إلا أن تأييده للحركة الوطنية وتشجيعه لها في البداية كان عاملاً هاماً في نموها واستقرارها وتثبيت دعائمها .

واتسمت دعوة مصطفى كامل الوطنية بمحافظتها على الرابطة الإسلامية العامة والولاء للخلافة ، ولعله كان متأثراً في ذلك بدعوة الجامعة الإسلامية ، ولعله كان يرمي إلى الإفادة من الحق الشرعي للدولة العثمانية في مصر ، ذلك الحق الشرعي الذي كفلته معاهدة لندن عام ١٨٤٠ في حمل الإنجليز على الجلاء ، ولعله كان يرمي كذلك إلى الاستعانة في مقاومة الاحتلال بالقوى الأجنبية واعتمادها على هذه الحقوق الشرعية .
ولكن مما لا ريب فيه أن دعوة مصطفى كامل الوطنية كانت عنصراً هاماً من عناصر الحركة القومية الحديثة في مصر التي تنحو وجهتها الصحيحة وهي التي تحدد أهدافها ومراميها وحدودها في تعريف المصري بأنه الذي يعيش في وطن وله حقوق وواجبات نحو الوطن ، وهذه معاني [illegible] في الحقوق وهي مقومات القومية الحديثة ومقوماتها الرئيسية .

ولم تكن دعوة مصطفى كامل لربط مصر بالخلافة العثمانية إلا نوعاً من الولاء للرابطة الإسلامية العامة كان يسود العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، ولعل هذا هو السبب في إبطاء استعداد الوعي القومي في البلاد الإسلامية ، فقد ظلت لا تعرف القومية ولم تتنكر للولاء للخلافة وكل ما تتطلع إليه أن تحقق نفسها وتعبر عن استكمال ذاتها في داخل الدولة العثمانية ، ولم تكشف الرابطة الإقليمية فيها عن نفسها إلا [illegible] كنتيجة طبيعية لانهيار الدولة العثمانية وسقوط الخلافة .

وقد كتب مصطفى كامل في صحيفة اللواء الفرنسية في سبتمبر سنة ١٩٠٦ رداً على مقال نشرته عن الجامعة الإسلامية بين فيه حقيقة أغراضها ومراميها من حيث أنها رابطة تعاون وإخاء بين الشعوب الإسلامية هي في أصولها نفس ما يهدف إليه الدين الإسلامي وما تحققه الأخوة التي تجمع بها الإسلام شعوبه وأممه

وحمل مصطفى كامل لواء الجهاد الوطني في الداخل وفي الخارج فبينما هو يدعو المصريين في صحيفة اللواء التي يصدرها في مصر باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية وفي خطبه التي يلقيها عليهم إلى الوحدة والحرية وإلى المطالبة بحقوقهم ويحمل على سياسة الإنجليز في وادي النيل فيلهب الشعور ويحيي موات الأمل في النفوس إذ به يثير الدول على سياسة الاحتلال وعدوان الإنجليز على البلاد وانتهاك الحقوق الشرعية التي كفلتها الدول لمصر في معاهدة لندن عام ١٨٤٠ تارة بأحاديثه إلى الصحف الأوربية الكبرى وتارة بخطبه في الاجتماعات العامة التي يعقدها لهذا الغرض في عواصم أوربا . وكانت فرنسا أعظمها عناية وتشجيعاً له فإن فرنسا كانت أكثر الدول الأوربية اهتماماً بالمسألة المصرية وأشدها مقتاً للاحتلال البريطاني لمصر وظلت تشجع دعاة الوطنية المصرية وتؤيدهم وتمهد لهم سبل الدعاية في بلادها حتى إذا عقدت الاتفاق الودي مع إنجلترا عام ١٩٠٤ ذهب عنها ذلك التشجيع . ولكن هذا لم يقلل من صدق دفاعه عن حقوق مصر وإن لم يقض على نشاطه ودعايته فيها وفي غيرها من البلاد الأوربية الأخرى .

وبعث الشعور الوطني في مصر وجعله عنيفاً وقوع حادثة دنشواي عام ١٩٠٧ وصدور المحكمة المخصوصة التي صدر قانونها عام ١٨٩٥ بمحاكمة من يتهم من الأهالي بالاعتداء على ضباط وجنود جيش الاحتلال أحكامها القاسية التي أثارت الرأي العام المصري وأوجدت صداها في العالم الخارجي بالحملة التي شنها مصطفى كامل في الصحف الدولية على جور الحكم البريطاني وقسوته وأثارت ثائرة الأحرار في أوربا وفي إنجلترا على تلك الحوادث الدموية التي ارتكبت باسمها فاضطرت الحكومة البريطانية إلى أن تعزل كرومر معتمدها في مصر بعد أن تبين لها جور وقسوة التي لطخت بها حكمها في مصر . وكانت استقالة كرومر انتصاراً لمصطفى كامل .

وحاولت سياسة المعتمد البريطاني الجديد السير جورست التقرب من الخديو حتى تقلل من قوة الحركة الوطنية التي بدأها الخديو وعضدها ، ولكن الحركة الوطنية كانت قد اشتدت ونما الشعور الوطني مده وأعلن عن نفسه في خطب مصطفى كامل وسجل هذا الشعور قاسم أمين في العبارة الآتية

في ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل هي المرة الثانية التي رأيت فيها قلب مصر يخفق والمرة الأولى كانت يوم تنفيذ حكم دنشواي».

وكان على الحركة الوطنية بعد تمام سياسة الوفاق وإبرام الاتفاق الودي بين فرنسا وإنجلترا أن تبحث عن وسائل جديدة غير وسائلها القديمة، فإن المساعدات التي كانت تلقاها سواء من الخديو أو من الحكومة الفرنسية قد أصبح مشكوكا فيها، بل إن البوادر أخذت تدل على تخلي كل من الخديو وفرنسا عن الحركة الوطنية وزعمائها الوطنيين.

وكان مصطفى كامل قد أخذ يحس بضرورة استقلال الحركة الوطنية عن الخديو وزاد تأكده من ذلك بعد أن تمت سياسة الوفاق، كما ضعف إيمانه بمساعدة فرنسا ونفوذها بعد إبرام الاتفاق الودي وإقرار كل من ألمانيا والنمسا له، وكانت تركيا قد شغلت عنه بمشاكلها الخاصة وقد تعلقت آمالها بالإنجليز في مصر بعد وقوع التمرد في مقدونيا واحتدام النزاع بينها وبين بريطانيا، ولكنه وإن كان قد عمل على إعداد الوطنية المصرية وحمل الشعب المصري على الإقبال على التعليم وضروب الإصلاح معتمداً على نفسه دون معونة من الحكومة وأنشأ لهذا الغرض مدرسة مصطفى كامل ودعا المصريين إلى إنشاء المدارس الأهلية فنجح في ذلك نجاحاً كبيراً في فترة قصيرة من الزمن إلا أن خطته الخارجية التي اعتمد فيها على الصداقة الدولية والضمير العالمي قد انتهت بخيبة مريرة ولم تواته الفرصة لتغيير خطته والاتجاه بالحركة الوطنية وجهة تتفق وطموحه بعد وفاته المبكرة بعد شهور قلائل من تمام سياسة الوفاق وميل الخديو ميلا تاماً إلى مهادنة الاحتلال، في فبراير ١٩٠٨م.

ولكن الحركة الوطنية بعد وفاة مصطفى كامل احتفظت بنفس الأساليب التي جرى عليها في حياته فسار محمد فريد على نفس أسلوب مصطفى كامل في الدعاية للقضية الوطنية في الخارج وإثارة الرأي العام وتركيز الحملة الوطنية ضد الاحتلال في الداخل، في وقت كانت أواصر الصداقة والتقارب قد اشتدت بين فرنسا وإنجلترا.

وكانت تركيا قد حظيت باهتمام الساسة المصرية وخاصة بعد أن انصرف الاتحاديون عن فكرة الجامعة الإسلامية ودعوتها، كما بدت نزعة تجديدهم الاستبدادية على حقيقتهم لم يعد يبدو ارتباطها بالدعوة الوطنية واشتدادها .

ونالت الحركة الوطنية من عسف الحكومة واضطهادها ما قلل من نشاطها حتى الشيء الكثير من قوتها واشتدادها في صفوف الشعب التي كانت قد اكتملت وقد ابتعد عنها ... ولم تبق لدعاة الوطنية من ألوان الضيم والعسف ما حملهم على الهجرة فهاجر محمد فريد الذي تزعم الحركة الوطنية بعد مصطفى كامل إلى أوربا واتجه . مع نشاطه في خدمة القضية المصرية بعد أن تنكر له عباس وسجنه ، وظهر أن الرغبة من سجنه واعتقاله هي القضاء على نشاطه والحد من دعوته .

وقد اشتدت حركة الصحافة الوطنية ونشطت من النقد في مهاجمة الاحتلال والسياسة التي يطبقها في مصر حتى لم يعد من الممكن السكوت عنه ، فطلب جورست بعث قانون الصحافة الذي سن في عام ١٨٨١ منح للإدارة حق إنذار الصحف وتعطيلها كما طلب سن قانون النفي الإداري وصدر القانونان عام ١٩٠٩ فكان لصدورهما دوي ترك آثاره العميقة في بلاد نهضت الصحافة ووقف الرأي العام حيال الحركة القاطعة وزادت حدة الشعور الوطني وغضب الرأي العام عقب كان من شدته أن أقدم أحد الشباب المتحمس على اغتيال رئيس الوزراء بطرس غالي في فبراير عام ١٩١٠ وهو الذي أصدر هذه القوانين ، وكان قد وقع من قبل اتفاقية السودان ، ورأس المحكمة المخصوصة التي أصدرت أحكامها القاسية على أهالي دنشواي ، فتجسمت في شخصه كل أوصاف الاحتلال كما يراها الشباب المتحمس

ولجأت سياسة الاحتلال إلى إحدى وسائلها لتقضي بها في حرب الحركة الوطنية فأثارت التفرقة بين المسلمين والأقباط وهاجت النفوس بالسباب والمقت وعقد المؤتمر القبطي عام ١٩١١ في أسيوط ثم المؤتمر المصري في مصر الجديدة ردا عليه وكادت تكون فتنة تصدع وحدة الوطن بين الفرقة والانقسام

ثم تغيرت سياسة التوفيق [illegible] بعد وفاة جورست وتعيين كتشنر معتمداً لبلاده في مصر فقد سار كتشنر على سياسة كرومر القديمة في الحد من سلطة الخديو وكانت بينهما جفوة قديمة تعود إلى أيام أن كان كتشنر سردار الجيش المصري وحرب حادثة الحدود [illegible] الخديو [illegible] الجيش المصري وغضب كتشنر لهذا واضطر الخديو للاعتذار عن نقده . ولم يجد الخديو في موقفه [illegible] نصيراً من الوطنيين بعد موقفه القديم منهم وهكذا [illegible] على من [illegible] وسيلة لتحقيق مآربه

ولم يكن كتشنر من [illegible] في حكم الشعوب الشرقية وكان [illegible] لهم [illegible] في [illegible] من أواسط أفريقية ، ولكنه لم يستطع [illegible] واستعداد الحركة الدستورية في البلاد [illegible] من [illegible] ووضع مشروع الجمعية التشريعية وصدر بهذا القانون النظامي رقم ٢٩ لسنة ١٩١٣ بإدماج [illegible] في جمعية واحدة ومنحها حق [illegible] القوانين ومسؤولية [illegible] الضرائب [illegible] مباشرة [illegible] وكان رأيها استشارياً وتتكون من [illegible] منتخبين [illegible] على درجتين وعددهم ٦٦ عضواً وسبعة عشر عضواً آخرين تعينهم الحكومة

ورغم ما لقيته الحركة الوطنية من مقاومة [illegible] وأبطالها من الاضطهاد فإن [illegible] الحركة [illegible] في [illegible] وحقيقة أغراضها صارت وهي تعتمد في سيرها على قوة الشعب ووعيه وجهوده الخاصة بعيداً عن معونة الحكومة [illegible] الجامعة المصرية [illegible] عام ١٩٠٨ حتى فتحت أبوابها [illegible] وحمل قاسم أمين لواء الدفاع عن حرية المرأة وحقوقها ووضع بذلك أول حجر في ناحية من أهم نواحي النهضة الاجتماعية الحاضرة [illegible] لإنشاء المدارس الأهلية حتى [illegible] التي [illegible] من الحكومة [illegible] عام ١٩٠٩ في نشر التعليم الابتدائي ، [illegible] عام ١٩٠٨ [illegible] الحركة الدستورية في البلاد [illegible] حتى دفع الحكومة

إلى الاهتمام [illegible] مجلس [illegible] وجعل حساب مجلس شورى [illegible]
و[illegible] عمومية [illegible] وتقرير حق سؤال الوزراء في مجلس شورى القوانين
حتى صح للشعب [illegible] وحدود ، ولكن هذا التحايل لم يعث عليه واشتدت الحركة
الدستورية [illegible] ، و[illegible] قوة الوعي القومي وشدة حساسيته حين قاوم
الشعب [illegible] وعمل على فشلها

وفي تلك [illegible] الحرب العالمية الأولى وفي تجربة عام
١٩٠٧ بالتحديد ظهر حزب الأمة [illegible] التي تدعو على [illegible] مطلق
[illegible] الحركة الفكرية والسياسية [illegible] في مصر وتدعى حزب الأمة
[illegible] في وقت ولكنه كشف عن تطور خطير في إدراك معاني القومية
عن حقيقتها وكانت [illegible] الفكرة تدور حول تلك العبارة [illegible]
مرارا وهي «مصر للمصريين» فقد قامت دعوة حزب الأمة على ضرورة وجهة الوعي
السياسي والقومي في مصر وجهة مصرية خالصة لا ارتباط بينها وبين دولة الخلافة
فمصر [illegible] الدولة العثمانية في تحقيق كيان قومي خاص بها يكاد ينفصل
تماما عن دولة الخلافة أجدر ما تكون في يومها هذا بتحقيق كيان قومي كامل لها
لا ترتبط بدولة أخرى ولو كانت دولة الخلافة .

هكذا [illegible] دعوة حزب الأمة في وقت [illegible] فيه [illegible] للدولة [illegible]
[illegible] حركة الإصلاح [illegible]
[illegible] الخديوي في [illegible] العناصر [illegible] على العنصر [illegible]
[illegible] في مصر [illegible] الأحرار [illegible] إلى الأمور
[illegible] وطنية [illegible] إلى [illegible] الحركة القومية في مصر [illegible] دولة الخلافة
أو الاعتماد عليها بعد ما بدا من عجزها حيال المسألة المصرية والوقوف أمام إنجلترا
ومقاومة سياستها [illegible] في [illegible] موقف [illegible]

و[illegible] الحركة الوطنية في مصر في تلك السنوات القلائل التي سبقت الحرب
العالمية الأولى وقد كشفت عن [illegible] القومية الأصيلة [illegible] عواطفها من ناحية

الخلافة وبقوته [illegible] لا [illegible] تلك القوة [illegible] في [illegible] أرض
دولة الخلافة وبعض ما يثور في نفس المصريين من حنق وكراهة للاحتلال والدولة
الجديدة جعلتهم يلتمسون الراحة فيمن [illegible] على هواهم في كراهيتهم، وكانت
تركيا في ذلك الوقت قد ارتبطت بسياسة ألمانيا [illegible] قد خرجت
[illegible] إلى دول الوسط [illegible] وحلفائها، وازداد بعد ذلك حب الألمان في قلوب
المصريين ماداموا يجتمعون معهم على كراهية الإنجليز.

ووقعت الحرب وقد تجمع في قلوب المصريين من حنق [illegible] ما كان كفيلا
[illegible] خصومهم [illegible] البلاد حتى [illegible]
على البلاد وفرضت عليهم الأحكام العرفية [illegible] من وراء
[illegible] الدافع عند الأمة [illegible] في ميدان [illegible] أي نحو [illegible]
[illegible] المصريين كانت [illegible]
وادي النيل من الجند ما لم يكن للمصريين قبل بها

وما انتهت الحرب حتى قامت مصر [illegible] الثورة
التي [illegible] من تلك القوى التي [illegible] دورها
الرائع في [illegible] صحيحة [illegible] في جميع المصريين
على [illegible] واحدة لا فرق فيها بين مسلم ومسيحي أو [illegible]
أو غني وفقير.

٤ ـ فارس

[illegible] فارس لنفس العوامل التي [illegible] في ظهور
[illegible] القومي [illegible] حركة [illegible]
بلاد الشرق الأوسط [illegible] والأطماع [illegible] في العصور [illegible]
وقد [illegible] خرج من [illegible] عصر حيث كان [illegible] الأوربي

قد أخذ يتقدم عبرها وروسيا من طرفها ويتوغل فيها حتى يصل إلى طهران العاصمة ويصبح حكومة الشاه وقد سلب عنها نفوذها لأخرى فكسبت روسيا من الامتيازات والحقوق لرعاياها وغيرهم في معاهدة تركمانجاي ما أصبح حقا تطالب به الدول الأوروبية الأخرى

وقد دخلت فارس في نطاق الاهتمام الأوروبي منذ وضع بطرس الأكبر قيصر روسيا قواعد سياسة روسيا في التوسع والامتداد والوصول إلى البحار المفتوحة و[illegible] الدافئة وأصبحت هذه القواعد عقيدة سياسية استمسك بها قياصرة روسيا من بعده وأصبحت قاعدة أساسية في سياسة روسيا الخارجية. وأخذ الروس منذ ذلك الوقت يتطلعون في شغف إلى آسيا ويتطلعون من طرف فارس شمالها إلى الغرب من نهر أراس ويحاولون التسرب عبر أراضيها إلى مياه الخليج الفارسي

وكانت فارس موضع اهتمام فرنسا كجزء من حلقة الطريق البري إلى الشرق البعيد ومنطقة تدخل في نطاق مشروعاتها الاستعمارية في الشرق تلك المشروعات التي شغلت بال ساسة الاستعمار الفرنسي ونشطت في أواخر القرن الثامن عشر بعد أن فقدت مستعمراتها في الهند وأمريكا وقد كانت مشروعات فرنسية في هذا الصدد حملة نابليون على مصر ثم تهديده عن طريقها وكان من الواضح أن الخطوة التالية لاقتحام طريق الهند تقع في فارس وحمل هذا الاتجاه على الاهتمام بها فأرسلت إليها كاردان [illegible] لمساومة الشاه في عقد معاهدة سياسية بينها وبين فارس .

ولم تهتم انجلترا بشئون فارس حتى ذلك الوقت رغم ما كان بينهما من علاقات تجارية قديمة ترجع إلى أوائل القرن السابع عشر ثم بدأ هذا الاهتمام بعد حملة نابليون على مصر وتهديدها المباشر لطريق الهند البري وكان التوغل الروسي في أواسط آسيا يثير قلقها على سلامة الهند وبدت أهمية فارس كحاجز ضخم يقف دون الوصول لها و[illegible] منافذها الشمالية الغربية وهي المنافذ التي تنتهي بها طرق الغزو التاريخية إلى الهند من هاته الجهات . وعلت أهمية فارس الاستراتيجية على أهميتها التجارية منذ ذلك الوقت وأصبحت [illegible] لا

من الدولتين المتنافستين على أرضها وهما انجلترا وروسيا فلا يمكن لغيرهما [illegible] حقوق بها إلا في فترات قصيرة عندما كان يدخل عامل جديد في سياسة الشرق الأوسط نفسها ويدخلها في نطاق مشروعاته السياسية والاستعمارية وظهر هذا [illegible] عندما قام نابليون بحملته على مصر ثم مرة ثانية عندما شرعت ألمانيا في تنفيذ سياستها نحو الشرق

وسارت سياسة فارس وهي تتأرجح بين كل من الدولتين في علاقتها فطورا [illegible] إلى السياسة الانجليزية [illegible] وطورا تعمل إلى جانب روسيا [illegible] وفي كل حالة كانت سيادة فارس على أرضها تتهاوى تحت [illegible] نفوذ كل منهما ، [illegible] وطأة هذا النفوذ الأجنبي [illegible] في أراضيها ويكسب من الحقوق والامتيازات ما يعطل نهضة فارس وتقدمها فاتجهت الحركة الشعبية فيها إلى إصلاح أداة الحكم [illegible] النفوذ الأجنبي وامتيازاته العديدة

وجاء هذا الاتجاه الشعبي في نهايته كنتيجة للحركة [illegible] تحت حكم الشاه المطلق وعدم وجود دستور [illegible] الحكم [illegible] في عهد ناصر الدين شاه الذي حكم فارس ما بين سنتي ١٨٤٨ و١٨٩٦ ، ولم يكن ناصر الدين [illegible] من [illegible] الحكم ولا [illegible] الإصلاح [illegible] التجديد [illegible] الأوربية في شيء من العصور [illegible] الذي [illegible] الإصلاح [illegible] في [illegible] على [illegible] سنة ١٨٥٢ [illegible] الأوربيين [illegible] الجيش ، ولكن [illegible] في [illegible] من [illegible] حكمه [illegible]

النفوذ الإنجليزي والروسي على البلاد وتغلغل النفوذ الأجنبي والانهيار المالي الذي أصاب ميزانية الدولة نتيجة لإسرافه والقروض العديدة التي عقدها مع البيوتات المالية في كل من روسيا وانجلترا وما منحه من بعض رعايا هاتين الدولتين في مرافق البلاد الاقتصادية والاستراتيجية [illegible] حدث في عهده [illegible] [illegible] الشاه [illegible] ومصادرة [illegible]

وكان [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] فارس في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقد ظهر واضحاً [illegible] من [illegible] الامتيازات الاقتصادية في البلاد فقد نال الأخير [illegible] [illegible] خطوط [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] كرمنشاه وهمذان كما نال الروس [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] الإمبراطوري في [illegible] عام ١٨٨٩ كما [illegible] [illegible] الروسي في العام التالي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ودعائمها في فارس بتلك القروض التي عقدها الشاه في كل من الدولتين [illegible] [illegible].

وجاء عامل آخر [illegible] [illegible] في [illegible] الحركة [illegible] وعزائمها ووضوح مناهجها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] عام ١٨٨٩ ودعاه إلى صحبته إذ ألمت به [illegible] بالإصلاح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في طهران [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإصلاح كما كانوا [illegible] في كل [illegible] [illegible] وأصبح له الشاه من شعبه ومن بلاده ولكن ما أن [illegible] [illegible] خوف على سلطانه حتى [illegible] [illegible] من البلاد عام ١٨٩١ وكان قد أعتصم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فارس [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] فهو [illegible] من [illegible] لا [illegible] الشاه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] كما رادها أوارا ما ألم [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] الشاه عام ١٨٩٦ على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كمال [illegible] وكان [illegible] الحركة الدستورية في فارس [illegible] [illegible] الأفغاني [illegible] [illegible] [illegible] ناصر الدين [illegible] من البلاد [illegible]

وظل الأفغاني [illegible] على حكومة الشاه [illegible] في صحيفة [illegible] في لندن [illegible] [illegible] البلاد وعلمائها [illegible] حتى [illegible] الشاه امتياز احتكار التبغ في [illegible] الأجانب [illegible] خطر هذا الامتياز على اقتصاديات البلاد ويهيب بالفرس أن يقاوموه وكتب إلى زعيم فارس الديني وكبير مجتهديها السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي [illegible] على [illegible] الامتياز وكان [illegible] الزعيم الكبير [illegible] وفي تحريمه [illegible] [illegible] ونزل الشاه على [illegible] الرائع في مقاطعة التدخين [illegible] الامتياز فأعطاه مقابل تعويض قدره نصف مليون من الجنيهات وهكذا ظهر إجماع الشعب لأول مرة [illegible] في عهد مظفر الدين شاه الذي [illegible] في إعلان الدستور في ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٦ ودعي المجلس للاجتماع في أكتوبر من تلك السنة [illegible] الأمراء [illegible] والأعيان ورجال الأعمال [illegible] البلاد ولم يلبث الشاه طويلا حتى مات ولما يمض ثلاثة شهور على افتتاح المجلس [illegible] العرش بعده محمد علي شاه [illegible] النية على تعطيل المجلس وإلغاء الدستور ولم يرده عن [illegible] عام ١٩٠٧ إلا [illegible] الرأي العام الذي أخذ يمشي في [illegible] [illegible] في البلاد [illegible] ثم [illegible] على الحركة الدستورية [illegible]

وظل الشاه على عزمه [illegible] في القضاء على الدستور [illegible] من [illegible] [illegible] من الروس [illegible] سنة ١٩٠٨ [illegible] المجلس [illegible] الروس تعيين مجلس من أربعين عضوا بدل المجلس المنتخب .

وقامت الثورة ضد الشاه في تبريز [illegible] في أوائل عهد السلطان
عبد الحميد في تركيا ، [illegible] حركة مضادة فيها باحتلال المدينة في أبريل سنة ١٩٠٩
ولكن الثورة استطاعت أن تجد عونا لها في عدد من البختياريين الذين دخلوا طهران
في ١٣ يوليو سنة ١٩٠٩ بعد أن تغلبوا على مقاومة جنود الحرس القوزاقي ولم يجد
الشاه حماية إلا في التجائه إلى السفارة الروسية ، فعزله الوطنيون وأقاموا بدلا منه
ابنه الصغير تحت وصاية أحد الملاك كبير أسرة قاجار ونفي الشاه المخلوع إلى أوروبا
ولم تنجح محاولاته لاستعادة عرشه [illegible] على مؤازرة الروس له ولكن
دون جدوى .

ولكن هذه البدايات [illegible] عهد القدم [illegible] فرصة
الاستفادة [illegible] تحت وطأة [illegible] الأجنبي الذي [illegible] بعد أن تم
الاتفاق [illegible] ١٩٠٧ بين [illegible] وروسيا لتقسيم مناطق النفوذ في [illegible]
[illegible] في البلاد ولم ينجح [illegible] شوستر الأمريكي [illegible]
الحكومة [illegible] في إعادة الثقة إلى النفوس

وهكذا خضعت الحركة الدستورية في فارس لنفس العوامل التي خضعت لها في
في تركيا ، وهي [illegible] الأجنبي الذي وقع على الدولتين في وقت واحد
[illegible] الأوروبية [illegible] وحكامهما [illegible] كل في
ملكه ، وكانت هذه الحركة الدستورية في كل من تركيا وفارس مظهرا لتطور
الفكرة القومية في الدولة ولكنها في تركيا كانت تختلف عنها في فارس لأن تركيا
[illegible] قومية واحدة [illegible] الحركة
القومية [illegible] على وحدة الدولة [illegible]
[illegible] التركي [illegible]
[illegible] الانقلاب الدستوري [illegible] الأولى [illegible]
[illegible] من الأتراك [illegible]
[illegible]
دون ظهورها [illegible] الدولة [illegible] يتجهون اتجاها قوميا يستمد
[illegible] وعادات الأتراك

وتقاليدهم الأولى . أما فارس فكان حظها من نشأة الدولة القومية قليلا لم تكن للدولة العثمانية فيها لم تتوسع ما توسعت الدولة العثمانية وما بسطت سلطانها على شعوب تختلف عنها في الجنس واللغة والدين ما بسطت الدولة العثمانية سلطانها على شعوب وأجناس عديدة لها مميزاتها وعاداتها القومية . وكانت سببا في تحطيم مقدمات قوى سلطان الدولة عليها في سنيها الأخيرة . وظلت محتفظة بوحدة أراضيها وشعبها وعمر معتقداتها ولغتها وثقافتها وتمدنها . التي تعتبر أساسا للدولة القومية . ولكنها تخضع لتقاليد العصور الوسطى في الحكم والدولة ونظام المجتمع ما يبعد بينها وبين روح القوميات الحديثة ، التي عرفت بالقضاء على مخلفات النظام الإقطاعي الذي مهد بأوروبا لظهور الطبقة البورجوازية وسيادتها ، كما عرفت بتقرير علاقة الفرد بالدولة تلك العلاقة التي تستمد أصولها من وثيقة حقوق الإنسان في الثورة الفرنسية عام ١٨٧٢ ، وربطت الدولة بالوطن وسيادتها على أراضيه .

وظلت فارس تعيش في تقاليد العصور الوسطى ونظمها حتى بدأ الوعي القومي بها يكشف عن مقدماته المستورة فكان هذا إيذانا بخروجها من العصور الوسطى واستقبالها طلائع العصور الحديثة . ولكن فارس ظلت بعيدة عن هذا كله عن الاحتكاك المباشر بالحضارة الغربية . ويقول كيرك مؤلف « مختصر تاريخ الشرق الأوسط » « إن الموجة الغربية وصلت فارس بعد أن مرت بعواصم إستانبول وموسكو وبومباي فضعف هذا من تأثيرها » ويعتقد كيرك كذلك أن تأثير الحضارة الغربية في فارس تم عن طريق منافستها بالإنجليز في الهند والروس والأتراك على حدودها الشمالية والغربية فكان فيها أضعف منه في بلاد الشرق الأوسط الأخرى ولم يكن لفارس من الاتصال الفكري المباشر بأوروبا ما كان لمصر والشام مثلا .

وجاء تأثير الحضارة الغربية في فارس عن طريق التجار والمهندسين والفنيين والرحالة الأوروبيين الذين كانوا يفدون إليها رعاية لمصالحهم التجارية أو للبحث عن آثارها القديمة أو لخدمة الحكومة الفارسية التي استدعتهم للعمل في وظائفها أو غيرهم ممن تقصده الحوادث والرحلة والمشاهدة فكانت التيارات الفكرية ضعيفة إلى جانب ما تركته الإرساليات التعليمية والتبشيرية في نشأة ونمو حركة الاحتكاك الأوروبي المباشر

عصر من آثار وجهود تشجيعا من حكامها لم نجده في فارس . ففي الوقت الذي
كانت بعوث محمد علي وإسماعيل التعليمية تترى على أوربا كان ناصر الدين شاه مثلا
وهو معاصر لإسماعيل ، لا يشجع أبناء شعبه على الارتحال والالتحاق بالجامعات الأوربية
وجرت سياسته العامة على الحد من إرسال البعوث العلمية إلى الخارج أو الالتحاق
بالجامعات الأوربية حتى من تمكنهم مواردهم المالية من الالتحاق بها على نفقتهم
وفي الوقت الذي انتشرت فيه الصحافة في مصر وتركت آثارها العميقة في توجيه
الرأي العام وتحديده لم يكن هناك صحيفة قط في بلاد فارس يمكن أن نعتبرها صحافة
شعبية ولم يبدأ هذا النوع من الصحافة فيها إلا بعد إعلان الدستور عام ١٩٠٦ ،
ومن المعروف أن أول دورية صدرت في فارس كانت عام ١٨٥١ أصدرها
الشاه ناصر الدين لنشر قوانين الحكومة ومنشوراتها

ورغم إعلان الدستور وقيام حياة نيابية في فارس فلم تغب شمس النفوذ الروسي والإنجليزي
واستمر نفوذ الدولتين يتسلط عليها واتفاقهما على اقتسام مناطق النفوذ فيها
عام ١٩٠٧ وفشل شوستر في إصلاح ماليتها حتى إذا قامت الحرب العالمية الأولى أعلن
الشاه حياد بلاده ولكنها لم تسلم من أوضار الحرب وآثارها العميقة ثم قيض الله لها
أحد أبنائها محمد رضا بهلوي ، فاستطاع أن ينهض بها ويسترجع سيادتها على أرضها
ويقضي على كثير من ألوان النفوذ الأجنبي والامتيازات الأوربية وخطو بفارس إلى الأمام
نحو الإصلاح تحت شعارها الجديد إيران

الفصل العاشر

الحرب العالمية الأولى

والشرق الأوسط

شهدت سنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر تفوق الحضارة الأوروبية وسيادتها، وتقدم الوعي الإنساني، وعلمه، وتقرير حقوق الإنسان وحرياته، ثم القضاء على الرق، وكفلت المساواة وشرائع الحكم في الدول حريات الفرد فأصبحت حرية العقيدة، وحرية العبادة، وحرية الرأي والخطابة، والنشر والاجتماع قواعد مقررة في كل الدساتير حتى في أشد الدول رجعية واستبدادا، وتطورت الأنظمة الديمقراطية حتى بلغت درجة من التمكن حققت للأمم سيادتها التامة على كل شئونها واتجاهات سياستها الداخلية والخارجية، وانتشر التعليم حتى أصبح حقا لكل مواطن تكفله له الدولة وتعممه وخطت دور العلم روادها، وازداد الإقبال على العلم، وخطت دور الكتب، وانتشرت الصحف، وأصبحت للصحافة مكانتها الرفيعة في الأمم التي تدين بحرية الرأي وبالدفاع عن حرياتها وحقوقها واتجاهاتها فغدت سلطة رابعة إلى جانب سلطات الدولة الثلاث.

وفي غمار الإيقاظ القومي للأمم والشعوب، واحتدام الفكرة القومية، وقيام الدولة القومية الحديثة تقدمت الفكرة الدولية. وظهرت حاجة المجتمع الدولي إلى الترابط والتآخي والتعاون فكانت المؤتمرات الدولية للدول العالمية، ودعم أواصر الوحدة العالمية والحد من منازعات الدول، ومنع الحروب، وتحقيق رفاهية بني الإنسان.

وفي ستار هذه النزعة الدولية للتعاون والتآخي تغلبت النزعة القومية السائدة ومصلحة الدولة تتفوق على كل ما عداها من مصالح مشتركة، فقامت الحواجز الجمركية الصارمة، وأخذت الحكومات تتدخل في إدارة الأعمال التجارية والصناعية دفاعاً عن مصلحة الدولة ومصلحة الأفراد، واحتدم التنافس الاقتصادي بين الدول وأصبح في حقيقته مثار كل نزاع دولي، وأخذ يحتدم معه الخصومة والإحن الدولية، وتتحطم عندها كل جهود يبذلها رواد الخير والسلام للحد من مرارتها، وما يمكن أن ينجم من [illegible].

وكان للانقلاب الصناعي أثره العميق في احتدام التنافس الدولي حول مواطن الخامات، ومصادر الإنتاج، وأسواق الاستهلاك، فنشطت قوى الاستعمار، وكانت مثار الأزمات السياسية التي نشبت بينها، والحروب الدامية التي [illegible] القوى ساحتها، ومن هذه المراحل الأخيرة في كل صقع من أصقاع العالم، وكانت هذه الثورات الدامية للشعوب التي تكافح للتخلص من نيره، وتمكنت من استعادة واستغلال مواردها وخيراتها. وكانت شعوب الشرق الأوسط من بين هذه الشعوب التي عانت أوضار الاستعمار ومساوئه، والتي تكافح للفوز باستقلالها وسيادتها وحرياتها.

وجد عامل جديد بنزول ألمانيا وإيطاليا إلى ميدان الاستعمار، وكانتا قد فاتهما سوطه لتأخر وحدتهما، فخطفت لهما ساعة الاستعمار، ووقفت بين القوى الاستعمارية الكبرى سنه، وهذا ميدان [illegible] نشب التنافس الاستعماري ويزيد من حدته وشدته.

وكان هذا عامل آخر من عوامل ظهور الفاشية وتحقيق وحدتها على يد جماعة من أقطاب العسكرية البروسية تحت زعامة بسمارك، وذلك من الآثار العميقة في تطور السياسة الدولية ما يفوق آثار نزولها إلى ميدان الاستعمار، وما جره من احتدام التنافس الاستعماري بينها وبين القوى الاستعمارية الكبرى. فقد كانت

الحرب ضد فرنسا عام ١٨٧ [illegible] آخر حرب [illegible] لتحقيق [illegible]
[illegible] والإ[illegible] [illegible] من
الضغائن والأحقاد ما سيطر على [illegible] الشعبين [illegible] وفي طوال الفترة التالية من
[illegible] الملك [illegible] امبراطوراً في [illegible] قصر فرساى
في ١٦ [illegible] سنة ١٨٧١ [illegible]
[illegible] على فرنسا [illegible]
[illegible] على متز واستراسبورج
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وليس [illegible] ما يعطى [illegible] وإن ألمانيا الناشئة يجب أن لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] تسيطر على الحاجات السياسة
الدولية [illegible]
[illegible]
التنافس الاستعماري وزاد من حدة النزاع وأوجد هوة الخلاف بين المتنازعين ، وانقسمت
[illegible] على
[illegible]

الدول تأمن كلها من خطر الحرب وشرها مادى فى المستقبل القريب . واتسمت الفترة التى تلت معاهدة فرانكفورت بتلك التحالفات الدولية التى أفضت إلى انقسام أوروبا معسكرين كبيرين [illegible] فى سياستهما الخارجية نحو التسلح ودعم قواتهما الحربية حتى عرفت تلك الفترة فى تاريخ الحرب بفترة السلم المسلح ودفعت الحرب القادمة [illegible] إلى كافة أنحاء العالم القريب والبعيد وبداية ما عرف فى تاريخ الحروب بالحرب الشاملة

المحالفات الدولية

التحالف الثلاثى

عمل بسمارك بعد معاهدة فرانكفورت على [illegible] سياسته فى عزل فرنسا فقرب من النمسا التى [illegible] وقرب من روسيا التى كان [illegible] الأولى و [illegible] الدولة الألمانية [illegible] الأباطرة الثلاثة [illegible] ١٨٧٢

وعلى بسمارك [illegible] الدولة الألمانية الجديدة هى دعامة السلم فى أوروبا ، على أن [illegible] الأباطرة الثلاثة لم يكن مقدرا له أن [illegible] طويلا [illegible] كان من الممكن أن تتعاون مع سياسة [illegible] الدولة [illegible] فى [illegible] من الشعوب السلافية وكان على بسمارك أن يختار بينهما [illegible] فقد كان يخشى خطر التوسع الروسى على [illegible] كما كان يخشى [illegible] روسيا [illegible] فى [illegible] فى البلقان [illegible] على [illegible] روسيا [illegible] موقف [illegible] من الروس ، وفى عام ١٨٧٩ [illegible] أن تعقد [illegible] ، وعلى آخر لا تسمح ألمانيا بأن تفقد امبراطورية النمسا والمجر كيانها الدولى

وظهرت نوايا بسمارك الحقيقية حيال مصالح روسيا وأطماعها فى البلقان وفى الدولة العثمانية فى مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ عقب انتصارها على تركيا فقد عمل على [illegible] مشكلة الدول [illegible] فى [illegible] وبين الشعوب السلافية فى البلقان بينما [illegible] فى [illegible] وأصبح من المنتظر أن تنسحب

روسيا من سياستها الودية وبهار اتحاد الأباطرة الثلاثة ولا سيما بعد أن خرجت روسيا من [illegible]
المحالفة الثنائية التي عقدت بين ألمانيا والنمسا عام ١٨٧٩ . وكان أهم ما نصت عليه
أن تنجد كل منهما الأخرى إذا وقع على أي منهما عدوان من جانب روسيا وأن تلتزم
كل منهما الحياد المشوب بالعطف إذا كان العدوان من جانب دولة أخرى ، ثم
إذا انضمت روسيا إلى هذه الدولة فإن على كل منهما أن تنجد الأخرى في هذه الحالة

ولكن بسمارك استطاع بعد ذلك أن يؤخر هذه النتيجة المحتومة وعمل على تضليل
روسيا عن مصالحها الحقيقية ونجح في تجديد اتحاد الأباطرة الثلاثة الذي أبرم في
برلين عام ١٨٨١ وجدد مرة أخرى عام ١٨٨٤ على أساس تعهد الحكومات الثلاث
وتعهد كل منها بالحياد المشوب بالود إذا اشتبكت إحداها في حرب مع دولة أخرى
على أنه إذا كانت [illegible] هي هذه الدولة فإن على الدول الثلاث أن تتفق على نتائج
هذه الحرب و[illegible] الصلح . وهكذا نقض تجديد اتحاد الأباطرة الثلاثة ما نصت عليه معاهدة
التحالف الثنائي بين النمسا وألمانيا عام ١٨٧٩

ولكن اتحاد الأباطرة الثلاثة انهار بعد ذلك [illegible] مطامع
النمسا في البلقان ، [illegible] بسمارك إلى آخر فرصة في محاولة التقرب من روسيا والتحالف
مع [illegible] ، فعقد معها اتفاقية ثنائية سرية [illegible] عام ١٨٨٧ [illegible] حول
احتفاظ كل منهما بالحياد الودي في حالة حرب [illegible] إحداهما مع دولة أخرى [illegible]
ألمانيا فيه بنفوذ روسيا في البلقان [illegible] في هذه [illegible]
الأباطرة الثلاثة [illegible] على علاقات [illegible] في وجه [illegible] .

ولكن بسمارك [illegible] في [illegible] وكشف النقاب عن
حقيقة [illegible] عام ١٨٨٧ [illegible] صراحة للنمسا ،
و[illegible] معاهدة الضمان [illegible] روسيا [illegible]
وجاء سقوط بسمارك عام ١٨٩٠ ليعجل بهذه النهاية

وقد أصبح التحالف الثنائي بين ألمانيا والنمسا عام ١٨٧٩ ثلاثياً بانضمام إيطاليا
إليه عام ١٨٨٢ [illegible] من جانب فرنسا لتونس التي كانت [illegible] هي الأخرى وللتخلص

من [illegible] الوحدة فقد كانت ترى في ارتباطها بالتحالف الثلاثي [illegible] ، [illegible] العوامل التي أدت إلى انهيار اتحاد الأباطرة الثلاثة [illegible] التحالف الثلاثي [illegible] إيطاليا في [illegible] في البحر الأبيض المتوسط [illegible] ، فضلا عن أن [illegible] من [illegible] في التحالف الثلاثي [illegible] مع إيطاليا عام ١٩١١ .

الوفاق الثنائي

[illegible] على [illegible] الإبقاء على روسيا في نطاق التحالف [illegible] رغم وضوح السياسة [illegible] في البلقان . ولكن سقوط بسمارك عام ١٨٩٠ [illegible] روسيا وفرنسا [illegible] الثلاثي ، [illegible] التي أوفدها قيصر روسيا إليها عام ١٨٨٨ لتوطيد أواصر الصداقة بين البلدين ، وسارعت بتغطية القرض الذي طلبته روسيا . ثم عقدت الدولتان [illegible] عام ١٨٩١ [illegible] التحالف الثلاثي في [illegible] وفي عام ١٨٩٣ [illegible] معونة حربية ضد ألمانيا وحلفائها .

[illegible] عام ١٨٩٨ [illegible] على ذلك [illegible] التحالف الثنائي [illegible] ١٩ [illegible] على [illegible] أوروبا الوسطى في [illegible]

اقتصادى سياسى خانق [illegible] ولم يكن [illegible] أن [illegible] الأخذ [illegible] وهو [illegible]
إلى بلاد البلقان .

وقد [illegible] موقف فرنسا [illegible] العرب [illegible] بين [illegible] إنجلترا [illegible] تنافس الاستعمارى بين الدولتين فى مصر وكانت [illegible] مصالحهما فى [illegible] ومقاومة [illegible] أطماع فرنسا الاستعمارية فى الشرق الأوسط [illegible] حتى شعب فرنسا [illegible] وخطر [illegible] على حدودها [illegible] فى [illegible] وكانت حادثة فاشودة عام ١٨٩٨م [illegible] مع [illegible] لأهم [illegible] [illegible] وسار [illegible] فضل [illegible] [illegible] وكان [illegible] فى عدم [illegible] والارتباطات السياسية والحربية وهى التسلح والتأهب للحرب كما أخذت تشعر بخطر الأطماع الألمانية [illegible] والاستعمار و[illegible] سيطرة الاقتصادية على أسواق العالم فأسرعت إلى التقرب من فرنسا وأبرمت [illegible] فى أبريل عام ١٩٠٤م وهو المعروف باتفاق لانسدون [illegible] وقضت [illegible] [illegible] مصر [illegible] كش [illegible] حتى [illegible] عام ١٩١٤

ويدور الاتفاق الودى حول تسوية مسائل [illegible] بين [illegible] فى [illegible] و[illegible] وكان أهم ما تناوله مسألتى مصر ومراكش [illegible] شروطه السرية على إطلاق يد انجلترا فى مصر مقابل إطلاق يد فرنسا فى مراكش كما نصت على [illegible] كل منهما من حقوق [illegible] فى منطقة نفوذ الأخرى كحرية التجارة وحرية المرور فى قناة السويس [illegible] فى [illegible] متى [illegible] ذلك [illegible] على مراكش متى زال حكم السلطان [illegible] الأسباب [illegible] من النص فى الاتفاق بمنع إقامة تحصينات أمام جبل طارق .

وكان [illegible] مكاتبه قد نجح في [illegible] تحالف ثلاثي [illegible] على احراج [illegible] بالموقف [illegible] لتحقيق أطماعها في مراكش واستطاع أن يحملها على توقيع وثيقة الحياد [illegible] خلال [illegible] أنها لا تقصد من [illegible] مع [illegible] و [illegible] لذلك على فرنسا فكان لاعلانها عداءً صريحاً [illegible] في [illegible] والمسويين على أن [illegible] وحدث في تركيا [illegible] دائماً [illegible] على الانسحاب من التحالف الثلاثي

وكان من نتيجة الحرب الروسية والاتفاق [illegible] الجديد الذي تم بين انجلترا وروسيا بعد أن [illegible] التنافس [illegible] ذلك ، فقد كانت أطماعهما الاستعمارية تتقابل وتتصادم في الشرق لأن روسيا كانت تتوسع في التبت وتعمل على [illegible] وتشرف على بلاد فارس وأخذت توسع نفوذها فيها وأخذت تتقدم في التركستان وتبسط نفوذها بطريق خط حديد [illegible] في الصين وتقترب بذلك من [illegible] نفوذ الانجليزي في [illegible] كان [illegible] في كثير من الأحيان [illegible] على [illegible] في [illegible]

ولكن هزيمة روسيا أمام اليابان عام ١٩٠٥ وانصرافها عن آسيا [illegible] له [illegible] من [illegible] وحصلت [illegible] على [illegible] في [illegible] من عام ١٩٠٧ [illegible] على كل خلاف بينهما ، فأخذت [illegible] تحت ضغط الظروف [illegible] في أوربا [illegible] الاتفاق [illegible] الثلاث [illegible] الودي الثلاثي وأصبح [illegible] تحالف ثلاثي [illegible] من [illegible] الحرب [illegible] المعسكرين عندما [illegible] الشرارة [illegible] البارود .

السياسة الألمانية نحو الشرق : Drang Nach Osten

لم تكن ألمانيا حتى عام ١٨٧٠ تطمع أو تطمح في الشرق الأوسط [illegible] ولم يكن لها من الأمر [illegible] كان [illegible] في منطقة [illegible] ، [illegible] على [illegible] في سياسة [illegible] من كل نشاط استعماري يمكن أن [illegible] لاستعمار [illegible] أو [illegible] وتحوب

دون تحقيق سياستها في عزل فرنسا . ولكن سقوط بسمارك واستقرار [illegible]
الشاب [illegible] بالحكم [illegible] كشف عن [illegible] جديدة [illegible] الإستعمار .
[illegible] سياستها الشرقية على هذا الأساس و غدت من دولة [illegible]
عليها إلى مناطق السيادة والنفوذ في العالم . فقد كان تفوق [illegible] البحرى يحول بينها
وبين [illegible] البحار ، والطرق [illegible] من الشرق [illegible]
وقطع عليها الاستعمار [illegible]

وبدأت تركيا [illegible] و [illegible] الألمان [illegible] هذه الدعوة
[illegible] عسكرية في أوربا [illegible] مهندس [illegible] عام ١٨٧٢
في إنشاء سكة الحديد [illegible] في [illegible] كل من دولتي [illegible]
فرنسا وانجلترا [illegible]
[illegible] في أملاكها [illegible]
[illegible] وكانت [illegible] من أطراف الدولة
و [illegible] ثم حدث
فرنسا عام ١٨٧٨ ومصر عام ١٨٨٢ ، ولم يجد السفير الألماني في الأستانة صعوبة في
إقناع السلطان عبد الحميد عام ١٨٨٣ بالاستعانة بالضباط الألمان في [illegible]
الجيش العثماني .

[illegible] خطوط حديد [illegible] عام ١٨٨٦ وكانت [illegible] السلطان
[illegible] الأناضول [illegible] الشروع على [illegible] والإنجليز
[illegible] الألمان [illegible] الانجليز [illegible]
الألمان ، وتكونت شركة حديد الأناضول عام ١٨٨٨ وحصلت على امتياز مد الخط
الحديدى إلى أنقرة

وهكذا [illegible] دولتين [illegible] بينهما وبين [illegible] حتى
[illegible] ميدان الاستعمار . وحدث [illegible] في الأستانة
وجاءت زيارة القيصر [illegible] للسلطان في الأستانة عام ١٨٨٩ وهو [illegible]
لإعلان [illegible] نفوذ الألمان في الدولة العثمانية و [illegible] الدولتين

[illegible] وفى زيارة القيصر [illegible] الاتفاق على مشروع خط ملاحى بين موانئ [illegible] وفى [illegible] تم عقد تجارى بين البلدين ، ولم يكن من [illegible] التوسع فى أمثال هذه الاتفاقات بين [illegible] والدولة العثمانية [illegible] ، وهى لن تعمل جهدها على [illegible] فى كانت [illegible] شرق أوربا يكفل لها توازن قواها ضد ألمانيا فى القارة .

ولكن [illegible] وتوسع [illegible] بحث عن مجال [illegible] طرق [illegible] العصر الذى [illegible] فى طموحه [illegible] السياسى المحنك الآن يترك قياد ألمانيا للقيصر الشاب ، ويترك له إرادته فى اعتزال الحكم عام ١٨٩٠

خط حديد بغداد

[illegible] فى مد خط الحديد [illegible] عام ١٨٩٣ وكان [illegible] من [illegible] فى عهد عبد الحميد فإن ألمانيا جعلت من إحياء الطرق [illegible] لا جدوى . [illegible] خط [illegible] خطوط حديدية [illegible] فى تشجيع مشروع [illegible] وسيلة لتحقيق أغراضها [illegible] وسياسة وتجارة

وفى المشروع معارضة قوية من روسيا ، فقد رأت مرور الخط الحديدى [illegible] فى [illegible] لحدودها فى [illegible] . ولم تملك الشركة الآن [illegible] عن المشروع بعد أن قامت عقبة مالية فى الاتفاق

ولم يلق المشروع من معارضة [illegible] وحدها من معارضة روسيا وفرنسا فإن
الأطماع الألمانية لم تكن قد اتضحت بعد في الشرق الأوسط بينما كانت المنافسة على
أشدها بين إنجلترا [illegible] في [illegible] حتى أن [illegible] كانت [illegible]
هذا التوسع الألماني [illegible] في [illegible] عام ١٨٩٢ على
تشجيع [illegible] الألمانية في الخليج الفارسي لتكون قوة [illegible]
[illegible] نفوذهم

ولم يكن موقف [illegible] حتى ذلك الوقت إلا [illegible] المشروع [illegible]
الحكومية والرأي العام في [illegible] عام ١٨٩٨ فقد رحب لورد سالسبري في
تقرير له باقتراب المصالح الألمانية من المصالح البريطانية في الخليج الفارسي ، وأشارت
صحيفة التيمس إلى تفضيل الألمان على غيرهم في القيام بالمشروع ما دام الإنجليز
لا يقومون به بأنفسهم ، وكتبت [illegible]
ما يحملهم على مقاومة أي عدوان يقع على تركيا من الشمال ، حتى علاقة الأستانة [illegible]
[illegible]
إلا من جانب وزارة المستعمرات التي أبدت ما يشير إلى ضرورة المحافظة على الوضع
القائم في الخليج الفارسي [illegible]

ثم كان عام ١٩٠٠ ، [illegible] مع أمير [illegible]
[illegible]
[illegible]
وقد كان الخليج الفارسي [illegible] الألمان [illegible] حاولوا
الوصول إلى مكان آخر على الخليج الفارسي لا يقف [illegible] النفوذ الإنجليزي حائلا دونهم ،
[illegible] الإنجليز [illegible] المشروع [illegible] لا على
[illegible] الشركة عام ١٩٠٣ [illegible]
[illegible] الفرنسيين
في رأس مال الشركة [illegible]

[illegible] من تأييد من زملائه الوزراء فإن كيرزون مثلا كان يرى أكثر من زملائه ضرورة [illegible] النفوذ البريطاني [illegible] في تلك المنطقة حتى بغداد ذاتها وهو صاحب الفكرة [illegible] من [illegible] الاستعمارية من رجال الأعمال الذين عجزوا [illegible] الأتراك لهم في [illegible] وحقوقهم ومحاولتهم السيطرة عليها [illegible] كما أثارت [illegible] مواقف الألمان منهم في حرب البوير [illegible] وأعلنت هذه [illegible] لانسداون وزير الخارجية إلى [illegible] بريطانيا في الخليج الفارسي بقوله « إن هدف بريطانيا أن تحافظ على تجارتها وتنميها دون التعرض لحرية الآخرين ، ولكن أي محاولة من دولة أخرى لإقامة قاعدة حربية أو تحصينات على الخليج هو خطر محقق تعده بريطانيا وستعمل على مقاومته بكل ما في وسعها من قوة » .

وفي الوقت الذي حدث فيه هذا الخلاف [illegible] و [illegible] يسلك طريقه الذي عبده تناقض سياستهما وتعارض مصالحهما [illegible] هذا الخلاف [illegible] التي تعمل على [illegible] فرنسا ضد ألمانيا وإعادة [illegible] في عقد الاتفاق الودي بينهما عام ١٩٠٤ ، [illegible] في عام ١٩٠٧ [illegible] كل من روسيا [illegible] وعقدت اتفاقا أشبه [illegible] الاتفاق الودي [illegible] على [illegible] وذلك [illegible] أن تكون الألمان في [illegible] النفوذ الإنجليزي على أن لا تثير الألمان ما يهدد روسيا على حدودها كما اعترفت بالنفوذ الإنجليزي ومصالح بريطانيا في الخليج الفارسي [illegible] مصالح [illegible] وجاء التهديد لبريطانيا ومصالحها في مناطق نفوذها وخطوط مواصلاتها [illegible] من هذه الدولة الناشئة عبر الأناضول والعراق وهي [illegible] للنفوذ [illegible] الصداقة الألمانية .

وقد بدت الفرصة للتقرب من جديد بين دولتي العرب وتركيا عقب قيام الاتحاديين بثورتهم الدستورية فقد وجدوا في أعين [illegible] الديموقراطية ما يوافق ميولهم الدستورية أكثر مما تستهويهم زعامة أصحاب الأوتوقراطية. ومن هنا [illegible] تشجع الاتحاديين على التقرب منها فقد رغبت في ضم تركيا للفرس [illegible] كما رحبت صحافتهم [illegible] في أعمال [illegible] الأرمن [illegible] الفرس وسكتت صحافتهم عن اضطهاد الأرمن. وعدا [illegible] في الدولة العثمانية بعظم وصداقتها تركيا تقوى كلما تقدمت الأيام.

ولما ظهر الأمر [illegible] عام ١٩٠٧ أعلنت حكومتهم أن معارضة بريطانيا لخط حديد بغداد [illegible] الشركات الإنجليزية، وبعد مفاوضات [illegible] عام ١٩١٤ [illegible] كل من [illegible] وألمانيا قدمت بريطانيا شروطها [illegible] الآتية:

١ — أن تكون نهاية الخط الحديدي عند البصرة، وتبقى الحالة في الكويت على ما هي عليه، وأن لا تكون [illegible] حرية [illegible] للخطوط الحديدية على الخليج الفارسي وأن لا تشجع [illegible]

٢ — أن يكون لبريطانيا ممثلان في إدارة الشركة.

٣ — أن تكون لشركة خط حديد بغداد وتركيا [illegible] في شركة ملاحة نهرية [illegible] كافة الحقوق ملاحة في نهر العراق وشركة [illegible] الإنجليزية [illegible] البصرة وبغداد [illegible] بريطانيا [illegible]

٤ — [illegible] شركة [illegible] في [illegible] واستغلال [illegible] وولاية البصرة [illegible] في ولايتي [illegible] شركة [illegible] على أن تكون [illegible] من [illegible] ثلاثة [illegible]

ولكن [illegible] كانوا [illegible] خط حديد بغداد من [illegible]

مصالحهم في الخليج الفارسي ولم تكن لذلك إلا أثره من ناحية النفوذ الأجنبي في خليج فارس ، واستمر التنافس على أشده حتى قيام الحرب في أواسط عام ١٩١٤

وقامت الحرب قبل أن يصل خط حديد بغداد إلى الخليج الفارسي أو يكتمل امتداده بينما اكتمل خط حديد الحجاز الذي رعاه السلطان عبد الحميد ودعا العالم الإسلامي إلى المساهمة في نفقات إنشائه وأشرف على تنفيذه مهندسون من الألمان وتم [illegible] عام ١٩٠٨ ، ولم يكن هذا الخط [illegible] من وجهة النظر الألمانية [illegible] الشخصية فقط [illegible] من خط حديد بغداد [illegible] خط حديد [illegible] في [illegible] خط حديد بغداد [illegible] [illegible] وكان [illegible] [illegible] الأتراك [illegible] [illegible] الأسطول [illegible] [illegible] أن يكون [illegible] [illegible] ميسورا

وعلى أثر [illegible] حول [illegible] إلى بلاد فارس ، [illegible] من كراهية الفرس لاتفاق عام ١٩٠٧ وقامت [illegible] [illegible] [illegible] أسواقها بتجارتها ومدت عاصمة طهران بالأسلحة والمهمات ، وتغلغل النفوذ الألماني في الجيش والبوليس ولم تغفل الحكومة البريطانية عن هذه الاتجاهات الألمانية الخطرة . [illegible] للمستقبل [illegible] النفوذ والاحتلالات الحربية ففي عام ١٩١٢ قامت [illegible] من [illegible] رأس الخليج الفارسي ووضعت مشروعا لاحتلال [illegible] وقامت [illegible] الأميرالية البريطانية وضع الأسطول في خدمة شركة [illegible] الإنجليزية [illegible] وكانت [illegible] ؛ ومدت أنابيبها إلى عبادان [illegible] مع شيخ المحمرة ، وهو أمير عربي يتبع حكومة فارس على حمايته من [illegible] [illegible] وحكومة [illegible] حتى تضمن سلامة وتأمين منطقة عبادان [illegible] عليها ، وكانت قد أبرمت اتفاقا مماثلا مع أمير [illegible] البحرين عام ١٩١١ وتعهد له [illegible] لا [illegible] بأي اتفاق مع دولة أخرى دون موافقة حكومة [illegible] [illegible] وكانت البحرين [illegible] تجارة وموطنا من مواطن [illegible] من [illegible] .

ودخلت مصر في دائرة [illegible] [illegible] واشتدت الدعاية الألمانية فيها في

تلك السنوات الثلاث التي سبقت الحرب وقضت على [illegible] من كراهية المصريين للاحتلال البريطاني ومن موقف كتشنر العدائي من الخديو حتى [illegible] المصريين للثورة على الاحتلال في أول فرصة [illegible] في مصر ويقول سير رونالد ستورس في كتابه [illegible] في الفترة التي سبقت الحرب [illegible] كما [illegible] على استمالة الخديو [illegible] وكان موقف كتشنر [illegible] أخرى [illegible] تلك الحقوق [illegible] التي رعاها الدن جورست .

نذر الحرب

وقضت السنوات الثلاث التي سبقت الحرب [illegible] طابعاً عنيفاً كاد يلهب شرارة الحرب ويدفع العالم إلى الكارثة المنتظرة فإن الاتجاهات الدولية [illegible] وأخذت [illegible] التسلح التي شملت كل الدول الكبرى كانت تؤذن [illegible] الحرب [illegible] حركته الأحقاد القديمة والترات الماضية .

وانقسمت أوروبا إلى معسكرين [illegible] كل [illegible] الذي عقد عام ١٩٠٧ [illegible] قبول مبدأ التحكيم [illegible] على [illegible] للحرب [illegible] الأحقاد والإحن في نفوسها [illegible] الأراضي [illegible] وفرنسا في [illegible] شعوبها [illegible] .

وتطلع ساسة برلين إلى إنشاء بحرية تنافس إنجلترا كما أثارها ما تلقاه من عنف منافسة التجارة الألمانية لتجارتها في أسواقها التقليدية . وكانت هذه الأزمات السياسية التي سبقت الحرب مظهراً للعداء الكامن والذي أخذ يشتد بين المعسكرين .

وكانت أسباب هذه الأزمات السياسية [illegible] من ركودها ثم تتحرك شرارتها فتخرج منها [illegible] عليها دون أن تحقق من أهدافها ما رمت إليه ثم تتابعها حتى [illegible] الدوائر ، [illegible] الطريق ويكون هذا السباق الرهيب في إعداد وسائل الهول والدمار .

وكانت مراكش مسرح هذه الأزمات السياسية [illegible] وقد رأت ألمانيا أن الاتفاق الودي وإطلاق يد فرنسا في مراكش ، سكت عليه علناً تنال من غرضه وكانت تريد بعض مغانم في مراكش أو تعويضاً عنها في مناطق أخرى فتطلب سياسة الباب المفتوح في مراكش والمحافظة على الوضع القائم بها واستغل القيصر [illegible] إلى جانب [illegible] فرنسا في حربها مع [illegible] وقام بزيارة طنجة في مارس عام ١٩٠٥ وأعلن [illegible] الحكومة [illegible] في هذه البلاد دون [illegible] استقلال [illegible] على بلاده [illegible] على سياسة الباب المفتوح في بلاده [illegible] على [illegible] وبهذا أنكر القيصر كل حق يمكن أن يكون لفرنسا في الاتفاق الودي وكان سرياً ولم يعترف به ، على أن [illegible] الروسية [illegible] وعقد صلح بورتسموث في سبتمبر عام ١٩٠٥ [illegible] إلى جانب [illegible] فرنسا [illegible] القيصر [illegible] من صحته [illegible] وطلب عقد مؤتمر لتسوية المسألة المراكشية وعارضت فرنسا في بادىء الأمر وأشارت من طرف خفي إلى المعاهدة السرية بينها وبين إنجلترا ولكن روزفلت رئيس الولايات المتحدة [illegible] على [illegible] .

وعقد مؤتمر الجزيرة في أبريل عام ١٩٠٦ وحضره مندوبو اثنتي عشرة دولة وقف أكثرها إلى جانب فرنسا وانتهى بعد أن نص على احترام استقلال مراكش وعهد إلى فرنسا وإسبانيا بالمحافظة على النظام في البلاد وتنظيم القوة البوليسية فيها على أن

تكون تحت إشراف رئيس سويسري [illegible] [illegible] وتأسيس مصرف تشرف
عليه كل من فرنسا [illegible] [illegible] وإسبانيا وأن [illegible] [illegible] إلى فرنسا على
أن تشرف إسبانيا على [illegible] [illegible] في حدود [illegible] [illegible]

وخرجت إسبانيا من المؤتمر ثائرة ووقعت في القلاقل التي ثارت بسبب خلع
سلطان مراكش وعدم [illegible] للسلطان الجديد [illegible] [illegible] لإخضاع القبائل الثائرة.
[illegible] [illegible] على التدخل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لقرارات مؤتمر الجزيرة
واحتلت [illegible] [illegible] [illegible] ولكن [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] والوقوف
إلى جانبها.

و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مياه أغادير في [illegible]
عام ١٩١١ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بطلان قرارات مؤتمر الجزيرة لخروج
فرنسا عليها ثم راحت تساوم بإطلاق يد فرنسا في مراكش على جزء من الكنغو
الفرنسية وعقد مؤتمر الجزيرة [illegible] في نوفمبر عام ١٩١١ وقررت الدول أن تكون
مراكش تحت [illegible] فرنسا [illegible] [illegible] طنجة ومنطقة الأسبانية على أن تحافظ فرنسا
[illegible] [illegible] على سياسة الباب المفتوح وأن تتنازل لها عن جزء من الكنغو
الفرنسية [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] مراكش.

وانتهزت [illegible] [illegible] [illegible] وشرعت في تحقيق [illegible] في طرابلس [illegible]
الحرب على [illegible] [illegible] [illegible] في طرابلس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أهل
البلاد رغم [illegible] [illegible] على طرابلس في معاهدة [illegible] [illegible] عام ١٩١٢

ورأت روسيا في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على
تحقيق أهدافها [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] والإحلال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فرنسا [illegible]
تحقق أهدافها [illegible] [illegible] [illegible] روسيا [illegible] وكان [illegible] [illegible] [illegible] من
جانب روسيا في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان [illegible]
[illegible] سياسة الروسية أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في حرب [illegible]

ألمانيا في دعم قوتها البحرية ومحاولتها [illegible] والتفوق في بحار [illegible]
[illegible]

ومن [illegible] في [illegible] الأخيرة التي سبقت قيام الحرب على [illegible] الاستراتيجية [illegible] عام ١٩١٢ على أن تكون [illegible] عن [illegible] والدفاع عن [illegible] لفرنسا [illegible] عام ١٩١٢ [illegible] جيش الترك [illegible] الألمان . وفي مارس سنة ١٩١٤ [illegible] والألمان تنسيق وربط المواصلات [illegible] بين البلدين استعدادا لاحتمالات الحرب القريبة . [illegible] في مارس عام ١٩١٣ وافق الرشستاغ الألماني على [illegible] للجيش [illegible] من [illegible] العامل في وقت السلم مائة وعشرون ألف جندي ، وقابلت فرنسا [illegible] التجنيد للرجال [illegible] عسكري للمجندين الجدد أما روسيا فزادت من قوة جيشها العامل وأطالت مدة الخدمة العسكرية بدورها .

الموقف الاستراتيجي

[illegible] على [illegible] تقوم خطتها الاستراتيجية [illegible] وعلى هذا الأساس [illegible] لأيسر الجيش الفرنسي [illegible] مواصلات [illegible] وكانت سيطرة الأسطول البريطاني على [illegible] وكان البحر

مانعاً يحول دون تجهيزه وتعرضه تحت القوة [illegible] على أن تنفيذ هذه الخطة في
نجاحها على دقة تنفيذها وتتم بسرعة متواترة حتى لا تترك فرصة لصمود القوات
العربية والانجليزية بسلامة مؤخرتها وخطوط مواصلاتها

أما جيوش الحلفاء [illegible] فقد كان من الواضح أنها ستعمل على خطوط
مواصلات خارجية ولم تملك ميزة الاعتماد على طول الوقت في [illegible] موارد العدد
وجهاده ما دامت تستند إلى عمق استراتيجي كاف وخطوط مواصلات جيدة وموارد
وافرة من الرجال والعتاد [illegible] من أن تهاجم في مواضع متعددة أو تقضي على [illegible]
[illegible]

وكان من الواضح أيضاً أن استعداد جبهة [illegible] مدة
بالقوات والمعدات [illegible] من مواقع طبيعية أو دفاعات قوية
ولا سيما امتدادها في بلاد الدولة العثمانية فمن استطاعة قوات الحلفاء أن تصل عند هذا
الحد دون أن تتمكن من احتلالها خطر وإن كانت القوات البريطانية في مصر وقناة
السويس يمكن أن تتعرض [illegible] القوات
التركية في السيطرة على [illegible] البحر الأحمر [illegible] عدن وإن
عدداً من [illegible] لقطع مواصلات [illegible] في وقت [illegible] يمكن
أن تكون شوكة في جنب [illegible]
ثم أن وجود [illegible] الثلاثة [illegible]
والحرب في جبهتين [illegible] والاقتصاد
في القوات

وأما موقف الأمر [illegible] للحلفاء [illegible] ثم [illegible]
في التفوق الاستراتيجي وكسب النصر [illegible] موقعهم البحري الذي يمكنهم
من قطع مواصلات [illegible] وفرض الحصار البحري [illegible] ووضع الخطط
[illegible] واحتفاظ الأسطول [illegible] قوتهم البحرية ولكن [illegible] ومن المعروف أن
سلامتهم هي في [illegible] على البحار [illegible] في هذا الميدان

واعتمدت ألمانيا على غواصاتها في السيادة أمام بريطانيا على البحار فاهتمت بها وأكثرت من عددها ثم تفننها في إخفاء البحار المسيطرة على ممراتها ومعابرها ، وثانيهما سيطرتهم على أهم المواد الاستراتيجية في العالم وتفوقهم العددي الهائل على دول التحالف الثلاثي فإن خامات الحرب الهامة كالبترول والمطاط والقطن والمعادن ومواد [illegible] مع معظمها في حوزة الحلفاء ، كما أنهم يسيطرون على قوات بشرية هائلة في الهند والشرق الأقصى وأفريقيا تمكنهم أن يحشدوا منها عشرات الملايين من الجنود دون أن ينضب هذا المنبع البشري الزاخر أو يقل .

وأمام هذا كله الأمر يحتم أن دول الوسط إن لم تحرز نصراً سريعاً حاسماً تحمل عدوها المحارب على التسليم والخضوع فإنهم خاسرون الحرب لا محالة رغم الاستعدادات الخاصة التي حرروها في [illegible] فإذا طالت الحرب وفاتهم هذا النصر السريع فإن ذلك سيكون في صالح الحلفاء رغم ما هو معروف من تفوق العسكرية الألمانية وشدة مراسها وحزم قوادها واستعداد دهاة الحرب لها

الحرب

وجاءت الساعة الرهيبة التي تحدث فيها شرارة الحرب في يوم رهيب وبعد أشهر التي تطلق مستودع البارود الذي تعب فيه الحرب حواليه قرابة نصف قرن دون أن ينفجر أو تتطاير شظاياه حتى الثامن والعشرين من يونيه عام ١٩١٤ اغتيل ولي عهد النمسا وزوجته في سيراجيفو بيد طالب صربي وكانت الصرب على خلاف مع النمسا ، ولم تمض على هذا الحادث حتى أعلنت الحرب على الصرب وهبت روسيا تدافع عن الصرب وتحمي مصالحها في البلقان وقامت ألمانيا بتأييد جانب النمسا ووقفت فرنسا في جانب روسيا وحركت الجيوش الألمانية الأراضي البلجيكية لمهاجمة فرنسا وأعلنت إنجلترا الحرب على ألمانيا دفاعاً عن حياد البلجيك وهي في حقيقتها تدافع عن مصالحها وهكذا اشتبكت دول الوسط أو دول التحالف الثلاثي مع دول الوفاق الثلاثي وقد وقفت إيطاليا على الحياد في بداية الحرب ولكنها أعلنت

على حلفائها من قبل بعدما وعدتها دول الوفاق بتحقيق أحلامها في الترنتينو و التيرول
وكان ذلك في ٥ مايو سنة ١٩١٥ وكانت تركيا قد دخلت الحرب قبل ذلك إلى جانب
دول الوسط دفاعا عن كيانها المهدد من دول الوفاق .

وتعددت الحرب إلى أبعد من هذا واشتركت فيها دول عديدة وشهد العالم لأول
مرة في تاريخه حربا عامة تصطلى البشرية جمعاء نارها .

وبدأت العمليات الحربية ضد تركيا بمحاولة الأسطول الإنجليزى اختراق
المواصلات للاتصال بالروس ولكن المحاولة فشلت ثم أنزلت قوات بريطانية هائلة من
الجنود الأسترالية والنيوزيلندية في غاليبولى و[illegible] و[illegible] مقاومة عنيفة من
الأتراك جعلتهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] الروس [illegible] الأرمن [illegible] الإنجليز [illegible]
[illegible] في الشرق فاحتلوا [illegible] في فبراير سنة ١٩١٦ واستولوا على
[illegible] في أرضروم وطرابزون ولكنهم سرعان ما [illegible] دون [illegible]
بوعورة الأرض وصعوبة [illegible]

و[illegible] [illegible] أملاك الدولة العثمانية في الشرق في خريف عام ١٩١٥
قامت حملة بريطانية من [illegible] [illegible] [illegible] وأحدثت ضربتها على الدجلة
واحتلت كوت العمارة وتقدمت نحو بغداد ولكن هجوم الأتراك المضاد ردهم على
أعقابهم إلى كوت التي سقطت في يد الأتراك في أبريل سنة ١٩١٦

ولم يكتمل العام حتى جهز البريطانيون حملة ثانية [illegible] [illegible] [illegible] ٥
للاستيلاء على العراق واستعادة الهيبة البريطانية التي ضاعت بعد فشل ثوشند
في كوت . وتقدمت الحملة على الطريق القديم واحتلت كوت العمارة وسارت
نحو بغداد التي سقطت في مارس سنة ١٩١٧ . واستمرت في تقدمها صوب سامراء
على مسافة ثمانين ميلا من بغداد ودخلتها في ٢٣ أبريل من السنة نفسها

وهيأ التقدم البريطاني في العراق تقدم روسي في فارس الفرصة فاحتلوا كرمنشاه في ١٢ مارس سنة ١٩١٧ وخانقين في ٤ ابريل ولكن قيام الثورة البولشفية في روسيا أوقف عملياتها الحربية في الميادين المختلفة وسحبت جيوشها من فارس في يوليه من العام نفسه فاحتلتها القوات البريطانية

وفي فلسطين تقدمت القوات التركية نحو قناة السويس ولكنها ردت دون عبورها وصدت في أغسطس سنة ١٩١٦ وتحول البريطانيون من الدفاع إلى الهجوم ، وكانوا قد جهزوا العرب للثورة التي أعلنها الشريف حسين في الحجاز في ٥ يونيه سنة ١٩١٦ وما مر يومان على إعلانها حتى سلمت الحامية التركية في مكة وفي التاسع والعشرين من أكتوبر نصب الشريف حسين نفسه ملكا على العرب ودعا إلى حرب الأتراك واستقلال البلاد العربية وفي منتصف ديسمبر من العام نفسه اعترفت الحكومة البريطانية به ملكا على الحجاز

وما انتهى البريطانيون من مد الخط الحديدي وأنابيب المياه في سيناء حتى بدأوا عملياتهم الحربية باحتلال العريش والعوجة ورفح في مارس سنة ١٩١٧ ، وتقدموا نحو غزة وفشلت عملياتهم الأولى في حصارها ومنوا بخسارة فادحة في عمليتهم الثانية هناك ، وفي ٢٨ يونيه سنة ١٩١٧ ولى الجنرال اللنبي القيادة بدلا من الجنرال أرشيبالد موري . وفي تلك الأثناء كانت عمليات العرب الحربية بقيادة لورنس وفيصل قد نجحت في احتلال العقبة وتهديد خط حديد الحجاز وحماية الجناح الأيمن للقوات البريطانية في فلسطين

وبدأ اللنبي عملياته الهجومية في أكتوبر سنة ١٩١٧ وبعد قتال مرير ما بين غزة وبئر سبع لمدة شهر انتهى بطرد الأتراك منهما في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، نجح في احتلال يافا في ١٦ نوفمبر من نفس الشهر وبيت المقدس في ٧ ديسمبر من العام نفسه . وعند دخول بيت المقدس قال اللنبي كلمته المأثورة « اليوم انتهت الحروب الصليبية » .

وفى العام التالى تأخرت العمليات البريطانية بعض الوقت بسبب الموقف فى الميدان الغربى وقيام الألمان بهجومهم الأخير فى فرنسا سنة ١٩١٨ كما أهمل الأتراك دورهم الميدان الحربى فى فلسطين وسوريا ووجهوا هجماتهم إلى المواقع فى القوقاز واستأنف البريطانيون هجومهم الأكبر فى فلسطين وسوريا وانتهت وقائع المجد بتحطيم الجيشين التركيين السابع والثامن وتقهقرت فلولهم عبر الأردن إلى دمشق حلب واستمر البريطانيون فى أعقابهم ودخل العرب بقيادة فيصل ونورى مدينة دمشق عروس المدن الشامية ثم تقدموا إلى حلب وحموها وكانت قوات الأسطول الفرنسى قد احتلت بيروت .

وانتهى الموقف فى الشام بطلب الأتراك للهدنة بعد أن منيت بهزيمة مركزة فى الميدان جملة وصحت الوقائع أخيرا بعقد الهدنة التى تمت مراسيم عقدها بالأستانة فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ .

وسقطت الدولة العثمانية وقضى الرجل المريض نحبه بعد أن ظل سنوات طويلة فريسة ضحية السياسة الأوربية وقلقت شمس السلطنة الشرقية من غير رجوع وطوى التاريخ صفحة من أمجد صفحاته لتبدأ صفحة جديدة حفلت بألوان من النضال والسيطرة والتطلع إلى الغد المرموق يوم يعود للشمس إلى البزوغ من مشرق الأرض وتحمل دول الشرق الأوسط رسالته الخالدة إلى بقاع المعمورة كما حملت الإنسانية مواكب عابدة والجحود المغلق لقوى الروح الخالقة .

الثورة العربية

أعلن الشريف حسين أمير مكة ثورته على الترك فى ٥ يونيه سنة ١٩١٦ ودعا العرب لحربهم وكان موقف الشريف حسين عاملا له أهميته فى كسب الحلفاء للحرب وانتصار البريطانيين فى الميدان الشرقى ما أنه الموارد وعمل فى طليعته عمل ما يأتى فكانت خدمتها عظيمة للقيادة البريطانية فقد قطعت خط الرجعة على القوات التركية

فى الحجاز وفى جنوب بلاد العرب كما أمنت الجناح الأيمن للقوات الزاحفة فى فلسطين وقضت على الدعاية الألمانية التركية فى الجنوب الغربى لبلاد العرب ومكنت للقواعد البحرية من احتلال أوكار لها فى البحر الأحمر »

ولكن هل كانت ثورة الشريف حسين فى الحجاز صدى لعواطف الملايين من العرب فى الشرق الأوسط وهل كانت عملا تحيطه نفوسهم بالإعجاب والإكبار وهل كان الشريف حسين الرجل الذى تتعلق به عواطف العرب فى بلاد الشرق الأوسط ويمثل مستقبل العالم الإسلامى . وأخيراً هل حققت الثورة العربية أهدافها القومية وهل كان وزن الاحتمال حسن حسمها ما يوازى ما بذله العرب من تضحيات وبذل فى سبيل كسب هذه الحرب ؟

أما أن تكون ثورة الشريف حسين صدى لعواطف العرب وآمالهم فتعوزه [illegible] أمام خواتمها وما أحاط بالثورة من ملابسات حتى نستطيع أن نتبين إلى أى حد كانت ثورة شريف مكة تعبيراً صادقاً عما يكمن فى أعماق الملايين من العرب .

ولقد رأينا أن نمو الروح القومى فى بلاد الدولة العثمانية الإسلامية سواء فى مصر أو فى الشام والعراق لم يكن يصحبه نوع من العداء السافر للرابطة الإسلامية الكبرى أو ما يسميه بالقومية الإسلامية العامة بقدر ما كان يصحبه نوع من السخط والشكوى من الرجعية العثمانية ومن حكم الترك فى تلك البلاد ولو نجحت الدولة العثمانية فى أن تقيم حكماً مستنيراً عادلاً يراعى الاتجاهات القومية فى البلاد المحكومة ويشجع الحكم الذاتى فيها ويقيم المساواة بين العرب والترك لما انصرفت إلى الانفصال عن الدولة ، ولو استطاعت الدولة العثمانية أن تقيم بين شعوبها نوعاً من الرابطة كالتى أقامتها بريطانيا بينها وبين دول الكومنولث لما تطلع العرب إلى الثورة على تركيا ، ولو أخذ الأتراك بتحقيق أهداف جمعية الإخاء العربى العثمانى ورعاية أغراضها لما دفعت الوطنيين فى سوريا والعراق إلى السعى وراء الانفصال عن الدولة العثمانية .

وإذا كانت هذه القوميات الوليدة قد تطلعت إلى الانفصال عن الدولة العثمانية فإن هذا لا يعد قصوراً للروح الإسلامية العامة التي ربطت بين هذه الشعوب رباط الدين والإخاء الإسلامي. هذا الرباط الذي استطاع أن يقاوم تيار العنصرية بين هذه الشعوب في إطار من الوحدة الإسلامية القوية زمناً لا بأس به [illegible] حتى [illegible] القومية الإسلامية العامة بينهم وتحت ضغط القوميات الخاصة وتيارات العنصرية طوال هذا الزمن.

وإذا كانت القوميات الخاصة قد غذت [illegible] بعض الدول وقادة حكمها فليس معنى ذلك أن تنقاد إلى معونة أجنبية تمكنها من الانفصال عن الدولة العثمانية على حساب مبادئهم واستقلالهم. وإنما هي اتجاهات وطنية نبعت من داخل الوطن وترد أمر تحقيقها للمواطنين أنفسهم [illegible] ما قامت جمعية الاتحاد والترقي في تركيا في استعادة الدستور وإجبار السلطان عبد الحميد على إعلانه.

ولما وقفت هذه الجمعيات الوطنية في سوريا والعراق موقف الريبة من عروض انجلترا على الشريف حسين للثورة ضد تركيا [illegible] قررت الجمعية العربية الفتاة أن تقف [illegible] بجانب تركيا ضد أي محاولة أجنبية [illegible] يمكن أن تكون وسيلة لبسط نفوذ الأجنبي على البلاد. [illegible] عزيز علي المصري [illegible] رجال جمعية العهد [illegible] ألا يكونوا أداة للقيام بأي عمل عدائي ضد الدولة العثمانية. وقد كان دخول الحرب يعرض البلاد العربية للغزو الأوربي [illegible] بجانب تركيا حتى يحصلوا على كافة الضمانات لعروبة [illegible] الأهداف الأوربية في تلك البلاد. هذا، بينما كانت المفاوضات جارية منذ فبراير سنة ١٩١٤ بين الشريف حسين واللورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر ولما تعلن الحرب [illegible] نشوبها. وقد أفاد البريطانيون من روح العداء التي كان يكنها الشريف حسين لرجال تركيا الفتاة وأنواع العنت في الحجاز [illegible] ويحصل [illegible] الرضاء عن اتجاه [illegible] الجديد نحو الأحلاف وكانا [illegible] مقاومة الأتراك في مقدمة العرب. ولكن فكرة قيام دولة عربية تحت حكم الهاشميين كانت قد بدأت تشغل تفكيرهم واتخذوا من معونتهم للبريطانيين وسيلة لتحقيقها.

وفي ناحية أخرى كانت المفاوضات جارية بين البريطانيين في مصر وبعض رجالات العرب وعلى رأسهم عزيز علي المصري للقيام بثورة عربية ولكن إصرار هؤلاء الوطنيين على ضرورة إعلان استقلال البلاد العربية كخطوة أولى للقيام بالثورة جعل المفاوضات بين الطرفين تتعثر منذ ابتدائها ومع رجال الجمعية العربية الفتاة في سورية هذه العربية متواصلة عن دون الاتصال بالشريف حسين لتنسيق جهود العرب في سبيل الاستقلال إذا لم يكن هناك سبيل سواها .

ولكن الشريف حسين كان يحب الاستئثار الشخصي في تناول موضوع الثورة ونفر من أن يرتبط بشيء من الطرفين [illegible] قبل أن تتحول الكفة الراجحة وبعث بنجله [illegible] لدى [illegible] للفصل في الازدياد وفي أثناء ذلك اتصل برجال جمعيتي العهد والعربية الفتاة في دمشق وكانا قد عقدا ميثاقاً منه كان لتحقيق استقلال البلاد العربية في الحجاز ونجد وسورية والعراق وفلسطين وحمل فيصل الميثاق إلى أبيه في مكة الذي بعثه بدوره إلى السير هنري مكماهون في مصر متضمناً تقديم دولة عربية في تلك البلاد . وقد ظن البريطانيون أنها الرغبة الشخصية للشريف حسين ولكن المكتب البريطاني للشئون العربية في القاهرة قد تأكد تماماً من وجود جمعيتي العهد والعربية الفتاة .

وفي هذه المفاوضات بين الشريف حسين ومكماهون أبدى البريطانيون بعض التحفظات بشأن البلاد التي تقع على ساحل البحر غربي العرب من دمشق وحمص وحماه وحلب كما أشاروا إلى مصالحهم الخاصة في جنوب العراق ، ولكن الشريف حسين رأى أن تترك هذه التحفظات إلى ما بعد الحرب .

وقد ذعر الشريف حسين لوصول قوة تركية إلى المدينة أرسلت لتعزيز حامية اليمن وكانت قد هاجمت البريطانيين في عدن ، وساورته الظنون أن يكون الأتراك قد علموا باتصاله بالبريطانيين وأرسلوا هذه القوة لتأديبه فأعلن الثورة وعجلت أخبار المذابح التي قام بها جمال باشا في سورية بعد فشل الحملة التركية على قناة السويس بإعلانها

هذه هي الظروف التي أحاطت بقيام الثورة العربية أو ثورة الشريف حسين في الحجاز وهي لم تكن أملا يراود العرب للانفصال عن الدولة العثمانية ولم تكن ثورة [illegible] تعيش في نفوس المسلمين في بعث البلاد من جديد للاستقلال وقيام دولة عربية تضم شمل العرب وإنما كانت ثورة لعبت فيها الأطماع والعوامل الشخصية فخدم [illegible] المذهب البريطاني والاستعمار عن طريق الوعود التي [illegible] إبان الحرب

ولم يكن الشريف حسين نفسه على علم من وعود [illegible] من [illegible] وعدم [illegible] في الوقت الذي كان ولده فيصل [illegible] الإنجليز في [illegible] ومن رجال جمعية العرب الفتاة في سوريا بينما كان [illegible] يعملون بعض الضباط العرب الآخرين لتجهيز الثورة كالضابط عزيز المصري وغيره من البارزين في البلاد وذوي النفوذ فيها ولكنهم كانوا يعملون [illegible] بلاده [illegible] رجال يحققون آمال العرب وأهدافهم في إقامة دولة عربية موحدة مستقلة [illegible] مع أنه طالبهم ضد الأتراك ولم تكن [illegible] لتحقق وعودهم في [illegible] في نظر العرب [illegible] القومية العربية التي ينشدون [illegible] عربية كاملة واستقلالا وطيدا .

ثم أن الشريف حسين لم تكن شخصيته مرموقة في البلاد العربية أو في شبه الجزيرة [illegible] ولم يكن له أي أثر في حركات القومية الحديثة في البلاد [illegible] وما كان غير حاكم ذي الحرمين [illegible] في الحجاز وسير في حكمه على غرار [illegible] الوصي [illegible] في الولايات العثمانية وكان حكمه للحرمين [illegible] على نسبه إلى بيت النبوي [illegible] [illegible] له [illegible] هذه [illegible] ومكانته [illegible] في العالم الإسلامي وما يمكن أن يكون له من أثر في مقاومة دعوة الجهاد الديني التي [illegible] إليها الخليفة العثماني لإثارة العالم الإسلامي ضد العدوان الأوربي على البلاد الإسلامية في الدولة العثمانية وما ينجم عن هذه الدعوة من آثار [illegible] في الجند الإسلامية التي تخضع للبريطانيين وتساهم مساهمة فعالة في مجهود الحلفاء الحربي [illegible] في للمتلكات البريطانية والفرنسية في شرق آسيا .

ولكن تقدير بريطانيا بين سكانها الشرقيين حسن الدعاية وسعة التكريم كان ولا ريب لا يعلو على تقدير الألمان لدعوة الخليفة للجهاد الذي وزعت بين المسلمين في كافة أنحاء العالم الإسلامي فقد كان البريطانيون يخافون أن يهب العرب عن بكرة أبيهم فيقومون بالثورة التي عملها الهاشميون في الحجاز كما كان الألمان يقدرون أن يقوم العالم الإسلامي بنصرة الخليفة في هذه الحرب قومته للجهاد في حرب البلقان سنة ١٩١٢ أو قومة المسلمين لنصرة طرابلس في جهادها ضد العدوان الإيطالي

ولكن تقدير الفريقين كان فوق العوامل المحركة للعرب والمسلمين كما كان فوق أثر الأحداث الجارية في الشرق الإسلامي فإن اشتراك تركيا في الحرب العامة لم يكن موضع رضاء كثير من المسلمين الذين كانوا يخشون ألا تنتصر تركيا في حرب تغذيها الأطماع الأوروبية وتنافس الدول على مناطق النفوذ واقتسام الأسلاب فقد كانت البلاد الشرقية عامة تئن بالحقد والضغينة لعدوان الغرب عليها وما في حناياه من تعصب مسيحي مسموم وكان العرب في عالم الشرق عرضة لأطماع فرنسي أو ألماني أو إيطالي أو روسي يتحكم في نفوسهم ويعصف بمواردهم وقد كانت عواطف المسلمين تتجه نحو الألمان لا تقديرا لما هو من عسف بريطانيا وحلفائها

وعلى الرغم من عداء العرب والمسلمين من قديم الزمان فقد كانت عواطفهم متجهة نحو تركيا في محنتها وفي هذا الصدد يقول ستودارد لا شك إلا قليلا أن دعوة السلطان للجهاد المقدس كانت صرخة في واد أو نفخة في رماد كما يحسب بعض ساسة الحلفاء الغرب على هذا الاعتقاد وخدعوا. فقد كان الأمر في الواقع على عكس ما شاع فإن الاضطراب كان على أشده في كل بلد إسلامية في حكم الحلفاء. وعلى ذكر ذلك نقول أن من هذه البلاد مصر كانت تغلي بها عوامل الثورة غليانا يرحل عن الدار وصارت على مقربة من الزوبعة الهائلة ويوم علا الزعماء البلاد بين أيدي الأعداء فحدثت في مصر الأهوال. وتبدت طرابلس ثورة هوجاء ردت بها الإيطاليين على أعقابهم حتى

ساحل البحر وكانت إيران على وشك الاتحاد مع تركيا لولا ما حال دون ذلك تدخل بريطانيا وروسيا وهيمنتهما عليها ، وشهدت الهند الجامعة العربية ميدان فتن عمت لم تهدأ حدتها حتى ساقت بريطانيا إليه مئتين وخمسين ألفا من الجنود البريطانية الهندية ، وقد اعترفت الحكومة البريطانية بعد ذلك بأن جميع البلاد في حكم الحلفاء في آسيا وأفريقيا كانت خلال سنة ١٩١٥ قد وقفت على الثورة ، ولم يكن الهدوء فيها حقيقة ، ويؤيد شكيب أرسلان مقالة ستودارد ويزيد عليه أن ثورة دارفور التي قتل فيها علي بن دينار سلطان دارفور وثورة الصومال كانت من آثار إعلان الجهاد الديني.

هذه هي العوامل النفسية التي كانت تعمل في أعماق المسلمين في العالم الإسلامي وقد كانت الأمم الإسلامية التي خضعت للنفوذ الأجنبي قبل ذلك وقت قيام الحرب كانت تحت نير مستعمريها ولا ريب أن تركيا وقتئذ ولكن حال دون قيامها كما يقول ستودارد قوة جيوش الاحتلال في أوربا ولم يكن قد نضجت عناصر المقاومة لمقاومة الاحتلال وإعلان الثورة فضلا عن انقسام الرأي الإسلامي حيال دخول تركيا والمسلمين في حرب لم تكن تركيا فيها بد من الاصطلاح خشية أن تنقض عليها الدول بعد الحرب ولأن حدودها لم يكن مأمونا الموقف في حرب تتاخمها وتدور على حدودها .

ثم البلاد التي كانت تابعة للدولة العثمانية فقد كانت قريبة العهد بعصر الأتراك وقد كانت روح الولاء للرابطة الإسلامية ما زالت على أشدها وإن وهنت صلات الود بينهم وبين الأتراك ، فأصبحت في بداية الحرب فريسة للدسائس والمؤامرات البريطانية التي أخذ الإنجليز يحبكونها سرا حتى عن فرنسا حليفتهم الكبرى ، وبعثت هذه الدسائس التي تسربت إلى الشعب وبذلت الوعود لثورة الشريف حسين الذي أخذت له العيون البريطانية تحرك طموحه وتشيد بنسبه وحقه في الوراثة في الخلافة التي اغتصبها الأتراك من آخر سلالات العباسيين فرع الدوحة الهاشمية المباركة .

ولم يكن اصطلاع الشريف حسين في مؤامراته مع البريطانيين للخروج على

الخلافة كاستطلاع خضعه مع الألمان في الحرب العامة ، ولم يكن لشد ما موضع رضاء المسلمين الذين ينظرون بعين العطف إلى حاجات الشعوب العربية في الشرق الإسلامي أو ينمو والعاطفة الإسلامية العامة في أوساط المسلمين وتجمعهم وتستفزهم مهما اختلفت أجناسهم وأوطانهم حيال العدوان الغربي .

وقد أمل البريطانيون أن يلبي العرب نداء الشريف حسين للثورة ضد تركيا ، ولكن المذهب الوهابي كان أشد سحراً في دوائر الجزيرة من نداء العصبية الجنسية في دعاية شريف مكة ، فلم يلب العرب نداء الأشراف في سوريا أو العراق بل كان موقفهم من العرب غير سلبي ، ولم يكن هذا موقف السنة في سوريا وفلسطين كما نعرف من رواية سوريين عن الأتراك [illegible] الضباط البريطانيين . ولكن [illegible] أن العرب من [illegible] كانوا [illegible] بينما واجه الأتراك موجة من [illegible] ولكن [illegible] أن [illegible] الثورة العربية [illegible] الأهالي في أن يكونوا في صف المنتصر ، ما دامت نظرتهم إلى الفريقين سواء .

وسواء كان موقف الأهالي سلبياً أو إيجابياً حيال البريطانيين أو الأتراك فإن دعوة الشريف حسين للثورة العربية وقيامه وحمل لواء نصرة البريطانيين والتعاون العسكري معهم في مجهود الحرب كان عملاً حاسماً في النصر البريطاني أدركه قواد الحلفاء وسجله مؤرخوها .

ولم يكن وفاء البريطانيين للعرب أو لقادة الثورة غير الوعود التي بذلوها ، وأسرعوا في نقضها لم يحققوا للعرب استقلالهم أو وحدتهم المنشودة ، وما كان جزاء الرجل الذي قاد الثورة ووقف إلى جانب البريطانيين في محنتهم إلا جزاء سنمار فقد ختم حياته في المنفى بعيدا عن الأهل والوطن .

ولم يكن بين الإنجليز من هو أشد روعة لهذا النصر اليوم الذي انتهى إليه العصبية العربية من « نيكولوس لورنس » الذي مجده البريطانيون إذ قاد الثورة ونفخ في سعيرها وسحر من حب العرب للحرية أداة للنصر البريطاني كما يقول في

كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » ولم يشكر عليه قومه جهوده وأعماله كما أنكروها على العرب وقادتهم . وكان لهذا الجحود [illegible] للعرب أثره في نفس الرجل الذي عاش بين ظهرانيهم ، ولبس مثلهم ، وتخلق بأخلاقهم زمناً بعيداً ، فرفض تكريم قومه وتمجيدهم له ، وانزوى بعيداً عن أوضار السياسة ، يقضي حياته كما يعيش فيلسوف مغمور .

ولم تكن الوعود البريطانية غير سراب في مهمه فسيح خدع العرب فسعوا إليه يحدوهم الأمل في الحرية وتحقيق الوعود . فقد كانت الاتفاقات السرية والوعود المتناقضة تعقد على حساب العرب والبلاد العربية ، وحسبك أنها قد قسمت ميراث الدولة العثمانية قبل أن يلفظ الرجل المريض آخر أنفاسه .

وكان أول اتفاق من هذا النوع اتفاق فرنسا وروسيا في مارس سنة ١٩١٥ ووعدت فيه فرنسا روسيا بالآستانة . وفي ابريل سنة ١٩١٦ عقدت روسيا وفرنسا اتفاقاً آخر حددت بمقتضاه الحدود بين مناطقهما في آسيا . ثم كان اتفاق « سيكس - بيكو » في مايو من ذلك العام بين انجلترا وفرنسا واشتركت فيه روسيا . وفي لندن جذبت إيطاليا إلى صف الحلفاء ووعدت في معاهدة لندن في ابريل سنة ١٩١٥ وقبل أن تعلن الحرب بشهر واحد بإقليم أضاليا من تركيا عدا حقوقها في [illegible] والترنتينو على حساب النمسا ، وفي سنة ١٩١٧ وعدت بأزمير وبعض المناطق الأخرى ثم كان وعد بلفور في نوفمبر سنة ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين أوقد الشرر في تلك البقعة من بقاع الشرق الأوسط .

وكان اتفاق « سيكس - بيكو » أهم أثر عقده الحلفاء بينهم لتقسيم أملاك الدولة العثمانية . وكان عبارة عن مذكرات متبادلة دون توقيع بين انجلترا وفرنسا وروسيا فيما بينها خاصة بنصيب كل منها في أملاك الدولة العثمانية إذا ما انتهت الحرب في صالحهم وقد جرت المحادثات المتعلقة الخاصة بفرنسا وانجلترا في لندن في ربيع سنة ١٩١٦ بين سير ادوارد جراي وزير الخارجية البريطانية والمسيو بول كامبون السفير الفرنسي ، وسبقت المحادثات المشكلة في القاهرة بين مسيو جورج بيكو ومستر مارك

ـكس واشتركا فيها فصل روسيا ووقع الاتفاق ، وأهم ما نص عليه تحديد نصيب كل من الحليفتين في البلاد العربية فيكون لفرنسا الجزء الأكبر من سوريا ونصيب كبير من جنوب الأناضول ومنطقة الموصل في العراق ، ويكون لانجلترا البلاد الواقعة بين الخليج الفارسي والمنطقة الفرنسية ثم حيفا وعكا وقسمت كل من منطقتي النفوذ البريطاني والفرنسي إلى منطقتين ، منطقة نفوذ مطلق ، ومنطقة تشرف عليها الدولة صاحبة النفوذ على أن تتمتع بنوع من الحكم الذاتي وأشير إلى منطقة النفوذ المطلق لانجلترا في مصور الاتفاق باللون الأحمر والحرف «ب» للمنطقة التي تشرف عليها وفرنسا باللون الأزرق ومنطقة النفوذ المطلق والحرف «أ» لمنطقة الإشراف .

اتفاق «سيكس-بيكو» سنة ١٩١٦



كما نص الاتفاق على إنشاء إدارة دولية في فلسطين لا يقرر شكلها النهائي إلا بعد استشارة روسيا والاتفاق مع سائر الحلفاء وممثلي شريف مكة وأشير إليها في مصور الاتفاق باللون البني.

وقد أبرم اتفاق سايكس - بيكو بعد أن تم الاتفاق مع الشريف حسين على استقلال البلاد العربية وقبل وعد بلفور بعام ونصف. ورغم أن اتفاق بريطانيا والشريف حسين كان قائماً إلا أن بريطانيا لم تطلع حليفها العربي على نصوص الاتفاق حتى فضحته روسيا بعد ثورتها البلشفية وقامت تركيا بإبلاغ مضمونه إلى الملك حسين على حقيقته كي تؤلبه عليها من قبيل ولكن الشريف حسين كان قد أوغل في التورط مع حلفائه وقد شاء أن يسكت على غصة في زمان حاسم بدت كفة الحلفاء فيه راجحة معروفة.

وكما أخفت بريطانيا أمر اتفاق سايكس - بيكو عن حليفها العربي فقد أخفت تعهدها معه عن حليفتها فرنسا مما كان له أثره في كراهية فرنسا للعرب ومقاومتها آمال البيت الهاشمي في الوحدة العربية والملك المأمول.

وكانت هذا الأسلوب يتواتر في سياسة بريطانيا بدرجة تبرر أن نعود إلى مدلول المعاهدات التي أبرمتها في عهود ضعفها الخاصة ونهجها الأصيل المرسومة التي تتسم بالخديعة والتمويه والتضحية بالمبادئ والأرواح الضعيفة في تحقيق المطامع والأهداف.

الحماية البريطانية على مصر

وبإعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا فرضت على مصر من تبعاتها ما جعلها في صف الدول التابعة لها فأصدر مجلس الوزراء في ٥ أغسطس سنة ١٩١٤ قرارا بمنع التعامل مع ألمانيا ورعاياها والأشخاص المقيمين فيها أو اتصال السفن المصرية بأي ثغر ألماني وحظر التصدير إليها وتخويل قوات بريطانيا البرية والبحرية حقوق الحرب في الأراضي والموانئ المصرية واعتبار السفن الألمانية الراسية في الثغور المصرية سفناً

معادية وحجزها في تلك الثغور . وفي ١٣ أغسطس طبق هذا القرار على النمسا والمجر ثم وضعت الرقابة على البرقيات والخطابات بين مصر والخارج وبينها وبين السودان ، وفي أكتوبر صدر قانون التجمهر وفي أوائل نوفمبر أصدر الجنرال مكسويل قائد جيوش الاحتلال في مصر القرار الآتي بإعلان الأحكام العرفية

« ليكن معلوماً أني أمرت من حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بأن آخذ على مراقبة القطر المصري العسكرية لكي تضمن حمايته ، وبناء على ذلك قد صار القطر المصري تحت الحكم العسكري من تاريخه »

وتبع قرار إعلان الأحكام العرفية في عهد حسين رشدي باشا رئيس مجلس الوزراء وبإعلانها وضعت الصحف والمطبوعات تحت الرقابة ، وما مرت ثلاثة أيام عليها حتى دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا في ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ فأصدر الجنرال مكسويل منشوراً في ٧ نوفمبر صدق فيه قرار مجلس الوزراء الصادر في ٥ أغسطس سنة ١٩١٤ خاصاً بحظر التعامل مع ألمانيا ، وعممه على الدولة العثمانية ووضع جميع السفن التجارية التي تكون داخل الموانئ المصرية أو داخلة إليها فلا يسمح لها بمبارحة الميناء الموجودة فيه

وبعد مرور شهر من دخول تركيا الحرب صدر في إعلان الحماية على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وانفصالها عن تركيا ، ونشر إعلان الحماية في « الوقائع المصرية » بهذا النص

إعلان بوضع بلاد مصر تحت حماية بريطانيا العظمى

« يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر إلى حالة الحرب التي سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته ، وأصبحت من الآن فصاعداً من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية »

« وبذلك قد رأت [illegible] بريطانيا على مصر وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها » .

وفي [illegible] لإعلان الحماية [illegible] خلع الخديو عباس وكان في زيارة الآستانة [illegible] حتى إعلان الحرب ، وتولية الأمير حسين كامل سلطانا على البلاد وصدرت الوقائع المصرية في ١٩ ديسمبر وقد نشرت إعلان خلعه بهذا النص :

« إعلان خلع سمو عباس حلمي باشا عن منصب الخديوية »

« و[illegible] صاحب العظمة السلطان حسين كامل على [illegible] السلطنة المصرية »

« يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر لإقدام سمو عباس حلمي باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء جلالة الملك قد رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية وقد عرض هذا المنصب السامي مع لقب سلطان مصر على سمو الأمير حسين كامل باشا أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد علي فقبله »

ولقد فرضت الحماية البريطانية [illegible] من مصر [illegible] وجمع من [illegible] لمعونة الأحلاف [illegible] مصر بالجند من كافة بقاع الإمبراطورية للدفاع عن [illegible] العظمى ، [illegible] كما [illegible] في مثل ذلك الحين [illegible] وقع الاعتداء على السلطان حسين كامل مرة في ٨ أبريل سنة ١٩١٥ ومرة ثانية في ٩ يوليه من نفس السنة ثم وقع الاعتداء [illegible] على وزير الأوقاف في ٤ سبتمبر [illegible] وفي [illegible] في نفوس المصريين [illegible] من [illegible] عالية من [illegible] وقعود حتى انفجر [illegible] في ثورة سنة ١٩١٩ [illegible] كرها للعمل في ميادين القتال حتى بلغ عددهم في نهاية الحرب [illegible] وقضى الكثير منهم نحبهم [illegible] القاهرة في [illegible] وفلسطين والعراق [illegible] لثناء في فرنسا وإيطاليا

وضيقت أقواتهم لتموين القوات المحاربة وصودرت دوابهم من جمال وحمير لاستخدامها في الميدان ، وحددت مساحة زراعة القطن لزيادة إنتاج الحبوب ووضعت الخطوط الحديدية في خدمة القوات الحربية فأرهقت آلاتها وعرباتها إرهاقاً [illegible] آثاره خلال الحرب وفي أعقابها . كما تم زحف الجيش لمعونة القوات البريطانية في عملياتها الحربية في المؤخرة .

وأصبحت مصر قاعدة للعمليات الحربية في البحر الأبيض المتوسط وفلسطين واشتركت بعض بطاريات مدفعية مصرية في الدفاع عن قناة السويس ضد الترك [illegible] وكان إحداها [illegible] في [illegible] الثالث من فبراير سنة ١٩١٥ وكان هذا نقضاً لما تعهدت به بريطانيا في منشور الجنرال مكسويل في الوقائع المصرية في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ من « أنها تحمل على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب دون أن تطلب من الشعب المصري مساعدته »

[illegible] الهجوم التركي الثاني على القناة ومن الأراضي [illegible] « [illegible] » واشتد [illegible] على [illegible] وكان لجهود فرقة العمال المصرية في تعبيد الطرق وحفر الآبار ومد الخطوط الحديدية والمعونة وأنابيب المياه [illegible] أكبر الأثر في [illegible] العمال المصريون [illegible] [illegible] الحرب [illegible] العمال المصرية « لا يقوم شيء [illegible] فلسطين »

ووصلت نار الحرب إلى حدود مصر الغربية كما امتدت إلى السودان ، ففي الحدود الغربية قام السنوسيون بعد نشوب الحرب إلى جانب الخلفاء بالهجوم على الحدود الغربية واحتلوا السلوم وسيدي براني ومرسى مطروح والواحات البحرية والفرافرة والداخلة والخارجة على [illegible] حدود في صحراء [illegible] سلطان دارفور [illegible] على حكومة السودان [illegible] للحركتين [illegible] وتزعم أحدهما [illegible] السنوسيين إذ نشبت الحرب [illegible] وقد قضى عليهم دون جهود كبيرة القوات البريطانية بالاشتراك مع بعض القوات المصرية فاستردت المواقع التي احتلها السنوسيون كما قضى على ثورة دارفور

وسار تيار الأحداث في مصر كما أراده الإنجليز وقامت مصر بما فرضوه عليها من أعباء على أن خلافاً ثار بين السلطان حسين والمندوب السامي [illegible] السير هنري مكماهون حيث حكومته على سحبه [illegible] السير رجنلد ونجت سردار الجيش المصري وحاكم عام السودان في منصبه في أواخر سنة ١٩١٦ علاوة على منصبه [illegible] وظل شاغلهما إلى جانب منصبه الجديد حتى عام ١٩١٩ عندما [illegible] [illegible] ، وفي ٩ أكتوبر تولى السلطان أحمد فؤاد عرش مصر يوم وفاة السلطان حسين بعد أن اعتذر الأمير كمال الدين حسين لأسباب [illegible] عن قبول العرش

وحفظت مصر الأوضاع [illegible] حتى [illegible] تتطلع [illegible] في ظل ما نادى به الرئيس ويلسون من مبدأ تقرير المصير

الحرب في فارس :

[illegible] الشاه [illegible] وتمسك [illegible] من [illegible] الحرب [illegible] [illegible] بالحياد [illegible] فقد سارع الإنجليز في بداية الحرب [illegible] [illegible] من فارس [illegible] في عام ١٩٠٧ [illegible] [illegible] [illegible] الروس [illegible] [illegible] وحاولوا التقدم [illegible] العاصمة [illegible] حدود [illegible] ١٩٠٧ [illegible] لأراضي حدود فارس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العاصمة وكان هدفهم أن [illegible] [illegible] [illegible] الروسية في الشمال [illegible] الأحمر [illegible] في [illegible] فارس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كانوا [illegible] في [illegible] [illegible] على الثورة وكانت دعوة الخليفة للجهاد [illegible] [illegible] بين الأكراد [illegible] على حدود فارس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] الروس للعاصمة

وأصبحت كرمنشاه مقراً لمؤامرات الألمان ومشجعيهم ومنطلقاً على الإنجليز والروس من الفرس

وقام الألمان بحملة أخرى على [illegible] بمعرفة [illegible] في اتجاه [illegible] الروسية [illegible] غرضاً لاستراتيجية أو سياسية كنزول الأكراد على تبريز في [illegible] سنة ١٩١٥ واستيلائهم [illegible] [illegible] الروس [illegible]

وقد كان الألمان يقومون بنشاطهم الحربي في مناطق فارس [illegible] كان الألمان [illegible] نشاطهم السري بين رجال القبائل في الجنوب ويحيكون المؤامرات لحث الفرس على الثورة ضد الحلفاء، والانحياز إلى جانبهم وكانوا قد بدأوا هذا النشاط في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الحرب [illegible] أن [illegible] فارس [illegible] كما ضمنوا تركيا فقد كانت مثلها تدخل في نطاق [illegible] وإستراتيجيتهم العامة ويقول جورج لنشكوفسكي مؤلف « [illegible] [illegible] في [illegible] ١٩١٨ — ١٩٤٨ » [illegible] أن الألمان [illegible] كانوا [illegible] من [illegible] بغداد بالخطوط الحديدية في فارس [illegible] كان هذا [illegible] لا [illegible] في الشرق .

وعمل الألمان في سبيل غايتهم [illegible] لا تنقصها الحنكة أو الجرأة أو روعة العرض على استغلال عواطف الشعوب [illegible] وخاصة في فارس [illegible] [illegible] وصادفوا في هذا المضمار نجاحاً عظيماً وما كان تشيع الناس والوطنيين في بلدان [illegible] الأوسط لألمانيا إلا بغضاً لسياسة الغرب الاستعمارية [illegible] [illegible] في [illegible] ولا [illegible] لها وعلى [illegible] هذا [illegible] ألمانيا في [illegible] في دعايتها وادعى الإمبراطور ولهلم الثاني حماية الإسلام [illegible] والأخذ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الأوسط [illegible] [illegible] كانت هذه [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] لم تستطع أن [illegible] على [illegible] القوة التي [illegible] على هذه الشعوب [illegible] [illegible] أغراضه ومراميه [illegible] [illegible] [illegible] الحرب من [illegible] [illegible] دون [illegible] في [illegible] [illegible] حتى ظهوره وإعلانه .

ونجح الألمان في كسب أقوى الأحزاب السياسية في فارس إلى جانبهم وهو الحزب الديمقراطي الذي ظفر بأغلبية المقاعد في مجلس النواب الفارسي إلى حرب عام ١٩١٥ ، وكان للدعاية الألمانية أثرها الظاهر في دورة التعبئة الشعبية ، وفي [illegible] بإبرام معاهدة سرية بين فارس وألمانيا ، وكان لجهود [illegible] الروس أول و[illegible] معاوس للألمان في فارس أعظم الفضل في حسن استعانة الألمان في تلك البلاد .

ووضعت الأهداف الاستراتيجية للدعاية الألمانية على كل هدف آخر كما هو الشأن في حالات الحروب عندما تطغى مطالب الحرب وعوامل النصر على كل مطلب آخر . فقد كانت ألمانيا ترى [illegible] مجهود حربي في فارس [illegible] إثارة العشائر الفارسية على الإنجليز والروس حتى يشغلوهم بها عن [illegible] مجهودهم الحربي في الميادين الأخرى وكانت ترجو أن تمتد هذه الحركة الثورية في فارس إلى الأفغان وحدود الهند الشمالية الغربية لتعم الهند ولتعم الفرس ؛ كما كانت ترمي إلى تدمير آبار البترول حتى تحرم الأسطول البريطاني من موارده الوقودية الرئيسية ، وتضعف في [illegible] هذه الفرس على سياسة الحياد التي [illegible] فقدم [illegible] إلى مركز فيها أهم موارد النفوذ الفارسية وكان موالين للإنجليز هم عمالهم ضربة موجهة إليهم على ولائهم ، ونجحت في [illegible] قتل القنصل في شوشتر [illegible] [illegible] أكثر من [illegible] القنصل الإنجليزي حتى [illegible] على الإنجليز وحملتهم أكثر من مرة .

ولما بدأت الحكومة [illegible] في الهند وكانت فارس تدخل في منطقة اختصاصها ، عملت الدعاية الألمانية ونشاطها وبسبب نفوذهم وعملهم [illegible] الخطر يهدد أهم مراكزها الإنجليزية الحساسة [illegible] كوكس وكان من أعظم الإنجليز خطورة شئون فارس يسوس الأمور فيها وفق سياسة بلاده الاستعمارية ومصالحها عامة ولكنه من منطوى على الفرس [illegible] ضغط عليهم ومن [illegible] ليسيطر بها على النظام في المناطق الجنوبية عرفت بقوة بنادق فارسية الجنوبية . وعملت من ناحية أخرى بالاتفاق مع الروس إلى إقامة سلطة قوية من نفس الخراسة

على طول الحدود الشرقية لفارس حتى تمنع تسرب الألمان إلى أفغانستان والهند وقد خرجت روسيا من الحرب على أثر الثورة البلشفية وسحبوا قواتهم من فارس أسرع الإنجليز باحتلال خط الحراسة التي كان يحتلها الروس على الحدود الشرقية في أفغانستان ومدوه إلى مشهد ومرو على خط حديد مرو كراسنوفودسك وحالوا من بعد دون تقدم الترك وتحولوا بين الأتراك والألمان وبين وصولهم إلى موارد البترول وحصلت اللجنة في باكو ولكن اضطرت حسب ظروف سياسية للجلاء عنها والانسحاب من فارس وكان الإنجليز قد احتلوا مناطقها الشمالية بعد جلاء الروس عنها عام ١٩١٧ وفي سنتهم حملوا الآشوريين والأرمن حول بحيرة أورمية على الأتراك وقد بعث بينهم السلاح والعتاد الذي وعدهم به الإنجليز فوقع بينهم وبين الأتراك مذبحة مروعة وحملوهم على الهجرة إلى مهاجر في العراق وعملوا على الإنجليز خلال الحرب حتى زج الأرمن إلى جمهورية سوفيتية وبقي الآشوريون في العراق مشكلة من مشاكلها الحاضرة.

وهكذا اصطلت فارس بنيران الحرب دون أن يكون لها دخل في إثارتها أو شبها. بين أحد المتحاربين ولكن الحرب في حقيقة الأمور إلا حيث تتصادم مصالح المتحاربين في جزء من الأرض هو مصدر النزاع وساحة الصدام بصرف النظر عن أهله من ناحية خاصة.

ولم يكن بعد ذلك بعيداً من بلاد الشرق الأوسط عن نيران الحرب وآثارها وقد دخل في نطاق الاستراتيجية العامة للدول المتحاربة حتى برقة وطرابلس وكانتا مشتبكتين في نضال رائع مع الإيطاليين منذ عام ١٩١١ وقامت الحرب ولا يزال هذا الصراع بين السنوسيين والطليان على أشده ثم غلبت إيطاليا من جهتها الأوضاع واستغلت الحرب ضدهم مما كان سبباً في خروج الأمير السيد أحمد السنوسي والمجاهدين من بلادهم إلى مصر تلك المعروفة التي ردت على أعقابهم وتعقبتهم القوات البريطانية عند طردهم من الأراضي المصرية واستمر النضال مريراً بين هؤلاء المجاهدين والإيطاليين طوال سني الحرب حتى وضعت أوزارها ولم يسلم هؤلاء الأبطال لإيطاليا بل عسكروا

من دفعهم إلى ساحل البحر [illegible] حتى [illegible] طرد [illegible]
وطردت عليهم [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] أعمال
في حرب المعتدين على بلادهم .

ثم انتهت الحرب العامة وقرب [illegible] في [illegible] . وكان [illegible] و [illegible]
جميع [illegible] يتطلع إلى [illegible] و [illegible] في [illegible] [illegible] الحرب وكان حق تقرير
المصير الذي نادى به رئيس أمريكا بين مبادئه الأربعة عشر فرحة للشعوب المهضومة
التي انتظرت يوم الخلاص [illegible] الأمل في [illegible] [illegible] من [illegible]
المنشود من مبادئ [illegible] و [illegible] وصحيح [illegible] للنصر [illegible]

الفصل الحادي عشر

في أعقاب الحرب

النتائج العامة للحرب في الشرق الأوسط

تمخضت الحرب عن آثار لم تكن في ذاتها وليدة الآلام التي حدثتها الحرب
وأعقبتها من [illegible] خلال أربع سنوات [illegible] ترجع في أصولها إلى تلك القوى
التي [illegible] قبل نشوب الحرب وكانت [illegible]
[illegible] وقيام حركة [illegible] من القوى
العسكرية [illegible] في [illegible] نظام الإمبراطورية
ووحدتها التي [illegible] مركزي شديد [illegible] الإمبراطورية
[illegible] عهد السلام
بالاحتكام إلى القوة [illegible] تطور [illegible] وظهور مذاهب
جديدة في الحكم والاقتصاد ونظام المجتمع فقد حاولت الإمبراطورية لتحقق مجتمعاً
جديداً في شعب من أعرق الشعوب [illegible] وأوسعها مساحة وعدد سكان ونشر
أفكاراً جديدة [illegible] في المجتمع الأوروبي في فترة ما قبل الحرب وكانت
هذه الأفكار [illegible] خطط
بأصوله [illegible] الدكتاتورية العسكرية الصارمة كان له
أعظم الأثر في [illegible] السياسية الأوروبية [illegible] في الفترة التي سبقت
الحرب الثانية

وبدت هذه القوى وقد كشفت من [illegible] الحرب وكانت سبباً هاماً في
اشتعال نيرانها [illegible] واتسعت الحرب لتكشف عن عزائمها
فتحقق هذا [illegible] من المشاكل التي كان على مؤتمر الصلح أن يواجهها ويجد لها

الحلول ملائمة ولكنه سار على هداها في التسويات التي جاءت بها معاهدات الصلح ،
فإن هذه القوى هي التي حددت شكل التسوية بحكم كونها القوى الرئيسية المؤثرة
في كل [illegible] الحرب [illegible] ولم يكن في استطاعة أولئك الساسة
المسؤولين أن يضعوا شروطاً أحسن مما اشتملت عليه معاهدات الصلح فإن أقصى
ما كان يستطيعونه هو أن يوجهوا آثار هذه القوى دون أن [illegible] من سيرها أما
القوى نفسها فكانت خارجة عن سلطانهم وكان لا بد لهم أن يخضعوا لتأثيرها .

وانعقد مؤتمر الصلح في باريس في شهر يناير عام ١٩١٩ ليواجه هذه المشاكل
التي خلفتها الحرب [illegible] التي سبقت قيام الحرب
واشتدت بعد ظهور الانقلاب [illegible] والنمسوية
و [illegible] للحرب . وفي هذا
المؤتمر مثلت أغلب شعوب العالم تمثيلا لم يسبق له مثيل في أي مؤتمر آخر عقد
من قبل [illegible]
تمثل فيه إلا احتياجات لتسمع الحكم عليها ولم [illegible] فيه الدول [illegible] ،
وأصبحت [illegible]
الدول الغالبة .

وقد مثل في مؤتمر [illegible]
[illegible]
أمريكا الوسطى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأخيرة لأن الثلاثة الكبار الذين سيطروا
على جو المؤتمر وهم انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة [illegible]
في يد عشرة من مندوبين تمثل كل اثنين منهم دولة من الدول الخمس الكبرى وهي
انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة [illegible]
من مندوبين الأول لهذه الدول الخمس

ولم تلبث [illegible] أن انسحبت من المؤتمر لأن مسائل القارة الأوربية لا تعنيها كثيراً ولم تجد [illegible] ولسن [illegible] من عناية شركائه ما يشجعه على [illegible] في المؤتمر أو أن يكون له شأن في [illegible] وبذلك أصبحت الكلمة العليا في سياسة العالم لممثلي الدول الثلاث الأولى وهم جورج كليمنصو وكان رئيساً [illegible] وكانت له رئاسة المؤتمر ولويد جورج [illegible] ورئيس الولايات المتحدة وودرو ولسون [illegible] على هذه [illegible] روحه [illegible] فشيع [illegible] الأخرى أن [illegible] على هواه .

[illegible] مؤتمر [illegible] الأعلام التي كانت [illegible] التي جاء بها لويد جورج لجهود لم ترتبط بها أمام ناخبيه من الإنجليز وإن كان في قرارة نفسه [illegible] من فرنسا [illegible] في أوربا [illegible] ولكن [illegible] في خلق مجتمع دولي يعمل للسلام العام [illegible] الحرب [illegible] دول حرة [illegible] وبفضل إصراره على هذه الفكرة [illegible] كل معاهدة من معاهدات الصلح ميثاق عصبة الأمم [illegible] أن تكسب الرأي العام في بلاده [illegible] أمريكا [illegible] في معاهدة الصلح [illegible] في العصبة .

ووضع الثلاثة [illegible] النظام الجديد الذي وضعوه للعالم وفرضوه على الدول المغلوبة وكانت معاهدة فرساي [illegible] على [illegible] هذه المعاهدات [illegible] في ٢٨ يونيه سنة ١٩١٩ ، ثم معاهدة سان جرمان مع النمسا [illegible] في ١٠ سبتمبر ومعاهدة نويي مع بلغاريا في ٢٧ نوفمبر ومعاهدة تريانون مع المجر في ٤ يونيه سنة ١٩٢٠ وآخر معاهدة سيفر مع تركيا في أغسطس سنة ١٩٢٠ . [illegible] الدول هذه المعاهدات [illegible] على [illegible] تركيا [illegible] معاهدة سيفر [illegible] إلى عام ١٩٢٣ حين أبرمت معاهدة لوزان .

وكانت عصبة الأمم أعظم نتائج الحرب من الأخلاق وإن كانت في تكوينها ناقصة مبتورة إلا أنها كانت خطوة عظيمة دلت على اتجاه عام للنظم نحو تنظيم [illegible] في ظل السلام ولم تكن العصبة قوة [illegible] تقوى بها الدول أو توجيها [illegible] للسيادة التي كانت قوية تقوم على [illegible] والنواحي والقوانين [illegible] وأصبحت [illegible] الدول [illegible] هذا [illegible] في نطاق [illegible] التي [illegible] في العصبة وقد ظهر [illegible] الدولية منذ اللحظة الأولى [illegible] وبعض [illegible] القوى الدولية العظمى وفي [illegible] فكانت سكة السلام في [illegible] القوى التي تسيطر على [illegible] مؤثرة وازدادت قوة [illegible] وأصبحت تؤثر في [illegible] الدول [illegible] في [illegible] الحرب [illegible] من ظهور قوى جديدة [illegible] من [illegible] الخلاف [illegible] وشيوعية في روسيا قد انتزع من المجتمع الدولي قوة دولية كبرى [illegible] في [illegible] والسياسة والاقتصاد [illegible] على طرق [illegible] ومعتقدات [illegible] ونظمه [illegible] ثم ظهرت مذاهب سياسية جديدة كالنازية والفاشية وإن [illegible] في ظهورها من [illegible] إلا أنها كانت نتيجة طبيعية للحرب بما قضت عليه من الأنظمة القديمة وكان لابد من أن [illegible] أنظمة جديدة [illegible] هذه الأنظمة [illegible] من آثارها العميقة في أفكار الشعوب وأنظمة الأمم وتقاليدها [illegible] أعظم الأثر [illegible] في [illegible] خاصة وفي المجتمع الدولي عامة في فترة ما بين الحربين [illegible] الأنظمة [illegible] حتى تقل هذه القوى [illegible] تسيطر في خلال فترة ما بين الحربين [illegible] في شكل جديد في نظمه وعقائده وأفكاره وأن هذا الصراع [illegible] الأنظمة والمذاهب الاجتماعية والسياسية ليس إلا مرحلة من مراحل تطور المجتمع [illegible] على نظام [illegible] على [illegible] هذه المذاهب [illegible] بعد أن تنصهر وتتبلور في شكلها الجديد.

ولعل [illegible] العصبة أنها اعترفت للدول الصغرى بصوت مسموع بجانب الدول الكبرى وإن ظلت [illegible] الدول الكبرى [illegible] من أن تتأثر باتجاهات الدول الصغرى أو مطالبها، وقد كان [illegible] على وجود [illegible] في المجلس

[illegible] للعصبة [illegible] الدول العظمى و[illegible] غير دائمين [illegible] فأصبحت لهم الأغلبية في المجلس [illegible] كانت للدول العظمى [illegible] كانت قراراته لا تصدر إلا بإجماع الآراء [illegible] سياسة [illegible] تلك [illegible] دون أن [illegible] نظام العصبة ومراميها وكان ذلك [illegible] في [illegible] وفشل نظامها

ولم يكن للعصبة أثر بين شعوب الشرق الأوسط لأنها [illegible] [illegible] الأحلاف [illegible] وفرنسا [illegible] سياسة هاتين الدولتين تحدوها [illegible] كما تحدوها مصالحها الخاصة [illegible] للصالح واضطرابها وسط الأهواء [illegible] في شعوب هذه المنطقة [illegible] الشعوب [illegible] الحرب [illegible] هاتين الدولتين [illegible] أبعد من أن تسير هينة سهلة وفق هذه العوامل [illegible]

[illegible] فرنسا [illegible] كانت [illegible] بين مصر [illegible] وفرنسا [illegible] كل منهما [illegible] أن توفق بين مصالحها ووعودها لأمراء البيت الهاشمي [illegible] ووعودها لعميد البيت الهاشمي ووعودها العرب فقد أحيت [illegible] مع الحسين بن علي [illegible] حق له أطماعه في [illegible] الشعوب العربية [illegible] الحسين [illegible] إلا تحقيق ما جرى به الاتفاق كاملا غير منقوص

و[illegible] الحرب [illegible] لشعوب الدولة العثمانية التي انفصلت عنها [illegible] الانتداب على [illegible] واستقلال [illegible] آخر كما استقبلت ظهور تركيا الحديثة بثورتها على معاهدة سيفر وثورة المصريين على الحماية والاحتلال وقيامه العرب ضد اليهود في [illegible] أن تكفل لهم [illegible] وبداية عهد جديد في تاريخهم وشهدت هذه الصراع [illegible] النفوذ الأجنبي وطموح الشعوب إلى [illegible]

للسعود الأحمى للتخلص من كل ما يربطه به وحرص سعود الأحمى على دعم [illegible] وإن لم [illegible] من أساليب [illegible] وتحدى زعامات الشعوب لأنها فى حقيقتها لا تخرج عن هدفها الأصلى لتوحيد [illegible]

وكانت مشكلة الدولة العثمانية و [illegible] لدى فرنسا [illegible] وعلى [illegible] التى [illegible] أول [illegible] مؤتمر الصلح [illegible] عسكرى [illegible] من الحرب وكان [illegible] من نتائج [illegible] للحرب فى الشرق الأوسط لعظم ما انطوت عليه من [illegible]

تركيا ومعاهدة سيفر :

عقدت الهدنة بين تركيا والحلفاء فى [illegible] سنة ١٩١٨ ووقع [illegible] الطرفين فى جزيرة مدروس [illegible] وكانت [illegible] الأحلام [illegible] فى [illegible] الخلافة والإسلام وكان [illegible] الأجنبية [illegible]

وكان [illegible] والإنجليز [illegible] فى [illegible] مؤتمر الصلح [illegible] على خروج [illegible] فى [illegible]

وقد [illegible] الحلفاء [illegible] على تقسيم ميراث [illegible] الحرب [illegible] وكانت [illegible] إلى [illegible] الدولة العثمانية فى [illegible] المسألة الشرقية بالقضاء على الدولة العثمانية وتقسيم [illegible] على البواعيز [illegible] من موقع [illegible] حيث [illegible]

تخلى الحلفاء العسكريين واحتلت قلاع البوسفور وأصبح لهم السيطرة كاملة على الآستانة

ولم يرع الحلفاء شروط الهدنة ودعوا اليونان لاحتلال أزمير وكان احتلال أزمير فضلا عن اشتداد قبضة الحلفاء في الآستانة قد أشعل الحركة الوطنية فهب الأتراك من كل مكان يكتبون صفحة رائعة من صفحات تاريخهم الحربي الحديث

وقد ظل الحلفاء مترددين في أمر الصلح مع تركيا حتى أوائل سنة ١٩٢٠ فقد اجتمع مجلس الحلفاء الأعلى في لندن في فبراير من تلك السنة للنظر في مستقبل تركيا واتسعت هوة الخلاف بين الإنجليز من ناحية والفرنسيين والإيطاليين من ناحية أخرى حول تقرير مصير الآستانة فقد كانت انجلترا تريد نزع الآستانة من يد الأتراك بينما عارضتها فرنسا وإيطاليا وقد سحبت انجلترا وجهة نظرها بحجة قيام موجة من الاستياء في أنحاء العالم الإسلامي لفرض صلح على الدولة العثمانية واستباحة حرمة الآستانة مقر الزعامة الروحية للمسلمين في العالم وكانت موجة الاستياء على أشدها في الهند الإسلامية التي كان مندوبها في لندن الوفد الهندي وقرر المجلس الأعلى للحلفاء في ١٤ فبراير سنة ١٩٢٠ عدم زحزحة الآستانة من يد الأتراك وحرية المرور في البواغيز وإيجاد ضمانات كافية لذلك على أن الحلفاء مع تسليمهم بهذا لم يكن في نيتهم إنصاف تركيا أو معاملتها معاملة عادلة ولا سيما انجلترا التي لم تمكن حتى قررت الحلفاء احتلال الآستانة وسيرت ما زعمت سطوتها لتحتلها في ١٦ مارس سنة ١٩٢٠

وفي غضون ذلك اجتمع مجلس المبعوثان العثماني حيث اتخذ خطته للوضع في جلسة ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ وأصدر « الميثاق الوطني » متضمنا القواعد التي يعتبرها الأتراك أساسا للصلح وأصبح هذا الميثاق برنامج السياسة التركية الجديدة وقد نص على

١ — أن تترك الدولة العثمانية للبلاد العربية حرية تقرير مصيرها وفقا لإرادة شعوبها وأن يبقى الوطن التركي الذي يضم القومية التركية وحدته السياسية التامة

٢ — أن يعين مستقبل البلاد العربية بعد استفتاء أهلها

٣ — أن تقبل تركيا القواعد الخاصة بحقوق الأقليات على أن يكون للأقليات الإسلامية في الدول المجاورة نفس الحقوق

٤ — أن تكفل الدول أمن الآستانة وبحر مرمرة وصيانتهما من كل سوء وتقبل الدولة شروط المحافظة على هذه القاعدة بحرية التجارة والمواصلات الدولية

٥ — استفتاء السكان في قارص وأردهان وباطوم وهي المناطق التي يدور حولها الخلاف مع أرمينيا.

٦ — الاعتراف باستقلال تام للدولة وحريتها التامة في تسيير حركتها الوطنية والاقتصادية حتى تتمكن من تأسيس إدارة ملائمة للحياة العصرية

وكانت الآستانة على اتصال دائم بالحركة في الأناضول عن طريق رجال مجلس المبعوثان وكانت مخزنا للأسلحة تمد الأناضول بها، فنجح في احتلال الآستانة احتلالا عسكريا للقضاء على الحركة الوطنية في الأناضول وقطع الصلة بينها وبين الآستانة واتفق الحلفاء على أن يكون الاحتلال مشتركا وتم الاحتلال في ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ وكان للحلفاء فيها قوة عسكرية من قبل تحت قيادة فرنسية وأراد الإنجليز بهذا الاحتلال الأخير الذي كان عسكريا وسياسيا أن تكون السيطرة لهم على الآستانة في أيديهم فامتد الاحتلال إلى نواحي الإدارة والمدنية وأصبحت لهم السلطة في مدينة الخليفة، وألقوا القبض على زعماء الحركة وبعض أعضاء المبعوثان ونفوهم إلى مالطة

وعلى أثر ذلك تألفت وزارة الداماد فريد وقامت بمعاونة الحلفاء الذين وضعوا في مؤتمر سان ريمو في أبريل سنة ١٩٢٠ قواعد الصلح مع تركيا وطلبوا إلى الداماد فريد إرسال الوفد العثماني إلى مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس في ١١ مايو.

وتسلم الوفد العثماني شروط الصلح في قصر سيفر، وكان من المنتظر أن لا يرضى بها الوطنيون في تركيا وقد قرر مؤتمر سيواس عن طريقه في تكوين الحكومة.

أرغمت على قبول معاهدة [illegible] وعرض [illegible] أن تقوم
ودول [illegible] الحركة الوطنية في الأناضول وكان [illegible]
على ذلك [illegible] لا تقوم لها قائمة من بعده

واحتل [illegible] الوطنية [illegible]
على [illegible] في أزمير [illegible] الملاحة بين بحر مرمرة
وبحر [illegible] المتوسط [illegible] شروط الصلح [illegible]
[illegible] وفرضت معاهدة سيفر في ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠

وكانت معاهدة سيفر أشد وطأة على الأتراك مما كانت معاهدة فرساي على
[illegible] جبال الشرق وكان
[illegible] الأرمن [illegible] كل [illegible]
وقد وصفت الهيئة التي انتدبها الحلفاء لتحقيق فظائع [illegible] في أزمير بعد احتلالهم
[illegible] الأتراك [illegible]

[illegible] معاهدة سيفر [illegible] أن تملك
[illegible]
[illegible] والأحمر [illegible]
[illegible] الاحتلال
[illegible] الأحمر [illegible]
[illegible] الأشراف على [illegible]
[illegible]
[illegible] أن تكون عضوا في عصبة الأمم . وكانت
هيئة مؤلفة من ممثلي انجلترا وفرنسا والولايات [illegible]
[illegible] في عصبة الأمم ، وما كانت
[illegible] كان لها [illegible] وظيفتها [illegible]
[illegible] الملاحة في بحر مرمرة والبواغيز
[illegible] من الأجانب

بضعة أيام ، وطالب الكونت سفورزا [illegible] في مؤتمر [illegible] معاهدة سيفر [illegible] الفرنسي في ذلك ولكن لويد جورج الإنجليزي [illegible] [illegible] دعوة تركيا واليونان لمناقشة معاهدة سيفر في مؤتمر عقد بلندن في ٢١ [illegible] سنة ١٩٢١ [illegible] إلى فض الخلاف بين تركيا واليونان

[illegible] وكان [illegible] اليونان [illegible] والعتاد فأعدت [illegible] الأتراك هذا الجيش من [illegible] آلاف [illegible]

[illegible] تدخل الحلفاء [illegible] من [illegible] اليونان حيال الأتراك [illegible] الخلاف [illegible] التي تقرها الدول ولكن اليونان رفضت وساطة الدول [illegible] تركيا [illegible] معاهدة سيفر [illegible] الأتراك [illegible] يعطف عليها ويدعو إلى [illegible] معاهدة سيفر لإقرار [illegible] في الشرق

[illegible] في ٢٨ [illegible] ١٩٢١ [illegible] الأمر [illegible] معركة الأحجار حول نهر سقاريا وكانت معركة حاسمة في [illegible] الأتراك [illegible] في معركة الأناضول [illegible] معركة [illegible] ٢٤ [illegible] ١٦ [illegible] هذا من أطول معارك التاريخ أمدا .

وكان [illegible] في [illegible] السياسة الخارجية [illegible] الحرب [illegible] وفودهم في الخارج [illegible] للدول الأوربية في موسكو وباريس [illegible] للقضية الوطنية [illegible] في هذه العواصم الثلاث

وكان من انتصار الأتراك وتفوقهم في ميدان القتال ما أثار مخاوف هؤلاء الحلفاء حتى تفككت بالتحالف فعقدوا اتفاقاً مع سوفييت في ١٦ مارس سنة ١٩٢١ في معاهدة نصت على تسليم [illegible] وسلب ثغر باطوم من [illegible] في تركيا بامتلاك أرضها وقارص كما اعترفت تركيا في اتفاقية قارص بينها وبين روسيا في ١٣ أكتوبر بجمهورية أرمينيا السوفيتية وكانت حكومة الثورة قد أعلنت وقت قيامها [illegible] حق [illegible] في [illegible] والحرية الشعوب في تقرير مصيرها مما قرب وجهات النظر بينها وبين تركيا .

ورأت فرنسا بدورها أن تنهي حالة الحرب بينها وبين تركيا وبادرت بعقد معاهدة معها في [illegible] ثم [illegible] التي كانت [illegible] بها للحلفاء إلى تصفية [illegible] بينها وبين حكومة أنقرة في [illegible] وكانت نتيجة هذا [illegible] في ٢٠ أكتوبر ١٩٢١ فكان من شأنه جلاء [illegible] كيليكية [illegible] التجارية كما أقر هذا الاتفاق الحدود الجديدة بين سوريا وتركيا [illegible] التركية [illegible] في [illegible] الإسكندرونة .

وقبل الحلفاء في ٢٦ مارس سنة ١٩٢٢ [illegible] تعديل معاهدة سيفر ولكن الأتراك رفضوا [illegible] إلا بعد جلاء [illegible] عن [illegible] وكان الحلفاء قد [illegible] اليونان [illegible] وحالوا بينها وبين احتلالها .

وتحول الأتراك إلى الهجوم [illegible] على [illegible] أزمير [illegible] أثر الجيوش اليونانية [illegible] إلى البحر [illegible] أن [illegible] القوات اليونانية كتلة من النيران .

وقد أثار انتصار الأتراك خوف بريطانيا على [illegible] في [illegible] إلى الحلفاء، وشعوب [illegible] على تركيا ولكن هؤلاء [illegible]

أى اهتمام بالقارة [illegible] كل من فرنسا و[illegible] موقف [illegible]
[illegible] بريطانيا فيما عدا استراليا ونيوزيلندا فقد أظهرتا
نوعا من الاهتمام بالأمر . ولكن بريطانيا سارعت بإنزال قواتها بقيادة الجنرال
[illegible] فى [illegible] فى ١٦ [illegible] سنة ١٩٢٢

و[illegible] كمالا [illegible]
[illegible] ولكن [illegible] فى [illegible]
[illegible] فى [illegible] سنة ١٩٢٢ [illegible] الشرقية إلى تركيا واعترف الأتراك
[illegible]

وكان [illegible]
[illegible] السلام فى الشرق وعقد مؤتمر [illegible] فى [illegible] سنة ١٩٢٢
[illegible] سنة ١٩٢٣ ثم
[illegible] فى ٢٣ [illegible]
وافق عليها الطرفان فى ٢٤ يوليه سنة ١٩٢٣ [illegible] حلت القوات الأجنبية عن
الآستانة [illegible] معاهدة حق تركيا فى تراقيا [illegible]
[illegible] لليونان
[illegible] إنجلترا وكانت إيطاليا قد احتلت
الدوديكانيز سنة ١٩١٢ [illegible] إنجلترا [illegible] على قبرص [illegible] الدولة العثمانية بعد
[illegible] سنة ١٨٧٨ [illegible] على عدم
[illegible] المضايق وأن [illegible] بتحصين الآستانة وقيام
[illegible] كانت على حرية للملاحة فيها فى السلم وفى الحرب إذا
كانت [illegible] فى [illegible]
تكون وقفاً على بواخر الدول المحايدة

وقد [illegible] كل من تركيا و[illegible] كان [illegible] فى
تسوية خلافات [illegible] بين الشعبين وبدء سياسة جديدة فى علاقاتهما .

واستطاعت تركيا في عهدها [illegible] الخلافة في مارس سنة ١٩٢٤ وكانت قد ألغت السلطنة في نوفمبر سنة ١٩٢٢ وأعلنت الجمهورية التركية وانتخب مصطفى كمال رئيساً لها في أكتوبر سنة ١٩٢٣ وأصبحت أنقرة مهد الحركة الكمالية عاصمة للبلاد في عهدها الجديد بدلا من الآستانة [illegible] الخلافة [illegible] تركيا [illegible] وحضارته في [illegible] و[illegible] به و تقاليده ونظمه وحضارته ومثله العليا

ولا [illegible] أن [illegible] في [illegible]

لقد كانت أهداف روسيا [illegible] تدور حول السيطرة على البواغيز والتغلغل في [illegible] وكانت [illegible] في [illegible] الشرق الأوسط [illegible] وكانت [illegible] أو خطوط المواصلات الإمبراطورية أو المراكز الاستراتيجية البريطانية في شرق البحر الأبيض المتوسط أو في الخليج الفارسي أو على طريق الهند

[illegible] في [illegible] الحرب [illegible] الآستانة [illegible] والمضايق [illegible] في مقابل ذلك [illegible] إنجلترا وفرنسا في تلك المنطقة

[illegible] الثورة [illegible] من معركة [illegible] بين الشعوب وحق كل شعب في تقرير مصيره [illegible] الاستعمارية [illegible] من المعاهدات السرية وشروطها [illegible] هذه المعاهدات السرية التي عقدت بينها وبين دول الوفاق [illegible]

في هذا الوضع [illegible] وبلغت لأهدافها [illegible] في
الآستانة [illegible] للحقوق [illegible] وبين تركيا [illegible] هذا
[illegible] في مؤتمر لوزان الذي [illegible]
[illegible] وكانت [illegible]
[illegible]
١٩٢١ [illegible]
[illegible]
[illegible]

وكان [illegible] في مؤتمر لوزان يدور حول إقرار حق تركيا
في [illegible] وحصونها [illegible] على بوغازي [illegible]
[illegible] القرن [illegible] ولكنها في مؤتمر لوزان [illegible] الملاحة في
[illegible] الملاحة في [illegible] فلا [illegible] حرية
[illegible] ولا [illegible] حربية ولا [illegible]
[illegible] الملاحة في [illegible] أو في الحرب
[illegible] في هذه الأحكام [illegible] وقد خرجت من الحرب [illegible]
[illegible] السلام في ظل سيادتها الجديدة [illegible] الحرب [illegible]
[illegible] وكانت ترجو أن [illegible]
سيادتها وقد خرجت من الحرب قوية فلا عزم من هذه الدول المغلوبة ما يهدد أمنها
وسلامتها [illegible] وكان كل [illegible] لقوة في هذه الدول
المغلوبة فلا تعود بعدها أبداً إلى استعادة قوتها والوقوف أمامها من جديد والحد من
أطماعها حتى لا تكون [illegible] جديد في [illegible]
كما كان من [illegible] وقد [illegible] البحر [illegible] شرق [illegible]
البحرية [illegible] لا [illegible] من الوصول إلى [illegible] والمحافظة على سلامتها
[illegible] وكانت حرية الملاحة في [illegible]
[illegible] لا يعيق هذه [illegible] في [illegible]
[illegible] وأن يكون البحر الأسود [illegible] من [illegible]

ومما [illegible] هو ظهور [illegible] في [illegible]
ظهور [illegible] من الخوف والقلق من [illegible] الجديدة [illegible] الأمم
الأخرى و[illegible] الدول على [illegible] والرغبة في [illegible] كان
لانسحاب روسيا من الحرب [illegible] في نفوس الحلفاء

وكان من [illegible] في مؤتمر
[illegible]
الأسطول [illegible]
تهديداً مباشراً في القرم وقد وضحت [illegible]
لبيبس ومدهم بالعتاد والذخائر للحرب [illegible] الأسود

و[illegible] في مؤتمر
لوزان [illegible]
أو وضعها تحت الإشراف الدولي ، ولكن تركيا وقد حققت في معاهدة
لوزان جل ماتصبو إليه لم تشأ أن تثير جدلا جديدا بشأن البواغيز في وقت
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على معاهدة لوزان [illegible]
دون [illegible]
فانتهزتها تركيا لمطالبة الدول بتعديلها فيما يختص [illegible]
[illegible] مؤتمر مونترو سنة ١٩٣٦ [illegible]
في تحصينها وتسليحها .

[illegible] سنة ١٩١٥ [illegible]
الحرب [illegible] سنة ١٩١٧ [illegible] الأخرى

وكانت تحتل الدودكانيز منذ عام ١٩١٢ بعد إعلانها الحرب على تركيا واحتلال طرابلس

وفي أعقاب هدنة مدروس التي أنهت حالة الحرب مع الأتراك [illegible] تبعاً للفوز بالأسلاب الجديدة فاندفع اليونان في مغامرتهم العسكرية نحو الأناضول لتوطيد سيادتهم الجديدة على ما منحتهم معاهدة سيفر من مناطق النفوذ في غرب الأناضول كما احتل الفرنسيون كيليكيا في الشرق ونزلت قوات الحلفاء في الآستانة

وكان لاختلاف الحلفاء على اقتسام الأسلاب [illegible] بريطانيا للفوز بنصيب الأسد في القسمة الجديدة رغم ما أبرموه من اتفاقات وما أقروه من عهود [illegible] في مهادنة السياسة الفرنسية والإيطالية لتركيا فقد كانت [illegible] لا [illegible] احتضان انجلترا اليونان مما يحقق لها كثيراً من أسباب التفوق [illegible] في البحر الأبيض المتوسط خوفاً على كيانها ونفوذها به ثم أن معاهدة سيفر [illegible] لليونان على خلاف ما وعد به الحلفاء إيطاليا في [illegible] سنة ١٩١٧

أما فرنسا فلم تتمكن [illegible] في سوريا [illegible] في تلك البلاد [illegible] تركيا في الشرق [illegible] في [illegible] معاهدة سيفر [illegible] في الشرق [illegible] وتحقق السلام في تلك [illegible]

وجرت [illegible] في مؤتمر [illegible] التي عقدها [illegible] وكان يطالب بتحقيق [illegible] الأتراك على [illegible] البلاد العثمانية حتى [illegible] في تلك منطقة على أسس [illegible] ولم تتمسك [illegible] سنة ١٩٠٥ [illegible] على

[illegible] وحفظ [illegible] [illegible]
في معاهدة لوزان

[illegible]
في [illegible] [illegible]
كان عليها أن تقبل مليونا ونصف مليون من اليونان [illegible]
[illegible] في مصر [illegible]
[illegible] وقسوة الحياة
في بلادهم التي لا يعرفونها وإن نأت بهم الدار وبعد المزار .

[illegible]
[illegible]
[illegible]

العرب في مؤتمر الصلح

[illegible]
[illegible]
في [illegible]
بالحكومة الفيصلية في البلاد الشامية

وحدثت في رسالة [illegible]
[illegible]
[illegible] بعد أن أخذت القيادة البريطانية في مصر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] سنة ١٩١٦ [illegible]

[illegible]

[illegible] هذه البلاد، و[illegible] هذه التسوية [illegible] متضاربة [illegible] الأهواء [illegible] من الإنجليز [illegible] الإنجليز والعرب [illegible] على العرب [illegible] الثورة ودخل فيصل على رأس قواته الظافرة دمشق [illegible] حكومة عربية [illegible] الأحوال [illegible] ولم يكن غريبا على هذه الأساليب [illegible]

[illegible] أرسل الملك حسين [illegible] الأمير فيصل وكان [illegible] في دمشق [illegible] لتمثيل العرب فيه [illegible] الأمير [illegible] أبيه وهو في حلب فغادرها إلى بيروت [illegible] في [illegible] الطراد [illegible] في ٢٦ نوفمبر عام ١٩١٨ [illegible]

في [illegible] [illegible] أنه في كل [illegible] [illegible] الحكومة الفرنسية [illegible] أو المندوب الرسمي لحكومة معينة [illegible] العربي من الحكومة الفرنسية بل طلب إليه [illegible] الملابس العربية .

ثم سافر الأمير [illegible] [illegible]

[illegible] للأمير في رحلته إلى [illegible] [illegible] ما شاع خلال من الحرب عن الاتفاقات السرية [illegible] [illegible] وحده [illegible] حيال [illegible] معظمة [illegible] [illegible].

[illegible] القومي كما أقرها البريطانيون [illegible] غيره من الأجانب الذين [illegible] في [illegible] العرب [illegible]

و[illegible] في [illegible] ويمكن [illegible] في مؤتمر [illegible]
وفي [illegible] مع [illegible] أو غيرهم لا يحق له مطلقا التصرف بما يقتضيه تفكيره
[illegible] وجه خاص [illegible] وضع الاتفاق مع [illegible]
[illegible] ولكنه [illegible] وجود [illegible]
[illegible] البلاد العربية

وقد [illegible] الاتفاق مع زعيم
الصهيونيين [illegible] الوطن
القومي لليهود [illegible]
وأهدافهم السياسية فقد استطاعت [illegible] الأخرى
[illegible]
[illegible] لليهود [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] جور اليهود وتحد من طغيانهم ، وهذا
[illegible] استقلال البلاد العربية ،
[illegible] لهذا الاتفاق [illegible]
ذي موضوع

ولا [illegible] يجعل قبول الاتفاق إلى عبارة
[illegible] الصهيونية وتأييدها وقد كان كثير من يهود بريطانيا لا يتقبلون وعد بلفور قبولا
[illegible] على مصالحها
[illegible] موقف [illegible] مواصلاتها
الإمبراطورية [illegible] على طريق مواصلات
الهند [illegible] من ناحية [illegible] من ناحية ثالثة اتصالا
مباشرا [illegible] في الخليج الفارسي ، كانت قد أخذت [illegible] على الصهيونيين

[illegible] لتسليم [illegible] رضوا [illegible]
[illegible] فلسطين

[illegible] في الشرق
[illegible]
وبريطانيا عطل في تنفيذ الاتفاق وربما عقق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
أسكرته الروسيا وهي أحد أطرافه [illegible] عما أحرزته أعظم من تفوق في
الميدان الشرقي وبشعوره [illegible] الحرب [illegible] حتى دهشت فرنسا
في تلك الاونة أنهم حليفتها [illegible]
[illegible] من ناحيتها ولم تمكن نوايا بريطانيا في [illegible]
الخاصة دون احراج حليفتها وإن لم يعنها أن [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]

واتخذت بريطانيا من [illegible] وسيلة لفرض انتدابها على فلسطين [illegible]
[illegible] لحماية قناة السويس وكان كتشنر
[illegible] الحرب [illegible]
[illegible] وكان [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] فرصة مؤتمر [illegible] من [illegible] بلاد عربية [illegible]
[illegible] وكانت [illegible] فيصل هي [illegible] في فلسطين [illegible]
[illegible] عام ١٩٢٣ [illegible] الأوضاع السياسية
في العراق وشرق الأردن [illegible] الملك العربي وكانت
[illegible] مصيرها مع الملك
[illegible] في سبيل الاتفاق بين بريطانيا
[illegible]
وقيام الوطن القومي اليهودي فيها وكان فشل الحكومة البريطانية في حمل الحسين
على الاعتراف [illegible] في حمل فيصل على العراق [illegible]

وكان [illegible] على سلامة [illegible]
[illegible] العرب [illegible] في الموضع الذي
حرصت على إقامته في فلسطين حتى لا يكون عداء العرب لفكرة الوطن القومي
اليهودي [illegible] سلامة [illegible]
المصالح البريطانية . ولم يكن [illegible] العرب [illegible] عما يدور في أذهان رجال
السياسة [illegible]

و[illegible] فيصل [illegible] في ٦ [illegible] عام ١٩١٩ [illegible] مؤتمر الصلح [illegible]
[illegible] الخوف [illegible] على
مصير [illegible] العربية [illegible]
[illegible] في مؤتمر الصلح حتى حرصت على
عدم الاعتراف [illegible] المؤتمر [illegible]
موقفهم [illegible] الحكومة البريطانية ومثل الحجاز مندوبين بدل مندوب واحد
[illegible] في ١٨ [illegible] وفي ٢٩ [illegible] فيصل مذكرة [illegible]
[illegible] على المؤتمر وفي ٦ فبراير عرضت القضية لأول مرة ووقف فيصل
يتكلم [illegible] عشرين دقيقة دافع [illegible] حق العرب في الاستقلال واقترح [illegible]
تحقيق [illegible] الشعوب العربية في تقرير مصيرها ، [illegible] الاقتراح [illegible]

من [illegible] ويحسبون [illegible] في اللجنة [illegible] في هذا [illegible]
في [illegible] لا [illegible] أي [illegible] وعلى من [illegible]

وكانت معارضة الفرنسيين [illegible] على [illegible] في
سوريا وارتيابهم في نوايا حلفائهم البريطانيين فقد ظنوا أنهم أوعزوا إلى فيصل
[illegible] للمحققين [illegible] في سوريا [illegible]
تامة وخافوا أن [illegible] الحرب [illegible]
[illegible]
[illegible] فكرته ولست أرى أن أعمال لجنة التحقيق قد [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]
إلى [illegible] الأمريكي [illegible]
[illegible] الأهلين وتحقيق رغباتهم [illegible]
[illegible] اللجنة [illegible]
[illegible] »

ووصلت اللجنة إلى [illegible] في ١٠ [illegible] من الهوى
الشخصي والأغراض [illegible] عن الأهلين [illegible]
واتجاهاتهم لا في سوريا وحدها وإنما في فلسطين والعراق أيضاً ، وبحثت اللجنة
[illegible] في البلاد [illegible]
وقالت [illegible] سوريا [illegible]
[illegible] في [illegible] ذلك في [illegible]
السورية [illegible] وأن [illegible] سوريا [illegible]
[illegible] سوريا وأن [illegible] العراق [illegible] العرب وكانت اللجنة
قد [illegible] على [illegible] من معلومات في سوريا [illegible]
[illegible] العراق [illegible] ولكن [illegible]
[illegible] الاتجاهات [illegible] في البلاد [illegible] في كل نواحيها
[illegible] في كل [illegible] على اللجنة [illegible]

[illegible] بريطانيا التي أوصت اللجنة بانتدابها على العراق .

[illegible]

[illegible] كما طويت مبادؤه التي نادى بها من قبل

[illegible]

[illegible] جلاء جيوش [illegible] نهاية لسوريا وكيليكيا بعد أن رفض اقتراح اللجنة الأمريكية [illegible] القوات الفرنسية باحتلال غرب سوريا

محيطها وتعترف باحتلال [illegible] وحماة ودمشق وحمص و[illegible] وحلب و[illegible] وبقى
فلسطين تحت الاحتلال البريطاني ووافق كليمنصو على الاقتراح في ١٥ سبتمبر على
أن لا يؤثر ذلك في التسوية النهائية

وكان [illegible] الخاص باحتلال القوات العربية للمواقع المتقدمة وكانت تقوم فيها فعلا
[illegible] من بريطانيا للعرب فقد كانت [illegible] كبيرا
أمام المؤتمر العالمي وكان الأعضاء [illegible] في [illegible] إلى اتفاق [illegible]
[illegible] سواء في [illegible] أو في البلاد العربية أو في [illegible] . ولذلك
قامت الحكومة [illegible] بدعوة فيصل [illegible] وكان قد رجع إلى سوريا
لاستقبال اللجنة الأمريكية وحرصت على أن يكون وصوله [illegible] من
الاتفاق مع فرنسا حتى [illegible] بالأمر الواقع وقد وصل [illegible] في ١٩ سبتمبر

ولم [illegible] فيصل الاتفاق واحتج عليه [illegible] شديدا [illegible] بريطانيا في مقاومة
الفرنسيين مباشرة وكانت ترى في اتصال [illegible] الفرنسيين [illegible] شكوكهم في نواياها
[illegible] وجهة
نظرها والظهور بمظهر [illegible] أمام الطرفين

[illegible] الاتفاق [illegible]
كليمنصو [illegible] تماما على إمكان إثارة [illegible] اللجنة الأمريكية وكان
[illegible] هذا
الاتفاق كان تمهيدا سياسيا للقرارات التي اتخذت في مؤتمر سان ريمو في ٢٥ أبريل
سنة ١٩٢٠

وخرجت بريطانيا من هذا الاتفاق ظافرة [illegible] ما كانت ترمي إليه من
[illegible] ومصلحتها وأهدافها الخاصة . فقد ضمنت
[illegible] على مستقبل
فلسطين واحتلالهم لها والموافقة على [illegible] للمنطقة الواقعة في شرق نهر الأردن تحت

سيادتهم وإقرار المصالح البريطانية فى العراق ، وكان هذا كله فى مقابل جلاء القوات البريطانية عن سوريا وكيليكيا

وبدأت تقوم القوات البريطانية بجلائها عن سوريا فى نوفمبر عام ١٩١٩ وفى ٢٥ منه حلقت الطائرات البريطانية فى سماء دمشق وألقت منشورات تحمل تحية وداع لمدينة الشعب السورى وحكومته العربية جاء فيها ما يلى « إن القائد العام للجيش البريطانى وضباطه وعساكره فى دمشق يرغبون أن يودعوا سمو الأمير فيصل نفسه والحكومة العربية وأهل دمشق ويشكرونهم من صميم قلوبهم على ما أظهروه نحوهم من العطف أثناء وجودهم بدمشق ويرجون من قلوبهم مستقبلا حسنا لدمشق وللشعب العربى كله »

وقد أشاع اتفاق لويد جورج ـ كليمنصو جوا من القلق والتوتر فى أرجاء البلاد العربية ، وكان رد الفعل على أشده فى سوريا حيث تقوم الحكومة الفيصلية فى دمشق ودعا السوريون إلى مؤتمر عام فى دمشق مثل سوريا فى مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية وهى تشمل اليوم مجموع السلطات الثلاثة وعقد المؤتمر السورى العام فى ٨ مارس سنة ١٩٢٠ وأصدر قراره باستقلال سوريا موحدة وبايع فيصل ملكا دستوريا على البلاد

وفى ٢٥ أبريل اجتمع مجلس الحلفاء الأعلى فى سان ريمو وأصدر قرارات الانتداب على البلاد العربية وهى صورة لاتفاق لويد جورج ـ كليمنصو ولا تختلف عنه إلا فى وضع المنطقة الشرقية من سوريا التى تشمل دمشق وحمص وحماه وحلب والتى كانت تحت سيطرة حكومة فيصل المستقلة تحت الانتداب الفرنسى

وأعلنت فرنسا بعد مؤتمر سان ريمو فى ٥ مايو وبعد أن تعرف أن الانتداب البريطانى قد أصبح حقيقة مقررة على العراق وفلسطين كى تقرر الانتداب الفرنسى على سوريا التى تشمل سوريا ولبنان . وعينت فرنسا الجنرال جورو مندوبا ساميا لها فى منطقة الساحل ثم تحدد بعد قرار الانتداب الفرنسى فى

سوريا وحمل [illegible] العربية وزحف على دمشق وقضى على مقاومة السوريين
في ميسلون واستشهد في المعركة [illegible] الوطنيين وأجبر فيصل على
مغادرة البلاد

وأثار إعلان الانتداب على البلاد العربية في الشام والعراق موجة من السخط
[illegible] في العالم العربي ضد الدول الكبرى التي [illegible] في مؤتمر الصلح ويقول
جورج أنطونيوس [illegible] هذا الشعور [illegible] قرارات مؤتمر سان ريمو
في [illegible] ولدت شعوراً جديداً في العالم العربي كان مصدره السخط الشديد [illegible]
ولم يكن سببه إنكار حق العرب في الوحدة والاستقلال بقدر ما كان [illegible]
الوفاء ونكث العهود [illegible] الأمس [illegible]
في [illegible] ذلك [illegible] قرارات سان ريمو في نظر العرب خيانة
لهم فحسب بل كانت [illegible] سطرته [illegible] على موجة من
الاحتقار المرير ».

ووصف قرارات مؤتمر سان ريمو [illegible] مؤتمر الصلح [illegible]
[illegible] الموضوع [illegible] مع [illegible] وكان
[illegible] الوعود [illegible] للعرب وهي الوعود [illegible]
[illegible] الحسين [illegible] مكماهون [illegible] هوجرث الملك
حسين شخصياً في يناير عام ١٩١٨ والتصريح [illegible]
والتصريح [illegible] هذه [illegible]
هذه [illegible] للوعود [illegible] الحسين [illegible] مكماهون
[illegible] في نفس الملك حسين جعلته يقف موقف الإصرار على [illegible] وهو [illegible]
الذي طبعه [illegible] على [illegible] عهود [illegible]
[illegible] العهود [illegible]
[illegible] وتمسك [illegible] الأوربية
[illegible] مصرع الوعود [illegible] مؤتمر الصلح كان [illegible] من أثبه أملا في
تحقيق الوعود برمتها وكان يرى أن [illegible]
ضرورة [illegible] ومسايرتها إذ [illegible] تحقق بعض ما وعدت

أن تحقق كل ما وعدت به على الصعيد سياسة بريطانيا حتى بعد أن قضى الفرنسيون على ملكه في سوريا .

وكان مؤتمر القاهرة الذي دعت إلى عقده وزارة المستعمرات البريطانية في مارس سنة ١٩٢١ باقتراح وزيرها تشرشل لدراسة الحالة في البلاد العربية واقتراح التدابير اللازمة لمواجهة الأحداث التي تعصف بها لأحوال في البلاد العربية بعد إعلان قرارات مؤتمر سان ريمو واستمرارها في البلاد التي تدخل تحت الانتداب البريطاني فرصة مواتية لتعديل سياستها في تلك البلاد وتقديم بعض الترضية للأمير والعرب الذين خدموا قضية الحلفاء خلال سني الحرب . وكان للمحادثات التي جرت في لندن بين فيصل وتشرشل أثرها في الروح التي سادت جو مؤتمر القاهرة . فقد رأى المؤتمرون وضع النظام الذي يرمي إلى ترشيحه موضع التنفيذ واتفقوا على قيام حكومة عربية في العراق وأن يرشح فيصل ملكا عليه وأن تعهد الإدارة البريطانية لاستفتاء الشعب في ذلك .

ثم كانت زيارة تشرشل للقدس في ٢٤ مارس بعد أن انتهى من مؤتمر القاهرة زيارة مرسومة لدراسة الموقف في البلاد الواقعة شرق نهر الأردن وكان الأمير عبدالله ينزل في معان على رأس أتباعه وعشيرته منذ شهر نوفمبر ١٩٢٠ وسبب وجوده في تلك المنطقة قلقا شديدا للفرنسيين في سوريا وللبريطانيين في فلسطين . وجرت محادثات بينه وبين الأمير عبد الله حول إقامة حكومة عربية في تلك المنطقة تضم فلسطين وشرق الأردن وتحقق بعث العطية بالعرش في ... وقد عرض تشرشل على الأمير عبد الله وإن لوح له بإمكان إقناع فرنسا بإعادة الحكم العربي في سوريا وترشيحه لملكها واستهل المفاوضات معه بتقرير الحماية البريطانية في شرق الأردن لتكون إمارة عربية تحت حكمه وتقديم معونة مالية من الحكومة البريطانية تساعد على إنشاء قوة عربية لإقرار النظام والأمن فيها حتى يتحقق جو مواتٍ لتنفيذ الاقتراح السابق

وسارت الأمور في شرق الأردن على الوضع الذي كان متفقا عليها وأصبحت

بإمارة عربية تخضع للانتداب البريطاني تحت حكم الأمير عبد الله وعند ذلك التاريخ ولدت إمارة شرق الأردن .

ورأى البريطانيون فيما تم تحقيقاً للوعود التي قطعتها بريطانيا للعرب كما رأى لورنس وقد حضر مؤتمر القاهرة مستشاراً لوزارة المستعمرات البريطانية في الشئون العربية وكان من أشد الناس حماساً لقضية العرب في تلك الظروف [illegible] للعرب ووفاءاً بعهود بريطانيا لهم كما أشار إلى ذلك في كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » .

والواقع أن هذه الحلول كانت تتفق وروح السياسة العامة لكل من إنجلترا وفرنسا وما يتصل بها من مرونة سياسية أكسبتهم من الصلابة التي أبدوها في السياسة الأوربية في مؤتمر الصلح وما تبعه من إصرارهم على حقوق نفوذهم ومصالحهم الخاصة فلم يكن أمامه غير الرضوخ [illegible] أو الوقوف من البريطانيين موقفاً [illegible] ولم يتيسر لهم [illegible] على موقعه منهم حتى [illegible] السعودي وحاول إلى [illegible] لأحمد في [illegible] الثورة العربية على [illegible] يكون الأداء .

وبدا من التسوية التي تمت في أعقاب الحرب فرض الانتداب البريطاني على العراق وشرق الأردن وفلسطين والانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان لتستقبل هذه البلاد دوراً جديداً من أدوار تاريخها تميز بنوع من الانفصال أشد مما كان بينها وبين الدولة العثمانية من قبل .

الموصل في ميزان النضال السياسي :

تحدث منطقة الموصل في شمال الجزيرة من أرض العراق وضعاً خاصاً في مؤتمر الصلح بين إنجلترا وفرنسا وفيما بعد المؤتمر وصدور قرارات مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو بين الحلفاء [illegible] حتى أصبحت مشكلة دولية بذاتها تتطلب حلاً حاسماً نهائياً

أو دونت [illegible] بشأنه [illegible] له [illegible] في إعلانها من تنازلها عنها لتركيا في الاتفاق الفرنسي التركي عام ١٩٢١

وكانت الموصل في اتفاق سايكس – بيكو ضمن منطقة النفوذ الفرنسي ولم تكن [illegible] في [illegible] الخليج [illegible] فارس [illegible] سايكس – بيكو [illegible] سياسة الاستعمار [illegible] للحكومة الإنجليزية في الهند [illegible] ولعل [illegible] أن [illegible] تكون [illegible] مع [illegible] نزولا على ضرورات الحرب وما [illegible] من [illegible] لقوى [illegible] عام ١٩١٦ وهو العام الذي [illegible] الاتفاق [illegible] هذا العامل الجديد الذي [illegible] الحرب الحديثة [illegible] حتى ذلك الوقت كان لا [illegible] بترول فارس [illegible] وهو [illegible] الأسطول [illegible] شركة [illegible] لإعداد قاعدة [illegible] الأسطول [illegible] كما هو [illegible] في [illegible] الوقود

كان [illegible] الحرب من [illegible] في [illegible] أن تكشف عنها نتائج الحرب أمراً مجهولا وليست هذه [illegible] وبين العرب أو بينها وبين حلفائها إلا رجما بالغيب [illegible] من [illegible] كلها [illegible] جهود الحرب [illegible] كان [illegible] من تضارب وتناقض [illegible] الحرب [illegible] الذي [illegible] به حلفاؤها .

وأحدث [illegible] إلى [illegible] الموصل إلى منطقة نفوذها عندما انتهت الحرب [illegible] على [illegible] الذي [illegible] إلى ذلك أنها لا [illegible] أن تترك للفرنسيين نفوذا [illegible] من مراكزها [illegible] كان يكون لهم [illegible]

طريق الهند [illegible] لكن هناك [illegible] من أن تشاركهم [illegible] سوف [illegible] أخرى
[illegible] أن يقتصوا من [illegible] ما أمكن وأن يبعدوهم بعيدين عن الإقتراب من مناطق
نفوذهم الهامة فاهتموا [illegible] على فلسطين حتى يكون [illegible] بين النفوذ
الفرنسي في سوريا ولبنان و [illegible] من [illegible] التوصل إلى منطقة
[illegible] في العراق وأن [illegible] على طريق [illegible] إلى
فارس فالهند .

[illegible] على [illegible] فرصة من [illegible] الحدود [illegible] كانت
روسيا [illegible] في مرحلة [illegible] الشيوعي [illegible] خطر [illegible]
[illegible] في [illegible] كما كان في عهد [illegible] يمكن [illegible]
[illegible] الحرب من [illegible] عملائها [illegible]
[illegible] على [illegible] من [illegible] في
الشرق الأوسط [illegible] على [illegible] على موارد [illegible] في
تلك المنطقة كما سيطرت من قبل على قواعده ومراكزه الاستراتيجية الهامة .

[illegible] بها [illegible] فرنسا [illegible] مؤتمر [illegible]
وحرب [illegible] في هذه [illegible] وكذلك [illegible] كانت [illegible]
نظر [illegible] في هذا الموضوع ، وكان من الممكن أن [illegible]
فرنسا [illegible] لولا ما [illegible] من خلاف [illegible] مؤتمر
[illegible] في [illegible] فرنسا [illegible] في
[illegible] في سوريا [illegible]
[illegible] في وقت كان [illegible] الوطني [illegible] لاحتلال
والأحداث [illegible] وحدها [illegible] شعور الوطني في
سوريا [illegible] فرنسا [illegible] هذا الانسحاب [illegible] في وقت [illegible]
كانت [illegible] الوطنيين السوريين وتشجيع [illegible] على تحقيق أهدافه في

مدينتكم كما كانت تطمع رغم أن بريطانيا تعترف ضمنيا بقرارات مؤتمر الوطني السوري الذي نادى بفيصل ملكا دستوريا على سوريا الموحدة المستقلة فى ٨ مارس سنة ١٩٢٠

وكانت فرنسا تنظر بعين الريبة إلى عطف انجلترا على فيصل رغم ما بذلته من أن عطفها عليه كان مجرد عطف على الشخص ولكن فرنسا كانت تتناول الموضوع بمفهومها الثورة المصرية وهو ما كرهته فرنسا بسبب إذكاء هذه الثورة التى تميل إلى الأناة واللعب والعبث فى تحقيق أهدافها ، كما أن انفراد بريطانيا فى الاتفاق مع العرب وزعماء الثورة العربية فى بداية الحرب وما جرى بعد الحرب بعد ذلك من أحداث كان كفيلا بخلق ... الثورة العربية وفرنسا التى نصبت العداء لهم وتشجيعهم بعد ذلك فى مؤتمر الصلح وفى السنوات الأخيرة التى أعقبت الحرب كما كان كفيلا بإثارة الشكوك والريب بينها وبين انجلترا .

وعملت هذه الظروف فرنسا على التقرب من تركيا فأحدثت تغييرا فى بنود معاهدة سيفر لمصلحة تركيا تمثلت فى تخفيف البنود التى وضعت على رأس الحلفاء لتطبيق معاهدة وإذلال تركيا وحرمت فرنسا فى سياستها حيال تركيا شوطا أبعد من هذا فقررت إنهاء حالة الحرب معها وتخلت عن كليكيا وتخلت لتركيا عن جزء من خط الحدود الجديد الذى أقرته الدولتان فى معاهدة سنة ١٩٢١ وتخلت عن كثير من ذلك فعرضت على تركيا الاستيلاء العاجل على منطقة الموصل على أمل أن تنال منها فيما بعد امتيازا باستغلال بترولها ، رغم قرار مجلس الحلفاء الأعلى بضم الموصل إلى منطقة الانتداب البريطاني مقابل منح بعض الامتيازات البترولية لفرنسا وما كانت فرنسا ترمى من وراء هذه المسألة إلا إلى خلق مشكلات جديدة بين تركيا وانجلترا ، وبهذا التدبير أصبحت مشكلة الموصل فى دائرة النزاع البريطانى التركى .

ومن ثم أخذت انجلترا دعواها فى منطقة الموصل على أنها فى الأصل جزء من العراق فلم تعترف تركيا ولا فرنسا بها واحتجت على احتلال الانجليز لها على اعتبار أن هذا الاحتلال يعد خرقا لنصوص هدنة مدروس .

وقد نادى فيصل ملكا على العراق قام العراقيون [illegible] بالموصل على اعتبار أنها جزء من الوطن العراقي وحسب قوانينه المتبعة . وفي المفاوضات للصلح التي سبقت إبرام معاهدة لوزان احتدم الخلاف بين الوفدين البريطاني برئاسة لورد كيرزون والتركي برئاسة عصمت [illegible] وحاول عصمت أن يحصل على الموصل ورفض البريطانيون تخلي الأتراك [illegible] في منطقة عربية بحتة وذكروا الأتراك بعهودهم للعرب ووعودهم لهم بتخليصهم من حكم الترك كما استندوا إلى حق الانتداب الذي خولتهم إياه عصبة الأمم . وحاولت [illegible] صبغة الانتداب من الناحية القومية كما حاولت مسألة [illegible] إلى بعض [illegible] من العرب والأكراد [illegible] وأخيرا [illegible] إلى حق [illegible] أثر هذا الخلاف الذي لا [illegible] حق الشعوب في تقرير مصيرها .

وأرجئت معاهدة لوزان [illegible] في حل مشكلة الموصل [illegible] تركي تتخلى عن مشكلتها [illegible] مفاوضات قادمة [illegible] ذلك من معاهدة لوزان [illegible] إلى ذلك [illegible] تسوية مشكلة الحدود بين تركيا والعراق بواسطة [illegible] بين تركيا وبريطانيا العظمى في خلال تسعة أشهر . وفي حالة فشل الحكومتين في الوصول إلى اتفاق في الوقت المحدد [illegible] النزاع إلى مجلس عصبة الأمم .

وقد [illegible] الحكومتين دون الوصول إلى نتيجة [illegible] كل من الطرفين [illegible] وأخيرا [illegible] الأمر إلى مجلس العصبة الذي [illegible] في جلسة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤ تشكيل لجنة لتحقيق موضوع من [illegible] الأعضاء [illegible] والسويدي [illegible] السويدي [illegible] [illegible] استحيني ، [illegible] خط حدود مؤقت [illegible] الطرفان حتى تتم التسوية النهائية وعرف باسم خط بروكسل [illegible] دراسة مشكلة من كافة نواحيها [illegible] التاريخي والعنصر [illegible] في سكانها والاقتصادية والجغرافية وما [illegible] العام للمنطقة [illegible] إلى العراق على أن تكون تحت انتداب عصبة الأمم لمدة ٢٥ سنة وأن [illegible] الأكراد [illegible] الغالب في سكان المنطقة [illegible] الإدارية والقضائية والتعليمية [illegible] الاستقرار

المنشود للمنطقة في ظل النهضة العراقية في الأولى أن تكون تحت انتداب انكلترا، حيث الاستقرار أضمن وأوفر.

وقد عرضت مسألة النزاع على هذا القرار فرفع إلى مجلس العصبة في ٢٥ يونيه سنة ١٩٢٥ ولم تركيا تعرف مطامع الإنجليز وراء هذا الاعتراض فرفض مجلس العصبة الأمر إلى محكمة العدل الدولية لتبدي رأيها في قرار لجنة التحقيق وقد رأت محكمة العدل الدولية أن قرار مجلس ملزم للطرفين ويعتبر حلاً نهائياً لمشكلة الحدود بين تركيا والعراق على أن يكون القرار بالإجماع وحسب هذا الرأي قرر مجلس العصبة تبعية الموصل للعراق في ظل الانتداب لمدة ٢٥ سنة.

وأصبحت منطقة الموصل أحد الألوية التي تتكون منها الوطن العراقي وتقع أغنى منطقة بترول في شمال العراق وهي المنطقة التي تتكون من لواء كركوك في الجنوب ولواء الموصل في الشمال وأصبحت هذه المنطقة منطقة استغلال رؤوس الأموال الأجنبية بعد أن أصبح لها أكثر من نصف أسهم شركة البترول التركية وهي التي أصبحت تعرف باسم شركة البترول العراقية ومنحت الشركة امتيازاً ... في حدود مساحة ... والمتحدة كانت محصورة ... الأولى قبل الحرب، ولكن هذا منع من نفوذ رأس المال الإنجليزي في الشركة مما يضمن للإنجليز السيطرة التامة على شئونها.

وقد تدفق بترول العراق خلال أنابيبه إلى طرابلس في ١٤ يوليه سنة ١٩٣٤ وإلى حيفا في ١٤ أكتوبر من نفس العام وتم افتتاح الخط رسمياً في كركوك في ١٤ يناير سنة ١٩٣٥ وإن كان البترول قد وصل ... قبل ذلك.

شبه الجزيرة العربية:

لم تدخل شبه جزيرة العرب في اتفاق سايكس بيكو ولا في غيره من الاتفاقيات السرية التي قامت بين الحلفاء لتقسيم أملاك الدولة العثمانية فقد ظلت شبه جزيرة

العربية ذات الصحارى الواسعة والعيش الجرد، وتحول إلى مستعمرات شمس هجير وجبلية نائية من هذه البلاد لا تتسع لدعم المستعمر الأوروبي الذي لا يرى فيها من الخدمات ما يحمله على مقاومة مستعمريها وشدة جفافها، وكان هذا سبباً في عدم الاستعمار الأوروبي عنها في وقت ما سيطر سائر الدول فيه فتحمست دولة الاستعمار وهددوه في الاستقلال والوجود وهي تشكل نقمة للشعب الأسود قد وقفت عائقاً في مستقبل أمام تقدمه

وقد راودت الدول الأوروبية الاستعمارية مطامع في شبه جزيرة العرب واكتفت ونظرت بسط نفوذها على الإمارات العربية المتناثرة على شواطئها في الخليج الفارسي والشاطئ الجنوبي منها وبخاصة عند مدخل البحر الأحمر، واتجهت الهند حيث استولت على عدن وأصبحت إحدى المستعمرات التاج منذ سنة ١٨٣٩، وذلك لتأمين مواصلاتها البرية والبحرية إلى مستعمراتها في الهند والشرق الأقصى عن طريق الشرق الأوسط البرية ومسالكه البحرية

حتى إذا قامت الحرب العالمية الأولى وتطلع الحلفاء إلى زعيم قوي يسند قضيتهم ويجمع العرب حوله ويبعث في هذه البلاد الجامحة روح الثورة ضد الأتراك وقع اختيارهم على شريف مكة حسين بن علي الذي يحظى بمنصبه الروحي وقوة نفوذه. وقاد الشريف حسين الثورة العربية ضد الأتراك وأعلن نفسه ملكاً على العرب في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ بعد إعلان ثورته على الترك في الحجاز ببضعة أشهر وقد تم أسبوع حتى اعترفت به الحلفاء ملكاً على الحجاز ورفضوا لقبه ملكاً على العرب ولم يكن ذلك في الحقيقة ملك الإنجليز بالأمر الواقع وقد كان يودهم أن يطلب كل شيء لنفسه حتى نهاية الحرب

وسارت الأمور على هوى حسين رجل أعسف خلال سني الحرب ودخلت قواته أسوار دمشق ووصل آماله في صنع السلام ينتظر أن يحقق له ملك العرب من المحيط الهندي في الجنوب إلى أعالي العراق في الشمال ومن حدود فارس شرقاً إلى سواحل البحر المتوسط غرباً ولكنها لم تكن غير أحلام في مهب الريح من جانب الرجل المسكين الذي لم يدرك حقيقة السياسة البريطانية ووعودها المعسولة حتى بانت مواصفات الصغار في مؤتمر السلام عن حقيقة نيتها وإن دعت حكومة الحجاز إلى مؤتمر الصلح وأن تنتدب للأمير فيصل ابنه لحضور مؤتمر إلا أنها كانت سبباً في قرارة نفسها إلا بعد للحسين عن مقاصده إلا ... ومصالحها وأهدافها وقد نشأ

أن يكون له في مؤتمر الصلح رأي مسموع أو كلمة نافذة فوضعت شروط معاهدتي فرساي وسيفر دون أن يكون ممثلا في مؤتمر رأي فيهما وعقد مؤتمر لوزان لتصفية المسألة الشرقية فلم يكن للعرب من يمثلهم فيه وبدت البوادر الحديثة لسياسة بريطانيا نحو العرب تدل على فرض وضع معين مرسوم عليهم أن يقبلوه وتعززه معاهدات عليهم بها وتكون حلا نهائيا لمشاكل البلاد العربية

وكانت الخطوط الأساسية البريطانية تدور حول الظفر باعتراف الملك حسين بنظام الانتداب في سوريا والعراق وفلسطين وشرق الأردن وإقرار الوضع القائم في شبه جزيرة العرب فيكون للملك حسين ملك الحجاز وتعهد له بريطانيا بالمحافظة على هذا الوضع ويكون للسعوديين نجد وملحقاتها

وكان في شبه جزيرة العرب خمس إمارات تتمتع بدرجة كبيرة من الإستقلال والحكم كانت أجزاء من بلاد عربية تحت سيادة الدولة العثمانية الشرعية وقد أتاح ضعف السيطرة التركية عليها أن يكون لأمرائها الكلمة العليا في شئونها وكانت هذه الإمارات الخمس في شبه جزيرة العرب هي مملكة الحجاز وعلى رأسها الملك حسين في مكة وسلطنة نجد وملحقاتها تحت حكم السلطان عبد العزيز آل سعود في الرياض واليمن وحاكمها الإمام يحيى في صنعاء وإمارة شمر وحاكمها ابن الرشيد في حائل وإمارة الإدريسي في عسير .

ولم تكن العلاقات بين هذه الإمارات دائما علاقات مودة وحسن جوار فقد كانت تنشب الحروب بين نجد والحجاز وبين نجد وشمر ولعدم وجود من يساندها بينها تحسمها ولم يكن هناك من قانون في الصحراء غير قانون القوة وبقيت رغم خضوعها جميعا لسيادة تركيا الشرعية التي ابتعدت من القوة في داخل شبه الجزيرة وأطرافها فبدأت سلطتها تنعدم وأعرق هذه العداوات ما كان بين آل الرشيد في شمر وآل سعود أمراء نجد وفرسانها

وكان حكم آل الرشيد في حائل في جبل شمر أما السعوديون فكانت الرياض مقر حكمهم وقد أسسها جدهم الثاني تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود الكبير ومن الرياض بسط آل سعود نفوذهم على القبائل الضاربة في جنوب نجد حتى الربع الخالي وانتهز ابن الرشيد ما نشب من خلاف في البيت السعودي فاجتاح الرياض

وهرب عبد الرحمن بن سعود بأولاده وأتباعه وراح يتجول بين قبائل عجمان ومرة بعض
[illegible] في الكويت حتى لا تناله [illegible] آل الرشيد [illegible] في وجه [illegible] جوار قبائل
بني مرة ، وفي هذه البيئة البدائية شب عبد العزيز آل سعود ورفيقه [illegible] عمه
عبد الله بن جلوي الذي أصبح ساعده الأيمن فيما بعد وقد شب [illegible] بينهم بداوة
الصحراء وصبر [illegible] على الحرب [illegible] وأخذ عن بني مرة أساليب
الحرب في البيد ومنها من خداع وخفة حركة ومفاجأة ، ونجح الفتى عبد العزيز
في ذلك الأمر البعيد لدى حركة [illegible] وتعاليمها من أبيه عبد الرحمن
الذي درس في [illegible] السعوديين [illegible]

و[illegible] عبد الرحمن [illegible] في هذا الأمر [illegible] الشيخ
محمد أمير الكويت [illegible] وبإقامته في الكويت حتى [illegible] مسرور

وكان [illegible] آل الرشيد [illegible]
عنه من [illegible] الكويت [illegible]
السعوديين [illegible] عليهم حتى [illegible]
[illegible]

وفي الكويت طالع الفتى الذي شب في [illegible] بني مرة [illegible] من أحداث
[illegible] لعله [illegible]
ثقافته و[illegible] حتى إذا كان عام ١٨٩٧ مات محمد بن رشيد
وأسند القبائل [illegible] في حروب [illegible] السعوديين [illegible] الفتى الصغير
عبد العزيز الذي [illegible] عشرة من عمره إلى محاولة جمع [illegible]
[illegible] في الكويت [illegible]
[illegible]

وجرت الأحداث بعد ذلك بما يحقق حلم الفتى الصغير وأبيه عبد الرحمن فقد
[illegible] في الكويت [illegible]
[illegible] الكويت [illegible] من [illegible]

الشيخ محمد لأنه السابق ، واستخدم القيصر عودة حتى يستعين على حكم شيخ مبارك الذي رحب [illegible] وأولاده و آل الرشيد [illegible] الكويت وعمل هذا الشيخ مبارك على تمهيد الطريق لعودة آل سعود إلى الرياض ليثأر من آل الرشيد [illegible]

وجمع عبد العزيز ، وكان في حدود العشرين من عمره جماعة من [illegible] [illegible] ومن بينهم [illegible] لاسترجاع الرياض وقد [illegible] في المرة السابقة ما وقاه شر الفشل في هذه المرة ، فخرج إلى مهد طفولته في واحة جبرين يجمع الأنصار والأعوان حوله وهناك وضع خطته لاقتحام الرياض [illegible] ليلا [illegible] في أعوان الرشيد [illegible] الصبح حتى دانت له المدينة التي أصبحت [illegible] وكانت مغامرة [illegible] من قصص البطولة التي [illegible]

وفي المسجد الجامع في الرياض اجتمع رجال الدين ووجوه القوم [illegible] عبد الرحمن [illegible] عبد العزيز [illegible] على نجد [illegible] سنة ١٩٠٤ ومن ثم [illegible] عبد العزيز [illegible] سنة ١٩٠٦ وانتشار الخلل في صفوفهم [illegible] آل سعود في الحكم [illegible] من [illegible]

وقام عبد العزيز آل سعود [illegible] الدعوة الدينية ودعم أواصر الأخوة [illegible] بين الأعوان [illegible] بين الذين [illegible] على غرار [illegible] سنة ١٩١٠ [illegible] الحربية [illegible]

وفي عام ١٩٠٩ ظهر عامل جديد في شبه الجزيرة العربية كان [illegible] فيما جرى من أحداث [illegible] ذلك فقد عين الحسين بن علي بن عون من آل هاشم شريفاً لمكة وكان [illegible] في ضيافة السلطان عبد الحميد في الآستانة منذ عام ١٨٩١ واستمر [illegible] حتى أواخر عام ١٩٠٨ حيث عين شريفاً لمكة بعد خلع عبد الحميد

و[illegible] الحسين [illegible] في ديسمبر سنة ١٩٠٨ [illegible] آل سعود في نجد [illegible] على [illegible] على حدود نجد في سنة ١٩١٠

ووقع بالسعوديين هزيمة تلتها [illegible] في قلب نجد حتى القصيم وانتهت بعقد اتفاقية صلح واتفاق بين الأميرين حول القبائل الضاربة في حدود نجد والحجاز وتعرض السعوديين لها

وفي الوقت الذي كان الحسين يتطلع فيه إلى بسط سلطانه على الإمارات العربية وعلى زعامة [illegible] ويبث دعاواه بين رجال تركيا [illegible] في آستانه كان الأمير السعودي يتحين كل فرصة مواتية لتوسيع مملكته دون ضجة أو صخب وانتهز فرصة انشغال الأتراك في الحرب البلقانية سنة ١٩١٣ وسحب قواتهم من شبه الجزيرة فأغار على الهفوف في رجب من هذه السنة واستولى عليها وتقدم إلى مينا [illegible] على الخليج الفارسي وبسط سلطانه على منطقة الحسا [illegible] [illegible] الترك [illegible] [illegible] لأول مرة منذ زمن [illegible] ما يسترجعون به سلطانهم على الحسا.

وإلى الجنوب من الحجاز تقوم دولة الإدريسي في «عسير» وقد وافق قيام هذه الإمارة [illegible] الشريف حسين [illegible] على [illegible] قدوم السيد محمد الإدريسي إلى عسير سنة ١٩٠٨ ونزل [illegible] حفيد العالم السيد أحمد بن إدريس وكان قد جاء إلى مكة في ختام القرن الثامن عشر ورحل إلى عسير وقام بإرشاد الناس إلى أمور دينهم ودنياهم وقد جمع صلاحه وتقواه الناس حوله وأصبح يعدونه من أولياء الله.

وقد تقدم حفيده السيد محمد الإدريسي في [illegible] بعد أن قام بدروس في الأزهر طلب العلم على شيوخه [illegible] في بعض معاهد [illegible] وجهة الكفرة وعاش بين شيوخ السنوسية وأساتذتها ثم عاد إلى عسير ليتسلم [illegible] على [illegible] ما شاهده في [illegible] السنوسية وجمع حوله الأنصار وحرص على [illegible] السياسة و[illegible] [illegible] بعد أن حمل عليه الشريف حسين بحملة عسكرية ولكنه [illegible] بعد أن [illegible] الإيطاليون بمساعدة [illegible] [illegible] حتى في [illegible] التي حارب الأتراك بدوره بعد أن جمع [illegible] وأعلن [illegible] على [illegible] إماما لليمن المستقلة في أكتوبر سنة ١٩١١.

أما غير هذه الإمارات الخمس في شبه جزيرة العرب فقد كان هناك عدد من
الإمارات الصغيرة على سواحل شبه الجزيرة من المحيط الهندي إلى الخليج الفارسي
خضعت بدرجات متفاوتة منذ سنة ١٨٣٩ للنفوذ البريطاني.

وقامت الحرب العالمية الأولى وخاض كما ذكرنا بين الإمارات الخمس وأعلن
الشريف حسين ثورة العرب على الأتراك وشغل [illegible] عن وضع أمور
[illegible] وتقدم بالحكم [illegible] الحرب على [illegible]
وما يحيط بها من [illegible] وأعلن نفسه ملكاً على البلاد العربية وكان يقصد بالبلاد
العربية تلك البلاد التي كانت ولايات عثمانية قبل الحرب وكان يرى أنه الوارث
الحقيقي لأملاك الدولة العثمانية في الشرق [illegible]
للعرب [illegible] استقلال البلاد العربية [illegible] عن
الثورة حتى [illegible] سلاطين آل عثمان في
[illegible]
[illegible] الحدود بين نجد والحجاز [illegible]
[illegible]

[illegible] حسين [illegible] ملك العرب [illegible] الدولة
[illegible] على البلاد العربية ونظر إلى جيرانه [illegible] عليهم ما كان لسلاطين آل عثمان
من حقوق على [illegible]
[illegible] العربية العرب التي أصبحت شخالفه مع [illegible] سياسة [illegible]

ولكن [illegible] حسين [illegible] المخوف من
[illegible] الذي يهدد سلامتهم [illegible] على بلادهم
[illegible] ابن سعود [illegible] وفد من لدن ملك الحجاز
وطلب إليهم أن يحددوا موقفهم [illegible] حسين [illegible] الأخير على [illegible] من
[illegible] الحسين [illegible] حقيقة موقفهم منه [illegible] العرب.

وقد كان لابن سعود خلافات قديمة مع [illegible] منذ أن وصلت جيوشه

[illegible] على [illegible] وكانت [illegible] الأمراء [illegible] الذين يحكمون على سواحل المحيط الهندي والخليج الفارسي من شبه جزيرة العرب [illegible]

وقد اتصلت حكومة بريطانية في الهند في بداية الحرب لضمان معاونة ووعد ابن سعود [illegible] على [illegible] معاهدة [illegible] في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ اعترفوا [illegible] نجد والأحساء والقطيف [illegible] ارتباطاته معهم سنة ١٩١٧ .

وانضم آل الرشيد إلى الترك [illegible] على [illegible] في [illegible] الأموال [illegible] في الحرب الدائرة .

أما الإمام يحيى وكان قد حقق أطماعه في إمامة اليمن [illegible] وعقد مع الأتراك معاهدة [illegible] باستقلاله [illegible] في [illegible] مع [illegible] على [illegible] أو الاحتكاك بهم

[illegible] والعلاقة [illegible] في [illegible] الأتراك [illegible] في [illegible] ثم [illegible] معاهدة في سنة ١٩١٥ اعترفوا [illegible] واستقلاله [illegible] الأتراك في [illegible] معاهدة أخرى [illegible] عام ١٩١٧ اعترفوا [illegible] على [illegible] من أي اعتداء خارجي [illegible] مع غيرهم [illegible] على [illegible]

الخليج الفارسي و[illegible] على المحيط الهندي

هذا هو الموقف الخارجي عام في سنة [illegible] العرب [illegible]
[illegible] ولم يكن [illegible] الأخرى [illegible]
[illegible] أو [illegible] عن [illegible] أو حيادها الذي [illegible]
[illegible] حوادث [illegible] الإدريسي في عسير الذي كان [illegible] في توسيع
حدود [illegible] على حساب [illegible] الأتراك [illegible] في [illegible] واليمن في [illegible]
وقد [illegible] سنة ١٩١٦ [illegible]
بمساعدة الإنجليز [illegible] الملك حسين الذي كان يعتبر
[illegible] للحجاز بعد
تدخل الإنجليز .

[illegible] الإدريسي [illegible] حول [illegible]
[illegible] وكان [illegible] للنفس خلال
[illegible] في نهاية الحرب بعد أن سلمت حاميته
[illegible] سنة ١٩٢١ [illegible] البلاد [illegible]
[illegible] وفاة [illegible]
محمد الإدريسي في سنة ١٩٢٣ [illegible] خلاف بين أفراد أسرته [illegible]
ضم إلى اليمن جزءا كبيرا من أراضي عسير التهامية وشقة على الساحل يدخل فيها
ميناء الحديدة

أما الإمارات الأخرى في شبه [illegible] فقد شاركت في جهود الحرب
[illegible] كل حسب مصلحته في [illegible] الذي [illegible]
[illegible] الحسين إلى جانب الحلفاء [illegible] أمراء [illegible]
الإدريسي في جهود الحرب [illegible] على الأتراك في [illegible] سعود
[illegible] على [illegible] الخليج الفارسي وكان [illegible]

وصداقته [illegible] أثر كبير في نجاح حملة العراق ، أما ابن الرشيد فقد [illegible] مع الأتراك وارتبط بهم وربط مصيره بمصيرهم

[illegible] الحرب [illegible] هذه [illegible] إلى حرب [illegible] عنيفة تقرر مستقبل شبه الجزيرة العربية .

وكان النضال المرتقب هو ما ينتظر أن ينشب بين السعوديين والهاشميين [illegible] للإمارات الأخرى من شأن يذكر إلى جانب [illegible] في نجد والحجاز ، فقد كانت [illegible] وخلافات [illegible] من [illegible] في [illegible] وكان [illegible] من [illegible] من [illegible] ولم [illegible] استقلال بلاده وأن عدم [illegible] حتى [illegible] [illegible] ولم يعد يلق بالا إلى ما تمخض به شبه الجزيرة من أحداث

[illegible] ١٩ [illegible] سنة ١٩١٩ حدث أول صدام جدي بين الفريقين على مقربة من « تربة » وكانت هزيمة قوات الحجاز [illegible] إلى درجة أن أصبح الطريق مفتوحاً أمام القوات السعودية لاجتياح الحجاز لولا تدخل بريطانيا في الوقت المناسب لإنقاذ حليفها [illegible] ورجع إلى نجد [illegible] لدواعي السياسة فقد كان عليه أن يتخلص من آل الرشيد أمراء شمر أعدائه [illegible] على علاقاته [illegible] مع البريطانيين وهو يرى أن علاقاتهم تسوء يوماً بعد الآخر بالملك حسين

ثم كان [illegible] في ربيع عام ١٩٢٠ [illegible] مواتية [illegible] لاجتياح حائل عاصمة آل الرشيد والاستيلاء على شمر

ودافع أمير حايل محمد بن طلال ثم دوخها عبد العزيز [illegible] حتى سقطت المدينة في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ ونقل أمراء آل الرشيد إلى الرياض أسرى وفر بعضهم إلى العراق وعاد عبد العزيز آل سعود إلى عاصمته ظافراً وسمى نفسه سلطان نجد وملحقاتها.

وامتدت حدود نجد الجديدة بعد سقوط آل رشيد في حايل وأصبحت تتاخم مناطق الانتداب الإنجليزي في العراق وشرق الأردن والفرنسي في سوريا ولم تكن الحدود قد حددت في هذه المنطقة [illegible] ويمكن أن تحدد شرقاً [illegible] وادي الرماح وغرباً إلى وادي سرحان

وفي ذلك الوقت كانت [illegible] بين الإنجليز والفرنسيين [illegible] تتوقع كل منهما من أمور معينة، وكانت الحكومة البريطانية قد دعت حكومة الحجاز لإرسال مندوب عنها لحضور مؤتمر الصلح في باريس وأوفد الملك حسين ولده الأمير فيصل لحضور المؤتمر وحال الفرنسيون بين الأمير والمؤتمر واعتبروا دعوة الحكومة البريطانية للملك حسين دون مشاورتهم في ذلك [illegible] الإنجليز الأساس [illegible] الفرنسيين [illegible] يسيئون الظن بحلفائهم ويعتقدون أن بريطانيا تسعى لإبعادهم [illegible] بيكو وإقصائهم عن الشرق حتى يتاح لهم إسقاط نفوذهم عنه وقد حقق الفرنسيون في الحرب [illegible] الأولى وهم [illegible] الشرق في شكل انتداب أو [illegible] وتمسكوا [illegible] بمعارضة الفرنسيين [illegible] وفد العرب لحضور مؤتمر الصلح ونزلت فرنسا على رأي حلفائها أخيراً ومثل العرب في مؤتمر الصلح.

ولم يكن إلحاح البريطانيين على فرنسا بقبول ممثلي العرب في مؤتمر الصلح إلا مناورة سياسية بارعة كان القصد منها أن يشترك العرب في توقيع معاهدات الصلح وقبول ما يقرره المؤتمر خاصاً بالبلاد العربية وبذلك يتخلص البريطانيون من ارتباطاتهم الخاصة سواء مع العرب أو مع حلفائهم الفرنسيين أو مع اليهود

ثم أقر الحلفاء في مؤتمر فرساي عهد عصبة الأمم واعتبروا جميع الدول التي خاضت غمار الحرب بجانبهم ومنها الحجاز أعضاء مؤسسين في عصبة الأمم على شرط أن توقع على معاهدة فرساي ولكن فيصل مندوب الملك حسين على حدة ثم تبرأ من هذه المعاهدة وأبى أن يوقع معاهدة فرساي أو يوافق على محتوياتها خاصة فرض الانتداب على البلاد العربية على أساس أنه نظام لا يتفق والعهود التي قطعت للعرب

وفي مؤتمر الحلفاء الذي عقد في باريس سنة ١٩١٩ في ... مثل الأمير فيصل حكومة الحجاز وبذل جهده ضد الانتداب وأثبت أنه لا يتفق ووعود الحلفاء للملك حسين باستقلال البلاد العربية

وكانت الحكومة البريطانية حريصة على إرضاء الملك حسين والوصول إلى اتفاق معه تسوى به جميع المشكلات ولكن خلاف وجهات النظر حال دون ذلك فقد كان الملك حسين شديد التمسك بحقوقه وحقوق ما وعدت به بريطانيا العرب من حرية واستقلال وكانت بريطانيا حريصة على دعم نفوذها في العراق وفلسطين كما كانت حريصة على تحقيق وعد بلفور وعدم إغضاب حليفتها فرنسا إذا أقرت للحسين مطالبه في سوريا

وكان الملك حسين معارضاً تماماً للانتداب في البلاد العربية كما كان معارضاً لأي ادعاء لليهود في فلسطين وكان رجلاً صلب العود في معارضته عنيداً في تمسكه بحقوقه وكأنه كان ينشد أن ينصف ثورته أمام التاريخ .

وكان إصرار الملك حسين على تحقيق مطالبه هو الصخرة التي تحطمت عليها المفاوضات بينه وبين بريطانيا تلك المفاوضات التي بدأت بينه وبين صديقه لورنس الذي وصل إلى جدة في أواخر أغسطس سنة ١٩٢١ يحمل نص الاتفاق الذي يود أن

[illegible] الحكومة البريطانية مع الملك الحجاز . وكان لورنس رحالة محباً [illegible] كثيراً
من نشر [illegible] وفرسان الصحراء . وكان يهمه أن يعطف [illegible] البدو الذي [illegible] في
معظم الثورة العربية برمتها ، العرب الذين [illegible] الملك حسين فلا عجب أنه [illegible]
وجد في رجالهم سعة الصحراء ورحابة المروءة [illegible] وقد قيل أن يخرج
من عزلته لما أرسلت الحكومة البريطانية [illegible] العرب وشغل منصب مستشار وزارة
المستعمرات الشئون العربية . وبذل لورنس جهداً كبيراً في حمل صديقه الحسين على
[illegible] لورنس [illegible] الأمير [illegible] في شرق الأردن
على أن يخفف من غلواء أبيه ولكن [illegible] حسين كان [illegible] فلم [illegible] أن
يعقد أبداً معاهدة [illegible] من تحقيق آمال الأمة العربية

[illegible] المفاوضات مرة أخرى بين [illegible] الملك حسين الدكتور ناجي الأصيل
والحكومة البريطانية [illegible] عام ١٩٢٣ [illegible] دون
[illegible] وانقطعت المفاوضات هذه المرة [illegible]
على فلسطين وتحقيق وعد بلفور [illegible] فيصل في العراق [illegible] في شرق الأردن
قد [illegible] حسين والحكومة البريطانية

وفي هذه المفاوضات [illegible] حقوق العرب [illegible]
ولا [illegible] في وعد بلفور [illegible] هذه الحقوق [illegible] تلك
حسين قد أصر على أن يسلموا بالحقوق [illegible] والاقتصادية للعرب [illegible] أن تكون
لليهود في فلسطين [illegible] من حقوق [illegible] الدولة
على تحقيق وعد بلفور وأهمية فلسطين الاستراتيجية للبريطانيين حالا دون ذلك .
وقد [illegible] البريطانية لإصرار حسين على موقفه [illegible]
ولا [illegible] احتجاجاته للدولة [illegible] الصحافة البريطانية [illegible]
نعوت بعيدة عن الحشمة واللياقة .

وفي موجة هذا العداء بين الحليفين وقعت الكارثة [illegible] عمل حسين على

بوادرها طويلا فلم يعطها من اهتمامه ما أعطى قضية العرب وحقوقه لدى الحلفاء من
اهتمام . فقد هاجم السعوديون الحجاز والعراق وشرق الأردن في أغسطس سنة ١٩٢٤
وكانوا قد أجمعوا على مهاجمة هذه الأقطار الثلاثة التي يقوم فيها حكم الهاشميين وقد
[illegible] الحسين للخلافة الإسلامية . . . [illegible] في [illegible] في
مصر الوهابيين للقضاء على الأسرة الهاشمية فضلا عن اضطراب الأخلاق من الحسين
ملك الحجاز . وبعد [illegible] آل السعود [illegible] نجد وملحقاتها

وشنت حملة السعوديين على العراق وشرق الأردن [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] نجد [illegible] على [illegible] [illegible]
[illegible] من [illegible] [illegible] وطلب
[illegible] الحجاز [illegible] الحسين [illegible] [illegible] على [illegible] على
أن [illegible] السعود [illegible] [illegible]
حرب الحجاز إلا بقصد إنقاذه من حكم الحسين .

ولم [illegible] الحسين في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] الدولة [illegible] الحسين [illegible] الذي فشل في [illegible] [illegible]
وتحطم أداته والقى الملك ما أحرزه من ذكر وصيت عن حقيقة الأمر الواقع فلم يعمل
على كسب الرأي العام الإسلامي إلى جانبه وأوقد جذوة العداوة بينه وبين جيرانه أمراء
نجد وعسير ولم يهادن أمراء مصر [illegible] على السعوديين و [illegible] مع الحكومة
المصرية حوادث [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]
أو مرونة [illegible] . حتى الحجيج لم يعمل على كسب ودهم [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] بين رعيته من حكمه [illegible] [illegible] عن الفوضى
الضاربة في البلاد المقدسة وسوء معاملته [illegible] فكان له وقعه السيء في
العالم الإسلامي [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] أن ادعى الخلافة
وأخذ البيعة بها من الحجاز والعراق وشرق الأردن .

[illegible] حسين في [illegible] [illegible] هو [illegible]
[illegible] الرحل [illegible] من [illegible] من [illegible]
[illegible] ومن [illegible]
[illegible] [illegible] عن [illegible] والوفاء [illegible]
[illegible] الوفاء فرحل ومعونته في محنته كما كان
[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]

[illegible] في [illegible] من [illegible]
[illegible] الخلاف [illegible]
فيه إلا إذا طلب اليها ذلك الطرفان المتخاصمان .

[illegible] أن [illegible] على [illegible]
[illegible] حسين عن [illegible] إلى مكة [illegible] في [illegible]
سنة ١٩٢٤ [illegible] في [illegible] وسائل
[illegible] وكان في [illegible]
حتى [illegible] في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥
[illegible] في [illegible]

أما الملك حسين فقد غادر [illegible] بعد أن تنازل عن الملك لابنه الأكبر
علي [illegible] حتى [illegible] الحكومة البريطانية أن [illegible]
[illegible] ابن سعود [illegible] في [illegible] الحسين
[illegible] الحسين [illegible]
في [illegible] سنة ١٩٣٠ [illegible] الخامسة والسبعين وأخذ نعشه [illegible]

الصاء [illegible] الذي [illegible] في [illegible] من الأ[illegible] شهدت [illegible] أحلامه [illegible] هذا [illegible] الحطم [illegible] على [illegible] وأحلامه [illegible] الحياة في [illegible] من نفس العام ودفن في بيت المقدس

ولم يكن [illegible] الحق مع آماله [illegible] وجهوده [illegible] من [illegible] أحلامهم فلا يحسون أعباء خصومهم لدى [illegible] وأحلامهم [illegible] حتى [illegible] الأحد [illegible] وخلد ذكراهم . وهؤلاء العظماء هم أرباب المثل العليا [illegible] ولا [illegible] رحمهم الحاجة التي يعيشون فيها ولا تغتفر لهم خروجهم على ناموسها وقانونها

ومن هؤلاء الحسين [illegible] بن علي [illegible] فلا ريب من إنصاف التاريخ [illegible] من [illegible] في [illegible] هو الحق الذي [illegible] طويلا عسى أن يحيد عنه ولم يحد ولم يلن إيمانه بها ما كان سبباً في سقوطه . [illegible] عظمته وخلوده وإذا كان قد تعرض [illegible] على [illegible] فقد أبان موقفه الأخير عن حقيقة [illegible] فكان الرثاء لسقوطه أشد من النقد لثورته .

ولا يمكن للتاريخ أن [illegible] وقصه [illegible] أن [illegible] معاهدة [illegible] بحقوق العرب واستقلالهم ولن يساوم فيها

ولا يمكن التاريخ أن ينسى أن قبوله للمعاهدة كان حتما ينقذه من المصير المؤلم الذي انتهى إليه فقد تعهد له البريطانيون فيها بالمحافظة على بلاده في [illegible] حدود التي

سبيله [illegible] في [illegible] قضية العرب حتى [illegible] وقف [illegible] عدله وليا ولا نصيرا.

وكان [illegible] للسعوديين [illegible] في [illegible] فقد نودي بالسلطان عبد العزيز آل سعود ملكا عليه في ٨ يناير سنة ١٩٢٦ [illegible] من [illegible] الأحداث في [illegible] العربية.

و[illegible] من [illegible] الطويل [illegible] كل [illegible] واحد [illegible] جديد من [illegible] كان من [illegible] كثيرا من [illegible] و[illegible] كان من العاهل الجديد أن يواجه مدى تقبل الحجازيين للعقيدة الوهابية كما كان عليه أن يدرك مدى تقبل العالم الإسلامي لحكم الوهابية في الحجاز مهبط الوحي وموطن الحرمين الشريفين [illegible] يكون من موقف المذاهب الإسلامية الأخرى من المذهب الوهابي ومدى [illegible] هذه المذاهب التي أقرب [illegible] من [illegible] في [illegible] للسرة والحاكي والعطا [illegible].

و[illegible] كان [illegible] كانت علاقته [illegible] بعض ما يواجهه من مشاكل عليه أن يتغلب عليها ويقرها [illegible] العربية [illegible] من [illegible] حدوده في مناطق [illegible] في العراق [illegible] الأردن [illegible] حدوده في [illegible] تلك الحدود التي لم تسوى مشاكلها بينه وبينها بعد.

وكان على عاهل [illegible] واحدة [illegible] كل عصمة وأن

[illegible] بروح الكتابة و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واتجاه كل [illegible] واتجاه
أهدافه ومراميه

وقد دل تناوله لهذه المشاكل وعلاجه لها على أنه [illegible] دولة [illegible] من
الطراز الأول حتى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أوتي من الحزم
والصراحة وبعد النظر والذكاء [illegible] [illegible] والإعداد [illegible] [illegible]
التاريخ من بناة الدول ورواد عظمتها ومجدها .

وكان أول ما [illegible] من [illegible] مشاكل حكمه للحجاز وكان قد [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأمم [illegible] [illegible]
الأمم [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامي [illegible] مؤتمر [illegible] [illegible] [illegible] سنة ١٩٢٦ [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] كاملا ولكنه كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الإسلامية الأخرى

وجرت الأمور في الحجاز بعد ذلك كما أراده [illegible] [illegible] [illegible] سعود [illegible]
[illegible] فقد استطاع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شبه الخلاف بين
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأخرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] شبه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] طرق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القديم [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأرض [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحجيج [illegible] لا [illegible]
قاطع طريق أو [illegible] [illegible] حتى سارت الأمثال بالأمن الذي ضرب [illegible] على أرجاء
[illegible] حكم ملك عبد العزيز آل سعود من شبه الجزيرة العربية

وكان على [illegible] السعودي في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حدود دولته

مع القبائل التي تقوم على تخومها وكانت قد سوّت حدودها مع العراق التي تخضع للانتداب البريطاني في اتفاقية عقدت سنة ١٩٢٢ بعد أن قامت به [illegible] وسكن [illegible] في وادي سرحان قد مدت حدوده [illegible] تخوم سوريا وشرق الأردن وذلك بمفاوضات بينه وبين الحكومة البريطانية التي مثلها في تلك المفاوضات سير جلبرت كلايتون قبل أن ينتهي من حملته على الحجاز وسبب عقد اتفاقي بحرة وحدة في ١ و٢ نوفمبر سنة ١٩٢٥ الأولى خاصة بحركات القبائل عبر الحدود الفاصلة بين نجد والعراق وشرق الأردن، والثانية خاصة بالحدود الفاصلة بين نجد ومنطقة الانتداب البريطاني في العراق وشرق الأردن ونصت على أن يترك وادي سرحان داخل حدود نجد على أن تضمن مصالح الانتداب البريطاني بترك ممر يصل بينهما ويفصل بين نجد ومنطقة الانتداب الفرنسي في سوريا ولم تتعرض الاتفاقية للحدود بين الحجاز وشرق الأردن [illegible] لا تزال رهنا بمسائل موضع النزاع بين الهاشميين والسعوديين

وبعد أن تمت هاتان الاتفاقيتان حرص ابن سعود [illegible] الحكومة البريطانية [illegible] على أساس وضعه الجديد في شبه الجزيرة العربية وكان لا يزال [illegible] بمعاهدة القطيف التي عقدت سنة ١٩١٥ [illegible] الحكومة البريطانية [illegible] قبل أن يفتتح الحجاز [illegible] على [illegible] حتى [illegible] تغيرت له الأمور [illegible] وبدأت مفاوضات بين الطرفين وسبب عقد معاهدة جدة في ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ وفيها اعترفت الحكومة البريطانية به ملكا مستقلا على الحجاز ونجد وملحقاتها ولم يفتها أن تقرر فيها علاقات المودة وحسن الجوار بينه وبين إمارات الخليج الفارسي والساحل العماني التي تربطها ببريطانيا معاهدات خاصة .

وبالمعاهدة [illegible] ملاحق [illegible] بتحريم الرقيق وتجارة الأسلحة ومعاملة الحجاج وإقرار الوضع القائم في العقبة ومعان من حيث تبعيتهما لشرق الأردن وكانتا في الأصل تتبعان ملك الحجاز [illegible] الملك عبد العزيز آل سعود بعد أن ضم الحجاز

في [illegible] وقد [illegible] في معاهدة [illegible] بين الشرق الأردن
[illegible] الأمر [illegible] إلى [illegible] حتى [illegible]
بين الطرفين [illegible] معاهدة [illegible] من [illegible]
توقيعها وقد حدثت مرة أخرى في سنة ١٩٣٤ .

[illegible] الحدود [illegible] كانت [illegible] الإمام يحيى [illegible]
[illegible] الأدارسة في [illegible] ولكن [illegible] الأحداث
بين الإمام يحيى والأدارسة في [illegible]
الإمام [illegible] وفاة السيد محمد الأدريسي مؤسس [illegible] سنة ١٩٢٣ [illegible]
خلاف في [illegible] الأسرة الأدريسية حول الحكم [illegible]
[illegible] على الساحل [illegible] الإمارة [illegible]
إلى [illegible] ولم تكن [illegible]
[illegible] ابن سعود [illegible] الأمير الأدريسي [illegible] مع ابن سعود [illegible] معاهدة مكة في ٢٢
أكتوبر سنة ١٩٢٦ أصبحت بمقتضاها [illegible] ولكن [illegible]
الأحداث قد [illegible]
ضمن ملحقاتها منذ عام ١٩٣٠ . ولم [illegible] في شبه جزيرة العرب [illegible]
[illegible] على [illegible] سعود في الحجاز [illegible]
قبل ذلك [illegible] ثم الحجاز [illegible] ٢٢
سبتمبر سنة ١٩٣٢ [illegible] السعودية [illegible] الحجاز
[illegible] الحجاز [illegible] ثم تملكه الإمام يحيى في اليمن [illegible]
[illegible] من البحر الأحمر في الغرب إلى أقصى
المناطق [illegible] في الشرق [illegible] عبد العزيز آل سعود [illegible] في اليمن [illegible]
التي كان [illegible] حتى [illegible] وكان [illegible]
لإمام [illegible] محاولة للوصول [illegible] الحدود [illegible] وكان [illegible]
عبد العزيز آل سعود [illegible]
[illegible]

وقد دامت المفاوضات مدة استغرقت طويلا بين العاهلين للوصول إلى تسوية سلمية وإقرار الحدود بينهما دون جدوى ولم تصل بهما إلى نتيجة مرضية وأخيرا نفد الصبر [illegible] ونشبت رحى الحرب بينهما سنة ١٩٣٤ ولكنها لم تستمر سوى بضعة أسابيع [illegible] القوات [illegible] هزيمة تامة في معركة [illegible] واحتلت [illegible] الحديدة ، وطلب الإمام الصلح [illegible] كما أعلن من قبل أن ليس له أطماع في أملاك جاره ولا يرمي إلى استعادة ما استولى عليه الإمام يحيى من إمارة عسير وإن كان قد ألحقها بالإدارة فلا يمكن أن يحول [illegible] من حدود اليمن

وكان [illegible] عبد العزيز كريما حيال جاره فلم يفرض عليه شروطا قاسية ولم يحاول أن يقتطع شيئا من أملاكه ووقع معه ما يرضيه [illegible] وكان هذا بداءة طيبة لحسن الجوار بين العاهلين [illegible] شبه جزيرة العرب من سلم دائم فيما بعد

ووقف القتال بمعاهدة الطائف في ٢٣ مايو سنة ١٩٣٤ واستقر [illegible] والسلام بين العاهلين المستقلين في شبه جزيرة العرب

ولا يفوتنا أن نذكر أن بريطانيا قد عقدت معاهدة [illegible] مع اليمن [illegible] العمل [illegible] وذلك في ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ أي قبل أن تبرم معاهدة الطائف ببضعة شهور ، كما لا يفوتنا أن نذكر أن [illegible] في الصلح بين العاهلين [illegible] السعودي كان عاملا مهما في إقرار العلاقة بينهما وإبرام معاهدة الطائف .

وكانت بريطانيا حريصة على أن يسود السلام في شبه جزيرة العرب حتى لا تتعرض مصالحها على السواحل وفي قواعدها الاستراتيجية في عدن [illegible] ومسقط والكويت والبحرين للخطر وقد [illegible] في كل المعاهدات التي أبرمتها مع الحكام المستقلين في شبه الجزيرة على ضمان سلامة وتأمين هذه القواعد الاستراتيجية كما أنها وقفت موقف الحياد الدقيق في كل نزاع داخلي في شبه الجزيرة إلا ما كان منه عن

موالية فقد أطلقت يد السعوديين للعمل ضد [illegible] هؤلاء إلى
جانب تركيا في الحرب العظمى الأولى ولم يعترف [illegible] بعد
أن فشلت في الوصول إلى اتفاق يضمن سلامة ممتلكاتها في العالم العربي مع ذلك
[illegible] في [illegible] الجديدة وهي [illegible] على
البحر وكانت [illegible] موقف [illegible] في الحرب العامة ولكنها كانت
لا [illegible] لكن [illegible] سلامة عدن ومدخل البحر الأحمر من
المحيط الهندي [illegible] موقف [illegible] حتى [illegible]
[illegible] سنة ١٩٢٩ و[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
نشاط روسيا في اليمن وعقد الدولتان اتفاقا في سنة ١٩٣٧ بالرغبة السابقة كما
[illegible] في أي دولة أخرى و[illegible] على [illegible] في اليمن

ولم [illegible] في الإعلام [illegible] العرب [illegible] الحرب
على [illegible] إلى [illegible] أملاكها [illegible] و[illegible]
داخل حدودها القومية [illegible] في [illegible]
وساحل [illegible] وبعثت روسيا أطماعها الاستعمارية القديمة ولم تعد تكتفي [illegible] ترويج
تجارتها [illegible] وكانت [illegible] إلى اليمن
سنة ١٩٢٦ [illegible] وكالات تجارية [illegible]
[illegible] لترويج التجارة [illegible] في [illegible]

أما إيطاليا فقد كانت أملاكها في أريتريا والصومال وأطماعها في الحبشة
تدعوها إلى [illegible] قواعد لها في البحر الأحمر وكانت [illegible] إلى
[illegible] في الحرب كما [illegible] قبل الحرب العامة سنة ١٩١١ عندما [illegible] الحرب على
تركيا و[illegible] لاحتلال طرابلس [illegible] لمساعدة الإدريسي في عسير وكان
[illegible] الأتراك [illegible] السلاح [illegible] في [illegible] سنة

الحرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتشد [illegible] [illegible]

ضد الأدارسة وحين السعود لإخضاع [illegible] [illegible] الأدارسة في عسير

وكانت المعاهدة التي عقدت مع الإمام يحيى في سبتمبر سنة ١٩٢٦ [illegible] محاولاتها لإيجاد منطقة نفوذ لها في البحر الأحمر [illegible] [illegible] الواجهة لأملاكها في أرتريا والصومال

ولكن الإمام يحيى كان حريصاً [illegible] [illegible] [illegible] الأجنبية عن التدخل في شئونه الداخلية أو الخارجية وكانت معاهدته [illegible] [illegible] [illegible] ذات صفة تجارية وكان شديد الحذر من [illegible] [illegible] [illegible] كان يرى أن مصلحتها تدعوها إلى بسط نفوذها على [illegible] . ولعله إذا ارتبط بإيطاليا ومنح رعاياها الأفضلية في [illegible] [illegible] [illegible] أطماعها التقليدية في بلاده لأنه كان [illegible] وهو [illegible] [illegible] تجارب السنين الطوال التي عاشها أن بريطانيا لن تسمح [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في عدن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بلاده من جور [illegible] [illegible] [illegible] ولذلك [illegible] [illegible] الاستقلال من [illegible] أي دولة أخرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حريصة على [illegible] مصالحها [illegible] [illegible]

وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] توقيع معاهدة [illegible] [illegible] إلا التوتر الذي كان يسود علاقات المملكة العربية السعودية بالمملكة المصرية وبإمارة شرق الأردن وكان السعوديون قد نجحوا في توطيد علاقاتهم بالدول الإسلامية الكبرى [illegible] معاهدة صداقة مع تركيا في أغسطس سنة ١٩٢٩ كما أبرموا مثلها مع [illegible] في [illegible] الذي أبرمت فيه معاهدة مع تركيا ووقعت معاهدة صداقة مع العراق في [illegible] من العام التالي . كما نجحوا في دعم علاقاتهم مع الدول الكبرى التي تضم في أملاكها عدداً كبيراً من المسلمين كبريطانيا [illegible] وفرنسا وهولندا .

وظلت علاقتهم بإمارة شرق الأردن متوترة بسبب ما كان بين البيتين السعودي والهاشمي من خصومة وعداء حتى عام ١٩٣٣ حيث أبرمت معاهدة صداقة في يونيه من تلك السنة قضت على عوامل العداوة والبغضاء التي استمرت طوال هذه السنين وكانت سبباً في إثارة كثير من مشاكل وحوادث بين سكان البلدين على حدودهما.

أما علاقة السعوديين بمصر وهي الدولة الكبرى بين الدول الإسلامية في الشرق الأوسط والتي ترتبط ببلاد العرب بصلات روحية قديمة من الود والرعاية فقد اجتاحتها موجة من الجفاء والنفور بعد حادثة المحمل المشهورة، التي وقعت في موسم الحج في السنة الأولى لقيام حكم الوهابيين في الحجاز حين اعتبر المحمل كبدعة تمنعها الأصول والتقاليد الدينية. ولم تكن هذه [illegible] في نظر العقيدة الوهابية. فقد حدث احتكاك مسلح بين الطرفين أدى إلى قطع العلاقات بينهما ولم تكن مصر قد اعترفت بعد بحكم السعوديين في الحجاز، وظل الجفاء والنفور يسود علاقات الدولتين ومصر لا تعترف بالملك عبد العزيز آل سعود وحكومته في الحجاز حتى أبرمت المعاهدة ٧ مايو سنة ١٩٣٦، واعترفت بها مصر بضم الحجاز إلى الحكم السعودي فقضت على ما كان بينهما من نفور وجفاء.

وبدأت الأقطار العربية تتقارب بعد موجة الجفاء التي تلت الحكومات الجديدة التي قامت على أساس التسويات التي أعقبت الحرب وكان أول مظهر من مظاهر هذا التقارب عقد معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء التي أبرمتها المملكة العربية السعودية مع العراق في ٢ ابريل سنة ١٩٣٦، واتجهت البلاد العربية ترتبط بسلسلة من الاتفاقات لتشابه ما بينها من روح [illegible] والتضامن بصورة واضحة وأخذ يتجه الرأي العام العربي إلى التفكير في وحدة عربية شاملة لا ريب أنه كان بداية التفكير الذي قضى بجمع كلمة الأمم العربية وبدأت هذه الاتجاهات تشكل الرأي العربي وضوحاً حسناً حين حدثت مشكلة فلسطين التي كانت في الحقيقة بعثت هذه الحركة وشددت بين الأمم العربية حتى إذا كان مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن لبحث هذه المشكلة دعي إليه ممثلو مصر والمملكة العربية السعودية والعراق وشرق الأردن واليمن

المسألة المصرية والحماية .

دخلت المسألة المصرية بإعلان الحماية البريطانية على مصر وإلغاء السيادة التركية عنها في دور جديد ارتبطت فيه ببريطانيا وحدها فأتيح لها لأول مرة أن تعرض على مصر سلطانها متذرعة بحكم الضرورات التي أملتها الحرب وانحياز تركيا إلى معسكر الأعداء مما قضى على المبدأ الذي كفلته المعاهدات الدولية بسلامة الدولة العثمانية وربط مصيرها بمصير الحرب الدائرة فرسمت بريطانيا سياستها حيال المسألة المصرية على أساس الإبقاء على الحماية أو ضم مصر إلى أملاك التاج وفصل مسألة السودان عنها حتى لا يرتبط مصيره بمصيرها ووراثة تركيا فيما كان لها من حقوق في معاهدة الأستانة الخاصة بقناة السويس والدفاع عنها وحرصت على أن تقر هذه السياسة في معاهدات الصلح ولكن الثورة المصرية نسفت خطوط هذه السياسة فأنهت الحماية وأعلنت استقلال البلاد مع بعض التحفظات التي رأى الإنجليز فيها تحقيقا لسياستهم ومصالحهم وإرضاء شعور المصريين . فما أن أعلنت الهدنة في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ حتى قام سعد زغلول وكيل الجمعية التشريعية المنتخب وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي عضوا الجمعية بالاتفاق مع رئيس الوزراء حسين رشدي بطلب مقابلة المندوب السامي البريطاني لتقديم مطالب المصريين والتصريح لهم بالسفر إلى إنجلترا لعرض هذه المطالب على الحكومة الإنجليزية فقد كان السفر إلى الخارج لا يسمح به إلا بإذن من السلطة العسكرية وتمت المقابلة في ١٣ نوفمبر وفيها عرض الزعماء الثلاثة على المندوب السامي مطالب مصر في الاستقلال التام ومن اليوم بدأ يتكون الوفد المصري للسعي في تحقيق حرية البلاد واستقلالها

ورفضت الحكومة البريطانية طلب الوفد المصري للسفر إلى الخارج وأشارت عليه بتقديم مقترحاته إلى المندوب السامي مع مراعاة الوضع الجديد الذي خضعت له مصر بعد الحرب . واعتذرت كذلك إلى حسين رشدي رئيس الوزراء وكان قد أبدى لعظمة السلطان فؤاد في السفر رفقة زميله عدلي لعرض مطالب الحكومة المصرية

على الحكومة الإنجليزية وعزم دولة حسين رشدى على رفع استقالته إلى عظمة السلطان استنكارا لموقف الإنجليز من سفره فكانت استقالته نذيرا باضطراب الأمور وهبوب العاصفة وكان الوفد المصرى يتابع جهوده فى الداخل لتنظيم الحركة الوطنية والدعوة إلى تحقيق مطالب مصر فى حمل السلطة العسكرية على اعتقال أربعة من أعضائه هم سعد زغلول ومحمد محمود وإسماعيل صدقى وحمد الباسل ونفيهم إلى مالطة ظنا منها أن تقضى بذلك على الحركة فى مهدها ولكن خاب ظنها فما أن اعتقل الأعضاء الأربعة حتى هبت البلاد عن بكرة أبيها يوم الأحد ٩ مارس سنة ١٩١٩ فى ثورة جارفة تعلن عن سخطها على الإحتلال والحماية .

ولم يكن اعتقال سعد وصحبه وإن كان أسرع الأسباب فى نشوب هذه الثورة العامل الأول فى هبوبها بل أنها ترجع فى أسبابها إلى عوامل أبعد وأعمق من ذلك ، فمنذ بدأت الحركة الوطنية وصحت البلاد للمطالبة بحقوقها منذ قام مصطفى كامل ورجال الحزب الوطنى ينبهون مصر الوطنية ويوقظون آمال البلاد من ركودها ويأسها الذى خيم عليها بعد فشل الثورة العرابية وحلول الإحتلال بالبلاد ، ونجح مصطفى كامل ومن أتى بعده من رجال الحزب الوطنى فى إيقاظ الروح الوطنى وجمع البلاد على مقاومة الاحتلال وسياسته ونبذ الحماية ثم كانت الحرب وإعلان الحماية البريطانية على مصر وخلع الخديو وما فرضته السلطة العسكرية من إجراءات عنيفة وما لجأت إليه من تجنيد فرقة العمال المصرية لجهود الحرب والاستيلاء على المحاصيل والدواب وما حاق بالبلاد من غلاء وقحط خلال الحرب وفى أعقابها كانت كلها من الأسباب التى مهدت لثورة المصريين سنة ١٩١٩ وكان ويلسون قد أعلن مبادئه الأربع عشرة ونادى بحرية الشعوب وحق تقرير مصيرها ورأت الأمم المستضعفة فيها بشيرا بميلاد عهد جديد فانبعثت حميتها وتحركت حتى إذا بان زيفها كان لصدمة الأمل عند هذه الشعوب أثرها فى غضبة الحنق التى نشبت عنها هذه الثورات التى عمت بلدان الشرق الأوسط فى أعقاب الحرب

ويمكن أن نخرج من ذلك بحقيقة واحدة موضع التقدير والإعتبار وهى أن الثورة هى

التى دفعت الوفد للعمل لا الوفد هو الذى خلق الثورة وقد ظهر ذلك فيما بعد فى تبدد خطط الوفد وتشعب آراء أعضائه فيما يسلكون من سبيل لتحقيق مطالب البلاد فقد كانت المطالب واضحة ولكن الخطط كانت غامضة أو على الأقل ضيقة محدودة فلم يدر أحد هل يسلكون خطة [illegible] الإنجليز بين الوفد وعرض قضيته على مؤتمر الصلح أو رفضوا الاعتراف به وبمفاوضته أو الدخول فى مفاوضات مع مصر مطلقا ويبدو أخيرا أن الثورة هى التى حملت الإنجليز على تعديل موقفهم من مصر ومن الوفد وإن كان الفضل الوحيد للوفد هو أنه قام بإخراج هذا الموضوع فكان من صنع غيره .

وقد كان فى نية الإنجليز من بداية الأمر ومنذ أن فرضوا حمايتهم على البلاد وأعلنوا انتهاء السيادة التركية أن يغيروا من الوضع الذى يسمح لهم فى مصر بتطور الأحوال الدولية وقيام الحرب وخروجهم منها منتصرين . ولم يعد هناك ما يحول بين بريطانيا وتحقيق أغراضها ومن بينها تحقيقه فى مصر بضمها إلى أملاك التاج أو إقامة نظام فيها تفرض عليه السيطرة مباشرة لها وظهر ذلك واضحا فى رد الحكومة البريطانية على طلب سعد زغلول ورفاقه السفر إلى إنجلترا لعرض مطالب البلاد فقد ورد فى الرد الذى أبلغ إليه على لسان الحكومة البريطانية ما يشير إلى مراعاة ما جاء فى البلاغ البريطانى إلى السلطان حسين كامل عند توليه من أن حكومة جلالة الملك ترى أن أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسئولية التى عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية إعلانا صريحا ، وأن تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقا لنظام وراثى يقرر فيما بعد ، كما ظهر ذلك فى مشروع « برونيت » المستشار القضائى بوزارة الحقانية لتعديل القانون الأساسى للبلاد وإلغاء الامتيازات الأجنبية بما يلائم الوضع الجديد لبريطانيا فى مصر ، وأدرك المصريون أن الإنجليز لا يرمون من وراء هذه الخطوة إلا الاستئثار بشئون مصر والسودان وإلى ضمهما إلى المستعمرات البريطانية على نحو ما قاموا به من إلغاء الامتيازات فى السودان حتى لا يكون لأى دولة أخرى مطمع من حقوق فيه ولا تساهم فى ربوعه بمصالح . ثم أعلن اللورد كيرزون فى خطبة له فى مجلس اللوردات فى ٢٤ مارس

سنة ١٩١٩ عن نوايا حكومته بقوله « إننا نرى دائماً أن من أهم الأمور أن نتفق وإياهم على تحديد الشكل الذي ستكون عليه الحماية البريطانية في مستقبل الأيام » .

ثم تحدث الحكومة البريطانية تغير من خطتها فقد لجأت للقضاء على الثورة إلى تعيين اللنبي مندوباً سامياً لها في مصر بدل ونجت عقب ما اقترن باسمه من انتصارات في فلسطين ليكون أقدر من ونجت على كبح جماح الثورة كما لجأت من قبل إلى اعتقال سعد زغلول ورفاقه وقمع الثورة بعنف ولم تجد من وراء ذلك نفعاً لا من اعتقال الزعماء ولا من حيل اللنبي ولا من سياسة العنف في قمع الثورة ومقاومة الحركة الوطنية وشدتها وإصرار المصريين على مطالبهم وحماسهم عادت فاستجابت إلى رأي اللنبي وأفرجت عن المنفيين الأربعة وسمحت للمصريين بالخروج لمن رغب من مصر في ذلك ولم تقف عن عزمها في أن تكون الحماية أساساً لأي نظام يقوم في مصر وعملت لذلك في مؤتمر الصلح على أن وصل الوفد المصري إلى باريس في منتصف أبريل حتى فوجئ أعضاؤه باعتراف مؤتمر الصلح بالحماية ثم علموا أن شروط الصلح التي قدمت إلى ألمانيا في ٧ مايو تضمنت فيما تضمنت الإعتراف الصريح بالحماية على مصر . وفي ٢٧ يونيه وقعت معاهدة فرساي ونصت المادة ١٤٧ منها على أن « تصرح ألمانيا بأنها تعترف بالحماية التي أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وتتنازل عن نظام الإمتيازات الأجنبية في القطر المصري ويكون هذا التنازل اعتباراً من ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ » وبذلك كسب الإنجليز الاعتراف الدولي بوضعهم في مصر وأشار لورد كيرزون إلى ذلك في خطبة ألقاها في مجلس اللوردات في ١٥ مايو ثم قال « وعلى ذلك لن يمضي وقت طويل حتى تنال الحماية الإعتراف العام » .

وقد حال ذلك دون نجاح الوفد والحكمة في مقره في باريس من غير أن يتمكن من عرض المسألة المصرية على مؤتمر الصلح ولم يستطع إلا أن يتصل بأعضائه في خارج قاعاته ولم يجده هذا الاتصال ، ولم تجد الدعاية للقضية المصرية في محيط كان كل من فيه مشغولاً بأموره ومشاكله لا يلقى بالاً إلى غيره ، ويبعث بومضات الأمل في نفس أعضائه إلا أن لجنة الشئون الخارجية في الكونجرس الأمريكي قررت في أغسطس سنة ١٩١٩ أن مصر ليست تابعة من الناحية السياسية لتركيا ولا لبريطانيا العظمى

وإنها صاحبة الحق في تقرير مصيرها . ثم ما كان من رفض الكونجرس في مارس سنة ١٩٢٠ لمعاهدة الصلح .

ورغم ما كسبته إنجلترا باعتراف الحلفاء بالحماية إلا أنها ظلت مشغولة بالثورة وتطورها وعنفها وإجماع المصريين على مقاومة الإحتلال وإصرارهم على مطالبهم فاعتزمت إيفاد لجنة لتحقيق أسبابها وبرياسة أحد رجالاتها ، مشكلاتها في المستقبل فزالت مصر على ما أرادته من قبل . حمايتها على البلاد كما صرح بذلك كيرزون في مجلس اللوردات في مايو سنة ١٩١٩ عن مهمة اللجنة قبل إيفادها بقوله « تحقيق أسباب الإضطرابات التي حدثت في مصر أخيراً وتقديم تقرير عن حالة البلاد وقانونها النظامي الذي يعد تحت الحماية خير دستور لترقية أسباب السلام والتيسير والرخاء فيها ، وتوسيع نطاق الحكم الذاتي الذي يوجبه مطرد التقدم والرقي ، وحماية مصالح الأجانب » .

وتألفت اللجنة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ برئاسة لورد ألفريد ملنر وزير المستعمرات وكان من أعضائها الجنرال مكسويل قائد القوات البريطانية في مصر في بداية الحرب ، وأصدرت دار الحماية بلاغاً رسمياً أعلنت فيه قدوم اللجنة وبينت فيه مهمتها وحددت فيها حدوده

« إن سياسة بريطانيا العظمى في القطر المصري هي المحافظة على حكومته الذاتية تحت الحماية البريطانية وإنشاء نظام حكومة ذاتية تحت حكم سلطان مصري ، وغرض بريطانيا العظمى الدفاع عن مصر من كل خطر خارجي أو من تدخل أي دولة أجنبية ، وغرضها في الوقت نفسه تأسيس نظام دستوري تحت إرشاد بريطانيا العظمى على قدر الحاجة . النظام الذي يمكن عظمة السلطان ووزرائه ونواب منتخبي الأمة في دوائرهم الخاصة من الإشتراك في إدارة الأمور المصرية ، وذلك على أسلوب يزيد فيه نفوذهم على مرور الأيام ... الخ » .

وقبل قدوم اللجنة تناول كيرزون في خطبة له في مجلس اللوردات في نوفمبر سنة ١٩١٩ موضوع المسألة المصرية وسياسة إنجلترا نحو مصر قال فيها .

« لا أرى في حاجة إلى سرد الأسباب التي اضطرت بريطانيا العظمى إلى

الاهتمام بخط مصر السياسي وجعلها في موقف لا تستطيع معه تشجيعها على المطالبة بالاستقلال القومي التام فإن مصر لا تستطيع حماية حدودها أمام غزو أجنبي إذا ترك وشأنها ولن تقوم فيها حكومة قوية عادلة تسوس شئونها الداخلية كما أن وجودها قريبا من فلسطين التي يحتمل أن تبقى فيها على عاتقنا مهمة خاصة، وموقعها الجغرافي على طريق الهند وفي مدخل أفريقيا يجعل من المستحيل على الإمبراطورية البريطانية إذا أرادت المحافظة على سلامتها وسلامة ملحقاتها أن تتخلى عن تبعتها في مصر. اهـ »

وجاءت لجنة ملنر إلى مصر في ٧ ديسمبر فقوبلت بالإضراب والمقاطعة وكان إجماع الشعب بكل طوائفه وطبقاته رائعا في مقاطعتها، ويقول الدكتور محمد حسين هيكل باشا في مذكراته السياسية أن ملنر استطاع في الأسابيع الأولى من مقامه بمصر أن يتصل سرا وبعد جهد جهيد بعدد محدود جدا من ذوي الرأي الذين أجمعوا على أن مصر لن تقبل الحماية، ولكنها لا ترفض تنظيم علاقاتها مع انجلترا على القاعدة التي أعلنها سعد زغلول وعلي شعراوي وعبد العزيز فهمي، حين قابلوا السير وينجت ممثل انجلترا في مصر يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨، فإذا أريد وضع العلاقات بين البلدين على هذا الأساس، فالسبيل له مفاوضة الوفد المصري المقيم بباريس »

ولم تجد محاولات اللجنة نفعا للتحدث إلى المصريين أو الاتصال بهم أو حتى بقادة الرأي من المعتدلين وأصحاب المصالح فقد وجدوا أنفسهم في حرج من الاتصال بها وحجتهم في أن سبيل الاتصال الوحيد بالمصريين هو عن طريق الوفد المقيم بباريس، ولن يجد اتصال ما بأي هيئة أخرى جداء.

ورأى ملنر بعد فشله في مصر أن لا سبيل للتفاهم وبحث المسألة المصرية إلا مع الوفد ورجع إلى انجلترا وهو يؤمن بذلك وإن لم يشأ أن يخطو خطوته هذه وهو في مصر حتى لا ينتقص ذلك من هيبته وقيادته أو كبرياء الإمبراطورية في الرد على رغبة المصريين، فما أن وصل إلى بلاده حتى اتصل بالوفد المصري في باريس وأبلغه رغبة اللجنة في مفاوضته دون قيد أو شرط، ولبى الوفد دعوة ملنر بعد أن استطلع أمر هذه الدعوة وجديتها بمقابلة عقدت بين ملنر وعبد العزيز فهمي ومحمد محمود وعلي ماهر الذين أرسلهم إلى لندن لبحث هذه الدعوة قبل قبولها.

وأسفرت المفاوضات عن مشروع معاهدة بين مصر وانجلترا رفضه الوفد وقدم مشروعا رأى أنه أدنى إلى صالح العلاقات بين البلدين فرفضته انجلترا ، ثم استؤنفت المفاوضات مع عدلى يكن واتجهت إلى تقديم مشروع آخر لا يختلف كثيراً عن المشروع الأول ورأى ملنر ضرورة عرضه على الوفد على أن يعد بقبوله له وموافقته عليه والدفاع عنه والترغيب فيه ، ورأى الوفد عرض المشروع على الأمة حتى لا يتحمل وحده تبعة البت في مصير البلاد ومستقبلها لكون المشروع ينطوى على كثير من الانحرافات

ولم يرض عن مشروع ملنر كثير من بين أعضاء الوفد ورجال الحزب الوطنى وعدته اللجنة الإدارية للحزب معيبة وقالت عنه عند إعلانه إنه مشروع يرمى إلى وأخذ إقرار الأمة المصرية عليها لتصحيح مراكزهم كما أخذوا وثيقة إخضاع من السودان لتصحيح مراكزهم فى مصر والسودان ليحرمهم بذلك قطع كل احتجاج يقوم فى وجوههم من الداخل والخارج معاً ، وقالت عن عيوب المشروع من وجود القوات العسكرية فى البلاد أنه شىء لا يتفق مع سيادة البلاد فى الداخل ، بل هو من طبيعة الاحتلال فى كل ما للكلمة من معنى وما يتبعه من ضرر .

ودعى الوفد مرة ثانية إلى لندن لإتمام المفاوضات ، فسافر ثم نشر نصيحة عدلى وعرض على ملنر تحفظات الأمة على المشروع فرفض بحثها وصرح بأن عمله قد انتهى عند هذا الحد

ويلاحظ فى مشروع ملنر الأول والثانى ولا فرق بينهما أنه شبيه بالوصاية والحماية البريطانية على مصر فرضا إذ يبيح تمثيل الحكومة الإنجليزية بمركز ممتاز فى البلاد وإشراف مستشارين الإنجليز على المالية والقضاء والأمن الداخلى وحماية الأجانب ومباشرة التشريع الخاص بهم إذا اقتضت الاعتبارات الأجنبية ذلك فضلا عن الاحتفاظ بقوات احتلال بريطانية فى مراكز مختلفة من البلاد ، وثانيا عدم الإشارة إلى السودان بل أن ملنر من صراحة فى كتاب خاص إلى عدلى أرفقه بمشروعه الثانى أن موضوع السودان خارج تماما عن دائرة الاتفاق المقصود لمصر قال فيه :

«إن موضوع السودان الذى لم نتناقش فيه نحن وزغلول باشا وأصحابه خارج كلية عن دائرة الاتفاق المقصود لمصر ، فإن السودان مختلف اختلافا عظيما فى خواصه ، ونحن نرى أن البحث فى كل منهما يجب أن يكون على وجه مختلف عن وجه البحث فى الآخر ، إن السودان تقدم تقدما عظيما تحت إدارته الحالية المؤسسة على مواد اتفاق سنة ١٨٩٩ فيجب والحالة هذه أن لا يسمح لأى تغيير يحصل فى حالة مصر السياسية أن يوقع الاضطراب فى توسيع نطاق تقدم السودان ورقيه فى نظام أنتج مثل هذه النتائج الحسنة ، على أننا ندرك من الجهة الأخرى أن لمصر مصلحة حيوية فى إيراد الماء الذى يصل إليها مارا فى السودان ، ونحن عازمون أن نعرض اقتراحات من شأنها أن تزيل هم مصر وقلقها من جهة كفاية ذلك الإيراد لحاجتها الحالية وتوسعها »

كما يلاحظ فى مشروع الوفد وخطابه على مشروع ملنر الثانى أنه سعى لاحتلال القضية الأساسية للمباحثة كاملة أن تكون مسألة السودان موضوع اتفاق خاص وسلك فى خطاباته حل مسألة السودان على الوجه الآتى

١ — ضمان مياه النيل اللازمة لرى أرض مصر المزروعة الآن والأراضى القابلة للإصلاح والزراعة

٢ — أولوية مصر فى أخذ مياه عند عدم كفايته للطرفين

٣ — [illegible] مصر كاملا بحقوق سيادتها فى السودان

وكان غرض إنجلترا من إصرارها على إجراء مفاوضات ملنر كغرضها فيما جرى بعد ذلك من مفاوضات يرجع إلى رغبتها الملحة فى إقرار وضعها فى مصر على حفظ مصالحها إقرارا مبنيا يقوم على الاعتراف الصريح من جانب المصريين بهذه الحقوق والمزايا فلا يكون لهم حجة بعد ذلك فى الاعتراض عليها ولا تكون لأى دولة أخرى أن تعترض على سياستها فى مصر التى تقوم على رضاء الطرفين ولا سيما إذا لم تعترف لها تركيا فى معاهدة الصلح بتنازلها عن سيادتها على مصر قبل اعتراف المصريين فى هذه الحالة بحقوق بريطانيا وامتيازاتها بحجة حقوق السيادة التركية وتقضى على ميزة اعترافها المرتبط بهذه الحقوق

ولما لم تجد بريطانيا من يحقق رغبتها من مفاوضة الوفد الذي كان يأمل أن تستأنف اللجنة مفاوضاتها معه في المقترحات التي تقدم بها ، أعلنت على لسان ملنر أن الوقت غير ملائم لمناقشة مقترحات الوفد ، وأنه إذا تقرر عقد معاهدة فإنها لا تكون إلا نتيجة مفاوضات رسمية بين الحكومتين البريطانية والمصرية ، وفي هذه المفاوضات يمكن إبداء هذه الأمور .

ورفع ملنر تقريره إلى وزير الخارجية البريطانية اللورد كرزون في ديسمبر سنة ١٩٢٠ أشار فيه إلى ضرورة الوقوف على حقيقة رغبات المصريين القومية مع مراعاة المصالح البريطانية وأشار بضرورة مفاوضة الحكومة المصرية لعقد معاهدة بما لا يخرج عن الحدود التي التزمها في مفاوضاته مع الوفد المصري .

ورأت الحكومة البريطانية بعد دراسة تقرير ملنر أن الحماية التي أعلنتها على مصر علاقة غير مرضية وأبلغت قرارها إلى عظمة السلطان فؤاد ودعت مصر إلى الدخول في مفاوضات « للوصول إلى إمكان إبدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخاصة لبريطانيا العظمى وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الأجنبية ، وتطابق الأماني المشروعة لمصر والشعب المصري » .

وعلى أثر هذا البلاغ تألفت وزارة عدلي لتتولى هذه المفاوضات مع الحكومة البريطانية ودعا عدلي الوفد إلى الاشتراك في المفاوضات وكان عدلي موضع ثقة البلاد لمناصرته وزميله رشدي ونزولهما عند رغبة الوطن ورشحه سعد من قبل لتأليف وزارة تضع الدستور وتتولى المفاوضات فلقي تأليفه الوزارة كل تأييد ولكن ما أن رجع سعد إلى مصر حتى بدأت الخلافات بينه وبين عدلي حول اشتراك الوفد في المفاوضات ونشأ منها الخلاف السياسي الذي أخذ يسيطر على حياة البلاد القومية والسياسية إلى حد بعيد وتحرف المسألة المصرية في تيار المنازعات والخصومات الشخصية وتطبع الأحزاب السياسية بطابع اللدد في الخصومة والمهاترات اللفظية التي لا تستند إلى معنى أو فكرة من الأفكار فبعدت عن الخطة الصحيحة للتكوين الحزبي السليم وغدت الأحزاب المصرية ولا برامج لها ولا سياسة عامة تسير عليها وإن اختصت كلها

على وجوب حل مسألة مصرية بما يوافق مصالح مصر وأمانيها إلا أنها أخفقت في جانبها وضع سياسة قومية شاملة منسقة للإصلاح الداخلي وشغلت مصر بالنضال الحزبي في الفترة التالية من حياتها السياسية حتى طغى على كل غاية مرسومة للإنشاء والتعمير والنهوض والارتقاء، فكانت مرحلة تدفع إليها حاجة البلاد والضرورة العاجلة

وثار الخلاف بين سعد وعدلي على رئاسة وفد المفاوضات الرسمي فسعد يتمسك بحق رئاسته كزعيم للشعب وعدلي يرى أن هذا حقه الطبيعي بصفته رئيساً للحكومة وذهب سعد يهاجم عدلي في خطبه وثار الشعب عليه فكان الصدع الأول في بناء الوحدة القومية التي أخرجتها الثورة وأقامت دعائمها

وتألف الوفد الرسمي برئاسة عدلي وفي لندن بدأت المفاوضات بينه وبين كرزون في يوليه سنة ١٩٢١ وانتهت في نوفمبر بتقديم مشروع معاهدة تبرم بين البلدين لم يكن أفضل ولا أحسن من مشروع ملنر، فرفضه عدلي وعاد إلى الوطن يرفع استقالته إلى عظمة السلطان بعد أن قدم إليه تقريره عن مراحل سير المفاوضات وكيف انتهت برفضه مشروع كرزون، وتمهل السلطان في قبول الاستقالة وفي غضون ذلك اعتقل سعد وبعض صحبه ونقلوا منفيين حتى نقلوا جميعاً إلى سيشل في التاسع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٢١، فاشتدت ثورة الخواطر وعادت البلاد إلى سلاح المقاومة السلبية وتمسكت بمبدأ سياسة المقاطعة وعدم التعاون وشملت الهيئات والأفراد بتنظيمهما حتى تكونا شعبيتين عامتين لا بين طبقات الشعب فحسب وإنما في دوائر الحكومة وبين الموظفين أيضاً.

ورأى عدلي أن يتعجل قبول استقالته في يوم ٢٣ ديسمبر حتى لا يتهم بأن له يداً في اعتقال سعد فقبلت في اليوم التالي بعد أن ظلت من يوم تقديمها في الثامن من ديسمبر معلقة لا يبت فيها وبقيت البلاد من غير وزارة قرابة شهرين لا يجرؤ أحد على قبولها إن خوفاً من الشعب أو يأساً من نزول بريطانيا على الأماني المصرية حتى قبل عبد الخالق ثروت في تأليف وزارة فاشترط لتأليفها أن تسلم بريطانيا من ناحيتها بالمطالب التي رآها أساساً لقيام علاقة مرضية بين مصر وبريطانيا دون أن

وربط مصر في مقابل ذلك بحقوق أو امتيازات خاصة لبريطانيا وتنتقل المسائل المعلقة بين البلدين إلى مفاوضات مقبلة .

أما الشروط التي ارتضاها ثروت لتأليف الوزارة فهي :

١ — عدم قبول مشروع كرزون ومذكرته التفسيرية الملحقة به .

٢ — تصريح الحكومة البريطانية بإلغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر دولة ذات سيادة .

٣ — إعادة وزارة الخارجية وإنشاء تمثيل خارجي من سفراء وقناصل .

٤ — إنشاء برلمان من مجلسين ، مجلس نواب ومجلس شيوخ ، تكون له السلطة الرقابية على أعمال الحكومة وتكون الحكومة مسئولة أمامه .

٥ — إطلاق يد الحكومة بلا مشاركة في جميع أعمال الحكومة .

٦ — ألا يكون للمستشارين في الوزارات إلا الرأي الاستشاري وأن يحرم المستشار المالي من حق حضور جلسات مجلس الوزراء .

٧ — حذف وظائف المستشارين ما عدا مستشار المالية ومستشار الحقانية فهذان يظلان إلى ما بعد ظهور نتيجة المفاوضات المقبلة .

٨ — تمصير الموظفين الأجانب وتعيين مصريين بدلهم وتخفيض العدد من الآن للملك وتعيين وكلاء مصريين للوزارات .

٩ — رفع الأحكام العسكرية والسعي من جانب الوزارة الجديدة على حسب موقف الأمة في سحب كل ما اتخذ من الإجراءات عملاً بالأحكام العرفية ومن ذلك فك اعتقال المعتقلين وإعادة المنفيين .

١٠ — الدخول في مفاوضات جديدة بعد تشكيل البرلمان مع الحكومة الإنجليزية بواسطة هيئة ينتخبها البرلمان للنظر فيما لا يتفق مع استقلال البلاد من التحفظات الأربعة والاحتلال ، وحل مسألة السودان ، بشرط ألا تكون هذه المفاوضات مقيدة بقيد أو شرط مما جاء في مشروع كرزون ويكون القول الفصل في ذلك للأمة الممثلة ببرلمانها .

١١ — يكون قبول هذه الشروط ثابتاً بنص وثيقة مكتوبة من الحكومة الإنجليزية .

وقد وردت فكرة إصدار بريطانيا لتصريح من جانبها تعرف فيه ما تبدي الحكومة البريطانية استعدادها للتسليم به ، ويرجأ ما يبقى من مسائل مختلف عليها إلى مفاوضات مقبلة أول ما وردت على خاطر عدلي بعد أن سئم فشل مفاوضاته مع كيرزون وألمع بها إليه ولم يلق منه جواباً فلما رجع إلى مصر شرع في المطالبة بها ولما دعي ثروت ، جعل ثروت تحقيقها شرطاً لقبوله الوزارة ، واستطاع أن يقنع المندوب السامي والمستشارين الإنجليز في الحكومة المصرية فكتبوا يحذرون إلى حكومتهم ، ورأى السامي أن يسعى بنفسه حتى يقنع حكومته فسافر إليها ومعه مستشارا الداخلية والمالية وكان رأيه وتقريره حملته بعد أن اتفق مع ثروت على صيغة التصريح الذي يصدر ، وبقي أياماً في لندن استطاع خلالها أن يقنع لويد جورج رئيس الوزراء وكيرزون وزير الخارجية بفكرة إصدار تصريح لعظمة السلطان فؤاد تصريحاً من جانب انجلترا وحدها تعترف فيه بمصر دولة مستقلة ذات سيادة وتحتفظ مع ذلك وبصورة مطلقة بمسائل أربع لمفاوضات مقبلة ، وهي حماية المواصلات الإمبراطورية في مصر والدفاع عنها ، وحماية الأجانب وحماية الأقليات والسودان .

وأعلن هذا التصريح في لندن والقاهرة في وقت واحد هو يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وهذا نصه :

تصريح لمصر

بما أن حكومة جلالة الملك عملاً بنواياها التي جاهرت بها ترغب في الحال في الإعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة .

وبما أن للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر أهمية جوهرية للإمبراطورية البريطانية ، فبموجب هذا تعلن المبادىء الآتية :

١ — انتهت الحماية البريطانية على مصر وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة .

٢ — حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات (إقرار الإجراءات

التي أحدثت باسم السلطة العسكرية) نافذ المفعول على جميع سكان مصر تلغى الأحكام العرفية التي أعلنت في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤

٣ — إلى أن يحين الوقت الذي يتسنى فيه إبرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالأمور الآتي بيانها، وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين، تحتفظ حكومة الملك بصورة مطلقة بتولي هذه الأمور وهي

(أ) تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر
(ب) الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبي بالذات أو بالواسطة
(ج) حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات
(د) السودان

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الأمور على ما هي عليه الآن »

وأبلغت بريطانيا [illegible] الحكومات الأجنبية معلنة استقلال مصر وسيادتها مع تمسكها بالتحفظات الأربعة كما أعلنت أنها تعد أي تدخل من دولة أخرى في شئون مصر عملا غير ودي لها

وألف ثروت وزارته في أول مارس سنة ١٩٢٢ وفي ١٥ منه أصدر عظمة السلطان أمراً ملكياً أعلن فيه من جانبه ومن جانب مصر أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ويطلق على نفسه ملكا عليها ويتخذ لنفسه لقب صاحب الجلالة. وبعد ذلك ألفت الوزارة لجنة من جميع طوائف الأمة برئاسة حسين رشدي لوضع دستور على أحدث المبادئ العصرية. وفي هذه الأثناء تكون حزب الأحرار الدستوريين من الخارجين على الوفد والمخالفين لسعد زغلول في مبدئه وكان كل أعضائه من ذوي الرأي و[illegible] في البلاد فكان قوة لها من أثرها العميق في مصير البلاد السياسي في الفترة التالية ما كان للوفد

ولم يتح لوزارة ثروت أن تشهد ميلاد الدستور فقد حدث خلاف بينها وبين

القصر حول نصوصه كما اعترض الإنجليز على ما جاء في مشروعه من أن لقب الملك هو ملك مصر والسودان ومن أن الدستور تجرى أحكامه في مصر . أما السودان فمع أنه جزء من مصر فإن نظام الحكم فيه يقرر بقانون خاص ، ورأوا في هذين النصين ما يتعارض واختصاصهم في تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ بمسألة السودان ، ولم تجد ثروت مخرجاً من هذا الحرج إلا بتقديم استقالته ، هذا فضلا عما وقع من حوادث الإغتيال التي ساوت بين الإنجليز والمصريين على السواء . وخلفت وزارة نسيم وزارة ثروت واستمرت موجة الإغتيال السياسي على أشدها ولم تمكث طويلا في الحكم ولكنها سلمت في فترة حكمها القصير رأى الإنجليز في حذف النصوص الخاصة بالسودان وتعديلها بما يوافق مصلحتهم ، ثم خلفتها وزارة يحيى إبراهيم بعد أن ظل مركز الوزارة شاغراً بعد استقالة نسيم أكثر من شهر ، وفي عهدها صدر الأمر الملكي بالدستور في أبريل سنة ١٩٢٣ وفقاً للمشروع الذي وضعته لجنة الدستور بعد حذف النص الخاص بالسودان وفي ٣٠ أبريل صدر قانون الإنتخاب . وكانت الحكومة البريطانية قد أصدرت أمرها قبل ذلك في ٢٧ مارس بالإفراج عن سعد وكان معتقلا في جبل طارق كما أفرجت عن المنفيين في سيشل وفي ٥ يونيه صدر قانون التضمينات بإجازة كل ما قامت به السلطة العسكرية البريطانية من إجراءات إدارية وقضائية وتشريعية بمقتضى الأحكام العرفية وفي اليوم نفسه أصدر الملك أمراً بإلغاء الأحكام العرفية ، ثم أجريت الإنتخابات العامة وفاز فيها الوفد بأغلبية ساحقة ظل يفوز بها بعد ذلك في كل انتخابات تجرى فأصبح المحور الرئيسي الذي تدور حوله كل التيارات الشعبية للسياسة المصرية .

ودخلت المسألة المصرية بعد ذلك في دور من المفاوضات المتتالية بين مصر وبريطانيا ، كان كل همّ بريطانيا فيها أن تظفر بإجماع الشعب على إقرار مصالحها في مصر وأن تبرم معاهدة يسجل فيها هذه المصالح فتصبح ولها قدسية الحقوق الشرعية والتزامات المعاهدات التي تقوم على رضاء كل من الطرفين وقبولهما ، وأصبحت المسألة المصرية بذلك مسألة ثنائية بعد أن كانت مسألة دولية فقد حرصت على إبلاغ الدول بعد إعلانها

مصرح ٢٨ فبراير أنها تتعهد ألا تتدخل في شئون مصر تدخلا غير ودي بالنسبة لها فقدت بذلك مصر مسألة مصرية علاقتها وحدها بمصر من أنها جعلت من نفسها قيمة على شئون الأجانب ومصالحهم في تلك البلاد . وكان هذا أهم تطور طرأ عليها بعد الحرب وأعظم نتائجها فيما يتعلق بالمسألة المصرية على الإطلاق . وبقيت أصولها الحقيقية موضع الخلاف بين الطرفين يتحطم عليها كل مشروع للاتفاق وهي حماية مواصلات الإمبراطورية في مصر من تمركز في قناة السويس وتقرير مستقبل السودان فضلا عن رعاية المصالح البريطانية التي تنشأ بعد استقلال مصر استقلالا تاما

فارس ونتائج الحرب :

ويمكن النتائج التي تمخضت عنها الحرب في فارس تختلف عما تمخضت عنه في بلدان الشرق الأوسط الأخرى والحرب نفسها تكون شيئا ... في تركيا بعد الحرب فقد حصلت الدولتان في تاريخهما الحديث نوعا من المشابهة سواء في سياستهما الداخلية أو الخارجية وبعد انقضاء الأوربيين لدى وقع عليهما في وقت واحد تقريبا في الداخل الحكم بالاستبداد والفساد والضعف والركود في الوقت الذي تضرب عليهما في الخارج دول الاستعمار فشهدتا تصدع أساسه الخارجية وسيادتها واستقلالها بينهما وكان هذا سببا في خروجهما من الاستعمار وإن لم تسلما من نفوذه وشدة ضغطه ونفوذه واستبداده ومن هذه النواحي تشبه فارس تركيا التي دفعت الانقلابات إلى ... في كل منهما ووجههما وجهتها التي ... في أعقاب الحرب

وقد عرفنا كيف قامت الثورة الكمالية عسكرية يسندها الشعب لتنقذ تركيا من النصر الذي فرضته عليها معاهدة سيفر وعلى وتيرتها قامت الثورة في فارس عسكرية يؤيدها الشعب للتخلص من النفوذ الأجنبي ومن المعاهدة التي فرضها الإنجليز على البلاد

فعندما انتهت الحرب بنهايتها كانت بريطانيا تفكر وقد أيقنت من النصر فيما يكون عليه علاقتها بحكومة فارس على هدى التطور العالمي الجديد في السياسة

والاستعمار بعده وعلاقته بسياسة واستراتيجية الإمبراطورية فإن فارس قنطرة العبور
إلى الهند كما أنها تطل على البحار المفتوحة إلى الوسط وجنوب أفريقيا وجنوب شرق آسيا
ثم [illegible] في داخلها هدف استراتيجي جديد للاستعمار، واستطاع [illegible] البترول و[illegible]
[illegible] في أوائل القرن العشرين وظهور شركة النفط [illegible]، وعظمت أهمية
فارس بظهور هذا العنصر الجديد الذي أصبح مصدر القوى المحركة في العالم

وشغلت بريطانيا بفارس منذ أحست فرنسا تسعى [illegible] لعقد [illegible]
للتحالف وقامت حملتها على مصر لتحقيق هذا المشروع [illegible] فارس في [illegible] امتدادها
الاستراتيجي لاقتحام الهند، وأخذت روسيا تتبع سياسة الاستعمار في آسيا [illegible]
الوصول إلى مياه الخليج الفارسي ومنافسة الاستعمار البريطاني في الهند وأواسط آسيا.
وأصبحت فارس بعد ذلك [illegible] من [illegible] سياسته ولصراع الدول
حتى إذا رأت بريطانيا [illegible] تصفية مشاكلها مع فرنسا وروسيا كان الاتفاق الودي عام
١٩٠٤ بين إنجلترا وفرنسا كما كان الاتفاق الإنجليزي الروسي عام ١٩٠٧ [illegible]
الوفاق بين الدول الثلاث [illegible] القارة الأوربية، وكان الاتفاق الإنجليزي
الروسي كسبا لإنجلترا في أوربا وخسارة لها في آسيا

وقد [illegible] الاتفاق الإنجليزي
الروسي [illegible] وكان [illegible] وجهة نظر السياسة
العامة لحكومة الهند يقول « إن الاتفاق مع الروس [illegible]
سلمنا بكل ما كنا نكافح في سبيله منذ سنوات [illegible] ولا [illegible]
[illegible] جهود قد ضاعت
كلها هباء دون مقابل ». وفي عام ١٩١١ كتب [illegible] وزير خارجية [illegible] إلى
الوزير الروسي في طهران [illegible] كما هو [illegible]
[illegible] حيوية في [illegible] مصالحهم
في [illegible] على [illegible] من ذلك [illegible]
مثلا في الوقت الحاضر [illegible] في فارس ».

وظلت بريطانيا ترقب توغل النفوذ الروسي في فارس ولا تستريح إليه وإن أغضت عنه حفاظا على وفاقها معها ذلك الوفاق الضروري لمواجهة قوة ألمانيا ومطامعها الاستعمارية في الشرق وفي أوربا وللمحافظة على مبدأ التوازن الدولي في أوربا الذي سعى [illegible] وعمل على الإخلال به . وفي عام ١٩١٥ عندما فاوضت روسيا حليفتيها بشأن الإعتراف بحقها في السيطرة على الآستانة والمضايق طلبت بريطانيا لها ذلك مقابل اعتراف روسيا لها بنفوذها في منطقة الحياد في فارس . وظهر أن [illegible] بالمضايق والآستانة في تلك [illegible] إلى [illegible] من [illegible] في [illegible] الحرب [illegible] منطقة نفوذ

و[illegible] الحرب [illegible] أن [illegible] التنافس بين روسيا وبريطانيا في فارس أشد مما كان فإن روسيا بعد أن [illegible] من الحرب [illegible] [illegible] على كل [illegible] القديمة [illegible] في الحكم والسياسة والاقتصاد ونظام المجتمع . [illegible] ولا [illegible] [illegible] وكان في [illegible] الحضارة الغربية والقضاء على [illegible] السياسية والاقتصادية [illegible] على [illegible] الدول الغربية [illegible] الحضارة والاشتراكية ونظم المجتمع وكيانه الاقتصادي الذي قام على [illegible] في الصناعة والتجارة ، وأعلنت هذه الدول على روسيا حربا لاهوادة فيها [illegible] خارج حدود [illegible] على [illegible] في [illegible] [illegible] خارج [illegible] للعدو بقوته ودعاته [illegible] [illegible] من [illegible] و[illegible] في [illegible] في هذه المعركة [illegible] على [illegible] البيض ومدهم بالقوة والسلاح في ثورتهم على الروس [illegible] ومعتنقيها ومنظميها في روسيا والذين يعملون لنشرها في [illegible] وكانت بريطانيا أكثر الدول شمولية بالإعلان [illegible] [illegible] عنه [illegible] الحرب كما [illegible] الدول الأخرى . و[illegible] [illegible] من [illegible] العسكري والسياسي والاقتصادي في بعض الأحيان على [illegible] كثيرا [illegible] على [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

أراضيه لينين، النظام الجديد أسباب الإستقرار والهدوء والتمكن ودعم مبادئ الثورة كما شاءه لينين وخلفه ماركس في داخل الوطن قبل أن تخرج [illegible] على [illegible]

وورثت الاتحاد السوفيتي [illegible] عداوة [illegible] النظام [illegible] أن تضمن حماية أراضيه والدفاع عن حدوده وعلى هذا الأساس [illegible] السياسة السوفيتية الاستراتيجية [illegible] في أعقاب الثورة [illegible] في أعقاب الحرب وفي فترة ما بين الحربين، وسارت سياستها الإستراتيجية وفق هذه القاعدة [illegible] المجاورة لها من الدول الأجنبية [illegible] استقلالها [illegible] هذه الدول [illegible] النظام [illegible] في الأناضول ووقفت إلى جانب تركيا في المؤتمرات الدولية [illegible] حق تركيا في حماية [illegible] والدفاع [illegible] في فارس [illegible] خلال الحرب [illegible] باكو [illegible] فارس [illegible] فاتجه [illegible] الإتحاد السوفيتي [illegible] الثورة [illegible] السوفيت إلى التعاون مع الألمان والأتراك ضد الإنجليز في باكو وتركستان

وخطى السوفيت خطوة [illegible] حكومة فارس في ١٤ [illegible] سنة ١٩١٨ [illegible] كل الامتيازات التي كانت روسيا القيصرية [illegible] واستعدادهم [illegible] على [illegible] القوات البريطانية [illegible] العلاقة بين السوفييت [illegible] أسس الإتفاق [illegible] والاحترام [illegible] بين الشعوب [illegible] ألمانيا وروسيا في ديسمبر سنة ١٩١٧ وعد [illegible] روسيا بسحب قواتها من فارس وعندما أبرمت معاهدة « برست ليتوفسك » في ٣ مارس سنة ١٩١٨ لتنظيم قواعد السلام بين الدولتين اشترطت [illegible] استقلال فارس ووحدتها [illegible] من [illegible]

والترك معهم ومن ضرورة الاتصال بحكومتهم لتنظيم عملية الجلاء وتسهيل مهمة الساعة منهم على احترام الاستقلال السياسي والاقتصادي لكل من فارس والأفغان ووحدة أراضيهما وبعد من هذا النص في معاهدة روسية يتوقف على احترام استقلال فارس والأفغان التام ... روسيا في ... أي خطر أو نفوذ أجنبي يقترب من أراضيهم وكان من الواضح في جملة مصادر الثقة أن تكون هذه المناطق مجالا لنفوذها ونفوذها السياسي والاقتصادي

وبدأت دعاية السوفيت في فارس وما بعد الحرب الروسية تتابعها فقد قام الأحلاف بهجومهم الكبير في الجبهة الغربية بعد فترة الركود التي شملت هذا الميدان طويلا وبين عدا هذا الهجوم ... إلا أن هذه الدعاية لم تكن قد وضحت بعد للعيان وأخذت دعاية السوفيت في إثارة الفرس على الاحتلال البريطاني والعمل على تحرير فارس وإنصافها. السوفيت الإنجليز منها ... حتى إذا وضعت الحرب أوزارها و ... المدنية اشتدت دعاية السوفيت في البلاد وأصبحت ... تشجع الفرس على مطالبة الإنجليز بالجلاء والعمل على تحرير بلادهم منهم فقد قدموا مذكرة مفصلة إلى الحكومة الفارسية في ٢٦ يناير سنة ١٩١٩ مضمونها:

١ — التنازل عن الديون التي كانت روسيا القيصرية على فارس.

٢ — ... من الامتيازات الاقتصادية في التجارة أو الجمرك أو الخطوط البرقية

٣ — ... أي حق خاص ... سبق أن ارتبطت به فارس معها

٤ — جميع بنك الخصم الروسي من ممتلكات فارس.

٥ — التنازل عن كل حق ... في الخطوط الحديدية والطرق والمواني وما شابه ذلك من منشآت كانت تديرها أو تملكها روسيا القيصرية لتكون ملكا لأهل فارس

٦ — إلغاء الامتيازات الأجنبية

ولم يصب المرمى البعيد الذي تهدف إليه السياسة السوفيتية من علق الفرس عن أحلامهم أو أذهان ساستهم ... شغلهم هذا الحكم السوفيتي عن أمانيهم القومية

ولم ينسهم ما كان بينهم وبين الروس من إحن وترات قديمة عملوا على تحقيق أمانيهم
الوطنية دون [illegible] الروسي [illegible] وكان استرجاع كردستان
وولاياتهم المفقودة في أواسط [illegible] الروس من قبل [illegible] توسعهم
الاستعماري في آسيا بعض ما عملوا على تحقيقه [illegible] مؤتمر الصلح وقد
[illegible] وفدهم إلى باريس برئاسة [illegible]
فارس على مؤتمر الصلح [illegible] الأجنبية عن البلاد [illegible]
من ضرر الحرب [illegible] واسترجاع كل بلاد كردستان وولايات أواسط [illegible]
[illegible] في مؤتمر الصلح [illegible]
مؤتمر [illegible] أن فارس [illegible]
حاميهم وبقيت على حيادها طوال سني الحرب .

[illegible] الأخيرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فارس [illegible]
[illegible] دولة أوروبية كبرى [illegible]

[illegible] في فارس [illegible]
[illegible] فارس [illegible]
قوة كبرى موقعا [illegible]
هذه القاعدة إلا عندما أبرم الاتفاق الإنجليزي الروسي عام ١٩٠٧ تحت ظروف
دولية قاهرة ومع ذلك [illegible] على سلامة [illegible]
[illegible] روسيا في الشمال
أول [illegible] في فارس [illegible]
فارس [illegible]
تحت [illegible] على هذه

السياسة القيصرية في [illegible] بعد أن [illegible] وظهرت أهميته الاستراتيجية والعسكرية لها وقويت باستثماره هذا مجالا لاستثمار رأس المال الإنجليزي ومورداً هاما من موارد الدخل القومي والحكومي بعد أن ساهمت الحكومة البريطانية بأكثر من نصف رأس مال شركة البترول الإنجليزية الفارسية .

وعادت بريطانيا [illegible] سياستها القديمة في فارس بعد خروج روسيا منها واستيلاء [illegible] على [illegible] عام ١٩١٧ ولكنها لم تتمسك باحتلال فارس [illegible] الاستعماري عندما [illegible] الحرب واتجهت حكومتها [illegible] وفي عام ١٩١٨ على [illegible] إلى جلاء فارس [illegible] [illegible] الاتفاق [illegible] استقلالها [illegible] لها مراكزها ومصالحها [illegible] أن [illegible]

وهذا هو طابع السياسة الإنجليزية في الدول المتقدمة سياسيا تحاول أن تكسب بالمعاهدات [illegible] على احتلال الأرض وفرض النفوذ بالقوة العسكرية [illegible] ذلك من [illegible] ضدها تكلفها رهقا ومالا وتحمل [illegible] [illegible] وقد [illegible] هذه المعاهدات [illegible] بعد أن فشلت في [illegible] مع حكومتها [illegible] وتكفي [illegible] هذه المعاهدات باحتلال [illegible] الإمبراطورية [illegible] وتحافظ على [illegible] لاستراتيجية الإمبراطورية [illegible] [illegible] الأرض [illegible] الإمبراطورية وفي ظل [illegible]

وفي هذا الاتجاه وضع لورد كيرزون وزير الخارجية [illegible] ووضع [illegible] كوكس [illegible] الإنجليزي في فارس نصوص المعاهدة الإنجليزية الفارسية عام ١٩١٩ ووقعها مع حكومة [illegible] وثوق الدولة [illegible] في [illegible] من [illegible] العام . وفرضت هذه المعاهدة كثيراً من الحقوق لبريطانيا في فارس وكانت قيداً ثقيلا يهدد استقلالها [illegible] وتحل [illegible] النفوذ [illegible] في [illegible] الحرب [illegible] بعد أن [illegible] في [illegible] الأولى [illegible] فارس [illegible] وسيادتها [illegible] [illegible] [illegible] هذه [illegible] بالنفوذ [illegible] [illegible] الإشراف على

حالة البلاد وجدبها و [illegible] رجالها على الادارات الحكومية [illegible]
لها وتلزمها بشاطر المعونة العسكرية ، وما يتبع ذلك من احتلال الأرض وإنشاء
المطارات وانقسم [illegible] المستهلكات اللازمة التي فرضتها الحرب عند اشتداد [illegible]
فيها . وتعهدت [illegible] بأن [illegible] فارس [illegible] الخطوط الحديدية اللازمة
واصلاح ما خربته الحرب من مرافقها ولا [illegible] من وراء ذلك إلا تسهيل
تحركاتها [illegible] من [illegible] البلاد التي تتيحها للمواصلات [illegible]

ومن هنا [illegible] على [illegible] كل من
من الاتحاد السوفيتي وبريطانيا في فارس [illegible] في [illegible] وجرى
مجهودهما [illegible] في [illegible]
في [illegible] على
[illegible] في [illegible] في كلا البلدين وحل من
رجال الجيش [illegible] الظروف الدولية والمشاكل التي [illegible] في أعقاب
الحرب [illegible] من خلاف [illegible] تحقيق أهدافهما والمرور [illegible] ،
ولعب كل [illegible] والاستسلام
[illegible] كامل في [illegible]
في فارس [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible] في كل من البلدين [illegible]
[illegible] في الأصول [illegible]
[illegible] التي قامت على [illegible] في فارس [illegible]
[illegible] في [illegible] الحرب الأولى

ولم [illegible] لا في [illegible] ولا في دوائر
[illegible] ولا [illegible] أهل البلاد [illegible] رأى [illegible] خطر [illegible]
أمنه الإستراتيجي فقاومها منذ البداية [illegible] بريطانيا بمحاولة [illegible]
[illegible] في [illegible]

الأسد في [illegible] وأخذ [illegible] في فارس يطالبون بإلغاء المعاهدة [illegible] رجال حكومتهم [illegible] على [illegible] المعاهدة [illegible] خيانة وطنية [illegible] فارس للأجانب بينما تشبثت الإنجليز بالمعاهدة وطالبوا حكومة فارس [illegible]

[illegible] الإنجليز [illegible] في فارس [illegible] ظاهر [illegible] من [illegible] على حدود فارس [illegible] عام ١٩٢٠ [illegible] على [illegible] بهلوى وكانت [illegible] البريطاني شاهين على ذلك أجابه [illegible] بأنه لا يقصد حرب البريطانيين أو الفرس [illegible] احتجاجه فقد كانت [illegible] في وقتها مع الحكومة الفارسية واضطر إلى سحب قواته من ميناء أنزلي فاحتلتها قوات السوفيت وتقدمت نحو [illegible] رشت [illegible] كوتشك خان [illegible] ١٩١٧ [illegible] ١٩١٨ [illegible]

البريطانيين الذين احتفظ بهم رهينة لديه ، و[illegible] البريطانيون من هذه الأعمال أمن
خطوط مواصلاتهم بين فارس والعراق .

واصل السوفييت تكتيكهم [illegible] وكان [illegible] جيلان [illegible]
بعد أن شددت حكومة طهران الضغط عليه وسرعان ما أعلنت جيلان جمهورية
بولشفية بعد معاهدة تمت في رشت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
إلى تحقيق هدفين [illegible] سياستهم الاستراتيجية والدولية فهم يعملون أولا على تأمين
كيان الاتحاد السوفييتي [illegible]
[illegible]
البلاد تخضع لمشورتهم وتنفذ سياستهم ، وهو [illegible]
انعقاد مؤتمر الشعوب الشرقية الذي دعا إليه السوفييت في [illegible] ١٩٢٠ [illegible]
« إن الاتحاد السوفييتي يرمي من وراء مساعدته [illegible]
[illegible] منها كما حدث في [illegible] وهي المحاولة التي زاولوها في أوربا [illegible]
في أعقاب الحرب [illegible] لم تنجح معهم في الشرق في أعقاب الحرب الأولى [illegible]
[illegible]
[illegible]

وغلبت هذه السياسة السوفييتية بشقيها [illegible]
الاستراتيجي غلبت على دواعي الامتداد القومي [illegible]
في أنحاء فارس فقد كان كل [illegible]
لا [illegible]
تحقيق هذا الهدف من أول الأمر وأخذوا [illegible]
[illegible]
[illegible]

الصلح صيانة لهم ولم يأذن لهم الحلفاء . وبوجه إلا أن ما ظهر من نواياهم كان قريباً
بعد أن سوفييت الذين [illegible] في [illegible] هدف [illegible] الذي يرمون إليه واضطروا
عن الجلاء [illegible] [illegible] إلا إجراء [illegible] [illegible] يجلى
السوفييت [illegible] ولعل هم من [illegible] [illegible] . [illegible] هذه مماطلة
[illegible] وراحت [illegible] فيه [illegible] السوفييت [illegible] رشت و[illegible] حتى
[illegible] ثم [illegible] ميزان الأسطول السوفيتي في [illegible] وهي [illegible] الذي [illegible]
[illegible] في خصوصهم ذوي [illegible] ووجود السوفييت في احتلال رشت

ومما كان لا يجد له [illegible] فارس [illegible] في فارس كانت [illegible]
[illegible] هذه الإنجليزية [illegible] من أن [illegible] عن البلاد . وظهر عمل
[illegible] الأسطول [illegible] في [illegible] [illegible] حرب في فارس وكان
[illegible] في توجيه سياسة [illegible] [illegible] فقد ظهر
[illegible] الأمور [illegible] و[illegible]
وجمعهم حوله [illegible] من كل آثار النفوذ الأجنبي [illegible]
هذه ما يفتقر إليه الجيش من سوء وتأخر تحت إمرة ضباط الأجانب وخاصة بعد
[illegible] حركة
[illegible] فارس [illegible] من الأسلاك [illegible]
[illegible] في ذلك [illegible] هو آخر [illegible] البلاد من [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible] وكان [illegible] الانقلاب العسكري الذي
[illegible] على [illegible] واحتل طهران في ٢١ فبراير سنة ١٩٢١
وأصبح مسيطراً على مجريات الأمور فيها . وألف الوزارة الجديدة [illegible]
[illegible] منصب رئيس أركان حرب الجيش ثم [illegible] وزارة
الحربية [illegible] الجيش [illegible] وظهر كأقوى شخصية
يمكن أن [illegible] أمور فارس [illegible] هذه الفوضى الشاملة و[illegible] من
[illegible] الاحتلال والنفوذ الأجنبي الذي [illegible] في [illegible]

وبدأت حكومة بريطانية [illegible] عن [illegible] الأمور في فارس وكان [illegible] كوكس قد نقل إلى العراق [illegible] [illegible] أكثر [illegible] اهتمامها بفارس وإن بقي رجالها في فارس يرجون أن ينتهي هذا الاضطراب فيها [illegible] إلا أن [illegible] كانوا [illegible] وهم [illegible] فأصدروا أمرهم إلى الفرق البريطانية بالانسحاب حالما تسمح ممرات الجبال بذلك وتترك فارس لمصيرها تدبره بنفسها.

وكان للاتحاد السوفيتي حرية في سياسته [illegible] في [illegible] فارس وأي [illegible] منذ عام ١٩١٨ [illegible] حكومة [illegible] خلال عام ١٩٢١ [illegible] سياسية على أساس ثابت واستهلت هذه المعاهدة نصوصها [illegible] مباشرة وحكومات [illegible] واستقلالها ومواردها الاقتصادية ثم نصت على الاعتراف باستقلال فارس [illegible] وتعهد الاتحاد السوفيتي في هذه المعاهدة بالدفاع عن استقلالها وسلامة أراضيها ضد أي عدوان خارجي وتنازل لها عن جميع الأراضي [illegible] السوفيتي [illegible] عام ١٨٩٣ [illegible] عام ١٨٨١ [illegible] من كل ما كان [illegible] في البلاد الفارسية [illegible] كل ما كان لها أو لرعاياها من امتيازات وحقوق اقتصادية [illegible] [illegible] تصرف [illegible] وكانت الامتيازات [illegible] القاصرة [illegible] من حقوق [illegible] وكل [illegible] في البلاد

ولم يكن [illegible] حكومة الاتحاد السوفيتي [illegible] عليه هذه المعاهدة قدر ما كان يهمها احتلال القوات الروسية للأراضي الفارسية وما تقوم به

من نشاط شيوعي في الولايات الشمالية و[illegible] تعمل أن تكون المعاهدة سارية قبل جلائها
عن البلاد وحرب الحدود [illegible] دون جلاء هذه القوات وصرحت
الحكومة السوفيتية بأن جلاء قواتها عن فارس سيتوقف على جلاء القوات البريطانية
عنها . وعندما وصل مبعوث السوفيت الجديد تيودور روتشتين إلى فارس في مارس
سنة ١٩٢١ لم تسمح له حكومة [illegible] بالدخول [illegible] البلاد رغم [illegible]
وتصديق المجلس [illegible] إلى موسكو [illegible] التمثيل
التمثيل السياسي معها ما لم تحل قواتها عن البلاد

وكان تصديق المجلس [illegible] على المعاهدة [illegible] في ٢٦ [illegible]
١٩٢١ ورفض المعاهدة [illegible] الفارسية التي ظلت معلقة منذ عام ١٩١٩ حتى
تاريخ رفضها أول عمل تم [illegible] العسكري [illegible]
[illegible] . وأخذت القوات [illegible] الروسية
في الجلاء ولعلها كانت تخشى [illegible] فارس قبل أن يغادرها
[illegible] وتم ذلك في ٨ سبتمبر سنة ١٩٢١ [illegible] الفارسية
[illegible] على [illegible] حتفه أثناء فراره إلى جبال
[illegible] وقضى على جمهورية جيلان
الشيوعية [illegible] إلا عتيا مع سياستهم العامة
في [illegible] فارس [illegible] فلا [illegible]
[illegible]
[illegible]
مع فارس [illegible] جلاء القوات
البريطانية ، ثم أنهم يمكنهم أن يزاولوا نشاطهم [illegible] فيها عن طريق ممثليهم
[illegible] في فارس ومن هؤلاء بوريس
[illegible]
[illegible]
إلى الاحتجاج بشدة على النشاط السوفيتي المعادي في فارس والأفغان والهند في صورة
[illegible] موسكو [illegible] سنة ١٩٢٣ [illegible]

روسيا على هذا الإنذار باستعدادها [illegible] من إيران [illegible] أثناء الحرب
أمام [illegible] وشعبها في تلك البلاد نشأة أن من [illegible] بريطانيا ولا
ما كانت هناك أية علائق حسنة مع الشعوب الضعيفة ، ولا على هذه الأسس . ولهذه
هذه الثورة لا بد أن [illegible] في كل [illegible] مهما [illegible]
الأخرى . استدعى عندها الاتحاد السوفيتي راسكولنيكوف من كابل [illegible]
على شوميانسكي في طهران .

[illegible] أن هذه الإقالة [illegible] أي نوع خلاف بين روسيا
[illegible] في الشرق الأوسط [illegible] ١٩٢٣ إذ عام [illegible]
إلا [illegible] أكثر من أن [illegible] سلام [illegible] بينهما وخصوصا في إيران

ولم يكن القضاء على ثورة جيلان هو آخر ما بقي من آثار الاحتلال السوفيتي
والدعاية الشيوعية في [illegible] وإن كان أعنفها وأخطرها فقد حدثت حركات
ثورية في [illegible] وفي مناطق [illegible] أخرى [illegible]
[illegible] السوفيت [illegible] ومدى [illegible] في حين لا [illegible] من
الاتصال [illegible] على مسرح الحوادث ، ولم نجد
[illegible] ولم تكن هذه الثورات شيوعية
في روحها وإن لقيت من السوفيت كل تشجيع جعلها تنطوي تحت [illegible]
ومؤازرتهم ولم تكن غير حركات منفصلة قام بها زعماء [illegible] الاستقلال [illegible]
ويسيطرون على [illegible] الحكومة المركزية عن كبح
جماحهم أو الوقوف ضد رغباتهم و [illegible] السوفيت لم يكونوا لهم عونا ضد
الحكومة المركزية [illegible] الشيوعية فقد كان [illegible] مثلا رجلا
تغلب عليه [illegible] الإسلامي [illegible]
تقبل عقيدة الإلحاد الشيوعي ولم [illegible] التعاون مع السوفيت إلا [illegible]
عن الوقوف ضد قوة الحكومة المركزية [illegible] في [illegible] عام ١٩١٩
وكان قد [illegible] الاتصال من قبل [illegible]
[illegible]

على خلاف وضحى في سبيل ذلك [illegible] وبعثه الإسلامي بعمق ورقي الصوفية في هذه الحركات الثورية [illegible] وامتدادهم وتوسعهم لا [illegible] على طرقهم جديدة [illegible] في التوسع والانتشار ، حتى إذا وجدوها تتعارض ونهضتهم الكبرى تركوها وتخلوا عنها لأقل سبب

وقد أصبح رضا خان ملتقى آمال الفرس والقابض على زمام الأمور في فارس بعد سقوط وزارة [illegible] والخروج [illegible] خلاف وقع بينه وبين رضا خان [illegible] ولم يكن [illegible] السلطة لأي كلمة [illegible] الوزارة الجديدة تتمتع بسلطة [illegible] أمور فارس وتوجيهها في [illegible] قوي [illegible] تستطيع [illegible] في البلاد ، [illegible] الحكومة المركزية هيبتها ونفوذها في البلاد وتصبح موضع [illegible] وتوالى [illegible] حتى [illegible] استقال من منصبه بعد خلاف حدث بينه وبين بعض [illegible] رضا خان [illegible] في عودته وقدم [illegible] كان وزيراً [illegible] والزعيم [illegible] أو الترضية التي قدمت له من [illegible] أو الوقوف عنده في تطور الحسد له والخوف منه [illegible] رضا خان [illegible] على العناصر التي تتآمر عليه من أن يلي هو [illegible] الوزارة [illegible] تأليف الوزارة في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٣ ، واحتفظ لنفسه فيها إلى جانب الرئاسة بوزارة الحربية وسردارية الجيش [illegible] أن غادر البلاد إلى أوربا [illegible] مدة إقامته ، وأجريت الانتخابات العامة بعد ذلك [illegible] نظام الحكم في البلاد متأثراً إلى حد بعيد بما حدث في تركيا [illegible] إلى إعلان الجمهورية على رأسها رضا خان [illegible] والظاهر أن رضا خان لم يكن راضياً في قرارة نفسه عن النظام الجمهوري [illegible] كان هو على رأس الجمهورية [illegible] إلى ما هو أبعد من ذلك ، فلم يبق [illegible] هذه الأداة [illegible] في إحدى خطبه أن مصالح البلاد الحقيقية من إقرار الأمن [illegible] ونشر الثقافة والتعليم [illegible]

الموارد الاقتصادية ثم من التفكير في نظام الحكم [illegible] في التفكير في نظام الحكم القادم [illegible] رئيس [illegible] وكان [illegible] يسقط أسرة قاجار وإعلان الجمهورية وتنصيب رئيس [illegible] في مجلس [illegible] القائم ما يؤهله [illegible] وإعلان [illegible] الجديد [illegible] ذلك [illegible] الأعيان [illegible] الشعب [illegible] الجمهورية [illegible] رضا خان [illegible] عسكرية وقال [illegible] كانت [illegible] في [illegible] رئيس [illegible] في [illegible] الرأي العام في فارس [illegible] في [illegible] أن [illegible] إعلان الجمهورية [illegible] رضا خان [illegible] طهران [illegible] الجمهورية [illegible] الشعب [illegible] فكرة الجمهورية [illegible] عدم [illegible] مجلس [illegible] رضا خان [illegible] ورجع إلى منصبه [illegible] وهكذا [illegible] فكرة الجمهورية [illegible] أمرها.

وعاد رضا خان [illegible] في لورستان [illegible] سردار رشيد [illegible] من [illegible] الأسلحة الحديثة التي [illegible] رضا خان من فرنسا [illegible] وروسيا ، وكان [illegible] على [illegible] الشيخ خزعل شيخ المحمرة [illegible] على [illegible] خوزستان [illegible] رضا خان [illegible] خطرا [illegible] في [illegible] من أخريات عام ١٩٢٤ وقبل إعلانه

سلطتها على فارس في نهاية سنة ١٩٢٥ ، فقد قضى في جيلان على نفوذ روسيا في الشمال كما قضى على نفوذ شيخ المحمرة وسطوة البختيارى قضاء على النفوذ الإنجليزى في الجنوب . وكانت عقيدة رضا خان القومية والسياسية هي القضاء على كل نفوذ أجنبي في البلاد وبسط سيطرة الحكومة المركزية في طهران على ولايات فارس كافة سواء منها الولايات الخاضعة للنفوذ الإنجليزي في الجنوب أو المطوية تحت رعاية السوفيت في الشمال .

وترجع علاقة الإنجليز بشيخ المحمرة وخوانين البختيارى إلى بداية [illegible] النفوذ الإنجليزى في فارس و[illegible] الإنجليز [illegible] اهتماما بهذه العلاقة بعد تكوين شركة البترول الإنجليزية الفارسية [illegible] معاهدتين ، أحدهما مع الحكومة الإنجليزية والثانى مع الشركة رأسا يدوران حول حماية آبار البترول وقواعد الخليج الفارسي وحماية الشيخ ونفوذه في منطقته وقد تعهدت له الحكومة البريطانية عام ١٩٠٥ بحمايته من أي عدوان خارجي وما يستتبع ذلك من وعود بالمساعدة ضد حكومة فارس نفسها ، وأكدت تعهداتها له في نوفمبر عام ١٩١٤ في بداية الحرب عندما [illegible] والأسطول [illegible] آبار البترول وخرب أنابيبه الممتدة من هرمز إلى [illegible] إلى [illegible] عشائر الخرامية [illegible] في [illegible] على [illegible] وجرت سياسة الحكومة البريطانية مع زعماء البختيارى إلى [illegible] والأموال [illegible] في منطقة [illegible] بلغ عدد [illegible] عام ١٩٢٣ [illegible] من [illegible] عامل من [illegible] وعشائر الشيخ خزعل العربية .

ولما اندلع [illegible] بين الحكومة المركزية التي عملت على [illegible] على أراضيهم وشيخ خزعل الذي رفض أن [illegible] الحكومة [illegible] خضوعهم [illegible] الحكومة ما جمعه من ضرائب وراح يثير القلاقل ويستميل البختيارية الذين انضموا إلى جانبه وبقي ينتظر معونة الحكومة البريطانية التي اتخذت موقف الحياد في ذلك النزاع الداخلي وتخلت عن تعهداتها [illegible] بالعاصمة ثائرة في فارس [illegible] على [illegible] العامة واحتاج

حوصر من جهات أربع وقد عمد الشيخ خزعل [illegible] من نفسه ولكنه أخذ غافلا حتى أسر، فقويت الحكومة ونصبت حكومة عسكرية على [illegible] في [illegible] للوزراء [illegible] شيخ المحمرة [illegible] على الدوام [illegible] الحكومة [illegible] كما [illegible] في [illegible] مع فارس عام ١٩١٩ لا [illegible] [illegible] في [illegible] الوطنية و[illegible] فارس [illegible] هذا التاريخ و[illegible] [illegible] عليها من جديد

وأخذ رضا خان [illegible] من غاية آماله، فقد اجتمع المجلس النيابي في أكتوبر سنة ١٩٢٥ و[illegible] خلع أحمد شاه [illegible] في أوربا و[illegible] حكم آل قاجار ووضع رضا خان أعلى سلطة في الدولة حتى تجتمع الجمعية الوطنية [illegible] شكل الحكم الجديد في فارس، وصدرت الأوامر [illegible] الشاه [illegible] البلاد، واجتمعت الجمعية الوطنية [illegible] وأقرت تعديل الدستور [illegible] رضا خان شاها على فارس ومن بعده [illegible] وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ نصب شاها على البلاد واتخذ لقب بهلوي ونصبت ولاية العهد لابنه الأكبر محمد [illegible] وأقيم حفل التتويج في [illegible] من [illegible] رضا خان على عرش [illegible] نادر شاه، شاهنشاها لفارس [illegible] واستقلت فارس في عهده [illegible] من [illegible] والنفوذ [illegible] الحديث [illegible] رغم [illegible] الخالص [illegible] الأجنبي [illegible] وحتى لا [illegible] في العالم المعاصر

الفصل الثاني عشر

ما بين الحربين

السياسة الدولية والشرق الأوسط

الصراع بين النفوذ الأجنبي والوعي القومي

عصفت الأحداث الدولية التي جرت في أعقاب الحرب عن [illegible] أوروبا
بمناطق النفوذ في العالم وفي الشرق الأوسط [illegible] فقد رجعت الولايات المتحدة
إلى عزلتها التقليدية وإن لم يفتها أن تطالب بسياسة الباب المفتوح في الامتيازات
[illegible] وخاصة [illegible]
[illegible] الشرق الأوسط ولا سيما في مصر ولبنان
[illegible] الوعي القومي فيها بعد الحرب العالمية الأولى ،
[illegible] حدود الوطن ثم [illegible] وتشد [illegible] على
هدى مبادئها [illegible] على [illegible] حدوده [illegible]
به من [illegible] وهي تشعر [illegible] من [illegible] في
[illegible] على [illegible] إلى [illegible]
[illegible] حتى [illegible] الطريق الذي سارت
به [illegible] والخروج على المبادئ التي [illegible] في
أعقاب الحرب [illegible] السلام [illegible]

وقفت [illegible] في أقصى الشرق [illegible] على الدول [illegible]
[illegible] في [illegible] أحق [illegible] العود [illegible] على شعوبها ،
[illegible] للدول [illegible] في [illegible] الدولية فقد [illegible] الحركة على [illegible]

وحطمها وفك عروش أباطرتها ، وفرضت معاهدات الصلح أطرافها واقتطاع مستعمراتها وجردتها من عناصر قوتها وثروتها

ويعتبر انجلترا وفرنسا منفردتان بالنفوذ الأولى في السياسة العالمية توجهانها الوجهة التي تتفق ومصالحهما وإن وقفت الولايات المتحدة رغم عظم مركزها الاقتصادية وارتباط بين هذه الاعتبارات المختلفة في السياسة العامة صونا للسلام العام ومنعا لطغيان دولة عسكرية أو انفرادها بشئون العالم . ولقد هذه سياسة رغبتا من انجلترا وفرنسا فيما يحقق مصالح كلتيهما وحمل فرنسا على تطبيق معاهدة فرساى بحذافيرها وسداد تعويضات الحرب .

وظهر نفوذ الدولتين قويا واضحا في الشرق الأوسط ، فقد انفردتا بالانتداب على القطاع العربي منه . وقد استأثرت انجلترا بالقسم الأعظم مما فازت به حليفتها فرنسا في تقسيم مناطق الانتداب فضلا عما كان لها من نفوذ سابق في مصر وفي سواحل شبه الجزيرة العربية ، وما ارتبطت به من معاهدات مع عاهلها السعودي في نجد والحجاز والإمام يحيى في اليمن . ولم يكن لفرنسا غير نفوذها في منطقة انتدابها على سوريا ولبنان ، ولم يسلم من النفوذ الاستعماري من بلدان الشرق الأوسط غير تركيا وإيران اللتين اتخذتا وجهات سياستهما الخارجية توجها إلى ما ترغبانه وتتفق مع مصالحهما القومية

وقد بدت نزعة الدولتين واضحة جلية في القطاع العربي قبل قيام الحرب الأولى في أوقات تختلف بالنسبة لكل منهما . فنزعة فرنسا في الانتداب ترجع بدايتها إلى سياستها الاستعمارية في الشرق الأدنى في أخريات القرن الثامن عشر ، ثم نفوذ صلاتها القديمة به إلى أيام الحروب الصليبية وما تركته من آثار عاطفية وحببته استمرت حتى الوقت الحاضر . وكانت أول الدول تدخلا عندما وقعت مذابح لبنان عام ١٨٦٠ واحتلت قواتها [illegible] وسلطتها محدودة ، وأصبحت منذ ذلك أكثر الدول اهتماما بما يدور في تلك المنطقة من أحداث . وأما انجلترا فإن أطماعها في البلاد العربية قريبة العهد واهتمامها بتلك المنطقة يرجع إلى أن مصالحها كانت تتركز في قناة السويس والخليج الفارسي وبسط نفوذها [illegible]

الأمنى بها وما يحمله من معان [illegible] بعد التأثير في عدم الاستراتيجية ومواصلاتها
الإمبراطورية في قناة السويس والخليج [illegible] ثم [illegible] الأمر إلى حماية قواعد الخليج
الفارسي وقاعدة [illegible] امتداد خط [illegible] سواحله . وأدخلت البصرة في
نطاق [illegible] ووضعت خلالها [illegible] بعد [illegible] في منطقة ،
وتقدم كتشنر [illegible] حكومته عام ١٩١٤ بأمر [illegible] فلسطين وجزء منها لتأمين قناة
السويس . وتكون خط [illegible] من أي خطر [illegible] من الشمال ، حتى إذا
قامت حرب [illegible] اتفاق سيكس - بيكو [illegible] الحلفاء [illegible] أهداف
الدولتين وتوزعهما في بلاد العرب . وكان الخلاف بينهما حول السيطرة على فلسطين
فقد كانت فرنسا ترى أنها جزء من سورية [illegible] تشملها منطقة نفوذها ، بينما
انجلترا ترى ضرورة السيطرة على [illegible] فلسطين ولا تسمح لوجود فرنسا على
مقربة من قناة السويس [illegible] بوجود الأماكن المقدسة [illegible] وما تتطلبه
من إقامة نوع من الإدارة الخاصة بها [illegible] فرنسا على ذلك باقتراح إدارة
دولية في منطقة القدس وبيت لحم وما يحيط بهما [illegible] جزء من
سورية تحت نفوذها ، وعقدت المشكلة عندما استؤنفت الحادثات في بتروجراد ،
وطلبت روسيا حق الإشراف على الأماكن المقدسة ومنشآتها الكنسية والتعليمية
في الناصرة ونابلس والخليل [illegible] عليها وكانت حدود هذه المنطقة
[illegible] بعد [illegible] قدرتها [illegible] ولم يبق طلبها دولا
من حليفتها فاقترحت إقامة إدارة دولية في فلسطين تشرف على الأماكن المقدسة
ومنشآت المسيحية بها . وقرر اتفاق سيكس - بيكو وضع فلسطين تحت إدارة
دولية وترك [illegible] الظروف [illegible] طبيعتها ومصالحها [illegible] للمستقبل
بفرض نفوذها على ميناءي عكا وحيفا في نصوص الاتفاق

وتوضح اتفاق سيكس بيكو [illegible] الدوافع [illegible] وراء أهداف
كل من الدولتين وأطماعهما في تقسيم [illegible] النفوذ البريطاني [illegible] كان [illegible]
كما أشير إليه باللون الأحمر في مصور الاتفاق حول الخليج الفارسي إلى بغداد شمالا
ثم في المنطقة [illegible] عكا وحيفا ومعنى هذا أن بريطانيا لم تكن تهتم

بعد حماية قواعدها البحرية في الخليج الفارسي بالسيطرة على جنوب العراق وتأمين قناة السويس بالسيطرة على الشواطئ البحرية [illegible] في شرق البحر الأبيض المتوسط فهي سيادة بريطانيا على البحار حتى ذلك الوقت كانت الدعامة الأولى لسلامة الامبراطورية وأمن [illegible]. أما النفوذ الفرنسي [illegible] الأ[illegible] ويتكون من [illegible] الناقورة على طول الساحل شمالا ثم يعرج عند الاسكندرونة شرقا حتى يصل إلى [illegible] وديار بكر على نهر دجلة الأعلى ويعرج على امتداد [illegible] الجنوبي [illegible] وماردين ثم ينحرف [illegible] على شكل قوس حتى [illegible] وبذلك [illegible] الأناضول [illegible] وملطية [illegible] [illegible] على خلاف ما كان [illegible] والظاهر [illegible] كان [illegible] [illegible] وأعطيه للأتراك عام ١٩٢١، وكانت هناك [illegible] [illegible] (١) لمنطقة النفوذ الفرنسي التي تمتد شرقا فتضم [illegible] الموصل [illegible] [illegible] على شكل قوس [illegible] لواء كركوك وجزءا من أرض الجزيرة.

ومن الواضح في هذا التقسيم أنه لم يقم على أي أساس قومي أو تاريخي ولا يحقق إلا أطماع الدول في هذه المنطقة تلك الأطماع التي كانت تهدف عند الانجليز إلى تحقيق أغراض [illegible] ولكن [illegible] [illegible] كان لها أعظم الأثر في تطور سياسة [illegible] في الشرق الأوسط [illegible] الأثر عند فرنسا، وكان [illegible] في تطور الاهتمام [illegible]

وظهر واضحاً في اتجاه سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاهتمام بها ، وأول هذين
العاملين عودة الطرق البرية إلى احتلال أهميتها القديمة نتيجة لتقدم الطيران ووسائل
النقل الميكانيكية البرية فقد طغت سيادة المواصلات البحرية منذ القرن الخامس عشر
لوسائل النقل البحرية وسار الاستعمار الأوربي الحديث عبر المحيطات والبحار وكان
كل تقدم في وسائل النقل البحرية دعامة للاستعمار وبسط النفوذ وسيادة الأقوياء ،
فشادت انجلترا امبراطوريتها العظيمة بقوة أسطولها وسيطرتها على البحار وكانت
أعظم المراكز والقواعد الاستراتيجية أهمية هي الثغور والممرات البحرية ، حتى إذا
تقدم الطيران خلال سنوات الحرب وبعد ما يسطره من مستقبل للطرق [illegible] المواصلات
وظهر إلى جانبه تقدم صناعة السيارات والاهتمام بمد الخطوط الحديدية وربطها
بعضها ببعض في مختلف أنحاء المعمورة ، فقدت سيادة البحار أهميتها القديمة ولم
تعد المرافئ والقواعد البحرية تنفرد بالأهمية الاستراتيجية وأصبحت السيادة على
طرق المواصلات البرية والجوية لا تقل في أهميتها عن سيادة البحار ومسالكها
ولهذا عادت للطرق البرية في الشرق الأوسط أهميتها بعد تطور [illegible] ،
أما العامل الثاني فهو ظهور البترول وما أصبح له من أهمية حربية واستراتيجية في
[illegible] وتحرك [illegible] الشرق الأوسط على كنوزه البترولية [illegible] الأبحاث الجيولوجية
على وفرة البترول فيه في باطن الأرض وظهر أن الشركات القائمة على [illegible] الشرق
الأوسط [illegible] الحروب والاستغلال [illegible] على [illegible] وأن الأهمية التي
كانت للشرق الأوسط [illegible] من موقعه [illegible] المواصلات [illegible]
[illegible] صناعة [illegible] في أوروبا [illegible]
[illegible] هذه الثروات والاقتصاد [illegible] على السيطرة [illegible] للدول [illegible]
[illegible] الاستغلال الاقتصادي [illegible] وظهر أثر هذين
العاملين واضحاً في رغبة [illegible] في سيطرة [illegible] على هذه المنطقة ومنافسة [illegible]
[illegible] من ناحية
أخرى في أن تكون [illegible] وكان [illegible] تملكه [illegible] والتوصل
[illegible] في [illegible] عام ١٩٢١ [illegible] في [illegible] من

تركيا ، وقد تمسكت الولايات المتحدة الأمريكية من المطالبة بسياسة الباب المفتوح في
الاستثمارات الاقتصادية والموارد في الشرق الأوسط وبدا في هذه التطورات الجديدة
ما ينطوي هذه المنطقة من مستقبل حافل ملئ بالاحتمالات و[illegible]

وانفردت بريطانيا بالاهتمام بالعامل الأول فكانت أكثر الدول عناية بطرق
المرور عبر الشرق الأوسط ولم تشترك دولة أخرى في اهتمامها . واتجهت سياستها
إلى دعم سيطرتها عليه وكانت عنايتها بخلق إمارة شرق الأردن وفرض انتدابها على
فلسطين مظهرا لهذا الاهتمام حتى تضمن حماية مواصلاتها الاستراتيجية في القطاع الممتد
من الخليج الفارسي إلى البحر الأبيض المتوسط وهو مركز تجمع [illegible]
وخطوط المواصلات [illegible] في الشرق الأوسط وبذلك حققت
وجهة النظر البريطانية لحكومة الهند في حماية قواعد الخليج الفارسي كما حققت
وجهة نظر [illegible] في مصر للدفاع عن [illegible]
[illegible]
في الشرق الأوسط وربط مناطق انتدابها في العراق وشرق الأردن وفلسطين
[illegible]
أن تنفرد به فقد كان إلى جانبها فرنسا التي تتطلع إلى بترول الموصل وتطالب بحصة
فيه ، والولايات المتحدة [illegible]
في الشرق الأوسط [illegible]
[illegible]
[illegible]
فيما عدا مؤسساتها التعليمية والدينية

وأصبح معروفا وقد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لصفوري وقد [illegible] مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو في ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠ لتطبيق الانتداب على البلاد العربية [illegible] معروف أن [illegible] العربي الذي [illegible] بين حدود [illegible] على البحر الأبيض المتوسط قد أضحى تحت الانتداب [illegible] على أن تكون منطقة الانتداب [illegible] منطقة [illegible] في فلسطين وشرق الأردن وأن الانتداب الفرنسي [illegible] على لبنان وسوريا [illegible] أن [illegible] البريطانية [illegible] إلى منطقة الانتداب [illegible] في فلسطين [illegible] في اتفاق [illegible] كما [illegible] أن تكون [illegible] تحت الاحتلال [illegible] الانتداب [illegible] في مؤتمر [illegible] كان مفروضاً أن [illegible] دولية [illegible] اتفاق سايكس — بيكو الذي تمسكت فرنسا بنصوصه أكثر مما تمسكت [illegible]

ولكن [illegible] الانتداب [illegible] الشعوب [illegible] الأمم [illegible] حرب [illegible] والحرية [illegible] السلام [illegible] الشعوب [illegible] من حرب [illegible] التي كانت [illegible] في [illegible] الشعوب المغلوبة فكان نظام الانتداب الذي يراعى في [illegible] كبرى [illegible] في نظام الانتداب حق تملك الأرض ولكنه كان ينظم [illegible] الشعوب [illegible] مصالحهم وإرشادها والأخذ [illegible] مستوى أرقى [illegible] جعلت [illegible] رفاهية هذه الشعوب المتأخرة [illegible] مقدسة في عنق المدنية ، وأخذت عصبة الأمم على نفسها أن تراقب سير الانتداب في الشعوب التي فرض عليها وأن تتولى الأمر بنفسها [illegible] الانتداب [illegible] وأن الشعب الذي تحت الانتداب قد أصبح قادراً على [illegible] شئونه بنفسه .

وقد حقق نظام الانتداب هدفه في [illegible] مؤتمر [illegible] نتيجة طبيعية

لتطور تدريجي في نظام الاستعمار وروحه العامة بقدر ما كان تحايلا على أوضاع فرضتها دعاوى [illegible] الحرب [illegible] العرض [illegible] كل مزايا الاستعمار [illegible] [illegible] على [illegible] الاستعمار القديم في [illegible] علاقة [illegible] [illegible] درجات الرقي [illegible] كما كان [illegible] المستعمر والمستعمرة [illegible] على ثلاث درجات هي

١ — الانتداب (أ) على الأمم المتقدمة [illegible] [illegible] حكومة من [illegible] [illegible] الانتداب [illegible] [illegible] من نظرتين

٢ — الانتداب (ب) على أمم ذات حظ متوسط من [illegible] وتعود الدولة المنتدبة فيها [illegible] [illegible] [illegible]

٣ — الانتداب (ج) على الأمم [illegible] كمستعمرات ألمانيا في [illegible] شمال خط الاستواء، وتحكمها الدولة المنتدبة [illegible]

ولاحظ هذه [illegible] للانتداب [illegible] [illegible] فقد كانت علاقة المستعمر بالمستعمرة تحددها درجة رقي [illegible] [illegible] على [illegible]

[illegible] في [illegible] ١٩١٨ [illegible] [illegible] [illegible] لتحقيق مصالحهم [illegible] حتى [illegible] الدنيا، هذا فضلا عن تلك الوعي القومي الذي بدأ يثور و [illegible] في [illegible] ذات الحضارة القديمة والتي دخلت في [illegible] [illegible] الحرب

ثم رفض الشعوب العربية نظام الانتداب واعتبرته أداة لاستعبادها واستغلالها
وكان الوعي القومي قد نمى نموا عظيما في مختلف بلدان الشرق الأوسط فلم تعد
تستسيغ أي نوع من أنواع النفوذ الأجنبي سواء كان انتدابا أو استعمارا سافرا
أو مقنعا ونشب الصراع واستحكم من ثم بين قوى الاستعمار والشعوب التي
تسعى في سبيل استقلالها وسيادتها و[illegible] بين الخصمين بهذا [illegible]
بين هذين [illegible] ، قوة الاستعمار والنفوذ الأجنبي من ناحية وقوة الوعي القومي
في هاته الشعوب من ناحية أخرى ، وقد انتصرت القومية في كثير من أهم بلدان
الشرق الأوسط وأخذت [illegible] النفوذ الأجنبي والاستعماري [illegible]
و[illegible] الشرق الأوسط الأخرى [illegible] نفوذ الدولتين اللتين انفردتا
بالأمر فيها وهما انجلترا وفرنسا فسيطرت اتجاهاتهما السياسية عليها وأصبحت مصائرها
رهينة [illegible] بين هذين [illegible] ، قوة النفوذ الاستعماري ، وقوة الوعي القومي ،
حتى بدأ التنافس الاستعماري من جديد إثر قيام الفاشية في [illegible] في
[illegible] والاستعمارية في أفريقيا والشرق الأوسط فضلا
عن [illegible] التي نادت بها النازية وبدأت في سبيلها إلى ضم العناصر
الجرمانية في النمسا وتشيكوسلوفاكيا [illegible] البولوني ، وأصبحتا قوة جديدة
في [illegible] الشرق الأوسط و[illegible]
[illegible] التي سيطرت على أحداثه حتى ذلك الوقت وثم كان أهم
المعالم السياسية لفترة ما بين الحربين في نصفها الأول عنه في نصفها الثاني ،
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الاستقرار [illegible] في [illegible] قوى الاستعمار [illegible] كلها
مع الشعوب المغلوبة ولكنه [illegible] الخارجية [illegible]
الدولي الجديد ، ومنافسة قوى الاستعمار الجديدة [illegible] وكان [illegible]
من فرنسا وانجلترا بتسوية مشاكلها في مناطق نفوذها [illegible]
مع مصر عام ١٩٣٦ وكانت قد [illegible] معاهدة مماثلة مع العراق عام ١٩٣٠
وأخرى مع شرق الأردن عام ١٩٢٨ و[illegible] مشكلة فلسطين [illegible]

شوكة في جنبها تقض مضجعها ولم تجد لها حلا . وترغب فرنسا في إبرام معاهدات مماثلة مع سوريا ولبنان ولكنها لم تشكل حكومة في ذلك إلا بعد كانت معاهدة ترعى مصالحها وتدعم نفوذها .

وخضعت المؤثرات السياسية في بلدان الشرق الأوسط التي تم نفوذ الأجنبي فيها . لهذه القوى [illegible] واحتفظت كل من تركيا وإيران بسياسة خاصة [illegible] إلى حد ما [illegible] الوطنية [illegible] وخضعت ليبيا لسياسة الاستعمار الفاشي التي [illegible] موسوليني لإحياء الامبراطورية الرومانية [illegible] الاستعمارية [illegible] العرب [illegible] الإسلامي [illegible] في [illegible] العرب [illegible] الليبيين إلى مقاومة [illegible] .

وقام نظام الانتداب من أول الأمر على أساس غير شرعي على المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الأمم [illegible] على ضرورة [illegible] الشعوب في وضع [illegible] الانتداب في اختيار الدولة المنتدبة [illegible] وفرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان [illegible] الانتداب [illegible] على العراق وشرق الأردن وفلسطين دون [illegible] شعوبها [illegible] كان [illegible] وكذلك [illegible] سوريا [illegible] عصبة الأمم [illegible] على [illegible] من [illegible] وفرنسا [illegible] في [illegible] عهد عصبة [illegible] ولقد [illegible] لا [illegible] عن الاستعمار [illegible] في أي صورة من صوره [illegible] نصوص العهد [illegible] وفرنسا بالانتداب .

وجرت سياسة الدولتين كل في منطقة نفوذها [illegible] وقد [illegible] لسبب ذلك [illegible] الذي كان [illegible] مؤثر في [illegible] شكل غير [illegible] والذي [illegible] مع [illegible] و [illegible]

القومي في كل بلد من بلدان الشرق الأوسط كل على حدة وسنحاول أن نتقصى هذه العوامل سياسية من حيث اصطدامه بالنفوذ الأجنبي مع نمو الوعي القومي ومزاج كل منهما الخاص وأثرهما [illegible] سياسة الدولة وخاصة بعد أن [illegible] عليها التوتر السياسي الذي سبق الحرب الثانية

الانتداب البريطاني

في العراق :

يقع العراق شمال شرق [illegible] العربية [illegible] داخلها [illegible] شمالا [illegible] وسوريا [illegible] الخليج [illegible] والعراق [illegible] من أقدم الحضارات [illegible] الحضارة الفرعونية في مصر [illegible] في [illegible] ، ولعل هذا هو أهم [illegible] القومي في الوقت الحاضر [illegible] العراق [illegible] في [illegible] الدول [illegible] وكان حريا من [illegible] ، فقد كان [illegible] بيئة صالحة لقيام الحضارات وإن لم تتمتع بما اتسمت به البيئة المصرية من [illegible] طبيعية أي [illegible] فقد كان العراق [illegible] عدوان [illegible] على حدوده [illegible] حضارته [illegible] والاستمرار [illegible] الحضارة المصرية [illegible] واستمرارها [illegible] القومي ولكن كانت [illegible] والأديان واصطدام في [illegible] ، فالعراق [illegible] فهو امتداد لشبه جزيرة العرب وهو جزء من [illegible] الهلال الخصيب ذلك الاسم الذي أطلقه الدكتور [illegible] على وادي الرافدين وسوريا وفلسطين وشرق الأردن ، إلا أنه في ذاته بيئة متماسكة متميزة تستطيع أن

تركيا

سوريا

العراق

فارس

البحر الأبيض المتوسط

شرق الأردن

مصر

الجزيرة العربية الحجاز

الانتداب البريطاني والفرنسي في الشام والعراق

مناطق الانتداب البريطاني العراق . فلسطين . شرق الأردن . . الحدود

مناطق الانتداب الفرنسي : سوريا لبنان خطوط حديدية

تعرض صنائعهم ومقوماتها على سكانه . وقد عاش العراق طوال عصور تاريخه الذي في ظلال هذا التمسك القوي وغير سكانه بهذا الطابع العربي الذي هو خليط من طابع الشعوب البدوية وسكان الحضر والذي يشابه كثيراً طابع الشعوب المجاورة ، واحتفظ به العراقيون بهذا الطابع المتميز حتى عندما امتدت موجة الفتوح الإسلامية في عهد السلاطين ملك الوحدة العربية التي عرفت قرابة ثلاثة عشر قرنا فظل العراقيون غير خاضعين للتأثير الشامي والفارسي وظل هذا التيار قائما حتى الوقت الحاضر

ودخل العراق في حوزة الترك مع كثير من بلاد المشرق ومصر إبان امتداد فتوحهم في الشرق ودخل بلاد مشرقية حتى أخضعه عنوة سليمان القانوني وطردت منه الأتراك في الحرب الأولى . ويعد هذا الحدث في صفحات تاريخه حديث . واتسم الحكم العثماني في العراق بما اتسم به في الولايات الأخرى وكان شبيها بما كان عليه في مصر وسرعان ما ضعف سلطان الدولة على ولاتها البعيدة حتى جرى في العراق ما جرى في مصر فاستقل به ولاته المماليك وقام فيه المماليك حكما كاد يكون مستقلا من عام ١٧٥ إلى عام ١٨٣١ حين استردت الدولة سلطتها عليه

وبقى العراق يعيش في ظلام العصور الوسطى حتى تولى ولايته مدحت باشا عام ١٨٦٩ فانصرف إلى نشر التعليم وتعزيز الأمن وأدخل في البلاد شيئا من الروح الدستورية مدة ثلاث سنوات ولكن حكمه لم يطل وسرعان ما عاد الحكم إلى سيرته الأولى بعد عزل مدحت ثم كان الانقلاب الذي قام به الاتحاديون عام ١٩٠٨ فحدثت ثورة في الوعي القومي عند أهله من سوريا ، وقد ظهر تعصب الاتحاديين للعنصرية التركية أخذ الوعي القومي في البلاد العربية يتجه اتجاها عربيا بحتا ونشطت حركات الأمة لتحقيق هذا الهدف وكانت جمعية العهد التي أسسها عزيز علي المصري أول الجمعيات السرية نشاطا في العراق فقد حوت في عضويتها كثيرا من الضباط العرب في الجيش العثماني وكانت غالبيتهم من العراقيين . ومن أعضاء جمعية العهد من حملوا لواء النهضة في العراق في عهده الجديد وكان هذا الوعي القومي البذرة الصالحة التي تحطم عليها الانتداب البريطاني

ويرجع اهتمام البريطانيين بالعراق إلى بداية سقوط بغداد بسبب خطر الطريق المؤدي إلى الهند والشرق البعيد ولكنهم لم يتمكنوا من دخول البلاد واكتفوا بالإشراف

على رأس الخليج الفارسي فقد كانت سياستها تجاه الدولة العثمانية تحول دون ذلك وكانت سلامة هذا الحاجز العثماني ووقوفه سداً منيعاً دون من تسول له نفسه اقتحام طرق الهند البرية تقع في الاعتبار الأول من اعتبارات الإمبراطورية ولم يكن يثير مخاوفها في هذه الجهات غير تقدم روسيا في آسيا الوسطى وتهديدها الهند من طريق أفغانستان وبلوخستان [illegible] في أفغانستان [illegible] على سلامة هذا الطريق البري ما دامت [illegible] سلامة كيان الدولة العثمانية حتى قام نابليون بحملته على مصر تمهيداً لاقتحام هذا الطريق إلى الهند وشغلت بريطانيا بهذا الخطر الذي لم يهدأ حتى أجلت الفرنسيين عن مصر وأمنت هذا الطريق من جديد، ولكنها أدخلت في اعتبارها هذا الخطر وإمكان عودته سواء من ناحية فرنسا أو غيرها فأقامت قواعد سياستها في الشرق الأوسط على أساس إبعاد أية قوة كبرى يمكنها أن تهدد سلامة طرق الاقترابات البرية إلى الهند أو تدنو منها واتخذت [illegible] المحافظة على سلامة [illegible] حتى [illegible] محمد علي [illegible] على الشام من محاولة السيطرة على العراق والاقتراب من بغداد والخليج الفارسي.

ولم يكن الاهتمام البريطاني بالعراق حتى ذلك الوقت يتعدى الاهتمام [illegible] وترويجها، و[illegible] شركة الهند الشرقية [illegible] في الهند و[illegible] [illegible] وقامت على [illegible] البرتغاليين والفرنسيين [illegible] وأنشأت أول محطة تجارية لها في الهند عام ١٦١٢ في سورات، و[illegible] عام ١٦١٦ حتى أنشأت ثلاثة مراكز أخرى في أحمد آباد وأجرا وبرهانبور، وعقدت اتفاقاً مع شاه فارس عام ١٦٢٢ خولها حق حرية التجارة في الخليج الفارسي، [illegible] ملك شارل الثاني حق إعلان الحرب و[illegible] مصالحها أو تحول دون نفوذها [illegible] الشرقية إلى أداة سياسية وأخذت الحكومة البريطانية تشرف على أعمالها [illegible] وزاد نفوذها وأصبحت لها مراكز تجارية ثابتة في البصرة وبندر عباس وبوشهر ثم في بغداد، وعمل وكلاؤها مراكز القناصل [illegible] للشركات الإنجليزية [illegible] في العراق، كما وجدت الحكومة

[illegible] بعثة لدراسة الملاحة في الفرات عام ١٨٣٦ فقد كان طريق الفرات أقصر
الطرق وأقربها [illegible] الهند [illegible] وقد ثبت صلاحية الفرات للملاحة أي
تمر [illegible] الخليج الفارسي إلى شط العرب فالفرات ومنه تنقل إلى البحر الأبيض المتوسط
ولكن المشاق التي صادفتها البعثة في اختبار [illegible] مرات حالت دون نجاح المشروع ، ولما تقدم
[illegible] في مهمة أخرى [illegible] خط حديدي من الخليج الفارسي عبر العراق
وسوريا إلى البحر الأبيض أثار هذا الأمر اهتمام [illegible] والتجارية في [illegible] ،
ولكنه [illegible] موافقة مجلس العموم ، [illegible] كان [illegible]
[illegible] لا تجارة .

و[illegible] الإنجليز حتى [illegible] احتلال [illegible] أو امتلاكه
حتى [illegible] في أخريات [illegible] نحو الشرق [illegible] في مد خط
حديد بغداد وتحاول أن تصل إلى الخليج [illegible] من حديد على
سلامة طريق [illegible] الخليج [illegible] ويحولون دون
امتداد خط [illegible] البصرة وبغداد [illegible] حتى [illegible]
[illegible] عام ١٨٦٢ [illegible] بصورة غير مباشرة [illegible] الخليج
الفارسي [illegible] أن [illegible] منطقة نفوذ [illegible]
[illegible] عام ١٩١١ [illegible] السياسة
تنحصر في الخليج الفارسي أو فيما بين البصرة وبغداد فحسب ، بل إنها [illegible] حتى
بغداد داخلها .

و[illegible] البصرة وبغداد بعد ذلك في نطاق [illegible] البريطانية ، [illegible]
الحكومة الإنجليزية في [illegible] احتلال البصرة و[illegible] إلى بغداد [illegible] ما قامت
الحرب [illegible] وحدث [illegible] سكس - بيكو السرية [illegible]
[illegible] من مناطق النفوذ [illegible] في العراق [illegible] بغداد ، حتى
[illegible] الحرب [illegible] إلى أبعد من ذلك وعملت على بسط نفوذها
على العراق كله ، [illegible] فرنسا في [illegible] الموصل فقد [illegible] وسائل
المواصلات [illegible] مستقبل في عالم المواصلات

والعراق بموقعه يتوسط شبكة المواصلات البرية والجوية بين الشرق والغرب ، ثم ظهر عامل آخر كان له أعظم نصيب في اهتمام بريطانيا بالعراق وهو البترول ، فقد عظمت أهمية البترول بعد الحرب من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية فهو مورد لاستثمار رءوس الأموال الإنجليزية وهو عصب الحرب الحديثة ، وكانت الأبحاث الجيولوجية قد دلت على عظم ما تحت أرض العراق من هذه المادة وجذب إليها رءوس الأموال الأجنبية قبل الحرب وألفت شركة البترول التركية لاستثمار بترول الجزيرة وساهم فيها رأس المال البريطاني بنصيب وافر ولكن بريطانيا اتجهت بعد الحرب إلى السيطرة على هذا المورد سيطرة تامة ومن الناحية السياسية بدأت تطمع أن تنفرد بالسيطرة الاقتصادية تبعاً للمنافسة القائمة بينها وبين فرنسا وأمريكا حول استغلاله وأصرت على على ضم منطقة الموصل إلى العراق ، كما أن الخطر الصهيوني الذي اعتمدت عليه بريطانيا في حماية طريق الهند البري فقد عوامل أهميته بزوال النفوذ الألماني في الدولة العثمانية وتسربه إليها وسيطرته على سياستها الخارجية لم يكن أمام بريطانيا بعد انهيار الدولة العثمانية إلا أن ترثها في أملاكها وتدعم نفوذها وسيطرتها على هذا الخاصر ، واستطاعت في اتفاق سايكس - بيكو أن يقرر لها الحلفاء نفوذها على أهم القواعد الاستراتيجية فيه حتى إذا انتهت الحرب وعقد مؤتمر الصلح أخذت تساوم فرنسا على توسيع منطقة نفوذها وخرجت من مؤتمر سان ريمو بقرار يخص الحماية الأعلى لانتدابها على قطع من الأرض يضم أهم القواعد الاستراتيجية وعقد المواصلات البرية والجوية وطرق الأنهار الرئيسية والموانئ الهامة ويمتد من الخليج الفارسي وأرض الجزيرة إلى البحر الأبيض المتوسط .

ولم يرض العراقيون بالانتداب من أول الأمر فقد انتشرت مبادئ الثورة العربية بينهم وشربوا أصولها ووعدهم الإنجليز طوال مدة الحرب بالحرية الموعودة وبمجد المستقبل وبشروا بآمالهم مع الملك حسين وحلفائهم معه لإقامة الدولة العربية الموحدة المستقلة ، هذا فضلا عما كان يثور في العراق من بوادر الوعي القومي الذي انتقل إليه من الشام ومصر وأخذ يشتد وينتشر على يد رجال العهد . فلما تم فتح العراق وطرد الأتراك منه انتظر العراقيون أن يفي الإنجليز بوعودهم وصبروا

على الحكم العسكري الذي أقاموه في بلادهم ردولا على ظروف الحرب حتى إذا وقعت الهدنة وهرع الحلفاء إلى مؤتمر الصلح وجد العرب في نفوسهم من إنكار حقوقهم ما رجح عندهم الظن على الشك في أن الحلفاء ينتوون لهم شراً فبدأت روح التذمر تسري في نفوسهم ولم تجد في نفوس بعضهم مرتعاً عندما أعلنت قرارات مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو بفرض الانتداب البريطاني على العراق فهبوا في ثورة جارفة بعد إعلان قرارات الانتداب ببضعة أسابيع، بلغت من العنف حداً أن كبدت الانجليز كثيراً من الخسائر في الأنفس والأموال مما جعلهم يفكرون في تعديل سياستهم في العراق بإشراك العراقيين في تقرير مستقبلهم بشكل لا يتنافى وبعض مصالحهم الامبراطورية وقام السير برسي كوكس، وكان أول من نادى بتعديل السياسة البريطانية في العراق، بتأليف حكومة مؤقتة تسير أموره، تحت إشراف مستشارين من الانجليز حتى تقرر شكل الحكم النهائي بمعرفة العراقيين أنفسهم، وعقد مؤتمر القاهرة في ١٢ مارس سنة ١٩٢١ برئاسة تشرشل وهو المؤتمر الذي دعت إلى عقده وزارة المستعمرات لدراسة الحالة في البلاد العربية وبحث المطالب التي تحتمها مصالح بريطانيا من أجلها ووضع الخطوط الرئيسية لسياسة بريطانيا المقبلة فيها ودعي إليه فضلا عن رجال الحكم البريطاني في العراق جعفر العسكري وزير الدفاع وساسون حزقيل وزير المالية في الحكومة المؤقتة، ورأى المؤتمر فيما يخص العراق بحث :

١ — علاقات الدولة الجديدة ببريطانيا العظمى في المستقبل.

٢ — نوع الحكم في العراق ومرشح الحكم.

٣ — نوع وشكل القوات العسكرية التي ستقع عليها مسئوليات الدفاع في الدولة الجديدة.

٤ — حالة الأقليات في العراق وخاصة الأكراد وعلاقتهم بالدولة الجديدة.

واستقر الرأي في مؤتمر القاهرة على ترشيح فيصل ملكا للعراق بعد أن اطمأن الانجليز على تأمينه مصالحهم وحفظ نفوذ بريطانيا فيه ووقف تشرشل بعد عودته من الشرق في مجلس العموم يشرح نتائج مؤتمر القاهرة فيما عقد له، وأشار إلى ترشيح فيصل لعرش العراق وتأييدهم له ورغبة العراقيين في اختياره

والواقع أن ترشيح فيصل لعرش العراق وإن أيدته بريطانيا تأييداً يقرب من الإلزام إلا أنه صادف هوى في نفوس العراقيين فقد رأت فيصل على ضوء وعى أسلم للقومية العربية ومهد له السبيل أصدقاؤه الوطنيون وأنصاره الكثيرون من العرب فبارك معظم العراقيين ترشيحه ونودي به ملكاً دستورياً على العراق في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ وخرجت إلى الوجود مملكة العراق الجديدة وكان خروجها من أعظم النتائج التي تمخضت عنها الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط .

ولم يكن العبء الجديد الذي حمله الملك فيصل بولايته ملكاً للعراق سهلاً أو هيناً فقد كان حملاً ثقيلاً ، وكأنما قدر لهذا الرجل منذ تحرشه أن يحمل فوق كتفيه الرقيقتين كل هذه الأحداث الجسام من زعامة الثورة العربية والدفاع عن مطالب العرب في مؤتمر الصلح وأخيراً مسئوليته التاريخية عن بناء نهوض العراق [illegible] الأمس وقد تخلت عنها الشرائط [illegible] في ركابه [illegible] صحة والأمن بعد . واستطاع فيصل أن يقود وطنه الجديد بالتوسط ما كان يقدر [illegible] بلاده من عقبات ومصاعب في أوله برجاحة وإخلاص للأمور ويقوى مؤاخاة عطفه العرب فإن [illegible] الذي في عنق العراق ملكه الأول لا يقدر شيء بعد هذه مواهبه وتجاربه لتقوم بدور حاسم في علاج أشد مشاكله صعوبة . وأجمع المؤرخون على أن الدولة العراقية الحديثة ما كان لها نشوؤها لولا تدبيره الشخصي ، فإن جهوده لم تكن قاصرة على توجيه الأمور وقيادتها بل قام بدور هام في تكوين الدولة الجديدة و [illegible] كان يحوز [illegible] مركزه [illegible] قط رغم انهماكه في حل المشاكل العاجلة ، الأهداف البعيدة للحركة العربية والدور الذي يقوم به العراق لتحقيقها كأول [illegible] الدول العربية التي تحت الانتداب ، وقد سبقها جميعاً إلى الهدف المشترك» .

وكانت مشاكل [illegible] على فيصل أن يواجهها كثيرة ومتشابكة وتتطلب علاجها طرازاً من الرجال لا يوجد في كل وقت ، فالعراق دولة ناشئة قريبة العهد من حياة العصور الوسطى في حياتها وتقاليدها ونظمها وحكمها وعلاقاتها بالعالم الخارجي وكان عليه أن ينهض به ليساير ركب الحياة والحضارة الحديثة وفق الأنظمة الدستورية الحديثة ، والعراق بلد زراعي [illegible] وقلة عدد سكانه الذين يبلغون ٤,٧٩٩,٥٠٠ نسمة

كاحصاء عام ١٩٤٧ ، بالنسبة إلى مساحته التي تبلغ ١٤٣و٢٥٠ ميلا مربعاً إلا أنه يجمع بالشيع والطوائف والملل والنحل المختلفة والعناصر القوية التي تعتز بعصبيتها وعصبيتها القبلية فهناك الشيعة والسنة وهم غالبية قاطبة من المسلمين وهناك الأقلية المسيحية من طوائف مختلفة واليهود الذين يبلغون ثمانين ألفاً أو تزيد ، ثم هناك العرب والأكراد والأشوريون والجاليات التركية والفارسية ، فنشأ عن وجود هذه الطوائف المختلفة والقبائل القوية بعض المشاكل ذات الطابع السياسي والإداري التي عاقت العمل الإنشائي وكانت عظيمة فقد درجت العشائر على الاعتزاز بعصبيتها ونفوذها واستقلالها لم تستجب إلى أوامر الحكومة وسلطتها وكثيراً ما وقع الصدام المسلح بينها وبين ممثلي الحكومة وكان ولاء الشيعة لأئمتها في النجف وكربلاء أكثر منه للحكومة ببغداد التي يغلب عليها الطابع السني ، أما الأكراد فإنهم يتجهون بعواطفهم وميولهم إلى إخوانهم القاطنين في تركيا وفارس ويطمحون إلى الاتحاد معهم وقد اشتد وعيهم القومي في أعقاب الحرب فلم يكن من السهل أن يدينوا بالولاء للقومية العراقية ، وبقي الأشوريون قذى في عين الحكومة العراقية فهم طائفة قوية محاربة رحلت إلى العراق خلال الحرب فراراً من الترك وتحميهم السلطة العسكرية البريطانية فانطووا على أنفسهم واعتبروا ناسبتهم إلى دولة الانتداب فتركوا في نفوس العراقيين أثراً مريراً دفع الأشوريين إلى التمسك بعزلتهم والاعتماد على قوتهم الحربية في دفع العدوان عن أنفسهم ، ثم كان على فيصل أن يواجه المشكلة الكبرى مشكلة إقرار العلائق بين العراق وبريطانيا عن رضى كرامة قومه وشعبه الجديد ولا تغضب بريطانيا وبرهن فيصل في تناوله لهذه المشكلة عن براعة سياسية كانت خير معوان له على السير بمصلحة بلاده إلى بر النجاة ، وكانت هذه المشكلة أول ما واجهه فيصل بعد ارتقائه العرش فبريطانيا حريصة على إقرار اتفاق يضمن لها كل ما منحها الانتداب من حقوق والإشراف على شئون الدولة في كافة نواحيها والعراقيون لا يرضون التسليم لها بهذه المطالب الجائرة ولا يعترفون بأي حق لها في بلادهم ، وبدأت المفاوضات بين الطرفين للوصول إلى نتيجة تخفف من شدة التوتر الذي يثور في نفوس العراقيين وتقدمت بريطانيا بمشروع للمعاهدة التي يجب أن تبرم بين الطرفين ولم تمض على تتويج فيصل بضعة أيام واستندت في ذلك إلى حق الفتح وإن لم تشر إليه صراحة فقد أشارت إلى دخولها العراق باسم

الحلفاء ، كما استندت إلى تنازل تركيا عن أملاكها ومن بينها العراق إلى دول الحلفاء ثم إلى حق الانتداب الذي فوضها إياه مجلس الحلفاء الأعلى بموافقة عصبة الأمم وقدمت لها بديباجة في خمس فقرات تناولت وجهة النظر البريطانية لإبرام معاهدة تحدد علاقتها بالعراق هي

(أ) لما كانت تركيا قد تنازلت عن جميع الحقوق والملكية التي لها في العراق إلى دول الحلفاء الرئيسية .

(ب) ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية التي تنازلت تركيا لها عن حقوقها في العراق قد اتفقت على تطبيق الفقرة «٤» من المادة «٢٢» من ميثاق عصبة الأمم فيما يخص الاعتراف بالعراق كدولة مستقلة تحت انتداب دولة تقدم لها المشورة الإدارية والمساعدة التي تحتاجها حتى تتمكن من الوقوف بمفردها .

(ج) ولما كان مجلس الحلفاء الأعلى قد اختار للانتداب على العراق جلالة ملك بريطانيا العظمى .

(د) ولما كان جلالة ملك بريطانيا قد اختار الأمير فيصل ملكاً على دولة العراق .

(هـ) ولما كان من الضروري تحديد العلاقة بين صاحبي الجلالة الملك فيصل والملك جورج الخامس في صورة معاهدة توافق عليها عصبة الأمم ولهذا السبب عين الطرفان الساميان وكيلين مفوضين عنهما . الخ

أما أسس المعاهدة التي وردت في مشروع بريطانيا فهي

١ — تأييد الاعتراف بالملك فيصل

٢ — تقديم المشورة والمساعدة وتعيين الضباط والموظفين البريطانيين والأجانب .

٣ — تمثيل بريطانيا في العراق بمندوب سام وتعيين كل من مستشاري الأعلى وأن يكون من حق المندوب السامي الاطلاع على سير شئون الإدارة بالتفصيل وبصورة دائمة

٤ – وضع قانون أساسي تستشيره لتدوين أساسي يضمن تنفيذ مادة « ٨ – ١١ » من صك الانتداب

٥ – العهد بإدارة شئون العراق الخارجية إلى الحكومة البريطانية ومنحها حق إعطاء البراءات إلى القناصل الأجانب في العراق وتقديم الحماية للسياسة والمصلحة إلى العراقيين في خارج العراق

٦ – الاحتفاظ بقوات بريطانية لمصلحة الدفاع الخارجي وتأييد الأمن في الداخل واستخدام الطرق والخطوط الحديدية والموانئ لحركات هذه القوات ونقل المؤن والذخيرة .

٧ – تعهد العراق بمشورة البريطانية في تخصيص قوة وتوزيع وتجهيز القوات العراقية ومدى صلاحها حتى تصبح قادرة مع مساعدة البريطانية في حفظ الأمن في الداخل ورد الاعتداء من الخارج .

٨ – عدم التنازل عن شيء من أراضي العراق أو تأجيرها إلى أية دولة أجنبية كانت أو وضعها تحت إدارة دولة أجنبية بأية صورة كانت

٩ – قبول وتنفيذ الشروط التي تضعها حكومة صاحب الجلالة البريطانية لتأمين مصالح الأجانب على أثر إلغاء الامتيازات

١٠ – الموافقة على ما تتخذه حكومة صاحب الجلالة البريطانية من الترتيبات لتأمين تطبيق أي من المعاهدات والاتفاقات التي تعهدت بتنفيذها وذلك فيما يخص العراق

١١ – إعطاء الحرية التامة للتبشير

١٢ – اشتراك العراق بقدر ما تسمح به الظروف الاجتماعية والدينية وغيرها في تنفيذ أية سياسة عامة تتخذ من قبل عصبة الأمم لمقاومة الأمراض ومن جملتها أمراض الحيوان والنبات .

١٣ – سن قانون للعاديات الأثرية خلال سنة من تاريخ تنفيذ المعاهدة تقوم مقام القانون العثماني وفق الفقرة ٢١ من المادة ١٣٠ من معاهدة الصلح مع تركيا

١٤ – عقد اتفاقية تعين بها الشروط التي يعوض بها العراق من الحكومة

البريطانية الأشغال العامة و حددت وزارة الصحة العراقية ، وتقدم هذه الاتفاقية إلى
عصبة الأمم

١٥ — تبقى العراق في كل ما يختص بمسائل [illegible] والواردات
والنفقات العامة ، بمشورة المندوب السامي، [illegible] الحكومة البريطانية تتحمل أي
نفقات كانت في العراق

١٦ — [illegible] شروط هذه المعاهدة [illegible] من حين لآخر بقصد إعادة النظر فيما
تحتاجه من تعديل تبعاً لظروفها الراهنة .

ويلاحظ في مشروع هذه المعاهدة أنه لا تختلف في خطوطها الرئيسية عن مشروع
[illegible] لدى تقدمت به [illegible] تتفق [illegible] وغيرها من المشروعات
الأخرى التي تقدمت بها فيما بعد مع اختلاف الوضع الدولي لكل من مصر والعراق
فالعراق دولة تحت الانتداب ومصر دولة تحت الحماية [illegible] من وضع الدولتين
[illegible] على عبارات [illegible] القوى فيها ذلك الوعي
القومي الذي [illegible] في البلاد الشرقية في أعقاب الحرب [illegible] المشروعات
الجديدة التي تقدمت بها بريطانيا لمعاهدات التحالف [illegible] لكل الامتيازات
[illegible] في مناطق نفوذها في [illegible] على
زوال كل ما من شأنه [illegible] في تلك [illegible] في حقيقتها تضمن
كل أنواع الحماية للمصالح البريطانية سياسية كانت أو عسكرية أو اقتصادية وهي
الأسس التي يقوم عليها الاستعمار [illegible] الحديث

[illegible] أن بريطانيا قد اعترفت صراحة في ردها الأول على
[illegible] العراق [illegible] الانتداب [illegible] إن الحكومة البريطانية قد [illegible] لديها
كون الانتداب كرها عظيما في العراق [illegible] الإمكان [illegible]
من المعاهدة كل إشارة إليه [illegible] ثم في ردها الثاني قولها في البند (٤) [illegible]
ذكر الانتداب في المعاهدة لكنها لا تستطيع التصريح بإلغائه [illegible] في ذلك من صعوبات
دولية جمة . وبإلغاء الانتداب [illegible] العراق في حكم [illegible] ومرة

ثابتة في المادة (٥) منه « أن بريطانيا مقتنعة بكره الانتداب في العراق ولذلك فإن المعاهدة سوف لاتتضمن أية إشارة إليه » .

وكان إصرار الشعب العراقي على رفض الانتداب في أية صورة من صوره كإصرار فيصل على رفضه وبدا أن هذه العقبة هي التي تحول دون إبرام معاهدة بين الدولتين ، وأمكن تذليلها بمحافظة الحكومة العراقية حقها في المطالبة « في كل زمان ومكان برفع الانتداب وعدم الاعتراف به من قبلها وبصفة خاصة لأسس المعاهدة » ووافقت الحكومة البريطانية على هذا التحفظ ووقعت معاهدة في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢

وألحق بالمعاهدة بروتوكول تم التوقيع عليه في ٣٠ ابريل سنة ١٩٢٣ بتعديل المادة ١٨ الخاصة بمدة سريان المعاهدة لأن الرأي العام البريطاني كان يصر على الجلاء عن العراق تخفيفاً للنفقات البريطانية في الشرق الأوسط واستخدم هذا الاتجاه في الانتخابات البريطانية في ذلك الوقت ورأت حكومة [illegible] التي تولت الحكم أن تبحث هذا الأمر ولكنها ما كانت تتعامى عن حقيقة المصالح الامبراطورية وإن اضطرت استجابة للرأي العام إلى تقصير مدة سريان المعاهدة من عشرين عاما كما نصت المعاهدة إلى أربعة أعوام . ولكنها عادت بعد موافقة عليها في مجلس التأسيسي تطالب بمد أجلها إلى خمس وعشرين سنة ، كما ألحق بها أيضاً أربع اتفاقات تنظم ما أشارت إليه المواد الثالثة والسابعة والتاسعة والخامسة عشرة . الأولى تتعلق بكيفية استخدام الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية والثانية بالمساعدات العسكرية والتعاون الحربي بين البلدين والثالثة [illegible] ضمانة للأجانب بعد إلغاء الامتيازات وتحدد كل أمر تختص فيه للقضاة البريطانيين وتنظم الرابعة شئون العراق المالية ومشورة البريطانيين التي يجب أن تأخذ بها الحكومة العراقية في إعداد ميزانيتها . ولم تشكل هذه الاتفاقات الأربع غير أغلال قيدت بها بريطانيا استقلال العراق ووافق المجلس التأسيسي الذي انتخب لوضع قانون أساسي للبلاد على المعاهدة في ٢٧ مارس سنة ١٩٢٤ . عندئذ بدأ المندوب السامي البريطاني والضغط على [illegible] فيصل ليحمل النواب على الموافقة عليها في جلسة غير عادية عقدت في ساعة متأخرة من

الليل بعد أن عقد مجلس المجلس ، ووافق أكثر النواب مرغمين على أمل استئناف المفاوضات لتعديلها فيما بعد بما يحقق وآمال العراقيين في الاستقلال . ثم وافق مجلس عصبة الأمم على المعاهدة والبروتوكول والاتفاقيات الملحقة بها عقب أن رفعت إليه مباشرة في نفس السنة

وأصبحت هذه المعاهدة هي الأساس الثابت للعلاقات البريطانية العراقية ولم تكن المعاهدات التي أبرمت فيما بعد إلا تعديلا دعت إليه الضرورة وظروف الموقف الدولي والعلاقات الثابتة بين الدولتين . ولقد قصدت دوره الرئيسي في تطوير العلاقات بين دولته الناشئة وبريطانيا في براعة سياسية لا توجد إلا في نفر قلائل من ساسة الشرق فإن عقده المرنة ومحاربته العديدة من اتصاله بساسة الدول مكنته من موازنة الشعور بالسياسة في داخل بلده وتيارات السياسة الخارجية لبريطانيا وساعده على نجاح هذه السياسة إعلان الرأي العام البريطاني بأن العراق ليس جنة المستعمر وأنه مبعث القلق والمتاعب فأخذت الحكومة البريطانية تظهر حرصها على عدم الاستمرار في الأمر فيه وتبرهن بصفة مستمرة على كل ما قدمته للعراق من عون على استقلاله مع ضمان مصالحها الحيوية على أساس التحالف الكامل بينهما . كما أن في المصالح بين الدولتين دوراً أساسيا في تكوين الوحدة القومية والعمرانية للعراق ودعم عوامل الأمن والاستقرار في ربوعه وعلى حدوده قبل ضم ربطها إلى جنوب الموصل حملها على المطالبة بضم هذه المنطقة إلى العراق وفصل إصرارها ومساعيها السياسية في الموصل إلى العراق كملت وحدته الجغرافية ، ثم كان لاهتمامها باستقرار الأمن الداخلي في العراق ما ساعد على علاج مشاكل الأقسام وخاصة مشكلة الأكراد فشارك في تأمين كيانه القومي ، وما كان يعرف الذي جرى بين الملك فيصل والملك عبد العزيز آل سعود وتسوية الحدود بين دولتيهما ووضع علاقات ودية بين الحكومتين العراقية والسعودية إلا بفضل مساعيها التي دفعها إليها حرصها الحقيقي على تأمين مصالحها في مناطق نفوذها

ولم يرض الشعب العراقي بهذه المعاهدة التي فرضت عليه فرضاً وحمل مجلس

التأثير على موقفه عنيد ويبقى الشعور الوطني متحفزاً ثائراً لا يقبل أي لون من ألوان النفوذ الأجنبي . فكان خير معوان لساسة العراق في حمل بريطانيا على التسليم بحقوق الشعب العراقي وللنزول على أماني الوطنية وإن ظل حريصاً على تأمين مصالحها الحيوية في العراق . ولعب فيصل دوراً بارزاً في إقناع الحكومة البريطانية بتحقيق أماني شعبه ملوحاً لها بحرج موقفه أمام شعبه بسبب معرفته عن علاقته بالإنجليز وساستهم وكان لصداقته بهم وتقديرهم له ما ذلل كثيراً من الصعاب في وجه النهوض العراقي كما كان لحب شعبه له ما جعله يستجيب لنصحه وينزل على رغبته

ومرت العلاقات البريطانية العراقية بعد إبرام المعاهدة الأولى في ثلاث مراحل أخرى . امتدت المرحلة الأولى منها بإبرام المعاهدة البريطانية العراقية الثانية لتعديل ما نص عليه البروتوكول الملحق بالمعاهدة الأولى خاصاً بانتهاء العمل بها بعد دخول العراق عضواً في عصبة الأمم على أن لا يتجاوز ذلك أربع سنوات من تاريخ إبرام الصلح مع تركيا . فالحكومة العراقية حين عقدت هذا البروتوكول قصدت أن تخفض مدتها من عشرين سنة إلى أربع سنوات كانت تهدف إلى إرضاء الرأي العام الوطني الذي هاله قبول الانتداب لمدة طويلة في العراق وأخذ ينادي بالجلاء عنه ، ولكنه ما كان يمس المصالح الحيوية للإمبراطورية ثم إن النزاع بين بريطانيا وتركيا حول مدينة الموصل وصدور قرار عصبة الأمم مؤيداً لضم الموصل إلى العراق على أن يظل الانتداب على العراق إلى خمس وعشرين سنة ، حفزت الحكومة البريطانية في فرصة ملائمة حاولت فيها تعديل ما نص عليه البروتوكول بعقد جديد

وعقدت الحكومة البريطانية نصوص المعاهدة الجديدة ، على أنها جاءت وقد خلت في عهدها لتعدل الاتفاقيات الملحقة بالمعاهدة الأولى ، ولم يرض العراقيون أن يشملها مدار أجل الانتداب فإنها تخص العلاقات الثنائية بين بريطانيا والعراق ولا دخل للانتداب أو لعصبة الأمم فيها . وهدد المعتمد البريطاني في العراق بالعدول عن الموصل لتركيا إن لم يقبل العراق الاتفاق الجديد وكان غريباً أن يلجأ المعتمد البريطاني إلى هذا التهديد وهو يعرف أهمية الموصل لبريطانيا وإلحاحها في

في ضمها إلى العراق لتكون حدودها المباشرة ، وأثر عقد المعاهدة مع تركيا المطلوبة ووافق المجلس النيابي على المعاهدة في ٢١ مارس سنة ١٩٢٦ ، كما وضعت الحكومة البريطانية الأمر نصت في مدتها ثلاثة ، إرضاء للعراق على أن ... عقد وتشمل في المادتين الآتيتين بعد حلول الوقت الذي كان يمكن أن تنتهي فيه معاهدة اليوم العاشر من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٢ ، بموجب بروتوكول اليوم الثلاثين من شهر نيسان سنة ١٩٢٣ ، ثم بعد ذلك في فترات متتابعة ، مدة كل منها أربع سنوات إلى أن تنقضي مدة الخمس والعشرين سنة المذكورة في هذه المعاهدة ، أو يوم أن يدخل العراق في جمعية الأمم :

١ — هل في استطاعة الإنجليز في إدخال العراق في جمعية الأمم .

٢ — إن لم يكن في استطاعة ذلك هل مسألة تعديل الاتفاقيات المنصوص عنها في المادة الثامنة عشرة من معاهدة اليوم العاشر من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٢ المعقودة بين ... المعاهدة التي عقدتها مملكة العراق ، أو ... على أي سبب آخر .

لم أن أبرمت هذه المعاهدة حتى شرعت الحكومة العراقية في بحث الأسس التي يمكن أن يقوم عليها الاتفاق الجديد بين العراق وبريطانيا وتعديل الاتفاقيات الملحقة بما يتمشى مع استقلال البلاد المنشود وأعربت عن رغبتها في عقد معاهدة جديدة تحل محل معاهدة عام ١٩٢٢ المعدلة بمعاهدة عام ١٩٢٦ على أن تتناول تعديلها ما يقتضي تقدم العراق نحو الاستقلال ، وأن تبدأ لتحقيق هذا الهدف بتعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية تعديلا صحيحا يتناول الأصل والمبدأ ، لا القشور والظواهر . وبدأت المفاوضات بين الطرفين ورأت الحكومة البريطانية أن الوقت غير مناسب لإجراء أي تعديل يتناول العلاقات البريطانية العراقية قبل أن يبت في ذلك ... وأنه ... عصبة الأمم حول سلامة وضع الموصل تحت الانتداب كما أنه نصح بتأجيل دخول العراق عصبة الأمم حتى تزول العوائق الداخلية والخارجية ، وتعثرت المفاوضات ثم انتقلت من بغداد إلى لندن لتفتح من جديد حتى تبلغ نهايتها للملك فيصل فيه ... من جديد ... أن مهد لها وأقنع رجال الحكومة البريطانية

مواجهة مطالب شعبه وإن قطع المفاوضات يحرج مركزه أمامه ورأت الحكومة البريطانية في إلحاح العراق فرصة لإبرام معاهدة جديدة تقوم على الأسس القديمة للمعاهدتين السابقتين وعبر عليهما بأنها لا تقوم على الضغط والإكراه بل على رضاء العراقيين وتأييدهم .

ووقعت المعاهدة البريطانية العراقية في ظل هذا الأمل البريطاني في وزارة المستعمرات بلندن في الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٩٢٧ وفي الثامن عشر وافق عليها مجلس الوزراء العراقي برئاسة جعفر العسكري ولكن الوزارة التي جاءت برئاسة عبد المحسن السعدون لم تكن تعمل على إبرام هذه المعاهدة قبل تعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية الملحقتين بالمعاهدة الأولى والتي نصت المعاهدة الجديدة في مادتيها ١٢ و ١٣ على تعديلهما باتفاقيتين جديدتين ، وكان من رأي الحكومة البريطانية ألا تنفذ معاهدة إلا بعد تعديلهما حتى تتم معهما في وقت واحد

وبدأت المفاوضات في بغداد بين الوزارة السعدونية والمندوب البريطاني بمعاونة قائد قوات الاحتلال في العراق ولكنها تعقدت لتفاوت وجهات النظر بين الطرفين واستقالت وزارة السعدون في ٢٥ مارس سنة ١٩٢٩ وبقيت البلاد من غير وزارة حتى عين « سير جلبرت كلايتون » مندوبا ساميا للبلاد في العراق ، فتألفت وزارة توفيق السويدي وكان صديقا لكلايتون منذ تعرف به في مؤتمر جدة ، وكان كلايتون خبيرا بشئون العربية عطوفا على العرب عاطفا منذ اتصل برجال الثورة العربية خلال الحرب وفي أعقابها فعمل على تهيئة جو جديد من الثقة والتفاؤل في العراق ، وأعلن « أن الحكومة البريطانية قد اتجهت اتجاها جديداً ، وأن بريطانيا العظمى عازمة عزما أكيدا على إنهاء الانتداب على العراق وتحديد علاقاتها معه بمعاهدة تحالف تخرج إلى حيز التنفيذ بعد تحرر العراق من الانتداب وقبوله عضوا في عصبة الأمم »

واستؤنفت المفاوضات في جو من التفاؤل والاستبشار ورأى مفاوض العراق أن يصدر تصريح من جانب بريطانيا بتأييد دخول العراق عضوا في عصبة الأمم تأييداً

خاليا من كل قيد أو شرط وعزز كلايتون هذا الطلب ورأت وزارة العهد الجديد أن تحسمه فشرعت باعداد القرارات التالية :

(ا) إن الحكومة البريطانية مستعدة لتأييد ترشيح العراق للدخول في عصبة الأمم في عام ١٩٣٢ .

(ب) إن الحكومة البريطانية ستقوم بإبلاغ مجلس عصبة الأمم في اجتماعه المقبل أنها قررت إهمال الأخذ بمعاهدة سنة ١٩٢٧

(حـ) إن الحكومة البريطانية ستبلغ مجلس عصبة الأمم في اجتماعه المقبل أنها قررت ، وفقا للفقرة (ا) من المادة الثالثة من المعاهدة العراقية البريطانية لسنة ١٩٢٦ ، التوصية بدخول العراق عصبة الأمم عام ١٩٣٢ .

وبات كلايتون جاهدا على أن يبلغ قرارات حكومته إلى الملك فيصل فقام بابلاغها وأضاف إليها على لسان حكومته ما يلي :

« إن الحكومة البريطانية تأمل عقد معاهدة مع الحكومة العراقية قبل عام ١٩٣٢ تقوم في الأغلب على أساس المقترحات الأخيرة لمشروع المعاهدة البريطانية المصرية وذلك لأجل تنظيم علاقات بريطانيا بالعراق ، عند دخول العراق عصبة الأمم » .

ورأت وزارة السعدون التي خلفت وزارة السويدي أن تطبيق مشروع المعاهدة البريطانية المصرية لا يتفق مع وضع العراق الجغرافي الذي يختلف كثيراً عن وضع مصر الجغرافي فإن وجود قناة السويس في مصر وتحسبا للمواصلات الإمبراطورية قد يتطلب وجود قوات بريطانية لحمايتها بينما أن المواصلات الإمبراطورية في العراق لا تتركز في غير الخليج الفارسي ولا تتطلب تلك الحماية ، ثم أن نعرة الوطنية في العراق لاتدانيها أية نعرة وطنية في الشرق ، ولهذا ما كادت المفاوضات تبدأ حتى تجهم جوها من جديد عقبها انتهى بانتحار عبد المحسن السعدون رئيس

الوزارة بعد أن رأى سيء السياسة البريطانية وتبرم مواطنيه عليه واتهامهم له بممالأة الإنجليز ، فشكل ناجي السويدي وزارته من أعضاء وزارة السعدون أنفسهم ولكنه لم يلبث طويلا حتى توترت العلاقات بينه وبين المعتمد البريطاني بسبب معارضته الموظفين البريطانيين في العراق والحد من سلطتهم ومحاولة خفض عددهم فاستقال ، وتألفت الوزارة الجديدة برئاسة نوري السعيد وعلى يده أبرمت المعاهدة الثالثة والأخيرة بين بريطانيا والعراق .

وقد دارت المفاوضات حول ركنين أساسيين في العلاقات البريطانية العراقية ، أولهما الاعتراف بتأمين وحماية المواصلات الجوية لصاحب الجلالة البريطانية بصورة دائمة وفي جميع الأحوال وثانيهما قبول العراق عضواً في عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ ، وأبرمت المعاهدة في ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٠ ، وأجريت انتخابات المجلس النيابي على أساس استفتاء الشعب في المعاهدة الجديدة وكانت نصوصها قد نشرت على الرأي العام قبل ذلك ، وخاض نوري السعيد معركة الانتخابات بحزب جديد دعاه « حزب العهد العراقي » وفاز فيها بأكثرية ساحقة برغم أن للمعاهدة معارضة في تأييدها ووافق عليها البرلمان بأغلبية ٦٩ صوتاً ضد ١٣ وتغيب عضو واحد

وأهم ما نصت عليه المعاهدة بعد الديباجة المتقدمة بالأسباب التي دعت إلى عقدها والاعتراف « بمبادئ الحرية والمساواة التامة والاستقلال التام » في أراضيهما ، أن يسود دائماً سلم وصداقة بين المتعاقدين ، ثم التعاون العسكري في حالة الحرب وخطر حرب محدق على أن يكون « معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب أو خطر حرب محدق . . تنحصر في أن يقدم إلى صاحب الجلالة البريطانية في الأراضي العراقية جميع ما في وسعه أن يقدمه من التسهيلات والمساعدات ، ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والأنهر والموانئ والمطارات ووسائل المواصلات » ولأجل تأمين وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية « يتعهد جلالة ملك العراق بأن يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف ، موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية في البصرة أو في جوارها ، وموقعاً واحداً لقاعدة جوية ينتقيها صاحب الجلالة البريطانية في غرب نهر الفرات ، وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية أن تقيم قوات في الأراضي العراقية ، في الأماكن الآنفة

الذكر ، وفقاً لأحكام ملحق هذه المعاهدة ، على أن يكون مفهوماً أن وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلالاً ، ولن يمس على الإطلاق حقوق سيادة العراق » .

وتناول الملحق العسكري للمعاهدة تحديد المواقع التي تحتلها القوات البريطانية وامتيازاتها الحركية وحصانتها القضائية وامتيازاتها المالية وتعليم الضباط العراقيين ومد الجيش العراقي بالأسلحة والعتاد والتسهيلات المختلفة التي تقدمها العراق للقوات البريطانية وإقامة حرس للمطارات من القوات العراقية . كما تناول الملحق تعديل الاتفاقات المالية المتعلقة بالسكك الحديدية العراقية وميناء البصرة وهي التي تناولها الملحق المالي للمعاهدة الأولى ، وعدلت الاتفاقية القضائية حيث ألغيت الامتيازات القضائية التي كانت للأجانب بمقتضى المعاهدة الأولى وسويت بينهم وبين العراقيين أمام المحاكم العراقية مع الاستعانة في بعض المحاكم العراقية ومن التشريعات القضائية بتسعة خبراء قانونيين من الأجانب . وقد تبودلت عدة مكاتبات بين رئيس الحكومة العراقية والمندوب البريطاني تناولت نظام التمثيل السياسي بين الدولتين واستخدام الموظفين البريطانيين ، واستدعاء بعثة عسكرية مستشارة بريطانية تعاون في تدريب القوات البرية والجوية العراقية بالشروط الموضحة في اتفاقية الموظفين البريطانيين الملحقة بالمعاهدة الأولى وتكون مدتها عشر سنوات من تاريخ تنفيذ الاتفاقية .

وبإبرام هذه المعاهدة دخلت العلاقات البريطانية العراقية في دور جديد من الاستقرار والهدوء رغم نقص في كل عوامل الشعور الكامل في نفوس العراقيين من الاعتراف بهذه المعاهدة . وإن راعت إمكانيات العراق وقدرته الفعلية على تحمل كيانه الدولي مستقلاً مع وجود المصالح البريطانية والاعتراف بحماية هذه المصالح وعجز العراق عن تكوين جيش يستطيع وحده حماية البلاد من العدوان الخارجي دون مساعدة بريطانيا والتحالف معها كما صرح بذلك رئيس الحكومة العراقية في تبرير عقد المعاهدة أمام البرلمان ، إلا أنها حالت دون ما أمل العراقيون واعتقد كثيرون أن المعاهدة الجديدة بدلت نظام الانتداب المؤقت باحتلال دائم ولم تحقق

أماني العراق الوطنية والقومية ، وبقي العداء التقليدي الذي أثاره الشعور القومي في العراق كامنا في نفوس العراقيين للانجليز .

وقد حققت المعاهدة لبريطانيا كل مصالحها الحيوية في العراق واستطاعت أن تربط العراق إلى عجلتها الامبراطورية بحلف دائم تقوم على الاعتراف وارضاء عميق مصالحهم فيه وكسبت أمام الرأي العام العالمي اعترافا صريحا برضاء العراقيين عن نفوذهم في العراق كما انفردت بعيدا عن تدخل عصبة الأمم بإقرار علاقتها الجديدة به .

ولم تكن المعاهدة العراقية البريطانية إلا صورة واضحة لسياسة بريطانيا في مناطق نفوذها في الشرق الأوسط فقد صرحت بلسان معتمدها في العراق قبل إبرام المعاهدة أن تكون على نمط مشروع معاهدة البريطانية المصرية ، وجاءت المعاهدات الثلاثة التي أبرمت في فترة ما بين الحربين مع مصر والعراق وشرق الأردن صورة واحدة لا تختلف إلا باختلاف مصالحها في كل منها على حدة

ودخل العراق عضوا في عصبة الأمم بعد مناقشات نظرية ومهمة عميقة في مجلس العصبة ولجنة الانتدابات عن المستوى الذي يجب أن تبلغه الدولة قبل إلغاء الانتداب والمستوى الذي بلغه العراق تحت الانتداب البريطاني وأهليته للاستقلال وأخيرا صدر قرار العصبة بإلغاء الانتداب وإعلان استقلال العراق وقبوله عضوا في عصبة الأمم في ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٢ .

ولم تمض السنون حتى مات فيصل عاهل العراق الأول وراعيه في نهضته الناشئة وهو يستشفي بسويسرا في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ واعتلى عرش العراق ابنه الشاب غازي الأول ليستقبل طلائع العهد الجديد ولما يستقر ، ولم تكن له خبرة أبيه ومرونته وإن فاقه في حميته واندفاعه ، ولم تترك له الأجل من فسحة العمر ما يكشف صورته على حقيقتها للتاريخ وحادثه من الصعاب ما ينوء به كاهله الشاب ولكن روحه الفتية جمعت حوله قلوب العراقيين فأحبوه كما أحبوا في أبيه شخصيته القوية وإيمانه العميق بقضية العراق .

ويستقبل العراق عهده الجديد وقد تخلص مجمع العراق السياسي من مشكلة الحكم القائمة كما كانت في عهد الانتداب، وبرزت بعد الاستقلال، وبين العهد الخارجي الذي كان يجمع الزعماء على غاية واحدة قد ضعف أثره، كما أن الحصة لبعض الحزبية مهمة لم تكن تتناسب شخصية ساسى الفئة القديمة المجربة، وبذلك انتقلت قيادة الأمور في عهده [illegible] انتقل طوراً حكمه إلى أيدي الساسة والزعماء بعد قومهم واستشرى الخلاف بينهم حول السلطة والحكم وتركز في أشخاصهم كما تقوى السياسة سواء في داخل المجلس النيابي أو خارجه من الأحزاب السياسية التي تلتف في أشخاص الزعماء وتدين لهم بالولاء كما كان الحال في مصر، [illegible] الأحزاب السياسية في البلاد معروفة لأنها تقوى حول عدد قليل من الأشخاص [illegible] عقيدة أو مبدأ معين، وكان هذا القول ينطبق تماماً في الأحزاب العراقية أكثر منه في الأحزاب المصرية التي تتمثل في شخصية [illegible] والدين والصلة القوية في العراق [illegible] الأخرى وقد تبع المجالس النيابية في تلك الدول الشرقية قوتها واستقرارها في الدول الغربية [illegible] [illegible] للحكومات [illegible] كما كانت الوزارات [illegible] وسقوط وتعرضت الحكومة [illegible] لهزات عنيفة، وكان الانقلاب العسكري الذي قام به الفريق بكر صدقي في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٣٦ في العراق من مظاهرها وقد انتهى هذا الانقلاب باستقالة وزارة ياسين الهاشمي في اليوم نفسه وقيام حكومة سليمان الذي وقع عليه [illegible] وزارة [illegible] حكومة الانقلاب قائمة حتى [illegible] الفريق بكر صدقي، [illegible] للحكومة [illegible] في أعماله [illegible] وزارة حكمت [illegible] في ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٧

وتعود تلك الأحزاب السياسية في حدود العراق كما هي في حدود مصر في بعض [illegible] إلى [illegible] رئيسين [illegible] [illegible] العصر الذي [illegible] من [illegible] وطنية إلى [illegible] السكيان الحقيقي للاستقلال [illegible] البلاد، [illegible] [illegible] القومي، [illegible] القوي [illegible] [illegible] أرقى

أو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
من [illegible] كاملا وأعطاه [illegible] [illegible] الأمم [illegible]
في هذه [illegible] [illegible] شرقية في تطورها السياسي
الحاضر ، ومن [illegible] [illegible] في [illegible]
أو [illegible]

و[illegible] [illegible] في [illegible]
من [illegible] من [illegible] عصور [illegible] المعاصر وأسس على
[illegible] على [illegible]
وبعض الصناعات المحلية الصغيرة واهتم بتنظيم إدارة الحكومة [illegible] على
أحدث [illegible] على [illegible]
وافتتح خط الأنابيب [illegible]
في [illegible] سنة ١٩٣٥ .

ومن [illegible] في [illegible] والخارجية فقد ارتبط [illegible]
مع [illegible] حوار مع [illegible]
١٩٣٦ [illegible] وكانت [illegible] في دمشق
[illegible] في ٨ [illegible] سنة ١٩٣٧ وهو من [illegible]
[illegible] الجوار والتعاون [illegible]

ولم تطل حياة غازي على عرش العراق فمات في حادث سيارة في [illegible] سنة
١٩٣٩ [illegible] حتى [illegible]
الخواطر في كل مكان واقتحم الجمهور دار القنصلية البريطانية في الموصل وفتكوا بالقنصل
الإنجليزي انتقاما لمليكهم الشاب ، ونودي [illegible] فيصل الثاني ملكا على العراق
[illegible] من [illegible]
و[illegible] على [illegible] الأولى [illegible] الحرب [illegible]
خمسة [illegible]

في شرق الأردن .

لم تكن شرق الأردن أكثر من [illegible] نهر الأردن حتى خلقت منها بريطانيا [illegible] الانتداب ثم مملكة مستقلة ذات كيان سياسي ودولي كامل [illegible] واستراتيجية [illegible] .

وتمتع شرق الأردن في ذلك [illegible] من الأرض [illegible] وحوران التي [illegible] سوريا [illegible] الأردن [illegible] وبحدود العراق شرقاً [illegible] ٤٢٧٤٠ [illegible] وعدد [illegible] حوالي [illegible] من العرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان [illegible] حتى [illegible] الثورة العربية التي [illegible] ١٩١٧ [illegible] [illegible] في شرق الأردن [illegible] [illegible] وقامت حكومة [illegible] حكومة [illegible] في دمشق [illegible] للسلطة [illegible] [illegible] والفرنسيين على أن تكون فلسطين والمنطقة [illegible] نهر الأردن من مناطق نفوذهم فلما أن ضرب الفرنسيون ضربتهم في ميسلون [illegible] فيصل سوريا حتى [illegible] الدعاية بين أهلها لحملهم على طلب الحماية [illegible] واجتمع المندوب السامي البريطاني في فلسطين بشيوخ البلاد للاتفاق على نوع الإدارة [illegible] [illegible] سوريا [illegible] ذلك [illegible] في شرق الأردن لكل منها مستشار إنجليزي [illegible] فلسطين [illegible]

وفي أثناء ذلك ظهر الأمير عبد الله في معان على الحدود الجنوبية لشرق الأردن وأخذ يجمع حوله القبائل والمشايخ ليزحف بهم على سوريا إنتقاما لأخيه فيصل وأثار قدومه قلقا عند الفرنسيين ولاخطر على سوريا . ثم قام العراق بثورته العربية التي أرهقت الانجليز وكلفتهم كثيرا من الأنفس والأموال فرأى الانجليز تخفيفا من متاعبهم وإرضاء للهاشميين ترشيح فيصل لعرش العراق وعبد الله أميراً لشرق الأردن .

وفي مؤتمر القاهرة الذي عقدته وزارة المستعمرات لدراسة مشاكل الشرق العربي وضعت الخطوط الأولى للسياسة البريطانية الجديدة في تلك البلاد ، وقبل أن ينفض مؤتمر القاهرة نقل الأمير عبد الله إلى عمان في قطار خاص أعد له حيث استقبله رجال السلك الإداري وشيوخ البلاد وأعيانها وعلى رأسهم المعتمد البريطاني في شرق الأردن وفي الأسبوع الأخير من مارس سنة ١٩٢١ غادر عمان إلى القدس حيث اجتمع بتشرشل في اليوم التالي حيث اتفقوا على الأسس التي تقوم عليها الامارة الجديدة .

ولم تكن امارة شرق الأردن في أول الأمر يغلب أن تكون امارة قائمة بذاتها منفصلة في إدارتها عن فلسطين وإن كانت تخضع لنفس الانتداب المفروض عليها ، فقد صدر صك الانتداب على فلسطين وهو يشمل شرق الأردن إلا أنها أرادت أن تستثنى من نصوص الوطن القومي لليهود وعلى ذلك في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٢ قدمت مذكرة بريطانية إلى مجلس عصبة الأمم تطلب إليه وفقا لنص المادة الخامسة والعشرين من نظام الانتداب على فلسطين أن يقرر ما يأتي :

« لا تطبق المواد التالية من نظام الانتداب على فلسطين في الأراضي المعروفة بشرق الأردن التي تشمل جميع المنطقة الواقعة في الشرق من خط يبدأ من نقطة تقع على بعد ميلين غرب مدينة العقبة التي تقع على الخليج المسمى باسمها مارا بمنتصف وادي عربه والبحر الميت ونهر الأردن إلى نقطة ملتقاه بنهر اليرموك فمنتصفه حتى الحدود السورية .

وفي ضوء نظام الانتداب على شرق الأردن يسري عليه من خطط الإدارة مايسري على فلسطين تحت إشراف الدولة المنتدبة ».

[illegible] لا تنطبق على شرق الأردن من نظام الانتداب على فلسطين فهي كل المواد والفقرات التي تشير إلى الوطن القومي لليهود [illegible] حقوقه [illegible] في ذلك [illegible] من الأرض مالهم من حقوق في فلسطين [illegible] سياستهم التي رسموها لأنفسهم في البلاد العربية ومصالحهم [illegible]

وأول [illegible] من حقوق [illegible] على [illegible] العربي من الخليج العربي إلى البحر الأبيض [illegible] الاقتصادية [illegible] في شرق [illegible] سيطرتها على [illegible] إليها . [illegible] والاستقلال وكانت [illegible] في وقت قريب على التسليم بحقوق هذه الشعوب كما أنها لا [illegible] رغم [illegible] أثرها في [illegible] ولقد [illegible] قاعدة [illegible] سياسي في البلاد العربية وهذا ما دعاها إلى [illegible] في الأردن [illegible] من فلسطين حتى [illegible] كما طلب ذلك الأمير عبد الله في الاجتماع الذي تم بينه وبين تشرشل في بيت المقدس ، حتى لا تنطوي تحت القومية [illegible] منفصلة عن العراق وفلسطين [illegible] إلى [illegible] أن تستقل عن [illegible] في شرق الأردن من الناحية الاستراتيجية [illegible] للبلاد العربية [illegible] فلسطين [illegible] في شرق العربي [illegible] كاملا [illegible] على [illegible] في شرق الأردن وكان [illegible] في ذلك [illegible] إلى الأمير عبد الله [illegible]

[illegible] قبة إلى إمارته وكانت معان تابعة لولاية سوريا وكان
[illegible] وقد ضم الملك حسين منطقة معان إلى الحجاز بعد أن
[illegible] الحرب ، وقد [illegible] حسين [illegible]
[illegible] الأردن [illegible] أن تكون
[illegible] حكومة [illegible]
[illegible] الإمارة
[illegible] الأردن [illegible] هذا [illegible] حكومة [illegible]
[illegible] ترك [illegible]
[illegible] استقلالها في [illegible]
[illegible] شرق الأردن [illegible]
[illegible] وحدة الاستراتيجية [illegible]
[illegible]

[illegible]
الأردن [illegible] حكومة [illegible] الإمارة [illegible] في
٢٤ مايو سنة ١٩٢٣ لمناسبة [illegible] حكومة [illegible]
الأردن ، فقدم لها بذكر [illegible] الشعر الذي تم بين قومه والعرب والصداقة التي
[illegible] الأمن
[illegible] حكومته الاعتراف بكيان الإمارة تحت رئاسة
[illegible] الملك حسين في [illegible] الأمر حتى
[illegible] الدولية حيال شرق الأردن وذلك اتفاق
[illegible] الحكومتين

[illegible] سنة ١٩٢٨ [illegible]
[illegible] علاقة شرق الأردن بالحكومة [illegible] على
قواعد ثابتة أصبحت [illegible] الإمارة في [illegible] الاتفاق
في [illegible] الأردن [illegible] حكومة [illegible]

[illegible] حكومة [illegible] في [illegible]
[illegible] شرقي الأردن [illegible] حكومة [illegible] في [illegible]
[illegible] وشئون النقد ووراثة الحكم وتكوين
[illegible] وذلك في [illegible]
[illegible] الجمركية بين فلسطين وشرق الأردن
[illegible] في سبيل إعداد شرق الأردن [illegible] للمالك العربية المجاورة
[illegible] صاحب
[illegible] وذلك في [illegible] السابعة والثامنة ، ونص في مادته العاشرة على أن
يكون « لصاحب الجلالة البريطانية الحق في [illegible] في شرق الأردن
[illegible] في شرق الأردن [illegible]
للدفاع عن البلاد ولتأ[illegible]
[illegible] في الأردن [illegible]
بأن ينشأ أو يحتفظ بأي قو[illegible] بموافقة صاحب الجلالة البريطانية »

وتضمنت [illegible] اد التالية من النصوص ما يكفل سلامة تنفيذ المادة [illegible]
[illegible] والتشريعات اللازمة وإعلان الأحكام العرفية [illegible] كافة [illegible]
لتحركات [illegible]
توافق عليه الحكومة الدستورية التي نصت على إقامتها المادة التاسعة ، وصدر الدستور
الأردني في ١٦ أبريل سنة ١٩٢٨ من ثنتين و[illegible]
[illegible]
وورثته الذكور من بعده وفقاً لقانون الوراثة الخاص على أن يساعده مجلسان ،
مجلس تنفيذي من خمسة أعضاء يختارهم [illegible]
من موظفي الحكومة [illegible]
[illegible] أعضاء منتخبين
في المجلس التشريعي [illegible]
النسبي لمختلف العناصر في الإمارة [illegible]

تعرب ثلاثة أعضاء واحد [illegible] منتخبين [illegible] وأن يكون حق الانتخاب المدني لكل أردني من الذكور من غير البدو بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً .

وبهذا تحقق الكيان الدولي للإمارة [illegible] والاستراتيجية ، ولكن [illegible] في شرق الأردن [illegible] الأردنية وللدستور [illegible] وعقدت الاجتماعات [illegible] وعقدت مؤتمرات [illegible] الحكومة البريطانية لم تحسب حساباً له وغلب نفوس الأمارة على هواها ، حتى استجابت لبعض [illegible] الأمير عام ١٩٣٤ [illegible] شكليا لا يمس روحها العامة ، وأعلنت وزارة [illegible] عام ١٩٣٦ أنها توافق على أن يكون للأمير مجلس وزراء [illegible] القائم كما صرحت له بتشكيل قوات عسكرية كاملة وأن يكون له حق [illegible] القنصل في بعض البلدان العربية المجاورة

وتألفت أول وزارة في شرق الأردن في ٦ أغسطس سنة ١٩٣٩ برئاسة توفيق أبو الهدى وكان رئيساً للمجلس التنفيذي منذ تكوينه في ديسمبر سنة ١٩٢٨ فأصبح رئيساً [illegible] الخارجية واستمر رئيساً للوزراء رغم التغييرات [illegible] حتى أكتوبر عام ١٩٤٤ حيث خلفه سمير الرفاعي

في فلسطين

[illegible] قصيرة من تاريخها ، وحدة [illegible] وحدة سياسية [illegible] الدول [illegible] من الشعوب إلى الحروب أو من الحروب إلى الشعوب ، [illegible] من الحروب [illegible] كما أن الجغرافية [illegible] وكانت مساحتها [illegible] ١٣٫٧٢١ ميلا مربعا في عهد الانتداب

فكانت ١٠٤٣٢ كلم مربعا [illegible] في العهد [illegible]
عام ١٩١٩ سبعمائة ألف نسمة على وجه التقريب منهم ٥٦٨٠٠٠ من العرب [illegible] اليهود
فكان يبلغ عددهم [illegible] حوالي ٥٨٠٠٠ نسمة [illegible] أخرى كانت
أقرب إلى العرب منها إلى اليهود [illegible] في ١٩٣٨ فقد بلغ مجموع سكانها ١٠٤١٥٢٧
منهم ٩٨٩٥٠٠ عرب [illegible] من اليهود [illegible] في عام ١٩٤٥
إلى [illegible] ١٨١ [illegible] ١٢٤٠٨٥٠ [illegible] ٥٥٣٦٠٠ يهود [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] إلى أرض الميعاد في العهد الجديد.

وفلسطين ذات سطح جبلي إذا استثنينا السهل الساحلي الضيق الذي ينتهي عند منطقة
[illegible]
انحدارا شديدا نحو وادي الأردن المنخفض الشديد الحرارة، الذي يقوم مانعا صعب
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الملاريا في [illegible] أشارت [illegible] التوراة في سفر الملوك [illegible]
بجيش الملك [illegible] وادي الأردن [illegible] على أورشليم [illegible]:
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] التي كانت تعبر الوادي لمهاجمة شرق الأردن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بالعمليات الحربية

[illegible] وهى

[illegible] بها الإنجليز والفرنسيون عام ١٩٢٠ [illegible]

البحر فى خط يتجه شمالا شرقا [illegible] أعلى وادى الأردن إلى بانياس وينحرف جنوبا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الإنجليز [illegible] عام ١٩٢٢ [illegible] محافظة سيناء المصرية فى خط [illegible]

[illegible] البريطانية [illegible]

[illegible] تنقسم من الناحية الإدارية إلى قسمين ، القسم الشمالى

[illegible] عكا [illegible] صفد وطبرية والناصرة [illegible]

[illegible]

[illegible] يافا وغزة وبئر السبع

[illegible]

[illegible]

[illegible] الشرق فهى مركز الإلتقاء

[illegible]

[illegible]

[illegible] وبابل وفارس إلى الغرب وعبرت [illegible]

[illegible] المصرى [illegible] الفرس

[illegible] والصليبين وجحافل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لامبراطورية

[illegible] كما أنها على رأس الطريق الذى إلى

[illegible]

[illegible]

وعد بلفور بوطن قومي لليهود في فلسطين [illegible] التوفيق من مشاورات [illegible] الجديدة للتخلص من الإدارة الدولية [illegible] اتفاق سايكس بيكو [illegible] [illegible] على الطريق البري [illegible] السويس أهم شريان [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وبرهنت الأحداث [illegible] التي حلت بها الأرض المقدسة في تاريخها المعاصر ومازالت [illegible] القلق والحقد والعداء الذي تأصل بين العرب واليهود بسبب الجشع البريطاني الفاشل.

وقد جاء اهتمام بريطانيا بفلسطين [illegible] عاملين أولهما تطور النفوذ الألماني في الدولة العثمانية ومحاولات [illegible] الاستيلاء على [illegible] [illegible] وكان [illegible] [illegible] [illegible] في خط يمتد من عكا وحيفا على البحر [illegible] على البحر الأحمر ، ثم دفع الكولونيل [illegible] شبه جزيرة سيناء عام ١٩١٤ وأقنعت النتائج التي وصل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من ضرورة الرجوع إلى الملك حسين قبل أن يتقرر مستقبل فلسطين النهائي وفيما

وحجة [illegible] مكماهون أثناء مفاوضاته مع الحسين [illegible] فلسطين من المنطقة التي [illegible] بريطانيا [illegible] مع الحسين والعرب [illegible] تحفظات [illegible] فرنسا وهي المنطقة التي تقع إلى الغرب من دمشق وحمص وحماه وحلب

وقد زادت أهمية فلسطين في [illegible] عقب الحرب [illegible] في [illegible] السويس [illegible] سوري في [illegible] إلى السلطان في العام [illegible] على [illegible] كان [illegible] الحرب [illegible] على قوة [illegible] استراتيجية [illegible] بريطانيا [illegible] فرنسا في سوريا [illegible] السويس من خطر [illegible] الوطن القومي لليهود في فلسطين [illegible] من إدارة الدولية في فرضها اتفاق سيكس - بيكو ومن ثم بسط سيطرتها عليها

وقد [illegible] دون [illegible] في الاتفاق مع محمد علي على إنشاء مستعمرات زراعية لليهود في فلسطين [illegible] الاتفاق مع السلطان [illegible] الأجانب في الدولة العثمانية [illegible] كتاب [illegible] اليهودي عن الدولة اليهودية عام ١٨٩٦ [illegible] والاهتمام في [illegible] اليهود [illegible] مؤتمر [illegible] في مدينة بال بسويسرا بوضع القواعد الأساسية [illegible] في تحقيق فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين ووسائلها التي تتلخص فيما يأتي :

١ — الاستيلاء على الأرض و [illegible] على [illegible] عمال للزراعة والصناعة [illegible]

٢ — [illegible] الشتات يشكون

حيث [illegible] ودولة تعمل لهذا الغرض وفق القوانين المرعية في الدول المختلفة .

٣ — إيقاظ الوعي القومي لليهود .

٤ — العمل على تحقيق غرض الصهيونية و[illegible] لدى الحكومات [illegible] و[illegible] الأوروبية [illegible] ذلك .

و[illegible] هرتزل إلى [illegible] بنيل موافقته على [illegible] فلسطين وطنا قوميا لليهود ورأى السلطان عبد الحميد في إلحاح هرتزل وسيلة لتسخير اليهودية العالمية [illegible] في أوروبا [illegible] هرتزل [illegible] في [illegible] اليهود [illegible] للتمس [illegible] [illegible] [illegible] عن هذا [illegible] [illegible] في [illegible] ولكن [illegible] للعودة إلى [illegible] [illegible] هذا الغرض [illegible] الصهيونيين [illegible] عام ١٩٠٥ ، و[illegible] الصهيونيين لدى حكومة [illegible] في تركيا [illegible] من قبل .

ولما [illegible] الحرب الأولى [illegible] اليهود [illegible] حتى [illegible] تركيا الحرب [illegible] في تقوية [illegible] عنهم [illegible] [illegible] الحرب [illegible] دولة [illegible] ولكن [illegible] رئيس الوزارة الإنجليزية [illegible] الفكرة الصهيونية [illegible] وأعرض عنها [illegible] في قرارة نفسه [illegible] وطن قومي لليهود في فلسطين وهم من الأوهام ، وكتب [illegible] زيارة قام بها لفلسطين بعد ذلك بعشر سنوات يقول [illegible] كما اعتقدت من قبل أن [illegible] في إيجاد فلسطين وطنا قوميا لليهود ضرب من الأوهام » ولكن [illegible] جورج الذي تولى الوزارة [illegible] على [illegible] في الأسرة [illegible] الصهيونيين يدفعه إلى ذلك عاملان [illegible] تماما ، عامل سياسي وآخر [illegible] ، فأما العامل السياسي فهدفه [illegible] اليهود في [illegible] ، وأما العامل

الاستراتيجي وهو الأهم في نظر لويد جورج فيه [illegible] في الأمر [illegible] نظره من فلسطين واتحاد الصهيونيين [illegible] [illegible] ولكن [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] الصهيونيين لقبول الحماية البريطانية على فلسطين

وأدركت [illegible] الصهيونية ما يهدف إليه رئيس الحكومة البريطانية فعرفوا حريه وساروا في [illegible] [illegible] [illegible] تحقيق الأمل [illegible] [illegible] واللورد [illegible] سايكس الذي كلفه لويد جورج [illegible] مفاوضتهم في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تماما على إقامة إدارة دولية في فلسطين [illegible] [illegible] من فرنسا وبريطانيا [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] ووضع فلسطين تحت [illegible] [illegible] بريطانية [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] وطن قومي [illegible] [illegible] [illegible] الأماني الصهيونية [illegible] فرنسا دون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في فلسطين [illegible] [illegible] فرنسا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرئيس ويلسون [illegible] على [illegible] وطن قومي [illegible] [illegible] من نوفمبر عام ١٩١٧ [illegible] [illegible] [illegible] في صورة خطاب من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالصيغة الآتية :

« [illegible] [illegible] [illegible] حكومة جلالة الملك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وطن قومي لليهود في فلسطين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالحقوق المدنية والدينية للطوائف [illegible] [illegible] في فلسطين [illegible] [illegible] الحقوق و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اليهود في [illegible] [illegible] »

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] وافق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] يكون لليهود وطن قومي في [illegible] [illegible] [illegible] يكون [illegible] وطنا قوميا لهم كما كانوا [illegible] [illegible] يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] إلى مصالحهم في فلسطين ، [illegible] لا يكون في [illegible] حقوقهم
واستمرار [illegible] سياسة في [illegible] حتى [illegible] اليهود الآخرون
موقف [illegible] من [illegible] لا [illegible] أن [illegible] أفضل من [illegible]
لا يكون في [illegible] الوطن القومي [illegible] أخرى [illegible] اليهود [illegible]
[illegible] للتخلص منهم [illegible] على [illegible]

[illegible] اليهود في [illegible]
الحرب إلى [illegible] هذه اليهود [illegible]
أسباب [illegible] الأمريكي ، كما أن المصالح [illegible] الولايات المتحدة من التدخل
ما كانت [illegible] دليل ما كان من معارضة [illegible]
[illegible] الوطن القومي [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] اليهود [illegible]
ولم يكن أيضاً [illegible]
عدد من [illegible] كانوا من اليهود المعارضين [illegible]
[illegible] من [illegible] الأسباب [illegible] على [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] في فلسطين [illegible]
[illegible] ويمكن أن [illegible]
على نشرها وتوزيعها وحمل [illegible]
لأنفسهم والتدليل على ما [illegible]
[illegible] على [illegible] على [illegible]
[illegible] إلى هذا [illegible] حتى [illegible]
العرب على التسليم لهم خوفاً من الدول [illegible] في هذه
الدعاية ليحملوا العرب على عقد الصلح معهم ومسالمتهم .

حقيقة أن الصهيونية وقد نجحت في تحقيق [illegible] قد جعلت اليهود في مختلف [illegible] فأثاروا بذلك حربا من العنصرية [illegible] آثارها بعد ، فقد [illegible] ولكن [illegible] كانت في [illegible] العنصرية التي [illegible] الحديث [illegible] للقضاء على العنصرية والتعصب الديني ، وستكشف الويلات والمصائب التي دفعوا البشرية [illegible] العنصري والديني ، وتعلم اليهودية العالمية ذلك علم اليقين فتراها جاهدة في خلق المشاكل التي تشغل العالم عن التفكير في صنيعها ، وهي سياسة [illegible] [illegible]

[illegible] وعد بلفور [illegible] العرب [illegible] من [illegible] العرب [illegible] من [illegible] في حقيقة [illegible] بلفور [illegible] إلى الملك حسين واستطاع أن يقنعه بأن وعد بلفور لا يرمي إلى غير إسكان المضطهدين من اليهود في فلسطين دون [illegible] حقوق العرب [illegible] كما استطاع أن يزيل من نفوس العرب كل أثر للشك في صدق [illegible] نوايا اليهود الطيبة لمن اجتمع بهم من العرب أثناء مروره بالقاهرة في طريقه إلى [illegible] في [illegible] سنة ١٩١٨

وكان [illegible] ولا تمكن أن [illegible] على وجه [illegible] التي كانت [illegible] البرامج الصهيونية عن الوطن القومي لليهود في فلسطين . فما كانت السياسة [illegible] مصالحهم وقد كانت [illegible] في السياسة الدولية [illegible] وكان من [illegible] للإمبراطورية [illegible] التي ارتفعت في أعين البريطانيين

إلى مكان القداسة في تعاليمه وآدابها وحضارتها القديمة ، فقد أثبتت الحرب التي مرت بها
على بذل الوعود وإبرام الاتفاقيات المتناقضة بغير حساب وخرجت منها منتصرة
وأخذت تساوم الفرنسيين على ما أقرته لهم من حقوق في الاتفاقيات السرية وجعلت
سياستها في الوقت نفسه موجهة للحصول [illegible] العرب من ناحية واليهود من
ناحية أخرى ، وكانت من قبل [illegible] ، وقد سخرت كلا من اليهود والعرب لمصلحتها في
الحرب الدائرة [illegible] اليهود [illegible] على العرب ولا يكون ودها
لهم أكثر من ودها للعرب ، فهي قد تنكرت للعرب وتنكرت في الحقيقة
دعواه لكل [illegible] اليهود وعرب [illegible] فقد كان للعرب ثمة شريف لهم عندها
حق لولائه والوفاء [illegible] كان الحسين [illegible] من شيوخ القبائل [illegible]
[illegible] حقوقه [illegible] عرف [illegible]
[illegible] فما كان اليهود [illegible] شعب [illegible]
وشعب [illegible] كان [illegible] من [illegible] وما كانت [illegible] دولة ولا [illegible] ولا
[illegible] وكان هؤلاء [illegible]
للصهيونية في كل مراحلهم [illegible] صهيونية من [illegible]
الحلفاء خلال الحرب فقد خدمها العرب بدورهم .

وكان من الحق على بريطانيا أن [illegible] تنكرت للعرب وكذا [illegible] على
الفرنسيين [illegible] في سوريا [illegible] فلابد وأنها كانت تسعى غير مصلحة
الإمبراطورية [illegible] كانت قد [illegible] الوطن القومي لليهود في فلسطين وأصدرت
وعد بلفور [illegible] على [illegible] وظفرت بموافقة الرئيس ويلسون عليه فلأنها
أرادت أن [illegible] الخلاص من الإدارة الدولية لفلسطين ، كما وقد ظفروا
ببغيتهم وسلمت لهم فرنسا في اتفاق لويد جورج ـ كليمنصو بالانتداب على فلسطين
وقد [illegible] لهم مصلحة أخرى في قيام الوطن القومي لليهود [illegible] وفي سبيل هذه
المصلحة صدر قرار الانتداب وقد أدمج في مقدمته وعد بلفور [illegible] له من
الحرمة والقداسة ما للمعاهدات الدولية وأشار [illegible] إلى حقوق اليهود
تحت إدارة الانتداب [illegible] لاعتراف بهيئة يهودية [illegible] الإدارة الانتدابية
في كل ماله علاقة بإنشاء الوطن القومي اليهودي من الشؤون الاقتصادية والاجتماعية

وعرفه، كما أشارت إلى واجب إدارة الانتداب في تسهيل هجرة اليهود إليه، ثم هذه الصفحة التي عنه الإعلان. وعلى من قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين فهو ضمان لنفوذهم في البلاد العربية فقد كانوا يحسبون تقدم الوعي القومي ونمو عراقته في بث البلاد وما يكشف عنه كل يوم من خطر ليست في صالحهم، فإذا أقاموا لليهود وطناً في فلسطين فقد أوجدوا في البلاد العربية قوة يمكن أن تكون عوناً لهم على العرب إذا ما خرج هؤلاء عليهم، أو تكون وسيلة لبسط نفوذهم على البلاد العربية واليهود مهما بلغت قوتهم تستطيع حكومتهم ملاحقتها بين سد دونه كبرى يعتمدون عليها في مجابهة العرب، كما يعتمدون عليها في دعم كيانهم الاقتصادي والقومي، ثم أن في قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين ما يشغل العرب عن قضاياهم الوطنية أو الذرع لمشاكلهم الداخلية والخارجية، وقد خرج الإنجليز لليهود حدودهم فجعلوا من حولهم إمارة شرق الأردن لتكون وسيلة لحصد شوكتهم وتهديدهم، إذا ما خرجوا عليهم أو عصوا أمرهم.

وأخطأت وفي بريطانيا في سياسة شرق الأوسط قد في سدود على نفوذهم بها، وما استطاعت أن تحد منهم أو تملك نفوذها في البلاد العربية أو أن تحد من هيامة الثورات القومية فيها إلى أن أصبحت إلى عوامل العداء للعرب لم يصبح عاملا جديداً كان سبباً في القلاقل والاضطرابات وثورة النفوس وغليانها في تلك المنطقة الحساسة من مناطق الخطر في العالم.

وعمل أبناء صهيون لأنفسهم ولأهدافهم من وراء الأمر وسحروا من الطمع البريطاني وسيلة لتحقيق مراميهم حتى إذا استعدوا أغراضهم انقلبوا على حماتهم ومؤيديهم بالأمس وراحوا يصلونهم من نيران غضبهم وحقدهم ما يحمل على تصفية النفوذ البريطاني في فلسطين، فقد رأى اليهود أخيراً أن الاحتلال البريطاني يحول بينهم وبين قيام إسرائيل المأمولة وإعادة بناء صهيون فشنوها حرباً لا هوادة فيها ضد الإنجليز حتى حملوهم على الجلاء عنها في منتصف عام ١٩٤٨

وحقق تأييد بريطانيا لليهود نوعاً من انعدام النفوذ لها في البلاد العربية لم تحسه

في غمرة شعورها بالانتصار وحدها في سياسة الشام في صلح السلام الذي انعقدت دعائمه في فرساي وبقي الشك عند العرب في نوايا بريطانيا وصدقها حائلاً يمنع من قيام علاقات ودية بينها وبينهم . ولا شك أن خيانة بريطانيا لعهودها مع العرب وإنكارها حقوقهم وأمانيهم الوطنية والقومية قد قضى قضاء تاماً على إمكان قيام علاقات ودية بينهم وعجل بانهيار نفوذها في بلدان الشرق الأوسط ، ذلك النفوذ الذي يحتضر في غمرة الأحداث الدولية الحاضرة والذي لا ترجى له قيام بعد الآن

ولم تكتف بريطانيا بمجانبة العرب والتنكر لعهودها ووعودها ، بل تنكرت أيضاً هي وفرنسا لعصبة الأمم التي أقاموها غرض سلامهم المزعوم على العالم ولم يكن هناك وجود حقيقي في المجتمع الدولي لغيرها أولا ولعصبة الأمم ثانيا بعد أن صيغ ويلقون لعبة بقيادة أمثال كليمنصو الفرنسي ولويد جورج الإنجليزي ، حيث وقف أعضاء مجلس الحلفاء الأعلى في مؤتمر الصلح يتفرجون وكأنهم أعضاء شرف في ندوة من ندوات التمثيل وخلقت الوثائق نفسها تبدو فيه ملامح المطامع الإنجليزية والفرنسية واضحة جلية .
وجاء الانتداب البريطاني والفرنسي في البلاد العربية صورة واضحة لهذه المطامع فكان أن جاءت الوثائق الدولية وعهود عصبة الأمم تنص في المادة الثانية والعشرين من ميثاق العصبة على أن تقتصر مهمة الدولة المنتدبة وذلك في حالة الشعوب المتقدمة التي كانت تحت حكم الأتراك ، على تقديم المساعدة وإسداء المشورة حتى تستطيع تلك الشعوب أن تصل إلى المرحلة التي تؤهلها للاستقلال التام وتولي أمورها بنفسها كما نص على وجوب مراعاة رغبات هذه الشعوب في اختيار الدولة التي تنتدب لها .

ولم ترع الدولتان المستعمرتان هذه الشروط وجعلتا من الانتداب بديلا عن الاستعمار ولم تحترم رغبات الشعوب في اختيار الدولة المنتدبة ، وظهر التناقض والتضارب بين هذه المثل الإنسانية الرائعة التي أعلنها الميثاق وبين الاعتراف بوعد بلفور وإهدار حقوق اليهود في فلسطين فإن في هذا الاعتراف عدواناً صريحاً على حقوق العرب ومقدساتهم الدينية والمدنية أشارت إليه لجنة كنج وكرين ، وحذرت من فتح باب الهجرة على مصراعيه للصهيونيين وكشفت عن الهدف البعيد من

إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وهو إنشاء دولة صهيونية لا يمكن أن يتم إنشاؤها دون أن تمس حقوق المواطنين فيها من غير اليهود لأشد أنواع العدوان. وقد حاولت لجنة كنج وكرين فلسطين وهي تؤمن بدعوى الصهيونية وخرجت منها وقد عرفت أهداف الصهيونيين الحقيقية وهي الاستئثار بفلسطين وإجلاء مواطنيها عنها وإقامة دولة يهودية فيها فاستنكرتها وطالبت في تقريرها بوضع حد للأطماع الصهيونية وتحديدها بما يربطهم بفلسطين من صلات روحية وحذرت من تشجيع هجرة اليهود إليها وبينت أن تنفيذ البرنامج الصهيوني لن يتم إلا قهراً وبقوة السلاح وليس من المعقول أن يستخدم الحلفاء السلاح لتنفيذ قرارات جائرة.

ولم تغب هذه الحقائق لا عن الحكومة الإنجليزية ولا عن الصهيونيين فعملوا جميعاً على كسب موافقته ولو ضمنية من ذلك الحين على إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين وسعوا سعيهم لدى فيصل علّه يحمله على إرادة أمته ولكن فيصل كان كأمته في رفض المشروع وإن خضع في الطريقة والأسلوب فقد قيد الاعتراف بالوطن القومي لليهود في فلسطين في اتفاقه مع وايزمان بموافقة الحلفاء على قيام الدولة العربية الموحدة بشملها في الحدود التي جرى بها اتفاق الحسين - مكماهون، وفشل سعي وايزمان وعقد المشروع دون موافقة العرب أو استشارتهم.

وكان الاستفتاء الذي قامت به لجنة كنج وكرين في البلاد العربية هو الاستفتاء الوحيد الذي تم لتعرف آراء العرب والوقوف على حقيقة رغباتهم وكان من الممكن أن يكون أساساً لتنفيذ ما نص عليه عهد العصبة من تعرف رغبات الشعوب في البلاد التي كانت تابعة للدولة العثمانية أو أن يجري استفتاء دولي آخر يؤيد قرارات اللجنة الأمريكية أو ينقضها، ولكن الحلفاء لم يأخذوا بتقرير لجنة كنج وكرين ولم يقوموا باستفتاء آخر تنفيذاً لعهد العصبة وساروا في سياسة الانتداب وفي تنفيذ وعد بلفور وفق أهوائهم ومراميهم الخاصة وقرروا الانتداب البريطاني على فلسطين والعمل على تحقيق فكرة الوطن القومي لليهود فيها، فإذا كان صدور وعد بلفور في نوفمبر سنة ١٩١٧ هو البداية النظرية لمشكلة فلسطين فإن صدور قرار الانتداب

في أبريل سنة ١٩٢٠ وموافقة عصبة الأمم عليه في يوليه سنة ١٩٢٢ هو البداية الحقيقية والإخراج العملي لها .

وبرزت هذه المشكلة في صورة نضال رهيب بين العرب الذين يدافعون عن أرضهم ومقدساتهم واليهود الذين يدعون في الأرض المقدسة حقوقاً وملكاً يرجع إلى ما قبل عشرات من القرون ويتسم هذا النضال بقوة الدوافع الروحية والمادية التي تدفع كلاً من الفريقين كما اتسم باتصاله بقوى خارجية قدر لها أن تكون حكماً بين المتنافسين وقد ت… في هذا النضال عصبة كل من الفريقين دورها القوي لتعقد من موقف النزاع وكانت تقف وراء كل فريق منهما عصبيته وعنصريته … ونزعته و دعوته … المشكلة في … هذه الصورة من … العنصري بين العرب واليهود لا في فلسطين فحسب وإنما في مختلف أنحاء العالم الخارجي

وتطور المشكلة في ثلاث مراحل متعاقبة اتصف كلها في العوامل الأساسية التي كونت وجودها واختلفت في قوة هذه العوامل … في كل مرحلة … على حدة … جديدة … تسيطر على … وتلون كل مرحلة في تناولها . وقد بدأت المرحلة الأولى بسعي الصهيونية لتهويد فلسطين وترجع إلى جهود … و… الأولى وتتطور بإعلان وعد بلفور وتنتهي باعتراف عصبة الأمم بالوطن القومي لليهود في فلسطين وتتسم بحشد المؤتمرات … التي قام بها الصهيونيون لتحقيق فكرتهم . وأما المرحلة الثانية فهي التي تبدأ بقيام الانتداب البريطاني في فلسطين وتتسم بإصرار بريطانيا على تنفيذ تعهداتها للصهيونيين وبالثورات التي قام بها العرب ضد اليهود والعداء الذي أصبحت جذوره في نفوسهم للإنجليز وإقبال المهاجرين اليهود من مختلف بقاع العالم على فلسطين وامتلاك … مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في أيديهم وتنتهي بإعلان سياسة الإنجليز الجديدة حيال المشكلة الفلسطينية في الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ وتبدأ المرحلة الثالثة بقيام الحرب وتحول … الصهيونية عن التعاون مع الإنجليز وإعلان مقاومتهم لسياسة … بعد الحرب … الولايات المتحدة كعنصر جديد في المشكلة ونهاية الانتداب البريطاني على فلسطين وقيام الحرب النظامية بين الدول العربية واليهود وتنتهي بإعلان دولة

إسرائيل لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل تطورها دونت حوادثها في صميم نفسي

والمرحلة الثانية هي أهم هذه المراحل الثلاث جميعا فهي التي شهد خلالها المكتب العملي للدعاية اليهودية كما رسموا خطوطهم في مؤتمرهم الدولي عدة مثل سويسرا وكانت الجهود في هذه المرحلة أكبر نصير للصهيونيين وساعدوا غيرها لهم حق آخر نظرة من الصفة البريطانية ولم يصبح البريطانيون من عطفهم إلا على تحقيق المطامع التي تبدى في مصالحهم بإعانات العرب وغيره الصهيونية التي أحدث شيء من أهدافها في إقامة دولة يهودية لها كيانها الذي يستند إلى عودة اليهود في العالم من يحب نظرها السياسة خططه في مناطق اليهود وسيلة لدعم نفوذها في البلاد العربية وسيادتها في الشرق الأوسط .

وشهدت هذه المرحلة من بعث المقاومة العربية في الدفاع عن الوطن والأرض ومقدسات ... لهم ... جهودهم من فشل وما كان عليه حقيقتهم من ... واضطراب وما انساق إليه بعضهم من بيع أراضيهم . أما فشل جهودهم فقد كانت ... وقوف ... لا ... المقاومة في جانب اليهود ونصارى لهم ، وتشتت خططهم واضطرابها فإن الجبهة التنفيذية العربية التي انتخبت بعد المؤتمر السوري العام في دمشق وقدر ... تعود مقاومة العربية لم تكن تستند إلى كل مادي من القوة المنظمة أو من عون شعوب العربية التي سقطت تحت حكم ... وقضاياها الوطنية ، ولم يكن لها من سبيل للمقاومة إلا عقد المؤتمرات وإصدار البيانات والاحتجاجات الرسمية دون ... في خطة عملية لإنقاذ الأراضي من تسرب إلى أيدي اليهود ، فقد عجز ... على كل سياسة حكيمة رشيدة وعجزوا ... جهودهم ... عن ... حيازة أراضيهم ، ولم ... لأهل فلسطين فشل جهودهم فإنه لا ... لهم ... مقاومة ... الصهيونية التي ترمي إلى تملك الأرض وحيازتها ... في أن الأرض التي ... لليهود كانت ... الملاكين ... كانت فلسطين جزءا من ولاية بيروت في العهد العثماني وقد عمدوا إلى بيع أراضيهم في العهد الجديد بأبخس الأثمان ، كما أن جزءا من هذه

الأراضي التي اشتراها اليهود كانت ملكاً لبعض الفلسطينيين المقيمين خارج فلسطين [illegible] دوا
الانتفاع بأثمانها فرصة في استثمارها [illegible] وهناك فئة من الفلاحين اضطرت إلى
بيع أراضيها تحت إغراء الأثمان الباهظة التي دفعها اليهود. ولكن هذا كله لا يبرر
[illegible] الدعاية المغرضة الاستعمارية بانتقال الملكية الزراعية إلى أيدي اليهود وهي
الأساس الذي قامت عليه سياستهم لتهويد فلسطين وإن كان عددهم الأكبر في [illegible]
لا [illegible] بقوى [illegible] في ملكها اليهود ولا تستند إلى معونة مالية خارجية كالتي
يستمدون [illegible] وتقصر مواردهم المالية عن [illegible] العمل. كما أن [illegible] حتى
[illegible] أن [illegible] أكثر [illegible] الماضي [illegible] على
الدراسة [illegible] الصحيحة [illegible] واسم [illegible] ووحدة الشعور
و [illegible] أكثر [illegible] العرب [illegible] وحدة
الشعور بين عرب فلسطين كأقوى ما تكون ولم يستطع اليهود أن [illegible] بهم [illegible]
[illegible] في نفوسهم ويعبرون بجور الفرقة والعداء الطبق
بين صفوفهم [illegible] في مقاومة الصهيونية مقاومة [illegible]
[illegible] وحتى من شعور [illegible] على [illegible] دون [illegible]
[illegible]

وقد عمل [illegible] اليهود في فلسطين [illegible] العرب حتى لا [illegible]
[illegible] عن [illegible] القومي [illegible] في [illegible] فلسطين
[illegible] أسبابهم [illegible] العرب
واستمرار [illegible] تلك [illegible] في القدس [illegible] عام ١٩٢٠
حتى عام ١٩٢٩ عندما عمت الفتنة أكثر مدن فلسطين لأسباب تافهة ما كانت تكفي
وحدها لإثارة [illegible] ووقوع [illegible] كل [illegible]
ووقفت سلطة الانتداب إلى جانب اليهود تحميهم وتسلحهم [illegible] من [illegible]
[illegible] العرب [illegible] من الاستقرار [illegible] تحقيق
أهدافهم ووقعت بعض هذه الاضطرابات في [illegible] الانتداب
وكانت السلطة العسكرية البريطانية هي التي تقوم بالحكم في فلسطين [illegible]

للأعمال العامة في دوائر الحكومة بين تنفيذ وعد بلفور وما أثار من روح العداء العنصري بين الطائفتين حتى إذا صدرت قرارات الانتداب اتخذ هذا العداء العنصري واشتد سعيره فسطر هذه الخطوط الدامية في تاريخ فلسطين

ولم يكن هذا العداء العنصري أثرا من قبل فقد عاش العرب واليهود في جيرة رضية طوال قرون متعاقبة تجمعهم أواصر قوية من الوئام والألفة لم يكن لها ضريب في بلدان الغرب التي حفل تاريخها بالعداء لليهود والتنكيل بهم واضطهادهم ولكن هذا العداء الجديد كانت له عوامل عديدة كان أثرها قويا فيما اتسم به من مرارة وعنف ووحشية فقد عز على العرب أن يصبح اليهود سادة أراضيهم وبلادهم وأن تكون لهم هذه القوة الجديدة التي يدلون بها ويتفوقون على العرب ووجد اليهود في الانتداب عونا لهم فيه كل التحدي الذي بادرتهم من قبل فصبوا عليهم جام حقدهم وسمومهم الذي دارته القرون والأحقاب وغلفته بطبقة من الذل والمسكنة فكان انتقامهم من العرب انتقاما لكل ما نزل بهم من ضروب العذاب على أيدي دول الغرب وكانت هذه الروح الدامية التي ظهرت في عملهم ضد العرب واعتدائهم على الأطفال والشيوخ والنساء بعيدا عن المسكنة التي حل بهم في تاريخهم طوال حين

وبدأت بريطانيا في تطبيق سياستها المرسومة لفلسطين بعد إعلان قرارات المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو بانتدابها عليها فشرعت بإلغاء الإدارة العسكرية وقيام حكومة مدنية على رأسها اللورد اليهودي الإنجليزي هربرت صموئيل مندوبا ساميا للبلاد فيها وكان من مؤيدي الوطن القومي لليهود في فلسطين ولعب دورا بارزا في إصدار وعد بلفور وقد قام عقب إعلان الحكومة الجديدة بإذاعة بيان رسمي عرض فيه سياسة البلاد ومسئوليتها الجديدة في فلسطين بعد اضطلاعها بالانتداب عليها والتعهد بإنشاء وطن قومي لليهود فيها وصدر تصريح ونستون تشرشل وزير المستعمرات في يوليه سنة ١٩٢٢ تأييدا لوعد بلفور وبيان هربرت صموئيل ولم تكن وثيقة الانتداب قد عرضت بعد في مجلس عصبة الأمم، فلما صدرت عواقبها وقد أدمجت وعد بلفور في مقدمتها أصبح للوطن القومي لليهود في فلسطين كيان دولي وقانوني وقام هربرت صموئيل حين إعلان الحكومة الجديدة بتكوين مجلس

استشاري من الموظفين البريطانيين وممثلي المسلمين والمسيحيين واليهود . وقد وضع نظام الإدارة الجديد لفلسطين ونص على قيام مجلس تشريعي بدل المجلس الاستشاري يمثل فيه البريطانيون بإحدى عشر عضوا من موظفي الحكومة واثني عشر عضوا منتخبا يمثل الطوائف المختلفة فيكون للعرب منهم ثمانية أعضاء ويمثل كل من المسيحيين واليهود عضوان . وقاطع العرب انتخابات المجلس التشريعي على أساس أنهم لا يمثلون فيه أغلبية صريحة بين الأعضاء لأنهم سيمثلون رأي الحكومة التي تنفذ سياسة الوطن القومي وتيسير الهجرة لليهود وامتلاك اليهود للأرض وهم بالإضافة إلى الأعضاء اليهود أغلبية المجلس ولما لم تشكل المجلس التشريعي اقترحت الحكومة البريطانية إنشاء هيئة عربية تكون مماثلة للوكالة اليهودية ولها حقوقها ورفض العرب هذا العرض حتى لا يكون في قبوله اعتراف منهم بوضع الوكالة اليهودية أو المساواة باليهود .

ولم تقتصر وثيقة الانتداب على تدعيم وعد بلفور في مقدمتها بل تضمنت بنودها كل ما يحقق إنشاء الوطن القومي فقد نصت مادته الثانية بأنها مسئولة بوضعها عن الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية التي تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي كما نصت المادة الرابعة على الاعتراف بالوكالة اليهودية كهيئة عمومية ومنحتها كثيرا من الحقوق والمزايا الاجتماعية والاقتصادية والإدارية ما جعل منها قوة هامة تشترك في حكم البلاد وتدير بأداة السيادة شئون الهجرة اليهودية في فلسطين وتنظيمها وتسيرها بإشراف الهيئة اليهودية ومساعدتها ، وقد تم في عهد ذلك رسميا في سبتمبر سنة ١٩٢٣ وإن كان تنفيذها الفعلي قد بدأ قبل ذلك في أوائل سنة ١٩٢٠ فأخذت وفود اليهود تترى على فلسطين وتتزايد عاما بعد عام منذ ذلك الوقت حتى بلغ عدد الوافدين المهاجرين ٥,٥٠٠ في عام ١٩٢٣ بعد ما هبط من ٧,٤٠٠ مهاجر ازداد حتى وصل إلى ١٢,٨٠٠ مهاجر عام ١٩٢٤ ووقف على ٣٣,٨٠٠ مهاجر في عام ١٩٢٥ .

ولم تر العرب منفعة من سياسة الانتداب فثاروا على توافد هذه الأعداد الوفيرة من اليهود إلى بلادهم لقد ظهر لهم جليا أن القصد منها هو تغليب اليهود على

العرب وزيادة عدد المهاجرين إلى فلسطين من اليهود حتى يفوق عددهم عدد العرب ويتم لهم السيطرة على البلاد بحكم كثرتهم العددية أولا ثم نشاطهم الإقتصادي والصناعي الذي يفوق نشاط العرب بمراحل [illegible] يهبط مستواهم في هذا المجتمع الجديد إلى مستوى آخر، وخصوصا بعد أن يسيطر اليهود على ما يملكونه من أراض زراعية بمختلف الوسائل والحيل [illegible] ولا يبقى لهم بعد ذلك في البلاد من كيان غير كيانهم التاريخي المسلوب.

ونهض العرب من قعودهم ثائرين بالاضطرابات [illegible] يقومون بها ضد الدولة المنتدبة والسياسة الصهيونية، وثارت تلك الاضطرابات في سنة ١٩٢٩ إذ كانت تقع بينهم وبين اليهود، ولكن سلطة الانتداب استطاعت أن تقمع هذه الحركات الثورية وتوطد النظام في البلاد حتى كان عام ١٩٣٦ عندما قام أهل فلسطين عن بكرة أبيهم في ثورة عارمة يحاربون الصهيونية وسلطة الانتداب معا وسرت في البلاد حركة نادرة من [illegible] [illegible] [illegible] وتطوعوا [illegible] وناصروا إخوانهم في فلسطين يشدون أزر أخوانهم. وجاءت هذه الثورة نتيجة عاملين أولهما اشتداد الهجرة اليهودية في الأعوام الأخيرة وكانت قد [illegible] حتى سنة [illegible] ووقوع الأزمة [illegible] التي عمت العالم بين الحربين، وتسبب عن ذلك ارتفاع [illegible] ١٩٣٣م عقب [illegible] الاضطهاد النازي في ألمانيا ضد اليهود وإقبالهم على الهجرة فكانت فلسطين موئلهم الذي يفدون إليه، ودخل معظمهم البلاد خفية أو عن طريق الهجرة المشروعة وقد بلغ عدد المهاجرين إلى فلسطين من اليهود عام ١٩٣١ ما يقرب من ٤٠٠٠ مهاجر فقط إلى أن [illegible] في سنة ١٩٣٣ حتى إذا كان العام التالي وصل إلى ٤٦٠٠٠ مهاجر وإلى ٦٠٠٠٠ مهاجر في العام الذي يليه. أما العامل الثاني فهو يأس العرب من العدالة البريطانية وتحيز الحكومة المنتدبة لليهود وفشل المحاولات التي [illegible] الحكومة البريطانية بتحقيق أسباب ثورات العرب والوصول إلى حل يرضيهم ورفض الانتداب إلى [illegible] به العرب وتتلخص في وقف الهجرة ومنع بيع الأراضي إلى اليهود وقيام حكومة ديمقراطية في فلسطين وقد [illegible] الأحزاب العربية جميعها وتقدمت بها إلى المندوب السامي في نوفمبر سنة ١٩٣٥.

وشهدت السنوات التي سبقت قيام الثورة نمو الأحزاب السياسية لعرب فلسطين فتكون حزب الاستقلال عام ١٩٣٢ وكان يعبر عن وحدة العرب التي تمسك بها أهل فلسطين وعمدوا لأجلها لمؤتمرات مابين دمشق والقدس واستمروا يعملون في سبيلها بزعامة موسى كاظم الحسيني حتى وفاته عام ١٩٣٤ فاتخذ الوعي السياسي بين عرب فلسطين وجهة جديدة هي أن قامت عدة الأحزاب السياسية التي تكونت بعد ذلك ، وتكون حزب الدفاع الوطني في ديسمبر سنة ١٩٣٤ برئاسة راغب النشاشيبي والحزب العربي الفلسطيني برئاسة جمال الحسيني في مارس سنة ١٩٣٥ وحزب الإصلاح العربي في يونيه والكتلة الوطنية في فلسطين في نفس العام . ورأى زعماء هذه الأحزاب أن وحدة الغرض الذي انصبت من أجله لا تتفق وتعدد أحزابهم فاتجهوا إلى توحيد جهودهم وكانت النتيجة أن تقدموا إلى المندوب السامي في نوفمبر سنة ١٩٣٥ بأول أثر لوحدتهم الجديدة ، ولم تمض سنة أو على قيام الثورة حتى اتحدت هذه الأحزاب في هيئة واحدة برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين عرفت باسم الهيئة العربية العليا

وحدثت الثورة في قطاع نابلس طولكرم جنين في ١٨ ابريل سنة ١٩٣٦ وعمت كل جهات فلسطين في يوم واحد ، وانتشرت في يافا وحيفا والقدس ، وتكونت الهيئة العربية العليا من الأحزاب الثلاثة وعقدت مؤتمرا مع المندوب السامي وهي لا تخرج عن المطالب التي تقدم بها زعماء الأحزاب من قبل ، ولا تخرج عن أهداف عرب فلسطين جميعا وهي قيام حكومة ديمقراطية للبلاد ووقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنع بيع الأراضي لليهود ورفضت الهيئة العربية العليا وقف الثورة دون تحقيق هذه المطالب ولكن حكومة فلسطين بدلا من أن تمنع الهجرة ، صرحت بقدوم مهاجرين جدد فوق العدد المقرر .

وتجددت الثورة طبعا عندما عملت الحكومة البريطانية على التمسك في فرضها فأعلنت عن تكوين لجنة ملكية برئاسة لورد بيل للتحقيق في أسباب الثورة والنظر في مطالب أهل فلسطين من العرب واليهود على أن يسبقها سكون الثورة والهدوء . ولكن الثورة اشتدت عنفا ورفضت الهيئة العربية العليا دعوة

الثورة إلى الهدوء ولكنها تخلت عن إصرارها بعد توسط ملكي العراق والمملكة العربية السعودية وأمير شرق الأردن . فلما خرجت اللجنة إلى فلسطين في الخامس من نوفمبر سنة ١٩٣٦ وفي نفس اليوم أعلنت وزارة المستعمرات عن قبول مهاجرين جدد خلال ستة أشهر قادمة بمعدل ١٫٨٥٠ مهاجر كل شهر ، قامت الهيئة العربية العليا بالاحتجاج واستمرت على موقفها حتى اقتنع رجالها بضرورة عرض قضيتهم على اللجنة نزولا على نصيحة ملكي العراق والمملكة العربية السعودية ، فاتصلوا بها وعرضوا مطالبهم عليها خلال بضعة الأيام القليلة التي سبقت رحيلها .

ولم يكن اهتمام بريطانيا بقضية فلسطين نابعا من اشتعال الثورة فحسب ، فقد كانت تعتقد أنها لا تستطيع أن تخمدها أو إنها قادرة على إخمادها بوسائلها الملتوية أو الصريحة ، ولكن عنف الثورة والخسائر التي نزلت بالإنجليز حملاها على التفكير في مستقبل هذه المنطقة الهامة من بقاع الشرق الأوسط في الوقت الذي ، كثرت فيه حوادث المنافسة الدولية إثر هجوم إيطاليا على الحبشة وتحديها لبريطانيا ومن ورائها عصبة الأمم وإعلان موسوليني زعيم إيطاليا الفاشية حقوق إيطاليا التاريخية في البحر الأبيض المتوسط ، ثم قيام النازي في ألمانيا بتحطيم قيود معاهدة فرساي وإعلانهم سياسة القوة لتنفيذ أهدافهم مما ينذر بحرب عالمية جديدة ، ولم تجد بريطانيا بدا من مهادنة عرب فلسطين وهم يمثلون قطاعا من العالم الإسلامي على قضيتهم ومناصرة الشعوب العربية لهم ، كما سبقت إلى ضرورة الوصول إلى حل مشكلات كلها المتعلقة مع دول الشرق الأوسط سواء منها ما كان خاصا بنفوذها أو بعيدا عنه ، وكان إرسالها تقرير اللجنة الملكية وهي التي عرفت بلجنة بيل اعترافا صادقا منها بضرورة الوصول إلى حل مشكلة فلسطين

وقد بذلت اللجنة في تحقيق مشكلة فلسطين ما استطاعت من جهد ووسائل وكانت أقرب إلى الإنصاف في إبراز الحقائق من غيرها ولكنها خضعت للدعاية الصهيونية في النتيجة التي وصلت إليها والحل الذي نادت به فهو يضعف مطالب العرب بقدر ما يضعف حقهم وسلامة قضيتهم فقد عرضت لحق العرب في الحرية والاستقلال وإقامة حكومة ذاتية أسوة بإخوانهم في البلاد العربية الأخرى ولم تنكر عليهم هذا

الحق ولكنها رأت فيه إخلالا بتعهدات بريطانيا لإنشاء الوطن القومي اليهودي كما رأت في إيقاف الهجرة اليهودية بفلسطين عدوانا يهوديا حتى ينتهي أمره بالتفوق على الأكثرية العربية واغتصاب حقوقها وانتقدت الأساليب التي جرت عليها بريطانيا في تطبيق سياسة الانتداب وسارت في تحليل هذه السياسة حتى انتهت إلى أنها غير قابلة للتطبيق وأن الانتداب كما ثبت نتائجه تجربة فاشلة ، ثم رسمت تصميما في علاج المشكلة دستورا يهدف إلى تحقيق ثلاثة أمور [illegible] وهي أن يكون المشروع قابلا للتنفيذ ، وأن يتفق مع تعهدات بريطانيا ، وأن ينصف العرب واليهود » ، ولم تجد حلا لذلك أنجع من اقتراح التقسيم فيكون السهل الساحلي لليهود والجزء الباقي للعرب على أن يضم إلى شرق الأردن ويكون منهما دولة واحدة يصلها بالبحر ممر [illegible] وأن تعقد كل من هاتين الدولتين مع بريطانيا معاهدة تصطلح فيها عهدة الانتداب ، أما الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم والناصرة فتبقى تحت حكم الدولة المنتدبة مباشرة

والملاحظ في هذا المشروع أنه اعترف بحق اليهود في إقامة دولة يهودية ، فحقق أحلامهم إياه وعد بلفور ولم تشر إليه وثيقة الانتداب ، ثم إنه قسم بلادا مساحتها ضيقة من الأرض إلى ثلاثة أقسام منفصلة وإنه جعل من الدولة اليهودية بوضعها المقترح فاصلا بين البلاد العربية في جنوبها وشمالها ، ولم يقبل العرب هذا المشروع واستنكروه ، أما اليهود فقد لقي عندهم أكثر [illegible] المؤتمر الصهيوني الذي عقد في زيورخ في أغسطس سنة ١٩٣٨ [illegible] واستأنف مواصلة الجهود مع الحكومة البريطانية للوقوف على التفصيلات المقترحة لإنشاء الدولة اليهودية

وعرض مشروع التقسيم على مجلس العموم فقرر عرضه على لجنة الانتدابات الدائمة بعصبة الأمم فأيدته مبدئيا ولكنها لم تحبذ استقلال الدولتين وفضلت بقاءهما تحت الانتداب مؤقتا ، وطلبت إلى الحكومة الإنجليزية موافاتها بتفصيلات المشروع ، فألفت لجنة فنية برئاسة وودهد لدراسته ووضع التفصيلات اللازمة له وقامت لجنة وودهد بعملها في جو من القلق والثورة فقد تجددت الاضطرابات في فلسطين وشبت الثورة أعنف مما كانت وقاد عصابات الثوار « فوزي القاوقجي » وحمل بعض [illegible]

العرب لهجماتها العنيفة على مراكز الحكومة والمستعمرات اليهودية وكانت حكومة الانتداب قد قررت حل اللجنة العربية العليا إثر قتل حاكم مديرية الجليل الإنكليزي وإلغاء وظيفة مفتي أمين الحسيني الذي أصبحت له زعامة عرب فلسطين بعد موت موسى كاظم الحسيني . وألقت القبض على زعماء العرب إلا أن المفتي تمكن من الفرار إلى لبنان ومنها إلى العراق حيث ظل يتابع سير القضية إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية فالتجأ إلى ألمانيا كما تمكن جمال الحسيني من الفرار بدوره إلى سوريا أما الآخرون فقد نفوا إلى سيشل ثم نقل بعضهم إلى روديسيا بجنوب أفريقيا أثناء الحرب الأخيرة وظلوا بها حتى أفرج عنهم بعد الحرب .

وانتهت لجنة وودهد من عملها والثورة مازالت مستعرة ونشرت تقريرها في أكتوبر سنة ١٩٣٨ ، وانتقدت فيه مشروع التقسيم وبينت استحالة تنفيذه وبنت رأيها على أن التقسيم سيثير مشكلة أخرى هي وجود جالية عربية ضخمة في الدولة اليهودية المقترحة تقرب في مجموع عددها من مجموع عدد رعاياها اليهود وستكون نفس المشكلة في الدولة العربية كما أن الاستقرار الاقتصادي لكل من الدولتين سيبقى ضعيفاً وأشارت أخيراً بإقامة اتحاد اقتصادي بين الدولتين على أساس مشروع التقسيم . وانتهت الحكومة البريطانية وقد أدركت مدى ما يعترض مشروع التقسيم من صعوبات إلى العدول عنه

وبدأ عام ١٩٣٩ والثورة مازالت قائمة واكفهرار الجو الدولي يزداد حلكة ويسير بسرعة شديدة وأطلت الحرب تنشر أجنحتها الرهيبة لتدفع في بوق الخراب والدمار وأصبح الناس يتوقعون الحرب بين آونة وأخرى ، فعمدت الحكومة البريطانية على حل مشكلة فلسطين حلاً يكفل لها الاستقرار والهدوء ويؤمن مصالحها في تلك المنطقة الحيوية في نطاق استراتيجيتها الإمبراطورية قبل أن تنشب الحرب ورأت أن يقوم العرب واليهود بالتفاوض معها على حل المشكلة فدعت إلى مؤتمر يعقد بلندن بين اليهود والعرب . ووجهت الدعوة إلى مصر والمملكة العربية السعودية والعراق وشرق الأردن واليمن ومثل مصر سفيرها في لندن ورئيس الديوان الملكي ومثل العراق نوري السعيد والمملكة العربية السعودية الأمير فيصل ومثل اليهود

وزمان على رأس تسعة عشر مفوضاً يمثلون الوكالة اليهودية والهيئات الصهيونية الأخرى في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ودول شرق أوربا ورفض عرب فلسطين حضور مؤتمر يضم ممثليهم أناس من بينهم وقبلت الحكومة البريطانية نزولا على رغبتهم بإطلاق سراح معتقلي سيشل على أن تكون إقامتهم خارج فلسطين .

وعقد المؤتمر في السابع من فبراير سنة ١٩٣٩ وعرف بمؤتمر المائدة المستديرة ورفض ممثلو عرب فلسطين أن يجلسوا على مائدة واحدة مع اليهود فانقسم المؤتمر إلى قسمين ، قسم يمثل العرب وآخر يمثل اليهود واجتمع كل منهما على حدة مع ممثلي البريطانيين ، وانفض المؤتمر في ٢٧ مارس من غير أن يصل إلى نتيجة ، وأرادت الحكومة البريطانية أن تضع الطرفين أمام الأمر الواقع فحددت سياستها في كتاب أبيض صدر في ١٧ مايو وهو إن كان موافقة وعد الإنجليزي ، أعلنت فيه صراحة أنه ليس من أهدافها إنشاء دولة يهودية في فلسطين كما رفضت دعوى العرب بضم فلسطين إلى البلاد العربية في اتفاق الحسين - مكماهون وبينت أنها ترمي إلى إقامة حكومة مستقلة في فلسطين يحكم كلا من العرب واليهود وترعى مصالح الطرفين وترتبط بها معاهدة تؤمن مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية على أن يتم إنشاؤها في مدى عشر سنوات يمارس فيها الشعب الفلسطيني سلطات ومسئوليات أوسع بإشراف مستشارين من الإنجليز وتحت رقابة المندوب السامي ومن هذه السلطات تكوين مجلس الوزراء في المستقبل على أساس دستوري تشرع الحكومة البريطانية في وضع أسسه مع مندوبي الشعب الفلسطيني ، ولا بد من أن يسبق إعلان الحكومة المستقلة بحث أن تتشاور في ذلك مندوبي الشعب الفلسطيني ، وعصبة الأمم والدول العربية قبل إعلان قرار التأجيل . واعترض العرب على شرط المدة على أساس أنه تتيح لليهود زيادة عدد مهاجريهم إما سرا أو علانية خلالها وبذلك يزداد عدد ممثليهم في البرلمان متى قام النظام النيابي في البلاد كما اعترضوا على التحفظ بمثل تأجيل إعلان الحكومة المستقلة وكان بقاء هذا الشرط من أهم الأسباب التي دعت إلى رفض سياسة الكتاب الأبيض .

وتناول الكتاب الأبيض مسألة الهجرة وبين أن الحكومة البريطانية قد اقتنعت بخطر الهجرة اليهودية مفتوحة وأخذت تحدد منها وقررت أن تستوعب فلسطين في مدى خمس سنوات ٥٠,٠٠٠ مهاجر بمعدل ١٠,٠٠٠ مهاجر سنويا عدا ٢٥,٠٠٠ مهاجر هم حصة اللاجئين في أوربا من المشردين الذين وقع عليهم الاضطهاد النازي فيكون المجموع الكلي ٧٥,٠٠٠ مهاجر، وأريد بذلك أن يصل عدد اليهود في فلسطين إلى ثلث عدد سكان البلاد كما تعرض لمشكلة الأرض التي حصلت عن انتقال ممتلكات واسعة إلى أيدي اليهود وبين التقرير الخاص الذي صدر عن اللجنة الفنية أنه حين يعتبر المستقبل مشكلة أملاك العرب في بعض المناطق إذا أريد المحافظة على مستوى معيشتهم الحالي ومنع قيام طبقة كبيرة من المعدمين العرب، وعليه فمن الحق أن تمنح للمندوب السامي سلطات واسعة لتنظيم وتحديد انتقال ملكية الأرض، وأخذت الحكومة البريطانية بهذا التوجيه فنشرت عام ١٩٤٠ قانونا ينظم ملكية الأراضي في فلسطين فقسمت البلاد بمقتضاه إلى مناطق هي:

١ — منطقة (أ) وتشمل مساحة قدرها ٦,٦١٥ ميل مربع في منطقة الجبال مزدحمة بالسكان وتقع في المقاطع الجبلية لفلسطين ومعظم أراضيها تحتاج إلى الإصلاح ولا سبيل إلى إصلاحها إلا بنفقات ورؤوس أموال طائلة وحرم على اليهود ابتياعها

٢ — منطقة (ب) ومساحتها ٣,٢٩٥ ميل مربع حول بحيرة حولة والجليل والنقب وبعض الأجزاء الساحلية وقيد البيع فيها فلم يمكن إلا لمصلحة العربيين وتحت إشراف الحكومة.

٣ — المنطقة (ج) حول بيت المقدس ومساحتها ثمانمائة ميل مربع ولم يقيد بيع أراضيها

وقد أثار هذا القانون ثورة اليهود واحتج عليه الأعضاء اليهود في مجلس العموم البريطاني فكان رد وزير المستعمرات أنه إذا كان من حق اليهود على الحكومة أن تصون مصالحهم فإن من واجبها أن ترعى هذا الحق للعرب أيضا وقد قررت الحكومة من قبل أن تمنع بيع الأرض التي يشتريها اليهود إلى العرب وعليها أن تحمي العرب بإصدار مثل هذا القانون

ومما هو جدير بالذكر أن اليهود قد استولوا من أراضي فلسطين حتى سنة ١٩٢٥ ما مقداره ١٢٥٠٠٠ فدان ولم تكن بأيديهم أكثر من نصف هذه المساحة قبل الحرب وفي سنة ١٩٣٩ بلغت مساحة ما يمتلكونه أو يسيطرون عليه ٣٢٥٠٠٠ فدان وهو ما يقرب من ربع مساحة الأراضي الزراعية في البلاد

وقوبل قرار الكتاب الأبيض بشعور من الارتياح من جهة والسخط في دوائر العرب أما اليهود فقد غضبوا لصدوره واستنكروه وحملوا على واضعيه وصرحوا بأنهم لن يقبلوا في فلسطين لجنة الانتدابات التابعة لعصبة الأمم . ولكن الحكومة الانجليزية وقد بنت سياسة الكتاب الأبيض على ضوء مصالحها الإمبراطورية مضت إلى تنفيذ هذا القرار ومضت في تنفيذه كما رسمته وكان هذا مدعاة لحفيظة اليهود وربطوا ... فعمدوا إلى ... أغراضهم ... يتعاونون مع الولايات المتحدة التي أخذت تسند قضيتهم وتتبناها بما لهم من نفوذ قوي يتغلغل في دوائرها الحكومية ... في البلاد ... يسيطر على اقتصادياتها ومنشآتها المالية

ولم تمض فترة تذكر على صدور الكتاب الأبيض حتى نشبت نيران الحرب العالمية الثانية في أول سبتمبر وحولت الأنظار إلى تركيز جهود الحرب في نواحيها، وتعتبر تلك مرحلة حاسمة من مراحل القضية الصهيونية التي عمل اليهود لها وجهدوا في سبيل خلقها وتسمى هذه المرحلة تطور الخطة والهدف ولكل من العوامل الثلاثة التي لعبت دورها على مسرح حوادث الانجليز والعرب واليهود ، أما اليهود فقد رأوا نجاح الخطة الصهيونية في أن تجد عطفا ساعدها في تسخير الأهواء والمطامع الشخصية لمصلحتها كما استطاعت أن تحدث بخطواتها الناجحة عطف اليهود وتأييدهم في العالم وأصبحت الحركة الصهيونية حركة عامة يلتف حولها كل يهود العالم ولا سيما طوائفهم القوية في بريطانيا والولايات المتحدة ممن كانوا يعارضون فكرة الوطن القومي اليهودي خوفا على مصالحهم وحقوقهم التي كسبوها

عن مصر ... من وكان نفوذ اليهودي في هاتين الدولتين أقوى منه في أي دولة أخرى فقد استطاعوا أن يسخروا النظم الاقتصادية والديمقراطية فيهما للظهور والدعاية لأنفسهم وللمشاركة في خدمة العامة والوصول إلى أرفع مناصب الدولة وكانوا من قبل رغم نزاعهم سلبية ونفوذهم الاقتصادي في عزلة تكاد تكون تامة عن الشعب . وكان هذا التوفيق الذي أصابته الصهيونية بداية خطوتها التالية لإقامة الدولة اليهودية والانصراف عن فكرة الوطن القومي

ثم إن العرب فقد تحولت أفكارهم أيضاً تبعاً لتطور الحوادث خلال هذه المرحلة من الحرب فبعد فكرة الدولة العربية الموحدة التي قامت عليها الثورة العربية في تحقيق استقلال فلسطين قال البعض إن تحديد الوافدين من اليهود على أن تكون الكثرة اليهودية لأهل البلاد وإن قيام حكومة مستقلة فيها سيمكن أصحاب البلاد أنفسهم بحكم أكثريتهم العددية من التحكم في مصير وطنهم والحد من مطامع الصهيونية التي تهدف إلى إقامة دولة يهودية تحت حماية الاستعمار الأجنبي

وأما الأخير فقد حسبوا عندما قبلوا فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين وأيدوها أنهم سيجدون من اليهود شركاء لجهودهم واستقرارهم في البلاد العربية حتى إذا تبينوا هذه المطامع الصهيونية وأنها تتجاوز ما رسموه لها أخذوا يحذرون منها وكانت تصريحاتهم في الكتاب الأبيض دليل تحولهم عن تأييد الصهيونية تأييداً مطلقاً .

الانتـــداب الفرنسي

اتجهت طلائع الاستعمار الفرنسي الحديث إلى الشرق بعد أن فقدت فرنسا امبراطوريتها في الهند وأمريكا وكانت حملة نابليون على مصر جزءاً من هذه السياسة التي رسموا خطوطها الشاملة لاقتحام الطرق المؤدية إلى امبراطوريتهم القديمة في الهند ومنافسة الاستعمار الإنجليزي الناشئ في المناطق الآسيوية ولما فشلت حملتهم هذه على

وصلة هدفها التي وضعت خطوطها حسب عينيها فرنسا تسعى لكسب نفوذ لها في مصر وفي سواحل الشرق ودارت معركة عنيفة بينها وبين انجلترا في هذه المناطق حول النفوذ وكسب الامتيازات التجارية انتهت بغلبة انجلترا في مصر والشرق ، ثم كان الاتفاق الودي بين الدولتين خاتمة صراعهما الطويل في الشرق ، وخرجت فرنسا من المعركة دون ما كسب حقيقي في الحوض الشرقي للبحر المتوسط إلا مظاهر من نفوذ روحي وثقافي في الساحل الشرقي بدا أشد وضوحا في لبنان بين الموارنة والكاثوليك منذ عام ١٨٦٠ ، منه في أي منطقة أخرى من بلاد الشام .

وترجع علاقة فرنسا بهذه المناطق إلى عهد الحروب الصليبية وحملاتها المتعددة على الشام ومصر حينذاك ، حتى إذا قامت دولة بني عثمان كانت أسبق الدول الأوربية إلى الاتصال بها وعقد المعاهدات وكسب الامتيازات التي تمكن لرعاياها أملاكهم . وقد اقتحم الفرنسيون أرض الشرق في أثواب التجار ثم أيدوا نفوذهم سياسيا ، كما بعثوا بإرسالياتهم الدينية إلى بلاد الشام فوجدت مرتعا خصيبا بين المسيحيين ، وانتشرت مدارسها العديدة التي ساهمت في حركة البعث القومي وإحياء نهضة اللغة العربية والأخذ بين العرب بثقافته وعلمه وحضارته ثم تحولت إلى أداة سياسية استعمارية تعمل على نشر اللغة الفرنسية وتعمل على اللغة العربية وتدعم فرنسا حماية الكاثوليكية في بلاد الدولة العثمانية وتستحصل لها امتيازات عديدة في شتى نواحيها وكانت أسرع الدول إلى التدخل بعد ما وقعت حوادث عام ١٨٦٠ فاحتلت بيروت وبعض المناطق الأخرى ولم تخرج منها حتى وضعت لائحة النظام الأساسي لحكم لبنان ونصت على أن يكون حاكمها مسيحيا يعاونه مجلس من اثني عشر عضوا يمثلون الطوائف المسيحية والدرزية والإسلامية فيه .

وبقي النفوذ الفرنسي يحتل لبنان تسنده الثقافة الفرنسية التي انتشرت بين المسيحيين والعلاقات الطيبة التي تربط الفرنسيين بالموارنة والكاثوليك والرعاية الروحية التي

إذ جعلتها فرنسا تنقسم في تلك المقاطعة من الكاثوليك ولم يستطع النفوذ الفرنسي أن يتغلغل في سوريا مثلما تغلغل في لبنان عن العصبية الإسلامية والنعرة العربية لم تتركا لها مجالا للنفوذ إليها ، ولكنها مدت ببصرها نحو سوريا واعتبرتها مركزاً من مراكز نفوذها للنفوذ في الشرق الأوسط ، ووقف مسيو بوانكاريه رئيس الحكومة الفرنسية في مجلس الشيوخ عام ١٩١٢ يشير إلى مصالح فرنسا في سوريا ولبنان وأنها قد عقدت العزم على المحافظة عليها واحترامها محذراً بذلك من خطر النفوذ الأجنبي في الدولة العثمانية وصدور البيانات بمقاصد الدول في تلك البقاع ، وعندما عقد اتفاق سايكس بيكو السري خلال الحرب العظمى الأولى طالبت فرنسا ببسط نفوذها عليها بعد الحرب .

وظهرت فرنسا في مؤتمر الصلح تطالب بالانتداب على سوريا ولبنان وكانت قواتها قد احتلت بيروت بعد دخول فيصل دمشق على رأس قوات الثورة العربية مع القوات البريطانية الحليفة ، ثم احتلت بعد ذلك اللاذقية وأنطاكية والإسكندرونة ، وحكمت البلاد حكماً عسكرياً ، وكان ذلك أول بوادر الجفاء بينها وبين العرب ، وازداد الجفاء حدة بعد موقف الفرنسيين من القضية العربية في مؤتمر الصلح حتى أصبحت هناك فجوة كبيرة عقب إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا ، ولم يسلك الفرنسيون بعد استيلائهم على البلاد مسلكاً يرضي العرب أو يحببهم فيهم فظل النفور والجفاء قائماً بينهما وكانت الثورات العديدة التي قام بها العرب بعد ذلك ضد الحكم الفرنسي أثراً من آثار الأسلوب الفرنسي السيء في إدارة البلاد وحكمها

وقد قسمت البلاد بعد طرد الأتراك منها إلى ثلاث مناطق : منطقة الجنوبية وتشمل فلسطين وشرق الأردن تحت الإدارة العسكرية البريطانية ، والمنطقة الغربية تحت إدارة فرنسية ، والمنطقة الشرقية وتشمل سوريا الداخلية تحت إدارة عربية على رأسها الأمير فيصل ، وأصبحت البلاد بذلك وهي تخضع لثلاث إدارات مختلفة مدنية لكل منها أسلوبها ونظامها الإداري الخاص .

وشغلت القضية العربية أذهان الحلفاء، وعسكرهم في مؤتمر الصلح وفي المؤتمرات الخاصة التي عقدت بين الإنجليز والفرنسيين من ناحية وبينهم وبين العرب من ناحية ثانية وبينهم وبين اليهود من ناحية ثالثة، وكانت المشكلة التي تعترض الحلفاء والإنجليز بالذات ترجع في أصولها إلى تعدد الارتباطات والوعود التي ارتبطوا بها للحلفاء وتناقضها سواء في اتفاقاتهم السرية أو في عهودهم لليهود أو وعودهم للعرب، وقد تحملت بريطانيا وحدها مسئولية وعودها للعرب، وقد تبرم الفرنسيون لقيام الثورة العربية وأرادوا حصرها في شبه الجزيرة حتى لا تمتد إلى لبنان فتعوق مطامعهم وأهدافهم في سوريا، وأنكروا على فيصل في مؤتمر الصلح أن تكون له صفة الحليف واعترضوا على تمثيل العرب فيه وراحوا يتهمون بريطانيا بعرقلة مساعيهم ونفوذهم في سوريا، وأنها تحرض العرب عليهم وتسعى لوضع العقبات في طريقهم، وكانت سوريا معقل الحركة العربية ومنبع رجالها، ولهذا فقد دعا فيصل إلى عقد مؤتمر عام في دمشق يمثل مناطق سوريا الثلاث لتقرير نظام الحكم الجديد وعرض مطالب البلاد على لجنة الاستفتاء الأمريكية القادمة إلى الشرق.

واجتمع المؤتمر في ٧ يونيه سنة ١٩١٩ لأول مرة في دار النادي العربي بدمشق حتى إذا تعثرت مطالب البلاد في المؤتمرات الدولية عقد المؤتمر جلسته الحاسمة في ٧ مارس سنة ١٩٢٠ وأعلن استقلال سوريا ووحدتها بحدودها الطبيعية التي تشمل المناطق الثلاث واختير فيصل ملكا دستوريا عليها، وفي نفس الاجتماع قرر مندوبو العراق اختيار الأمير عبد الله شقيق فيصل ملكا على العراق.

ولم يمض الشهر الثاني على عقد مؤتمر دمشق حتى صدر قرار مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو بالانتداب الفرنسي على كل من سوريا ولبنان وحققا رغبة الفرنسيين في فصل لبنان وفلسطين عن سوريا، وفي ١٤ يونيه وجه الجنرال جورو إنذاره إلى الحكومة الفيصلية بضرورة تسليم خط حديد الرياق — حلب إلى

الفرنسيين واحتلال مدينة حلب وسيرت القوات الفرنسية وقبول الانتداب الفرنسي والتعامل بورق النقد الذي أصدرته وتأديب المجرمين أعداء فرنسا ، فهاجت دمشق وقامت المظاهرات في أنحائها وعقدت اجتماعات المؤتمر السوري ، فزحفت القوات الفرنسية على دمشق رغم قبول الحكومة الفيصلية الانذار ، ودارت معركة ميسلون في ٢٣ يوليه ، قتل فيها وسقط العظمة وزير الحربية وانتهت بهزيمة المتطوعين السوريين ودخلت القوات الفرنسية دمشق في يوم ٢٥ منه وغادر فيصل البلاد صبيحة ٢٧ يوليه سنة ١٩٢٠ إثر إنذار الحكومة الفرنسية له بمغادرتها ، فانتهى بذلك عهد الحكومة الفيصلية في سوريا .

وبدأت حكومة الانتداب الفرنسي بذلك بدايتها القاسية في حكم البلاد وأقامت حكمها على أساس الفصل بين سوريا ولبنان فقد كانت تهدف إلى إضعاف الوحدة العربية وكبت الشعور القومي بإيجاد تفرقة بين الشعب والطوائف حتى يمكن سودها وتحكم ولم تستطع أن تمنع من قيام سلسلة من الثورات كراهيتهم لها وعدم ثقتهم في نواياهم هذا الانتداب ولعداء الشعوب لها في الإدارة والحكم

في لبنان

أنشأت حكومة الانتداب الفرنسي دولة لبنان الكبير في نهاية أغسطس سنة ١٩٢٠ تتكون من سنجق لبنان القديم ذي الأكثرية المسيحية الغالبة والذي كان يتمتع بنوع من الحكم الذاتي منذ عام ١٨٦١ ومن بيروت وعكاره وضم أقضية صيدا وصور ومرجعيون في الجنوب وهي التي كانت تتبع بيروت في العهد العثماني ثم ضمت إليه طرابلس مع قضاء عكار وحده في الشمال وسهل البقاع الخصب من شمال بعلبك إلى حدود فلسطين بأقضيته بعلبك وحاصبيا وراشيا والبقاع في الشرق وبهذا كبرت دولة لبنان الجديدة على حساب سوريا وأصبحت تضم عدداً من المسلمين كاد يطغى على الأكثرية المسيحية التي قام لأجلها سنجق لبنان بنظامه الخاص في العهد العثماني .

وكانت فرنسا ترمى بذلك إلى تقوية لبنان موئل الموارنة والذى ترعى أهله من الموارنة علاقات ود ومصالح عميقة على حساب سوريا . وبذلك بهذا العمل أضعفت شأن الأغلبية المسلمة وخاصة طائفة الموارنة التى اعتمدت عليها وكان لانفصال المصالح القومية بين سوريا والعرب فى العهد الجديد حتى عشر السنوات الأخيرة تتحدث وتضارب وجسيم خطر على مقاومة الانتداب الفرنسى الذى طغى على حقوق السوريين كما طغى على حقوق العرب .

وتبلغ مساحة لبنان الحالية على ٤٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها كما ورد فى إحصاء عام ١٩٤٧ يبلغ ١،١٨٦،١٤٥ نسمة من المسلمين والمسيحيين والدروز واليهود يضاف إليهم عدد كبير من المهاجرين لم يشملهم الإحصاء ومنهم من الرحل الذين يشتغلون بالرعى ويبلغ عدد المسلمين ٤٧٠،٣٢٥ نسمة منهم ٢٤٩،٥٢٧ من أهل السنة والباقون من الشيعة ويقيم معظمهم فى سهل البقاع وفى جنوب لبنان . أما المسيحيون فيبلغ عددهم ٦٢٤،٧١٩ نسمة ويتفرعون إلى طوائف عديدة تغلب عليهم الكثرة المارونية التى يبلغ عدد أفرادها ٣٤٣،٧١٥ نسمة ويتألفون من الكاثوليك والأرثوذكس على خلاف مذاهبهم ثم من الأرمن والبروتستانت والسريان واللاتين ويبلغ عدد الدروز ٧٨،٥٦٠ نسمة يقطنون الجبل ويبلغ عدد اليهود ٥،٩٥٠ نسمة يقيم معظمهم فى بيروت . وهناك أيضا عدد من المهاجرين واللاجئين ويكثر على حد مهاجرهم لا يعدون وهم الأول . وهى عادة تحدث بينهم من أيامهم الفينيقيين وتكثر هجرتهم إلى الأمريكتين وهم فيها جاليات قوية ثم إلى مصر حيث أصابهم التوفيق فى ميادين الصحافة والتجارة وفى ميادين التجارة والأعمال الحرة .

وتمتد لبنان جنوبى فى منطقة طولها ١٢٠ ميلا حتى بحر الروم إلى الشرق جبل لبنان وتصل إلى أقصى ارتفاعها فوق جبل الشيخ ثم تنحدر فى الجنوب وتفصل بين السهل الساحلى الضيق وسهل البقاع الخصب وهو طريق الاقتراب الطبيعى من شمال سوريا إلى سهل الأردن ثلثون فى فلسطين ويخترقه نهر الليطانى الذى ينبع من شمال بعلبك وينحدر جنوبا ليصب فى البحر الأبيض المتوسط شمال صور ويضم حدود شرقيه

للبنان جزءاً من امتداد جبال ممتدة في الشمال تعرف بالحرمون ولبنان الصغير وهي وعرة صعبة الاجتياز إلا حيث تخترقها الطرق الممتدة إلى سوريا

وتمنح لبنان موقعه على امتداد كبير من ساحل البحر الأبيض المتوسط أهمية استراتيجية خاصة لا تتوفر لغير مصر وفلسطين لإشرافهما على حوض الشرق كما أنها مع سوريا وفلسطين تقع على امتداد طريق الهند القديمة وتقف حائطاً عقبة كأداء في وجه أي هجوم يأتي من الشمال أو الشرق ويحول بينه وبين الوصول إلى ساحل البحر إلا أن طبيعة تكوين أرضه لا تشجع أمماً تدفع غيرها على حدودها . ولا تصلح سواحلها الساحلية لإجراء عمليات حربية ولا يساعد على حركة المناورة أرضه وأهل الجبل محاربون أشداء . وقد اكتسبت لبنان أهمية أخرى بعد أن أصبحت أهم منفذ على شرق البحر في طريق أحد أهم الخطوط الجوية ومطارها الثاني بيروت فقد أخذ يحتل مركزاً هاماً في المواصلات الجوية فضلاً عن مواصلات البحر .

وقد حكم لبنان حكماً فرنسياً خالصاً وقد مثله حاكم فرنسي تعاونه هيئة إدارية من سبعة عشر عضواً حل محله مجلس تمثيلي منتخب عام ١٩٢٢ ، ولكن قراراته كانت تخضع لرأي المندوب السامي وقراراته وذلك رغم ما كان لفرنسا من علاقات قديمة ترجع إلى عشرات السنين بأهله وخصوصاً بالموارنة ، وما كان للثقافة الفرنسية من أثر واضح في حياة البلاد الاجتماعية والعقلية ، وما كان للنفوذ الفرنسي من قوة في شئون لبنان القديم ، وهي كلها عوامل جعلت الفرنسيين يتحمسون إلى منح حكم ذاتي مع نوع من الاستقلال الذاتي لمصلحتهم ومصلحة لبنان ذاته ، ولكن الأساليب الفرنسية صدقت في لبنان كما صدقت في سوريا وصارت كلها لمصلحة الفرنسيين دون غيرهم حتى عجزت في نفس الأحيان عن مصالح الموارنة حلفائهم ومؤيديهم ، فأنتجت هذه النتيجة السيئة نفسها وقربت في النهاية بين الموارنة والمسلمين وبين لبنان وسوريا في مقاومة الانتداب الفرنسي .

وفي خلال الثورة السورية الكبرى صيغ دستور من وضع المندوب السامي نفسه على أساس النظام الجمهوري البرلماني على أن يكون البرلمان من مجلسين : مجلس للنواب وآخر للشيوخ ، أما مجلس النواب فقد تقرر أن يتكون من أعضاء المجلس

التمثيل النيابي وأن يقوم المندوب بتعيين بعض أعضاء مجلس الشيوخ وفي ٢٦ مايو سنة ١٩٢٦ اجتمع المجلسان في هيئة مؤتمر انتخب شارل دباس رئيساً للجمهورية اللبنانية الجديدة وفي ٣١ مايو تألفت وزارة لبنانية تمثل طوائف البلاد الدينية . ولم يكن للجمهورية الجديدة حقوق السيادة المألوفة للحكومات المستقلة فقد نصت حقوق الانتداب والتزامات الدولة المنتدبة قائمة في صلب الدستور الجديد ، كما حفظت للمندوب السامي السيطرة على العلاقات الخارجية والجيش وكان له حق الاعتراض على أي قرار لمجلس البرلمان لا يتفق ومصالح فرنسا ومراميها .

وظل العمل بهذا الدستور [illegible] حتى رأى المندوب السامي تعطيله عام ١٩٣٢ وتولى الحكم بالمباشر ولكنه رجع في يناير سنة ١٩٣٤ فوضع نظاما مؤقتا للحكم [illegible] للجمهورية مدة سنة واحدة ثم بسنة أخرى وفي سبتمبر سنة ١٩٣٦ [illegible] في سورية [illegible] فرنسا ، دعي مجلس النواب لدورة استثنائية وانتخب [illegible] رئيسا للجمهورية [illegible] إلى ست بقرار خاص من المندوب السامي . وفي الوقت الذي [illegible] من السوريين والحكومة الفرنسية [illegible] على [illegible] الفرنسية [illegible] استقلال سوريا وتنظيم علاقاتها الجديدة مع فرنسا كانت مفاوضات جارية مع لبنان لعقد معاهدة مماثلة [illegible] وملاحقها السرية في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٦ [illegible] ولكن [illegible] وقامت الحرب العالمية [illegible] والعلاقات الفرنسية اللبنانية على حالها الأولى تقريبا .

ولم يلق الحكم الفرنسي في لبنان على ما [illegible] في لبنان [illegible] فرنسا من أول الأمر وكانت تربطهم بها علاقات ود قديمة [illegible] من الموارنة في الجيش الذي سيره لاحتلال سوريا وخلع الحكومة الفيصلية وكان حريا بفرنسا أن تقوم علاقاتها بلبنان على أساس من الولاء القديم بين البلدين ولكنها سارت في سياستها على أسلوب [illegible] مع السوريين [illegible] في لبنان [illegible] في سورية من ثورات على الحكم الفرنسي ولكنها في تلك المناطق العربية التي اقتطعت من سوريا لتكون لبنان الكبير قد [illegible]

[illegible] المسيحية طائفة قوية من العرب المسلمين لا يمكن تجاهل أثرها في
تطور البلاد السياسي والقومي وضعفت من كيان الأكثرية المسيحية التي يكون
الموارنة أغلبيتها الساحقة ، وقد ظل المسلمون العرب في بعلبك وطرابلس وصور
وصيدا وغيرها من أنحاء لبنان يعملون للوحدة مع سوريا حتى حدثت عواطف الموارنة
والعرب تتقارب وتتحد لمقاومة الفرنسيين وكان الدافع لهذا التقارب تلك السياسة
الاقتصادية التي انتهجتها فرنسا والتي أساءت إلى اللبنانيين أكثر مما أساءت إلى
السوريين فقد كانت لهم رؤوس أموال فائضة في المهجر يمكن أن تستغل داخل
البلاد سواء في الصناعات أو في المشروعات العامة ووقفت فرنسا دون تشجيعها
وحالت بين [illegible] حتى تصبح الرؤوس الأموال الفرنسية مجال الاستغلال
والاستثمار و [illegible] كافة [illegible] كافة المشروعات
العامة كالخطوط الحديدية [illegible] وشركات الإضاءة والمياه وإنشاء البنوك كما
ربطت عملة لبنان بالفرنك الفرنسي رغم ضعفه [illegible] إدارة بنك
الإصدار إلى بنك فرنسي [illegible] مع [illegible] الفرنسية [illegible] حساب الاستغلال
المالي لسوريا ولبنان وجرت بذلك على البلاد كثيراً من الخسائر أوغرت صدور
الناس عليهم [illegible] وقد قامت ثورة عندما منح الفرنسيون إحدى شركاتهم امتياز
احتكار [illegible] في سوريا ولبنان عام ١٩٣٥ وحاول [illegible] موظفوه
لدى المندوب السامي لم يقابل توسطه بغير الرفض .

وهكذا أخذ الشعور القومي يتجه [illegible] مقاومة الفرنسيين ولم يظهر
هذا الاتجاه قويا إلا في أثناء الحرب العالمية الثانية وكان السوريون قد وعدوا باحترام
استقلال لبنان الكبير داخل حدوده القائمة .

في سوريا :

حملت سورية وحدها عبء النضال الوطني ضد الانتداب الفرنسي و[illegible]
واتسم نضال السوريين بالعنف أكثر مما اتسم به نضال أي شعب آخر من شعوب
العالم العربي فيما بين الحربين . فقد كان الفرنسيون يهدفون إلى تحقيق مشاريع [illegible]
شتى [illegible] في أذهانهم في القرن الثامن عشر بعد أن فقدوا إمبراطوريتهم الاستعمارية في
آسيا وأمريكا من ضرورة تعويض ما فقدوه من مستعمرات بمستعمرات أخرى في مناطق
جديدة لم يستعمرها أحد . وكان الشرق الأدنى أحد هذه المناطق [illegible]
أنظارهم ومن ثم [illegible] إلى [illegible]
تاريخها [illegible] وعدم [illegible] مستعمراتهم الأخرى
في آسيا وإفريقيا [illegible] في مستعمراتهم
الآسيوية والإفريقية [illegible] وكانوا [illegible]
[illegible]
[illegible] الأولى على شعوب [illegible] على موارد البلاد واستغلال
واستنزاف موارد الثروة فيها [illegible]
الثانية [illegible]
إصرار [illegible] في كثير من الأحيان إلى [illegible]
القومية والحركات الاستقلالية دون [illegible]
[illegible] وما أحدث [illegible]
[illegible] القومي الجديد [illegible] الفرنسيين في هذه البلاد [illegible]
الاستراتيجية ما كان لبريطانيا في [illegible] الشرق الأوسط [illegible]
الاهتمام [illegible] على كل [illegible] أو مصلحة أخرى فقد
كان اهتمامهم الأكبر [illegible] لا [illegible] قاعدة للعودة

في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بعد عودتها في حوضه الغربي ولكنه لا يقوم على أهميتها استغلال موارد البلاد استغلالا اقتصاديا وبث حضارتها ومدنيتها في أنحائها

وعملت فرنسا على تمزيق وحدة سورية والقضاء على قوميتها فأعلن الجنرال غورو بعد احتلاله وقضائه على الحكومة الفيصلية قيام دولة لبنان الكبير ثم عمد إلى تقسيم سورية إلى دويلات صغيرة هي حلب وعاصمتها حلب وألحق بها لواء الإسكندرونة ثم حكومة العلويين وعاصمتها اللاذقية وتضم المنطقة الساحلية الواقعة بين لبنان الكبير ولواء الإسكندرونة، ودولة جبل الدروز وعاصمتها السويداء وتضم المنطقة الواقعة بين دمشق وحدود شرقي الأردن وأخيرا دولة سورية وعاصمتها دمشق وتضم ما تبقى من البلاد الواقعة تحت الانتداب، وعين لكل منها حاكما فرنسيا ما عدا دولة سورية ودولة حلب فقد كان حاكماها من السوريين

وشعر غورو بما أثاره تمزيق وحدة البلاد من أثر سيء في نفوس الوطنيين فأعلن في أول سنة ١٩٢٢ قيام اتحاد سوري من مجلس يمثل حكومات دمشق وحلب واللاذقية وانتخب لرئاسته صبحي بركات وهو تركي من أهالي انطاكية ومن أصدقاء فرنسا والمتحمسين لها. وجاء ويجان بعد غورو فألغى الاتحاد السوري وأعلن قيام الدولة السورية من دولتي دمشق وحلب والعاصمة دمشق واختير لرئاستها صبحي بركات أيضا بمعاونة وزراء الداخلية والعدلية والمعارف والمالية والاقتصاد وبقي عاملا في منصبه ولكن سلطته تنحصر في أيدي المراقبين وحدهم ولم يكن هذا التقسيم عند سورية يحقق رغبة المستشارين الفرنسيين وسلطة المندوب السامي القوية ولم تدخل حكومة اللاذقية التي كانت ضمن الاتحاد السوري في الدولة الجديدة ورجعت إلى وضعها الأول قبل التقسيم، أما لواء الإسكندرونة وكان جزءا من دولة حلب فقد فصل عنها عام ١٩٢٤ ومنح نظاما إداريا وماليا مستقلا على أن يبقى تابعا للدولة السورية.

ولم يكن هذا التخبط في تقييد السياسة الفرنسية إلا دليل الفشل الذريع الذي

منيت به والذى ظهرت بوادره فى أول حكمه حتى تميعت فيه وحدة الوعى القومى العربى فى سوريا ومحاربته لجميع الأوساط الوحدوية العربية فى البلد كان من الأول من دعاة القومية العربية من قبل. ثم هو كان يعمل بالاعتماد على نفوذه بين عملاء أو أجلاف، هذا فضلا عن سياسته الاقتصادية الخاطئة التى قامت على الحجر والاستغلال دون أن يرعى حاجة الشعب وقدرته وتسحقه قراراته ثم خطط الفرنسيين لهدم مقومات البلاد وعاداتها ونظمها

وكانت سنى الحكم الفرنسى القديم فى سوريا سنى اضطرابات وثورات ومشاكل مستمرة بين الفرنسيين والسوريين، ولم تمر سنة من غير أن تقوم ثورة فى ناحية من أنحاء سوريا كثورة العلويين وثورة حوران التى استمرت حتى أكتوبر عام ١٩٢٠ وثورة إبراهيم هنانو فى جبل الزاوية وقد زعم الثوار فى شمال سوريا وأخذ يكيل الضربات للفرنسيين حتى يوليه عام ١٩٢١ بعدما جردوا للقضاء عليه ما يقرب من ثلاثين ألف مقاتل ثم اضطرابات دمشق التى حدثت فى منتصف عام ١٩٢٢ إثر زيارة مستر كرين صاحب لجنة الاستفتاء، ثم حركة اعتقالات لمحاكمة زعماء دمشق وعلى رأسهم الدكتور عبد الرحمن شهبندر بالسجن عدة سنوات وكذلك حوادث جبل الدروز عام ١٩٢٢ عندما عرض الفرنسيون القبض على أدهم خنجر أحد قواد العصابات فى بيت زعيم الدروز سلطان باشا الأطرش، فقاومهم دفاعا عن ضيفه حتى سير الفرنسيون حملة قوية بين حيث قتل عنه ولجأ بعشيرته وأنصاره فى شرق الأردن وهناك بدأ أعمال العصابات التى انتشرت فى أنحاء البلاد مقاومة الفرنسيين وتسلطهم عليهم وظلامهم. ولا أدل على عنف المقاومة السورية من مقال للجنرال سارى الذى يعترف فيه بسوء الحالة فيه أنه قد وقعت فى سوريا وحدها عام ١٩٢٢ خمس وثلاثون ثورة وقتل فيها من رجال الجيش خمسة آلاف جندى» وكان ذلك ردا على مقال للكاتب الفرنسى الشهير هنرى بوردو نشره فى الفيجارو وقال فيه «إن سوريا كانت هادئة ساكنة فى عهدى جورو وفيجان».

وبينما كان جهاد السوريين يسلك طريقه العنيف فى الداخل، كان جهادهم فى الخارج يتمثل فى قوة «المؤتمر السورى الفلسطينى» الذى اجتمع لأول مرة فى

حيث رئاسة الأمير ميشيل لطف الله في أول سبتمبر سنة ١٩٢١ و عقدت لجنته التنفيذية معرضها في القاهرة وجعلت تنظم الدعاية لمطالب سوريا وفلسطين في الخارج وكان وفدها الدائم في جنيف يتكون من الأمير ميشيل لطف الله وشكيب ارسلان وإحسان الجابري وسليمان كنعان وقد نشط الوفد في إثارة الرأي العام الأوربي على الفظائع التي ارتكبها الفرنسيون كما أثر على إرسال الاحتجاجات المستمرة إلى مجلس عصبة الأمم وطلب دولة متحدة

وانتهى هذا الدور بعصف من أدوار الانتداب الفرنسي بقيام الثورة السورية الكبرى التي شبت في جبل الدروز في يوليه ١٩٢٥ واستمرت مشتعلة الأوار طوال عام ١٩٢٦ بعد أن عمت كل البلاد السورية حتى فل من حد الثوار فتحولت إلى حرب عصابات [illegible] انتهت في ربيع عام ١٩٢٧ وقد خاض الثوار معارك عديدة في شجاعة وإصرار واستعان الفرنسيون عدا استخدامهم القنابل بحملات وحشية في حوادث [illegible] وتشنيع ما ارتكبته دولة متمدنة في إخماد ثورة وطنية من أساليب كانت موضع انتقاد لجنة الانتداب الدائمة بعصبة الأمم .

وبدأ دور جديد اتخذت فيه السياسة الفرنسية خطة جديدة تميل إلى المهادنة ومهادنة الوطنيين بعد أن [illegible] الثورة [illegible] السلطة التي [illegible] بها إدارة البلاد ، وكان المندوبون السامون من المدنيين أو من القواد العسكريين كان أولهم جورو ثم ويجان ثم ساراي وعلى هذا الأخير [illegible] الثورة وما [illegible] من فظائع وكان هم حظهم [illegible] بالقوة [illegible] الرغبات الوطنية وهم الذين نفذوا سياسة الانتداب في سنيها الأولى فصبغوها بطابعهم العنيف دون إدراك لمقومات الشعب الذي يتعاملون معه وللفرق بينه وبين الشعوب المتأخرة التي حكموها في أفريقيا وآسيا ولما [illegible] في سياستهم [illegible] وزارة الخارجية الفرنسية لإدارة سوريا وهي السياسة التي [illegible] المندوبين السامين من المدنيين [illegible] نفوسها وحقدها على [illegible]

وكان دي جوفنيل أول مندوب سام مدني عين للبلاد وخلف الجنرال سراي والثورة في عنفوانها ودب أسلوبه في معالجة الثورة في تلك المدة القصيرة التي قضاها في منصبه على سعة أفقه وحيلته ومكره وإن لم يستطع أن يتحرر من الأساليب الغربية الضيقة إذ أغرته حيلته ودهاؤه ومكره فقد اتصل وهو في طريقه إلى سوريا بأعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في القاهرة وتعرف إليهم واستمع إلى آرائهم ثم ذهب إلى بيروت وقام فيها بدرس مشكلات الثورة قبل أن يبدأ مفاوضاته مع الوطنيين وأعلن الجمهورية اللبنانية بحدودها الحالية فقطع على سوريا أي سبيل للمطالبة باسترجاع الأجزاء المقتطعة من سوريا وحمل جميع السوريين على طلب الاستقلال دعا إلى إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية ضمن الحدود ولكن السوريين قاطعوها فتدخل الفرنسيين في حريتها وشكل حكومة جديدة في ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٦ على رأسها أحمد نامي واشترك معه ثلاثة وطنيين من أقطاب حزب الشعب فارس الخوري ولطفي الحفار وحسني البرازي أعضاء في الوزارة ولكنهم سرعان ما تركوا الحكومة لعجز الحكومة الفرنسية في تحقيق مطالب سوريا فاعتقلهم ونفاهم ثم بدأ دي جوفنيل مفاوضاته لإبرام معاهدة مع سوريا وسافر إلى باريس لهذا الغرض واتصل بأعضاء مؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف ولكن الحكومة الفرنسية لم تقبل نصيحته في المفاوضات والتي لم تر فائدة فقطع المفاوضات واستقال دي جوفنيل لينحى عن سوريا ولم تخمد الثورة بعد .

كان هنري بونسو دبلوماسيا تمرس في الشئون العربية في سوريا منذ عهد إلى المسألة وقد وصل إلى بيروت لاستلام مهام منصبه في أكتوبر سنة ١٩٢٦ وكان ثم تابعته هو بعد عودته من جنيف ولو رأى ساسة العلاقات العربية السورية ورغم خلاف الذي تولاها في منصبه وفي عهده ثلاثة الأزمة كلهم إذ تطلب سعيهم على مدى ما يتمتع به من مرونة وكياسة وصبر في معالجة الأمور وقد دل ذلك الهدوء الذي ساد سوريا في عهده على حسن سياسته وإدارته للبلاد رغم ما كان عليه الموظفون الفرنسيون من عنف وغرور واستبداد ولكنه بعد هذه المدة الطويلة لم يستطع أن يصل إلى حل حاسم للقضية السورية

وقد [illegible] وهكذا بقيت حتى تمكن [illegible] بعدئذ [illegible] على حقيقته
ولن تعطي أمراً حتى يلم شمل بلاده، وحتى ما تعرفت من ماضيها دون أن تخطو
خطوة عملية نحو استقلال سورية التامة رغم ما بذله من همم لتحريرها وما بذله
من جهد في دراستها والأحداث كلها تؤثر بها وبحولاته الصادقة للوصول إلى
[illegible] مع [illegible] الوطنيين [illegible] وحدها في [illegible] على [illegible] الإدارة
في الإدارة حتى كانت دعوة سنة ١٩٢٨ في انتخاب جمعية تأسيسية لوضع الدستور،
وكانت أول خطوة عملية خطوها لتحقيق بعض مطالب السوريين، وقد تمكن من
جمع الوطنيين الذين ألموا في ذلك الوقت [illegible] لكنه لو [illegible] شيء من
الاستقلال [illegible] في خوض المعركة الانتخابية [illegible] حكومة مؤقتة على رأسها
الشيخ تاج الدين الحسني لإجراء الانتخابات والإشراف عليها

وجرت الانتخابات وفاز فيها [illegible] الكتلة الوطنية بأغلبية ساحقة، وعقدت
[illegible] الجمعية التأسيسية أول جلساتها في ٩ [illegible] وانتخبت رئيساً لها هاشم الأتاسي وشكلت
لجنة لوضع الدستور كان من أعضائها إبراهيم هنانو وفوزي الغزي، ووضعته في
مائة وخمس عشرة مادة نص على قيام حكومة دستورية على النظام الجمهوري لها
[illegible] الذي يستغرق دوره أربع سنين [illegible] رئيس الجمهورية مدة
خمس سنين، ثم تقدمت به في جلسة [illegible] ووافقت عليه، ولكن
[illegible] من [illegible] ست مواد [illegible] تتعارض مع حقوق الانتداب
و[illegible] الفرنسية للدولة المنتدبة [illegible] وحدة سورية والتمثيل الخارجي
وتنظيم الجيش وإعلان الحرب وحق العفو وإطلاق سراح المعتقلين ورئيس الجمهورية
والبرلمان [illegible] الجمعية التأسيسية حذف هذه المواد [illegible] من [illegible]
إلا أن [illegible] لمدة ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك في أجل غير مسمى، وكانت المفاجأة
[illegible] يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٣٠ عندما أعلن قبول الدستور كما وضعته الجمعية الدستورية،
ولكنه أضاف له مادة أخرى تعطل مفعول المواد الست، [illegible] أشد ألوان
الامتعاض والاحتجاج في جميع أنحاء سوريا، وعلى هذا الأخير [illegible] لمدة خمس

[illegible] الأمور في [illegible] في [illegible] وصت [illegible]
بين الطرفين .

وقد استمرت الحكومة المؤقتة أربع سنوات ، وما كان مقدراً لها أن تستمر طوال هذه المدة [illegible] في [illegible] لإجراء [illegible] وتمهيد للحكومة [illegible] حتى [illegible] المندوب السامي في نوفمبر عام ١٩٣١ وحاول [illegible] حكومة على [illegible] فرنسي هو [illegible] المندوب السامي في سوريا إجراء انتخابات [illegible] من [illegible] و [illegible] في البرلمان ، وبدأت عملية الانتخابات في ٢٠ ديسمبر وصحبها من القلاقل والاضطرابات في دمشق و [illegible] في [illegible] في [illegible] و [illegible] في الأسابيع من يونيه عام ١٩٣٢ و [illegible] على [illegible] للجمهورية و [illegible] رئاسة [illegible] وكان من [illegible] من [illegible] و [illegible] في ١٨ أبريل سنة ١٩٣٣ عندما [illegible] مشروع المعاهدة الذي تقدم به المندوب السامي لا يحقق رغبات السوريين .

وفي ذلك العام [illegible] فرنسا [illegible] في الوصول [illegible] مع السوريين و [illegible] دي مارتل . وكان [illegible] من رجال الدبلوماسية الفرنسية [illegible] الذين [illegible] و [illegible] في [illegible] الجديد في [illegible] سنة ١٩٣٣ حتى تقدم مشروع معاهدة [illegible] على [illegible] و [illegible] على [illegible] مشروع على [illegible] و [illegible] رفض مشروع المعاهدة [illegible] إلا [illegible] و [illegible] بوزارة [illegible] في [illegible] عام ١٩٣٤ [illegible] وزارة [illegible] و [illegible] على [illegible]

البلاد عن الاهتمام بقضيتها الوطنية إلى الاهتمام بالقضية الاقتصادية والإصلاح الاجتماعي من جهة [illegible] الاقتصادية رغبة في تحويلها عن [illegible] وقف كل نشاط سياسي للسوريين .

واستمر دي مارتيل يمارس أساليب العنف [illegible] [illegible] السوريين إلى الهدوء والسكينة [illegible] [illegible] حتى [illegible] المقصودة ، ولكن هذه الأساليب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان في [illegible] التصرف [illegible] [illegible] [illegible] اعتقل كثير من الزعماء في وقت كانت البلاد تحتفل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإضراب [illegible] من الاعتقالات الجديدة لم تفت في عضد [illegible] ولم تقض على حماسه وإصراره واستمر الإضراب عاما شاملا في نظام رائع [illegible] عجيبة لم [illegible] [illegible] [illegible] والسياسي وغيره بين أفراده

وإزاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رغبة الشعب وأعلن دي مارتيل في ٢٥ [illegible] سنة ١٩٣٦ رغبته في [illegible] لإبرام معاهدة وصرح [illegible] [illegible] [illegible] وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين [illegible] [illegible] هذه الرغبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المفاوضات [illegible] في [illegible] وفد سوري [illegible] [illegible] [illegible] مرحلة أخرى من مراحل النضال [illegible] [illegible] [illegible] وزارة [illegible] [illegible] ووزارة [illegible] الأولى [illegible] حتى تتم المعاهدة

وتألف وفد المفاوضات السوري في باريس وكان يتكون من هاشم الأتاسي وفارس الخوري وسعد الله الجابري وجميل مردم [illegible] الكتلة الوطنية ومن [illegible]

حمصى ومصطفى الشهابى من أعضاء الوزارة وألحق بالوفد الضابط أحمد اللحام مستشارا عسكريا وهو انطاكى أحد العاملين الوطنيين العسكريين. وبدأت المفاوضات بعد وصول الوفد إلى باريس واستغرقت ستة شهور وتمت بعدها المعاهدة السورية الفرنسية فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٣٦ وكانت صورة من المعاهدة العراقية [illegible] التى تمت بعدها فى ١٣ [illegible] ولا تختلف عنها إلا فى وضع الأمور العسكرية فى كل من البلدين [illegible] المعاهدة السورية [illegible] حق فرنسا فى الاحتفاظ [illegible] فى جبل الدروز و اللاذقية مدة خمس سنوات من تاريخ [illegible] وحقها فى استخدام [illegible] فى مكان [illegible] المعاهدة [illegible] أى حق [illegible] فى الاحتفاظ [illegible] عسكرية فى لبنان [illegible] وحددت هذه [illegible] فى كل من [illegible] فرنسا [illegible] لدولتين العصبة الأمم فى خلال السنوات الثلاث الأولى التى تعقب التصديق على المعاهدتين

ولا تختلف المعاهدة السورية الفرنسية كثيرا عن المعاهدة [illegible] مع فرنسا [illegible] ولا [illegible] أى حال من الأحوال وساعد على [illegible] فى معركة الانتخابات الفرنسية وتأليف ليون بلوم الوزارة. وحددت مدة [illegible] المعاهدة بثلاث سنوات ونصت على أن يسود سلام وصداقة بين فرنسا وسوريا على الدوام وأن تبادلا التمثيل السياسى والتشاور [illegible] سياسة سوريا الخارجية [illegible] فى [illegible] شئون الحرب أو خطر نشوبها [illegible] الحكومة السورية [illegible] شئون الأمن الداخلى [illegible] الدفاع عن [illegible] وأن تحتفظ فرنسا بقواعد عسكرية وجوية معينة فى البلاد ولا يكون فى وجودها إخلال بحقوق السيادة السورية

ونصت المعاهدة على وحدة سوريا ولم تتعرض للوحدة بين سوريا ولبنان [illegible] سوريا [illegible] التى ضمت إلى لبنان الكبير وإن [illegible] الوضع [illegible] أهالى هذه المقاطعات الذين كانوا يتطلعون إلى العودة بعد انفصال [illegible] الأصلى [illegible]

[illegible] مشكلة [illegible] في بيروت وطرابلس واضطر الجيش الفرنسي
إلى التدخل حتى [illegible] المسألة نهائياً . ثم مفاوضة الخارجية ، [illegible] السوريون
أعمالهم وقد عرفوا أن المعاهدة لا تحقق كل أمانيهم فقد تركوا للمستقبل علاج هذه
المشكلة . واحتفظ لواء الاسكندرونة بوضعه الخاص . وأثارت تركيا مسألته في
مجلس عصبة الأمم وطالبت بأن يحل قبل أن تقرر معاهدة [illegible]
لسوريا [illegible] تركيا [illegible]
[illegible] في تلك البقاع

[illegible] السوري [illegible] رغم
[illegible] المعاهدة لا تحقق كل [illegible]
[illegible] السورية لفرنسا والاعتراف بحقوق البلاد

[illegible] الانتخابات [illegible] الوطنية [illegible]
[illegible] واجتمع [illegible] لأول مرة في [illegible] سنة ١٩٣٦ و [illegible]
هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية [illegible] الوزارة الوطنية برئاسة جميل مردم في
٢٢ ديسمبر [illegible] سعد الله الجابري وشكري القوتلي [illegible]
[illegible] بوصية [illegible] على المعاهدة [illegible]
[illegible] الفرنسي . ولكن فرنسا لم تكن [illegible]
[illegible] الحالة [illegible]
[illegible] على حكومتهم [illegible] دي مارتيل [illegible]
[illegible] في ٥ [illegible] سنة ١٩٣٩ الذي أعلن أن حكومته قد عدلت عن [illegible]
المعاهدة [illegible] وزارة جميل مردم [illegible]
[illegible] واضطر هاشم الأتاسي إلى الاستقالة من رئاسة الجمهورية [illegible]
إلى إلغاء [illegible] حكماً مباشراً [illegible]
الدستور عن سوريا كما [illegible] الأرهاب واضطهاد الوطنيين من
[illegible] الحرب العالمية الثانية

وتحتل سوريا بموقعها المتوسط في الشرق الأدنى مركز الالتقاء
بين قارات الدنيا القديمة الثلاث وتستمد أهميتها الاستراتيجية من موقعها هذا
وتكون مع لبنان وفلسطين والأردن وحدة جغرافية تسيطر على أهم المنافذ البرية
بين هذه القارات الثلاث القديمة . ويفصلها عن العراق وفلسطين خط الحدود الذي
اتفقت عليها دولتا الانتداب في ديسمبر سنة ١٩٢٠ كما يفصلها عن تركيا خط
الحدود الذي اتفقت عليه فرنسا وتركيا في معاهدتهما عام ١٩٢١ وهو خط يحدد
حدودها مع تركيا ويبلغ ٤٦٠ ميلا طولا ونسبته إلى طول حدودها العامة ٣٥ ٪
وقد نصت المادة الثامنة من المعاهدة المذكورة على أن يبدأ خط الحدود بين سوريا
وتركيا من نقطة تختار على خليج الاسكندرونة وتقع مباشرة في جنوب باياس وتتجه
نحو الشرق نحو ميدان أكبس تاركة محطة السكة الحديدية والمحلة تابعتين لسوريا
ومن هناك يتجه خط الحدود نحو الجنوب الشرقي حيث تترك لسوريا محلة مرسوه
ولتركيا محلة قربة ، ومدينة كليس حتى يتصل بالخط الحديدي عند محطة چوبان بك
ثم يتبع خط حديد بغداد إلى نصيبين ثم يتبعه إلى أراضي تركيا حتى نصيبين
وجزيرة ابن عمر حيث يلتقي بدجلة ويبقى خط ... بين نصيبين وجزيرة ابن عمر طريق
يمر في أرض تركيا على أن يكون لكل من الطرفين حق في الانتفاع
به ... وتكون ... والمحطات بين چوبان بك ونصيبين ... لسوريا
لأنها جزء من أرض الخط الحديدي

ونصت المادة التاسعة على أن قبر سليمان شاه جد السلطان عثمان مؤسس
الدولة العثمانية وهو القبر المعروف بمزار ... الواقع في قلعة جعبر وملحقاته
ملكا لتركيا التي يكون لها الحق في وضع حراس عليه ورفع العلم التركي فوقه
كما نصت المادة ... عشرة على أن يكون لتركيا حق ... في أخذ ... من مياه
دجلة وتسييرها على ... القسم ... مسافة من ... ووافقت فرنسا على ...
وضع خاص لمنطقة الاسكندرونة ونصت المادة السابعة على وضع نظام إداري خاص
لها وأن يتمتع سكانها الأتراك بجميع التسهيلات اللازمة لترقية ثقافتهم وأن تكون

الأمة التركية من لغة رسمية . وجاءت معاهدة لوزان فأقرت هذه الحدود ولم تعدل إلا في عام ١٩٣٩ عندما ضمت منطقة الاسكندرونة إلى تركيا

وتبلغ مساحة سوريا الحالية ما يقرب من ٥٨,٠٠٠ [illegible] مربع وعدد سكانها كتعداد عام ١٩٥٧ بلغ ٣,٠٣٤,٣١٠ نسمة [illegible] ١٣ في الألف في عام ، منهم ٢,٤٨٨,٩٠١ من المسلمين و٤٢٤,٠١٠ من المسيحيين و٩٦,٦٤٩ من الدروز وهم من أشد عناصر سكانها [illegible] مع العرب و٣٠,٨٧٣ من اليهود و٢,٨٨٥ من [illegible] . وأكثر المسلمين السوريين من السنيين إذ يبلغون ٨٢ ٪ من مجموع سكان البلاد ثم [illegible] الشيعة ويتمثلون في العلويين و[illegible] اللاذقية وحمص والاسماعيلية ويعيشون حول حماه ومن الممكن أن نعتبر من طوائف الشيعة طائفة الدروز التي تعيش في جبل [illegible] كما طائفة اليزيدية [illegible] جبل سنجار قرب من الحدود العراقية [illegible] الأكراد في [illegible] . وتضم الطوائف المسيحية أعداداً متنوعة من الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت و[illegible] والكلدانيين و[illegible]

[illegible] هي امتداد لطبوغرافية الإقليم [illegible] سلاسل [illegible] الجبال [illegible] سهل [illegible] من [illegible] عند [illegible] في الشرق [illegible] حيث [illegible] دخل حدود سوريا ، [illegible] من السهول هي سهول حلب وحماه وحمص وغوطة دمشق وحوران و[illegible] من [illegible] فهي جبال [illegible] في [illegible] جبل [illegible] . جبال العلويين ، جبل [illegible] وهو أعلاها [illegible] حيث [illegible] القرنة السوداء على قمتها ٣٠٨٨ متراً فوق سطح البحر وهو [illegible] و[illegible] و[illegible] الأردن إلى [illegible] الشرقي من [illegible] المنطقة [illegible] وتقع [illegible] على [illegible] على حافة السهول الداخلية [illegible] الأكراد و[illegible] شمال غرب حلب وجبل لبنان [illegible] وحرمون المعروف بجبل [illegible] وهو أعلاها حيث يرتفع

إلى ٢٨١٤ مترا فوق سطح البحر وتقع جنوب غرب دمشق ، ويخترق هضبة الجليل عدد من ممرات ووديان الأنهار تصل إلى السهول الداخلية ، والسهول هي مسارح العمليات الحربية ، أما الجليل فتصعب فيه الطرق والمسالك وتصعب إجراء الحركات العسكرية إلا خلالها حيثما عبدت طرقاتها ومهدت ممراتها ويمتد في ذلك السهل الساحلي لفلسطين [illegible] وسهل [illegible] هو طريق الغزو الطبيعي إلى فلسطين ، أما طريق الغزو إلى شرق الأردن فيقع إلى شرق من جبل الحرمون [illegible] طريق [illegible] دمشق ودرعا وعمان .

وليس لسوريا موانئ على البحر سوى ميناء اللاذقية فقد اقتطعت منها منطقة الاسكندرونة بمينائها الجيد وضمت إلى تركيا فخلقت بذلك مشكلة [illegible] بينها وبين سوريا .

مشكلة الإسكندرونة :

تقع الاسكندرونة على رأس خليج [illegible] الرياح الشمالية الباردة [illegible] مساحة المنطقة [illegible] من نحو ميل مربع [illegible] ٢٢٫٨٠٠ [illegible] الأتراك فيهم ٤٠٪ والباقي من المسلمين والمسيحيين العرب وتبلغ نسبة المسلمين العلويين ما يقرب من ثلاثة أضعاف [illegible] الاسكندرونة مدينة انطاكية التاريخية

[illegible] الاسكندرونة من الناحية الجغرافية جزء من سوريا فضلا عن روابط التاريخ [illegible] وميناء الاسكندرونة هو المنفذ البحري لمنطقة حلب وليس لسوريا موانئ على البحر [illegible] سوى ميناء اللاذقية

ولا فاصل بينها وبين الحدود التركية سوى [illegible] ميلا وهي [illegible] على [illegible] الذي يقع إلى الغرب من [illegible] ووادي [illegible] بالإضافة إلى وادي [illegible]

طرق الإمداد الطبيعية إلى وسط الأناضول ومن هنا كانت أهمية الاسكندرونة الاستراتيجية لتركيا . ولقد فكر الحلفاء خلال الحرب العظمى الأولى في إنزال حملة عسكرية في الاسكندرونة لتهديد مواصلات الأتراك عبر جبال طوروس ولكن فشل حملة الدردنيل وكارثة غاليبولي . . . على القدوم ثم برزت أهمية الاسكندرونة الاستراتيجية قبل الحرب العالمية الأولى عندما مد الأتراك خط ورعا يربطها بخط حديد بغداد وتضاعفت أهميتها أخيرا بعد أن دلت أعمال التنقيب والحفر الجيولوجي على وجود معادن الكروم وربما البترول فيها . وكان لهذه الاعتبارات الاستراتيجية صداها لدى الترك في تقدير أهميتها والاهتمام بأمرها لأمن حدودهم الشرقية ومحاولة الاقتراب لتحقيقها في سبيل تنميتها واستغلال مواردها القدرة .

ومن دعوى الأتراك في مطالبتهم بلواء الاسكندرونة على تفوق الجالية التركية عددا على غيرها من العرب والأقليات الأخرى وكان لهذه الجالية التركية وضع خاص في معاهدة يقوم على حمايته وتشجيع الثقافة التركية منذ إبرام معاهدة أنقرة التركية سنة ١٩٢١ . ولكن اهتمام تركيا بمنطقة الاسكندرونة ومطالبتها لم يكن في حقيقته وليد هذه الاعتبارات الجنسية والثقافية فحسب بل كان وليد الاعتبارات الاستراتيجية ومصالح سلامة الحدود الجنوبية الشرقية لتركيا . وإن كانت أهميتها الاستراتيجية لسوريا لا تقل عن أهميتها لتركيا وتقوم على نفس الاعتبارات التي ذكرناها فضلا عن أن ميناء الاسكندرونة هو المنفذ البحري الوحيد لسوريا الشمالية كما أنه المنفذ الطبيعي لها على البحر بعد انفصال لبنان بثغريه بيروت وطرابلس عنها وبذلك لم يبق لسوريا بعد انفصال لواء الاسكندرونة من ميناء على البحر سوى اللاذقية . وقد غلبت تركيا . . . لتحقيق أطماعها في لواء الاسكندرونة وكانت . . . أن السوريين لن يسلموا مطلقا باقتطاع جزء من الوطن السوري . . . بأن سوريا المستقلة ستحول دون تحقيق الأطماع التركية في تلك المنطقة ، وكان تسليم الفرنسيين بضرورة تنظيم علاقاتهم مع دولتي الشرق قسما بأنماط لأطماع تركيا . . . وإسراع . . . باستقلالهم وكانت

علاقتها بتركيا بعد إبرام معاهدة سنة ١٩٢١ علاقة ود ومجاملة و[illegible] سارت السياسة الدولية بدفع فرنسا إلى تقوية هذه العلاقة [illegible] ودعم أواصرها و[illegible] تركيا موضوع الإسكندرونة في عصبة الأمم وما [illegible] من مشكلات [illegible] [illegible] فرنسا محافظة على علاقتها [illegible] عرض الموضوع على عصبة الأمم فهي صاحبة الحق الأول في الانتداب [illegible] عصبة الأمم [illegible] في [illegible] أو [illegible] الاتفاق بين [illegible] تركيا ، ولكن فرنسا وقد [illegible] إلى جانب تركيا رأت أن [illegible] مشكلة وضعا قانونيا للإقليم [illegible] في [illegible] الانتداب من أنه ليس من حق الدول المنتدبة أن [illegible] أو [illegible] البلاد المنتدبة عليها لدولة أخرى دون [illegible] في ذلك إلى عصبة الأمم صاحبة الحق الأول في الانتداب . وقامت عصبة الأمم في الوقت الذي كانت تتهاوى فيه تحت لطمات الدول الخارجة [illegible] بحث [illegible] في الإسكندرونة وكان [illegible] وتركيا على [illegible] الإسكندرونة [illegible] الإسكندرونة [illegible] للدول [illegible] . ثم أصدرت العصبة قانونا لتنظيم [illegible] في لواء الإسكندرونة وهي تتكون من مجلس تشريعي ينتخب على درجتين بطريق التصويت العام ، [illegible]
عنها تعاونه قوة بوليسية فرنسية عددها ١٥٠٠ جندي وضابط

ولم يكن هذا القرار الذي اتخذته عصبة الأمم [illegible] أو [illegible] على [illegible] فهو [illegible] من [illegible] خاص بالإسكندرونة لا [illegible] السوريون [illegible] لا [illegible] وحدة [illegible] السورية [illegible] وفي الوقت ذاته لا يحقق أطماع الأتراك [illegible] الإسكندرونة [illegible] تركيا [illegible] فرنسا سارت في سبيل إرضاء الأتراك أكثر مما سارت عصبة الأمم واتصلت بتركيا رأسا دون وساطة العصبة [illegible] في الإسكندرونة قوة

وليست معنوية للقوة الفرنسية ، وتعهدت الحكومتان في مقابل ذلك بمعاهدة صداقة وبدون اعتراف بالوضع الجديد للاسكندرونة وتركيا .

وأجريت الانتخابات الجديدة للجمعية التشريعية وحشدت لها تركيا كل عددها في المدينة وفازت فيها بعدد يكفل من الأتراك ٢٢ مقعداً من ٤٠ واجتمعت الجمعية الوطنية في انطاكية في ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٨ وانتخبت رئيساً تركياً للواء كما انتخبت رئيساً ورئيس الوزراء من الأتراك وأطلقت على منطقة اسم هاتاى بدلا من الاسم القديم وقد جرت في هذا على سياسة تركيا الجديدة في التتريك كل ما هو عربي وأصبحت اللغة التركية هي اللغة الرسمية الوحيدة في هاتاى الجديدة وانتزع الموظفون العرب من مناصبهم وشردوا من وظائفهم وحل محلهم موظفون من الأتراك وأصبح لهاتاى علمها الجديد وهو لا يختلف كثيراً عن العلم التركي .

وفي يونيه عام ١٩٣٩ وقد لاحت في الأفق نذر الحرب العالمية الثانية جلت فرنسا عن منطقة الاسكندرونة وضمتها تركيا دون أن تستشير سوريا أو تعوض لها عن حقوقها في إدارة اللواء لحساب الأتراك .

وهكذا فقدت سوريا لواء الاسكندرونة وإن كان العرب قد شعروا بهذه الخسارة فإنهم لم يشعروا بها بقوة كما شعروا بها بعد تحقيق استقلال الوطن في أعقاب الحرب وما جرت به الأحداث في الأمة العربية وعرفت تركيا أن استقلال سوريا قد يحيي المشكلة وحتما حتى لا تكون هناك قيمة لاعتراف فرنسا بضم الاسكندرونة إليها وإذا أصبح لسوريا بعد استقلالها الحق الأول في الاعتراف بوضع الاسكندرونة الحالي أو إنكاره وأصبح لزاماً على تركيا أن تظفر باعتراف سوريا بالوضع القائم .

مصر والمسألة المصرية

تحتل مصر بموقعها في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقية مركزاً [illegible] المواصلات العالمية في الشرق الأوسط فهي تشرف على طرق [illegible] وتقع على [illegible] أقرب الطرق البرية والجوية إلى أوربا والشرقين الأوسط والأقصى ، وهي المدخل الرئيسي للقارة الأفريقية ، وقلب الأرض الاستوائية فإن أرض وادي النيل تمتد جنوباً إلى قلب القارة حتى الهضبة الاستوائية وتتلاقى في امتدادها مع المنافذ الرئيسيــة وطرق الاقتراب الهامة إلى أطراف القارة في الشرق والغرب والجنوب وقد استخدم طريق القاهرة – الكاب الجوى من الشمال إلى الجنوب خلال الحرب العالمية ، كما كان طريق دكار – جيبوتي من الغرب إلى الشرق خطا هاما للنقل والتموين وللمواصلات الجوية المأمونة بين ميادين القتال المختلفة في الشرق الأوسط . وهي قاعدة الحشد للقوات الزاحفة شمالا نحو أعالي الفرات وهضبة الأناضول أو شرقا نحو أرض الجزيرة وإيران ، وقد ظلت مصر ملتقى الطرق البرية والبحرية التي [illegible] الشرق الأقصى إلى أوربا وسواحل البحر الأبيض المتوسط في القديم حتى تحول الطريق البحري إلى رأس الرجاء الصالح وفقدت الطرق البرية والبحرية عبر الشرق الأوسط أهميتها التجارية ففقدت بذلك عاملا هاما من عوامل تقدمها ورخائها واتصالها بالعالم الخارجي ثم أخذت الطرق البرية [illegible] بعد تقدم المواصلات البحرية والجوية فاستعادت أهميتها القديمة [illegible] لتطور الصلات العالمية وارتباطها [illegible] في الوقت الحاضر ، وكان فتح قناة السويس للملاحة عاملا هاما في عودة النشاط التجاري إلى هذا الطريق مرة أخرى وعودة الأهمية [illegible] والاستراتيجي لمصر وبلاد الشرق الأوسط من جديد أعظم منه في أي وقت مضى وضاعف من أهميتها ما كشف عنه تربة الشرق الأوسط من موارد بترولية هائلة جعلت تلعب أخطر دور في تاريخه وفي أهميته الإستراتيجية وتطوره السياسي والاقتصادي والعمراني الشامل وجعلت منه أخطر مركز من مراكز التنافس الدولي في العالم .

وقد ارتبطت مصر في تاريخها الطويل بالبلدان المجاورة ، وكانت معها على الدوام في مجال الحضارة والثقافة . ثم تزعمت العالم الإسلامي السياسية والروحية والثقافية [illegible] حتى إذا فقدت زعامتها السياسية ظلت زعامتها الثقافية والروحية كأقوى ما كانت ، وأصبحت ملجأ الأحرار عندما اشتد طغيان الأتراك في بلاد الشام وقوي شعورها في نشر الثقافة العربية وتدعيمها خلال الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها ، ثم [illegible] الجامعة العربية وزعيمة في الوقت الحاضر ودفعت حكومتها إلى [illegible] من أهواء [illegible] والأطماع الذاتية ودسائس السياسة الأجنبية [illegible] وحاربت مصر [illegible] لدى [illegible] الدول العربية والإسلامية في تطورها [illegible] الوطني لاستكمال استقلالها [illegible] الدولي [illegible]

وتنقسم مصر من حيث طبيعة أرضها إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي أولا الوادي [illegible] عاصمته [illegible] وشرق [illegible] ووادي النيل [illegible] من حلفا إلى [illegible] وشرق [illegible] الصحراء الغربية وتقع شرق الوادي على حدود البحر الأحمر وخليج العقبة وتشمل صحراء سيناء والصحراء الشرقية حتى حدود السودان وثالثا صحراء [illegible] وتقع غرب الوادي وتمتد حتى حدود [illegible] وهي [illegible] وتمتد من البحر الأبيض [illegible] إلى [illegible] المنخفضات العظمى التي تتبع سيوة ومنخفض القطارة والبحرية ، والقسم الجنوبي ويمتد من منطقة المنخفضات العظمى حتى حدود مصر الجنوبية .

وتبلغ مساحة مصر ٣٨٣,٠٠٠ ميل مربع ولكن مساحتها المأهولة في [illegible]

الوادي والواحات لا تعدو ١٣,٦٠٠ ميل مربع وهي بذلك مساحة ضيقة ضئيلة بالنسبة للمساحة العامة التي تتسع فيها الصحراء وتعدو على حساب [illegible] ٩٦,٥ ٪ [illegible] وقدرت جملة الأرض المزروعة بإحصاء عام ١٩٤٩ ما مساحته ٥,٨٣٠,٨ [illegible] فدان منها ١,٤٣٣,٧٢٨ فدانا من الأملاك الأميرية المستصلحة والقابلة للاستصلاح . وهذه مساحة ضيقة تضيق بسكانها الذين يعتمدون اعتمادا كليا على الزراعة ويبلغ عدد المشتغلين بها ما يقرب من ٧٠ ٪ من مجموعهم العام وهي أشد

جهات العالم كثافة بالسكان فإن متوسط عددهم في كل كيلو متر مربع من الأرض المزروعة ١٤٥٠ نسمة ترتفع ارتفاعاً عظيماً في المحافظات فهي في القاهرة ١٥٫٢٨٣ نسمة لكل كيلومتر مربع وفي الاسكندرية ١٢٫٩٨١ نسمة وفي القنال ٤٫٣٠٧ نسمة وفي السويس ٤١٤ نسمة وفي دمياط ٢٤٨٣ نسمة ومتوسط عام ١٩٧٤ نسمة ومن مصر سريعو التكاثر تقدر نسبة مواليدهم بأربعين في كل ألف، وهي ولا ريب أعلى نسبة نمو [illegible] في العالم بعد فلسطين [illegible] ونسبة [illegible] أعلى نسبة للوفيات في العالم وتقدر بست وعشرين في كل ألف وهي أعلى [illegible] في [illegible] ٢٢٤ في كل ألف طفل عام ١٩٣٥ وقد بلغ عدد سكان مصر ١٩٠٢٢٣٨٩ نسمة وذلك في إحصاء سنة ١٩٤٧ وكان عددهم ١٥٫٩٣٢٫٦٩٤ نسمة في إحصاء عام ١٩٣٧ بزيادة سنوية متوسطها ١٫٩٨ ٪ خلال عشر سنين، بينما لم تزد مساحة الأراضي المزروعة [illegible] فلا [illegible] زيادة [illegible] الحرب [illegible] زراعة [illegible] في [illegible] وإن زادت [illegible] الأرض [illegible] كانت [illegible] أو [illegible] أكثر من [illegible] التي بلغت ١٨ ٪ قبل الحرب الماضية [illegible] السكان [illegible] متوسط [illegible] في سنوات [illegible] الحرب [illegible] عما كانت عليه في السنوات العشر التي سبقت الحرب الأولى [illegible] الإنتاج المحدودة إلى زيادة [illegible] في سنوات الأخيرة وجاءت سنوات الحرب فهبطت نسبة الإنتاج لتعذر استيراد الأسمدة وإن لم يؤثر ذلك في مستوى الدخل العام للفرد بسبب ظروف الحرب [illegible] مستوى الدخل [illegible] من الزراعة قد هبط خلال الحرب [illegible] الرواج الظاهري الذي [illegible] الفلاح [illegible] من المحصول [illegible] قبل اشتداد الغلاء [illegible] على قيمة ما [illegible] من [illegible] الأجر [illegible] عن المحصول [illegible] في [illegible] الأرض [illegible] وهي مستوى [illegible] للفلاح [illegible] الخطط [illegible] بعض [illegible] حتى [illegible] الأرض والحد من [illegible] الطائلة والعمل على تصنيع البلاد حتى [illegible] من [illegible]

في الريف وهم من الكثرة بدرجة تزيد على حاجة الزراعة الحقيقية للأيدي العاملة و[illegible] كالا [illegible] أن ١٠ ٪ من مجموع العمال الزراعيين في مصر قادر على القيام بالأعمال التي [illegible] نصف ما تستخدمه الزراعة الأمريكية من الآلات الزراعية وتستطيع سياسة التصنيع وحدها أن تستوعب تلك الأيدي الزائدة من [illegible] [illegible] في الصناعات التي ستنشأ نتيجة لها كما نرى أن إصلاح حال الفلاحين لا يتم إلا بإصلاح النظام القائم في توزيع الأرض وبغير ذلك لن يرجى أي إصلاح لحالهم لا سيما وأنهم لم يجنوا [illegible] من تقدم الإنتاج الزراعي وارتفاع أسعار المحاصيل [illegible] الأخيرة [illegible] مؤلفة [illegible] الأرض و[illegible] في [illegible] الفلاح المصري من [illegible] سوء [illegible] [illegible] من [illegible] أكثر من [illegible] نفس من سكان مديريتي قنا وأسوان نتيجة لسوء التغذية [illegible] اعتراف مصطفى النحاس رئيس الوزراء في البرلمان عام ١٩٤٤ بأن ما أصاب سكان [illegible] من كارثة كان نتيجة الفقر الناجم عن سوء توزيع الأرض [illegible] من [illegible]

[illegible] مساحة السودان وهي تقرب من ثلاثة أضعاف مساحة مصر وتنقسم إلى ثلاث مناطق جغرافية متباينة في [illegible] والمناخ والغلات هي بلاد النوبة والسودان الشمالي والسودان الجنوبي . وتمتد بلاد النوبة من التقاء العطبرة بالنيل حتى نهاية منطقة الجنادل في الشمال وهي امتداد للصحراء الإفريقية الكبرى ويقع في وسطها على ضفتي نهر وادي النيل [illegible] ضيق خصب وفي شرق هذه المنطقة [illegible] ترتفع [illegible] حتى تصل [illegible] [illegible] غرب الصحراء [illegible] حتى تصل إلى [illegible] البحر الأحمر التي تمتد على طول الساحل وتنحدر نحوه انحدارا شديدا [illegible] عدد من الوديان الصحراوية [illegible] وبين البحر سهل ساحلي ضيق يمتد شمالا حتى السويس . وإلى الغرب من النيل [illegible] تمتد الصحراء [illegible] قاحلة [illegible] في

ارتفاع [illegible] على حواف [illegible] ووادى [illegible] هو طريق الاقتراب الوحيد للسودان من الشمال كما أن طريق [illegible] السودان – [illegible] هو طريق الاقتراب من [illegible] الغربية

ويمتد شرق السودان جنوب [illegible] سهول هضبة الحبشة في شرق [illegible] الغربية في الغرب حيث تقع [illegible] كردفان ودارفور ، ويتوسطه [illegible] الخصب من [illegible] الأبيض والأزرق [illegible] في زراعة القطن والذرة [illegible] عام ١٩٥٠ ، [illegible] شرق إقليم الجزيرة في الارتفاع والوعورة وتغطيها الغابات الكثيفة حول النيل الأزرق والعطبرة والسوباط الأعلى ، [illegible] على حدود السودان الشرقية إلى [illegible] جنوب شرق [illegible] السودان مقيدا بمسالك معينة أهمها

١ – طريق كسلا – [illegible]

٢ – طريق الروصيرص – أديس [illegible] النيل الأزرق

٣ – طريق القلابات – [illegible]

وتمتد سهول كردفان غرب النيل الأبيض في ارتفاع يصل إلى ألفي قدم [illegible] السودان [illegible] أمطار [illegible] كثيفة [illegible] عليها الماشية وهي مصدر من مصادر الثروة في السودان ، وتزداد كثافة كلما اتجهنا جنوبا حتى تصل إلى [illegible] وترتفع هضبة دارفور [illegible] ثلاثة آلاف قدم يجرى وسطها خط تقسيم المياه بين النيل و[illegible] تشاد ، وفي [illegible] إفريقيا الاستوائية الفرنسية [illegible] ، ولا [illegible] أرضها سوى عمليات حربية [illegible] ، وهو طريق الاقتراب [illegible] السودان عبر دارفور وكردفان هو طريق الفاشر – الأبيض – كوستي

ويتبع جنوب السودان حوض بحر الجبل وبحر الزراف وحوض بحر الغزال وروافده وهو حوض عظيم لا يستوى مستوى أرضه كثيرة مستنقعاته تعترض مجارى أنهاره السدود النباتية الكثيفة تقف دون تدفق مياهها و [illegible] فتغمر الأرض وما حولها ، ويتصف من جهة الشرق بهضبة الحبشة وعرة [illegible] تلك شديدة الانحدار نحو السهول شماله ويخترق بحر [illegible] ثم وادى صحراوى مرتفع [illegible] يعترض مجراه شلالات فوق [illegible] جزيرة العرب ، وجنوب السودان [illegible] وكثيرة [illegible] وسدوده [illegible] مواصلاته وأرضه [illegible] لا تيسر [illegible] ولا تلائم القيام بعمليات حربية واسعة .

ويقرب مجموع سكان السودان من ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة جلهم من المسلمين الذين يبلغ عددهم نحو [illegible] ملايين نسمة ، وينتمون لعدة طرق [illegible] صوفية ولكن أكثرها انتشارا فى الوقت الحاضر الطريقة الختمية [illegible] الطريقة [illegible] على [illegible] مؤسس [illegible] الطريقة ومؤسسها السيد محمد عثمان الميرغنى الكبير الذى انتشرت الطريقة الختمية فى كسلا [illegible] مقر الدعوة وتنتشر [illegible] فى السودان الشمالى والشرقى ومن فروعها الإدريسية ومؤسسها السيد [illegible] ومقرها [illegible] وتنتشر [illegible] فى السودان الغربى [illegible] وهى أقوى [illegible] والأحمدية وتعرف أيضا بالإدريسية وشيخها السيد محمد [illegible] من صعيد مصر [illegible] وهى فرع من [illegible] وتنتشر فى دارفور من [illegible] والتيجانية [illegible] ومركزها [illegible] والمهدية [illegible] ويتزعمها الآن السيد عبد الرحمن المهدى بن المهدى الكبير وأكثر أتباعه من [illegible] فى كردفان ودارفور [illegible] والدين أقوى فى السودان

والسكان فى السودان خليط من الجنس الحامى والسامى يتكلمون اللغة العربية ويغلب عليهم تقاليد العرب وطباعهم وأشهر قبائلهم [illegible] الكبابيش وسكان الصحراء [illegible] الكبرى [illegible] والشرقية وتقيم فى منطقة [illegible]

إلى مصر ، والمنطقة فيما بين العطبرة والبحر الأحمر ، والمنطقة غرب النيل الأبيض ، وباقي سكان السودان من الحاميين الوثنيين ويعيشون على الفطرة في السودان الجنوبي وينتشر بينهم التبشير المسيحي تحت رعاية الاستعمار ولكنه يجد منافسة شديدة من انتشار الدعوة الإسلامية على أيدى بعض الدعاة المسلمين . وأشهر قبائلهم الشلوك على الضفة الشرقية للنيل الأبيض قريبا من كدوك والدنكا في منطقة بحر الغزال والنوير ويقطنون بعض جهات بحر الجبل والزراف والسوباط ، ثم الأزاندى في المنطقة الفاصلة بين حوض النيل وحوض الكنغو .

والسودان رأس الإمبراطورية البريطانية الإفريقية ومنطقة الدفاع عنها في الشمال والشرق ، وقد احتلت أهميته الاستراتيجية في حدود الدفاع الإمبراطوري مرتبة [illegible] بعد الحرب الثانية حتى قرر وزير خارجيتها دون [illegible] في مؤتمر عقد في لندن عام ١٩٤٥ ، نقل خط الدفاع الإمبراطوري القديم الذي ارتكز على جبل طارق ومالطة وقبرص والسويس ويقع على خط عرض ٣٠ شمالا إلى خط الاستواء جنوبا حتى أن تركز في منطقة ساحل الذهب غرب إفريقية مارا بنيجيريا والسودان وكينيا وتنجانيقا وترتكز على قاعدة كينيا التي يمكن أن تحل محل قاعدة السويس ويتوفر لها من العمق الاستراتيجي ما لا يتوفر في قاعدة السويس القريبة من مواطن الصراع العالمي وأصبح السودان بذلك أكثر أهمية من مصر وقناة السويس في الدور الحربي للاستعمار البريطاني والذي أخذ كثير من إنجلترا القديمة في خطوط سياستها الجديدة واتخذت في السودان سياسة ترمي إلى تحقيق أهدافها منه ومصالحها فيه تقوم على فصله عن مصر حتى تنفرد به وتخلق منه منطقة نفوذ لها في أية صورة من صور النفوذ والسيطرة مع القضاء على تحقيق أمنية وحدة وادي النيل لمصلحة أهله في الشمال والجنوب .

والحدود السياسية الحديثة بين مصر والسودان حدود مصطنعة وضعت بمقتضى اتفاقية الحكم الثنائي التي أبرمت عام ١٨٩٩ وتقع على خط عرض ٢٢ شمالا وتبعد بذلك عن الحدود القديمة التي كانت تمتد إلى شلالات الجندل الرابع وقد بدأت بريطانيا بفصم الحدود الفاصلة بين مصر والسودان عندما طلبت إلى الحكومة المصرية إخلاء السودان

ووصلت القوات المصرية شمالاً إلى أسوان أو وادي حلفا وكأنها كانت رغم المستقبل
ما تمكن أن تعيد إليه حدود السودان في كافة النواحي ثم تفكر في استرجاع
السودان قبل أن تنتهي من تقسيم القسمة الإفريقية بينها وبين الدول المكالبة عليها
وعاود الإنكليز التفكير في السودان على الوجه الذي رسمه بعد أن تقطع ما تود
اقتطاعه في وأشير إليه . ووصلت حدود السودان في الشرق والغرب والجنوب عرضة
للتغيير والتبديل حتى بعد استعادته وإبرام اتفاقية عام ١٨٩٩ ، فقد خطت الحدود بينه وبين
إريتريا في معاهدات أبرمت بين بريطانيا وإيطاليا في ديسمبر عام ١٨٩٨ ، وفي
يناير عام ١٨٩٩ وفي أبريل عام ١٩٠١ . أما الحدود بينه وبين الحبشة فقد أبرمت
بشأنها اتفاقية مايو عام ١٩٠٢ بين بريطانيا وإيطاليا والحبشة . وفي عامي ١٩٠٦
و١٩١٠ اتفقت بريطانيا وبلجيكا على الحدود التي تفصل بينه وبين الكنغو ، وسارت
الحدود الجنوبية التي تفصل بينه وبين أوغندا من بحيرة رودلف إلى النيل الأبيض
ولكنها عدلت عام ١٩١٤ تحت ضغط الحرب لأن المناطق الملاحية من النيل
الأبيض ضمن حدوده .

ومنذ أعطت بريطانيا لنفسها حق في تخطيط حدود السودان استمسكت فقد
مدت أصابعها إلى تخطيط الحدود المصرية في الشرق والغرب ، ففي الشرق وجدت
من الأسباب الموجبة لمساعدتها أرادوا اقتطاع شبه جزيرة سيناء من مصر عام ١٨٩٢
وعندما عادوا مرة أخرى فحاولوا ذلك عام ١٩٠٦ وانتهى هذا النزاع حول الحدود
الشرقية باعتراف تركيا بحدود مصر الحالية في الشرق وهي التي تمتد من رفح
إلى خليج العقبة ، وفي الغرب حملت الحكومة المصرية عام ١٩٢٥ على تعديل
الحدود الغربية لمصلحة إيطاليا في ليبيا بضم واحة جغبوب إليها .

جغبوب والحدود الغربية

تقع جغبوب إلى الغرب بقليل من خط الحدود السياسي بين مصر وليبيا على
بعد ٢٢٠ كم جنوباً من بئر الرملة في الشمال وكانت تقع داخل حدود مصر وذلك قبل أن
توقع اتفاقية ديسمبر عام ١٩٢٥ بتعديل الحدود الغربية بينها وبين ليبيا تحت ضغط
بريطانيا ورغبتها في إرضاء إيطاليا بضم واحة جغبوب إلى ليبيا . وتستمد جغبوب

أهميتها من موقعها في ملتقى طرق القوافل بين ساحل البحر الأبيض المتوسط والسودان الفرنسي وبين ليبيا وصحراء مصر الغربية وهي مركز حشد القوات المتقدمة من ليبيا إلى مصر العليا عن طريق سيوه ، ومن ثم يمكن مركز الحشد والتقدم الرئيسي لها إذا طرق الإقليم حين يسير ساحلا البحر في الشمال ولكن القوات الزاحفة من جغبوب يمكنها أن تطوق جناح القوات المدافعة في السلوم وتقطع عليها خط الانسحاب نحو الجنوب فلا تستفيد من العمق الأكبر حتى الوادي النيل وبالعكس يمكن للقوات الزاحفة من مركز الحشد في سيوه إلى ليبيا حماية الجناح الأيسر للقوات الزاحفة إلى برقة على الطريق الرئيسي نحو شمال إفريقيا . وقد ظهرت أهمية جغبوب الاستراتيجية عندما هاجم السنوسيون مصر في داخل الحدود المصرية وحتلوا الواحات عام ١٩١٦ م مما جعل سلطات مصر تضرب القوات الاجنبية فيها وعندما تحركت عندها قوات المحور أثناء الحرب العالمية الثانية للهجوم على مصر

وليست جغبوب في خصب الواحات الأخرى فماؤها مرق والنبت فيها نادر ولكنها اكتسبت أهميتها عند الطائفيين من كونها المركز الروحي للدعوة السنوسية ومعقل تعاليمها ، فقد اتخذها السيد محمد بن علي السنوسي مؤسس الدعوة ورائدها الأول مقرًا له في ... نشر منها دعوته وبث تعاليمه في الأصقاع المجاورة ، وبنى فيها زاويته المختارة التي أصبحت موئل الدعوة السنوسية ومدرستها الأولى ، ترحل إليها الوفود للاتصال بزعيمها والأخذ عنه ويقصدها الطلاب لارتشاف مناهل العلم والعرفان والتفقه في أمور الدين وتشرب أصول الطريقة التي عليهم أن يدعوا لها وينشروها بين الناس ، وفيها مات ودفن وشيد ضريحه الذي أصبح مزارًا لرواد دعوته وأتباعه وقد ظلت جغبوب مركز العالم السنوسي ومعقلها الروحي حتى تم انتقال مركز الدعوة إلى واحات الكفرة عام ١٨٩٥ ، وقد زارها الرحالة المصري أحمد حسنين عام ١٩٢٣ ورآها ملتقى للعلم والدين يتسع مسجدها الكبير زهاء سمائة نفس وتسع مدرستها ثمانمائة طالب أو يزيد ممن يقصدونها للدراسة والتعمق في أصول الطريقة السنوسية .

وقد لقيت إيطاليا من مقاومة السنوسيين والسنوسية لتوسعها الاستعماري ما حملها على القضاء على النفوذ في زواياها ومعاقلها المنتشرة في الصحراء ، وكان السنوسيون كثيراً ما يلوذون بجغبوب بعيداً عن سطوة الإيطاليين ونفوذهم . وعملت إيطاليا على ضم جغبوب إليها وتوسطت في ذلك بمساومة اعتمدت عليها عندما انضمت إليهم في الحرب العالمية الأولى وصادف في اتفاق لندن السري عام ١٩١٥ تعهداً في ليبيا وبالرغم من أن اتفاق عكرمة الذي عقد بين السنوسيين وإنجلترا عام ١٩١٧ كان يعتبر واحة جغبوب جزءاً من الأراضي المصرية ، واشترط السنوسيون لتنفيذ الاتفاق أن تبقى جغبوب مصرية ، إلا أن إيطاليا لم تكف عن أطماعها فيها ومطالبتها بها ، وجرت مفاوضات شاقة بين مصر وبينها وبين بريطانيا لتعيين خط الحدود بين ليبيا ومصر عام ١٩١٩ من غير علم مصر أو استشارتها ، وبالرغم من معارضة رجال الحرب البريطانيين في ضم جغبوب إلى ليبيا لضرورتها في الدفاع عن الحدود الغربية حتى كتب محافظ الصحراء الغربية الإنجليزي في مارس سنة ١٩٢٥ مشيراً إلى تقرير الخبراء العسكريين وإجماعهم على أهمية جغبوب الحيوية للدفاع عن مصر ، وإلى أن بريطانيا قد وعدت السنوسيين في اتفاق عكرمة عام ١٩١٧ بالاحتفاظ بجغبوب لمصر وعدم التفريط فيها لإيطاليا ، فإذا سلمت بريطانيا جغبوب لإيطاليا فإن ذلك ولا ريب سيثير الكرامة ويضعف الثقة بها لاسيما وأن للسنوسيين أتباعاً ومريدين من أقوياء في مصر والسودان ، وبالرغم من كل هذا سمحت بريطانيا لنفسها بأن تخضع لإيطاليا في ضم جغبوب إلى ليبيا وتعديل الحدود في غربي ليبيا وبين مصر ، وأنذرت مصر ، بأن إصرارها على التمسك بجغبوب سيفقدها إياها في النهاية دون أن تنال تعويضاً عنها في منطقة السلوم فاضطرت إلى توقيع اتفاق تنازلت عنها وتعديل الحدود الغربية في ديسمبر عام ١٩٢٥ وهو الذي بمقتضاه تم تسليم جغبوب واحتلتها إيطاليا بعد ذلك في ٧ فبراير سنة ١٩٢٦ .

وتمتد الحدود الغربية بين مصر وليبيا بعد أن أقرت اتفاقية جغبوب من خليج السلوم في خط يشطر هضبة السلوم شطرين ويتجه جنوباً حتى يتلاقى مع الحدود السياسية بين مصر والسودان بعد أن تركت واحة جغبوب داخل حدود ليبيا ، ولم تكن

إيطاليا أوسع من آثار مسألة الحدود الغربية فقد أثارتها تركيا كما أثارت مسألة الحدود
الشرقية من قبل وذلك بعد أن احتلت بريطانيا مصر وكان كل يوم يمر على احتلالها
يتضاعف من [illegible] تركيا بسبب ارتباطات مصر وتثبيت دعائم احتلالها ونفوذها في
هذا الركن الشمالي الشرقي من أفريقيا وخاصة بعد أن عقد الاتفاق الودي بينها وبين
فرنسا عام ١٩٠٤ فحاولت أن تقتطع من أطراف مصر الغربية ما تستطيع وضمها
إلى ليبيا وكانت لا تزال ولاية عثمانية وكان نصيبها من الفشل في هذه المحاولة
لا يقل عن نصيبها من الفشل في محاولة اقتطاع سيناء [illegible] من قبل . فقد
نص [illegible] الذي [illegible] الاتفاق الودي [illegible] على أن تمتد من رأس علم
الروم حدود مصر من جهة الغرب وتقع رأس علم الروم إلى الشرق من مرسى مطروح ،
وأن تكون تلك المساحة الواسعة من رأس علم الروم إلى هضبة السلوم داخل حدود
ولاية طرابلس الغرب وتحرم مصر بذلك من [illegible] من عوامل [illegible] الطبيعية وحماية
حدودها الغربية ، ورفض الإنجليز هذا الطلب بحجة أن حدود مصر الغربية كانت
على الدوام عند هضبة السلوم وأن هضبة السلوم نفسها وواحة جغبوب أملاك مصرية
لا تنفصل عنها . وفي عام ١٩٠٥ تقدم [illegible] بمشروع لتحديد تخوم مصر الغربية
يقوم على دراسة استراتيجية عميقة ، فقد جعل من رأس الملح التي تقع على
مسافة خمسة عشر ميلا غرب السلوم نقطة ابتداء [illegible] الحدود بين مصر
وطرابلس الغرب ، وهذا المشروع [illegible] الحدود السياسية القديمة لمصر
من ناحية الغرب ، وأهمية المشروع [illegible] واضحة [illegible] جعل خط
الحدود الذي [illegible] خليج السلوم وهضبة [illegible] داخل الحدود المصرية وراعى أن
تكون أقرب قاعدة للحشد وهي طبرق على بعد [illegible] ميل منها وأن يكون مرسى سليمان
وهو الذي يعرف [illegible] بردية وقع مباشرة إلى الغرب من خليج وهضبة السلوم
داخل الأراضي المصرية . وعند الحدود جنوبا فتكون واحة جغبوب مصرية أيضا
حتى لا تكون [illegible] مصر من ناحية الغرب عن طريق الصحراء ، فإن أقرب
الواحات إلى جغبوب في [illegible] هي واحة جالو وتبعد عنها حوالي مائتين وخمسين ميلا

والمرحلة بينهما شاقة مجهدة لا تتوفر فى عبورها موارد المياه . ومن المعروف أن جغبوب تتسلط على منطقة المنخفضات العظمى فى الصحراء الغربية وهى على رأس طريق الإغارة الصحراوى المكشوف إلى وادى النيل من ناحية الغرب .

ولم يلق مشروع كثير من جهود الحكومة أو عناية مما هو جدير به من تقدير واهتمام بين الحربين حتى ذلك الوقت . ولم تكن تخشى شرًا يأتى مصر من ناحية الغرب وكان جل اهتمامها موجها إلى حماية قناة السويس ورعاية الحدود الشرقية المصرية من خطر الاعتداء الأجنبى فى الشرق . واتفقت تركيا وبريطانيا عام ١٩٠٧ على أن تبدأ الحدود الغربية من نقطة تقع على خليج السلوم وتشطر الخليج والهضبة شطرين أحدهما وفيه السلوم داخل حدود مصر والآخر وفيه ثغر البردية داخل حدود طرابلس فقضى ذلك على كل مزاياه الاستراتيجية فى مشروع كهذا ، لأن البردية تقوم على قمة الهضبة تسيطر على ميناء السلوم وخليجها فتكشفهما وتجعل الدفاع عنهما أمرًا صعبًا إن لم يكن مستحيلا . ومن المعروف أن المسافة من السلوم إلى مرسى مطروح خالية من المواقع الطبيعية التى تصلح كخطوط دفاع أمامية ضد الغزو . ورفضت تركيا بعد ذلك أن تسحب قواتها الأمامية من منطقة السلوم التى دخلت الحدود الجديدة ، ولم تستطع مصر أن تجليها فبقيت داخل حدود مصر حتى نشبت الحرب العالمية الأولى وكانت قد قامت قبل ذلك حرب طرابلس . وقبلها ثلاث سنوات واحتدم القتال بينهم وبين السنوسيين ووجد السنوسيون فى انضمام تركيا إلى ألمانيا فرصة لتحرير بلادهم فهاجموا الإيطاليين فى ساحلهم ودفعتهم تركيا إلى غزو مصر فتقدموا إلى مرسى مطروح وحاصروها فى الساحل ، كما تقدموا إلى جغبوب واحتلوا منطقة الواحات وظهرت أهمية جغبوب للمرة الأولى فى العصر العصر الحديث كطريق للغزو إلى وادى النيل كما ظهرت أهميتها مرة أخرى خلال الحرب الثانية عندما اتخذتها قوات المحور قاعدة للتقدم نحو مصر . ثم انتهت الحرب الأولى وما أن وطئت إيطاليا قدمها فى ليبيا حتى أخذت تلح على الحكومة

الإيطالية بسعيد تحقيقاً لاتفاق شالويا – ملنر بضم جغبوب إلى ليبيا محافظة بذلك اتفاق جغبوب الذي عقدته مع السنوسي عام ١٩١٧ وكانت بريطانيا طرفاً فيه ، وتحدت بريطانيا مصر إلى التنازل عن جغبوب لإيطاليا في مقابل أن تمتد حدود مصر عند السلوم غرباً إلى مسافة على مسافة عشرة كيلومترات من السلوم ، وشمل التنازل منطقة واسعة من الصحراء الغربية ومنها واحة جغبوب وواحتي أركنو والعوينات واتخذت إيطاليا جغبوب قاعدة للاستيلاء على الكفرة عام ١٩٣١

وقد وقعت الحكومة المصرية برئاسة زيور اتفاقية جغبوب في غيبة البرلمان في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ وصدق عليها إسماعيل صدقي في يونيه عام ١٩٣٢ ، واعتبر تصديقه عليها غير قانوني لأنه تم في ظل عهد عطل دستور البلاد وحياتها النيابية وعادت مصر تطالب باسترداد جغبوب بعد هزيمة إيطاليا في الحرب الثانية وانهيار إمبراطوريتها ، ولكن لم تسترد شيئاً حتى الآن

المسألة المصرية والمفاوضات الثنائية :

ظلت المسألة المصرية بعد إعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ في دور من المفاوضات الثنائية بين مصر وبريطانيا لحل المسائل المعلقة من التحفظات وهي التي ضمنتها تحفظات بريطانيا الأربعة في هذا التصريح ، ولم يكن يرجى شيء من هذه المفاوضات إلا أن تكسب من ورائها بريطانيا مزيداً من تدعيم مصالحها في مصر ، وتعثرت المفاوضات بين عدلي وكرزن ، ثم بين سعد وماكدونالد ، ثم بين محمد محمود وهندرسن دون أن تحصل على حقوق مصر كاملة ولم تنجح المفاوضات إلا في عام ١٩٣٦ وانتهت بإبرام معاهدة صداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ .

وكانت الحركة الوطنية قد عانت كثيراً من جراء سياسة الاحتلال وتدخل القصر في الحكم ، والروح الحزبية التي قضت على وحدة الأهداف الوطنية وقوتها ، وجاء الوقت بعد مرور أربعة عشر عاماً من إعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

مصاحبا لإبرام معاهدة عام ١٩٣٦ فقد شهدت البلاد خلالها من ألوان الضغط الإنجليزي وتدخل الإنجليز بشكل سافر أو مستور في شئون البلاد الداخلية ونزعة القصر الاستبدادية والعبث بالدستور والخلاف الحزبي ما فل كثيراً من عرامة الروح الوطنية وقوتها وحماسها ، وساعد ذلك على قبول هذه المعاهدة بمساوئها وقيودها .

وبدأت المفاوضات الأولى بين سعد ومكدونلد بلندن في سبتمبر سنة ١٩٢٤ ، وكان سعد على رأس الحكومة المصرية بعد فوز الوفد بالأغلبية البرلمانية ، وكان مكدونلد على رأس الحكومة البريطانية بعد فوز العمال في الانتخابات العامة ، واستبشر سعد بوجودهم في الحكم ولكن السياسة الخارجية البريطانية لا تتغير في قواعدها الأساسية باختلاف الأحزاب أو تغير الحكومات ، فلم تجد المطالب التي تقدم بها سعد ترحيبا من حكومة العمال وقطعت المفاوضات بعد بدئها ، وتتلخص هذه المطالب في جلاء القوات البريطانية عن مصر وعدم تدخل بريطانيا في الدفاع عن القناة ، وإلغاء وظيفتي المستشارين المالي والقضائي ، واستقلال مصر بممارسة سياستها الخارجية حرة من كل مظاهر السيطرة البريطانية ، وتنازل بريطانيا عن دعواها في حماية الأجانب والأقليات والاعتراف بملكية مصر للسودان .

وكانت المفاوضات الثانية بين ثروت الذي رأس الحكومة الائتلافية في مصر في أبريل سنة ١٩٢٧ وتشمبرلن وزير الخارجية البريطانية في حكومة المحافظين ، وقد وصلت هذه المفاوضات إلى مشروع معاهدة ظل ثروت سراً مكتوماً حتى عن أعضاء وزارته إلى أن ألح عليه الوفد بضرورة عرض المشروع وبحثه وخرج من هذا البحث برفضه ، ورفضه مجلس الوزراء بدوره ولم يجد فيه ما يدعوه إلى عرضه على البرلمان ولا يختلف ما جاء في هذا المشروع عما جاء في مشروع كيرزون المتقدم فهو يحقق لبريطانيا كل ما تهدف إليه من نفوذ وسيطرة واستغلال لموارد البلاد في السلم والحرب .

وما إن علمت الحكومة البريطانية برفض المشروع حتى أحدثت تغيير وتوعد

عهوده موعدة ، وأعلنت صحيفة التايمس عن رأيها « إن النحاس باشا على مايظهر ليس أكثر ميلا إلى إدراك حقائق المسألة مما كان عليه زغلول باشا منذ أربع سنوات عندما ذكر له مستر رمزي مكدونلد أنه لا يمكن لأية حكومة بريطانية أن تعهد بعد تجربة الحرب الأخيرة إلى الدول حتى بجزء عن مصلحتها فى حراسة طريق حيوية فى المواصلات البريطانية مثل قناة السويس ، ويجب أن يكون مثل هذا الضمان وجها من وجوه أى اتفاق بعد ، وإن إدراك ثروت باشا لهذه الحقائق هو الذى جعل من المستطاع مفاوضة لعقد المعاهدة ، ورفض النحاس باشا إدراكها هو الذى سيجعل من المتعذر الوصول إلى تسوية مستقبلا » وكان هذا ردا على رسالة المندوب السامى التى أرسلها إلى تشمبرلن بمحتوى حديث جرى بينه وبين النحاس رئيس الوفد وزعيم الأغلبية قال فيها : « إن زعيم الأغلبية قال إنه يشعر أنه من العبث البحث فيما يعود على مصر من الفوائد من وجود هذه المعاهدة مجحفة ما دامت المعاهدة لا تنص على جلاء القوات البريطانية من مصر جلاء تاما » ومن ثم أخذت الحكومة البريطانية تسفر عن تدخلها فى شئون البلاد الداخلية وأنذرت الحكومة المصرية بسحب مشروع قانون الاجتماعات والمظاهرات ، وأثمرت إنذاراتها فلم تجد الحكومة المصرية حيالها بدا من تأجيل النظر فى المشروع وإهماله .

وكان الدور الثالث من المفاوضات بين محمد محمود الذى ألف الوزارة بعد إقالة وزارة النحاس وبين آرثر هندرسن وزير الخارجية فى حكومة العمال التى خلفت حكومة المحافظين بعد فوز حزب العمال فى الانتخابات البرلمانية فى يونيو سنة ١٩٢٩ ، وكان محمد محمود قد أبدى رغبته إلى هندرسن بحث مسألة إلغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر ، ورأى هندرسن أن تتناول المفاوضات بحث المسألة المصرية كلها ، وبدأت المفاوضات صيف عام ١٩٢٩ وأسفرت عن مشروع معاهدة يخفف فيه قيود مشروع معاهدة ثروت – تشمبرلن إلا أنه لا يختلف فى جوهره عنه ، ففيه حفظ للاحتلال البريطاني للبلاد وفصل مسألة السودان عن المسألة المصرية حتى قال عنه تشمبرلن فى خطبة له « إن المقترحات الحالية هى من وجوه كثيرة أقرب ما تكون للمقترحات التى فاوض فيها ثروت باشا » ومع ذلك عرض هذا المشروع على الوفد لينظر فيه على عودة الحياة النيابية لعرضه على الأمة كلها واضحة جلية ، وسمحت الحكومة

البريطانية لهذا الرأي فسقطت وزارة محمد محمود وألف عدلي الوزارة التي أجرت الانتخابات العامة في ديسمبر ، وفاز فيها الوفد بأغلبية ساحقة فدعي النحاس بعدها لتأليف الوزارة فألفها وبدأت مفاوضات مع هندرسن في ٣١ مارس سنة ١٩٣٠ للوصول إلى اتفاق حول المسائل المعلقة بين البلدين ، وفي ٨ مايو قطعت المفاوضات لعدم الوصول إلى اتفاق بشأن السودان .

وكان الطور الأخير من المفاوضات هو الذي جرى بين الجبهة الوطنية التي تألفت من الأحزاب المصرية برئاسة النحاس وبين المندوب السامي البريطاني مستر لامبسون ومعاونيه من العسكريين والمدنيين وبينما كانت هيئة المفاوضات البريطانية تضم ثلاثة من أساطين العسكرية البريطانية في مصر والشرق الأوسط هم القائد العام للقوات البريطانية في مصر وقائد أسطول البحر الأبيض المتوسط وقائد الطيران في الشرق الأوسط ، لم يكن بين المفاوضين المصريين من يمثل هذه الناحية تمثيلا صحيحا ، ولذلك جاءت المعاهدة وقد كبلت البلاد بقيود وأعباء عسكرية ثقيلة

وانتهت المفاوضات بإبرام معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا ، ووقعت أصولها في قاعة لوكارنو الرسمية بوزارة الخارجية البريطانية في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ وحققت لبريطانيا أكثر من الوعود التي ساومت بها ، المطالب التي تمسكت بها في جميع الأدوار والتي تعثرت بها المفاوضات أكثر من مرة قبل إبرامها ، ولم تحقق مصر منها ما كانت ترجوه من تحقيق استقلالها وسيادتها غير منقوصين

وانتهت بذلك مرحلة هامة من مراحل تطور المسألة المصرية ، وترتبت بعدها العلاقات بين مصر وبريطانيا على أوضاع ثابتة حتى طغت على الحوادث مصر السياسية والوطنية في ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فتجدد أمر مصر وموضوع تعديل المعاهدة وتقرير العلاقات البريطانية المصرية على أسس جديدة تتفق وما تتطلع إليه مصر من تحقيق سيادتها كاملة على ضوء المبادئ الجديدة لهيئة الأمم المتحدة ، وتطور العلاقات الدولية عامة

وقد جرت الحياة في مصر خلال تلك الفترة في ما بين إعلان تصريح فبراير
سنة ١٩٢٢ وإبرام معاهدة أغسطس سنة ١٩٣٦ حقبة تاريخية مضطربة تنوشها نوازل
متعددة من تدخل القصر في حكم البلاد وما جره من تعطيل للحياة النيابية مرات [illegible] ،
وتناحر الأحزاب واختلافها اختلافاً شكل أساساً من عوامل [illegible] الحركة الوطنية ، و[illegible] جهودها
وأهدافها ، وإن ساعد على تقدم الوعي السياسي للجماهير وتنمية فكرة [illegible]
والحرص على الحياة الدستورية من جوانب أخرى ، وقد استغلت بريطانيا اختلاف
الأحزاب وتدخل القصر في الحكم لتدعيم مركزها وتحقيق مآربها [illegible] حتى [illegible] كانت
ترجوه من إبرام معاهدة وعقدت المعاهدة في البلاد و[illegible] .

السودان والمفاوضات الثنائية :

كانت مسألة السودان في حقيقة الأمر صخرة تتحطم عليها المفاوضات بين
مصر وبريطانيا للوصول إلى حل للمسألة المصرية ، فإن غير المصالح [illegible] في
أفريقيا ، وأهدافها [illegible] والاقتصادية في السودان كانت تدفعها [illegible]
الإستعمارية [illegible] وبين مصر [illegible] على تلك العلاقة الواهية التي ربطته بمصر
في اتفاقية عام ١٨٩٩ ، فعملت على ترك موضوع السودان جانباً في كل مفاوضة
تدور حول المسألة المصرية . ففي مفاوضات سعد ـ مكدونلد رفض مكدونلد الاعتراف
بحقوق مصر في السودان وفي مفاوضات ثروت ـ تشمبرلن تعرض المتفاوضان لموضوع
السودان بما لا يخرج عن البحث في مصالح مصر في [illegible] مشروع الذي
اتفق عليه [illegible] السودان ، وفي مفاوضات محمد محمود ـ هندرسن [illegible]
المتفاوضان موضوع السودان على هامش مشروع [illegible] في مذكرات [illegible] عن
[illegible] السودان مصر وطريقة تطبيق اتفاقيات [illegible] والإ[illegible]
بين مصر وبريطانيا على السودان أما من حيث عودة كتيبة مصرية إلى السودان
فإن مذكرة هندرسن في هذا الموضوع جاءت غامضة [illegible]

بالروح [illegible] التي [illegible] بها في المقترحات كما تؤمل ذلك بإخلاص حكومة صاحب الجلالة [illegible] في بريطانيا العظمى وشمال إيرلندا ، فإن الحكومة تكون مستعدة لأن تفحص [illegible] العطف [illegible] بشأن عودة أورطة مصرية إلى السودان في الوقت الذي تنسحب فيه القوات [illegible] من القاهرة [illegible] المفاوضات [illegible] [illegible] بين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] السودان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وضع السودان [illegible] إلا أن [illegible] [illegible] ما كان عليه [illegible] الجيش المصري [illegible] [illegible] على أن [illegible] السودان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأولى منها إلى أن هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السودان [illegible] في [illegible] أن يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وضع السودان [illegible] مصر [illegible] كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في فصل السودان عن مصر في [illegible] [illegible] [illegible] بما خولته للحاكم العام الإنجليزي من سلطات واسعة في ظل الأحكام العرفية [illegible] [illegible] [illegible] مصر [illegible] [illegible] [illegible] السودان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصر [illegible] [illegible] [illegible] الضباط الإنجليز القضاء على الدراويش . حتى إذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن حقوق السيادة التي لها على وادي النيل حرصت بريطانيا على [illegible] [illegible] [illegible] مع مصر [illegible] على مصالحها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] موضوع السودان [illegible] [illegible] [illegible] هذا [illegible] [illegible] [illegible] الحكم الذاتي وقد [illegible] [illegible] مصر [illegible] على المطالبة بحقوقهم في السودان تحت نحوا جديدا في فصله عن مصر [illegible] إلى إضعاف الصلات بينه وبينها وتنمية الشعور بالكيان الذاتي لدى السودانيين [illegible] أولا على القضاء على [illegible] [illegible] التي [illegible] مصر بالسودان

في مناطق الحكم الثنائي وانتهزت فرصة مقتل السردار عام ١٩٢٤ ووجهت [illegible]
المشهور إلى الحكومة المصرية [illegible] مصرية من السودان [illegible]
المزروعة من [illegible] هذا [illegible]
أخرى أملتها القوة والاستبداد [illegible] المصرية من [illegible]
بإنشاء قوة الدفاع السودانية لا [illegible] لغير مصر [illegible]
مباشرة وتضمن له يمين الولاء، وكانت قد عملت من قبل على احتكار الوظائف [illegible]
والاستشارية [illegible]
شيوخ القبائل [illegible] من مصر [illegible] الحكم [illegible]
الفعلية وتحريم على الوطنيين الاشتغال بالسياسة . ولكن [illegible] في
السودان لم [illegible] في مصر [illegible] حركة وطنية [illegible]
متجاوبة مع الحركة الوطنية في مصر [illegible] حتى [illegible]
معاهدة عام ١٩٣٦ [illegible] السودان [illegible]
[illegible] مؤتمر [illegible]
لتحرير السودان من الاستعمار [illegible]

معاهدة عام ١٩٣٦ والتحفظات الأربعة

أعلنت [illegible] تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ استقلال مصر [illegible]
التحفظات [illegible] في أربع فقرات وذلك في [illegible] (ص ٤٢)
وصدر التصريح من جانب واحد وقبلته مصر لأنه لا يقيدها بقبوله [illegible] ولا
يلزمها بالتزامات معينة فضلاً عن أنه ينهي حالة [illegible] كان موضع سخط
المصريين [illegible] والأحكام العرفية [illegible]
ورغبت مصر أن تتم [illegible] المفاوضات [illegible] التصريح [illegible]
قيام حكومة دستورية تستطيع أن [illegible] المفاوضات [illegible]
وأشار لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية في هذا المعنى [illegible]

على إعلان هذا التصريح هو أنه لا توجد حكومة مصرية تستطيع حمل مصر على الارتباط بمعاهدة مع بريطانيا ».

وبدأت مرحلة المفاوضات التالية وهي تدور في حقيقتها حول هذه المسائل الأربع وكان منها ما هو موضع اهتمام بريطانيا خاصة لأنه يتعلق بمصالحها و[illegible] الحقيقية في تلك المنطقة من العالم كتأمين مواصلات الامبراطورية في مصر والدفاع عن مصر ضد العدوان الخارجي والسودان ، وحماية مصالح الأجانب وحماية الأقليات . فقد اتخذتهما وسيلة للمساومة على مسائل أخرى . وقد ارتبطت حماية الأجانب والأقليات [illegible] بوجود الاحتلال [illegible] الاحتلال موقوت بإقرار النظام وحماية المصالح الأجنبية ، ثم حماية الأقليات [illegible] وكانت وسيلة من وسائلها القوية للاعتماد عليها في شل الحركة الوطنية [illegible] الوطني الواحد [illegible] وحدة [illegible] من عواطف الشعب [illegible] في المادة الثانية عشرة من المعاهدة « أن المسئولية عن أرواح الأجانب وأموالهم في مصر هي من خصائص الحكومة المصرية دون سواها » واعترفت في المادة الثالثة عشرة بأن نظام الامتيازات القائم في مصر الآن لا يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة » وبذلك وصلت المعاهدة إلى حل واضح مستقيم لمسألة من المسائل الأربع التي قيدت استقلال مصر في تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . وقد كانت الامتيازات الأجنبية لا تمس بريطانيا وحدها [illegible] على مصالح الأجانب في مصر ، فقد دعت الحكومة المصرية الدول صاحبة الامتيازات وهي اثنتى عشرة دولة إلى مؤتمر يعقد في مدينة مونترو بسويسرا في ١٢ ابريل سنة ١٩٣٧ للبحث في إلغاء الامتيازات ، وعقد المؤتمر في موعده المحدد وانفض بعد أن اتفق المندوبون على إلغاء الامتيازات الأجنبية في القطر المصري إلغاء تاما وأن يخضع الأجانب للتشريع المصري على أن تبقى المحاكم المختلطة قائمة حتى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٩ تنقل بعدها اختصاصاتها إلى المحاكم الوطنية ووقعوا بذلك اتفاقية مونترو في ٨ مايو سنة ١٩٣٧ وصدق عليها البرلمان المصري في يوليه وبهذا تحقق سيادة مصر على سكانها .

ويبقى بعد ذلك ثلاث مسائل يجب أن يشملها الاتفاق وهي مسألة السودان وقد
اتفق الطرفان المتعاقدان على أن تظل إدارة السودان مستمدة من اتفاقي الحكم
الثنائي وبذلك بقيت دون حل مما أغضب السودانيين وجعلهم أكثر ميلا للاعتماد على
أنفسهم في كفاحهم الوطني. أما مسألتا الدفاع وحماية المواصلات الامبراطورية
والدفاع عن مصر فإنهما في الحقيقة مسألة واحدة تناولت وضع الاحتلال في صيغة
[illegible] أن [illegible] العلاقات المصرية البريطانية من تعاهد دائم حول هذين
المبدأين

وقد حرصت بريطانيا على أن تكون المعاهدة [illegible] ولا [illegible] هذا
[illegible] من [illegible] في [illegible] جديدة [illegible] بالاتفاق بينهما في [illegible]
المعاهدة [illegible] الظروف [illegible] ومن [illegible] أن [illegible] المعاهدة
بعد إعادة [illegible] كامل [illegible] من طرفي [illegible] الذي
[illegible] في المواد ٤ و٥ و٦ و٧ [illegible] وتحت على دعم احتلالها لمصر بالذات بزعم
مما نصت عليه المعاهدة من أن وجود القوات لا [illegible] الاحتلال ولا يخل
بوجه من الوجوه بالسيادة المصرية كما ربطت مصر إلى عجلتها في سياستها الامبراطورية
الاستراتيجية [illegible] تعرضها لهجوم [illegible] الأعداء على القوات البريطانية المقيمة في أرضها
وبذلك أصبحت المعاهدة عن الاحتلال صيغة شرعية وفرضت على مصر [illegible]
[illegible] الدفاع عن مصالح الامبراطورية [illegible] وجودها [illegible] وحققت
بريطانيا مطلبا تسعى إليه أكثر من نصف قرن وهو أن تعترف مصر والدول
صاحبة الشأن بمصالحها في مصر اعترافا دوليا

وفيما يلي نص المعاهدة لأهميتها في فهم حقيقة الأهداف البريطانية في مصر
وإدراك حقيقة العلاقات التي تربطها بها وتطور سياستها العامة في بلدان
الشرق الأوسط.

معاهدة الصـــداقة والتحالف

بين مصر وبريطانيا العظمى

(٦ أغسطس سنة ١٩٣٦)

المادة الأولى : انتهى احتلال مصر عسكرياً بواسطة قوات صاحب الجلالة الملك والإمبراطور

المادة الثانية : يقوم من الآن فصاعداً بتمثيل صاحب الجلالة الملك والإمبراطور لدى بلاط جلالة ملك مصر وبتمثيل صاحب الجلالة ملك مصر لدى بلاط سان جيمس سفراء معتمدون بالطرق المرعية .

المادة الثالثة : تنوي مصر أن تطلب الانضمام إلى عضوية عصبة الأمم . وبما أن حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة تعترف بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة فإنها ستؤيد أي طلب تقدمه الحكومة المصرية لدخول عصبة الأمم بالشروط المنصوص عنها في المادة الأولى من عهد العصبة .

المادة الرابعة : تعقد محالفة بين الطرفين المتعاقدين لغرض منها توطيد الصداقة والتفاهم الودي وحسن العلاقات بينهما

المادة الخامسة : يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بأن لا يتخذ في علاقاته مع البلاد الأجنبية موقفاً يتعارض مع المحالفة وأن لا يبرم معاهدات سياسية تتعارض مع أحكام المعاهدة الحالية

المادة السادسة : إذا أفضى خلاف بين أحد الطرفين المتعاقدين ودولة أخرى إلى حالة تنطوي على خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة تبادل الطرفان المتعاقدان الرأي لحل ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقاً لأحكام عهد عصبة الأمم أو لأي تعهدات دولية أخرى تكون منطبقة على تلك الحالة .

المادة السابعة : إذا اشتبك أحد الطرفين في حرب بالرغم من أحكام المادة السادسة المتقدم ذكرها فإن الطرف الآخر يقوم في الحال بنجدته بصفته حليفاً وذلك مع مراعاة أحكام المادة العاشرة الآتي ذكرها.

وتنحصر معاونة صاحب الجلالة ملك مصر في حالة الحرب الداهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها في أن يقدم إلى صاحب الجلالة الملك والإمبراطور داخل حدود الأراضي المصرية ومع مراعاة النظام المصري للإدارة والتشريع جميع التسهيلات والمساعدة التي في وسعه بما في ذلك استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات.

وبناء على هذا فالحكومة المصرية هي التي لها أن تتخذ جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية بما في ذلك إعلان الأحكام العرفية وإقامة رقابة وافية على الأنباء لجعل هذه التسهيلات والمساعدة فعالة.

المادة الثامنة : بما أن قناة السويس التي هي جزء لا يتجزأ من مصر وهي في نفس الوقت طريق عالمي للمواصلات كما هي أيضاً طريق أساسي للمواصلات بين الأجزاء المختلفة للإمبراطورية البريطانية فإلى أن يحين الوقت الذي يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصري أصبح في حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القناة وسلامتها التامة يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك والإمبراطور بأن يضع في الأراضي المصرية بجوار القناة بالمنطقة المحدودة في ملحق هذه المادة قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القناة وتشمل ملحق هذه المادة تفاصيل الترتيبات الخاصة بتنفيذها.

ولا يكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال بأي حال من الأحوال.

كما أنه لا يخل بأي وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية.

ومن المتفق عليه أنه إذا اختلف الطرفان المتعاقدان عند نهاية مدة العشرين سنة المحدودة في المادة السادسة عشرة على مسألة ما إذا كان وجود القوات البريطانية لم يعد ضروريا لأن الجيش المصري أصبح في حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القنال وسلامتها التامة فإن هذا الخلاف يجوز عرضه على مجلس عصبة الأمم للفصل فيه طبقا لأحكام عهد العصبة النافذة وقت توقيع هذه المعاهدة أو على أي شخص أو هيئة للفصل فيه طبقا للإجراءات التي قد يتفق عليها الطرفان المتعاقدان .

ملحق المادة الثامنة

١ — من غير إخلال بأحكام المادة الثامنة يجب أن لا يزيد عدد قوات صاحب الجلالة الملك والامبراطور التي توجد بقرب القنال على عشرة آلاف من القوات البرية وأربعمائة طيار من القوات الجوية ومعهم العدد الضروري من المستخدمين المختصين بالأعمال الإدارية والأعمال الفنية ولا يشمل هذا العدد الموظفين المدنيين كالكتبة والصناع والعمال

٢ — توزع القوات البريطانية التي توجد بقرب القنال كما يأتي

(ا) فيما يختص بالقوات البرية في معسكر ومنطقة مجاورة على الجانب الجنوبي الغربي للبحيرة المرة الكبرى

(ب) وفيما يختص بالقوات الجوية على مسافة خمسة أميال من سكة حديد بور سعيد - السويس من القنطرة شمالا إلى ملتقى سكة حديد السويس - القاهرة والسويس - الإسماعيلية جنوبا مع امتداد على خط سكة حديد الإسماعيلية - القاهرة حتى تشمل محطة القوات المعسكرة للطيران في أبي صوير وما يتبعها من الأراضي المعدة لنزول الطيارات والميادين الصالحة التي قد يقتضي الأمر إنشاؤها شرق القنال لإطلاق النار وإلقاء القنابل من الطيارات

٣ — يعد فى الأماكن المحددة آنفا للقوات البريطانية والجوية التى حدد عددها فى الفقرة الأولى سالفة الذكر بما فى ذلك أربعة آلاف من الموظفين المدنيين (مع حصر [illegible] من رجال القوات البرية وسبعمائة من رجال القوات الجوية والرديف وحسبان موظفيها المدنيين ومن لم يوجد لهم الآن معدات السكن) ما تحتاج إليه من الأراضى والثكنات الثابتة والمستلزمات الفنية بما فيها من توفير الماء الذى قد تستلزمه الضرورى. ويكون الأراضى والمساكن وموارد المياه مطابقة للنظم الحديثة. وفضلا عن ذلك تعد للجنود وسائل الراحة المعقولة مع مراعاة طبيعة هذه الجهات وذلك بغرس الأشجار وإنشاء حدائق وميادين الألعاب [illegible] ويعد موقع لإقامة مخيم للناقهة على ساحل البحر الأبيض.

٤ — تقدم الحكومة المصرية وتنشئ الثكنات وموارد المياه ووسائل الراحة [illegible] فى مدة [illegible] ضرورية علاوة على ما هو موجود منها الآن فى تلك الجهات وذلك على نفقتها الخاصة على أن تدفع حكومة حضرة صاحب الجلالة الملك فى المملكة المتحدة ما يأتى:

(١) المبلغ الذى أنفقته الحكومة المصرية فعلا قبل سنة ١٩١٤ فى إقامة ثكنات جديدة لتحل محل ثكنات قصر النيل فى القاهرة.

(٢) [illegible] ربع تكاليف الثكنات والمستلزمات الفنية للقوات الجوية.

على أن تدفع [illegible] فى [illegible] الثكنات الآتى ذكرها [illegible] انسحاب القوات البريطانية من القاهرة. ويدفع المبلغ الآخر فى الوقت [illegible] من الإسكندرية [illegible] للقاهرة [illegible] والحكومة المصرية أن تتقاضى [illegible] نظير [illegible] المستخدمين [illegible] ويتفق على قيمة الإيجار بين حكومة صاحب الجلالة والحكومة المصرية.

٥ — بمجرد نفاذ هذه المعاهدة تعين كل من الحكومتين فورا شخصين أو أكثر
تتألف منهم هيئة يعهد إليها بحث المسائل المرتبطة بتنفيذ هذه الأحكام من وقت
ابتداء منها إلى حين إتمامها وعمل مشروعات التصميمات ورسومها التخطيطية
للثكنات والمواصفات التي تقدمها حكومة صاحب الجلالة في المملكة
المتحدة بشرط أن تكون معقولة وأن لا تتجاوز مدى التزامات الحكومة
المصرية الواردة في الفقرة الرابعة ويجب أن تعرض كل من الحكومتين
في هذه اللجنة التصميمات والمواصفات الخاصة بكل عمل تقوم به الحكومة
المصرية قبل البدء فيه . ويكون لكل عضو في هذه اللجنة وكذلك
لقواد القوات البريطانية أو ممثليهم حق فحص الأعمال في جميع أدوار
إنشائها كما يجوز لممثلي المملكة المتحدة من أعضاء اللجنة تقديم مقترحات
بشأن طريقة تنفيذ العمل ولهم أيضا حق اقتراح تعديل التصميمات
والمواصفات أو تغييرها في أي وقت أثناء سير العمل وتنفذ المقترحات
والمشروعات التي تقدمها ممثلو المملكة المتحدة في اللجنة بشرط أن تكون
معقولة وأن لا تتجاوز مدى التزامات الحكومة المصرية الواردة في الفقرة
الرابعة وفيما يتعلق بالآلات وغيرها من المهمات حيث يكون توحيد
الطراز مهما فقد يتفق على أن تكون المهمات مما يشترى ويركب من
طراز معين ويستعمل عادة في الجيش البريطاني .

ومن المفهوم طبعا أنه يجوز لحكومة صاحب الجلالة في المملكة
المتحدة أن تقوم على نفقتها الخاصة بعد استعمال القوات البريطانية لهذه
الثكنات والمباني بإدخال التحسينات والتغييرات وإنشاء مبان جديدة
في المنطقة المحددة في الفقرة الثانية السالف ذكرها

٦ — تحقيقا لبرنامج الحكومة المصرية في تحسين الطرق ومواصلات السكك
الحديدية في القطر المصري والإبلاغ ووسائل المواصلات فيها بمستوى حاجات
الفنون الحربية الحديثة ستتولى الحكومة المصرية إنشاء الطرق
والكباري والسكك الحديدية المبينة بعد وصيانتها :

(ا) الطرق :

(١) بين الإسماعيلية والإسكندرية عن طريق التل الكبير والزقازيق وطنطا وكفر الزيات ودمنهور .

(٢) بين الإسماعيلية والقاهرة عن طريق التل الكبير ومنه يستمر على ترعة المياه الحلوة إلى هليوبوليس .

(٣) بين بورسعيد والإسماعيلية فالسويس

(٤) مواصلة بين الطرف الجنوبي للصحراء شرق التل الكبير والطريق الممتد من القاهرة إلى السويس على مسافة خمسة عشر ميلا غرب عرب السويس .

ولإبلاغ هذه الطرق المستوى العام للطرق الجديدة الصالحة لحركة مرور العامة فسيكون عرضها عشرين قدما ويكون لها جوانب ... وتنشأ من ... صالحة دائما للاستعمال للأغراض الحربية وتنشأ حسب ترتيب أهميتها ... وأن تستعمل مواصفات ... وهي مواصفات المعتادة للطرق الجيدة الصالحة لحركة المرور .

وستكون الكبارى والطرق صالحة لحمل صفين كاملين من سيارات النقل الميكانيكي الثقيلة ذات الأربع العجلات أو ذوات الست العجلات أو الدبابات متوسطة الحجم وفيما يتعلق بالسيارات ذات العجلات الأربع يكون البعد بين الدنجل الأمامي لأية سيارة وبين الدنجل الخلفي للسيارة التي أمامها عشرين قدما ويكون الثقل على كل دنجل خلفي أربعة عشر طنا وعلى كل دنجل أمامي ستة أطنان وتكون المسافة بين الدنجلين ثمانية عشر قدما وفيما يتعلق بالسيارات ذات العجلات الست تكون المسافة بين الدنجل الأمامي لكل سيارة منها وبين الدنجل الخلفي للسيارة التي أمامها عشرين قدما والمسافة بين الدنجل الخلفي والدنجل الأوسط أربعة أقدام وبين الدنجل الأوسط والدنجل الأمامي ثلاثة عشر قدما ويكون الثقل على كل من الدنجلين الخلفي والأوسط ٨ر١ أطنان وعلى كل دنجل أمامي أربعة أطنان أما الدبابات فتقدر باعتبار أن وزنها ١٩ر٢٥ طنا وطولها الكلي خمسة وعشرون قدما وبعد

بين مقدم إحداها ومؤخر السابقة لها رأسيا ثلاثة أقدام ويكون ثقل أي ١٩٫٢٥ طنا محملا على شريطين ومركزا على مسطح قدره ثلاثة عشر قدما من الطريق أو الكوبرى .

(ب) السكك الحديدية :

(١) زيادة تسهيلات السكك الحديدية في منطقة القنال وتحسينها لحاجة القوات بعد زيادتها في تلك المنطقة ولتسهيل سرعة نقل الرجال والمدافع والعجلات والمهمات بالقطارات وفقا لما تقتضيه حاجة الجيوش الحديثة .

ويرخص بموجب هذا لحكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة أن تنشئ على نفقتها الخاصة ما قد تتطلبه حاجات القوات البريطانية في المستقبل من الإضافات والتعديلات على السكك الحديدية فإذا مست هذه الإضافات أو التعديلات الخطوط الحديدية المستعملة للنقل العام وجب الحصول على إذن بذلك من الحكومة المصرية

(٢) جعل الخط بين الزقازيق وطنطا مزدوجا

(٣) تحسين الخط بين الإسكندرية ومرسى مطروح وجعله دائما .

٧ — فضلا عن الطرق المبينة في الفقرة السادسة السالف ذكرها وللأغراض ذاتها ستنشئ الحكومة المصرية الطرق المبينة بعد وتقوم بصيانتها :

(١) الطريق من القاهرة بمحاذاة النيل جنوبا إلى قنا وقوص .

(٢) من قوص إلى القصير .

(٣) من قنا إلى الغردقة .

وستنشأ هذه الطرق والكبارى التي تقام عليها وفق نفس المستوى المبين في الفقرة السادسة السالف ذكرها .

وقد لا يتيسر إنشاء الطرق المشار إليها في هذه الفقرة والطرق المبينة في الفقرة السادسة في وقت واحد ولكنها ستنشأ في أقرب وقت مستطاع .

٨ - وحينما تتم الأماكن المشار إليها فى الفقرة الرابعة على مصاريف الطرفين المتعاقدين (ولا تدخل فى ذلك الأماكن الخاصة بالقوات التى ستبقى مؤقتاً بالإسكندرية طبقاً للفقرة الثامنة عشرة الآتى ذكرها) وتتم الأعمال المشار إليها فى الفقرة السادسة السالف ذكرها (عدا السكك الحديدية المبينة فى الشرطين ٢ و ٣ من الجزء (ب) من تلك الفقرة) تنسحب القوات البريطانية الموجودة فى أنحاء القطر المصرى غير الجهات الواقعة فى منطقة القنال والمبينة فى الفقرة الثانية السالف ذكرها مع استثناء القوات الباقية مؤقتاً بالإسكندرية وتخلى الأراضى والثكنات ومنازل الطائرات البرية ومراسى الطائرات البحرية والأبنية التى تشغلها القوات وتسلم إلى الحكومة المصرية إلا ما قد يكون منها ملكاً للأفراد

٩ - أى خلاف فى الرأى بين الحكومتين فى تنفيذ الفقرات (١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨) السالف ذكرها يعرض للفصل فيه على لجنة تحكيم مؤلفة من ثلاثة أعضاء تعين كل من الحكومتين عضواً منهم ويعين الثالث بالاتفاق مع الحكومتين ويكون قرار اللجنة نهائياً .

١٠ - تحقيقاً لحسن تدريب الجنود البريطانية قد اتفق على إعداد المناطق المحددة بعد لتدريبها .

وتجرى التدريبات فى المنطقتين «أ» و «ب» طول السنة وتكون المنطقة «ج» للمناورات السنوية خلال شهرى فبراير ومارس :

(أ) غربى القنال من القنطرة شمالاً إلى خط سكة حديد السويس القاهرة جنوباً (بما فى ذلك الخط المذكور) وإلى خط طول ٣٠ ٣١ شرقاً حيث تستبعد كل الأراضى المزروعة

(ب) شرقى القنال وحسب الحاجة

(ج) امتداد المنطقة (أ) جنوباً إلى خط العرض الشمالى ٣٠ ٢٩ ومن ثم فى الجنوب الشرقى إلى ملتقى خط العرض الشمالى ٣٠ ٢٩ بخط الطول الشرقى ٤٤ ٣١ ومن هذه المنطقة شرقاً على امتداد

خط العرض الشمالي ٣٠ ٢٩ . ومساحات المناطق المشار إليها فيما سبق مبينة على الخريطة الملحقة بالمعاهدة (مقياس رسم ١ – ٥٠٠٫٠٠٠) .

١١ — تمنع الحكومة المصرية الطيران فوق الأراضي الواقعة على جانبي قناة السويس وعلى مسافة عشرين كيلومتراً منه إلا إذا كان بقصد العبور من الشرق إلى الغرب وبالعكس في ممر عرضه عشرة كيلومترات عند القنطرة ما لم تتفق الحكومتان على غير ذلك . على أن هذا المنع لا يسري على قوات الطرفين المتعاقدين ولا على هيئات الطيران المصرية الصحيحة ولا على هيئات الطيران التي تتبع بصفة حقيقية أي جزء من أجزاء مجموعة الأمم التي تتكون منها الدولة البريطانية وتعمل تحت سلطة الحكومة المصرية .

١٢ — تقدم الحكومة المصرية عند الضرورة وسائل المواصلات المعقولة للوصول من وإلى الجهات التي توجد فيها القوات البريطانية كما أنها تقدم في بور سعيد والسويس التسهيلات الضرورية لتفريغ المهمات الحربية ومؤن القوات البريطانية وخزنها ومن هذه التسهيلات إعطاء ثلة صغيرة بريطانية في هذين الميناءين لتسلم وحراسة هذه المهمات والمؤن عند مرورها .

١٣ — نظراً لأن سرعة الطيران الحديث وسعة مداه يقتضيان استخدام مساحات واسعة لحسن تدريب القوات الجوية فإن الحكومة المصرية تأذن للقوات البريطانية في الطيران حيثما ترى ضرورة لذلك من أجل التدريب ويكون لقوات الطيران المصرية مثل هذه المعاملة في الأراضي البريطانية .

١٤ — نظراً لأن سلامة الطيران تتوقف على إعداد كثير من الأماكن لنزول الطائرات فإن الحكومة المصرية ستهيئ وتيسر على الدوام مدارج ومراسي صالحة لنزول الطائرات الحربية والبحرية في الأراضي والمياه المصرية

وستجيب الحكومة المصرية أي طلب يقدم من القوات البريطانية لإعداد منازل

والمراسي الإضافية التي تدل التجربة على ضرورتها لجعل العدد كافيا لحاجات الحليفين .

١٥ — تأذن الحكومة المصرية للقوات الجوية البريطانية في استخدام مطارات الطائرات البرية ومراسي الطائرات البحرية السالفة الذكر وفي إرسال مقادير من الوقود والمهمات إلى البعض منها لخزنها في سقائف تقام لديها لهذا الغرض وفي القيام في أحوال الاستعجال بأي عمل قد تقتضيه سلامة الطائرات .

١٦ — تمنح الحكومة المصرية جميع التسهيلات اللازمة لمرور مستخدمي القوات البريطانية والطائرات والمهمات من وإلى منازل الطائرات البرية ومراسي الطائرات البحرية السالفة الذكر وتمنح مثل هذه التسهيلات لموظفي القوات المصرية وطائراتهم ومهماتهم في القواعد الجوية للقوات البريطانية .

١٧ — يكون للسلطات الحربية البريطانية حرية استئذان الحكومة المصرية في إرسال جماعات من الضباط يرتدون الملابس المدنية إلى الصحراء الغربية لدراسة الأرض ورسم الخطط الحربية ولا يرفض هذا الإذن دون مبرر معقول .

١٨ — يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك والإمبراطور في إبقاء وحدات من قواته في الإسكندرية أو على مقربة منها لمدة لا تتجاوز ثماني سنوات من تاريخ نفاذ هذه المعاهدة وهي المدة التقريبية التي اعتبرها الطرفان المتعاقدان ضرورية لما يأتي :

(أ) لإتمام بناء الثكنات في منطقة القنال نهائيا

(ب) لتحسين الطرق الآتية :

١ — الطريق بين القاهرة والسويس .

٢ — بين القاهرة والإسكندرية عن طريق الجيزة والصحراء.

٣ — بين الإسكندرية ومرسى مطروح

وذلك للوصول بها إلى المستوى المبين في الجزء (أ) من الفقرة السادسة

(ج) خط السكك الحديدية بين الإسماعيلية والإسكندرية ومرسى مطروح كما أشير إلى ذلك في الشطرين ٢ و٣ من الجزء (ب) من الفقرة السادسة

وتتم الحكومة المصرية العمل المبين في الشطرات (أ) و(ب) و(ج) السالفة الذكر قبل انقضاء مدة الثماني السنوات المذكورة آنفا وتتولى الحكومة المصرية على نفقتها صيانة الطرق ووسائل المواصلات المذكورة فيما تقدم.

١٩ — تظل القوات البريطانية موجودة في القاهرة أو جوارها إلى وقت سحبها طبقاً لنص الفقرة الثامنة السالف ذكرها كما تظل القوات البريطانية الموجودة في الإسكندرية أو جوارها إلى نهاية الوقت المحدد في الفقرة الثامنة عشرة السالف ذكرها متمتعة بالتسهيلات التي لها الآن

المادة التاسعة. يحدد باتفاق خاص يبرم بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة ما تتمتع به من إعفاء ومزايا في أمور القضاء والمالية قوات صاحب الجلالة الملك والإمبراطور التي تكون موجودة في مصر طبقاً لأحكام هذه المعاهدة.

المادة العاشرة. ليس في أحكام هذه المعاهدة ما يخل أو ما يقصد به أن يخل بأي حال من الأحوال بالحقوق والالتزامات المترتبة أو التي قد تترتب لأحد الطرفين المتعاقدين أو عليه بمقتضى عهد عصبة الأمم أو ميثاق منع الحرب الموقع عليه بباريس في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٨.

المادة الحادية عشرة :

١ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ يناير و ١٠ يوليه سنة ١٨٩٩ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن إدارة السودان مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين

والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الأولى لإدارتهما فى السودان يجب أن تكون رفاهية السودانيين

وليس فى نصوص هذه المادة أى مساس بمسألة السيادة على السودان

٢ — وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين فى السودان وترقيتهم مخولة للحاكم العام الذى يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين فى الوظائف الجديدة التى لا يتوفر لها سودانيون أكفاء .

٣ — يكون جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلا عن الجنود السودانيين

٤ — تكون هجرة المصريين إلى السودان خالية من كل قيد إلا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام .

٥ — لا يكون هناك تمييز فى السودان بين الرعايا البريطانيين وبين الرعايا المصريين فى شئون التجارة أو المهاجرة أو فى الملكية .

٦ — اتفق الطرفان المتعاقدان على الأحكام الواردة فى ملحق هذه المادة فيما يتعلق بالطريقة التى تصبح بها الاتفاقات الدولية سارية فى السودان .

ملحق للمادة الحادية عشرة من المفهوم أن يتفق الطرفان المتعاقدان على ما يأتى

تطبيقاً للفقرة الأولى من هذه المادة يتعين أن يكون المبدأ العام الذي راعيته في سياسة السودان بالنسبة للاتفاقات الدولية هو أنه لا تطبق على السودان إلا بعمل مشترك تقوم به حكومة المملكة المتحدة وحكومة مصر وأن مثل هذا العمل المشترك يكون لازماً كذلك إذا أريد إنهاء اشتراك السودان في اتفاق دولي منطبق عليه .

والاتفاقات التي يراد سريانها في السودان تكون على العموم اتفاقات ذات صبغة فنية أو إدارية . ومثل هذه الاتفاقات تكاد تشتمل على الدوام حكماً خاصاً بالانضمام إليها فيما بعد . وفي مثل هذه الأحوال يتبع هذه الطريقة لجعل الاتفاق سارياً في السودان . ويجري الانضمام بوثيقة مشتركة يوقع عليها عن مصر وعن المملكة المتحدة كل فيما يخصه شخص أو أشخاص مفوضون في ذلك تفويضاً صحيحاً . وتكون طريقة إيداع وثيقة الانضمام في كل حالة موضع اتفاق بين الحكومتين .

وفي حالة ما إذا أريد تطبيق على السودان اتفاق لا يحتوي على نص خاص بالانضمام فتكون طريقة تحقيق ذلك موضع تشاور واتفاق بين الحكومتين .

وإذا كان السودان عضواً طرفاً في اتفاق وأريد إنهاء اشتراكه فيه فالمملكة المتحدة ومصر تشتركان في إصدار الإعلان اللازم لهذا الإنهاء .

ومن المتفق عليه أن اشتراك السودان في اتفاق ما وإنهاء ذلك الاشتراك لا يكون إلا بعمل مشترك يجري خصيصاً بالنسبة للسودان ولا يترتب على مجرد كون المملكة المتحدة ومصر طرفين في الاتفاق ولا على نقضهما لهذا الاتفاق .

وفي المؤتمرات الدولية التي تجري فيها المفاوضات في مثل هذه الاتفاقات يكون المندوبان المصري والبريطاني بطبيعة الحال على اتصال دائم بالنسبة لأي إجراء قد يتفقان على أنه مرغوب فيه لصالح السودان .

المادة الثانية عشرة — يعترف صاحب الجلالة الملك والإمبراطور بأن المسئولية عن

أرواح الأجانب وأموالهم فى مصر هى من خصائص الحكومة المصرية
دون سواها وهى التى تتولى تنفيذ واجباتها فى هذا الصدد.

المادة الثالثة عشرة — تعترف [illegible] صاحب [illegible] بأن نظام الامتيازات
القائم بمصر الآن [illegible] العصر ولا [illegible] مصر الحاضرة.

[illegible] فى [illegible] دون [illegible]
[illegible] الطرفان [illegible] فى
ملحق هذه المادة.

ملحق المادة الثالثة عشرة:

١ — أن الأغراض التى ترمى إليها [illegible] فى هذا الملحق هى

(١) الوصول على وجه السرعة [illegible] الامتيازات فى مصر [illegible]
ذلك [illegible] من [illegible] فى [illegible]
[illegible] الأجانب

(ب) [illegible] لمدة معقولة محدودة ولا تطول بدون مبرر فى حدود
[illegible] الاختصاصات المخولة الآن
[illegible] القضائى الحالى.

وفى [illegible] الانتقال هذه تكون الحكومة المصرية حرة فى
الاستغناء عن المحاكم المختلطة.

٢ — [illegible] الحكومة المصرية [illegible] فى أقرب وقت [illegible] مع الدول
ذوات الامتيازات بقصد:

(١) [illegible] و (ب) [illegible]
[illegible] المحاكم المختلطة كما هو وارد فى الشطرة (ب) من الفقرة
الأولى سالفة الذكر.

٣ — أن حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة بصفتها دولة من دول

الامتيازات بوصفها حليفة لمصر لا تعارض ذاتيا في التدابير المشار إليها في الفقرة السابقة وستتعاون تعاونا فعليا مع الحكومة المصرية في تحقيق هذه التدابير باستعمال كامل نفوذها لدى الدول ذوات الامتيازات في مصر .

٤ — من المتفق عليه أنه في حالة ما إذا وجد من المستحيل تحقيق التدابير المشار إليها في الفقرة الثالثة فإن الحكومة المصرية تحتفظ بحقوقها كاملة غير منقوصة إزاء نظام الامتيازات بما فيه المحاكم المختلطة .

٥ — من المتفق عليه أن الفقرة ( ) من الفقرة الثانية لا تعني فقط أن موافقة الدول ذوات الامتيازات لن تكون ضرورية لسريان التشريع المصري على رعاياها ولكنها تعني أيضا إنهاء الاختصاص التشريعي الحالي الذي تباشره المحاكم المختلطة بالنسبة لتطبيق التشريع المصري على الأجانب ومع ذلك لن لا تكون للمحاكم المختلطة في سلطتها القضائية أن تنظر في صلاحية سريان قانون أو مرسوم مصري طبقه البرلمان المصري أو الحكومة المصرية على الأجانب .

٦ — يصرح صاحب الجلالة ملك مصر بعد هذا أن أي تشريع مصري يطبق على الأجانب لن يتنافى مع المبادئ المعمول بها على وجه العموم في التشريع الحديث وأنه فيما يتعلق بالتشريع المالي على الخصوص فإن هذا التشريع لن يتضمن تمييزا مجحفا بالأجانب بما في ذلك الشركات الأجنبية .

٧ — لما كان من المعروف في أكثر البلاد أن يطبق على الأجانب قانون جنسيتهم في مسائل الأحوال الشخصية فينظر بعين الاعتبار إلى أنه من المرغوب فيه أن يستثنى من نقل الاختصاص على الأقل في البداية مسائل الأحوال الشخصية لرعايا الدول المتعاقدة التي ترغب في أن تستمر محاكمها القنصلية في مباشرة هذا الاختصاص .

٨ — سيقضي نظام الانتقال الذي يوضع للمحاكم المختلطة ونقل الاختصاص

الحالى للمحاكم القنصلية إليها (الأمر الذى سيكون بطبيعة الحال خاضعا لأحكام الاتفاق الخاص المشار إليه فى المادة التاسعة) وعدة الطرق والقوانين الحالية الخاصة بتشكيل المحاكم المختلطة واختصاصها بما فى ذلك إعداد وإصدار قانون جديد لتحقيق الجنايات.

ومن المفهوم أن هذه الفترة الانتقالية تشمل فيما تشمله المسائل الآتية

١ — مرض كله (أجنبى) بصدد الاختصاص المقبل للمحاكم المختلطة.

٢ — زيادة عدد موظفى المحاكم المختلطة بما يقتضيه التوسيع المقترح لاختصاصها.

٣ — الإجراءات الخاصة بممارسة حق العفو أو تخفيف عقوبة الأحكام الصادرة على الأجانب والإجراءات المتعلقة بتنفيذ عقوبة الإعدام الصادرة عليهم.

المادة الرابعة عشرة: تلغى المعاهدة الحالية جميع الاتفاقات أو الوثائق التى يكون استمرار بقائها منافيا لأحكام هذه المعاهدة، ويجب أن يعد بالاتفاق الطرفين المتعاقدين بناء على طلب أحدهما كشف بالاتفاقات والوثائق الملغاة وذلك فى مدى ستة أشهر من نفاذ هذه المعاهدة.

المادة الخامسة عشرة: اتفق الطرفان المتعاقدان على أن أى خلاف ينشأ بينهما بصدد تطبيق أحكام المعاهدة الحالية أو تفسيرها ولا يتيسر لهما تسويته بالمفاوضات بينهما مباشرة يعالج طبقا لأحكام عهد عصبة الأمم.

المادة السادسة عشرة: يدخل الطرفان المتعاقدان فى مفاوضات بناء على طلب أى منهما فى أى وقت بعد انقضاء مدة عشرين سنة على تنفيذ هذه المعاهدة وذلك بقصد إعادة النظر بالاتفاق بينهما فى نصوص المعاهدة بما يلائم الظروف السائدة حينئذ. وإذا لم يستطع الطرفان المتعاقدان الاتفاق على نصوص المعاهدة التى أعيد نظرها فيحال الخلاف

إلى مجلس عصبة الأمم للفصل فيه طبقاً للإجراءات التي يتفق عليها الطرفان المتعاقدان .

ومن المتفق عليه أن أي تغيير للمعاهدة بعد إعادة نظرها يكفل استمرار التحالف بين الطرفين المتعاقدين طبقاً للمبادئ التي تنطوي عليها المواد (٤ و ٥ و ٦ و ٧).
ومع ذلك ففي أي وقت بعد انقضاء مدة عشر سنوات على تنفيذ المعاهدة يمكن الدخول في مفاوضات برضاء الطرفين المتعاقدين بقصد إعادة النظر فيها كما سبق بيانه .

• • •

نقد وتعليق

• ولكن المعاهدة مع مصر قدر ما كانت [illegible] فقد فرضت عليها الاحتلال بينما هي تعلن استقلالها في أول موادها وتنكر أن الاحتلال لا حق له بسيادة مصر على أراضيها وإنما جعل لأغراض الدفاع وحماية البلاد من العدوان الخارجي ثم جعلت أمد الاحتلال موقوتاً بقدرة الجيش المصري على الدفاع عن القناة وقررت في هذا الأمر الاحتكام إلى عصبة الأمم أو أي هيئة أو فرد يرتضيه الطرفان فكأنما قدرت أن قوة الجيش المصري ستكون موضع خلاف بينها وبين مصر أو أنها لن تسلم بمقدرته على الدفاع عن القناة أبداً ، وهي إذ تقرر الاحتكام فإنما تقدر ما للنفوذ الدولي من أثر في توجيهه ، وتضمن أن يكون الاحتلال قوياً بإرادتها . وبالرغم من أنها حددت عدد قوات الاحتلال في هذه المعاهدة لم تحدد مجرى الحقيقة ولم تعمل على تنفيذه ولم تقصر عدد أو ما تزيد على ما حددته المعاهدة حتى هذه الحرب وتسرع عدد كبير من الجيوش لحمايته .

وفرضت المعاهدة على البلاد من ناحية أخرى التزامات مالية فادحة في إنشاء الثكنات والطرق ترهق ميزانيتها ، هذا فضلاً عما تقوم به في حالة الحرب من

تسهيلات ومعونة لقوات الاحتلال بما في ذلك استخدام موانيء البلاد ومطاراتها وطرق مواصلاتها والقيام بالإجراءات الإدارية والتشريعية وفرض الرقابة على الأنباء والصحف وإعلان الأحكام العرفية . وبذلك ترتب على البلاد من أعباء الحرب وتكاليفها ومساوئها ومخاطرها ما تقوم به الدول المحاربة فعلا من غير أن يكون لها صالح فيها .

ثم إن المعاهدة لم تحقق أيضاً وحدة وادي النيل ولم تتعرض لمسألة السودان إلا في حدود ما رأته لا يتفق مع مصالحها الحقيقية فبقيت اتفاقية الحكم الثنائي سارية كما فصلت بين قوة الدفاع السودانية والقوات المصرية وكان الجنود السودانيون قد انسحبوا مع انسحاب القوات المصرية من السودان عام ١٩٢٤ جزءا من القوات المصرية . ولم تفرض الرقابة على الوفاء بما نصت عليه المعاهدة من المساواة في الوظائف بين المصريين والإنجليز ولم تمنع من التمييز بين رعاياها وبين المصريين في شئون التجارة أو الهجرة أو التملك . وحدت من هجرة المصريين إلى السودان كما قيد انتقال السودانيين إلى مصر ومهد ذلك في سبيل فصل السودان عن مصر دون ما رعاية لوحدة النيل الطبيعية أو مصالح مشتركة أو رغبة من شعبه والجنوب أو حق تقرير المصير لشعب وادي النيل .

ولم يكن إلغاء الامتيازات الأجنبية في المعاهدة إلغاء للحقيقة أو رفع القيود عن مصر فقد قيدته ولا رغبة الدول ذوات الامتيازات في البلاد وشأن ضرورة وجود نظام انتقال لفترة حددت فيما بعد باثني عشر عاما بينما كلفت مصر وراعت الاعتبارات لكن من حقوق سيادتها ولم تستشر أو تقدم الدول في إلغائها أو تقررا فترة انتقال تمهد لإلغائها . وكان من الإنصاف أن ترتبط مصر أمام هذه الاعتبارات من حيث لكن من حقوق السيادة التي اعترفت لها بها في المعاهدة لاسيما وأن الدول لم تعترف لها بما كانت تدعيه من حق حماية الأجانب ومصالح الأجنبية في البلاد

ومن الناحية القانونية نرى أن المعاهدة ليست إلا عدوانا صريحا على استقلال مصر وسيادتها الذي كفلته معاهدة لندن مبدأ يعصم البلاد واعترفت به المعاهدة .

لوزان متحررا من هذه القيود وافتئاتا على حقوق الفرمانات السلطانية لمصر على السودان ووحدة بلاد النيل ، فإن نصوص معاهدة لوزان التي قررت حرية الملاحة في قناة السويس وكفلت حيادها وجعلت أمر الدفاع عنها موكولا لتركيا ومصر وأصبح بعد معاهدة لوزان من واجب مصر وحدها .

وقبلت مصر المعاهدة دون أن يعترض زعماؤها ويهلل الشعب من ورائهم فرحا بها ولكن الوعي السياسي لم يصح في أذهان قادته ، فقد سبق الوعي الوطني للشعب وعيه السياسي الذي أخذ يتضح في الفترة السابقة حتى كشف عن [illegible] عقب الحرب الثانية ، وتطور الوعي السياسي تطوره فأصبح يتبلور في المبادئ والأفكار أكثر مما كان يتبلور في أشخاص الزعماء وفي أفكارهم ، ولم تقرب المعاهدة من سد الهوة التي تفصل بين الشعب والدولة الحديثة فقد بقي الشعور بالعدوان قائما في نفوس أبنائه من جراء الاحتلال ومن جراء المعاهدة التي أصبحت [illegible] على المعاهدة ومرت الفترة القصيرة التي سبقت الحرب لتكشف عن عمق هذا الشعور في نفوس أبنائه حتى وضح تماما في أثناء الحرب وكانت ويلاتها التي حملها الشعب عبئا ثقيلا علاوة على المعاهدة وتطورت آمال الشعب في الدعوة إلى الجلاء ووحدة وادي النيل .

ليبيا والاستعمار الإيطالي

[illegible] الشرق الأوسط [illegible] أكثر منه حضراني ولهذا لا تعتبر تدخل له في هذا الإقليم ، واعتباره في نطاق الوحدة السياسية لإقليم الشرق الأوسط حديث العهد يرجع إلى [illegible] استراتيجية هذا الإقليم [illegible] بعد أن أصبحت منطقة الارتكاز للهجوم على مدخل رئيسي للشرق الأوسط من ناحية الغرب خلال الحرب العالمية الثانية ، وقاعدة [illegible] الأوسط والشرق [illegible] قبل هذه الحرب ، وكانت ليبيا قبل ذلك تندمج في الوحدة السياسية لبلدان شمال أفريقيا كما أنها جزء من كيانها الجغرافي العام ، وتتكون [illegible] من [illegible] طرابلس وبرقة و[illegible]

عندما اسم طرابلس الغرب فى العهد العثمانى ولكنها عرفت باسمها هذا بعد قيام الحكم الإيطالى .

وتطل ليبيا على البحر الأبيض المتوسط وتمتد سواحلها على امتداد ... من ... ميل بين ... الرملة على حدود مصر الغربية ورأس ... الحدود بينها وبين تونس ، وتمتد فى قلب الصحراء حتى تتاخم السودان والصحراء الكبرى وتبلغ مساحتها ٦٧٩,٣٥٨ ميلا مربعا ويقدر عدد سكانها أخيراً بما يقرب من ١,١٦٥,٥٤٣ نسمة منهم ١,٠٨٣,٨٨٧ من الوطنيين العرب والبربر واليهود الذين يبلغون ما يقرب من ثلاثين ألفاً معظمهم فى مدينة طرابلس الغرب وحدها ما يقرب من ثمانية وعشرين ألف يهودى وأغلب الجالية الأوربية من الطليان ممن نزحوا إليها فى عهد الاستعمار الإيطالى .

وأرض ليبيا صحراء مجدبة إلا من سهل ساحلى ضيق يتميز ببعض الخصوبة ويتركز فيه أكثر المدن الآهلة بالسكان ، وتعتمد زراعته على الأمطار التى تقل كلما توغلنا فى الداخل وتتدرج الأرض فى الارتفاع من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب حيث يصل ارتفاعها فى الغرب والجنوب فى بعض الجهات إلى ثلاثة آلاف قدم فوق سطح البحر بينما لا يزيد ارتفاعها فى الشمال الشرقى على ستمائة قدم وتنتشر العروق الرملية على أديمها وتعد واحاتها المأهولة بضع من عشرات . . . .

وليبيا بلاد فقيرة قليلة الموارد لا تغرى بها شعوب المستعمرين والمستغلين والباحثين عن الثروة ولكن موقعها الممتاز على البحر الأبيض المتوسط وفى مواجهة ... دفع إيطاليا على انتزاعها من تركيا واعتبارها وسيلة لدعم نفوذها الاستعمارى فى أفريقيا والامتداد منها إلى قلب القارة السوداء والسيطرة منها على طرق المواصلات البحرية فى البحر الأبيض المتوسط وازدادت أهميتها بعدما أخذ موسولينى زعيم إيطاليا الفاشية يبرز خطوط سياسته الاستعمارية ويعلن عن إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة وأصبح ... فى البحر الأبيض المتوسط ويدعو .

عزيمة إيطاليا وكشف عن مشروعاته الاستعمارية في أفريقيا . ولليبيا عدة موانئ بحرية جيدة كانت أوكاراً للقراصنة في العصور الوسطى استطاعوا منها أن يهددوا سير الملاحة في البحر وأن يرسلوا غاراتهم على الشواطئ والمدن وأن يعدوا سفنهم على السفن التجارية . ومن هذه الموانئ درنة وبنغازي وطرابلس وهو أهمها وأكبرها فقر المناطق التي تستند إليها هذه الموانئ ، وتصير معظمها لما قد جعلها غير ذات أهمية تجارية ملحوظة ، إلا أنها قواعد حربية جيدة للأساطيل تسيطر على خطوط الملاحة في البحر الأبيض المتوسط وتشرف عليه وقد استطاع المحور خلال الحرب العالمية الثانية أن يستخدمها استخداماً جيداً في قطع طرق المواصلات البحرية بين قناة السويس وجبل طارق وفي نقل قواته العسكرية إلى ليبيا .

وأهمية ليبيا الاستراتيجية هي في أهمية هذه القواعد البحرية وحسن استخدامها للسيطرة على الملاحة في البحر ، وفي توفر القواعد الصالحة للطيران في أرضها كما لفت أنظار الولايات المتحدة الأمريكية فأخذت في نطاق الأرض أرض الهويش في خط الاتحاد السوفيتي وفي قرب من قواعدها الجوية لتطويق روسيا ، فحولت بها الأمريكية شركة في داخلها ولها في طرابلس قاعدة الملاحة الجوية على عظم الأهمية من جهة الأراضي الليبية بعد نشوب الحرب ، ولم يعد لها دورها حتى القواعد الجوية في برقة في الأماكن التي كانت مطارات إيطالية من قبل . وكانت إيطاليا شديدة الحفاوة بمواصلاتها الجوية عبر ليبيا إلى أوربا والحبشة ، ومن دواعي الأهمية الاستراتيجية لليبيا أنها تتوغل في الداخل فتشرف على السودان في الجنوب وتحوي طرق القوافل القديمة بين غرب أفريقيا وحوض النيل وقد أفاد السنوسيون من توسط موقع ليبيا بين غرب القارة وشرقها ووسطها في نشر الدعوة السنوسية وتعاليمها في أفريقيا الغربية والوسطى وفي صدور الصحراء الكبرى وواحاتها المشهورة .

وقامت الحرب العالمية الأولى ولما يستقر الأمر لإيطاليا في البلاد فقد عرفت مقاومة السنوسيين في برقة بعد ما فشلت مفاوضات الصلح بينهم وبين الإيطاليين وهي المفاوضات التي وسطت إيطاليا فيها لدى السنوسيين خديو مصر عباس الأول ،

واستطاعوا أن يستنقذوا البلاد ويردوا الإيطاليين إلى الساحل ، ونسى أهل طرابلس ولا بعد أن حشدت لهم إيطاليا كل قوتها وانقطعت عن المجاهدين أمداد السلاح والذخيرة لجأ بعضهم إلى تونس وانسحب الآخرون إلى فزان ينهضون للمقاومة من جديد ولجأ زعيم المقاومة سليمان البارونى إلى الآستانة حتى إذا ما دخلت إيطاليا الحرب فى جانب الحلفاء بعد تسعة أشهر من إعلانها رأت تركيا أن تؤيد أهل برقة ضد الإيطاليين وتدفعهم إلى غزو مصر من ناحية الغرب فى الوقت الذى تطلق فيه قواتهم عليها من ناحية الشرق وقام السنوسيون بحملتهم على الحدود المصرية وانتهت بالفشل ورأى الإنجليز بعد أن أجلوا السنوسيين عن الحدود المصرية أن يتوسطوا لعقد الصلح بينهم وبين إيطاليا واستجاب السنوسيون لهذه الرغبة وعقد صلح عكرمة بإعلان استقلال السنوسيين فى داخل برقة على أن يبقى الإيطاليون فى الساحل محتفظين بما يسيطرون عليه من أراض وتحدد الحدود بين أراضى الفريقين وأن تعترف إيطاليا بالسيد محمد إدريس السنوسى أميرا على برقة وكان السيد أحمد الشريف السنوسى قد غادر برقة إلى تركيا ومنها انتقل إلى الحجاز بعد ذلك وتوفى بالمدينة المنورة .

أما أهل طرابلس فإنهم عادوا يجمعون صفوفهم مرة أخرى تحت زعامة سليمان البارونى الذى عاد إلى البلاد ليقود حركة المقاومة الجديدة وأعلن قيام الجمهورية الطرابلسية فى مصراته وكانت القوات الإيطالية قد انكمشت فى الساحل أمام ضغط المجاهدين ، وتم عقد الإيطاليون نوعا من الاتفاق مع الجمهورية الطرابلسية ووافقوا على قانونها الأساسى فى أبريل سنة ١٩١٩ بتكوين حكومة لطرابلس من ثمانية أعضاء ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسى من بين أعضائه وعضوين إيطاليين يعينهما الحاكم العام الذى يعينه ملك إيطاليا ولم يتعرض القانون لجنسية الحاكم فقد يكون عربياً وقد يكون إيطاليا

وغادر البارونى طرابلس إلى الآستانة على اعتبار أن مهمته قد انتهت بعقد الصلح ووضع القانون الأساسى ولكن إيطاليا أخذت تماطل فى تنفيذه رغم صدور مرسوم ملك إيطاليا فى أول يونيه سنة ١٩١٩ ، فنادى أهل طرابلس بعقد مؤتمر فى غريان ، وقرروا فيه مطالبة إيطاليا بتنفيذ الاتفاق والاتصال بالسنوسيين لتوحيد مقاومة

وأبرموا معهم اتفاق سرت ، وعقدوا البيعة لمحمد إدريس السنوسي أميراً عليهم حتى تتوحد البلاد تحت زعامته لمقاومة الإيطاليين ، وقبل السنوسي البيعة في نوفمبر سنة ١٩٢٢ وثار الإيطاليون ثم عملوا على هدم هذه البيعة وعبثاً حاولوا أن يثنوه عن قبولها وشب النزاع من جديد وخرج السنوسي إلى مصر في ديسمبر سنة ١٩٢٣ وأقام بها يتتبع سير القتال عن كثب ، وبدأت البلاد مرحلة جديدة من مراحل جهادها المتصل تحت قيادة بطل من أبطال السنوسية هو عمر المختار الذي اتخذ من الجبل الأخضر على ساحل برقة قاعدة لغزواته الموفقة وحملاته الناجحة على القوات الإيطالية حتى أسر وأعدم عام ١٩٣١ ، فكان لإعدامه رنة أسى عميقة في العالمين العربي والإسلامي جميعاً ورثاه الشعراء بأروع المراثي في بلاد الإسلام ورأوا فيه شهيداً من شهداء الحرية وضحية من ضحايا الاستعمار الغاشم .

وكان أمد القتال في برقة أطول منه في طرابلس فقد تسنى للإيطاليين أن يخضعوا طرابلس بسطوتهم وأن يبسطوا نفوذهم الفعلي عليها منذ عام ١٩٢٣ ، أما السنوسيون في برقة فقد استمدوا من روح طريقتهم ووحدتهم وزعامتهم الرشيدة قوة مكنت لهم ، وكان في طليعتهم عمر المختار قوة على القتال أرغمت إيطاليا على مقاومتهم حتى عام ١٩٣١ ، ودارت المعارك رهيبة بينهم وبين الإيطاليين في الجبل الأخضر ، وعمدت إيطاليا على غزو الجبل الأخضر وقضت على مراكز السنوسيين في الداخل ومنع تسلل الإمدادات إليهم من الخارج . وكان موسوليني قد ولى غرسياني قيادة الحملات الاستعمارية ذات الطابع الفاشي العنيف ، واستولت على واحة جغبوب من مصر بعد معاهدة عقدتها معها وكانت مركزاً هاماً من مراكز السنوسية وقاعدة حركتها بعد أن أقاموا في جغبوب الشرقي ثم استولت بعد ذلك بعامين على واحتي أوجلة وجالو وهي على طريق القوافل بين برقة والسودان ومن أهم مراكز السنوسية .

وكانت الخطوة التالية أن وحد موسوليني برقة وطرابلس في أوائل عام ١٩٢٨ تحت إمرة حاكم واحد هو المارشال بادوليو ومنحه سلطات واسعة للقضاء على الحركة الوطنية ، بأية وسيلة كانت فاستولى على غدامس وفزان لقطع كل صلة بين طرابلس وبرقة ، ودارت مفاوضات للصلح بين عمر المختار والجنرال بادوليو لم يكتب لها النجاح ولم

يقصدون من ورائها إلا كسب الوقت وتحطيم قوة المجاهدين وتفريق صفوفهم فانتهت بالفشل وبدأت معارك بين الفريقين [illegible] من حديد [illegible] القوات الإيطالية في هذه المرحلة [illegible] وهو من أشهر قوادهم وقد جاءوا به [illegible] الحكم على ليبيا ليقضي على مقاومة عمر المختار فعمل على إجلاء العرب [illegible] حتى خط الأحمر حتى تقطع كل صلة بين المجاهدين وأهل البلاد ثم [illegible] على [illegible] الكفرة آخر معاقل السنوسية في [illegible] في ٢٩ [illegible] سنة ١٩٣١ ، [illegible] أقوى حملة [illegible] صحراء [illegible] ودارت معركة رهيبة بينهم وبين المجاهدين [illegible] فرجعوا [illegible] شطر السودان ومصر [illegible] والجوع [illegible] من [illegible] المعونة إخوانهم المصريين الذين هبوا لنجدتهم في الطريق من الواحات الداخلة . وكان قد مد الأسلاك الشائكة على طول الحدود [illegible] وحصون [illegible] المجاهدين وقطع عليهم [illegible]

وصلت [illegible] حمل عبء الجهاد حتى آخر معركة [illegible] وهو يقود حسين فارساً من أتباعه وأسر فيها بعد أن استشهد أكثرهم وصرع جواده من تحته ، وأعدم بعد محاكمة عسكرية صورية [illegible] وإعدامه صورة [illegible] في [illegible] الإسلامي ووصمت على كل جهد [illegible] للدعاية لنفسها في أرجائه الواسعة . وقضى بموته على آخر جهد للمقاومة في برقة خاصة وفي جميع [illegible] وحكمت إيطاليا البلاد بعد ذلك [illegible] سياسة الاستعمارية [illegible] . وأصبحت حركة المقاومة التي قام بها أبطال ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي طوال [illegible] مثل في [illegible] والتضحية في جميع [illegible] إيطاليا [illegible] أسوأ مثل لأمة [illegible] في [illegible] بإعدام عمر المختار [illegible] عرابي في مصر وعبد القادر الجزائري في الجزائر وعبد الكريم الخطابي في مراكش [illegible] كان مصيرهم [illegible]

وكان استعمارها بدوره أسوأ مثل للاستعمار الحديث فقد حرب [illegible]

السكان وبلادهم واغتصبت أراضيهم واستثمارها لصالح أسرهم لدى حملتهم أفواجاً إلى
الهجرة إليها ووفرت لهم كل أنواع التسهيلات الممكنة للإقامة والاستقرار، واحتكرت
خيرات البلاد ومواردها الاقتصادية فأورثت الليبيين الفقر وأوردتهم موارد الخراب
والهلاك حتى دفعتهم إلى الهجرة والنزوح عنها وهجرة بعضهم إلى السودان الذي وجدوه
مهرباً من ذلهم . وقد بدأ الاستعمار الإيطالي مرحلته الحاسمة في ليبيا عام
١٩٢٨ عندما أعلن موسوليني اعتبارها منطقة إيطالية عن الاستعمار ومتنفساً للوطن
الإيطالي وبدأت عملية الاستيلاء على الأرض وتهجير الإيطاليين إلى ليبيا على أوسع
نطاق في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٠ صدر مرسوم ملكي إيطالي بإلغاء الاتفاقيات التي
أبرمت من قبل بين إيطاليا والسنوسيين ومصادرة أراضي الزوايا وممتلكاتها .

وقد وجدت إيطاليا في ليبيا عام ١٩١١ عندما غزتها مركزاً لتعويض النقص الاستعماري بعد أن كانت
آخر دولة تدخل ميدان الاستعمار فقد فاتها كثير من الغنائم وكانت هزيمتها في عدوة
أمام الحبشة قد ضاعفت من شعورها بمركب النقص وأورثها هذا الشعور إحساساً
بالحقد والعصبية على الدول التي سبقتها إلى ميدان الاستعمار وقادت منه الفاشية في
دعوتها الصريحة للسيادة والاستعمار وبعث مجد الإمبراطورية الرومانية . فاكتسبت أهمية
ليبيا في نظر الإيطاليين من مجرد كونها مستعمرة تحقق لها المساواة في عداد الدول ذوات
السيادة الاستعمارية إلى كونها قاعدة عسكرية كبرى للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط
الذي ادعى موسوليني أنه بحيرة إيطالية وسماه « Mare Nostrum » والتوصل منها إلى
أجزاء القارة التي ستدعم إيطاليا نفسها حرب على ملاكيها . وعبر عن هذا الاتجاه
موسوليني بقوله « إن وجود الإيطاليين في ليبيا سيسهل على جنود إيطاليا غزو مصر وعالم
الحرية القارة » . وبذلك أصبحت أهمية ليبيا الاستراتيجية في نظر حكومة الفاشية في إيطاليا
تفوق أهميتها الاقتصادية ودفعها هذا إلى الاهتمام بمد السكك الحديدية وتعبيد الطرق
الحربية والعمل على توفير مياه الشرب في أنحاء البلاد تيسيراً للعمليات الحربية وتحركات
الجيوش عندما تبدأ الحرب الاستعمارية التي تبيت لها وتتوقعها

وكانت خاتمة المطاف يوم اعتلى موسوليني ظهر جواده الأشهب فوق كومة من
الرمل أخرجها كبرهان لشارع يخطب في أهل ليبيا عندما زارها لافتتاح الطريق

استاحق عام ١٩٣٧ وبعدها أهداه روما وكان بالبو حاكم ليبيا قد أعد له سيفاً حمل الأهالي على إهدائه زعيم إيطاليا ، ودعاه سيف الإسلام هدية إلى حامي الإسلام. ثم تمعن في هذه المسرحية حتى كانت ليبيا مسرحاً من أهم مسارح الحرب العالمية الثانية تلك الحرب التي أطاحت بالاستعمار الإيطالي فبدأ البلاد مرحلة من مراحل تاريخها الحديث .

شبه جزيرة العرب

تحتل شبه جزيرة العرب موقعاً هاماً في تاريخ العالم القديم وبين قارات العالم الثلاث وقد عرفتها الرواحل منذ قديم الزمن بين بحر الهند وسواحل القلزم وبحر الروم وشهدت من الحضارات ما ازدهرت وسارت بذكرها الأحاديث ورددت سيرها كتب الأنباء كحضارات سبأ ومعين وحمير في اليمن ، وطالعت من سير الغابرين عظة الزمن وعبرة الأجيال ، ومنها خرجت الرسالات المشرقة لتملأ العالم القديم وتبني أقدم حضاراته ، ثم انطوت بعد ذلك في صمت وسكون حتى حدث إليها بعد ذلك في القرن العشرين فأخذت تكشف عن أسرارها وكنوزها لتعود مرة أخرى إلى أهميتها التي كانت لها في الماضي إن لم تزد

وتمتد شبه جزيرة العرب بين الخليج الفارسي شرقاً والبحر الأحمر غرباً وبحر العرب جنوباً وبادية الشام شمالاً في مساحة تقدر بأكثر من مليون ميل مربع وسكانها لا يزيد عن عشرة ملايين نسمة والجزء الأكبر من أرضها صحراء تمتد من الجنوب من بادية الشام وصحارى النفود والدهناء والربع الخالي وتحد هذه الصحارى من سلسلة جبال البحر الأحمر التي تتراوح ارتفاعها بين ثلاثة آلاف وعشرة آلاف قدم فوق سطح البحر والتي يفصلها عن ساحل البحر الأحمر سهل ساحلي ضيق ، يتراوح عرضه بين عشرة أميال وأربعين ميلاً ثم تنحدر نحو الشرق إلى الخليج الفارسي في

مسطح هائل من هضبة صحراوية مرتفعة مجدبة لاتشذ في استوائها كثيراً إلا في ركنيها الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي حيث ترتفع جبال السواحل [illegible] في الشرق عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر . وقد تنتشر الواحات في تلك الصحراء أحياناً حيث قامت المدن والقرى [illegible] من السكان ثم البدو يعيشون على الرعي ويتجولون في الأرض في طلب المرعى . وقد [illegible] معالم الحضارة الحديثة تتسرب إلى داخل شبه الجزيرة وأحدث ذلك استقرار كثير من السكان الرحل بعد السياسة التي لجأ إليها الملك عبد العزيز آل سعود في إسكان البدو في مهاجر أقامها لهم .

وقد ظلت شبه جزيرة العرب بعيدة عن اهتمام الدول الاستعمارية فلم يكن فيها ما يغريهم بها وإن لم تنج سواحلها [illegible] من النفوذ الإستعماري الذي ظهرت فيه بريطانيا وحدها [illegible] في ختام معركة الاستعمارية في أوائل القرن التاسع عشر لحماية طريقها إلى الهند فاستولت على عدن ، وبسطت حمايتها على سلطنات الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة [illegible] ، ومشيخات [illegible] في عمان ومسقط وإمارات الخليج الفارسي [illegible] أخرى أن [illegible] في هذه السواحل أو تشترك [illegible] نفوذها فيها ، وإن كانت إيطاليا قد حاولت في أوليات القرن العشرين أن تمد إلى قاعدة [illegible] على ساحل البحر الأحمر الجنوبي في مواجهة مستعمراتها الإفريقية ، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل .

ولكن شبه الجزيرة قد أصبحت [illegible] الأعوام الأخيرة بعد [illegible] ثروتها من البترول الذي تفجرت ينابيعه في مواضع كثيرة ، والذي [illegible] وصناعة [illegible] ، بل إن الولايات المتحدة الأمريكية قد [illegible] في [illegible] ، [illegible] من قواعدها [illegible] على طول النطاق الأرضي الذي [illegible] حول روسيا [illegible] شرقية ، فأقامت قاعدة [illegible] الجوية في [illegible] موارد [illegible] البترولية في شبه الجزيرة وحراسة [illegible] التي [illegible] إلى البحر الأبيض المتوسط ، ولتكون قاعدة للهجوم الجوي على روسيا وتوحي طوالع الغيب أن مستقبل شبه جزيرة العرب مستقبل حافل بالأحداث التي

يتمحض عنها اهتمام أمريكا بها وما تحته أرضها من كنوز بترولية مدفونة لم تصل إليها يد الاستغلال بعد .

وتشمل شبه جزيرة العرب : المملكة العربية السعودية واليمن ، وهما مملكتان مستقلتان ، ومستعمرة عدن والمحميات ، ومسقط وعمان وقطر والكويت والبحرين .

المملكة العربية السعودية

عرفت المملكة العربية السعودية بهذا الاسم منذ أن أعلنه جلالة الملك عبد العزيز آل السعود في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢ ، وكانت تعرف من قبل بمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها

وتتكون من نجد والحسا والحجاز وعسير . ونجد هي مهد الوهابية الأصلي ومقر الإخوان الوهابيين ، وأهم مدنها عنيزة وبريدة والرياض وهي عاصمة المملكة أما الحجاز فهو مهد الإسلام حيث إليه [illegible] في كافة بقاع العالم الإسلامي [illegible] والأكبر ، وبه مكة عاصمة الحجاز [illegible] ومدينة مهجر الرسول صلى الله عليه وسلم ومزار صريحه ، وبها تلاقى وفود الحجيج من كافة بقاع العالم الإسلامي [illegible] أخوة الإسلام وتتجدد كل عام ، ثم [illegible] يفد المسافرون والحجيج إلى أرض الحجاز [illegible] طريق جدة إلى مكة [illegible] وأربعين ميلا ، وقد تم [illegible] عام ١٩٤١ [illegible] في الآخر إلى المدينة عن طريق رابغ ومن رابغ إلى الوجه عن طريق ينبع [illegible] السيارات من مكة إلى الرياض ومنها إلى [illegible] على الخليج الفارسي [illegible] مسافة ٨٢٩ ميلا ، وتستطيع السيارات في أوقات [illegible] أن تخترق البلاد [illegible] الرياض و[illegible] والرياض والجوف [illegible] إلى أقصى الشمال ، و[illegible] جدة والطائف ، وجدة و[illegible] ، وتربط المملكة خط جوي من جدة إلى الظهران ، وهناك مشروع [illegible] خط حديدي يربط الرياض برأس التنورة

على الخليج الفارسى ، أما الجزء من سكة حديد الحجاز القديمة فما زال معطلا وإن كانت النية تتجه إلى إصلاحه .

ومع عسير جنوب الحجاز وعند تجاور اليمن فى مستطيل سهل كثيف السكان يمتد طوله على ساحل البحر الأحمر مئتا ميل ويصل عرضه إلى أربعين ميلا ويعرف بإقليم تهامه . وعند سلسلة جبال الحجاز إلى الشرق منه حيث تبلغ أقصى ارتفاعها ولكنها تنحدر تدريجا حتى نجران فتصل إلى نصف ارتفاعها وتستمر فى انحدارها نحو الشرق . وأبها هى عاصمة عسير وأشهر مدنها .

وإلى الشرق من نجد تقع الأحساء وتطل سواحلها على الخليج الفارسى بينما تصل حدودها إلى الربع الخالى فى الجنوب ، وتمتد المنطقة الحرام بين الكويت والمملكة العربية السعودية فى الشمال ، والحساء وأشهر واحاتها ثلاثة العقير والقطيف وجبيل على الخليج الفارسى وعاصمتها الهفوف واحة كبيرة ترويها سبعة عيون من ماء تتفجر عن ٢٢،٥٠٠ جالون كل دقيقه وبحسب الأرض وجود زراعة الفاكهة وكان التمر أهم مواردها فيما مضى حتى عرفت بحلة ثم ظهر البترول فأغنى المملكة كلها وأفاض عليها الخير .

وأصبحت المملكة العربية السعودية بعد أن وحدت هذه المساحات الواسعة فى شبه الجزيرة أقوى دولها وأصبحت شخصية مليكها عبد العزيز آل سعود شخصية أسطورية تحدث إليها الكتاب والمؤرخون فى الغرب كما استهوتهم صحاريها ورمالها الواسعة فكانت مجالا فسيحا لروعة خيالهم وكتاباتهم عنها ، وبدأت أعمال البحث والأعمال للبحث عن كنوزها المخبوءة على طريق شركة الزيوت العربية الأمريكية « أرامكو » بامتياز استثمار البترول فى مساحات قدرها ٢٥٠ر٠٠٠ ميل مربع عام ١٩٣٣ لمدة ٦٦ سنة . وأرامكو شركة مساهمة تملك أسهمها بالتساوى شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا وشركة تكساس وشركة ستاندارد أويل أوف نيوجرسى . وصار البترول هو المصدر الرئيسى للدخل القومى للمملكة بعد ذلك الحين بعد أن كان جل اعتمادها على موارد الحج المحدودة .

ويرجع الفضل في الكشف عن موارد شبه الجزيرة الأولية إلى جهود الملك عبد العزيز آل سعود في تنمية موارد الثروة القومية وحفظها ، كما اعتمد على المصادر الأهلية حتى لا تتأثر بما يصيب موسم الحج من شحوط ، فاهتم بالزراعة وتربية الماشية ودعى الإخوان الوهابيين إلى الإقامة والاستقرار حول العيون ... ومدهم بالأموال والمساعدات إلى تعميم في حياتهم الجديدة . ثم اهتم باستغلال الموارد المعدنية في شبه الجزيرة واتجه في اهتمامه هذا إلى من وثق بهم من الأمريكيين وقاد هذا الاهتمام إلى الكشف عن موارد البترول بمنطقة حول الظهران في دمام وأبقيق والقطيف من منطقة الحسا في شرق شبه الجزيرة على الخليج العربي ، ثم منح امتياز استغلال المعادن في مساحة واسعة شمال مهد الذهب إلى شركة أخرى عرفت بنقابة التعدين السعودي العربي تنتج ما قيمته ربع مليون جنيه كل عام

وتعد حقول البترول في المملكة العربية السعودية من أغنى حقول البترول في العالم وأوفرها إنتاجا ، ويقدر احتياطيها العام بما لا يقل عن خمسة آلاف مليون برميل ، وقد بدأت الشركة في إنتاجها التجاري عام ١٩٣٨ فأنتجت ٦٨,٠٠٠ طن ثم أخذ هذا الإنتاج يتزايد عاما بعد عام حتى بلغ ٢٣,٢١٠,٠٠٠ طن عام ١٩٤٩ ، حيث وصل عدد الآبار المستغلة إلى ٨١ بئرا عدا ٢٩ بئرا أخرى صالحة للاستغلال ومعدة للإنتاج وفي الربع الأول من سنة ١٩٥٠ بلغ متوسط الإنتاج اليومي ٤٧٧,٠٠٠ برميل مقابل ٤٥٦,٠٠٠ برميل سنة ١٩٤٩ ، ووصل في الربع الثاني إلى ٥٢٦,٠٠٠ برميل وفي شهر يونيه بلغ متوسط مجموع الإنتاج ٥٦٣,٠٠٠ برميل . وبهذا أصبحت المملكة العربية السعودية من أعظم دول العالم إنتاجا للبترول وتحتل المرتبة الخامسة بين دول العالم والمرتبة الثانية بين دول الشرق الأوسط وقدرت الشركة أن يصل إنتاجها اليومي إلى مليون برميل يوميا عام ١٩٥٣ .

ويعمل في شركة أرامكو أكثر من ١٠,٠٠٠ عامل من العرب عدا ٨٥ أمريكي من الفنيين ، وللشركة معمل للتكرير في رأس التنورة تبلغ طاقته اليومية ١٤٠,٠٠٠ برميل ، تستورد عنها القوات البحرية للولايات المتحدة .

وتصلها أبقيق والظهران عدة أنابيب لنقل البترول الخام ، وهناك أنبوبة أخرى من
الظهران إلى البحرين طاقتها ١١٠٫٠٠٠ برميل يوماً .

وقد فكرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية شركة خطوط الأنابيب العربية
لنقل البترول المتدفقة إلى البحر الأبيض المتوسط وإنشاء معمل للتكرير عند نهايتها
وقامت بمد خط الأنابيب المعروف بالتابلين لنقل البترول العربي من مواطن إنتاجه
إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ويبدأ من أبقيق مخترقاً أرض شبه الجزيرة شمالاً
بشمال غرب أراضي المملكة الأردنية الهاشمية ومنها إلى الأراضي السورية فيمر
في جبل الدروز ووادي [illegible] مرتفعاً إلى ٢١٠٠ قدم ثم يرتد إلى قاع وادي
ثم الحاصباني على ارتفاع ٨٤٠ قدماً ويعاود ارتفاعه مرة أخرى إلى ١٨٠٠ قدم عند
الحدود السورية اللبنانية ليهبط إلى ٦٠٠ قدم وهو يخترق وادي نهر الليطاني ، ثم
يرتفع مع جبال لبنان من جديد إلى ١٦٠٠ قدم ، ومن هناك يأخذ في الانحدار
التدريجي إلى البحر حتى يصل إلى نهايته في نقطة تقع جنوبي صيدا عند مصب
نهر الزهراني .

وتم إنشاء هذا الخط عام ١٩٥٠ ويبلغ طوله ١١١٠ ميلاً وطاقته ٣٣٠٫٠٠٠
برميل يومياً ، وهو من أعظم الأعمال التي تمت في هذا الميدان لطوله
وضخامة معداته ، ولكنه هبط بتكاليف نقل البترول إلى مقدار الثلث .

وكان لاكتشاف البترول واستغلاله في المملكة العربية السعودية أثره البالغ
في الارتفاع بمستوى المعيشة ، مستوى السكان فيها ، وجعلها أكثر اعتماداً على مقدراتها
الاقتصادية الذاتية أكثر من اعتمادها على موسم الحج ومقدراته المحدودة وفتح أبوابها
أمام الأجانب بعد أن ظلت مغلقة في وجوههم لآماد طويلة .

وقد برهن الملك عبد العزيز آل سعود في حكمه مملكته على أصالة الحاكم القدير
الخبير بأحوال بلاده ومقدراتها فلعب دوره على مسرح الحوادث سواء في الداخل
أو في الخارج كأعظم [illegible] وسياسي ، في الوقت الذي عانى فيه من تعصب

بالإخوان الوهابيين وهو إمامهم وزعيمهم ، ومنعه التشيع للعقيدة الوهابية من الأخذ بمقومات الحضارة الأوربية وكان دوره في هذا دور المعلم الذي ينصح ويرشد ويعلم فإذا لم تجد النصيحة أو استعصى عليهم عن ... حملا دون هوادة ولين . وفى الوقت الذى رأى فيه حاجته إلى التعاون والاتصال بالعالم الخارجي سمت عزيمته في هذا الميدان كأروع ما يكون سياسي عربي فعقدت العلاقات بينه وبين جيرانه على أساس من الود والمجاملة والمهادنة التى تقضى على كل نزعة للعصيان أو بادرة للتوتر وظهر هذا واضحا في معاهدة الطائف التي أبرمها مع إمام اليمن وفي معاهدة جدة التي أبرمها من قبل مع الحكومة البريطانية وفي غيرها من الاتفاقات الدولية التي أبرمها مع جيرانه ومع غيرهم في الخارج .

وقامت الحرب العالمية الثانية فوقف منها موقف الحياد المقرون بالعطف على الحلفاء واستطاع أن يكسب بحكمته وتدبيره فازدادت مكانته السياسية ارتفاعا بينهم حتى أصبح قوة لها خطرها في الشرق الأوسط يعلقها ساسة الغرب ويعملون على كسبها إلى جانبهم .

اليمن :

تقع اليمن في الطرف الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية بين المملكة العربية السعودية في الشمال والشمال الشرقي وعدن والمحميات في الجنوب والجنوب الشرقي والبحر الأحمر في الغرب من نقطة تقع في مواجهة جزيرة فرسان إلى رأس الشيخ سعيد في مواجهة جزيرة بريم ، وتمتد حدودها الشمالية من سهول تهامة في الغرب إلى صحراء الربع الخالي في الشرق على الحدود التي اتفقت عليها المملكتان في معاهدة الطائف عام ١٩٣٤ ، أما حدودها الجنوبية بينها وبين عدن والمحميات فإنها تمتد وفقا لما قررته اللجنة التركية الإنجليزية المشتركة عام ١٩٠٣ — ١٩٠٥ والاتفاق الإنجليزي التركي في ٩ مارس سنة ١٩١٤ ، وهو الاتفاق الذي رفض إمام اليمن أن يتقيد به بعد أن أعلن استقلال بلاده عقب الحرب العالمية الأولى وعمل على ضم مناطق في

المحميات على اعتبار أنها جزء من أملاكه حتى أخرجه الإنجليز منها وسوى النزاع بعقد معاهدة صنعاء في ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ لمدة أربعين سنة وقبول الوضع القائم للحدود في الاتفاق التركي الإنجليزي حتى يسوى أمرها فيما بعد بالاتفاق الودي بين الطرفين .

وتبلغ مساحة اليمن ٧٥,٠٠٠ ميل مربع ويتراوح عدد سكانها بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف كلهم من العرب المسلمين من طائفة الزيدية إحدى طوائف الشيعة ومن السنيين ، ما عدا أقلية يهودية عدد أفرادها تسعون ألفاً ، ويتدرج سطحها في الارتفاع من السهل الساحلي الرملي ذي الحرارة الشديدة والمطر القليل إلى المرتفعات الداخلية ذات المناخ المعتدل والمطر الوفير والتربة الخصبة التي عرفت بخصبها منذ أقدم عصور التاريخ ، واشتهرت منذ عصورها الحديثة [illegible] .

وقد انطوت اليمن على نفسها واحتفظت بعزلتها بعيدة عن تيارات الحضارة الغربية والنفوذ الأوروبي بحلف من الاستعمار ولكنها ظلت تعيش في إطار العصور الوسطى وتخلفت عن ركب الحياة ، العالم شوطاً بعيداً حتى إذا تخلصت من الحكم العربي تتوغل في قلب الجزيرة ، وأصبحت قبائلها لم تدن من اليمن ، ومن استطاع الدنو منها أو ولوجها فإن العيون ترصده أينما سار وترقبه في حله وفي ترحاله ، فبقيت عالماً تحيط به الأسرار بالرغم من خروجها إلى المجتمع الدولي وعضويتها في هيئة الأمم المتحدة والجامعة العربية وعلاقتها التجارية بالعالم الخارجي وتاريخها العريق وحضارتها القديمة الزاهرة .

وخضعت اليمن للسيادة العثمانية مدة امتدت من ... في شرق شبه جزيرة العرب ولكن النفوذ الحقيقي في البلاد في يد طائفة الزيدية وأئمتها الدينية التي استطاعت في كثير من الأحيان أن تفوق النفوذ العثماني ، وكانت ثورة الإمام يحيى عام ١٩١١ آخر تلك الثورات وانتهت بالاتفاق على أن يكون النفوذ للإمام يحيى في المناطق الجبلية في الداخل حيث نفوذ الزيدية وقوتهم وللأتراك في سهول تهامة الساحلية حيث يقطن أغلب أهل السنة مع خضوع البلاد جميعاً للسيادة

العثمانية ، واستمر هذا الوضع قائماً حتى زالت السيادة التركية عنها بعد أن ألقت تركيا السلاح بتوقيع هدنة مدروس فأعلن الإمام يحيى استقلال اليمن .

ولم يكن لبريطانيا أطماع صريحة في اليمن فاعترفت باستقلالها في معاهدة صنعاء عام ١٩٣٤ وبالإمام يحيى ملكاً عليها على أساس من الاحترام وحسن الجوار ، ولكن بقيت مسألة الحدود بينها وبين عدن ومحميات عدن كأهم أسباب النزاع في أثناء هذه العلاقة ، وسرعان ما زاد هذا النزاع شدة بعد تلك الأبحاث الجيولوجية عن وجود كميات هائلة من البترول تعادل في مقاديرها كل ثروات المملكة العربية السعودية ، وذلك في مناطق الحدود التي يدور حولها النزاع .

ولم تعد الدول الأوربية من الطمع في اليمن منذ زمن . فإيطاليا كانت تطمع فيها لإيجاد قاعدة لنفوذها على الساحل الشرقي للبحر الأحمر مواجه إريتريا واستطاعت أن تستخدم كثيراً من أعمال التجنيد في إريتريا فيما بين عامي ١٨٩٧ و ١٩٠٠ ، وعندما ظهرت الفاشية في إيطاليا أخذت تمد نفوذها في اليمن وتمدها بالمعدات الحربية والأسلحة وعقدت معها معاهدة تجارية في سبتمبر سنة ١٩٢٧ ، وأنشأت هيئة طبية في صنعاء ، ولكن الغرض الأصلي في نفس الإمام يحيى من كل هذا هو عرقلة ما يحول بينه وبين الاتصالات بالمواني الإنجليزية ، ويقضي على كل أمل للإنجليز في الامتداد إلى ذلك الركن الغني من شبه الجزيرة العربية .

وارتبطت اليمن كذلك في فترة ما بين الحربين بمعاهدات واتفاقات تجارية مع الاتحاد السوفيتي في ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٨ وهولندا في ١٢ مارس سنة ١٩٣٣

ولما قامت الحرب العالمية الثانية وقفت منها موقف الحياد وسعت لحمايتها من التدخل الأجنبي سواء من جانب الحلفاء أو من جانب المحور ، وذلك لبعدها عن ميدان العمليات الحربية ولكنها لم تسلم من بعض نواحي الضغط البريطاني الذي أدى إلى طرد الإيطاليين بعد أن اتخذت الحكومة البريطانية لهجة شديدة تطالب بطردهم من اليمن ، وكان معظمهم من عملاء الفاشيين وارتبطوا بكثير من الصلات الشخصية بأهل البلاد .

واستصحاب الإمام يحيى بهذه الذريعة . وفيما عدا ذلك بقيت اليمن بمنأى عن الخضم العالمي الثائر وأعاصيره الهوجاء .

ولما وضعت الحرب أوزارها أخذت اليمن تلج ميدان النشاط الدولي من أضيق أبوابه بعد أن بقي الحذر المتأصل في نفس الإمام يحيى من خطر الأطماع الأجنبية يسيطر على نوازعه فيغلق أبواب بلاده في وجه كل طارق لا يطمئن إليه وإن لم يهمل توطيد علاقاته الخارجية بالدول الأجنبية فأبرم معاهدة مع فرنسا في ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٦ وأخرى مع الولايات المتحدة في ٤ مايو من العام نفسه . ولكن بلاده بقيت دون تمثيل سياسي لها في الخارج إذ اكتفت بتمثيلها في جامعة الدول العربية وفي هيئة الأمم المتحدة التي أصبحت عضوا من أعضائها في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٧ .

ولكن المستقبل وحتى إن بدت اليمن أنها لن تخرج عن عزلتها في مدى طويل حتى تنخرط في سلك دول التعاون والارتباط العالمي فلم يعد في مقدورها أن تعيش في عزلة عن العالم الخارجي . واليمن بحكم موقعها على مفترق من مفارق الطرق العالمية الهامة وبما تحويه أرضها من كنوز لابد وأن تجذبها الدوامة الدولية إلى محيطها السريع الدوران فتفتح أبوابها على مصاريعها لاستقبال نشاط العالم الذي يمتد إلى كل بقعة من بقاع الكرة الأرضية التي أصبحت تضيق بنشاط سكانها .

ولن يبقى اليمن طويلا حتى تطرقها جحافل النفوذ الأجنبي القوية ، فإن ما تحويه أرضها من ثروة مرجوة هائلة تثير لعاب كثير من الطامعين من رؤوس الأموال الأجنبية بها وتجذب إليها قوى الاستغلال الاقتصادي . وواجب اليمن أن تلعب دورها في وجه هذا التنافس الاقتصادي لصالحها وأن تفصل تماما بين الاستثمار الاقتصادي لمواردها ، وبين النفوذ السياسي الذي يكمن وراءه ، فتحوط حماية استقلالها بالإقبال على الحضارة الحديثة والعلم والإصلاح الداخلي الشامل لكل مرافقها وشؤونها .

عدن والمحميات :

تبلغ مساحة عدن ومحمياتها حوالى ١١٢,٠٠٠ ميل مربع تمتد على طول الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية مسافة ٧٥٠ من رأس الشيخ سعيد غرباً إلى الحدود الغربية لسلطنة مسقط وعمان شرقاً ، ومع اليمن فى شمالها الغربى بينما تتصل حدودها بالصحراء الواسعة فى الشمال الشرقى دون معالم واضحة ، ويختلف عرضها من خمسين ميلا فى الغرب إلى مائتى ميل فى الشرق .

وقد كان لهذه المساحة الممتدة من الغرب إلى الشرق على طول السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية أهميتها القديمة فى عالم التجارة ، فقد سيطر أهلوها على طريق التجارة القديم إلى البحر الأبيض المتوسط مارا بصنعاء ومكة وبطرا مبتدئاً من جزيرة صخرية صغيرة تعرف بحصن الغراب وتقع فى مواجهة حضرموت على بعد مائتى ميل شرق عدن ، حتى إذا كشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح قضى على أهمية طرق البرية عبر شبه جزيرة العرب والشرق الأوسط . ولكن بقى لهذا الساحل أهميته لعدن لإشرافه على الطريق البحرى إلى الهند ، وإن عده أهلوه أعظم مصدر من مصادر ثروتهم وكسبهم

ولم ينجح البرتغاليون فى الوصول إلى الساحل أو اتخاذ قواعد لهم فيه بينما كان الأتراك يتوغلون فى شبه الجزيرة حتى وصلوا إليه واحتلوا عدن عام ١٥٣٨ ، وبقى الساحل بين القوى الاستعمارية تشد حوله دون أن تستطيع إحداها العود إليه أو الاستقرار فيه أو امتلاك بعض قواعده البحرية حتى نزل الإنجليز إلى ميدان الاستعمار واستأثروا بالهند بعد أن قضوا على القوى الاستعمارية الأخرى فأخذوا يقيمون قواعد نفوذهم فيه ويسيطرون عليه مكانا بعد الآخر

واستمر هذا الساحل يحتل أهميته التقليدية بعد فتح قناة السويس وتحول الطريق الرئيسى للملاحة إليه فأصبح بإشرافه على طريق الهند محل مطامع تحرص على حماية نفوذها ، وكانت قد امتدت إليه فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر

تبسط حمايتها على جميع أجزائه وقواعده ، وازدادت أهميته بعد عودة الطرق البرية المؤدية إلى سابق نشاطها وبعد مشروع السويس في شبه جزيرة العرب وسواحل الخليج الفارسي عن قبضتها القوية .

مستعمرة عدن

تتكون مستعمرة عدن من ميناء عدن وجزيرة بريم وجزر كوريا موريا وتتبعها من الناحية الإدارية جزر قمران في البحر الأحمر على مسافة مائتي ميل شمال جزيرة بريم . وقد استولت عليها بريطانيا من الأتراك عام ١٩١٥ .

ويقع ميناء عدن في الطرف الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية على مسافة مائة ميل شرق بوغاز باب المندب ، ويتكون من شبه جزيرتين بركانيتين تمتدان في البحر ويصلهما بالأرض الداخلية برزخ رملي حيث تقع بلدة الشيخ عثمان والقرى التابعة لها ، وتبلغ مساحته ٧٥ ميلا مربعا ، وتقع جزيرة بريم في مدخل بوغاز باب المندب وتشرف بذلك على طريق الملاحة بين البحر الأحمر وبحر العرب وتبلغ مساحتها خمسة أميال مربعة ، أما جزر كوريا موريا فهي عبارة عن خمس جزر تكون مجموعة واحدة ولا تزيد مساحتها في مجموعها على ثلاثين ميلا مربعا وأهميتها في أنها تقع على الطريق الملاحي الرئيسي للهند .

ويبلغ عدد سكان المستعمرة ٥١٦ر٨ نسمة يفوق عدد الرجال فيهم عدد النساء بكثير . كما يغلب العنصر العربي بين السكان على غيرهم من الهنود والصوماليين واليهود ويبلغ عددهم وحدهم ٥٠٠ر٥٨ نسمة .

وقد دخلت عدن في نطاق سياسة بريطانيا الاستراتيجية منذ أخذ نابليون يتطلع إلى الهند وقام بحملته على مصر لافتتاح الطريق البري إليها فأرادت أن تسد عليه منافذ الطرق الرئيسية إلى مستعمرتها العظيمة فنزلت إلى جزيرة بريم عام

١٧٩٩ ولكنها اضطرت بعد سنتين للجلاء عنها لنقص موارد المياه فيها . ووصلت قواتها إلى عدن في ضيافة صاحبها سلطان لحج فأحسن استقبالهم . ونشأت على أثر هذا الحادث علاقات من المودة سببت إبرام معاهدة تجارية بين الطرفين في ٦ سبتمبر سنة ١٨٠٢ . ثم أخذت بريطانيا تبحث جدياً وراء قاعدة تحوي أسطولها بالبحر في تلك المنطقة وكانت السفن التجارية قد حلت محل السفن الشراعية فلم تجد أوفق من عدن واتخذت من اعتداء العرب على إحدى سفنها التجارية حجة للاحتلال . واحتلتها في يناير عام ١٨٣٩ بعد أن قصفتها مدافع الأسطول واسترضت سلطان لحج بعد ذلك بمنحة مالية تدفع إليه كل عام وعقدت معه صلحاً يعترف لها فيه بامتلاكها عدن ولكنها تعرضت لأكثر من هجمات العرب خلال السنوات الخمس التالية وتوترت العلاقات بينها وبين السلطان ولم تستقر الأمور لها تماماً إلا في عام ١٨٥٧ فعقد الصلح وعادت إلى دفع رواتب السلاطين والأمراء . واستولت منهم بعد ذلك على بلدة الشيخ عثمان عام ١٨٨٢

وكانت عدن تتبع في إدارتها حكومة الهند حتى عام ١٩٣٢ وفي سنة ١٩٣٧ كانت تتبع إشراف حاكم الهند العام مباشرة ثم أصبحت إحدى مستعمرات التاج منذ أول إبريل سنة ١٩٣٧ يحكمها حاكم مسئول أمام لندن ووزارة المستعمرات مباشرة يعاونه مجلس تنفيذي حل محله مجلس استشاري عام ١٩٤٧ .

وتتبع جزر كوريا موريا في إدارتها حكم الانجليز في عدن وهي خمس جزر من أهمها جزيرة حلانية وهي غير مستعمرة وذات بعدها عن عدن . وكانت من أملاك سلطان عمان ومسقط وتنازل عنها لبريطانيا عام ١٨٥٤ .

وقد لعبت عدن دوراً بارزاً في الحرب العالمية الثانية كقاعدة للحلفاء أثناء هجومهم على مستعمرات إيطاليا في شرق إفريقيا عام ١٩٤١ واتخذت إليها حكومة الصومال البريطاني عندما اجتاحها الإيطاليون عام ١٩٤٠ . وما زالت أهم مواقع بريطانيا في تلك المنطقة تشرف منها على الملاحة في المحيط الهندي والبحرين العربي والأحمر وتطل منها على شبه جزيرة العرب من الجنوب .

وقد تلعب عدن دورها الخطير كمحطة لتكرير البترول وتصديره كما لعبته كمحطة لتموين الأسطول بالفحم ، ولا سيما إذا استخرج بترول شبوة ومدت أنابيبه إليها وما يتبعه من إقامة معامل لتكريره فيها . وستبقى أهميتها لحراسة هذه المناطق وحمايتها لبريطانيا كما كانت في الماضي

المحميات

وهي المحميات الغربية والمحميات الشرقية وتخضع كلها للحماية البريطانية بموجب معاهدات عقدتها بريطانيا مع سلاطينها وشيوخها في مناسبات عديدة منذ احتلالها لعدن واشترطت عليهم فيها أن لا يرتبط أي سلطان أو شيخ منهم بدولة أخرى دون رضاها ومن غير موافقتها

وتحيط المحميات بمستعمرة عدن في الشمال والشرق والغرب ، وتحدها في الشرق سلطنة مسقط وعمان وفي الشمال والغرب الصحراء واليمن التي بينت معاهدة صنعاء عام ١٩٣٤ الحدود بينها وبين المحميات وذلك في مدة [illegible] على أساس الوضع القائم عند توقيعها . ويقدر عدد سكانها بما لا يزيد عن ٧٠٠,٠٠٠ نسمة أو أقل أكثرهم من العرب

والمحميات قسمان : القسم الغربي ويعرف بالمحميات الغربية ومساحته ٤٢,٠٠٠ ميل مربع ويضم تسع عشرة سلطنة أهمها سلطنة لحج . والقسم الشرقي ومساحته ٧٧,٠٠٠ ميل مربع ويتكون من إحدى عشر سلطنة أهمها حضرموت التي تضم سلطنة الشحر والمكلا ثم سلطنة مهرى في قشن وسقطرة وسلطنة آل عبد الواحد وبعض السلطنات والمشيخات الأخرى ويمنح سلطانا لحج والشحر والمكلا لقب صاحب السمو ويعاملان بالتحية عند نزولهما الى عدن كما يقابل بمثلها غيرهما

من السلاطين والمشايخ مع التفاوت في درجة التبعية ، ولهما قوات عسكرية صغيرة يشرف على تدريبها ضباط من الإنجليز .

وتمثل الحكومة البريطانية في محميات [illegible] مندوبين أحدهما في المحميات الغربية والآخر في المحميات الشرقية ويخضعان مباشرة لحاكم عدن ، ولا يتدخلان في الإدارة الداخلية للمحميات إلا فيما يتعلق منها بشؤون الأمن الداخلي ، أما العلاقات الخارجية فإن بريطانيا تهيمن عليها هيمنة تامة وليس لأي سلطان من هؤلاء السلاطين أن يرتبط بدولة أخرى من غير مشورة بريطانيا أو دون وساطتها وهذا بموجب المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بينها وبينهم .

وقد تعاظمت أهمية بريطانيا بعد أن خرجت تجارة الهند من دائرة نفوذها المباشر وفقد لطرفها الملاحي أهميته الاستراتيجية القديمة ، فإن الثروة البترولية التي تكمن في صحاريها تدفع رأس المال الإنجليزي إلى التمسك بها ، فقد دلت الأبحاث الجيولوجية على وفرة البترول في أرضها وذكر الخبراء أنهم شاهدوا القطران ينبع من جوف الأرض وأن أبحاثهم دلتهم على وجود حقول واسعة من هذه المادة في منطقة شبوة وروى جون فلبي بعد رحلته عبر صحراء الربع الخالي عام ١٩٣١ أن البترول يتفجر في شبوة ، وفي عام ١٩٤٩ منحت بريطانيا امتياز البحث عن البترول في أرجائها لشركة تتفرع من شركة البترول العراقية ، والشركة الإنجليزية الإيرانية .

ولا ريب أن اهتمام بريطانيا بعدن والمحميات الآن يفوق اهتمامها بها فيما مضى ، فإنها لم تهتم بها من قبل إلا لتأمين طريق الهند فهو اهتمام غير مباشر أما الآن فإن اهتمامها بها اهتمام مباشر ينبع من ذات الأهمية الجديدة لها كمورد من أغنى موارد البترول المنتظرة في العالم .

ومازالت مشكلة الحدود بين اليمن والمحميات قائمة لم تحل ولم يصل الطرفان المتنازعان وهما بريطانيا واليمن إلى وضع [illegible]

المشكلة سبباً في إثارة بعض المنازعات من وقت لآخر بين الطرفين وآخرها ماحدث من قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما عام ١٩٤٩ ولم ينته النزاع إلا بعد مفاوضات استمرت ستة أسابيع وانتهت بصدور تصريح مشترك في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠ باستئناف العلاقات الدبلوماسية وعرض الحلول المقترحة على الحكومتين ولكن يبدو أن هناك عنصراً جديداً يوشك أن يدخل كطرف ثالث في المشكلة وهو حق الأهالي أنفسهم في تقرير مصيرهم بعد الاتصال بين العالم الخارجي وتغلغل الحضارة والتمدين الغربي في البلاد وتقدم الوعي القومي والإنساني في العالم وإن كان يتسرب ببطء إلى هذه المناطق . وسيكون لهذا كله أثره في تطور المشكلة وتصور نظم الحكم السائدة في هذه المناطق ومعالجتها [illegible] قريبة أو بعيدة .

الخليج الفارسي

يقع الخليج الفارسي على رأس طريق الجزيرة العربية إلى ساحل الفرات وهو طريق الاتصال البحري إلى الهند من العراق وصلة مدخله على الطريق البحري بين الهند والشرق الأقصى ، وكان أحد الطرق الرئيسية التي عبرتها تجارتها بين البصرة وبغداد ومصر وبين سواحل الفرات والأناضول قبل كشف طريق رأس الرجاء الصالح وكانت هرمز التي تقع على الشاطئ الشرقي لمدخل الخليج أهم مراكز التجارة في تلك المنطقة في ذلك الوقت . وقد احتلها البرتغاليون عام ١٥٠٧ ثم أخذت تفقد في أهميتها [illegible] بعد ذلك على الخليج الفارسي سيطرة تامة ، ولكن نفوذ [illegible] في الهند [illegible] الإنجليز في القرن الثامن عشر فأخذوا يبسطون سيطرتهم على نفوذ [illegible] المهمة في المناطق ويستولون على المراكز الرئيسية لطرق الاقتراب البحرية إليها ، ووجهوا أنظارهم إلى الخليج الفارسي للقضاء على القراصنة الذين يهددون تجارتهم في مياهه وموانيه ويهددون سفنهم التجارية في ذهابها وعودتها والقضاء على تجارة الرقيق الرائجة في تلك المنطقة ، ثم تطورت أغراضهم فيه بتطور السياسة الاستعمارية وأصبحت حماية الخليج والسيطرة على قواعده قاعدة أساسية من قواعد سياسة الإمبراطورية وجعلته منطقة [illegible] بالنسبة لهم [illegible] وبدأ اهتمامها

بالسيطرة على الخليج العربي وبسط نفوذها على شواطئه بعد حملة نابليون على مصر
فعقدت اتفاقا مع سلطان مسقط عام ١٧٩٩ لمحاربة النفوذ الفرنسي في بلاده والقضاء
على أية محاولة يبذلها الفرنسيون للوصول إلى الخليج ثم أخذت تمتد إلى جزائره
واحداً بعد الآخر حتى سيطرت عليه تماما حتى وقتنا هذا .

وازدادت أهمية الخليج لبريطانيا بعد أن نبع البترول على شواطئه وقريبا منه في
فارس أولا ثم بعد ذلك في البحرين والكويت . ولما نبع البترول في فارس أخذت
بريطانيا تدعم نفوذها على رأس الخليج في البصرة ولدى شيخ المحمرة وتوسع فيه
حتى تصل دائرته إلى بغداد وتنتهى باحتلال العراق في الحرب العالمية الأولى. وأصبح
الخليج منذ ذاك طريقا لنقل البترول إلى مواطن استهلاكه في أوربا الغربية
المفتقرة إليه . وأصبحت موانيه قواعداً للأسطول البريطاني الذي يتجول في أنحائه
لحراسة آبار البترول ومعامل تكريره في فارس والعراق والكويت والبحرين .

وتبلغ مساحة خليج فارس نحو ٩٧٫٠٠٠ ميل مربع وشاطئه الشرقي إيراني
يتبع إيران وسكانه من الإيرانيين وهو خالص من السيطرة الأجنبية فقد قضت
إيران في نهضتها الحديثة على كل ما كان للأجنبي من نفوذ فيه وانتزعوا منهم الجزر التي
كانوا يسيطرون عليها بجواره . أما شاطئه الغربي فسكانه من العرب ولكنه
خضع للنفوذ الإنجليزي تحت إدارة أمرائه وشيوخه المتعددين ، ماعدا ساحل الحسا
التابع للمملكة العربية السعودية ، والإمارات التي تقوم فيه من الجنوب إلى الشمال
هي سلطنة عمان ومسقط والساحل العربي ، ومشيخة قطر وساحل الحسا ومشيخة
البحرين والكويت ، وسلطنة عمان أعظمها شأنا وأهمية وتليها البحرين فالكويت
ويقدر سكان هذه الإمارات بحوالي مليونين ونصف مليون نسمة يشتغلون بالتجارة
والزراعة وصيد اللؤلؤ وأخيراً صناعة البترول واستخراجه .

عمان ومسقط :

تقع سلطنة عمان ومسقط فى نهاية الطرف الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة العربية وتمتد سواحلها إلى مسافة ألف ميل فى الجنوب الشرقى والشرق من حدود سلطنة قشن وسقطرة شرقا إلى مدخل الخليج الفارسى غربا ويمتد سهل الساحل الضيق على طولها من الشرق إلى الغرب حيث تمتد خلفه سلسلة من الجبال تصل فى ارتفاعها إلى تسعة آلاف قدم فوق سطح البحر تليها هضبة تتصل بالصحراء الواسعة فى الداخل ، وأعظم مدنها مسقط على مرتفعات حيث تجود الزراعة ولا سيما فى الجبل الأخضر وسكانها من العرب الذين يجرى فى عروقهم دماء زنجية وهندية ولا سيما فى المناطق الساحلية والمدن ويقدر عددهم بنصف مليون نسمة ، وتبلغ مساحتها ٨٢,٠٠٠ ميل مربع وأهم منتجاتها التمر والسمك المجفف .

وبدأ الاهتمام الأوروبى بعمان ومسقط بنزول البرتغاليين إلى هذه البقاع ، فاستولوا على مسقط عام ١٥٠٨ وأصبحت أهم مركز لهم فى هذه النواحى بعد خروجهم من هرمز عام ١٦٢٢ ونشاطهم فى [illegible] عدن والبحر الأحمر ، وبقى البرتغال أصحاب السيادة فى مسقط حتى [illegible] عام ١٦٥٠ ، وبدأت سلطنة عمان ومسقط عهدا جديدا من القوة والتوسع [illegible] استطاعت أن تمد رقعتها خلاله فى داخل شبه الجزيرة العربية وبسط نفوذها على ساحل شرقى إفريقيا وترث البرتغال فى مقديشو وممباسة وزنجبار وتصل إلى سواحل الهند وتستولى على البحرين وتسيطر على الخليج الفارسى [illegible] عام ١٨٣٢ [illegible] القسم ولدا السلطان [illegible] ومن سلالة الأسرة التى تحكم زنجبار فى الوقت الحاضر [illegible] ومسقط [illegible] سلالة تحكمها حتى وقتنا هذا .

وبدأت [illegible] مسقط [illegible] القرن الثامن عشر على وشك [illegible] وشركة الهند الشرقية فى [illegible] للاستعمار [illegible] الفرنسيين و الإنجليز

تأخذ دوراً حاداً وكانت جزر موريس قاعدة صالحة للفرنسيين في المحيط الهندي لتهديد المواصلات البريطانية ونابليون يتطلع إلى الهند ويقتحم طريق الشرق بحملته على مصر عام ١٧٩٨ ، ونجح الإنجليز في كسب سلطان [illegible] إلى جانبهم وأبرمت شركة الهند الشرقية اتفاقاً معه بإقامة مركز تجاري لها في بندر عباس وفي عام ١٨٠٠ عينت الحكومة البريطانية أحد وكلاء الشركة مقيماً سياسياً في مسقط ثم [illegible] مع السلطان [illegible] تجارياً عام ١٨٣٩ وآخر جمركياً عام ١٨٤٦ ، عدا اتفاقيتي تحريم تجارة الرقيق في سنة ١٨٢٢ وفي سنة ١٨٤٥ . وفي سنة ١٨٦٢ أصدرت الحكومتان البريطانية والفرنسية تصريحاً مشتركاً باحترام استقلال عمان ومسقط ، ولم يمر عامان حتى نال الإنجليز امتيازاً بمد خطوط برقية في بلاد السلطان ، [illegible] وآخر عام ١٨٦٥ ، ثم أبرمت اتفاقاً جديداً لمكافحة تجارة الرقيق عام ١٨٧٣ [illegible] حق إقامة قوة عسكرية في دار وكالتها السياسية بمسقط وفي عام ١٨٩١ أبرمت اتفاقاً تجارياً آخر أصبحت به اتفاق عام ١٨٣٩ [illegible] أن لا يتنازل عن جزء من أراضيه أو يؤجرها أو يبيعها لغير بريطانيا أو يأذن لغيرها باحتلالها ، ولم يحل دون إعلان الحماية البريطانية على سلطنة عمان ومسقط حينذاك إلا الاتفاق الإنجليزي الفرنسي عام ١٨٦٢ باحترام استقلالها ، ثم عادت في عام ١٩٠٢ فحصلت على إقرار من السلطان بعدم منح امتياز [illegible] من الرجوع إليها [illegible] على غيرها في منح الامتياز ، وظفرت بعد ذلك بثلاث سنوات [illegible] الأسلحة في الخليج لمدة خمسة عشر عاماً ، وفي عام ١٩١٣ تعهد السلطان بأن لا يبرم أمراً دون أن يستشير في ذلك المقيم البريطاني في الخليج الفارسي وأصبحت السلطنة بذلك في مركز التبعية التامة للحكومة البريطانية .

وقد شعر العمانيون [illegible] هذه القيود التي فرضها عليهم [illegible] وثاروا على سلاطينهم عام ١٩١٥ ولم يتمكن السلطان من إخماد ثورة القبائل إلا بعد الاستعانة بالقوات البريطانية التي ظلت [illegible] حتى حدث [illegible] عام ١٩٢١ [illegible] الاتفاق بين السلطان والثوار من شيوخ القبائل ورجال الدين عام ١٩٢٠ على استقلال المناطق الداخلية تحت حكم [illegible] وبقيت المناطق الساحلية

تحت حكم السلطان خاضعة للنفوذ البريطاني ولم يسمح الإنجليز في الاتفاق مع إمام نزوى أو حمله على الارتباط بهم .

وقد بدأت المنافسة حول امتيازات البترول تشتد وتعنف في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، فسارعت بريطانيا وأبرمت اتفاقا مع السلطان عام ١٩٢٣ بأن لا يقوم باستخراج البترول في أراضيه قبل استشارة الحكومة البريطانية وموافقتها وبعد ذلك بسنين منحت امتياز البحث عن البترول في مسقط وعمان إلى شركة إنجليزية متفرعة عن شركة البترول الإنجليزية الإيرانية .

وفي عام ١٩٣٩ أبرمت معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة حلت محل الاتفاق التجاري الذي أبرمته من قبل عام ١٨٩١ ، وربطت المعاهدة الجديدة سلطنة عمان ومسقط بالحكومة البريطانية برباط وثيق من التبعية والنفوذ السياسي لمدة [illegible] وخمسين عاما من تاريخ تنفيذها وإن منحت للسلطان فرض الضرائب الجمركية إلا أنها احتفظت لنفسها بكل الامتيازات التجارية والإعفاءات الجمركية التي كانت لها في الاتفاقات السابقة . وما زالت المعاهدات التي ترتبط بها السلطان بالولايات المتحدة عام ١٨٣٣ وفرنسا عام ١٨٤٤ سارية حتى اليوم .

وتنتظر عمان ومسقط ما ينتظر شبه الجزيرة العربية من مستقبل حافل بالأحداث بسبب ثروتها وما تدل عليه الأبحاث الجيولوجية من غزارة فيها .

الساحل العماني :

يطلق إسم الساحل العماني على المنطقة الممتدة جنوبا على الساحل العربي للخليج العربي من رأس مسندم عند حدوده التي تفصل بينه وبين سلطنة عمان ومسقط إلى خور العديد على حدود قطر الجنوبية مسافة ٣٦٠ ميلا يعرف جزؤه الشمالي بساحل القرصان والجنوبي بساحل عمان ويضم مشيخات دبي ورأس الخيمة وأبو ظبي والشارقة وأم [illegible]

وساحل عمان رملي مقفر قليل الموارد والسكان يشتغل أهله بصيد اللؤلؤ وهو عملهم الرئيسي ، أما ساحل [illegible] فأكثر سكانا ولكن ماءه شحيح قليل حتى أن ميناء أبو ظبي يعتمد في سقياه على الماء المجلوب اليه من دبي على مسافة ثمانين ميلا في الشرق ويشتغل الأهالي بصيد اللؤلؤ وصناعة السفن . وكانوا يشتغلون بالقرصنة حتى عام ١٨٢٠ عندما تغلبت عليهم بريطانيا فاضطرت عام ١٨٠٥ بسبب تهديدهم لسفن شركة الهند الشرقية وهجومهم على احدى مراكب الشركة وسفنها وحرقهم وأسطولها وباشروا في اتفاق ودعه شيوخهم . ثم حملت عليهم مرة أخرى عام ١٨١٩ . عندما أغاروا على البحرين واحتلوها . فهزمتهم وعقدت معهم اتفاقا حددوا في العام التالي بوقف أعمال القرصنة وتجارة الرقيق وخضعت البلاد منذ ذلك الوقت للنفوذ البريطاني . حتى إذا كان عام ١٨٦٩ نشطت بريطانيا في ربط [illegible] بعهود وحماية مع شيوخها ثم أبرمت معهم عام ١٨٩٢ اتفاقا عاما شبيها بالاتفاق مع البحرين ، تعهدوا فيه بأن لا يعقدوا عهدا مع دولة أخرى ولا يتصلوا بغيرها من الدول ولا يأذنوا لوكيل حكومة أخرى بالاقامة في أراضيهم من غير موافقتها وأن لا يتنازلوا أو يؤجروا أو يبيعوا جزءا من أراضيهم إلا لإنجلترا وحدها كما تعهدوا عام ١٩١١ بأن لا يمنحوا امتياز صيد اللؤلؤ لأي دولة أجنبية الا باستشارة المعتمد البريطاني في البحرين وفي عام ١٩٢٢ شمل الاتفاق امتياز البحث عن البترول واستخراجه

وفي شيوخ الساحل العماني يحتفظون باستقلالهم الظاهري تحت حماية بريطانيا وعهودها وقد [illegible] لواء الخلاف ما بين [illegible] بريطانيا في هذه الجهات إلا بعض الخلافات الطفيفة التي لا تتناول طابع العلاقة بين بريطانيا وهؤلاء الشيوخ

قطر .

وتقوم مشيخة قطر في شبه جزيرة قطر بين الساحل العماني والحسا وتبلغ مساحتها ٥٠٠٠ ميل مربع ويقدر سكانها بنحو ٣٠,٠٠٠ نسمة ، وسواحلها

رملية وقد تهب الساحلية قليلة الغور مليئة بالشعاب وتعتمد في سقيها على الآبار وأرضها هضبة مستوية واحة مغمورة من النبات والزرع .

ويرجع النفوذ البريطاني في قطر عندما عقدت بريطانيا أول اتفاق مع شيخها عام ١٨٢٠ عززته باتفاق آخر عام ١٨٣٥ كسبت فيه من الامتيازات ما كسبته من شيوخ الساحل العماني . ولما وقع الخلاف بين شيخ قطر وجيرانه سكان أبو ظبي عام ١٨٦٧ تدخلت بريطانيا لفض الخلاف واتفقت مع الطرفين على الرجوع إليها في أي خلاف ينشب بينهما في المستقبل واعترفت بسيادة البحرين على قطر وإن حدت من نفوذها فيها . وبعد ما وصل الأتراك إلى الأحساء عام ١٨٦٩ في عهد مدحت باشا اعترف شيخ قطر بهذه السيادة وأعلن خضوعه للسيادة العثمانية وعين قائمقاما على قطر من قبلهم ونشأت حامية تركية في الدوحة إحدى ثغور قطر تحفظ للعثمانيين وتمنع السفن . وفي الأعوام الأخيرة لم تعترف بما حدث وأنكرته حتى تنازلت تركيا عام ١٩١٣ عن كل مالها من حقوق في قطر إلى حكامها وفي عام ١٩١٦ أبرمت بريطانيا اتفاقا مع شيخ قطر تضمنه كل البنود التي جاءت في اتفاقاتها مع شيوخ الساحل العماني وسلطنة عمان وصفقة عدد من الاتفاقات الخاصة بامتياز صيد اللؤلؤ واستثمار البحث عن البترول واستخراجه .

وقد نالت بريطانيا امتياز البحث عن البترول في قطر عام ١٩٣٥ لشركة البترول الانجليزية الإيرانية وتألفت شركة بترول قطر لاستغلال الامتياز عام ١٩٣٦ وقسم رأس ماله على مساهمي شركة البترول العراقية وبعض الشركات . وبدأت أعمال الحفر عام ١٩٣٨ في حقل دكهان وعثر في يناير عام ١٩٤٠ وبلغ الإنتاج اليومي ٥٠٠٠ برميل . وفي عام ١٩٤١ كشفت بئر ثانية وبدأت أعمال الحفر في بئر ثالثة ثم تعطلت بسبب الحرب إلى أن استؤنفت عام ١٩٤٧ من جديد وبلغ الإنتاج اليومي لحقل دكهان ٤٠,٠٠٠ برميل يوميا عام ١٩٥٠ .

البحرين :

يتكون أرخبيل البحرين من مجموعة جزر تقع في الخليج الفارسي إلى الغرب من شبه جزيرة قطر وإلى الشرق من ساحل الحساء، هي البحرين والمحرق والرفاع والحد والنبيع، والأولى أهمها وأكبرها ويبلغ طولها ثلاثون ميلا وعرضها عشرة أميال تقريبا والمنامة أشهرها وأهم مدنها وقطرها، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٢٨٫٠٠٠ نسمة من العرب والإيرانيين واليهود هذا عدا من الأوربيين والأمريكيين عدد أفرادها ٥٠٠ نسمة وفي جزيرة المحرق ثاني جزيرة للبحرين في الأهمية والاتساع، وأكبر مدنها المحرق وسكانها من العرب ويبلغ عددهم ١٨٫٠٠٠ نسمة وتبلغ مساحة الأرخبيل عامة ٢١٣ ميلا مربعا وعدد سكانه ١٢٠٫٠٠٠ نسمة أغلبهم من العرب المسلمين، ثلاثة أرباعهم من طائفة الشيعة والربع من أهل السنة.

وتسيطر البحرين على الملاحة في الخليج الفارسي، وهي القاعدة الرئيسية للأسطول البريطاني في مياهه ومنها قامت الحملة البريطانية على العراق عام ١٩١٤، كما أنها مقر المعتمد البريطاني في الخليج ويقيم في المنامة عاصمة الأرخبيل، وأكبر مدن البحرين وهي مدينة على الطراز الحديث تخترقها الطرق المعبدة للسيارات والحدائق والمصحات والأندية والمدارس ومكاتب البرق والبريد، وتقع البحرين على الطريق الجوي بين أوربا والشرق الأقصى وفي المنامة مطار على أحدث نظام لاستقبال الطائرات تديره شركة الخطوط الجوية البريطانية في البحرين وتمر بها تجارة الهند والخليج وهي مركز تجارة اللؤلؤ وصيده في الخليج الفارسي.

وبدأ الاهتمام الأوربي بالبحرين منذ نزل إليها البرتغاليون عام ١٥٠٧ واحتلوها وشيدوا فيها قلعة ما زالت أطلالها باقية إلى الآن وبقي حكمهم طويلا حتى أغار عليهم العرب من فارس عام ١٦٠٢ وطردوهم منها واحتلتها دولة فارس وظلت في أيديهم حتى عام ١٧٨٣ عندما أغار عليها الشيخ أحمد آل خليفة من قبائل عتيبة

وبرغبها من صاحب ومن سيادة الفرس ولكن بقى النزاع على ملكيتها بينه وبين
آل خليفة من ناحية وسلطان مسقط من ناحية ثانية والفرس من ناحية ثالثة
وقد انتهى النزاع بتوطيد سيادتهم عليها عام ١٨١٦ . ولكن بريطانيا قد دخلت في
علاقات سياسية معها حتى ذلك الوقت وإن كانت العلاقات التجارية قد بدأت بينهما منذ
عام ١٨٠٥ . وكانت أول اتفاقية ربط بينهما عام ١٨٢٠ مع شركة الهند الشرقية
تعهد فيها شيخ البحرين بأن يمنع تجارة الرقيق ويمنع القرصنة في بلاده وأن
يعيد إلى أسرى الحرب حريتهم وأن يحافظ على السلام والأمن في الخليج الفارسي
وأبرمت بعد ذلك عدة اتفاقات فيما بين عام ١٨٤٧ وعام ١٨٩٢ جعلت لبريطانيا
حق الإشراف التام على علاقات البحرين الخارجية وإن احتفظت هي باستقلالها . وفي
عام ١٨٦١ أبرمت مع الشيخ اتفاقا تعهدت له فيه بالدفاع عن أملاكه على أن يحافظ
على السلام مع جيرانه ويمتنع عن الاعتداء عليهم بحرا أو غيره . ثم حدث نزاع
بين الشيخ وجيرانه دعا المعتمد البريطاني في بوشهر للتدخل في النزاع . وانتهى بعقد
اتفاقية عام ١٨٨٠ تعهد فيها الشيخ ومن يخلفه من بعده ألا يدخلوا في مفاوضات
أو يعقدوا اتفاقيات مع أية دولة أجنبية دون الحصول على موافقة الحكومة البريطانية
وأن لا يمنحوا أي حق لأية دولة كانت لإقامة قنصليات أو محطات لها في البحرين وأن
لا يبيعوا أي أجزاء من أراضي البحرين أو جزرها دون مشورتها أو موافقتها . وعزز هذا
الاتفاق بآخر مفصل عام ١٨٩٢ وكانت الحكومة البريطانية قد أنشأت وكالة سياسية
لها في البحرين قبل ذلك يعاونها تابع للمعتمد العام في الخليج الفارسي واتخذت
المنامة مقرا لها

وكانت الاتفاقية الأخيرة في زمن عقدها تغطي كل وجهات النظر البريطانية
في ذلك الوقت . ولكن كلما جد جديد أتبعتها باتفاقية إضافية . فعقدت في سنة
١٨٩٨ اتفاقية خاصة بتهريب الأسلحة وفي عام ١٩١٢ اتفاقية أخرى عن المواصلات
البرقية وإقامة محطة لاسلكي . وفي عام سنة ١٩١٤ اتفاقية جديدة تعهد فيها الشيخ
بأن لا يمنح امتيازا للبحث عن البترول أو استخراجه قبل الرجوع إليها فيه

ونجحت بريطانيا عام ١٩١٣ في حمل تركيا على التنازل عن حقوقها في البحرين

فقد نصت المادة الثالثة عشرة من المعاهدة المبرمة بينها على مراعاة « [illegible] الدولة [illegible] [illegible] عن سائر حقوقها في جزر البحرين مع [illegible] [illegible] ولسان الأدنى [illegible] استقلال البحرين [illegible] عليه » . ولكن [illegible] وجدها هي التي [illegible] على البحرين [illegible] فارس [illegible] [illegible] أوروبا [illegible] دون أن تطالب [illegible] حتى الآن [illegible] [illegible] بين بريطانيا [illegible] عام ١٩٢٧ [illegible] على [illegible] بالبحرين [illegible] من حق [illegible] وأشارت [illegible] اعتراف لورد كلارندون [illegible] على البحرين في مذكرة [illegible] في [illegible] الفارسية في أول عام ١٨٦٩ . [illegible] بريطانيا [illegible] [illegible] احتجاجها كل [illegible] يتعلق بالبحرين [illegible] والولايات المتحدة على [illegible] ، وذلك في سنة ١٩٣٠ وفي سنة ١٩٣٤ ، وأصبحت [illegible] البحرين [illegible] في [illegible] حتى [illegible] موضوع [illegible] رئيس الحكومة الإيرانية عام ١٩٤٦ [illegible] [illegible] في [illegible] بريطانيا [illegible] الدول الأجنبية [illegible] .

وتستغل شركة بترول البحرين [illegible] الزيت في جزر [illegible] وهو فرع من شركة كاليفورنيا ستاندرد . [illegible] عام ١٩٣ [illegible] كانت [illegible] ٥ [illegible] الشرقية العامة [illegible] منذ عام ١٩٢٥ [illegible] في [illegible] [illegible] الإيجار الجديد في [illegible] حتى [illegible] شيخ البحرين للحكومة [illegible] الامتياز من [illegible] [illegible] ، [illegible] معاونة [illegible] [illegible] وزارة [illegible] . واشترطت [illegible] الحكومة البريطانية [illegible] خاصة [illegible] الشركة وتستخدم [illegible] موظفين من [illegible] . وفي سنة ١٩٣٥ [illegible] شركة [illegible] [illegible] شركة [illegible] مناصفة بين شركتي كاليفورنيا ستاندرد و [illegible] . وقبل شيخ البحرين عام ١٩٤٠ أن [illegible] الامتياز حتى [illegible] عام ١٩٩٥ .

وتفجر النفط في البحرين عام ١٩٣٢ وبلغ متوسط الإنتاج السنوي عام ١٩٣٧–١٩٣٨ كمية مليون برميل ولكنه أخذ في الهبوط خلال سني الحرب ثم أخذ في الارتفاع بعدها حتى بلغ ١٠٫٩٨٥٫٤٨٤ برميلا عام ١٩٤٩ . وتم إنشاء معمل للتكرير عام ١٩٣٦ تبلغ طاقته السنوية في الوقت الحاضر ٥٫٢٠٠٫٠٠٠ طن ويصدر إليه ثلاثة أخماس هذا المقدار من الظهران عن طريق أنابيب تمتد تحت البحر إلى البحرين وتأتى البحرين في مؤخرة البلاد المنتجة للبترول في الشرق الأوسط

وقد تعرضت البحرين خلال الحرب الأخيرة لغارات سلاح الجو الإيطالي وقاست من نقص الموارد الغذائية وارتفاع الأســـعار ما قاسته بلدان الشرق الأوسط وكانت محنتها أشد وأقسى لاعتمادها على الموارد الخارجية التي تأثرت بظروف الحرب .

الكويت :

تقع الكويت على الشاطئ الغربي من رأس الخليج الفارسي بين العراق في الشمال والمملكة العربية السعودية في الجنوب ويفصلها عن الحسا منطقة من الأرض المحايدة وتبلغ مساحة الكويت ٠ر٢٠٠ ميل مربع من الأرض الصحراوية ذات الكلأ الذي ترعاه الإبل ويقدر عدد سكانها بما لا يقل عن نصف مليون نسمة تقطن العاصمة وحدها منهم ٧٠٫٠٠٠ نسمة

واسترعت الكويت عنايتهم قريبا من رأس خليج فارس المهمين إحياء طريق الجزيرة للمواصلات البرية فكانت تعتبر دائما النهاية الطبيعية للخطوط الحديدية التي يمكن أن تمتد عبر هذه المنطقة وقد ذكر فيها شرلي أحد الضباط الإنجليز عند ما تقدم بمشروع خط حديد الفرات كنهاية له . وبدأ الاهتمام بالكويت يأخذ مظهراً عملياً من التنافس الدولي عندما دخلت في مشروعات السياسة الألمانية نحو الشرق وتطلع إليها الألمان كنهاية لخط حديد بغداد . مما دعا الإنجليز إلى التدخل وبسط حمايتهم على الكويت عام ١٨٩٩ حتى لا تفتحها الألمان رغبة في مد خط حديد بغداد إليها فعقدوا مع أميرها اتفاقا شبيها باتفاقهم مع شيخ البحرين ولم يعترف الترك بهذا

الاتفاق ولكن سمحت عام ١٩١٣ بإشراف بريطانيا على امتداد الخط الحديدي إلى حدود البصرة ، كما تركت عن سيادتها على الكويت وتعهدت بأن لا تعين أحداً من قبلها للنزول في العراق أو تحصل رسوماً من جزيرة [illegible] ثم عينت بريطانيا معتمداً سياسياً لها في الكويت عام ١٩٠٤ ، وأبرمت عدة اتفاقات معها أولاها عام ١٩٠٠ خاصة بتجارة الأسلحة وثانيها عام ١٩١١ خاصة بمغاصات صيد الإسفنج واللؤلؤ وثالثة عام ١٩١٣ خاصة بامتيازات البترول ، لا تخرج كلها عن الأهداف الرئيسية لاتفاقها مع البحرين وإمارات الخليج العربي الأخرى .

وقد تعرضت الكويت [illegible] والأتراك من حائل خلال الحرب العالمية الأولى كما تعرضت [illegible] السعوديين مرتين بعد الحرب الأولى عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٧ ولكن حماية بريطانيا لها صانتها من الغزو في كل مرة .

وظلت الكويت تعتمد في ثروتها القومية على صناعة السفن وتجارة المرور وحق بيع [illegible] ، وتقوم شركة بترول الكويت باستغلال بترولها وقد نالت امتيازها في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٣ لمدة ٧٥ سنة تنتهي عام ٢٠١١ ، وملك أسهمها مناصفة شركة البترول الانجليزية الإيرانية وشركة أبحاث الخليج الأمريكية ، وبدأت عمليات الحفر في ثلاث مناطق : بحرة ، ومداريا ، والبرقان ، وتركزت في المنطقة الأخيرة بعد أن بلغ عدد الآبار المستغلة فيها [illegible] بترولها عام ١٩٤٨ ووصل في نهاية العام التالي إلى [illegible] متوسط إنتاجها [illegible] في اليوم ٢٤٢٫٠٠٠ برميل ، وارتفع عدد الآبار عام ١٩٥٠ إلى ستة وتسعين بئراً بلغ متوسط إنتاجها اليومي خلال شهر [illegible] ٣٥٨٫٠٠٠ برميل وبلغ الاحتياطي عشرة ملايين برميل وهو أعظم احتياطي لأى حقل بترول في العالم .

وتعد الكويت سادس إقليم ينتج البترول في [illegible] منطقة [illegible] من مناطق إنتاجه في الشرق الأوسط ويقدر لإنتاجها اطراداً في الزيادة مع استغلال [illegible] الآبار [illegible] وتحصل [illegible] عن كل طن [illegible] ثلاث روبيات ونصف ، ولاريب أن هذا المورد الجديد لا تقاس إليه مواردها القديمة من غيره وهي التي كانت تعتمد عليها قبل ذلك وأهمها صيد اللؤلؤ .

تركيا

في عهدها الجديد

أخذت تركيا تستقبل حياتها الجديدة ، في حدود الوطن التركي الأصلي الذي احتفظت به بعد تماسكها في معاهدة لوزان ، وسعت في هذه الحياة الجديدة أخذاً قويا خالصا مقداره الشعب التركي والوطن الذي يلمه بعيداً عن أثقال الدولة العثمانية وقيودها التي حملتها زهاء خمسة قرون من الزمان تناوبتها فيها أوقات من الرخاء وأوقات من الشدة ومرت بها فترات من القسوة وفترات من الضعف لم تلن لها فيها قناة ولم يلن لها عزم وبقيت في أوقات رخائها وشدتها وقوتها وضعفها متماسكة الجوانب قائمة البنيان بالرغم من عوامل الانحلال التي سرت إليها وأخذت تنخر في عظامها حتى لقبت بالرجل المريض . ولما لفظ الرجل المريض آخر أنفاسه وتهيأ الناس لتشييعه إلى قبره إذا به قد خلف ولداً عبقرياً نشأ في شعاب الأناضول ووهاده حتى غدا مارداً جباراً نفض عنه الزائفة ليبقى على الدار أو نموه ولا يتطلع إلى الحدود الممتدة التي تفنى فيها قوته كما بددت طاقته من قبل ، وتوجهها بعضها لقوتها ويستوي موقفه على طريق الغرب ونظمه وعاداته ومظاهره إلى الشرق وعاداته وتقاليده وقيوده فألغى الخلافة والسلطنة وأعلن الجمهورية وأصدر قراره عام ١٩٢٨ بأن تكون الدولة مدنية علمانية وكان الإسلام دينها الرسمي وقضى على الطرق الصوفية والتكايا وأقفل المدارس والمعاهد الدينية وفرض القبعة بدل الطربوش والزي الغربي بدل الزي الشرقي وحرر النساء من رق البيت والحجاب فأصبحن شريكات الرجال ومهد لوصول إلى حياته وكتب بالحروف اللاتينية بدل العربية ووكل إلى المدارس مهمة تعليم الصغار ومن الناس كيف يكتبون بالحروف الجديدة ، وأخذ ينقي اللغة التركية من مفرداتها الدخيلة عربية كانت أو فارسية حتى تبدلت الأسماء نفسها فأبدل اسمه باسم كمال أتاتورك كما أبدل رجال دولته أسماءهم بأسماء تركية ودعا مواطنيه إلى السير على غراره ، وعمل بحيث كل ما يربط تركيا بماضيها .

وأخذ الناس في الشرق الإسلامي ينظرون إلى هذا البعث الجديد في تركيا [illegible] نظرة العطف والإشفاق [illegible] من الإنكار [illegible] ، فقد كانت الآثار العميقة التي خلفتها الصلات القوية [illegible] بدولة الخلافة [illegible] روح القومية [illegible] يقظة الوعي القومي في بلاد الإسلام . ولكن [illegible] لا تقوى على شيء ، ولا تبعث [illegible] الحديثة [illegible] وراء كل شيء تدفعه دفعا نحو الغاية التي قصدها والهدف الذي [illegible] الأحزاب [illegible] وإصراره [illegible] عام ١٩٢٦ ، و [illegible]

ولم يكن [illegible] إلى العرب [illegible] على [illegible] عن [illegible] بين الأتراك [illegible] على [illegible] في حدود [illegible] وزعمهم القومية الجديدة [illegible] العصر وتطور [illegible] الأتراك الإسلام وتأثروا بالروح الإسلامية والتفكير الإسلامي [illegible] العرب والمسلمين فلما كفروا [illegible] في خدمة الإسلام [illegible] الإسلامية [illegible] يكون لهم قومية [illegible] في حدود وطن لا [illegible] تقاليدهم من جديد [illegible] تقاليد العرب [illegible] منها تقاليدهم وعاداتهم ومثلهم الجديدة

وكانت [illegible] التي [illegible] ثورة الكماليين وحرب الاستقلال [illegible] شتى في [illegible] الوطن [illegible]

الطورانية ولا ينكرها ولكنه يغلو أشد الغلو في اتجاهه نحو الغرب وانكار ميراثه العقلي والفكري من الشرق، كما كانت سنوات عمل متواصل لإنشاء الوطن الجديد وإصلاح حاله لعدم موافقة القوانين القديمة والأنظمة العامة المقتبسة من قوانين الغرب ونظمه. وأصلحت الإدارات الحكومية واتسعت المدارس للتعليم العالي والعام بكثرة ملحوظة، وعمم التعليم الابتدائي إلى أقصى حد ممكن وأنشئت جامعتان إحداهما في استانبول والأخرى في أنقرة ومنحت المرأة حق التصويت والانتخاب ولم تأل الحكومة جهداً في تشجيع الرياضة والفنون والآداب ورعاية الشئون الصحية والاقتصادية والزراعية والصناعية للوصول بتركيا إلى مستوى الأمم الناهضة المتقدمة.

وحكمت تركيا خلال هذه السنوات حكماً ديمقراطيا بكل مظاهره ونصوصه فالدستور التركي يسوي بين الأفراد مساواة تامة ويصون الحقوق ويرعى حرية الفكر والرأي ولكن الحكم خضع عاملاً لسيطرة حزب واحد، ولم يكن هذا عن كفر بالنظام الديمقراطي فقد كان الكيان العام للحزب يقوم على أسس ديمقراطية صحيحة سليمة، ولكن خوف أتاتورك من المعارضة التي يمكن أن تعرقل مشروعاته الإصلاحية ومن تسخير الحرية في الشعوب التي لم تنضج وعيها السياسي بعد، هو الذي دعا إلى الأخذ بهذا النظام. أنشأ حزب الشعب الجمهوري عام ١٩٢٤ ودان له بالولاء التام وله تشكيلاته الحزبية منتشرة في كل ناحية من أنحاء تركيا، ونظمه الصارمة الدقيقة التي تجعله يقضي على كل معارضة لاتجاهات الحكم، وكانت له هيئة برلمانية تناقش السياسة العامة خارج جدران المجلس سراً وعلنا وكانت من القوة بحيث يمكنها أن تسحب الثقة من الوزراء وتحملهم على الاستقالة وكان على الحزب بحكم وضعه الرئيسي أن يرشد ويوجه ويسيطر على الحياة السياسية في البلاد لتجعله كأنها كتلة واحدة متسقة. وظل الحزب يسيطر على في جلسات المجلس الوطني ويوجهه بواسطة أعضاء الحزب لأنه كان منه أعضاء المجلس البالغ عددهم أربعمائة وهم يخضعون لقراراته خضوعاً تاماً، وكان عليه أيضاً

أن يرعى النهضة الاجتماعية فأنشأ بيوت الشعب في كل أنحاء البلاد تخضع لنظام دقيق وزاول فيها الشباب من الجنسين نشاطهم الرياضي والثقافي والاجتماعي والسياسي فكان كل بيت من بيوت الشعب خلية سياسية تسيطر على رغبات الجماهير واتجاهاتهم وتتحكم فيها تماماً ، وقد أراد كمال أتاتورك أن يجرب إنشاء المعارضة البرلمانية فأنشأ حزبا معارضاً عام ١٩٣٠ ، ولكن فشل التجربة صرفه عنه ، فقد قام المعارضون المعارضة بأسلوبهم [illegible] دون [illegible]

ويجتمع المجلس الوطني دورته العادية في أول نوفمبر من كل عام مدة ستة شهور ، يمارس فيها سلطاته التشريعية كاملة ، ويشرف على السلطة التنفيذية التي تتركز في يد رئيس الجمهورية وفي مجلس وزرائه ، والوزراء مسئولون أمامه ، ويتمتع أعضاؤه بالحصانة البرلمانية ، ولا يخضعون لإجراءات التفتيش والقبض إلا بعد استئذان المجلس

وفي حدود الوطن التركي والقومية التركية الجديدة قاد أتاتورك سياسة تركيا الخارجية بنفس القوة والعزم اللذين قاد بهما سياستها الداخلية وكانت عقيدته أن ينأى ببلاده عن مشاكل السياسة الخارجية وأن تقوم علاقاتها الدولية على أساس من الود والصداقة والحياد الذي يصون مصالح البلاد ويرعى حقوقها ، وظهرت [illegible] هذه السياسة جلية في معاهدة [illegible] سيادتها على ولاياتها [illegible] وكانت من المرونة بحيث قبلت الاستفتاء مع الحلفاء بشأن البواغيز وإن أغضب موقفها هذا الصديقة الجديدة روسيا وهي التي ساعدتها ووقفت إلى جانبها في حرب الاستقلال ، ثم كانت [illegible] معاهدة [illegible] في [illegible] من شأنها [illegible] السلام والمعروف [illegible] معاهدة لوزان فأرست معها عام ١٩٢٥ معاهدة صداقة وحياد مشروط بالود [illegible] أحدهما لهجوم خارجي وجددتها عام ١٩٢٩ بالرغم من مقاومة صريحة التي أبداها أتاتورك للشيوعية .

وكانت هذه الفترة في حقيقتها فترة ركود نسبي في السياسة العامة فقدت فيها الدول المغلوبة أمل [illegible] ، وشعرت الدول الغالبة بالمحافظة على السلام الذي ضمنت خطوطه التسوية في فرساي . حتى إذا بدأت روح الأثرة تدور في الطامعين الذين شعروا بالظلم من غبن في معاهدة الصلح كألمانيا وإيطاليا ، وأخذت الدول المغلوبة كألمانيا [illegible] للثأر [illegible] نحو السياسة العملية ، وكشفت روح الشر عن [illegible] الكامنة في [illegible] الشعوب [illegible] ، فاجتاحت اليابان منشوريا عام ١٩٣١ ، وخرجت اليابان من عصبة الأمم عام ١٩٣٣ ، ثم خرقت [illegible] نصوص معاهدتي لوكارنو وفرساي ، [illegible] الحبشة وتكشفت عن مطامعها في البحر الأبيض المتوسط ، فبدا للعيان أن مواثيق السلام ومبادئ عصبة الأمم لا تعدو إلا [illegible] [illegible] متهافتة . وأخذت تركيا [illegible] في حدودها الضيقة ، التي تصون حقوقها وترعى مصالحها ، وكان [illegible] الأمن الذي [illegible] على تركيا [illegible] خارجي . وكانت [illegible] من [illegible] فاحتلت جزيرة كورفو التابعة لليونان عام ١٩٢٣ [illegible] عصبة الأمم [illegible] ، ثم [illegible] مع ألمانيا عام ١٩٣٦ ونالت فيها كثيراً من الامتيازات [illegible] تكون دول [illegible] وكانت اليونان أول من شعرت بالخطر الذي يهددها ، فاستمالت تركيا في [illegible] للدول [illegible] عام ١٩٣٠ ، أعقبتها بدعوة دول البلقان إلى الاتحاد لدفع الخطر الذي يهددها سويا .

وكان [illegible] عام ١٩٢٩ [illegible] ومؤتمرها وعقد أول مؤتمر لها في أثينا في نفس العام ، [illegible] في [illegible] في العام التالي ، ووقعت تركيا واليونان في سبتمبر عام ١٩٣٣ ميثاق عدم اعتداء مدته عشر سنوات ، وفي فبراير عام ١٩٣٤ عقد ميثاق البلقان بين تركيا واليونان ورومانيا ويوغسلافيا ، ورفضت بلغاريا [illegible] في [illegible]

رغبتها في إعادة تعديل حدودها التي قيدتها بها معاهدة نويللي ولكنها عادت وارتبطت مع دول البلقان بمعاهدة صداقة مهدت فيها الطريق للتفاهم الودي وعدم الالتجاء إلى القوة فيما ينشب بينها من خلاف ، وفي مقابل هذا قبلت دول الميثاق إلغاء قيود معاهدة نويللي الخاصة بنزع سلاح بلغاريا وما نصت عليه معاهدة لوزان خاصاً بالمنطقة المجردة من السلاح في أرض الحدود لحدود تراقيا ، ولم تشترك ألبانيا في توقيع الميثاق لارتباطها بمعاهدة تيرانا مع إيطاليا .

ولما أن تثبت تركيا من تأمين حدودها الغربية حتى أخذت تتجه إلى الشرق وقامت بتقريب وجهات النظر بين تركيا وإيران والعراق وأفغانستان ، وكانت جهودها بالنجاح فتم عقد ميثاق سعد آباد في يوليه عام ١٩٣٧ بين تركيا وإيران والعراق وأفغانستان على نفس الأسس التي تم عليها عقد ميثاق البلقان ونص الميثاق على عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الموقعة على الميثاق ورعاية حدودها المشتركة والتشاور فيما يتعلق بشئون الدولة أو مصالحها المشتركة وعدم الاعتداء أو الاشتراك في اعتداء مع دولة ضد إحداها وتحريم أنظمة تحاك وتكوين عصابات في كل منها ، وحسم الخلافات التي تنشب بينها بوسائل سلمية وحددت مدة الميثاق بخمس سنوات تجدد ولا يجوز لأي دولة أن تنسحب منه أو من أحد نصوصه إلا إذا أخطرت شركاءها بذلك قبل ستة أشهر ، على أن تبقى أحكام الميثاق سارية على الباقين

ورأت تركيا في التوتر الدولي الذي سبق الحرب العالمية الثانية فرصة لاستعادة سيادتها على المضايق ، وكانت قد أصبحت عضواً في عصبة الأمم في يوليه عام ١٩٣٢ وأحدث التسلح في الغرب وتهديدات إيطاليا بظهور أطماع لأطماعها التوسعية في البحر الأبيض المتوسط ، وكانت تركيا في شعور بالخطر الجديد فصممت رغبتها في تعديل نصوص معاهدة لوزان بشأن المضايق وعقد مؤتمر مونترو من الدول الموقعة على المعاهدة وقرر في يوليه عام ١٩٣٦ إلغاء الرقابة الدولية على المضايق ، وحق تركيا في تحصينها وغلقها في السلم والحرب ، وحق دول البحر الأسود في مرور أساطيلها إذا اشتركت في حرب على أن يكون لتركيا إذا أرادت حق المنع .

وأخذ اتصال تركيا بدول الغرب ينمو بزيادة النفوذ الألماني ووضوح سياسة المحور، فعقدت قرضاً من بريطانيا عام ١٩٣٨ أعقبه قرض آخر من الولايات المتحدة، ثم أبرمت في العام التالي معاهدة تبادل المعونة مع بريطانيا تتعهد فيها بريطانيا بمساعدة تركيا إذا تعرضت للعدوان على أن تقوم تركيا بمساعدتها إذا هوجمت في البحر الأبيض المتوسط، ومن المحتوم مصالح تركيا فيه.

وفي نفس العام أبرمت معاهدة مع فرنسا ظفرت فيها بلواء الإسكندرونة من سوريا، ولم تنس ألمانيا من احتمال ميل تركيا إلى صفها وانتزاعها من بين أحضان الغرب، فبعثت في أبريل عام ١٩٣٩ برجل من خيرة دبلوماسييها هو فون باب سفيراً لها في أنقرة لتحقيق هذه الغاية.

ولكن تركيا وقد نشبت الحرب بعد ذلك بشهور قلائل، أعلنت حيادها واحتفظت به كاملاً بين المتحاربين، فلم تقف موقف الدولة المترددة في السنوات الأولى للحرب فحسب، بل أبرمت في يونيه عام ١٩٤١ ميثاق صداقة مع ألمانيا لمدة عشر سنوات، ولكنها حرصت على [illegible] المعونة المالية محتفظة بحيادها ولم تعلن الحرب على ألمانيا إلا في فبراير عام ١٩٤٥ بعد أن تبين الحلفاء أنه لن يدعى إلى مؤتمر الأمم المتحدة في سان فرنسسكو إلا الدول التي أعلنت الحرب على المحور.

وليس هناك دولة في العالم تحتل موقعاً هاماً بين الشرق والغرب كما تحتله تركيا التي تقوم بحدودها الحديثة في الأناضول وتراقيا الشرقية من البحر الأسود شمالاً والبحر الأبيض المتوسط جنوباً وتتصل حدودها الشرقية والشمالية الشرقية بحدود سوريا والعراق وإيران والاتحاد السوفيتي وتفصل بحر مرمرة والبوغازان بين تراقيا الشرقية والأناضول وتجاور بلغاريا واليونان، وتبلغ مساحتها بقسميها الآسيوي والأوربي ٢٩٦،٢٩٧ ميلاً مربعاً ويحصى عدد سكانها عام ١٩٤٥ نحواً ١٨،٨٦٠،٢٢٢ نسمة. وهي بذلك تحتل أهم مركز لصراع القوى الكبرى في العالم كما يقول علماء الجيوبوليتكس فهي الجسر الاستراتيجي [illegible] الذي [illegible] الأرض [illegible] عند أقصر طريق للاتصال والنفوذ [illegible] على بوغازي [illegible]

والدردنيل أهم طرق مائى وتقصره إلى أوربا ، [illegible] الواسعة وجعل تركيا
هدفا للون من الصراع بين القوى الاستعمارية الكبرى للسيطرة عليه وعظم هذا
الحاجز الذى يقف دون بعضها والخروج إلى مناطق الاستغلال والنفوذ ويحمى بعضها
الآخر من اقتحام القوى الأولى عندما [illegible] مستعمراتها واستغلالها ومنع [illegible]
وجعلها الوجهة . وكان تاريخ المسألة الشرقية يدور حول هذا الصراع الاستعمارى الذى [illegible]
صورة جديدة فى الوقت الحاضر

وقد حبتها الطبيعة منعة لم تتأت لغيرها من الأقاليم التى تحيط [illegible] الأرض
وعوضها عن موقعها الاستراتيجى بين شقى الصراع العالمى ، فهى [illegible] من
الوعارة [illegible] وتستطيع أن تتحكم فى الدخول إليها أو الخروج منها [illegible]
[illegible] ولا تصلح سواحلها [illegible] على البحر الأسود لإنزال [illegible] قواتها [illegible]
مفتوحة غير مأمونة والساحل ضيق وخلفه سلسلة جبال بنطس حائلا بينها وبين
الوصول إلى الهضبة فى الداخل والهضبة وعرة المسالك تخترقها عدة جبال مرتفعة
متصلة [illegible] التى تصلح للعبور من الشمال إلى الجنوب وطريق الاقتراب الوحيد خلالها
يقع عبر وادى سقاريا وقزل أرمق وهما غير صالحين لمرور قوات كبيرة ، وسهل
أزمير فى غرب الهضبة أصلح مكان لعمليات حربية واسعة وهو طريق الاقتراب
الطبيعى من الغرب إلى الشرق ووادا أطنة وأصاليا هما طريقا الاقتراب إلى داخل
الأناضول من الشرق والجنوب الشرقى وخلف جبال طوروس على الساحل الجنوبى
للأناضول حائلا بينه وبين الهضبة فى الداخل وشمال الأناضول [illegible]
لا تصلح للملاحة [illegible] الطبيعى على حدودها [illegible] حتى
تشرق [illegible] وهو [illegible] أرمق [illegible] أكثر من نصف
[illegible] ، ولهذا كانت تركيا [illegible] أو غيرها ولا
[illegible] من الشرق والغرب
[illegible]
[illegible] البحر الأبيض المتوسط
[illegible]

صوب شاطئ العرب إلى قناة السويس وتدور بذلك حول الخليج الأيمن لها من ناحية الشرق ولا يبقى أمامه سوى السيطرة على جزيرتى قبرص وكريت لأن عملها على الخضوع ولشدة ... ولهذا تهتم الحكومة الأمريكية اهتماما بالغا بمد تركيا وتعضيدها المقدور لأول للدفاع عن الولايات المتحدة كما جاء فى تصريح روزفلت فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ وقد أثبتت هذه الحرب الأخيرة بوضوح وعدها بادل واتحاد الحربى لتكون على تمام الأهبة للدفاع عن أراضيها ضد الغزو المفاجئ الذى يمكن أن تقوم به روسيا عليها فى أى وقت تشاء .

إيران

تحت حكم رضا خان بهلوى

ظلت إيران تعرف باسمها القديم فارس حتى مارس عام ١٩٣٥ عندما أطلق عليها الاسم الجديد رسميا فأصبحت تعرف به .

وقد بدأت شهرة الجندى رضا خان بهلوى لدى قيامه بانقلاب فى إيران فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٦ بسياسة وطنية مبنية على القوة واستقلال البلاد والقضاء على كل أثر للنفوذ الأجنبى فيها ، وألغى الامتيازات الأجنبية ووضع القوانين الجديدة مستمدة من القانون الفرنسى حتى يبدد ما وقع على رعاياها ولا يفر الأجانب من أحكامها . وأنشأ البنك الوطنى لإيران وحرم على الأجانب تملك الأراضى الزراعية وأحكم الرقابة على التجارة الخارجية والداخلية وعمل على تحرير الاقتصاد القومى وإنشاء الأبنية من سطوة الشركات الأجنبية وبذلك منع استغلال الأموال الأجنبية فى بلاده وعنى بتقوية الجيش والأسطول وأنشأ لإيران أسطول بحرى يحرس شواطئها على الخليج الفارسى وبحر قزوين ومد المواصلات الحديدية فمد الطرق ومد خطا حديديا ربط بين الخليج الفارسى وبحر قزوين وكان حريصا على أن يكون اتساعه مغايرا لاتساع خطوط الحديد فى روسيا ومن أهدافه الكبيرة تصنيع البلاد فأسس مصانع الغزل والنسيج والسكر والصابون والكيماوية والمعدنية ولم يترك بابا من أبواب

النفوس وتتقدم دون أن تحدها حدود العلم والثقافة والفنون الجميلة التي شهرت بها إيران في تاريخها الطويل .

وكانت سياسة الشاه الداخلية [illegible] تكون في حدود [illegible] نهضة [illegible] تركيا ، ولا يختلف الرجلان إلا في أن الشاه حافظ في إصلاحاته على الطابع الإسلامي [illegible] البلاد ومذهبها الديني ، بينما فصل أتاتورك تماما بين الدين والدولة وقضى على الطرق الصوفية وحطم كل نفوذ لرجال الدين وحرر الأتراك من [illegible] .

وسار الشاه في سياسته الخارجية على تقوية علاقاته بجيرانه فأبرم معاهدات ودية مع روسيا وتركيا والعراق وأفغانستان بعد أن سوى مشاكل الحدود معها [illegible] وقام بزيارة تركيا في يونيه عام ١٩٣٤ [illegible] روابط وثيقة من الصداقة والمودة . كما كانت زيارة فيصل ملك العراق لطهران في ٢٦ أبريل سنة ١٩٣٢ [illegible] مودة [illegible] بين العراق وإيران وكان لهذه العلاقات الودية أثرها القوي في إبرام ميثاق سعد آباد سنة ١٩٣٧ .

وحافظ الشاه في علاقاته بالدول الكبرى على أن تحد من نفوذها في بلاده فقامت علاقاته بروسيا على أساس معاهدة عام ١٩٢١ وكانت روسيا قد تنازلت عن [illegible] القيصرية [illegible] حدودها [illegible] وجرت علاقة الدولتين ودية لا تربطهما غير المصالح الاقتصادية كامتياز صيد السمك الذي تستغله روسيا في الشاطىء الإيراني لبحر قزوين . ولم تنس بريطانيا نفوذها القديم في [illegible] في شئونها أو كسب امتيازات جديدة فيها . وكان الشاه [illegible] كثير الحذر منها ومن الدول التي [illegible] مطامع ، فاتجه إلى الدول التي لا يخشى خطرها كالولايات المتحدة [illegible] مالي أمريكي [illegible] لإصلاح مالية البلاد [illegible] على [illegible] مشكورة [illegible] بين [illegible] الأغنياء والفقراء [illegible]

إيرادات الحكومة ومصروفاتها واستغنى عن كثير من الموظفين الزائدين على حاجة العمل ، وبدا التحسن واضحاً في مالية البلاد . ولكن صلابة الرجل في تطبيق رأيه وتنفيذ مشروعاته دون أن يربط بينها وبين سياسة الدولة العامة حمل الحكومة الإيرانية على الاستغناء عنه وعن معاونيه . واتجه الشاه بعده إلى الاستعانة بالخبراء الألمان واستخدمهم في مختلف شئون البلاد ابتداءً من عام ١٩٢٨ كما استخدم المهندسين من السويد والدنمارك في الخط الحديدي الكبير بين قزوين والخليج الفارسي ومنح شركة يونكرز الألمانية للطيران عام ١٩٢٧ امتياز مرور أربعة خطوط جوية بالبلاد الأول من طهران وهمدان وكرمنشاه وقصر شيرين إلى بغداد والقاهرة ، والثاني من طهران وأصفهان وشيراز وبوشهر إلى كراتشي وبومبي ، والثالث من طهران ومشهد إلى هرات وكابل والرابع من طهران ورشت إلى باكو واستمرت الشركة في عملها حتى عام ١٩٣٢ كما عقد اتفاقاً مع شركة الخطوط الجوية الإمبراطورية البريطانية عام ١٩٢٨ لتسيير خطوطها الجوية إلى الهند عبر سواحل الخليج الفارسي .

ولم يكن حذر الشاه من بريطانيا بعيداً عن أسباب ظهور بوادر الخلاف بين شركة البترول الإنجليزية الإيرانية والحكومة الإيرانية حتى تدخلت الحكومة البريطانية في الأمر دفاعاً عن الشركة ، فقد كان بترول إيران أهم موارد بريطانيا البترولية ، وبه أهم مصادر الإنتاج في إيران وقوام صادراتها ولكن تحرّت الشركة من الوجهة المادية وسلطاتها الواضحة في حساباتها بقصد حرمان الحكومة الإيرانية من نصيبها في الأرباح وأثر ذلك في مالية الدولة التي تدخل أرباحها من الشركة في ميزانيتها العامة ووضوح شروط الامتياز . كل هذا حمل الحكومة الإيرانية على مطالبة الشركة بتعديل شروط الامتياز لصالح إيران ، وحدث هذا عندما هبط نصيب الحكومة من أرباح الشركة إلى النصف ، واتهام الحكومة الإيرانية للشركة بتقييد الإنتاج لصالحها مما يعود بالضرر على الدولة ، واعتذرت الشركة بالأزمة العالمية ، وهبوط أسعار البترول عن عدم الإنتاج ، ودارت المفاوضات عام ١٩٢٨ دون أن تنتهي إلى نتيجة حاسمة لعدم قبول الشركة تعديل شروط الامتياز ، واستؤنفت المفاوضات عام ١٩٣١ ودارت هذه المرة حول الطريقة التي تتم بها حساب أرباح الشركة ونصيب الحكومة منها ، وانتهت المفاوضات بالوصول إلى اتفاق قبله الطرفان في مايو عام

١٩٣٢ ، ولكن تقدير حصة الحكومة في الأرباح جاء مخيبا لأمل إيران فقد انخفضت عما كانت عليه قبلا .

ولما يئست الحكومة [illegible] الأخيرة [illegible] في الوصول إلى اتفاق معقول ، وأخطرت الشركة بذلك في نوفمبر من نفس العام ، وجاء في الإنذار ما يفيد استعداد الحكومة لمنح امتياز جديد يكفل رعاية مصالح الإيرانية ، وأنكرت الشركة [illegible] كان من الحكومة الإيرانية إلا أن أعلنت تمسكها به وإصرارها عليه .

ولما لجأت الحكومة البريطانية [illegible] وأرسلت في ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٢ مذكرة شديدة اللهجة [illegible] الإنذار خرقا للمعاهدات الدولية وهو أمر لا تقره ولا ترضاه ، وطالبتها بسحب الإنذار وإلا أصبحت في حل من إتخاذ الإجراءات المشروعة لحماية مصالح الشركة [illegible] ورفضت الحكومة الإيرانية المذكرة [illegible] الحكومة [illegible] الأمر إلى محكمة العدل الدولية ، واستنكرت إيران اختصاص محكمة العدل بنظر النزاع وأحيل الموضوع إلى عصبة الأمم ، وكانت قد أصبحت عضوا من أعضائها منذ عام ١٩٣٠ [illegible] قرار العصبة [illegible] في ٣٠ مارس سنة ١٩٣٣ وأقره المجلس الإيراني وصادق عليه [illegible] من نفس العام .

وقد حصل الاتفاق الجديد [illegible] فأصبح من حق الحكومة الإيرانية أن [illegible] في [illegible] وألغى حق الشركة في احتكار مد أنابيب [illegible] كما [illegible] الشركة من [illegible] على [illegible] منطقة [illegible] في عمليات استخراج البترول [illegible] وفرض الاتفاق للحكومة الإيرانية [illegible] على كل طن يبيعه الشركة سواء للاستهلاك [illegible] أو خارجها على أن لا تقل حصة الحكومة عن ٧٥٠٠٠٠ جنيه في السنة خلاف [illegible] في [illegible] أرباح الشركة [illegible] ٢٠ [illegible] كما حدد الاتفاق [illegible] الشركة [illegible] كانت [illegible] .

في تنوب لاهو في شروط استخدام العمال الفنيين وغير الفنيين وسعر الاستهلاك المحلي
للبترول ومدفوعات السنين الماضية وكانت كلها لصالح إيران . إلا أن الشركة
كسبت مقابل هذا كله بقاء وارداتها من رسوم الحركة وصادراتها البترولية من
الضرائب وحقها في الاحتفاظ بما تحت يدها من عملات أجنبية وبهذا انتهى النزاع
بين شركة البترول الانجليزية الإيرانية وحكومة إيران ليشب مرة أخرى أشد
ما يكون عنفا بعد الحرب العالمية الثانية .

وتحتل إيران حيزاً هاماً من حيز الصراع الدولي بين القوى الكبرى فهي المنطقة
الوسطى بين روسيا والغرب أي بين العالم المختلفة وتقع على أهم طرق الاقتراب
الرئيسية لبريطانيا إلى الهند والشرق الأقصى ولذلك فقد ظل النزاع محتدماً طوال
القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بين روسيا وبريطانيا على امتلاكها والنفوذ إليها
حتى اتفقتا عليه عام ١٩٠٧ . ويمكن القول أن إيران كمنطقة نفوذ دولي أصبحت في العالم
قد ... عنصراً هاماً في سياسة ... حين تشتد الصراع الدولي بين الكتلتين الشيوعية
والرأسمالية فهي تحتل مركزاً من قلب الأرض التي تسيطر وتشرف على معظم جزيرة العالم الكبرى
المعروفة في الاستراتيجية الروسية للسيطرة على العالم وبسيطرتها على منطقة الشرق الأوسط .
والخليج ... إيران منطقة عن صراع القوى الكبرى عندما كانت روسيا محتفظة بها
في فترة ما بين الحربين ... على سياستها الدولية ...
... أصبحت إيران تحتل أهمية خاصة في الحرب الباردة في
الوقت الحاضر والحرب الساخنة التي يمكن أن تشتعل في أية لحظة بين المعسكرين ...

وتبلغ مساحة إيران ٦٢٨،٠٠٠ ميل مربع تحدها من الشمال ... دول
وجمهوريات الاتحاد السوفيتي ومن الغرب تركيا والعراق ومن الشرق روسيا
وأفغانستان وباكستان . وتطل سواحلها الجنوبية الغربية والجنوبية على الخليج
الفارسي وخليج عمان والمحيط الهندي . ويبلغ امتدادها من الشمال الغربي إلى
الجنوب الشرقي مسافة ١،٤٠٠ ميل ، ومن الشمال إلى الجنوب ٨٧٥ ميلاً ، وأرضها
جبلية على وجه العموم ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مناطق هي السهول الساحلية

الشمالي ويقع بين بحر قزوين وجبال البرز ويضم مقاطعتي جيلان ومازندران ، والسهل الساحلي الجنوبي ويطل على الخليج الفارسي ويضم مقاطعتي خوزستان وبلوجستان ، ثم الهضبة الداخلية ويتراوح ارتفاعها بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف قدم وتقطعها الجبال من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وهي قليلة النبت عامة ولكن تغطيها بعض الغابات في كردستان ولورستان كما توجد غابات البلوط في بعض جهاتها ، ويحتلها ثلاث صحارى ملحية مقفرة هي صحراء لوت وصحراء كوير وصحراء هلمند ، ولا يوجد في إيران غير نهر واحد صالح للملاحة هو نهر قارون ويجري نحو الخليج الفارسي .

وقد قدر عدد السكان في إيران عام ١٩٤٥ بحوالي ١٦,٥٤٩,٨٣٧ نسمة وهم خليط من الأجناس الآرية والمغولية والسامية ، وما زالت الروح القبلية سائدة بينهم لأنهم ينتمون إلى قبائلهم أكثر مما ينتمون إلى أوطانهم ومساكنهم

وأشهر هذه العناصر القبلية الأكراد ويقيمون في شمال غرب إيران ويسببون كعشائرهم في تركيا والعراق كثيراً من المتاعب للحكومة الإيرانية ، واللوريون ويقيمون في لورستان ، والبختيارى في جنوب إيران حيث أعمال شركة البترول الإنجليزية الإيرانية ، والقاشقاي في السهل الساحلي جنوب بوشهر وجنوب شرق أصفهان ، ثم العرب ويقطنون الشاطئ الجنوبي لإيران وحوض نهر قارون ويحكمهم شيخ المحمرة ، وهذا عدا القبائل التركمانية في خراسان والقبائل التركية الأصل في مازندران وجيلان وبعض العناصر الأفغانية في سيستان وبلوجستان الإيرانية ، وتتميز هذه القبائل بروحها الحربية وشدة مراسها في القتال وكثرة ثوراتها على الحكومة المحلية إذا ما آنست منها ضعفاً .

وطهران العاصمة أكثر المدن سكاناً ويقدر عددهم بحوالي ٨٥٠,٠٠٠ نسمة بينما يتراوح عددهم في مشهد وتبريز وأصفهان بين مائتي ألف ومائتين وخمسين ألف نسمة ولا يزيد عددهم في عبادان وشيراز ورشت وهمدان عن مائة ألف نسمة وتبلغ كثافة السكان عامة ٢٥ نسمة في الميل المربع ولكنها ترتفع إذا أخرجت الصحارى من حسابنا إلى ٣٧ نسمة في الميل المربع .

وينتمي أغلب الإيرانيين إلى المذهب الشيعي وهم من غلاة المتعصبين لمذهبهم ، ورجال الدين نفوذ قوي في البلاد كان عون الشاه رضاخان في الوصول إلى عرش الأكاسرة وظل سنداً له عند الشعب . ومدينة مشهد حيث دفن الإمام الثامن من أئمة الشيعة مزار الإيرانيين وكذلك مدينة كوم حيث دفنت أخته فاطمة ، ويتبع المذهب السني الأكراد والتركمان . والمسيحيون في إيران من الأرمن ويقدر عددهم حوالي ١٢٠٬٠٠٠ نسمة يقيمون في تبريز وطهران وإصفهان ويبلغ عدد اليهود حوالي ٤٥٬٠٠٠ يقطنون المدن ، أما أتباع زرادشت فيتراوح عددهم بين عشرة آلاف واثني عشر ألفاً يقطن أغلبهم في يزد وكرمنشاه ، وهناك عدد من البهائيين لا يعرف عددهم تماماً لعدم اعتراف الدولة بديانتهم .

خاتمة

حاولت في الفصول السابقة معرفة الشرق الأوسط في الاصطلاح الجديد الذي جرى على لسان العسكريين والساسة وتعميم استعماله بين الكتاب والصحفيين والمثقفين السياسيين والعسكريين والإداريين حتى طغى على الاصطلاح القديم الذي جرى عليه المؤرخون والجغرافيون في تقسيم الشرق تقسيما تقليديا إلى شرق أدنى وأوسط وأقصى وتناولت أهميته الجديدة وعوامله القوية التي دفعت باستخدام الحركة الاستعمارية من دول الاستعمار الكبرى بعد أن فرغت من اقتسام مناطقه الشاسعة في آسيا فأخذت تبحث عن مناطق أخرى لإشباع أطماعها الاستعمارية وبخاصة تلك الدول التي فاتها سبق الاستعمار في شوطه الأول كإيطاليا وألمانيا ووقفت في الاحتفاظ بمستعمراتها الأولى كفرنسا فلم يكن أمامها غير أملاك الدولة العثمانية الضعيفة تروا عليها وتتسابق على أطرافها وتحاول أن تقتطع من جسمها، وبعض بلاد الإسلام الأخرى التي نجت من الاستعمار في جولته الأولى، وبينت كيف أخذت هذه الأهمية تعظم وتزداد وضوحا المواصلات العالمية التي تحققت بعد افتتاح قناة السويس وتقدم وسائل المواصلات البرية والجوية، ثم علاقة هذا التنافس الاستعماري بالمسألة الشرقية والمسألة المصرية وأخيرا ظهور البترول كعامل من أعظم العوامل التي تسيطر على مصير الشرق الأوسط إن لم يكن أعظمها جميعاً.

كما تناولت في تلك الفصول عوامل اليقظة الإسلامية ونموها في بلاد الإسلام وبداية الوعي القومي الحديث في بلدان الشرق الأوسط كتركيا ومصر والبلاد العربية وفارس ومدى التجاوب الفكري والسياسي في تلك المنطقة وأثر هذا البعث الحديث في نضال الاستعمار ومقاومة الضغط الأوربي وتطور السياسة الأوربية في الشرق الأوسط تبعاً لتطور الوعي القومي والسياسي والمعركة القائمة بينهما وبين الاستعمار بطريق مباشر وبينهما وبين الأوتوقراطية الحاكمة بشكل غير مباشر من ناحية ثم صراع القوى الكبرى في العالم والتنافس الدولي على استعماره والنفوذ إليه من ناحية أخرى وتأثر هذه القوى جميعا في قوتها أو ضعفها.

وقد تأثر تاريخ الشرق الأوسط الحديث بهذه العوامل كلها مجتمعة وأدت جميعها
أدوارها على مسرح التاريخ في آن واحد فقد جاءت اليقظة الإسلامية مقترنة بنمو
الوعي القومي وغدت هاتان القوتان وقد بدأ الضغط الأوروبي يقع عليه ويمتد إلى
ميادينه واحدة بعد الأخرى مصحوبا بنمو المصالح الأوروبية فيها وبداية التنافس الدولي
عليها . وتغيرت المصالح الأوروبية ... طابعها الاستراتيجي فكانت الاستراتيجية هي التي
تسير دفة السياسة الدولية في ربوعه قبل قيام الحملة الفرنسية على مصر وإن كان
هدفها تكوين مستعمرة فرنسية في ذلك المركز الوسيط الذي من أركان العالم
إلا أن هدفها الأخير كان الارتكاز على مصر لاقتحام طريق الهند الذي حيث
الأسواق الرائجة والخامات الوفيرة والمستعمرات الغنية ولم يكن اهتمام بريطانيا بالحملة
الفرنسية على مصر إلا اهتماما بالدفاع عن مصالحها في الهند ، ثم كان اهتمامها بتحطيم
قوة محمد علي الناشئة حتى لا تكون خطراً يهدد مراكزها الحيوية في الخليج
الفارسي وسواحل شبه الجزيرة العربية في الجنوب عندما أخذت تقترب منها
وتدنو من طريق الهند ، ولم يكن الخلاف حول المسألة الشرقية إلا خلافا على السيطرة
على المنافذ الحيوية للمواصلات البحرية التي تسيطر عليها الدولة العثمانية والإبقاء على
الحاجز العثماني الذي يحول دون روسيا والنفوذ إلى البحار الدافئة حتى لا تقف وجهاً
لوجه أمام النفوذ البريطاني المتغلب في البحار وتدنو من مستعمراته الغنية في آسيا
وأفريقيا ، ولا تقضي على أطماع فرنسا الاستعمارية في البحر الأبيض والشرق الأدنى
وارتبطت المسألة المصرية برغبة بريطانيا في السيطرة على قناة السويس ثم شريان
حياتي يربطها بمستعمراتها بالرغم من الضمانات التي كفلتها معاهدة الآستانة
لسلامة القناة وحرية المرور فيها كما ارتبطت بأطماع فرنسا الاستعمارية في
مصر والمشرق . وكذلك كانت السياسة الألمانية نحو الشرق تدور في جوهرها حول
الوصول إلى مناطق الشرق الغنية والسيطرة عليها واتخذت من الشرق الأوسط
قنطرة تعبر فوقها إلى أغراضها وكان خط حديد بغداد خطاً استراتيجياً أكثر منه
خط لتيسير المواصلات العادية أو محلية في الإقليم

وكانت أهمية الشرق الأوسط أهمية استراتيجية وكانت الاستراتيجية هي التي تخط
معالم السياسة وترسم خطوطها الرئيسية حتى إذا نبع بتروله وفاض غزيراً ليكون من

أهم موارد العالم البترولية ، وزادت قوة سكانه الشرائية وقدرته الإستهلاكية بتقدم أسباب الحضارة فأصبح سوقاً رائجاً للمنتجات الأوربية وغيرت حتى بلدانه بعض الخامات اللازمة للصناعة الأوربية كالقطن المصرى ، بحيث أهميته الاقتصادية فى ميدان التنافس العالمى وقد تناولنا أهمية البترول الاستراتيجية بالتفصيل وأهميه موارد الشرق الأوسط من هذه المادة بالنسبة لأية حرب تدور بين القوى الكبرى فى العالم القريب من موطن البترول المرتقب . كما لا نجهل أهمية القطن كخامة تدخل فى الصناعات الحربية . ولكن هذه الخامات والموارد ذات الأهمية الاستراتيجية البالغة لها أهميتها الاقتصادية العظمى أيضاً فالقطن المصرى هو الذى يمون مصانع الغزل والنسيج فى لانكشير ويصبح يمون كثيراً من مصانع أوربا وبترول الشرق الأوسط هو المورد الرئيسى لتموين أوربا الغربية وبعض جهات الشرق الأقصى

وبالرغم من هذه الأهمية الاقتصادية الجديدة للشرق الأوسط فإنها لا تطغى فقط على أهميته الاستراتيجية ومبررات الاستراتيجية هى التى تسير دفة السياسة الدولية نحوه وتدير معركة الصراع الاستعمارى فى بلاده ولا نستطيع أن نفهم تيارات السياسة الدولية فى الشرق الأوسط إلا إذا أدركنا قوة الدوافع الإستراتيجية التى تكمن وراء أهدافها الإستراتيجية هى التى تدفع السياسة وهى التى تكتب خاتمتها وهذا تفسير لتعريف كلاوزفتز للحرب من أنها السياسة ولكن فى صورة عنيفة أو أنها المرحلة الأخيرة للعمل السياسى وليس العمل السياسى أو الاستراتيجى غاية فى ذاته ولكنه وسيلة لتحقيق مصالح خاصة تنشدها الدولة وتعمل على تحقيقها بالوسائل السلمية وهذا هو عمل السياسة ، أو بالوسائل الحربية وهذا هو عمل الاستراتيجية ، وهذه المصالح الخاصة هى فى غالبها مصالح اقتصادية منها التكسب واستغلال موارد الثروة فى المستعمرات واستثمار رؤوس الأموال فى مناطق النفوذ وتهجير القوى البشرية الزائدة فى الدولة إلى مستعمراتها واحتكار الأسواق التجارية وهذه المصالح الخاصة هى العامل الأول فى الصراع العالمى واحتدام النزاع والتنافس بين الدول الاستعمارية وهى التى تقود فى النهاية إلى الحرب

وبجانب هذه المصالح الخاصة للدول الاستعمارية وهي التي توجه سياستها واستراتيجيتها نحو إقليم معين أو نحو مناطق نفوذها العظمى ، توجد العوامل الداخلية التي تلعب دورها الكبير في تطور سياسة الدولة واستراتيجيتها فهناك درجة رقي الإقليم وتقدمه الحضاري والاقتصادي وقوة وعيه الشعبي ، فكلما كان الإقليم أرقى تقدما وكان سكانه أكثر رقيا كلما صعب التسلط عليه أو استعباده واستعماره ، وكلما عظمت موارده الاقتصادية كلما اشتد التنافس عليه ، وكلما كانت يقظته ووعيه مكتملين كلما كان ذلك أدعى إلى شدة الصراع بينه وبين القوى الطامعة فيه أو التي تمتد إليه ، أما إذا كان الإقليم متأخراً متخلفاً سهل حكمه وسلس قياده وسهلت مهمة القوى الاستعمارية عليه واتضحت حدوده . ودرجة الإقليم من التقدم أو التأخر تتكيف إلى حد بعيد سياسة الدول الاستعمارية نحوه فلا يمكن لها أن تحكم إقليما متقدما له نصيبه الحضاري وعظمته التاريخية كما تحكم إقليما متأخراً لا حضارة له ولا قومية تربط أفراده

ويتميز إقليم الشرق الأوسط بعراقة شعوبه وماضيها الحضاري المجيد وتطلعها إلى استكمال أسباب تقدمها ورقيها وأخذها من الحضارة السائدة بما يعود عليها بالخير والنفع وكان لهذه الميزة الواضحة في إقليم الشرق الأوسط أثرها في مقاومة الضغط الأوربي الذي وقع عليه في الوقت الذي أخذ يستيقظ فيه من سباته ويكشف عن عراقته وحيويته . ولهذا جرت سياسة الاستعمارية حيال شعوبه على غير ما جرت عليه حيال الشعوب المتخلفة في أفريقيا وآسيا

وعلى ضوء هذه العوامل مجتمعة يمكن دراسة المشاكل السياسية في الشرق الأوسط فيجب أن ندرك أولا أهمية هذا الإقليم في دائرة الصراع الدولي القائم دواماً بين القوى الكبرى في العالم وما يكمن وراء هذه الأهمية من دوافع استراتيجية أو اقتصادية ، بالقياس إلى مصالح الدول الكبرى وأطماعها العامة أو الخاصة وثانياً أثر هذه العوامل كلها بالنسبة لشعوبه ودوله ودرجة تقدمها وقوة وعيها القومي والسياسي .

وقد تناولت في فصول هذا الجزء الأول تلك العوامل مجتمعة وأثرها بالنسبة للإقليم عامة وبالنسبة لكل دولة من دوله حتى نهاية الفترة التي سبقت قيام الحرب العالمية الثانية أما ما بعد ذلك فإن موضوعه الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله .

ثبت المصادر

نورد فيما يلي أسماء المصادر العربية والإفرنجية التي رجعنا إليها في كتابة الجزء الأول من هذا الكتاب ، والتي اكتفينا بذكرها في هذا المكان عن الإشارة إليها في ذيول الصفحات راجين أن تسمح الظروف بذلك في الطبعات التالية حتى نوفر على القارىء عناء تحديدها والرجوع إليها مضطرين في هذا التقصير بكبر حجم الكتاب وأزمة الورق عند بدء طباعته ، وهناك بعض المصادر التي رجعنا إليها في هذا الجزء ولكنها تعتبر مراجع أساسية للجزء الثاني فتركنا ذكرها إليه . والله ولي التوفيق ؟

المصادر العامة

عجاج نويهض ترجمة عن ستودارد ، وتعليق شكيب أرسلان .

— حاضر العالم الإسلامي – جزءان

أحمد أمين — الدكتور .

— زعماء الإصلاح في العصر الحديث

حسين كامل سليم — الأستاذ .

— تاريخ أوربا الاقتصادي في القرن التاسع عشر .

راشد البراوي — الدكتور

— حرب البترول في الشرق الأوسط — الطبعة الثالثة

— الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الأوسط — ترجمة عن ا . بونيه

محمد رفعت .

— التيارات السياسية في البحر الأبيض المتوسط

محمد بدران – ترجمة عن رمزي ميور

— النتائج السياسية للحرب العظمى

حسن أحمد السلماوي – ترجمة عن جورج وارنر

— الأرض والفقر في الشرق الأوسط

أحمد حمودة – بورناتي – ترجمة عن الإنجليزية

— الاستراتيجية الأدبية في الحرب العظمى – فيليب بيم

— مبادىء الحرب ـ مارشال فوش
— الأصول والأحكام ـ مارشال فوش
— حروب التاريخ الحاسمة ـ دراسة في فن الاستراتيجية ـ ليدل هارت
— الحرب الحقيقية من ١٩١٤ — ١٩١٨ ـ ليدل هارت
محمد عثمان ـ النقيب
— الحرب
محمد قاسم وحسين حسني
— تاريخ القرن التاسع عشر
محمد عبد المنعم الشرقاوي ـ الدكتور
— نحو الشرق

Fitzgerald.
— Imperial Military Geography
Cole.
— Imperial Military Geography.
G E. Kirk.
— A Short History of the Middle East.
W. B. Fisher
— The Middle East A Physical, Social, and Regional Geography
E. A. Speiser.
— The United States and the Near East
Royal Institute of International Affairs.
— The Middle East A Political and Economic Survey
Karl Brockelmann.
— History of Islamic Peoples.
F. J. C. Hernshaw.
— Main Currents of European History 1815 — 1915
A. J. Grant and H. Temperly.
— Europe in the Nineteenth century
Geoffry Bruun.
— The World in the Twentieth century
H. A. L. Fisher.
— A History of Europe.
William L. Langer.
— An Incyclopedia of World History.

G. M. Gathorne Hardy.
- A Short History of International Affairs 1920 - 1939
The R. T. Hon. Winston Churchill.
— The World Crisis
H. W. Temperly.
— A History of the Peace Conference of Paris. 6. Vols
Sir Reader Bullard.
— Britain And the Middle East.
W. theimer and P. Campbell
— Incyclopaedia of World Politics.
W. Friedmann.
— An Introduction to World Politics.
Frederick L. Schuman.
— International Politics.
A. J. Toynbee
— Survey of International Affairs.
Sir R. Storrs
— Orientations
Elizabeth Monroe.
— The Mediterranean in History
George Slocombe.
The Dangerous Sea the Mediterranean and its Future
H. L. Hoskins.
— British Routes to India.
A. Bonne.
— Economic Development of the Middle East.
Doreen Warriner.
— Land and Poverty in the Middle East.
R. L. Mikesell and H. B. chenery.
— Arabian oil America's stake in the Middle East.
S. H. Steinberg.
— Statesman's Year-Book. 1951.
Middle East Institute, Washington.
Middle East journal.

مصادر البحث عن البلاد العربية

«شبه جزيرة العرب ـ العراق ـ سوريا ـ لبنان فلسطين ـ شرق الأردن»

على حيدر الركابي   ترجمة عن جورج انطونيوس

ـ يقظة العرب
أمين سعيد
ـ الدولة العربية المتحدة . ثلاثة أجزاء .
الجزء الأول عن تاريخ الاستعمار الإنجليزي في بلاد العرب .
الجزء الثاني عن . تاريخ الاستعمار الفرنسوي والإيطالي في بلاد العرب
الجزء الثالث عن . تاريخ اليقظة القومية عند العرب وبرنامج لانشاء دولة عربية متحدة
ـ الثورة العربية الكبرى ـ ثلاثة أجزاء
أمين الريحاني
ـ ملوك العرب .
أحمد حمودة ـ يوزباشي .
ـ الحملة البريطانية على العراق ـ ترجمة عن ماجور بيماس
عبد الفتاح إبراهيم .
ـ على طريق الهند
حسين مؤنس . الدكتور .
ـ الشرق الإسلامي في العصر الحديث .
الطاهر أحمد الزاوي .
ـ تاريخ العراق السياسي الحديث   ثلاثة أجزاء
محمد رفعت .
ـ قصة فلسطين . سلسلة اقرأ .
نجيب صدقة . الدكتور .
ـ قصة فلسطين

P. K. Hitti.
— History of the Arabs
Bernard Lewis.
— The Arabs in History.
Ameer Ali.
— The Spirit of Islam.
George Antonius.
The Arab Awakening the Story of the Arab National Movement
T. E. Lawrence
— The Seven Pillars of Wisdom.
- in the Desert
ham.
— Around the Coast of Arabia.
J. B. Philby.
— Arabia
— Arabia of the Wahhabis
D. G. Hogarth.
— Arabia
K. S. Twitchell
— Saudi Arabia.
King Abdullah of Transjordan.
— Memoirs
H. C. Armstrong
Lord of Arabia Ibn Saud, an Intimate Study of a King
[illegible] Scott.
In the High Yemen.
Col. A. P. Wavell.
— Palestine Campaigns.
Baha ud-Din Toukan.
— Short History of Transjordan.
P. W. Ireland.
— Iraq, A study in Political Development.
S. Longrigg.
— Four Centuries of Modern Iraq.
H. A. Foster.
— The Making of Modern Iraq.

Royal Institute of Internatinal affairs.
— Great Britain and Palestine.
Chaim Weizmann.
— Trial and Error.
Robin Fedden.
— Syria
R Pearse.
— Three Years in the Levant.
F. Charles-Roux
— La France et les chretiens d' orient.
A. Latron.
— La Uie Rurale en Syrie et au Liban
E. Rabbath
— Unité Syrienne et l' avenir arabe.
George Haddad.
— Fifty Years of Modern Syria and Lebanon
A. H. Hourani.
— Syria and Lebanon a Political Essay
— Great Britain and the Arab World.
— Minorities in the Arab World.
M V Seton-Williams.
— Britain and The Arab states A Survey of anglo - Arab Relations, 1920—1946.

مصادر البحث عن المسألة الشرقية وتركيا

مصطفى كامل ـ زعيم النهضة في مصر
ـ المسألة الشرقية
الكابتن هـ . س . أرمستروج
ـ الذئب الأغبر : مصطفى كمال . ترجمة دار الهلال
J. A. R Marriot.
— The Eastern Question.
E Driault.
— La Question d' Orient.
S. Ekrem.
— Turkey : Old and New.

J. Parker and C. Smith.

— Modern Turkey
Barbara Ward.

— Turkey.
D. E. Webster.

— The Turkey of Ataturk.
H. C. Armstrong.

— Grey Wolf : Mustafa Kemal, an Intimate Study of a Dictator.
Philip Graves.

— Briton and Turk.
E. M. Earle

— Turkey, the Great Powers, and the Baghdad Railway.
Dr. K. Kruger.

— Kemalist Turkey and the Middle East

مصادر البحث عن مصر والسودان

محمد حسين هيكل ـ الدكتور

١ — تراجم مصرية وغربية

٢ — مذكرات في السياسة المصرية .

الجزء الأول من سنة ١٩١٢ ـ ١٩٣٧

محمد فؤاد شكرى الدكتور

— الحملة الفرنسية وظهور محمد على

— الحكم المصرى فى السودان ١٨٢٠ ـ ١٨٨٥

مصر والسيادة على السودان ـ الوضع التاريخى للمسألة

محمد شفيق غربال ـ الأستاذ .

— محمد على   من سلسلة أعلام الإسلام

نعوم شقير

— تاريخ السودان الحديث وجغرافيته ـ ثلاثة أجزاء .

عبد الرحمن الرافعى ـ سلسلة تاريخ الحركة القومية

١ — تاريخ الحركة القومية ـ جزءان

٢ — عصر محمد على

٣ — عصر إسماعيل   جزءان

٤ — الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى
٥ — مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ١٨٨٢ - ١٨٩٢
٦ — مصطفى كامل - باعث الحركة الوطنية
٧ — محمد فريد - رمز الإخلاص والتضحية
٨ — ثورة سنة ١٩١٩ . جزءان
٩ — فى أعقاب الثورة . ثلاثة أجزاء

محمد رفعت

— تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة .

راشد البراوى وحمزة عليش

— التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث الطبعة الرابعة

توفيق أحمد البكرى

— مهدى الله من سلسلة أعلام الإسلام

عثمان أمين - الدكتور

— محمد عبده . من سلسلة أعلام الإسلام

محمد صبرى - الدكتور

— الإمبراطورية المصرية فى أفريقيا

عباس مصطفى عمار . الدكتور

— المدخل الشرقى لمصر

مصطفى الحفناوى . دكتوراه فى القانون

— قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة الجزء الأول

أساتذة كلية الآداب .

— المجمل فى التاريخ العربى
— محاضرات للأساتذة : شفيق غربال . مصطفى عامر . حسين كامل سليم . محمد فؤاد شكرى . عزيز عبد الكريم . راشد البراوى .

مصلحة الإحصاء والتعداد

— إحصاء الجيب السنوى : سنة ١٩٥١

H. Dodwell.
— The Founder of Modern Egypt

Sh Gorbal
— The Eygptian Question and the Rise of Mehemet Ali.

M Rifaat Bey.
— The Awakening of Modern Eygpt.

Sir Valentine Chirol
— The Egyptian Problem

R Feiden
— The Land of Egypt

Royal Institute of International Affairs
— Great Britain and Egypt: 1914 – 1936

A P Wavell
— Allenby in Egypt

Lord Cromer
— Modern Egypt

Lord Lloyd
— Egypt Since Cromer.

H. J. Schonfield
— Suez Canal

Sir A T. Wilson
— The Suez Canal its Past, Present and Future.

Moustapha El-Hefnaoui
— Les Problemes Contemporains Posés par le Canal De Suez.

B M. Allen'
— Gordon and the Sudan.

Sir H. A. Mac Michael
— History of the Arabs in the Sudan

M Sabry
— L' Empire egyptien sous Mohemed Ali et La question d'Orient, 1811–1849.

K. D. D. Henderson.
— Suvey of the Anglo – Egyptian Sudan. 1898 – 1944.

A. B. Theobald.
— The Mahdiya: A History of the Anglo Egyptian Sudan 1881 – 1899

John Buchan.
— Gordon At Khartoum.

The Rt. Hon. Winston Churchill.
— The River War an account of the Reconquest of the Soudan.
W. S. Blunt.
— Gordon At Khartoum
Dr Rashed El Barawy.
— Egypt, Britain and the Sudan.

مصادر البحث عن إيران

أحمد محمود الساداتي
ـ رضا شاه بهلوى ـ نهضة إيران الحديثة
G. N. Curzon Earl of Kedleston.
- Persia and the Persian Question
Dr P. M. Sykes.
— History of Persia.
Sir A. B. T. Wilson.
— The Persian Gulf.
— Persia
L. P. Elwell – Sutton
— Modern Iran
George Lenczowski
— Russia and the West in Iran. 1918 - 1948
Donald M. Wilber.
— Iran : Past and Present

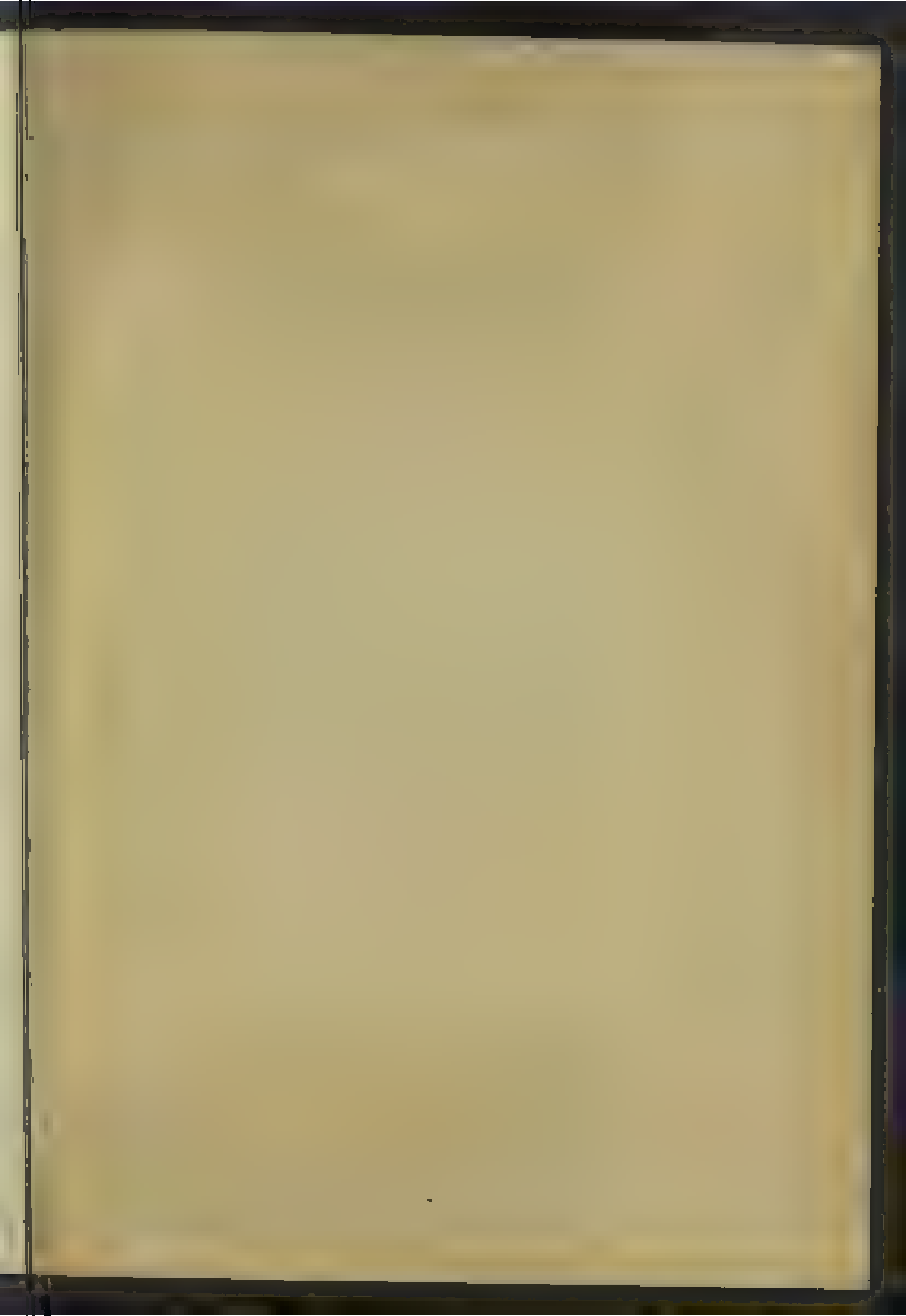
مصادر البحث عن ليبيا وشمال إفريقيا

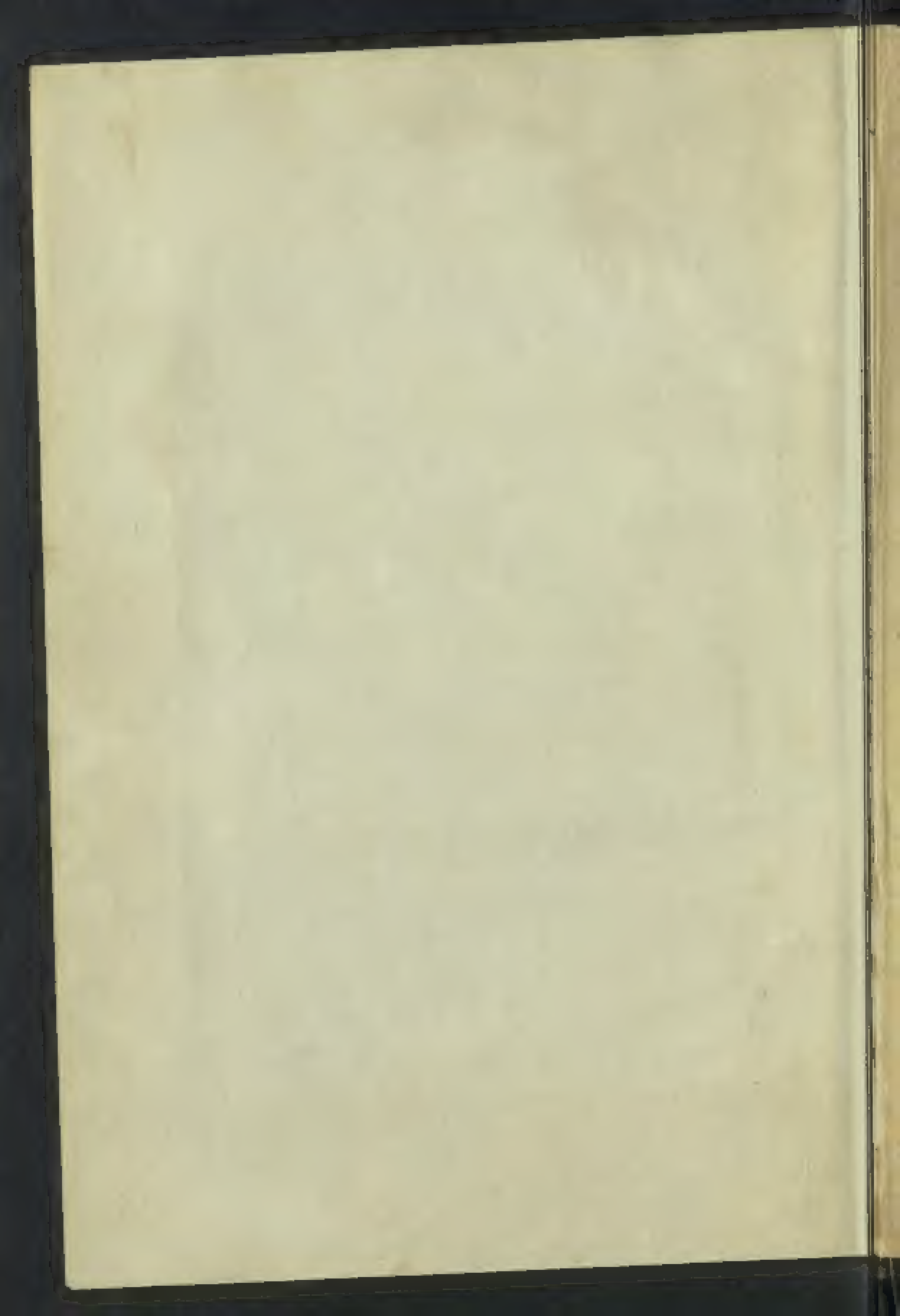
ـ محمد فؤاد شكرى ـ الدكتور
السنوسية دين ودولة
علال الفاسى
ـ الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى
محمود الشنيطى
ـ قصة ليبيا
عبد الرزاق الحسنى
ـ جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب
The National Council For the Liberation of Libya.
— Note on Libya

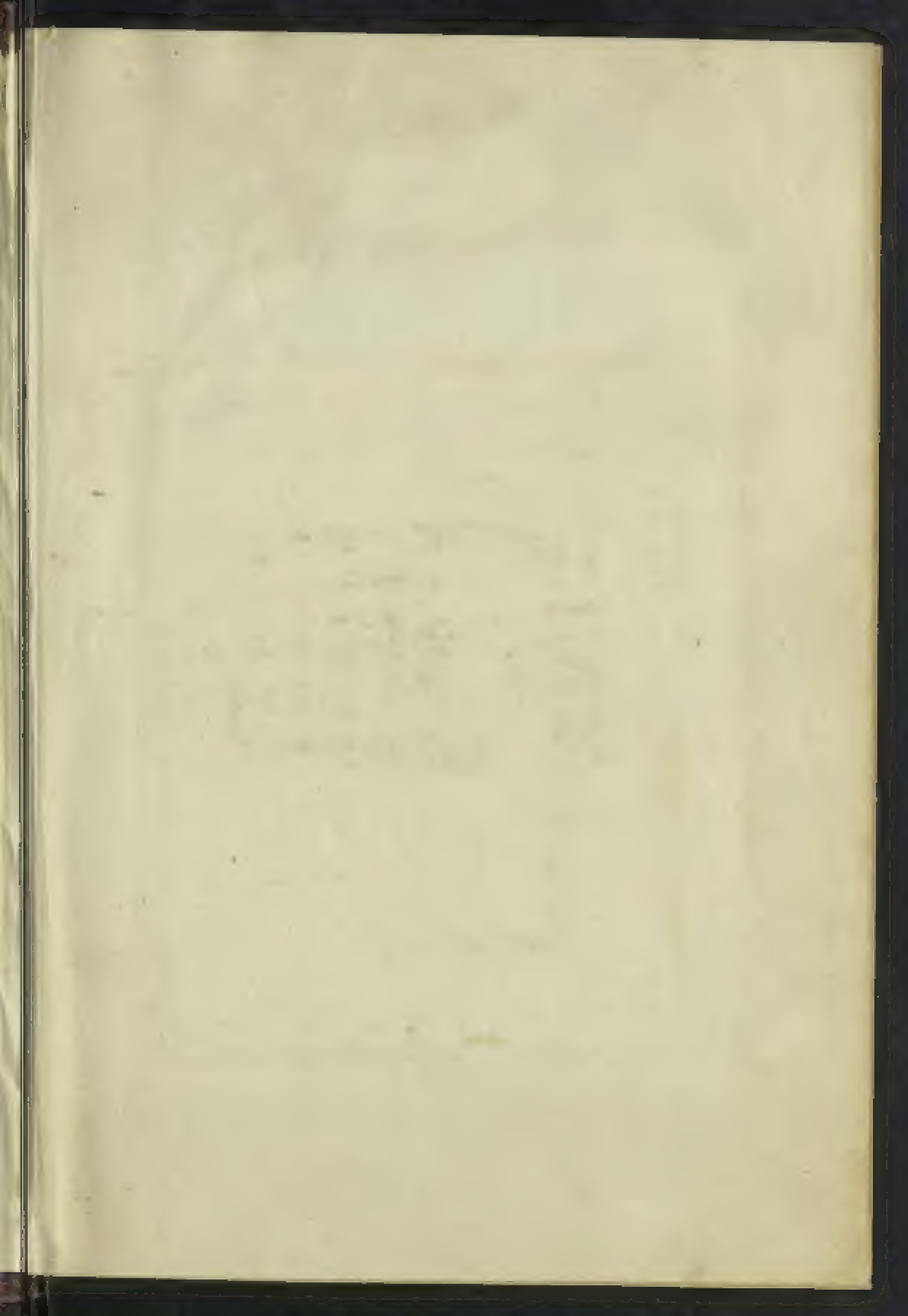
للمؤلف

تحت الطبع

١ — السياسة والاستراتيجية فى الشرق الأوسط . الجزء الثانى
٢ — رجال وأعمال ـ صفحة من تاريخ النهضة المصرية المعاصرة
٣ — إسرائيل والشرق العربى
٤ — الحرب القادمة والشرق الأوسط








AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

